أعلام الفكر الاجتماعى

والأنثربولوجى الغربى المعاصر

الدكتور
محمود أبو زيد

(الجزء الأول)



أعلام الفكر الاجتماعى
والأنثربولوجى الغربى المعاصر

د. محمود أبو زيد

(الجزء الأول)



الكتـــــــــاب : أعلام الفكر الاجتماعى والأنثربولوجى الغربى المعاصر

المـــــؤلـــــف : د. محمود أبو زيد

رقـــم الإيـــداع : ٩٨/١٤٧٩٤

الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-215-372-6

الناشــــــــــــر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع

شركة ذات مسئولية محدودة

الإدارة والمـطـابـع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلى (القاهرة)

ت : ٣٥٤٢٠٧٩ فاكس ٣٥٥٤٣٢٤

التــوزيــــــــع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقى الفجالة – القاهرة

ت : ٥٩٠٢١٠٧ – ٥٩١٧٩٥٩

إدارة التســــويق والمعـــرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحــاس مدينة نصــر – الدور الأول

محتويات الكتاب

تصدير

عندمـا فكرت منذ سنوات فى أن أكـتب عن أعـلام الفكر الاجـتـمـاعى والأنثـريولوجى الغربى المعاصر، لم أكن أتصور حينذاك أن الإقدام على تأليف - أو حتى إعداد - عـمل كهذا سوف يواجـه بالعديد من الصعـوبات النظرية والمنهـجية التى يتـعـين القطع فـيـهـا برؤية واضـحـة. ولعل فى مـقـدمـة هذه الصـعـوبات تلك الصـعوبة المبدئية التى تتـعلق بتحديد نطاق الكتاب وإطاره فى ضوء الهدف الذى يسعى إلى تحقيقه.

فمن ناحية، ليس المقصود أن يكون هذا الكتاب بأجزائه الثلاثة مجرد رصد أو تأريخ لهؤلاء الأعلام، بقدر ما هو محاولة لمناقشة ما يعتقد أنه أهم ما انطوت عليـه كـتـاباتهم من مـبـادئ وأفكار ونظريات، وهذا بالذات أثار بدوره مـشـكلتـين أساسيتين، الأولى تتعلق بتعيين من هم إذن هؤلاء الأعلام، وخاصة أن ميدان الفكر الاجتماعى والأنثريولوجى الغربى المعاصر زاخر بالمئات من الأسماء اللامعة التى لها تأثيرها سواء بشكل مباشر أم غير مباشر. والثانية تتعلق بمفهوم «المعاصرة» نفسه والفترة الزمنية التى يمكن القول بأن هذه الأسماء تندرج تحتها.

وفى تصـورى أن التحديد الواضح للمشكلة الثانية كان لازما لحل المشكلة الأولى. وبناء عليه فقد آثرت أن ينسحب مفهوم المعاصرة على النصف الثانى من القرن العشرين، وبذا يكون الكتاب عن أولئك الذين عرفتهم هذهِ الفترة الزمنية، وكثير منهم مازالوا أحياء حتى اليوم. وهذا معناه أننا لو عرضنا لبعض السابقين على هذه الفترة فلن يكون ذلك إلا فى أضيق الحدود وليس إلى ما وراء الأربعينات، ونزولا على الضرورة لأجل إبراز أبعاد الأثر والتأثير. وهى حالات فردية وقليلة جدا على أى الأحوال. وفى ظنى أن هذا التحديد هو الذى أتاح فرصة الاختيار ما

بين مئات الأسماء التى يستحيل أن يدعى أى كتاب أنه يضمها ويشتمل غليها جميعا. فالمبدأ إذن هو مبدأ انتقائى فى ضوء المعايير المتفق عليها التى تحدد مكانة المفكر وقيمته.

أما الصعوبة الثانية فقد تمثلت فى كيفية التناول الذى تتم من خلاله الكتابة عن هؤلاء. وهنا أيضا كان ثمة بضعة اختيارات. فالمعروف أن هناك مدخلين رئيسيين لهذا التناول: الأول وهو الأقدم، أن نبدأ بالشخصية ذاتها أو بالاسم نفسه أو ما يطلق عليه مدخل الشخصية أو الذات الدرامية Dramatis Personae، بمعنى أن يكون مناط التركيز هنا المفكرين والأعلام أنفسهم الذين تشكل كتاباتهم المادة البيليوجرافية للفكر الاجتماعى والأنثربولوجى المعاصر. أما المدخل الثانى فإنه لا يتجه إلى الإنسان ولكن إلى النسق أو النظام أو المدرسة أو الاتجاه الذى ينتمى إليه هذا المفكر أو ذاك. وهو ما يجرى التعبير عنه أحيانا بأنه يتجه إلى الصفة الذاتية الخاصة التى يتميز أو يعرف بها هذا النسق أو الاتجاه، فلا يكون المقصود هو إيفانز بريتشارد مثلا أو ماركس أو هيكل أو بواس أو جوليس إير، ولكن البنائية الوظيفية Structural Functionalism، والماركسية Marxism، والمثالية Idealism، والتطورية Evolutionism، والوضعية المنطقية Logical Positivism. وتكون الكتابة بذلك عن الأعلام هى بالدرجة الأولى كتابة فى تاريخ الأنساق الفكرية أو الاتجاهات والمدارس بوجه عام.

غير أن لكل من هذين المدخلين مثالبه الذاتية. فبالرغم من سهولة المدخل الأول فالواضح أنه لا يفيد كثيرا إذا ما أردنا التوغل إلىٰ ما وراء الفكرة التى يقول بها المفكر، أقصد عند محاولة التعرف على القوى والعوامل التى حفلت بها وضعية الفكر العقلى فى الوقت الذى كتب فيه، ومن ثم يكون الأمر أقرب إلى السيرة الذاتية أو امتدادا للأفكار خارج الذات. أما بالنسبة إلى المدخل الثانى وهو أفضل من سابقه ولاشك فإنه ينطوى بدوره على نظرة أحادية يتم بها النظر إلى الأنساق على أنها منفصلة بعضها عن بعض، على الرغم من حقيقة أن ما تنطوى عليه من مبادئ وأفكار لابد سنجد مثلها أو نقيضها أو صدى لها بشكل أو بآخر فى أنساق واتجاهات أخرى؛ ممّا تتحتم معه النظرة الشمولية والمقارنة. ذلك بالإضافة إلى أنه

من التعسف (اقتطاع) هذا المفكر أو ذاك و(قولبته) فى داخل هذه المدرسة أو تلك. لأن الأغلب واقعيا أن تتمازج فى المفكر العديد من الاتجاهات إن لم يكن الانتماءات وربما برز أيضا فيها جميعا.

وأيا كان الأمر فقد حتم كل هذا أن نتجه إلى مدخل ثالث، حيث لا تكون البداية من الإنسان نفسه، أو من النسق، وإنما من الأفكار ذاتها التى تعتبر عناصر أولية فى النسق الفكرى لأى مفكر، ولكنها ليست بعيدة أبدا عن الإنسان باعتبارها نتاج عقله وثمره تفكيره. وبمعنى آخر تتحتم إذن ضرورة اعتبار المدخلين معا. أقصد الفكرة بمكوناتها والنسق ببنائه والمفكر بعقله، ولكن شريطة أن يتم هذا فى قلب السياق التاريخى والاجتماعى الذى ينتمى إليه. وأعتقد أنه بمثل هذا المدخل سوف تتحقق واحدة من أهم الغايات التى يسعى إليها هذا الكتاب، وهى الكشف عن مدى نجاح هؤلاء الأعلام لا فى إبراز الواقع الحقيقى لعصرهم فحسب، ولكن روح العصر كذلك.

ومع ذلك فإنه نظرا لأن الكتاب يشتمل على ٣٥٠ علما من كبار المشهود لهم فى تخصصاتهم النوعية المختلفة، فلا يجب أن ينتظر القارئ أن يتسع هذا الجزء الذى بين يديه للحديث عنهم كلهم، ومن هنا كانت الضرورة فى أن يجيء الكتاب فى ثلاثة أجزاء، يتناول هذا الجزء الأول منها (٦٦) علما على أن يستكمل الجزء الثانى والجزء الثالث الأعلام الباقين بعد أن تم ترتيبهم أبجديا بحسب الحروف اللاتينية لأسمائهم. وحتى نجنب القارئ بعض مشقة البحث، فقد ذيلنا الكتاب بملحق شامل للأعلام، بالإضافة إلى حرصنا على إحالته إلى أكبر عدد ممكن من المراجع والقراءات المقترحة التى نرجو أن تكتمل بها الفائدة المرجوة.

والله من وراء القصد ،،،

م . أبو زيد

مصر الجديدة

أكتوبر ١٩٩٨

A

١ – آدلـر، مـورتيـمـر جـيـروم

1 - ADLER, MORTIMER JEROME

يعـتبـر مـورتيـمـر جـيـروم آدلـر من أكبـر رجـال التـربيـة والأخـلاق والتـعليم الأمـريكيين الذين اشتـهـروا بـاهتمـامـهم الفـائق بالشبـاب، وبجـهودهـم المميـزة لنشـر التعليم العـام وتطويره. ولقـد ولد آدلر فى الثامن والعـشرين من شـهـر ديسـمبـر عـام ١٩٠٢ فى نيويورك، ونجحت كتاباته وآراؤه التـى بدأت مبكرة فى أن تحقق له شهرة واسعة امتدت إلى مختلف أنحاء العالم الغربى، وبخاصة إبان الستينات والسبعينات.

ولقـد بدأت حياته العملية فى وقت مبكر أيضـا، إذ اضطر وهو طالب إلى أن يعمل خطاطا فى جريدة الصن Sun النيويوركية إلى جانب بعض الأعمال التحريرية التى كانت تستغرق كل وقته. ومع أنه نجح فى الالتحـاق بجامعة كولومبيا Columbia التى نـال منهـا درجـتـه العلمـيـة الأولى، فـإنـه لم يـتـمكن من الحـصـول على دبلومـتـه بسـبب رفـضـه تلقى بعض مـواد التـربيـة الرياضـيـة. ولهـذا فلم يحـصل على درجـة الدكتوراة إلا متأخرا فى عام ١٩٢٨.

على أية حـال، فقد شـغلت قضـية التعليم جـانبا كبيـرا من فكر آدلر. فمـا أن عين أستـاذا لفلسفـة القـانون فى جامعة شيكاغو حتى تزعم ومعه روبرت هاتشينز Hutchins عـدة حـمـلات واسـعـة تتبنى الدعـوة إلى التـعليم الحـر، وهـى الدعـوة التى أخـذ يعـقـد لهـا النـدوات ويقـيم المناظرات ويجـرى المناقشـات التى تعكس جـمـيعـهـا قـراءاته الأسـاسـيـة الواسـعة، وخـاصـة أنه درس على أيدى جـون آرسكين Arskine فى إحدى الدورات الخاصة التى استضافته لها جامعة كولومبيا، ووقف خلالها على

أروع المؤلفات التى ترسى أسس الثقافة الحديثة، وتقيم أواصر الاتصال والتفاهم الإنسانى.

ولقد توطدت أواصر الصداقة بين آدلر وهاتشينز، كما ارتبط اسماهما معا عندما عكفا على تحرير واحدة من أهم السلاسل الثقافية والعلمية التى عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية، وهى السلسلة المعروفة باسم «الكتب العظيمة» Great Books والتى اشتملت على ٥٤ مجلدا صدرت عام ١٩٥٢ بعنوان «الكتب العظيمة فى العالم الغربى» Great Books of the Western World، كما خطط وأشرف على مجلدين آخرين يعتبران بمثابة فهرست ومرجع تفصيلى للأفكار الجوهرية الكبرى باسم Syntopicon.

فى عام ١٩٥٢ أصبح آدلر مديرا لمعهد البحث الفلسفى Institute for Philosophical Research وهو المعهد الذى اتخذ مقره فى أول الأمر فى سان فرانسيسكو San Francisco، ثم انتقل بعد ذلك إلى شيكاغو، حيث قام بالإعداد لكتابه «فكرة الحرية» The Idea of Freedom الذى ظهر فى جزءين فى الفترة ما بين ١٩٥٨ و ١٩٦١. أما كتبه ومؤلفاته الأخرى فقد تضمنت «كيف تقرأ كتابا» How to Read a Book وهو كتاب كان قد نشره فى ١٩٤٠ ثم عاد إلى طباعته فى ١٩٧٢، وأيضا «جدل الأخلاق» A Dialectic of Morals (١٩٤٤) و«المانيفستو الرأسمالى» The Capitalist Manifesto الذى أصدره بالاشتراك مع لويس كيلسو Kelso فى عام ١٩٥٨، و «الثورة فى التعليم» The Revolution in Education الذى صدر أيضابالاشتراك مع مليتون ماير Mayer (١٩٥٨)، ثم «أرسطو لكل إنسان» Aristotle For Everyone فى ١٩٧٨، و«كيف نفكر فى الله» How to think About God فى ١٩٨٠ و«ست أفكار عظيمة» Six Great Ideas فى ١٩٨١.

وليس من شك فى أن هذه الكتابات المنوعة كانت كفيلة كلها بتأكيد شهرة آدلر، ولكن ربما كان الأهم منه تلك المرحلة التى حرر فيها بالاشتراك أيضا مع هاتشينز لدائرة المعارف البريطانية (Encyclopaedia Britannica) المجلدات العشرة المعروفة باسم البوابة أو المدخل للكتب العظيمة Gate- Way to the Great Books فى

عام ١٩٦٣، والدليل السنوى منذ ١٩٦١ و«الأفكار العظيمة المعاصرة» The Great Ideas of to - day. كما حرر الحوليات السنوية الأمريكية Annals of America فى ٢٠ مجلدا، بما فى ذلك مجلدان تفسيريان وتوضيحيان. بالإضافة إلى «قضايا خطيرة فى الحياة الأمريكية» Great Issues in American Life الذى ظهر فى ١٩٦٨.

والواقع أن فترة الستينات تعتبر بوجه عام فترة ازدهار لأعماله الفلسفية على وجه الخصوص، فقد صدرت له تحت إشراف دائرة المعارف البريطانية بعض المحاضرات التى كان قد ألقاها فى جامعة شيكاغو والتى عاد بعد ذلك فجمعها ونشرها على شكل كتب ومؤلفات، ومن بينها «شروط الفلسفة» The Conditions of Philosophy (١٩٦٥) و«التغاير فى الإنسان وما يصنعه من اختلاف» The Difference of Man and the Difference It Makes فى ١٩٦٧و«أوقات حياتنا» The Times of our lives فى ١٩٧٠. وعلى العموم فقد هيأت هذه الكتابات لآدلر أن يصبح فى عام ١٩٦٩ مديرا لهيئة التخطيط والتصميم الخاصة بالطبعة الخامسة عشرة من دائرة المعارف البريطانية (١٩٧٤)، ولأن يصبح رئيسا لمجلس تحريرها من عام ١٩٧٧. وباعتباره المتحدث باسم إحدى الجماعات التى تكونت من عدد من التربويين المرموقين فقد استغرقه لشهور طويلة فيض من الدراسات والمناقشات التى أسفرت عن تقديمه «الخطوط العريضة لاقتراح تربوى: بيان تعليمى» The Paideia Proposal: An Educational Manifesto وكان ذلك فى عام ١٩٨٢.

فما الذى كان يهدف إليه آدلر من هذا البيان؟ الواقع أنه ضمنه آراءه وفلسفته التربوية ونظراته الاجتماعية التى تدعو إلى التخلص من نظم التعليم المعقدة التى تطبق فى مدارس الولايات المتحدة. فقد كان يعتقد اعتقادا جازما أن تقديم البرامج المدروسة التى يتم التخطيط لها بعناية لكل تلاميذ المدارس الأولية والثانوية من شأنه أن يوفر الخدمة التعليمية الممتازة القادرة على إثراء عقول التلاميذ وعلى بناء تفكيرهم، والقادرة أيضا على الوفاء باحتياجات أذكى الأفراد وأكثرهم قدرة على الإنجاز.

وبالرغم من أن هذا اللون من التفكير كان من شأنه أن يثير ثائرة المحافظين والتقليديين، فقد نجحت آراؤه فى أن تفرض نفسها، وخاصة بعدما كشفت التجربة عن صدق ما ذهب إليه من أن التدريب الفنى والمهنى من المتوقع أن يكونا أكثر جدوى وفائدة إذا ما قدما للطلاب بعدما يكونون قد أكملوا مرحلة كاملة من التعليم الأساسى وزودوا بحصيلة كافية ومعقولة من الإنسانيات والفنون والعلوم واللغة.

ولقد اعترفت الأوساط العلمية والأكاديمية بفضل مورتيمر جيروم أدلر، فظهرت سيرته الذاتية فى عام ١٩٧٧ تحت عنوان «فيلسوف متعدد الجوانب: سيرة ذاتية عقلية» Philosopher ot Large: An Intellectual Autobiography. كما احتفلت جامعة كولومبيا بذكرى مرور ٦٠ عاما على حصوله على «البكالوريا» Baccalaureate منها، وكان ذلك فى مايو ١٩٨٣.

ويكفى أنه لا تكاد توجد اليوم شخصية مرموقة فى مجالات التربية والأخلاق والتعليم إلا وتأثرت بفكره وبآرائه على نحو أو آخر، الأمر الذى أصبح يجد طريقه إلى سياسات التعليم وإستراتيجيات التربية التى تأخذ بها الولايات المتحدة الأمريكية منذ سنوات.



٢ - أدورنو، تيودور فيزنجروند
2 - ADORNO, THEODOR WIESENGRUND

على الرغم من أن كتابات تيودور فيزنجروند أدورنو تعتبر من أشد كتابات مفكرى القرن العشرين صعوبة وتعقيدا، فقد نجحت فى أن تترك أثرا واضحا فى الحياة الثقافية الأنجلوسكسونية، وبخاصة من خلال كتابات هربرت ماركيوزة Mar-cuse التى لفتت الأنظار إليه، وأدت إلى فيض من الترجمات لمؤلفاته وأعماله.

ولد أدورنو (وهو اسم مستعار أخذه عن أمه التى كانت نصف كورسيكية المولد) فى ١١ سبتمبر عام ١٩٠٣ فى فرانكفورت بألمانيا فى أسرة غنية نصف يهودية، وتوفى فى ٦ أغسطس عام ١٩٦٩ فى فيزب Visp بسويسرا. وقد كان لظروف نشأته الأولى ونوعية التعليم الذى تلقاه أثر كبير فى تكوينه العقلى والوجدانى، وفى بلورة اتجاهاته ومواقفه كناقد وفيلسوف يتمتع بمكانة مرموقة فى الاجتماع وعلم النفس وعلم اجتماع الموسيقى musicology، وإن كانت شهرته قد انبنت أساسا بسبب إسهاماته فى تطوير النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت Frankfurt School التى ساعدت كثيرا فى عملية الإحياء الثقافى بألمانيا فى أعقاب الحرب العالمية الثانية.

كان لايزال طالبا بالمدرسة عندما انعقدت أواصر الصداقة بينه وبين الناقد الصحفى سيجفريد كروزور Kracauer الذى كان يفجر بحسه الصحفى العديد من المشكلات والقضايا التى تتأرجح ما بين نقد العقل النظرى لكانط ومشكلات الاتصال الجماهيرى. وقد كان لهذه العلاقة أثرها فى تكوين أدورنو إذ اكتسب منه قدرته على تحديد المشكلات واستقصائها وقدرته على التحاور والمساجلة وهما ناحيتان ظلتا من أبرز سماته طوال حياته العلمية والعملية.

ولقد نال أدورنو درجته العلمية الأولى فى الفلسفة والموسيقى. وحصل على درجة الدكتوراه وهو فى سن الواحدة والعشرين (١٩٢٤) من جامعة فرانكفورت على أيدى الأستاذ هانز كورنيليوس Cornelius وهو واحد من أشهر دعاة الكانطية الجديدة، وذلك عن رسالته فى فينومينولوجيا هوسرل Husserl. وتوطدت علاقته بعد ذلك بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعى Frankfurt Institute of Social Research، وبخاصة بعدما أصبح صديقه ماكس هوركيمر Horkheimer مديرا للمعهد فى عام ١٩٣٠، وأتيحت له بذلك فرصة متابعة اهتماماته النظرية التى جعلت منه واحدا من أبرز أعضاء مدرسة فرانكفورت وأغزرهم إنتاجا. وإن كان من الطريف مع ذلك أنه لم ينس فى غضون انشغاله بالتحصيل العلمى شغفه الأصيل بالموسيقى التى ورث حبها عن أمه التى كانت مغنية سابقة للأوبرا. فما أن حصل على الدكتوراه حتى انتقل إلى فيينا حيث درس البيانو دراسة مركزة على أيدى الموسيقار النمساوى ألبان برج Berg. ولقد ظهرت آثار هذه الدراسة الفنية فى كتاباته المبكرة التى أكدت على التطور الفنى والجمالى كعنصر على غاية الأهمية بالنسبة لفهم عملية التطور التاريخى والبحث عن الحقيقة. ولكن يبقى بعد ذلك كله تأثره بجورج لوكاتش Lukacs الذى جاءه على وجه الخصوص من قراءته لمؤلفه «التاريخ والوعى الطبقى» History and Class Consciousness (١٩٢٣) الذى أمده ببعض التصورات المحورية التى كان لها أبعد الأثر فى نظرته للماركسية.

ولكن هناك من الناحية الثانية تلك الظروف العامة التى كانت ألمانيا تعيشها وقتذاك، والتى تدخلت فى تشكيل حياته بشكل ملحوظ. فبالرغم من أن أدورنو كان يتمتع بقدر كبير من الحرية فى الدخول إلى ألمانيا وزيارتها حتى أواخر عام ١٩٣٦، وهو ما يرجعه البعض إلى وقع اسمه الإيطالى المستعار، فإن حرمانه من التدريس فى فرانكفورت فى عام ١٩٣٣ جعله يسعى إلى الاستقرار فى أكسفورد. ومع أنه نجح فى عام ١٩٣٤ فى الهرب من اضطهاد النازى لليهود الألمان واستقر فى إنجلترا ودرس فى ميرتون كوليج Merton College (أكسفورد) لمدة ثلاثة أعوام، إلا أنه انتقل إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٩٣٨ حيث عمل ثلاثة أعوام فى

مكتب بول لازرسفلد Lazarsfeld لبحوث الاتصال التابع لجامعة برينستون. وهو عمل لم يطل به على أى الأحوال، ربما نتيجة لعدم تكيفه بما يفهمه الأمريكيون عادة من بحوث الاتصال، فالتحق بمعهد هوركيمر الذى أنشئ حديثا فى نيويورك. وبدأ بذلك مشاركته فى إصدار المجلة التى كان هوركيمر يشرف على تحريرها باللغة الإنجليزية باسم «دراسات فى الفلسفة والعلم الاجتماعي»، ولكن بعد أن ترك هوركيمر منصبه، انتقل أدورنو فى أواخر عام ١٩٤١ إلى كاليفورنيا التى كانت وقتذاك ملتقى لكثير من المثقفين المنفيين الألمان. وخلال الفترة من ١٩٤١ إلى ١٩٤٨ عمل مديرا لمشروع بحوث التمييز والتحامل العنصرى فى جامعة كاليفورنيا (باركلى). ولكنه عاد فى عام ١٩٥٠ إلى ألمانيا والتحق بهيئة التدريس بجامعة فرانكفورت (أصبح أستاذا لعلم الاجتماع فى ١٩٥٦)، وليشارك هوركيمر فى إعادة إنشاء وتنظيم معهد البحث الاجتماعى.

هذه الفترة التى قضاها أدورنو فى منفاه الاختيارى كان لها أثر كبير فى إنتاجه الفكرى. وكنا قد أشرنا من قبل إلى أن رسالته للدكتوراه كانت عن فينومينولوجيا هوسرل. ويبدو أن تأثره بمؤلف هوسرل الأخير «أزمة العلم الأوربى والفينومينولوجيا الترانسندانتالية» The Crisis of European Science and Transcendental Phenomenology الذى صدر عام ١٩٣٦ أى قبل وفاة هوسرل نفسه بعامين كان بالغا، لأنه كان بالتأكيد وراء انشغاله لفترة طويلة مع هوركيمر فى إنجاز مشروعهما الضخم المشترك «جدل التنوير» Dialektik der Aufktarung الذى ظهر فى ١٩٤٧ (ترجم للإنجليزية فى ١٩٧٢). وهو كتاب ولئن كان يضرب بتحليله فى عمق الفلسفة اليونانية وينتقد البناء الاجتماعى الذى أفرز هذه الفلسفة، إلا أنه كان من وجهة نظر هوركيمر تحليلا نقديا لكثير من مواقف ماركس وآرائه، وبخاصة ما تعلق منها ببأورته للآثار التى تخلفها التكنولوجيا عندما تخضع المجتمع لسطوتها. وهو على أى الأحول نفس الاتجاه الذى اتخذه أيضا كتابه «فلسفة الموسيقى الحديثة» Philosophy of Modern Music (١٩٤٩).

فى الوقت نفسه أسهم أدورنو فى دراسات هوركيمر عن التحامل والتمييز العنصرى، فاشترك (مع آخرين) فى المجلد الخاص عن «الشخصية السلطوية» The Authoritarian Personality الذى ظهر فى عام ١٩٥٠ بعد عودته إلى فرانكفورت. وقد برزت فى هذا العمل اهتماماته بتحويل الاختلافات الكيفية فى الرأى والاتجاه إلى مقدار وعدد وكم، يمكن فى ضوئها قياس الاتجاه والرأى والسلوك بطريقة أكثر واقعية وموضوعية. ففى اعتقاده أن معظم الدراسات الكيفية التى أجريت لفهم سلوك الأفراد والجماعات قد فشلت بسبب عدم الانتباه إلى استحالة عزل الجماعة وقياس ديناميـاتها بهذا الشكل، لأن الأفراد الذين تتكون منهم هذه الجماعات يختلفون فيما بينهم اختلافات بينة، تماما كاختلاف الجماعات ذاتها بعضها عن بعض. ولذلك فإن الدراسة الناجحة للجماعة لا يمكن أن تتم إلا من خلال التعرف على علاقاتها البنائية التى تظهر فى وحدة تتمتع بالاستمرارية كالعائلة أو المصنع وغيرهما من النظم. كما أن استخلاص نتائج الاختلافات الكيفية وتحويلها إلى نتائج كمية مما يسهل البرهنة على صدق بعض الفروض والنظريات أو دحضها وتفنيدها.

وقد يكون من الصعب الإحاطة بكل إنتاج أدورنو العلمى، ولكن من الضرورى مع ذلك الإشارة إلى بعض كتاباته المتأخرة التى عكست ميوله الفنية المبكرة من ناحية، وتأثيرات جورج لوكاتش من ناحية ثانية. ففى عام ١٩٦٦ ظهر له كتاب «الجدل السالب» Negative Dialectics، كما ظهر بعد ذلك مؤلفه «نظرية علم الجمال» Asthetische Theorie الذى نشر بعد وفاته بعام فى عام ١٩٧٠. وبرغم أن الكتاب الأول يعتبر من وجهة نظر الكثيرين أصعب كتبه وأشدها تعقيدا وإن كان أكثرها تماسكا وتكاملا فى البناء، فإن الشىء الهام هو أن كتاباته المتأخرة هى التى مثلت منطلقه الجديد لنقد الفلسفة الغربية، حيث أخذ أدورنو يركز على التحليل النقدى للحركات العقلية والثقافية التى انطلقت من منطلقات ماركسية وفرويدية. وناقش فى هذا مناقشة مستفيضة مفهوم «الشمولية» Totalitarianism وهى المناقشات التى أدت إلى إدانته للاتجاهات الشمولية جميعها.

★ ★ ★

ولقد دأب البعض على أن يطلق وصف «الولد الشقى» L'énfant terrible على المفكر الفرنسى جاك دريدا Derrida. ولكن فى ألمانيا كان أدورنو هو ذلك الولد الشقى الذى طالما ضجت بمساجلاته ومشاغباته (الفكرية) الجمعية الاجتماعية الألمانية. ففى المؤتمر الذى عقدته الجمعية عام ١٩٦١ عن «الوضعية» Positivism، مضى أدورنو من خلال مناقشاته الساخنة مع كارل بوبر Popper، يهاجم كل أشكال الإمبريقية التى سادت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. ومع أن بوبر الذى يعتبر من كبار نقاد المذهب الوضعى كان يرى أن المعرفة قد تقدمت نتيجة لرفض النظريات المسلم بها والتى لا يمكن مقارنتها بالحقائق، وأنها (أى المعرفة) نجحت بذلك فى تقديم نظريات جديدة اعتقد أنها أقدر على فهم هذه الحقائق، فقد رفض أدورنو هذه «العقلانية الانتقادية» التى يأخذ بها بوبر، ووصفها بأنها لا تعدو أن تكون شكلاً آخر من الوضعية؛ لأن تضارب النظريات وتناقضها مع (الحقائق) إنما هو التعبير الضرورى للإصرار على موضوعية الحقائق الاجتماعية. وبهذا تكون الحقائق لا النظريات هى ما ينبغى أن توجه الانتقادات إليه. وهو موقف مثل حجر الزاوية فى المشروع الذى كان هوركيمر قد بدأه فى الثلاثينات لصياغة نظريته النقدية للمجتمع.

كذلك امتدت مناقشات أدورنو إلى الفرضيات الأساسية التى يقول بها بوبر بصدد العلوم الاجتماعية والوضعية الراهنة لعلم الاجتماع الألمانى. كما امتدت إلى طبيعة العلاقة بين النظرية والموضوع، وطبيعة التجربة فى العلوم الإمبريقية التحليلية. ولقد أعلن أدورنو صراحة أن هناك فى هذه الوضعية إشكالية من نوع معين، ففى الوقت الذى سعى علم الاجتماع فيه إلى انتزاع نفسه بعيدا عن الفلسفة حتى يستطيع ممارسة تصور العلم، وهو ما دعاه إلى أن يميز نفسه عن الأنساق العلمية الأخرى وثيقة الصلة به وبخاصة علم النفس والاقتصاد السياسى، فقد فشل علم الاجتماع فى أن تكون له منهجيته السليمة الخاصة به. ولكى يوضح أدورنو وجهة نظره انتقد بعنف التصورات المنهجية التى استند إليها بوبر، وأبرز فى ذلك أنه لتحديد هدف علم الاجتماع يلزم أن تكون هناك رؤية واضحة لثلاثة

مجالات، هى أولا: ما إذا كان دور علم الاجتماع هو مجرد اجترار وتكرار الحقيقة الاجتماعية أم أن مهمته إعادة صياغة هذه الحقيقة. أما المجال الثانى: فهو علاقة علم الاجتماع بالتاريخ والتفسير التاريخى، وهذه مسألة يلزم فيها تجاوز الرؤية الطبيعية لعلم الاجتماع الوضعي التي لا تعترف بأن هناك تحولا تاريخيا، على حين يوجه علم الاجتماع الجدلى البحث نحو المحتوى الموضوعى للأحداث الاجتماعية، مما ينطوى على إمكانية التدخل فى التطور التاريخى وتوجيهه. بينما يرتبط المجال الثالث: بإمكانية التعميم واتجاهاته.

إن المشكلة الأساسية بالنسبة إلى أدورنو إنما تتمثل فى المجتمع ذاته، ولذا فلا يمكن اعتبار الشواهد أو القرائن الإمبريقية أمورا نهائية تقوم عليها المعرفة. فالمجتمع من وجهة نظره ليس شيئا بسيطا أو أنه يخضع للقولبة وللأشكال الجامدة من المقولات والنماذج. ولكنه على العكس من ذلك له منطقه الخاص الذى ينبثق من طبيعة مكوناته. المجتمع ملىء بالمتناقضات، ومن ثم فإنه يحدد العاقل واللاعاقل والنظام واللانظام، ولابد أن يبدأ تحليل المجتمع من هذه المتناقضات ذاتها وصبها فى نظام معقول، أو إسباغ المعقولية عليها بتعبير أدق.

ولقد مات أدورنو أثناء الاضطرابات والأحداث الخطيرة التى وقعت فى عام ١٩٦٩. ولكن فى هذه الفترة بالذات كانت نظرية مدرسة فرانكفورت تطبع بصماتها على وجه الحياة العقلية والثقافية الأنجلوسكسونية بأكثر من شكل، وهى تدفع إلى إعادة النظر فى مختلف الأنساق العلمية وفى مقدمتها علم الاجتماع نفسه. وكذا السياسات التى تسير بمقتضاها المراكز والمؤسسات العلمية، وأيضا مواقف المجلات والدوريات العلمية واتجاهاتها. وربما قبل كل هذا فى ذلك الفهم المتنامى لحقيقة أن نظرية القيمة لكارل ماركس ليست مسألة اقتصاد، بقدر ما هى نقد لعلاقات الإنتاج فى المجتمع الرأسمالى.

• قراءات مقترحة •

Works: Scientific Experiences of a European Scholar in America. in D. Fleming and B. Bailyn (eds), The Intellectual migration - Europe and America, 1930 - 60. Cambridge. 1969.

; Contemporary German Sociology, in Transactions of the Third World Congress of Sociology. V. L. I. 1959.

; Positivism Dispute in German Sociology, 1969.

• وانظر أيضا :

- Frisb, David; The Frankfurt School: Critical Theory and Positivism, in J. Rex, Approaches to Sociology: An Introduction to major trends in British Sociology (eds), 1974.

; The Popper - Adorno Controversy: The Methodological Dispute in German Sociology. Philosophy of the Social Sciences. Vol .2. No. 2. 1972.

- Habermas, Jurgen; The Past as Future. Tran. and edited by Max Pensky.1994.
- Kruager, M; Sociology of Knowledge and Social Theory. 1969.
- Rose, Gillian; The Melancholy Science. 1978.

★ ★ ★

٣ - ألتوسير، لوى
3 - ALTHUSSER, LOUIS

يقف الفيلسوف الماركسى الفرنسى لوى ألتوسير فى مقدمة الفلاسفة والمفكرين الذين تصدوا فى النصف الثانى من القرن العشرين لمراجعة الماركسية. فهو واحد من جيل البنائيين الذين طبقوا البنائية فى مجالات تخصصاتهم المختلفة، ونجح هو فى تطبيق (بنائيته) لفهم الماركسية وتحليلها ربما بشكل لم يتهيأ حتى لكلود ليفى ستروس Lévi - Strauss الذى استولت الماركسية على جانب كبير من اهتماماته الفكرية، وهو ما دفع بواحد من كبار كتاب النظرية الاجتماعية المعاصرين هو أنتونى جيدنز Giddens إلى القول بأن كتابات ألتوسير تمثل رد فعل قوى لكل من التفسيرات التكنية (الاقتصادية) التى ساقها كارل ماركس من ناحية، والتفسيرات التاريخية من ناحية ثانية.

ولد لوى ألتوسير فى بيرماندريز Birmandrics بالقرب من الجزائر العاصمة فى عام ١٩١٨. ودرس الفسلفة فى مدرسة المعلمين العليا بباريس Ecole Normale Supérieure. وفى شبابه المبكر كان شعلة من النشاط كعضو فى منظمات الشباب الكاثوليكية، ولكنه انضم بعد سنوات قليلة من الحرب العالمية الثانية إلى الحزب الشيوعى الفرنسى Parti Communiste Francais، وفى أواخر الستينات تقريبا أصبح نجما لامعا فى الحياة الفكرية الفرنسية بسبب مراجعاته للمادية التاريخية Histori- cal Materialism، وهى المراجعات التى يرى الكثيرون أنها السبب المباشر فيما أصبح يتمتع به من شهرة واسعة بين أوساط المثقفين اليساريين الفرنسيين، وبخاصة بعد ظهور كتابه «رأس المال لماركس والرأسمالية اليوم» Marx's Capital and Capitalism To- day (١٩٧٣) وهو كتاب حرره أنتونى كتلر Cutler ويضم مجموعة من المقالات

بأقلام عدد من قدامى الألتوسيريين حول ما بعد النظرية الاقتصادية الماركسية. وإن كان قد سبقت هذا الكتاب الذى يوصف بأنه يعكس خصائص الألتوسيرية Althusscrianism بعض المؤلفات التى أسهمت فى ترسيخ شهرته كواحد من أعلى الأصوات التى انشغلت بمراجعة الفكر الماركسى. فقد ظهر له فى عام ١٩٦٥ كتابان هما «من أجل ماركس» Pour Marx و«قراءة رأس المال» Lire Le Capitale (ترجم الكتابان إلى الإنجليزية عام ١٩٦٩) وهما الكتابان اللذان نجحا على أى الأحوال فى جذب الأنظار إليه حيث سعى فيهما إلى تبرير مواقفه الفكرية وبخاصة فى ضوء تمييزه الأساسى بين العلوم Sciences والأيديولوجيات Ideologies.

ولا تعتبر محاولة ألتوسير هذه جديدة تماما، فقد سبق لبعض فلاسفة العلم الوضعيين من أمثال كارناب Carnap وكارل بوبر Popper القيام بمحاولات مشابهة، ولكن المهم هو أن محاولة ألتوسير فى عام ١٩٦٥ كانت تختلف من عدة جوانب وهى جوانب يصعب فهمها إلا من خلال مجموعة من العناصر المتشابكة التى تشكل المحاور الرئيسية لجماع تفكيره. فهناك - من ناحية - نظريته فى المعرفة وكيفية اكتسابها، ومن الناحية الثانية، فلسفته ونظرته للعالم أو النظرية أو على الأقل الفرضيات التى تتعلق بموضوعات دراسته ومجالات هذه الدراسة. وأخيرا المنهجية العامة التى يسير تفكيره بمقتضاها.

فى كتاب «من أجل ماركس» تظهر ملامح التحليل الألتوسيرى للماركسية أو ما يعرف بتحليله البنائى للماركسية. وقد ركز التوسير فى هذا الكتاب على إبراز ثلاثة موضوعات أساسية هى أولا: تصوراته التى قدمها للتحليل المادى التاريخى لأنماط الإنتاج. وثانيا: تفسيره الذاتى لماركس. وثالثا: نظريته فى المعرفة، وهى موضوعات ولئن كانت تتشابك بعضها مع البعض إلا أنها تعكس أهم ملمح فى تحليله البنائى وهو ما أطلق عليه صفة «اللاإنسانية» Anti Humanism بمعنى عدم الاهتمام بالمفهومات التى تتعلق بماهية الإنسان essence أو الطبيعة البشرية، حيث كانت وحدة التحليل هى التكوين Formation أو الكل الاجتماعى أكثر منه الفرد.

ولقد سعى ألتوسير منذ البداية إلى تطوير نظرية ضد إمبريقية -Anti

empiricist فى المعرفة. فانتقد مفهوم المعرفة كشىء تجريدى أو مجرد as abstraction، وذلك عندما افترضت الإمبريقية أن الشخص (العارف) يجرد ماهية موضوع حقيقى أو واقعى فقد أدى هذا - فى رأيه - إلى وجود مشكلة معرفية أساسية من الصعب حلها، على اعتبار أن المعرفة الممكنة هى معرفة محاطة (مطوقة) بكل ما يمكن أن يعزى إلى الموضوع ويدل عليه. ونتيجة لذلك فقد قدم ألتوسير تصورا بديلا للمعرفة باعتبارها «منتجا» as Production أو نتاجا لعملية إنتاج تماثل من حيث البناء الإنتاج الاقتصادى، وهو ما عبر عنه «بنظرية الممارسة النظرية» Theory of Theoritical Practice التى تصف كيف أن معرفة الشىء الواقعى هى أمر قد تم (إنتاجه) فى داخل النظرية عن طريق تطبيق الوسائل النظرية للإنتاج واستخدامها على مواد خام بذاتها.

ولقد حاول ألتوسير توضيح موقفه، فذهب إلى أن المعرفة توجد من خلال النشاط النظرى المتسق والمنظم أو ما أطلق عليه الممارسة النظرية، مثلها فى هذا كل أشكال الإنتاج الأخرى على اعتبار أن النشاط البشرى هو الخاصية المميزة للإنسان. ولكن فى داخل هذه الممارسة النظرية يميز ألتوسير بين الممارسة الأيديولوجية Ideological والممارسة العلمية النظرية Scientific practice التى تتكون مادتها الخام من التصورات والمفهومات والحقائق التى أكدتها من قبل الممارسة النظرية، وإن كانت تتصف بالشمول والعمومية. واعتقد بذلك أن مشكلة المعرفة عند الإمبريقيين قد تغيرت نظرا لأن العارف لا (يحبس) من ثم عملية المعرفة الألتوسيرية. ولقد عبر هو نفسه عن هذه العملية بأن الفكر يتكون من بناء يجمع ويقيم ويربط .. شكل الموضوع (المادة الخام) التى يعمل عليه، والوسائل النظرية المتاحة للإنتاج (نظريته ومنهجه ووسائله تجريبية كانت أو غير ذلك) والعلاقات التاريخية (نظرية وإيديولوجية واجتماعية) التى تنتج فيها.

وعلى أساس هذه الأبستمولوجية اللاإمبريقية Anti - empiricist Epistemology اعتقد ألتوسير أنه استطاع تقديم معيار جديد للكفاية العلمية، لأنه يلزم (كنتيجة طبيعية لنظرية الممارسة النظرية) وجود تكنيك جديد للقراءة هو ما أطلق عليه

«القراءة العلاماتية» Symptomatic Reading التى تكشف عن وسائل الإنتاج النظرية فى اتجاهات مختلفة. أما هذه الوسائل فهى عبارة عن أنساق مفهومات عبر عنها التوسير اصطلاحا بأنها أنساق مركبة وعويصة بذاتها. فالعلوم والأيديولوجيات وأشكال المعرفة الصحيحة والفاسدة أشكال منفصلة وتنتشر بدرجة أو بأخرى نتيجة لاختلاف الشكل التنظيمى الذى تتحدد به صعوبته الذاتية. وقد أمده هذا «الاختلاف» بمعيار (للعلمية) تمكن من تطبيقه فى تفنيد نظرية ماركس العلمية ودون أن تشغله كثيرا قضية نجاح أو فشل العلوم الطبيعية التى شغلت جانبا كبيرا من تفكير الفلاسفة الوضعيين.

وقد يكون من المفيد مادمنا بصدد هذه الإشكاليات المتعلقة بالمعرفة أن نعاود النظر فى بعض ما ذهب إليه كارل ماركس. فالنظرية الماركسية (المادية التاريخية) من المعروف أنها ربطت ربطا جوهريا بين ما يمكن وصفه بأنه نظرية إقليمية Regional للاقتصاد، وبين نظرية شاملة وعامة Global فى المجتمع أو التكوين الاجتماعى. فالاقتصاد بالنسبة للنظرية الماركسية يمثل مجال سيادة نمط من أنماط الإنتاج الذى تشكل تاريخيا من عدة عناصر ثابتة. على حين ذهب كل من إنجلز Engels وماوتسى تونج Mao Tse - Tung إلى أن البناء، أو التكوين الاجتماعى إنما يتكون من العديد من الممارسات (السياسية والإيديولوجية والنظرية والاقتصادية) التى تشكل فى مجموعها بناءً على غاية من التعقيد حتى ليستحيل النظر إليه من مستوى واحد.

ولقد سار ألتوسير فى الاتجاه نفسه الذى سار فيه ماوتسى تونج وذلك عندما أكد على مدى تعقد الحقيقة الكلية الشاملة وعلى عملية التغيير التى قد يخضع لها. فالتاريخ لا «يتحرك» نتيجة للتعارض البسيط بين المتناقضات أو لمجرد تدافعاتها.

ولاجدال فى أن الانساق النظرية التى تنطوى عليها النظريات الإقليمية والعالمية هى أنساق نموذجية على قدر من التعقيد. فقد أقامت النظرية الماركسية

فى الاقتصاد «علية» بنائية Structural Causality تخضع فيها الظواهر للحتمية التى تفرضها العلاقات البنائية ذاتها.

ومن الناحية الأخرى أيضا نجد أن النظرية الماركسية فى التركيب الاجتماعى تقيم تناقضا حتميا زائدا تتطور الظواهر بموجبه وفقا لشروط وظروف وجودها إلى كلٍّ مركب ومعقد. وقد سوغ هذا التعقيد لأن يذهب ألتوسير إلى أن ماديته النظرية هى ذاتها علم التاريخ، مما يعنى أن المادية التاريخية هى فى التحليل النهائى الأصيل التطبيق العملى لقوانين المادية الجدلية، حيث تصدق هذه القوانين على الطبيعة وحدها، كما هو الحال بالنسبة للمادية الجدلية (الفلسفية) ولكنها تصدق على المجتمع. فإذا كانت المادية الجدلية هى جدل الطبيعة، فإن المادية التاريخية هى جدل المجتمعات فى سياقات تاريخية، وهو تعقيد ارتباطى كان كافيا لأن يذهب ألتوسير إلى ما ذهب إليه من أن المادية التاريخية هى علم التاريخ بكل المقاييس.

وليس من شك فى أن هناك العديد من النظريات البرجوازية التى اختلفت -بصرف النظر عن منطلقاتها واتجاهاتها - فى نظرتها إلى الاقتصاد والمجتمع بل ونافست النظرية الماركسية، وهى تسعى لتأكيد موقفها والبرهنة على صحته. ومع ذلك فقد لاحظ ألتوسير أن كل النظريات البرجوازية عن المجتمع ذات نزعة تاريخية من حيث أنها افترضت مسبقا أن المجتمع يمكن اختزاله إلى مستوى واحد أساسى وضرورى، إضافة إلى أن كل النظريات الاقتصادية هى نظريات إنسانية من حيث إنها إنبعثت من فرض الإنسان الاقتصادى. ويحرص ألتوسير على تأكيد أن هذه النظريات ذات النزعة التاريخية والنزعة الإنسانية إنما تتسم جميعها بالبساطة والزيف، فقد شيدت النظريات البرجوازية فى المجتمع نوعا من العلية التعبيرية expressive على حين اختزلت ظواهر أية فترة تاريخية للماهية الذاتية أو الداخلية لهذه الفترة.

كذلك أقامت النظريات البرجوازية فى الاقتصاد نوعا من العلية الآلية أو الميكانيكية Mechanical على اعتبار أن الظواهر الاقتصادية ليست سوى أثر لذلك

الإنسان الاقتصادى Economic Man. ولكن نتيجة لهذا التبسيط الزائد فى الدقائق والتفاصيل فقد انتهى ألتوسير إلى مقولته النهائية التى عبر عنها بأن كل النظريات البرجوازية ما تعلق منها بالمجتمع أو بالاقتصاد إنما هى نظريات أيديولوجية بالدرجة الأولى.

لقد تطلبت المشروعية الألتوسيرية وجود اختلاف أساسى بين نظرية الممارسة النظرية والإمبريقية وأيضا وجود اختلاف بين المادية التاريخية وتفرعاتها أو مساراتها وتياراتها المتنافسة. وتكمن المشكلة فى أن كلا من هذه الاختلافات مما يصعب تأكيده أو مؤازرته.

ولكن نظرية الممارسة النظرية لم تستطع مع ذلك تجنب ما سبق لألتوسير أن انتقده فى الإمبريقية. فوفقا لأبستمولوجيا ألتوسير أن أثر المعرفة أنما يحدث (ينتج) داخل النظرية العلمية بواسطة الممارسة النظرية. فى الوقت الذى ينبغى فيه الانتباه إلى أن هذه المعرفة الحادثة (الناتجة) إنما تشير إلى واقع ملائم وتتصل به، وهو ما يفترض مسبقا أن هناك نوعا من الاستجابة الغامضة بين مقولات العقل (النظرى) وبناء الواقع والحقيقة.

وعند هذه النقطة يرى الكثيرون أن أبستمولوجيا ألتوسير تبدو أشبه بالكانطية القديمة Kantianism أو ما ذهب إليه سبينوزا Spinoza، لأن ألتوسير لم يلق بعيدا بالفاعل، وإنما غير فحسب من هويته عن طريق إحلاله الخبرة والتجربة الإمبريقية بالفعل النظرى، مما يعنى أن نظرية الممارسة النظرية لم تفعل أكثر من أنها أعادت مشكلة المعرفة ولكن بصياغة مغايرة.

ولقد وجهت العديد من الانتقادات لتشخيص ألتوسير للمادية الجدلية ومعالجاتها المتنافسة على أساس أنها غير مقنعة من أكثر من زاوية. فهو يشجع على انتقاد الأنساق الأيديولوجية مثل الفلسفة الهيجيلية Hegelian أو الاقتصاد السياسى التقليدى. وبذا يكون كل ما جاء قبل ماركس وقبل فرويد Freud مما يمكن دمغة بأنه إنسانى النزعة وتاريخى التوجه Historicist.

بل إن تقريظ ألتوسير (لعلمية) ماركس لم يكن بدوره أسعد حظا، فقد ألهب النقاش حول إنجازات ماركس وتطورها فى ضوء مصطلحات مقارنة جامدة. والواقع أنه لم يفعل بتحليله أكثر من أنه عارض ماركس الشاب الذى كان يتصف بالنزعة الإنسانية. أقصد ماركس كما بدا فى مؤلفه عام ١٨٤٤ عن المخطوطات الاقتصادية والفلسفية Economic and Philosophical Manuscripts، وكما بدا فى ماديته التاريخية القديمة التى تضمنها كتاب رأس المال. وحتى إذا لم يكن قد قبل بضرورة إعادة قراءة ماركس ومراجعة المادية التاريخية، فقد سلم منذ عام ١٩٦٧ بأن كتاباته الأولى متضمنة فى نفس الفلسفة التى ينتقدها.

فى كتابه «لينين والفلسفة» Lenin and Philosophy الذى كان فى الأصل مجموعة من المقالات التى ترجمت إلى الإنجليزية فى ١٩٧١، وأيضا فى كتابه «مقالات فى النقد الذاتى» Essays in Self Criticism استجاب ألتوسير لهذه الحقيقة وتخلى عن نظرية الممارسة النظرية، فنجده يقدم تعريفا آخر للفلسفة باعتبارها تداخلا مزدوجا فى الممارسة السياسية والممارسة النظرية. ومن هنا فإن فلسفة الماركسيين الماديين ليست أكثر علمية من الفلسفة المثالية. ولكنها تستطيع، بل ومن الواجب أن تستخدم لمساندة المادية التاريخية. وبذا تكون الفلسفة المادية عند التحليل النهائى هى ذاتها الصراع الطبقى فى مجال النظرية. وكأنما أبستمولوجية ألتوسير قد تحولت فى النهاية إلى نوع من الانتهازية الفكرية لتبرير الأسباب والغايات. وهكذا يمكن استخدام تراث الفلسفة الغربية الموجود حاليا لتحقيق كل ما هو خير وطيب (أى يسارى)، وهذه وضعية من الواضح أنها - بالرغم من أنها ترجع لما بعد عام ١٩٦٧ - لا تحل أيا من المشكلات التى أثارها فشل الاختلافات القديمة.

• قراءات مقترحة •

Works; Politics and History (Various Essays), 1972.

; Positions (1964 - 1975), 1976.

• وانظر أيضا:

- Feuer, Lewis S.; Ideology and the Ideologists. 1975.
- Glucksmann, A ; "A Ventriloquist Structuralism" in New Left Review. No. 72. 1968.
- Mclennan, Gregor ; "Althusser's Theory of Ideology" in Working Papers in Cultural Studies. Vol. 10. 1977.
- Poulantzas, N.; Political Power and Social Classes. 1973.

★ ★ ★

٤ - ألتيزر توماس
4 - ALTIZER, Thomas Jonathan Jackson

يمثل توماس جوناثان جاكسون ألتيزر، نموذجا متطرفا بين علماء اللاهوت الأمريكيين الذين شغلتهم مظاهر الأزمة الدينية فى المجتمع الحديث، أو ما اتفق على تسميته اصطلاحا (الموقف) الدينى المعاصر، وأخذوا من ثمة يتطلعون إلى عالم علمانى اعتبر من أكثر من زاوية صدمة لا للفكر الدينى التقليدى فحسب، ولكن لأشد المذاهب الدينية تحررا وعلى رأسها البروتستانتية الليبرالية، وبخاصة مع شيوع بعض المصطلحات الجديدة مثل «اللاهوت العلمانى» و«المسيحية العلمانية» وهى مصطلحات بلغ من غرابتها وتطرف أصحابها أنهم ذهبوا إلى ما أطلقوا عليه المسيحية الملحدة.

ولد ألتيزر عام ١٩٢٧ فى كامبريدج بولاية ماسوشوستس Massachusetts بالولايات المتحدة الأمريكية، وحقق شهرة واسعة كواحد من الفلاسفة الراديكاليين الذين ارتبطت أسماؤهم بحركة «موت الله» التى انتشرت فى الستينات والسبعينات على وجه الخصوص، واتخذت طابعا شعبيا فى أمريكا نتيجة انخراط، الإعلام فى المناقشات التى امتدت إلى رجل الشارع.

وبدون الرغبة فى الدخول فى التفاصيل الدقيقة، يرى ألتيزر أن الأزمة الدينية التى يعيشها الإنسان المعاصر هى أزمة عالمية، وهو يرد هذه الأزمة إلى إشكالية يعتقد أنها متأصلة فى مدى المعقولية التى تسبق أية محاولة للتنظير، بمعنى معقولية التعاريف والمفهومات والتطورات الدينية المختلفة للواقع الذى يعيشه الإنسان. أى تعقيل الواقع سواء أكان خارجيا أم داخليا.

ولقد اختلفت المواقف وتضاربت الآراء بصدد الموقف العام لهذه الحركة نظرا لما تنطوى عليه من مساس بالتصورات الدينية الراسخة. ومع ذلك فقد استطاع ألتيزر أن يعبر عن موقفه بكلمات واضحة مؤداها أنه قد أصبح من الضرورى أن يدرك الإنسان فى العصر الحديث أن «موت الله» (بالتعبير النيتشوى) هو حدث تاريخى Historical Event بمعنى أن هذا التصور (الله) لم تعد له الوظيفة التقليدية التى كانت له دائما، وأنه قد انتهى بالنسبة إلى الوجود المعاصر.

هذه الأفكار كان من الطبيعى أن تثير ثائرة رجال الدين والإنسان العادى على السواء. كما هاجمها كثير من المثقفين الذين رأوا فيها علامة على إفلاس الإنسان وإفلاس حضارته المعاصرة فى فهم العلاقة بينه وبين الكون ككل، وبينهما وبين القوى القائمة وراء الإنسان والكون معا. ومع ذلك فقد نجح ألتيزر فى الترويج لأفكاره التى كان ينشرها فى عدد من المجلات المتخصصة إلى جانب كتبه التى تجد - لوجه الغرابة - صدى قويًا سواء ممن يعارضونها أو يتفقون معها. وربما كان أفضل هذه الكتب هو الكتاب الذى نشره فى عام ١٩٦٣ بعنوان «ميرسو إلياد وديالكتيك المقدس» Mircea Eliade and the Dialectic of the Sacred، وأيضا «إنجيل الإلحاد المسيحى» The Gospil of Christian Atheism (١٩٦٦)، و«اللاهوت المتطرف وموت الله» Radical Theology and the Death of God الذى كتبه بالاشتراك مع وليام هاملتون، ونشر بدوره فى ١٩٦٦. وكذلك «الهبوط للجحيم» Descent into Hell (١٩٧٠)، و«تجسيدات الذات الإلهية» The Self Embodiment of God (١٩٧٧)، و«الحضور الكلى» Total Presence (١٩٨٠).

ونحن لا نستطيع هنا أن نناقش تفصيلا التطورات التى لحقت باللاهوت الغربى، وإن كان المؤكد أنه صادف الكثير من التحديات والتقلبات التى انصب أغلبها على المذهب البروتستانتى، أو ما يعرف على وجه التحديد بالبروتستانتية الليبرالية التى لقيت هجوما عنيفا منذ أعقاب الحرب العالمية الأولى على أيدى كارل بارت Barth، ثم بعد ذلك خلال الأربعينات وبخاصة على أيدى رينولدنيبور Niebuhr.

أما إذا كان البعض قد رأى شيئا من البريق فى مثل هذه الحركات، فلا يمكن

أن يكون ذلك بسبب أنها قدمت للإنسان شيئا من الهدوء أو الطمأنينة القائمة على الاتساق (الهارمونى) الواجب توافره بين العقل والروح، ولكن لأن مثل هذه الأفكار إنما تمثل فى الحقيقة أقصر الطرق ليلقى الإنسان وراء ظهره بهمومه ومشكلاته والتخلى عن مسئولياته بالهرب منها.

وكما يرى الكثيرون فإن هذه الاتجاهات - وأفكار نيتشة المريضة من بينها - ليست سوى نوع من العدمية nihilism التى تحمل بين جنباتها عوامل هدمها. وربما كان فى مسيرة ألتيزر الأكاديمية ذاتها ما يكشف عن ذلك بوضوح. فقد نال درجته العلمية الأولى فى ١٩٤٨ وحصل على الماجستير فى ١٩٥١. وإذا كانت درجة الدكتوراه التى نالها فى عام ١٩٥٥ قد أتاحت له فرصة تدريس علم الأديان فى واباش كوليج (٥٤ - ١٩٥٦) وفى جامعة أمورى Emory بأتلانتا (١٩٥٦ - ١٩٨٨) فإن طريقه الأكاديمى لم يستمر فى الخط نفسه لأنه تحول بعد ذلك ليصبح أستاذا للغة الانجليزية فى جامعة ولاية نيويورك فى ستونى بروك. فهل يمكن اعتبار هذا التحول دليلا أو على الأقل مؤشرا على تهافت أفكار ألتيزر وتراجعها؟ ذلك هو التحدى الكبير الذى يتعين على العقل أن يواجهه. فالعقل وحده هو القادر بالفعل على أن يدرك - من ذات طبيعته وبنائه - بأنه لا غنى للإنسان عن الإيمان. طوق النجاة كما يقولون.

● قراءات مقترحة ●

- Scharf, Betty R; The Sociological Study of Relgion . 1970.
- Yinger, J. M.; Religion, Society and the Individual . 1957.

★ ★ ★

٥ - آرنـــدت، حنة

5 - ARENDT, Hannah

هى واحـدة مـن ذلك الجـيل اليـهـودى الألمانى الذى فـر من عـسف النـازية إلى الولايات المتـحـدة الأمـريكيـة؛ فـقـد ولدت فى هانوفـر عـام ١٩٠٦ وتوفيت فـى مـدينة نيويورك عـام ١٩٧٥. وتعتبـر واحـدة من الفـلاسفـة وعلمـاء السـياسـة الذين اشـتهـروا بكتاباتهم النقـدية المرتبطة بقـضايا اليـهـود، عـلاوة على دراسـتهـا للاتجـاهات ولنظم الحكم الشـمـوليـة، وهى كـتـابات أفلحت فى أن تتـرك أثرها فى أفكار كـثـيـر من المثقفين الأمريكيين.

تلقت حنـة آرندت دراسـتـهـا فى الفـلسـفـة واللاهـوت واللغـة اليـونانيـة فى جـامعـات مـاربورج Marburg وفـريبـورج Freiburg وهـايـدلبـرج Heidelberg بألمانيـا حـيث تتلمـذت على أيدى كارل ياسـبرز Jaspers ومـارتن هـايدجـر Heidégger اللذين أثرا فـيهـا بفكرهمـا الوجودى تأثيرا بالغا لم تذهب ملامحه طوال حياتها. ثم أكملت رسـالتهـا للدكتوراه عـام ١٩٢٨ وهى لم تزل فى الثانيـة والعـشرين من عـمرهـا، وكان مـوضـوع رسـالتها عن تصور سان أوجستين St. Augustine للحب.

ولقـد قـبض عليهـا (الجـسـتـابو) بعـدمـا وصـل النـازيون إلى السلطة فى ألمانيـا. ولكنهـا تمكنت - بعـد الإفـراج عنهـا - من الهـرب إلى باريس فى عـام ١٩٣٣، وعـملت أخصـائيـة اجـتـمـاعـيـة فى بعض المنظمـات الصـهـيونيـة التى تقـوم بإرسـال الأطـفـال واليتامى إلى فلسطين، على الرغم من ادعـاءاتها بأنها كانت ترجو قيام دولة عربيـة يهـودية. وفى عـام ١٩٤٠ تزوجت أسـتـاذا للفلسـفـة هو هـنريش بلوخـر Bluecher، ثـم ذهبت فى العام نفسه إلى الولايات المتحدة الأمريكية ومنحت الجنسية الأمـريكيـة

ولكنها ظلت مع ذلك تعيش بصفة أساسية تقريبا بين جماعات اليهود المهاجرين فى نيويورك.

ومنذ أول إقامتها فى نيويورك أخذت آرندت تمارس نشاطها الفكرى الذى لم يكن بعيدا عن بعض الأهداف السياسية. فقد اضطلعت بمهنة الإشراف على البحوث والمؤتمرات الخاصة بالعلاقات اليهودية ما بين عامى ١٩٤٤ و١٩٤٦، كما ترأست تحرير مؤسسة شوكن Schocken للتأليف والنشر، وهى مؤسسة لها اهتمامات خاصة بإحياء الثقافة اليهودية وإعادة بنائها، وتخليص (اليهوديات) مما يعتقد أن النازيين قد أدخلوه عليها.

ويعتبر كتاب «أصول الحكم الشمولى» (١٩٥١) أول أعمالها الضخمة. وهو كتاب ربطت فيه بين تطور نظم الحكم الشمولية والاتجاهات المعادية للسامية التى ظهرت فى القرن التاسع عشر والسياسات الإمبريالية حيث أكدت أن تطورها كان نتيجة لعدم قدرة الدول القومية التقليدية على التكيف السليم، فى الوقت الذى نجحت فيه النظم السلطوية وهى تسعى وراء حيازة القوة السياسية فى صبغ البناء الاجتماعى بملامح التغيير والثورية، الأمر الذى يجعل التنبؤ باتجاهات السياسات المعاصرة مسألة على غاية من الصعوبة.

وبالرغم من أنه يصعب تحديد ما إذا كان اهتمام آرندت الأساسى هو النظرية السياسية والاجتماعية أو الفلسفة البحتة، فقد نجح هذا العمل فى تأكيد مكانتها كمفكرة سياسية لها رؤيتها وموقفها النظرى والمنهجى الواضحان. فقد أكدت آرندت فى هذا الكتاب على وجود عناصر متشابهة كثيرة بين النازية والستالينية. كما أكدت على أن هذه العناصر هى التى تخلق ذلك النمط الكلى من الحكومات التى تتبنى الاستخدام المنظم للقوة ولأساليب الرعب والقهر لفرض أيديولوجياتها التى تسعى إلى السيطرة والتغيير. وعلى أى الأحوال فقد فتح هذا العمل أبواب الشهرة أمامها، فدعيت لتحاضر فى أمهات الجامعات الأمريكية، كما التحقت ببعض الأعمال فى جامعة شيكاغو (١٩٦٣ - ١٩٦٧) وفى المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعى New School for Social Research فى نيويورك.

ولكن مؤلفات آرندت التى جاءت بعد ذلك لم تكن فى معظمها أكثر من محاولة لتطوير بعض القضايا والمبادئ التى سبق لها أن أثارتها. ومازال هناك بعض النقاد الذين يرون أن مؤلفها الذى نشر فى ١٩٦٣ بعنوان «إيخمان فى أورشليم» Eichmann in Jerusalem: A Report on the Banality of Evil، هو أبرز مؤلفاتها التى امتزجت فيها الفلسفة بالسياسة. والكتاب باختصار عبارة عن دراسة حالة لما يمكن أن يحدث عندما تتفاقم الظروف ويتعرض أحد الشعوب للتشريد وعندما تصبح المقارنة شيئا عديم الجدوى بالتعبير البراجماتى.

ومع أن البعض قد اعترض على الصورة التى ساقتها آرندت لإيخمان وهى تغدق عليه الكثير من صفات الإنسان الرشيد حتى بدا وكأنه نموذج للإنسان المعاصر، فإنه يبلور قضيتها الأساسية التى تؤكد على ما اعتقدت أنه دور زعماء اليهود فى وجوب مساندة كل الجهود التى تدمغ اضطهاد النازى لليهود خلال الحرب العالمية الثانية، وهى قضية أثارت الكثير من الخلافات، بل هاجمها عدد متزايد من اليهود أنفسهم احتجاجا على ما ذهبت إليه من عدم وجود أية مقاومة جدية ومنظمة من جانب الجماعات والمنظمات اليهودية فى أوربا.

من بين أعمال حنة آرندت الأخرى التى نجحت فى جذب الأنظار كتاب «الظرف الإنسانى» The Human Condition (١٩٥٨)، وترجع أهمية هذا الكتاب إلى أنه يعتبر مؤلفها الفلسفى الرئيسى بلا منازع، حيث استقصت مظاهر تدهور الحضارة والمثال اليونانيين اللذين يربطان التفكير بالفعل السياسى، وذهبت إلى أن ماهية الظرف الإنسانى إنما تتمثل فيما يقوم به الأفراد من «نشاط عام» لتحقيق الخير العام، وليس مجرد التأمل النظرى الذى يغرق الفلاسفة أنفسهم فيه، أو حتى تلك النظرة إلى الإنسان على أنه حيوان (عاقل) خاضع للضرورة. ومن هنا كان هجومها العنيف على الليبرالية الحديثة التى تعلى من شأن الخصوصية الفردية على العمل الجماهيرى. وإذا كان البعض قد نظر إلى آرندت على أنها نموذج لفكر أرسطى جديد، فإن هناك من يرى فى ذلك غير قليل من المجافاة للحقيقة، وأنها -على العكس من ذلك – حاولت البرهنة على أن نظرة أرسطو للفعل السياسى

كانت نظرة غائية ترتبط بالأسباب النهائية، على حين تنظر هى إلى الفعل السياسى وإلى المناقشات والقرارات التى يتم التوصل إليها بحرية وتلقائية على أنها غايات فى ذاتها وينبغى تقديرها بصرف النظر عما يكون لها من نتائج.



وتعطى كتابات أرندت اللاحقة صورة متكاملة لاهتماماتها المتشعبة. ففى عام ١٩٥٨ أيضا صدر كتابها «راحيل فارنهاجن: حياة يهودية» Rahel Varnhagen: The Life of a Jewess وهو كتاب كانت قد كتبته فى أوائل الثلاثينات. كما صدر لها فى عام ١٩٦١ مجموعة مقالاتها الرئيسية بعنوان «بين الماضى والمستقبل» ثم بعد ذلك كتابها «فى الثورة» ١٩٦٣، وتناولت فيه بالنقد والتحليل الثورة الفرنسية والثورة الأمريكية. كما صدر لها كتاب «رجال فى الأوقات العصيبة» Men in Dark Times (١٩٦٨)، و«فى العنف» On Violence (١٩٧٠)، ويتناول مفهوم القوة من خلال تصور لايخلو من طرافة وإثارة، ثم «أزمة الجمهورية» Crises of the Republic (١٩٧٢).

ولاشك فى أن شهرة حنة آرندت كانت قد تأكدت قبل وفاتها فى عام ١٩٧٥ بفترة طويلة. وكما قلت من قبل فلعلها لا تصنف أساسا ضمن الفلاسفة السياسيين، ولكنها كانت قادرة من منظورها الخاص على إصدار الأحكام على المجتمع والسياسة، وكان لها فى ذلك طريقتها الخاصة التى تنتقل بها بين مختلف الاهتمامات والموضوعات، بمعنى أنها تتحرك بسرعة من مناقشة أخطر المشكلات فى مباحث المعرفة والوجود مثلا إلى التعليق على بعض الأحداث الجارية والقضايا المعاصرة مثل قضية ووتر جيت أو حرب فيتنام وتصدر فيها من الأحكام ما كان سببا فى إثارة كثير من النقاش والانتقاد، إذ اعتبرت هذه الأحداث استجابات لدوافع ولعقلية عملية، وفى هذا ما فيه من اعتراف ضمنى ربما بمشروعيتها بالرغم من كل ما تنطوى عليه من أضرار وشرور.

ولكن هذه الطريقة كانت خليقة بأن توقعها فى كثير من المآخذ، خاصة وقد كانت تقفز من فوق أدق المشكلات اللغوية لتطلق التعميمات الواسعة والمتسرعة

فيما يتعلق بتاريخ الثقافة، وربما بدون أن تهتم الاهتمام الكافى بالحقائق أو بتحرى صدق الوقائع وصحتها. وربما كان ذلك هو ما دفع ألسير إيزاى برلين Berlin لأن يصف أعمالها الفلسفية بأنها نوع من التداعى الميتافيزيقى الحر. بل إن الكثيرين من الكتاب يرون أن كتاباتها المتأخرة كان يغلب عليها طابع القلق والتقلب، ويردون ذلك إلى أنها مالت فى السنوات الأخيرة إلى نظرية كانط فى الجمال وليس نظريته فى العقل العملى، الأمر الذى اعتبروه مناقضا لمواقفها الأولى ولاتجاهها الفكرى العام الذى ارتبطت به حتى أواخر الستينات. وقد يكون كل هذا صحيحا، كما قد يكون فيه الكثير من التجنى الذى قد تكشف عنه الأيام. ولكن المؤكد مع ذلك أن حنة آرندت كانت فى كل كتاباتها مفسرة وشارحة أكثر منها خالقة لأنساق أو نظريات فكرية محددة. وربما هنا بالذات تكمن قيمتها فهى تجبرنا على أن نفكر فى طبيعة العالم، وليس مجرد ما تثيره النظم من مشكلات.

● قراءات مقترحة ●

Works; Between Past and Future, 1961.

● وانظر أيضا:

- Canovan, Margaret; The Political Thought of Hannah Arendt. 1974.

- Hill, A. Melvyn; Hannah Arendt: Recorvery of the Public World. 1979.



٦ - آرون، رايمـــونـــد
6 - ARON, Raymond

يعتبر رايموند آرون أستاذ الاجتماع فى جامعة باريس، ومدير البحوث فى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا واحدا من ألمع الأسماء التى أسهمت منذ الحرب العالمية الثانية - ومعه جورج جيرفيتش Gurvitch وموريس دوفرجيه Duver-ger وكوفيليه Cuvillier - فى تقدم علم الاجتماع الفرنسى الذى يمكن تتبعه تاريخيا إلى تقاليد ديكارت Descartes، وبودان Bodin، وروسو Rousseau، ومونتسكيو Montes-quieu، والذى تبلور كنسق فكرى وتأملى معقد البناء عند كلودليفى ستروس Lévi - Strauss. وكذلك يعتبره الكثيرون - مثل دو فرجيه - الوريث الشرعى المباشر لجياتانا موسكا Mosca، وروبرت ميتشلز Michels، وماكس.فيبر Weber، فقد نجح فى إعطاء علم الاجتماع السياسى وفلسفة التاريخ طابعا ذا مذاق خاص، كما نجح فى ارتياد مجالات أكثر حيوية كان علم الاجتماع الفرنسى بدونها سيظل فقيرا مجدبا. أما بالنسبة إلى العالم الناطق بالإنجليزية فقد اعتبر دائما الرائد الفرنسى للنظرية الاجتماعية، إذ نجحت كتاباته فى جذب القارئ العادى حتى على الرغم من النظرة التشاؤمية التى طبعت موقفه من الاتجاهات والعقائد الأيديولوجية المسيطرة.

ولد رايموند كلود فردينان آرون فى الرابع عشر من شهر مارس عام ١٩٠٥ فى باريس، ونال درجة الدكتوراه فى الآداب من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣٠، وخلال الثلاثينات تعرف عن كثب على كتابات المفكرين الألمان وبخاصة مارتن هايدجر وأدموند هوسرل وماكس فيبر، وانعكس ذلك فى كل كتاباته وفى مواقفه العملية خلال المناصب والأعمال التى تنقل فيها، سواء وهو يقوم بالتدريس فى

جامعة كولونى Cologne (١٩٣٠ - ٣١) أو عندما التحق بالمركز الأكاديمى الفرنسى فى برلين (١٩٣١ - ٣٣)، أو أثناء عمله فى ليسيه الهافر (١٩٣٣ - ٣٤) وذلك قبل أن يعمل سكرتيرا عاما فى مركز التوثيق الاجتماعى فى النورمال سوبر يور (١٩٣٤ - ٣٩) وهى الفترة ذاتها التى قام فيها بالتدريس فى مدرسة سانت كلو العليا Saint - Cloud (١٩٣٥ - ٣٩) ثم أستاذا للفلسفة الاجتماعية فى جامعة تولوز ١٩٣٩.

ولكن التحول الجوهرى فى فكر رايموند آرون جاء بعد ذلك، ربما بداية من الأربعينات. فقد خدم آرون أثناء الحرب العالمية فى القوات الجوية الفرنسية، ولكن بعد سقوط فرنسا فى ١٩٤٠ أخذ يشارك بقلمه فى جهود قوات التحرير فاضطلع أثناء وجوده فى لندن برئاسة تحرير مجلة «فرنسا الحرة» La France Libre. ثم قام بعد الحرب بتدريس العلوم السياسية فى معهدالدراسات السياسية بالسوربون والمدرسة القومية للإدارة العليا (١٩٤٥ - ٥٥)، ثم عمل أستاذا لعلم الاجتماع فى كلية الآداب بالسوربون من عام ١٩٥٥ إلى ١٩٦٨ ليصبح أستاذا لعلم الاجتماع فى الكوليج دوفرانس فى عام ١٩٧٠.

ولقد كان لنشاطه وكتاباته الصحفية شأن كبير فى تأكيد مكانة رايموند آرون. فقد عمل محررا فى مجلة Combat اليسارية (١٩٤٦ - ٤٧)، وتزايد تأثيره بشكل ملحوظ من خلال عموده الذى ظل يكتبه منذ عام ١٩٤٧ ولمدة ثلاثين عاما فى الفيجارو Le Figaro الفرنسية، ثم بعد ذلك عندما ترك الفيجارو (١٩٧٧) ليتفرغ لكتابة عموده الأسبوعى فى الإكسبريس L' Express، وهو العمود الذى ظل مواظبا على كتابته حتى وفاته فى باريس فى السابع عشر من شهر أكتوبر عام ١٩٨٣.

أثناء هذه المسيرة الطويلة ترك آرون عدداً هائلا من المقالات والدراسات والتحليلات والتعليقات التى تناولت العديد من قضايا الثقافة والمجتمع، وسائر الموضوعات التى شكلت المناخ الثقافى العام فى أوربا، ذلك بالإضافة إلى كتبه ومؤلفاته الرئيسية التى عالجت بعض المشكلات النظرية والمنهجية التى برزت بصفة خاصة فى نظريات كبار المؤلفين والمنظرين من أمثال مونتسكيو وكونت

وتوكوفيل، وكذلك الأجيال الأكثر حداثة من علماء الاجتماع من أمثال دوركايم Dur Kheim، وباريتو Pareto، وفيبر. ومعنى هذا أنه لا يكفى فى فهم رايموند آرون التعرف فحسب على كتبه ومؤلفاته الرئيسية، ولكن من المهم أيضا فحص مواقفه النقدية التى ضمنها مقالاته، وخاصة إذا اعتبرنا أن هذا النوع من الكتابة (المقال أو التعليق السياسى والنقد الاجتماعى) أكثر تجاوبا مع الأحداث المتغيرة فى عصر يعتبر التغير السريع أهم خصائصه.

وهناك مجموعة من القضايا المحورية استولت على تفكير رايموند آرون. وربما كانت قضية الصراع بين الديمقراطية والشمولية فى مقدمة هذه القضايا، وذلك على اعتبار أن ظاهرة الحرب التى يتجسد فيها هذا الصراع كانت -ولا تزال - أخطر ما يواجهه القرن العشرون ويشغل فكر علمائه وفلاسفته ومفكريه. أما الدافع الأساسى وراء اهتمام آرون المتزايد بدراسة الصراع فهو عملى وتطبيقى بالدرجة الأولى، يتمثل فى محاولة الوصول إلى الطرق التى يمكن بها تجنب الصراع أو على الأقل التحكم فيه بما يقلل من خطر الحرب ويحجم مخاطرها. ومثل هذا الاهتمام هو الذى تبلور فيما يعرف بالدراسات الإستراتيجية التى يهتم جانب منها بدراسة الظروف والأسباب المؤدية إلى الحرب. وفى هذا السياق يعتبر مؤلفه «الحرب والسلام: (نظرية فى العلاقات الدولية)» Paix et Guerre entra les Nations (١٩٦٢) من أفضل ما كتب فى الموضوع (ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية فى عام (١٩٦٦) باسم «الحرب والسلام: نظرية فى العلاقات الدولية».

فى هذا الكتاب بعد أن ناقش آرون المفهومات والتصنيفات التى لا غنى عنها فى أية دراسة لقضية الحرب والسلام مثل مفهوم القوة وأنماط الحرب والنفوذ وأشكال السلام بهدف الوقوف على أسباب الحرب والدوافع إليها، تحول فى القسم الثالث والقسم الرابع من الكتاب ففحص من منظور تاريخى أشكال الدول وأنماطها المختلفة حتى العصر الذرى لينتهى من ذلك إلى توضيح بعض الاعتبارات الأخلاقية وبعض المتضمنات السياسية والإستراتيجية للحرب.

أحد الأسئلة الرئيسية التى شغلت بال آرون ما إذا كان هناك بديل للحرب،

وما إذا كانت ثم وسيلة لتنظيم العلاقات الدولية، خاصة فى تلك الأحوال التى تسعى فيها كل دولة لتحقيق مصالحها الخاصة. ولقد طرح آرون فى مناقشته إمكانيتين أو إحتمالين رئيسيين، الأول السلم من خلال القانون، والثانى السلم من خلال كيان دولى ضخم واحد. ولا يتحقق الاحتمال الأول إلا نتيجة اتفاق دولى، الأمر الذى اعتقد أنه سيظل رهين قيام هيئة أو منظمة فوق دولية (عالمية) يكون لها من السلطات التشريعية والتنفيذية والإدارية ما يكفل لها تحقيق أهدافها. على حين يستلزم الاحتمال الثانى أن تتنازل كل الكيانات الدولية الإقليمية عن بعض ذاتيتها للهيئة التى سوف تصبح هذه الدول أعضاء فيها. وهو ما يبدو أمرا صعب التحقق على الأقل فى الوقت الحاضر. وبالرغم من أنه لم يغفل إمكانية تحقق السلام من خلال مبدأ توازن القوى، فقد أنهى دراسته للحرب والسلام بنقده معظم المحاولات والأشكال الراهنة، ونادى بضرور إعطاء مزيد من الاهتمام للدعوة إلى تبنى العقل واستخدام سياسة معقولة reasonable policy أكثر منه إستراتيجية قد تتخبط فيها الأهداف الآجلة والعاجلة.

القضية المحورية الثانية وهى ترتبط بالقضية السابقة تتمثل فى موقفه الفكرى والعملى من السياسات الاستعمارية والإيديولوجيات والنظم العقائدية التى تغذيها. وهى قضية كانت سببا فى وقوع كثير من المنازعات بينه وبين زملائه وأصدقائه وصلت إلى حد الخصام والقطيعة. فبالرغم - على سبيل المثال - من الصداقة القوية التى كانت تربطه بالفيلسوف الفرنسى جان بول سارتر Sartre وخاصة فى السنوات الأولى من مشوار سارتر الأدبى وهما يعملان معا فى المجلة الشهرية التى كان سارتر يصدرها باسم Temps Modernes بداية من أكتوبر ١٩٤٥، فقد ترك آرون هذه المجلة فى يونيو ١٩٤٦ لتنتهى صداقتهما (وبصحبته آرثر كوستلر Koestler) مع أواخر ١٩٤٧ بعدما صار آرون لا يخفى تعاطفه مع الغرب ودعوته للتحالف معه.

فى كتابه «أفيون المثقفين» Opium des Intellectuels ١٩٥٥، الذى يعتبر باختصار شديد هجوما عنيفا على الستالينية يبلور فكرة انتهاء عصر

الأيديولوجيا، وجه آرون أشد الانتقادات إلى سارتر وإلى الماركسيين عموما بسبب مساندتهم العمياء للاتحاد السوفياتى (وقتذاك). كما هاجم الاتجاهات السلبية التى برزت لدى كثير من المثقفين الذين تصوروا فى الخمسينات أن معايير التقدم إنما هى فى تأكيدهم على الماركسية السوفياتية.

كذلك ظهرت الاتجاهات نفسها فى عدد من كتبه اللاحقة وبخاصة كتاب «الثورة الأكيدة» La Révolution Introuvable (١٩٦٨)، وكتاب «الانقلاب المراوغ: تشريح لثورة الطلبة» The Elusive Revolution: Anatomy of Student Revolution (١٩٦٩). ففى هذين الكتابين مضى آرون ينتقد زملاءه الأكاديميين لمساندتهم ثورة الطلبة فى ١٩٦٨، علاوة على انتقاده لسياسات ديجول فى كثير من المواقف وبخاصة سياسته (فى الخمسينات) التى كانت ترمى إلى إبعاد فرنسا عن الولايات المتحدة الأمريكية، وهى كتابات تعيد إلى الأذهان معارضته القديمة لاستعمار فرنسا للجزائر ومطالبته بانسحابهم قبل قيام الثورة الجزائرية فى عام ١٩٥٤.

★ ★ ★

هذه المواقف الفكرية والعملية كانت انعكاسا فى الحقيقة لرؤيته الخاصة لعلم الاجتماع ولما طرأ على هذه الرؤية من تغيير، وخصوصا بالنسبة لموقفه من علم الاجتماع الماركسى. فالواضح أن دراسات آرون للحرب والصراع قد تأثرت بالكتابات الأصيلة فى التراث وخاصة كتابات ليون برامسون Bramson وتوكوفيل Tocquéville ووليم جميس James، وسمنر Summner، وبارك Park، ومالينوفسكى Mal-inowski بالإضافة إلى كتابات جورج زيميل Simmel ولويس كوزر Coser وفرويد. ويكفى فى هذا الصدد الإشارة إلى كتابه Les Guerres en Chaine (١٩٥١) وكتابه Le Grand Débat (١٩٦٣) بالإضافة طبعا إلى كتابه الذى أشرنا إليه عن الحرب والسلام (١٩٦٢)، ثم كتاباته الأكثر حداثة التى قدمها فى السبعينات وخاصة كتابه «الجمهورية الإمبريالية: الأمم المتحدة فى العالم من عام ١٩٤٥ إلى ١٩٧٢» Repu-blique Impériale: Les Etats - Unis Dans Le Monde (1945 - 1972) ١٩٧٣، وكتابه (فكر الحرب: كلاوتزفيتز) Penser La Guerre, Clausewitz ١٩٧٦.

كذلك يظهر التفاوت فى مواقفه النظرية بالنظر إلى كتابه «مقدمة لفلسفة التاريخ» Introduction a la Philosophie de l'histoire الذى كتبه فى ١٩٣٨ (ترجم للإنجليزية فى ١٩٦١) وإلى كتاباته المتأخرة التى قدمها منذ الخمسينات على ما نجد مثلا فى كتابه «علم الاجتماع الألمانى» German Sociology ١٩٥٧، وكتابه الذى صدر فى جزءين بعنوان «التيارات الرئيسية فى الفكر الاجتماعى» Les Etapes de la pansée Sociologique حيث تناول فى الجزء الأول نظريات مونتسكيو وكونت وتوكوفيل وماركس، وخصص الجزء الثانى (١٩٦٧) لدراسة دور كايم وباريتو وماكس فيبر (ترجم الجزءان فى عام ١٩٦٧ و١٩٧٠ على الترتيب). ثم كتاباته التى تناول فيها مشكلات المجتمع الصناعى ومن بينها «المجتمع الصناعى» The Industrial Society و«١٨ محاضرة فى المجتمع الصناعى» 18 Lectures on Iudustrial Society، وأيضا تلك التغيرات الجذرية التى طرأت على البناء الطبقى بسبب تطور النظم والأوضاع السياسية والاقتصادية على ما نجد فى كتابه «صراع الطبقات» La Lutte de Classes (١٩٦٤). و«الوهم والتقدم» Progress and Disillusion (١٩٦٨).

والفكرة المحورية عند آرون فيما يتعلق بعلم الاجتماع الماركسى أنه يؤكد تأكيدا زائدا على الاستخلاصات المنبثقة من البناء الطبقى، حيث استند ماركس إلى مادة المجتمع عندما ركز على البناء التحتى Infra - Structure وذهب إلى أنه المصدر الأساسى لكل أشكال المعرفة بما فيها من أيديولوجيات وفلسفة وعلم وفن ودين، مما يعنى أنه رد مضمون الحقيقة بل ونظرية المعرفة كلها إلى الأساس الاقتصادى الذى يربط الفكر بالواقع من خلال إطار الطبقة وبنائها.

ولكن رجوع ماركس إلى طبيعة المواقف الاقتصادية والظروف الاجتماعية التى تلقى على الفكر قيما وأبعادا اقتصادية تفسر محتواه الداخلى وتحلل مغزاه الحقيقى، ينطوى بالنسبة لآرون على ناحيتين: الأولى أن الايديولوجية أصبحت بالنسبة لماركس مجرد ظاهرة تستند إلى أسس اقتصادية ينجم عنها كل الأحكام المتعلقة بالأيديولوجية والفلسفة والأخلاق. أما الناحية الثانية فهى أن ذلك الموقف الذى يقدمه علم الاجتماع الماركسى لا يعدو فى آخر الأمر أن يكون مجرد وجهة

نظر سوسيولوجية لتفسير الأفكار. ولكنها وجهة نظر تقاسى من كل ما يشوب النظرية الأحادية من قصور.

● قراءات مقترحة ●

- Bottomore, T. B. : Sociology as Social Criticism. 1975.
- Giddens, A.; Studies in Social and Political Theory. 1976.



٧ – أوستن، جون لانجشو

7.- AUSTIN, John Langshaw

ربما كان جون لانجشو أوستن أكثر فلاسفة اللغة الإنجليزية الذين توصف حياتهم العلمية بأنها سلسلة من البحث الدءوب، فحقق بذلك شهرة واسعة ارتبطت بتحليله المتميز للفكر الإنساني، وهو التحليل الذى أقامه على أساس من دراساته العميقة للغة الأحاديث اليومية العادية .

ولد أوستن عام ١٩١١ فى لا نكستر بإنجلترا، وتوفى وهو لم يكد يبلغ الخمسين عام ١٩٦٠ فى أكسفورد وهى البلدة التى قضى فيها كل حياته العلمية تقريباً، باستثناء فترة قصيرة عمل خلالها بالمخابرات البريطانية أثناء الحرب العالمية الثانية، وزيارتين عمليتين قصيرتين لأمريكا بدعوة من جامعة هارفارد وجامعة كاليفورنيا .

ولقد لفت الأنظار إليه وهو لا يزال فى المراحل المبكرة لتعليمه، فقد درس فى مدرسة شروسبرى Shrewsbury وهى نفس المدرسة التى سبق أن تعلم فيها تشارلس داروِن Darwin. كما حصل على منحة دراسية مفتوحة فى باليول كوليج Balliol College بأكسفورد، ثم أصبح زميلاً فى أول سولز All Souls فى عام ١٩٣٣. وبعدها زميلاً فى ماجدالين Magdalen فى ١٩٣٥، حيث بدأت تظهر اهتماماته بدراسة الكلاسيكيات الإغريقية الرومانية، وهى الدراسة التى كان لها أعمق الأثر فى تفكيره واتجاهاته، وبخاصة بعد عودته إلى أكسفورد عندما وضعت الحرب أوزارها، وأصبح أستاذاً لفلسفة الأخلاق (١٩٥٢ – ١٩٦٠) .

وبوجه عام يمكن القول بأن جهود أوستن فى حركة الإصلاح والتطوير اللغوى قد انطلقت من ذلك الاعتراف العام بأن ميدان اللغويات ما زال يفتقر إلى التحليل المناسب للأشكال المختلفة التى تستخدم فيها اللغة .

ولا يعترض أوستن على الموقف العام الذى يتبناه غالبية اللغويين من أن اللغة هى أفضل وسيلة للاتصال والتعبير، ولكن الخلاف يظهر عندما يشرع فى مناقشة وظائف اللغة وتحليل استخداماتها. فقد ذهب إلى أنه مع عدم وجود النظرية الدقيقة التى تأخذ فى اعتبارها العلاقات المتداخلة والمتبادلة بين القصد intention والشعور Feeling والإدراك Perception وما إلى ذلك من المفهومات الأساسية فى فلسفة اللغة وعلم النفس التحليلى، فالأرجح أن يظل فهمنا وتحليلنا للغة أسيرا للنظرية الكلاسيكية التى قصرت أغراض اللغة فى أنها وسيلة للتوصيل، وأنها تعين على التفكير، أو أنها وسيلة للتسجيل وللرجوع إلى ما يتم تسجيله، وليس لهذا كله سوى معنى واحد هو أن للغة وظائف وأغراضا تتجاوز هذه الحدود. وإن كان لا ينبغى أن يفهم من ذلك أنه يهون من شأن ضرورة الإحاطة بالنظريات اللغوية قبل الاقدام على البحث فى الميدان، وإنما الأهم من ذلك فى اعتقاده توافر الوسائل المناسبة للتحليل اللغوي، إيماناً منه بأن هذا التحليل بمقدوره أن يقدم الكثير من الحلول لتلك الألغاز التى تحيكها الألفاظ والكلمات والجمل والتعابير والكثير من القضايا والمشكلات الفلسفية واللغوية ذاتها، وهذا يعنى ضمن ما يعنيه أن التركيز ينبغى ألا يكون على مجرد التعرف على وظائف الألفاظ والأصوات، ولكن على طبيعة الأفعال ذاتها، وعلى مظاهر السلوك التى توحى هذه الألفاظ والأصوات بفعلها والقيام بها .

القضية إذن التى يثيرها أوستن تتعلق فى جوهرها بعدم الاستخدام الصحيح للغة. ومع ذلك فنحن لونظرنا إلى السياق الكلى لنسقه الفلسفى لوجدنا أن المقصود بذلك ليس هو مجرد ذلك المعنى البسيط الذى يمكن أن يفهم للوهلة الأولى من التعبير، بمعنى أن الألفاظ والجمل والتراكيب التى تتكون منها اللغة قد تستخدم بطريقة مشوشة أو غامضة أو مبهمة، أو حتى أن هذا التشيوش والغموض والابهام مما ينجم عن عدم المعرفة الدقيقة بمعانى الألفاظ ودلالتها بما يؤدى إليه ذلك من ظهور كثير من المشكلات اللغوية والفلسفية، ولكن الأبعد منه، ما يقرره هو نفسه من أن الاستخدام الفعلى للألفاظ -جتى ما نعرف معناه- إنما يتم بطرق تبدو معها

المشكلات كنتيجة حتمية لها، وهذا معناه أنه يلفت نظر الباحثين والمفكرين إلى خطورة تلك الشراك traps التى تصنعها اللغة ولا نكاد نعطيها الاهتمام الكافى .

وقد عرض أوستن هذه الأفكار لأول مرة فى مقالته «عالم الفقه المحدود» The Province of jurisprudence التى نشرت فى عام ١٩٥٤ ضمن الكتاب الذى أعده هارت Hart وجورج ويدنفيلد Weidenfeld ونيكلسون Nicolson وهى مقالة كانت بمثابة الركيزة الأساسية التى أقام عليها بناء كتابه ذائع الصيت الذى نشره فى عام ١٩٦٢ بعنوان له دلالته هو «كيف نصنع الأشياء بالكلمات» How to Do Things with Words.

فى هذا الكتاب الذى يمثل نقداً تحليلياً للغة المنطق الصورى والكثير مما ذهب إليه علماء اللغة وفلاسفتها وهم يتحدثون عن وظائف اللغة واستخداماتها .قدم أوستن ما أطلق عليه « الاستخدام الأدائي» Performative Use للكلمات أو «الصوت الأدائي» Performative Utterance، ففى رأيه أن هناك فئة من الأصوات تتمثل خاصيتها الرئيسية فى أنها «تفعل» شيئاً to do something أكثر منه مجرد (قول) شىء عن شىء آخر . ويشرح هو نفسه. ما يقصد إليه بقوله -إن الإنسان الذى (يقول) فى موقف ما «أنا أعد بكذا وكذا» لا يخبر سامعه بشىء ما فحسب، ولكنه (يفعله) كذلك، بمعنى أنه يأخذ وعداً على نفسه. وكذلك الحال عندما يقول القاضى مثلاً «حكمت المحكمة عليك بالإعدام» . فمثل هذا القول ليس المقصود منه مجرد «إخبار» أو إحاطة المستمع، وإنما الأهم منه أن ثمة شيئا لا يمكن إنجازه إلا عن طريق استخدام بعض الصيغ اللغوية المتفق عليها.

وهى صيغ أو «أصوات أدائية» لا تخضع فى ذاتها لمحكات أو معايير الصدق والكذب. وإن كانت بالطبع تخضع لمعايير الصحة والسلامة. ولقد أدت به هذه الناحية إلى مناقشة التمييز بين «قوة الفعل الكلامي» illocutionary force بمعنى ما ينطوى عليه التعبير والكلام من «فعل »، وبين قوة أسلوب الكلام locutionary force ويقصد به ماهية الكلام، وقوة الأثر الذى يتركه الكلام فى الآخرين Perlocutionary force.

الكتاب الآخر الذى لا يقل عن سابقه فى الأهمية صدر أيضاً فى العام نفسه

(١٩٦٢) بعنوان «الحس والإحساس» Sence and Seibilia وهو عبارة عن هدم للموقف التقليدى القديم الذى يرجع إلى ديكارت Descartes ومن قبله الإغريق الذى ينكر إمكانية أن ننتبه أو نلتفت إلى أى شىء إلا ما يأتينا فقط عن طريق الحواس، أما كتابه «أوراق فلسفية» Philosophical Papers الذى كان قد أصدره فى ١٩٦٠ فهو عبارة عن مقالتين كان قد سبق له نشرهما، الأولى (١٩٤٦) بعنوان «العقول الأخرى» Other Minds والثانية «ذريعة للاعتذار» A plea for Excuses (١٩٥٦) وتعتبر المقالة الأولى مدخلاً لنظريته فى « الصوت الأدائى » على حين كشفت المقالة الثانية عن مدى ثراء اللغة بالكلمات والألفاظ والتعابير التى تستخدم فى مواقف التأسف والاعتذار .

ومهما يكن من أمر فإن الاهتمام باللغويات حتى ذلك الوقت الذى قدم فيه أوستن نظريته لم يكن يمثل سوى جانب فحسب من الفلسفة المعاصرة؛ ولذا لايبدو غريباً أن أكدت كتاباته وحركة التحليل اللغوى التى قادها أهمية اللغة للفلسفة، ولقد كان تأثير أوستن على زملائه أو تلامذته أكبر بكثير مما قد توحى به كتاباته، فقد سعى بطريقة ذكية وبحيوية فائقة إلى تحقيق ما كان يعتبره هدفه الرئيسى وهو استخدام المناهج والمعايير التى تقدمها المراجع الأساسية لدراسة الكلاسيكيات الاغريقية الرومانية وتطبيقها على ما يوضع بين يدى الطالب الإنجليزى المعاصر، وهو ما نجح فيه إلى أبعد الحدود.

• قراءات مقترحة •

Works : Three Ways of spilling ink. The psychological Review. vol. 75 . 1966.

• وانظر أيضاً :

- Berlin, Isaiah; (ed.), Essays on j.L. Austin, 1973.

- Elster, Jon, Logic and Society : Contradictions and Possible World. 1978 .

- Fann, K.T.; (ed.), Symposium on j .L. Austin. 1973.



٨ - آير، السير ألفريد جوليش (١٩١٠)

8 - AYER, Sir Alfred Jules

تعكس حياة السير الفريد جوليس آير سلسلة متتابعة الحلقات من النجاحات العلمية والأكاديمية، فبعد أن تخرج فى الكلية الملكية فى إيتون Eton بدأت رحلته العلمية ليصبح واحداً من كبار الأعلام المرموقين فى مجالات الفكر والثقافة، وليصير محاضراً للفلسفة فى كريست كوليج Christ College (أكسفورد) وبعدها أستاذاً للفلسفة فى ينفرستى كوليج بلندن (١٩٤٦ - ١٩٥٩) ثم ليصبح بعد ذلك أستاذاً لكرسى المنطق فى أكسفورد من عام ١٩٥٩ إلى عام ١٩٧٢، وهى فترة تم خلالها تنصيبه فارساً فى عام ١٩٧٠ .

ولقد تدخلت بعض الظروف فى تحديد مسار حياته الأكاديمية لعل فى مقدمتها تلك الزيارة التى قام بها لفيينا Vienna وهو لم يزل طالباً جامعياً عام ١٩٣٣ . حيث كان فى جعبته خطاب توصية من جيلبرت رايل Ryle أتاح له فرصة حضور الجلسات والسيمنارات العلمية التى تعقدها حلقة فيينا، وبالتالى الاستماع إلى المناقشات الفلسفية والعلمية التى كانت تثيرها وقتذاك نخبة من العقول اللامعة من أمثال موريتز شيلك Schlick ورودلف كارناب Carnap، الأمر الذى جعله ينفتح على المدخل العلمى والفلسفى الذى كانت تدور من خلاله مناقشة ما يطرح فى الحلقة من قضايا، وهى المناقشات والقضايا التى تبلورت فيما عرف بعد ذلك بالوضعية المنطقية Logical Positivism .

ولم يكن قد مضى عليه وقت طويل بعدما عاد إلى إنجلترا عندما نشر آير أول أعماله وربما أسهلها أيضاً وهو كتابه المعنون باسم «اللغة والحقيقةوالمنطق» Language, Truth and Logic فى ١٩٣٦، وهو الكتاب الذى أصبح فى وقت قصير

نسبياً بالنسبة إلى قارئ اللغة الإنجليزية فى مختلف أنحاء العالم بمثابة ما يمكن وصفه بأنه «مانفيستو» حركة الوضعية المنطقية وذلك على اعتبار أنه ظل من أكثر من زاوية يمثل التعبير الأصيل عن مداخل هذه الحركة ووجهات نظرها الأساسية.

ولقد كان الهدف الرئيسى الذى هدف إليه آير من جهوده الفلسفية هو ما أطلق عليه « اختزال الميتافيزيقا» وهو أسم كان عنواناً للفصل الأول فى رسالته، فلقد طرح آير فى هذا الكتاب قضيته الأساسية الخطيرة التى قرر فيها بوضوح «أنه لا توجد أية قضية تشير إلى حقيقة تجرد حدود الخبرة التى نصل إليها عن طريق الحواس يمكن أن تكون لها دلالة فكرية» . أما النتيجة الواضحة التى يمكن استخلاصها من هذا التقرير فهى أن أعمال كل الذين حاولوا وصف مثل هذه الحقيقة قد بذلت فى الواقع لإنتاج الهراء الذى لا معنى له .

أما أداته التى لجأ إليها لإبعاد الميتافيزيقا واختزالها فتمثلت فى المبدأ الشهير المعروف بمبدأ الصدق Principle of Vertification ومضمونه أن أية عبارة أو جملة لا تكون لها دلالة حقيقية أو واقعية بالنسبة إلى شخص معين إلا إذا عرف كيف يتحقق أو يثبت صدق القضية التى تعبر عنها هذه الجملة أو العبارة . ولقد كان من نتائج تطبيقه لهذا المعيار استبعاد كثير من الحشو واللغو والترديد فى المنطق والرياضيات حيث أصبح من المستحيل قبول أية قضية على أنها قضية صادقة وذات معنى إلا إذا أمكن اختبارها والتحقق من صدقها بواسطة الملاحظة الإمبريقية، ويترتب على ذلك بالضرورة واحدة من أخطر النتائج مؤداها أن كل مادة الأخلاق ethics ومعها كل بناء الدعاوى الدينية لابد أن تطرح جانباً على اعتبار أنها ليست أكثر من تجميع أو مجموعة من القضايا الزائفة الخالية من المعنى، وهذا معناه أنه لا يتبقى من ثم سوى قضايا العلم Science . وهذا ماعبر عنه بقوله «أن الفلسفة هى بطبيعتها هراء بدون العلم» مما يعنى أيضاً أن لا مستقبل للفلسفة إلا فى صورة منطق العلوم .

والواقع أن تفاصيل الحجج والبراهين التى ساقها آير للتدليل على موقفه كانت على قدر كبير من الوضوح والدقة والصرامة، لدرجة أن الكلمات المحورية

والمفهومات الأساسية التى استخدمها فى هذا الكتاب (اللغة والحقيقة والمنطق) كالملاحظة « والمعيار» و«الدلالة الحقيقية» و «إمبريقي» هى التى أصبحت تسود ساحة الفكر الفلسفى لفترة تزيد على خمسة وعشرين عاماً منذ نشره .

غير أن آير كان له مع ذلك موقفه الخاص من الفلسفة الوضعية، فهو لم يكن يخفى امتعاضه من الحالة التى سارت إليها، أو اعتقاده بأنها تمر بمرحلة من التراجع والتدهور الملحوظين، الأمر الذى أرجعه إلى أن الوضعية قد أضحت على درجة من الجدة والتحرر حتى أن العلم الطبيعى، وهو العلم الأثير لديها، والذى ترتبط به ارتباطاً وثيقاً، لم يستطع اجتياز اختبار معايير الصدق المحددة، فقضايا النظرية العلمية التى تتمتع بمستوى عال من التعميم من الصعب اختزالها إلى قضايا وتقريرات قابلة للملاحظة، على اعتبار أن الملاخظة، هى فى النهاية المحك الذى تتضح فى ضوئه صدق أية نظرية أو كذبها، ولو حدث أن أصبح اختبار الصدق أقل تحديداً حتى يتلاءم مع النظرية العلمية، فالمنتظر أن يتيح ذلك لكل من الدين والميتافيزيقا إمكانية تطبيق هذا الاختبار على قضاياهما، وهذا موقف ينطوى على مشكلة ظلت تؤرقه، وحاول أن يجد لها حلاً فى مقدمته الطويلة التى قدم بها للطبعة الثانية لمؤلفه « اللغة والحقيقة والمنطق». وإن كان قد عاد فاعترف بصعوبة حلها .

غير أنه من الخطأ مع ذلك أن نحصر شهرة السير ألفريد جوليس آير فى مؤلفه «اللغة والحقيقة والمنطق» الذى أشرنا إليه، فكتاباته اللاحقة لم تكن -للحق- أقل أهمية من هذا المؤلف. وبالرغم من أن البعض يرى أن قضاياه الرئيسية وأفكاره المحورية ليست لها تلك الأهمية التى اصطبغت بها قضايا وأفكار كتابه الأول، بل ويذهبون فى ذلك إلى حد القول بأنها قد أصبحت اليوم أثراً عفا عليه الزمن، فإن مثل هذا القول ينطوى على غير قليل من سوء الفهم وعدم التقدير .

وقد يكون صحيحاً أن معظم الفلاسفة ومن بينهم آير نفسه قد هجروا منذ أواخر الستينات ذلك التمسك العنيد بمحكات الصدق الصارمة، ومع ذلك فإن البحث الميتافيزيقى الذى شهدته الساحة بعد ذلك لا يمكن إلا أن نعترف بأنه قد

تطور ونمى نتيجة للتحدى الإمبريقى المتطرف الذى تم على يديه. أما بالنسبة إلى الميتافيزيقا فإنها لم تعد مجرد «هراء» ولكنها مصطلح له قيمته البالغة، وإن كان ذلك يرتبط فقط بتلك الميتافيزيقا رفيعة المستوى التى تقدم فى الأقسام الأكاديمية المتخصصة والتى تخضع للتحليل والمناقشة والتى يصعب التعرض لها وتناولها إلا من خلال ذلك الإطار المنطقى والخلفية الفلسفية اللغوية المحددة وذلك بالذات هو ما سعى آير إلى إيجاده والوصول إليه .

• قراءات مقترحة •

Works : Philosophical Essays. 1954.

- The Problems of Knowledge.1956.
- The Concept of a Person, 1964.
- Metaphysics and Common Sence. 1967.
- The Central Questions of Philosophy. 1973.
- The Origin of Pragmatism 1968.
- Russell and Moore, The Analytic Heritage 1971.

• وانظر أيضاً :

- Apelc, K. O.; Towards a Transformation of Philosophy .1980.
- Benton, Ted, Philosophical Foundations of the Three Sociologies . 1977.
- Hempel , C.G., Aspects of Scienctific Explanation. 1965.

★ ★ ★

B

٩ - بارنارد، شستر إيرفنج

9 - BARNARD, CHESTER IRVING

على الرغم من أن شستر إيرفنج بارنارد لم يكن أكاديمياً بالمعنى الدقيق، فقد استطاع أن يحقق لنفسه مكانة مرموقة سواء فى الأوساط العلمية، أوفى ميادين العمل والتطبيق، فهو أحد علماء الاجتماع الأمريكيين الذين برز لديهم اتجاه مميز فى تطوير نظرية التنظيم وبلورة تصوراتها ومفهوماتها وعلاقتها بالنظرية العامة لعلم الاجتماع من ناحية، إلى جانب اهتمامه الخاص بمشكلات العمل والإدارة ويخاصة تلك الجوانب النوعية التى تعتبر موضوعاً متخصصاً لعلم اجتماع التنظيم من ناحية ثانية .

ولقد ولد بارنارد فى مدينة مالدن Malden بولاية ماساشوستس الأمريكية Massachusetts فى السابع من شهر نوفمبر عام ١٨٨٦ .

ويرجع اهتمامه بدراسة التنظيمات ومؤسسات العمل وكيفية إدارتها إلى فترة مبكرة من حياته صاحبت فى الحقيقة مشواره الوظيفى، فبالرغم من أنه بدأ حياته العملية (توفى فى عام ١٩٦١) كموظف صغير فى شركة التليفونات والتلغراف الأمريكية فى عام ١٩٠٩، فقد مكنته خصاله الشخصية وحسه الإدارى العميق وثقافته الواسعة من الترقى السريع حتى أصبح رئيساً لشركة نيوجرسى للتليفونات عام ١٩٢٧، كما كانت فترة الكساد العالمى التى شهدتها الثلاثينيات فرصة ملائمة لاختبار أفكاره واتجاهاته النظرية والتطبيقية على السواء، فقد عمل فى الفترة من ١٩٤٢ - ١٩٤٥ رئيساً لمنظمة الخدمات المتحدة United Service Organization، علاوة على اشتراكه بعد الحرب فى كتابة التقرير الشامل للأمم المتحدة

الخاص بالرقابة علي الطاقة الذرية Atomic Energy (١٩٤٦) . كما رأس بعد تقاعده مؤسسة روكفلر Rockefeller (١٩٤٨ -١٩٥٢) ثم اختير رئيسا لمجلس إدارة المنظمة القومية للعلوم National Science Foundation (٥٢ -١٩٥٤) .

هذه الخبرة الطويلة التى اكتسبها بارنارد من مواقع عمله ومناصبه المختلفة كمدير إدارى ومسئول تنفيذى ساعدته فى صياغة نظريته الخاصة فى التنظيم وهى النظرية التى عبر عنها فى أول كتبه وهو كِتاب ظهر فى عام ١٩٣٨ بعنوان له دلالته هو «وظائف المديرين» The Functions of the Executive وهو كتاب نجح فى أن يترك أثراً كبيراً فى تدريس علم اجتماع التنظيم وفى نظرية العمل بوجه عام، على الرغم من مرور أكثر من نصف قرن على ظهوره. ولا يرجع ذلك إلى مجرد أن الكتاب يعتبر وثيقة علمية من حيث المعلومات التى يقدمها فحسب، ولكن أيضاً لأنه يقوم على خبرة علمية طويلة ساعدته فى صياغة ملاحظاته فى شكل مبادئ وتصورات وقضايا توضح الأسس التى تقوم عليها التنظيمات وطبيعة العلاقات والقوى التى تعمل فيها .

وتتمثل السمة الرئيسية التى تميز كتابات بارنارد النظرية فى تركيزه على الطبيعة التعاونية للتنظيمات، وهذا معناه أنه لا يتقبل الكثير مما فاضت به المداخل المختلفة فى دراسات التنظيم، وبخاصة تلك الاتجاهات الكلاسيكية التى تركز على العلاقات المحددة والقواعد الأساسية التى تسير عليها التنظيمات بدقة متناهية تباعد بينها (التنظيمات) وبين الواقع الملىء بالمتناقضات والقوى والدوافع التى تتدخل جميعها بالإضافة إلى إجراءات الضبط والرقابة والجزاءات فى تحديد النظام العام الذى يخضع له أعضاء التنظيم .

وعلى العكس من ذلك يقف بارنارد أقرب ما يكون إلى ماكس فيبر وإلى فكرة الجماعة التضامنية Corporate Group التى برزت عنده وساعدته على تقديم تصوره السوسيولوجى للتنظيمات، فالتنظيم بالنسبة إلى بارنارد هو نسق تعاونى Co-operative System يتكون من مجموعة من العناصر المادية والشخصية والاجتماعية التى تنشئ فميا بينها علاقة منظمة ذات طابع خاص نتيجة للتعاون بين أعضاء النسق لتحقيق الأهداف التى يسعى التنظيم إلى تحقيقها .

فكرة النسق وفكرة التعاون هما إذن فكرتان محوريتان فى نظرية بارنارد فى التنظيم، والفكرة الأولى تعكس تأثره بالاتجاه الوظيفى فى دراسة التنظيمات التى نظر إليها على أنها إنساق اجتماعية وسواء أكانت أنساقا مفتوحة أم أنساقا داخلية وخارجية . ولاتبعد الفكرة الثانية (التعاون) عن هذا باعتبار أنه متضمن فى فكرة النسق ذاتها وتساند الأجزاء وتعاونها وتبادلها الأثر والتأثير. وإنما المهم فى ذلك كله هو أن هذا التعاون يتسم بثلاث سمات جوهرية، فهو تعاون شعورى، واختيارى، وهادف، وهى سمات يرى بارنارد أنها لازمة لبقاء التنظيم . ولا تنفصل عن تلك الركائز الأساسية التى اعتبرها بارنارد لكفاية التنظيم وضمان استمراره، وهى الاتصال من ناحية والرغبة فى المساهمة والعطاء من ناحية ثانية ووجود الهدف المشترك من ناحية ثالثة.

ولا جدال فى أن نظرية بارنارد مهما قيل فى جدتها تنطوى على مزاج من الاتجاهات البنائية واتجاهات العلاقات الإنسانية، وحتى اتجاه اتخاذ القرارات فى دراسة التنظيمات. وإذا كان التصور العام للنسق التعاونى أنه يمثل نوعاً من العلاقة الاجتماعية التى تفرض حدوداً معينة للقيام بأدوار معينة من خلال مجموعة القواعد والمعايير، فإن أهم ما يلفت بارنارد الأنظار إليه هو ضرورة الاهتمام ببناء الاتصال على وجه الخصوص. وهو فى هذا يختلف عن فيبر الذى ركز فى دراسته للتنظيمات على بناء القوة أو نسق القوة. الاتصال بالنسبة إلى بارنارد هو المسئول عن التعاون بين أعضاء التنظيم لأجل تحقيق أهدافه. وهو لايعنى ببناء الاتصال مجرد البناء الرسمى formal، ولكن الأهم منه بناء الاتصال غير الرسمى informal وتلك العلاقات الاجتماعية التلقائية التى تقوم بين الأعضاء بعيداً عن مُحددات التنظيم وقواعده الرسمية، وعند هذه النقطة بالذات يتضح الفارق الجوهرى بين فيبر وبارنارد من حيث اعتماد الأول على إطار نظرى بحت بينما اعتماد بارنارد على خبرته وتجاربه الشخصية بالدرجة الأولى .

ولقد انشغل بارنارد ابتداء من عام ١٩٤٨ فى بلورة الكم الهائل من المعلومات التى توافرت لديه من ملاحظاته الخاصة بالعملية الإدارية ومشاركته فى الكثير من

أعمال الأجهزة التنفيذية والقيام بنشرها فى مجلة الإدارة والتنظيم Organization and Management فى سلسلة من المقالات والبحوث التى صاغت مبدأه الأساسى القائل بأن قدرة الأجهزة التنفيذية على التعامل مع المشكلات العملية والتطبيقية تميل إلى النقصان عندما توضع هذه المشكلات على المستوى النظرى البحت أو فى مصطلحات نظرية . وهو المبدأ الذى أصبح يجذب أعدادا متزايدة من علماء الاجتماع المتخصصين فى التنظيم، ويوجه كثيراً من الدراسات التى تسعى لوصف وتشخيص مشكلات التنظيمات الصناعية والإدارية من منظور علم اجتماع التنظيم، وتبحث فى مظاهر السلوك الاجتماعى وصور التفاعلات التى تقوم بين الجماعات والأفراد وما قد يكون وراءها من عوامل القوة وديناميات الصراع مما يتدخل فى تحديد كفاية بناء التنظيمات ووظائفها وقدراتها الإدارية والإنتاجية على السواء .

● قراءات مقترحة ●

- Bales, R., Interaction Process Analysis : A Method for the Study of Small Groups. 1950.
- Etzioni, A.; Comparative Analysis of Complex Organizations. 1961 .
- , Complex Organizations, A Sociolgical Reader, 1965.
- Gouldner, A., Patterns of Industrial Bureaucracy. 1955.

★ ★ ★

١٠ - بارون، سالو ويتماير (١٨٩٥)

10 - BARON, Salo Wittmayer

يعتبر من القلائل الذين أسهموا إسهاماً ملحوظاً فى نشر التراث اليهودى، وفى تحقيقه ربما بطريقة لا تخلو من التحيز إن لم يكن التعصب.

هو المؤرخ اليهودى سالو ويتماير بارون الذى ولد فى جاليسيا Galicia فى ٢٦ مايو ١٨٩٥. ولم يكن قد تجاوز الثانية والعشرين من عمره عندما حصل على الدكتوراه من جامعة فيينا فى ١٩١٧، وأخذ يحاضر فى الآداب والتربويات اليهودية من عام ١٩١٩ إلى عام ١٩٢٥ وبعدها هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية فى ١٩٢٦.

ولم يبتعد ويتماير فى أية مرحلة من مراحل حياته عن الهدف الرئيسى الذى كرس له حياته العلمية. فعلى مدى سنوات طويلة تزيد على الثلاثين عاماً ظل فى وظيفته الأساسية التى شغلها من ١٩٣٠ إلى ١٩٦٣ كأستاذ للتاريخ اليهودى فى جامعة كولومبيا .

وعلى الرغم من أن عمله الأكاديمى كأستاذ جامعى كان يستغرق جانباً كبيراً من وقته، فإن هذا لم يحل دون أن يكون له نشاطه العلمى المتزايد مع مركز الدراسات الإسرائيلية واليهودية والمجمع اليهودى الأمريكى والجامعة العبرية فى بيت المقدس وجامعة روتجرز Rutgers وبراون يونيفرستى Brown University علاوة على تحريره «الدراسات الاجتماعية اليهودية» Jewish Social Studies منذ عام١٩٣٩.

والواقع أن هذه الأعمال المنوعة فى عدة مواقع منوعة أيضاً أتاحت له - حتى وبالرغم من كل ما قد يقال فى أنها دارت كلها تقريباً فى فلك واحد - الفرصة لكى تتشعب اهتماماته وتتلون بالتالى كتاباته وتتعدد مداخلها. فقد كتب بارون فى النظرية السياسية مثلما كتب بعض السير الذاتية لعدد من فلاسفة

السياسة المشهورين من أمثال فرديناندلاسال Lasalle . كما كتب المقالة العادية التى تعالج الشئون العامة والأحداث الجارية.

ومع ذلك فقد نجح فى أن يؤسس شهرته على مجموعة من الكتابات المتخصصة تماماً حيث قدم فى ١٩٦٤ «التاريخ الاجتماعى والدينى لليهود» A Social and Religious History of the Jews وهو عمل ضخم فى ١٦ جزءا. كما قدم فى العام نفسه «التاريخ والمؤرخون اليهود» History and Jews Historians و«مقالات فى التاريخ اليهودى فى العصور القديمة والوسطى» The Ancient and Medieval Jewish History : Essays . وذلك فى عام ١٩٧٢. وهى كتابات لم يكن حتى يحاول أن يخفى ما بها من تحيز فى النظر والرؤية والتحليل مما أثار الكثير من الجدل وشكك فى الوقت نفسه فى مصداقية الكثير مما ذهب إليه .

• قراءات مقترحة •

- Martin, D.A., The Religious and the Secular. 1969.
- Wells, H.G., The Outline of History. 1954.



١١ - بارت، كارل (١٨٨٦ - ١٩٦٨)

11 - BARTH, Karl

ولد كارل بارت فى بازل Basel بسويسرا فى ١٠ مايو ١٨٩٦ وتوفى فى ٩ ديسمبر ١٩٦٨. ويعتبر من وجهة نظر البعض أعظم علماء اللاهوت والمفكرين البروتستانت فى القرن العشرين، إن لم يكن أعظمهم قاطبة منذ حركة الإصلاح الدينى. وللإنصاف فربما كان كارل بارت أكثر من أى إنسان آخر وراء الحركة الدافعة التى تحققت للدراسات الدينية، وهى الحركة التى يرجع إليها تقدم هذه الدرسات وبخاصة فى الفترة من ١٩٢٠ إلى إلى ١٩٥٠.

ولا جدال فى أن ظروف نشأته الأولى كانت وراء هذا النجاح . فقد كان ابناً لأحد الأساتذة المتخصصين فى تدريس العهد الجديد New Testment . وتلقى تعليمه فى جامعات برن Bern وبرلين Berlin وتوبنجن Tobingen وماربورج Marburg وهى مرحلة كانت بمثابة حجر الزاوية فى تحديد اتجاهاته على اعتبار أن أساتذته كانوا ممن يمثلون المدرسة البروتستانتية الليبرالية. وهنا فلا يبدو غريباً أن يكون أول عمل يضطلع به هو عمله كمحرر مساعد فى إحدى المجلات البروتستانتية واسعة الانتشار (Die Christliche Welt) وهو العمل الذى استمر فيه عاماً كاملاً من ١٩٠٨ إلى ١٩٠٩. كما عمل مساعداً لأحد الوعاظ فى إحدى إبراشيات سويسرا من ١٩٠٩ إلى ١٩١١ ثم راعياً فى بعض الإبراشيات السويسرية حتى ١٩٢١ وهى فترة اتسمت على أى الأحوال بتعاطفه الشديد مع الطبقة العاملة الصناعية التى كانت تناضل لأجل زيادة أجورها وتحسين ظروف معيشتها .

والواقع أن شهرة بارت بدأت تتكون خلال هذه الفترة بالذات، فلم يمض وقت طويل حتى أصبح معروفاً بمواقفه النقدية المتطرفة لكل من اللاهوت

الليبرالى Libral Theology والنظام الاجتماعى وهى مواقف بلغت درجة من الحدة خاصة بعدما وضح ارتباطه بنوع من التحالف مع اشتراكيي الجنوب الألمانى والاشتراكيين المسيحيين السويسريين الذين كانوا ينضوون تحت قيادة ليونارد راجاز Ragaz وهيرمان كوتر Kutter .

من الناحية الثانية كان اندلاع الحرب العالمية الأولى فى ١٩١٤ والمعاناة الرهيبة التى قاستها الشعوب. بمثابة الظرف الثانى الذى أحدث تغييراً جذرياً فى فكر بارت الديني. فقد صدمه أن يرى كثيراً من المثقفين الألمان ومن بينهم بعض أساتذته السابقين يقفون إلى جانب الحرب ويساندون أهدافها، وهو موقف أدى به على أى الأحوال إلى أن ينفض يديه مما كانوا يطلقون عليه المذاهب التفاؤلية، و«النزعات الإنسانية» و«الاتجاهات التقدمية» و«المعتقدات فوق الطبيعية» وكلها مما وصفه بأنه دنيوى أكثر منه دينى، أو حتى ذو اهتمامات دينية صادقة. ففى اعتقاد بارت أن هذه الاتجاهات والنزعات المتحررة التى ينطوى عليها اللاهوت الليبرالى لم تفعل أكثر من أنها كيفت المسيحية للثقافة الحديثة، وما الحرب العالمية الأولى إلا عرض -على الأقل فى بعض جوانبها- لما أصبح يعيشه الإنسان من اغتراب دينى غير مقدس . ولذلك نجده وقد آمن بأن علم اللاهوت المسيحى فى حاجة إلى ما وصفه بأنه (عملية جراحية) تستلزم وجود نقطة- انطلاق جديدة. وهو ما ضمنه على أى الأحوال مؤلفه «رسالة إلى الرومان» Der Romerbrief الذى نشره فى عام ١٩١٩ .

فى هذا الكتاب الذى ترجم إلى الإنجليزية فى ١٩٣٣، وأعيدت طباعته ست مرات متتابعة أكد كارل بارت على عدم الاتصال بين رسالة المسيحية والعالم، كما أبرز حقيقة أن «الله» هو الكل الآخر، وأنه يُعرف فقط بتجسداته وتكشفاته كما أنه ليس حامل ثقافة أو رسول ثقافة، ولكنه حاكمها وقاضيها.

والواقع أن الكتاب كان صدمة عنيفة لقناعة ورضا علماء اللاهوت فى العشرينات، إذ مثل هجوماً عنيفاً على كل الفرضيات والمسلمات المسبقة التى انطوت عليها البروتستانتية الليبرالية فى القرن التاسع عشر. ومن هنا فقد كان

بمثابة فحص جديد للكتاب المقدس وللفكر اللاهوتى أجراه فى ضوء الدراسة الشاملة لرواد الإصلاح الدينى منذ القرن السادس عشر، وبخاصة تعاليم كالفن Calvin (١٥٠٩ -١٥٦٤) وفكر كيركجارد Kierkegaard (١٨١٣ - ١٨٥٥) مؤسس الوجودية الدانيماركية وروايات وأعمال دوستويفسكى Dostoevsky (١٨٢١-١٨٨١).

والمهم هو أن الضجة التى أثارها نشر هذا الكتاب نجحت فى أن تجعل بارث الشاب الذى لم يحصل على درجة الدكتوراه محط أنظار علماء اللاهوت الأكاديميين، ونتيجة لذلك فقد عين أستاذاً للاهوت فى جامعة جوتنجن فى ١٩٢١ وجامعة مونستر Munster فى ١٩٢٥ وبون Boon فى ١٩٣٠ .

كذلك كان من نتائج نشر «رسالة إلى الرومان» أن تكونت المدرسة الديالكتيكيةDialectical School من إدوارد زيرنيسن Thurneysen ورودلف بولتمان Bultmann وفردريك جوجارتن Gogarten و أميل برونر Brunner وجورج ميرز Merz وغيرهم من علماء اللاهوت الذين كان لهم أبعد الأثر فى الفكر البروتستانتى . ذلك بالإضافة إلى إنشائه الدورية المعروفة باسم «بين العصور» Zwischen den Zeiten. وبالرغم من أن الاختلافات بدأت تظهر بين أعضاء هذه المدرسة فإن فترة السنوات ما بين ١٩٢١ و١٩٣٥ كانت بمثابة فترة حاسمة فى تطور بارث الفكرى لدرجة يمكن القول بأنها أرست أسس أعماله الفلسفية والعلمية الضخمة. وبخاصة بعد تلك المناقشات الحامية التى خاضها مع أدولف فون هارناك Harnack والتى أعلن فيها عن رأيه بأن ثيولوجيا هارناك العلمية ليست سوى مقدمة فحسب لعلم اللاهوت الحقيقى ورسالته التى تتوحد مع الدعوة والوعظ والإرشاد .

ولكن مع صعود هتلر إلى قمة السلطة بدأ بارث يلج تجربة جديدة قاسية نتيجة تعرض المسيحية الألمانية للاضطهاد الذى مثل أزمة طاحنة اضطر معها إلى أن يهرب من ألمانيا باعتباره أحد القادة الذين تزعموا مقاومة الكنيسة للحكم النازي. والواقع أن بارث كان منذ البداية أحد الخصوم العنيدين للاشتراكية الوضعية National Socialism وللحزب المسيحى الألمانى الذى كان يعمل من خلال الكنيسة البروتستانتية الألمانية . ولكن هذه الخصومة اتخذت شكلاً عنيفاً حاداً

عندما أقدم على نشر كتيبه « وضعية اللاهوت اليوم» Theologische Existenz heute وهو الكتيب الأول ضمن سلسلة من الكتابات تحمل هذا الاسم، حيث مضى يوضح القضايا اللاهوتية الرئيسية ويثير رجال الكنيسة ويحرضهم على المقاومة. ثم كون بالاشتراك مع مارن نيمولر Niemoller الذى يعتبر من كبار اللاهوتيين المعارضين للنازية المجمع الكنسى المعروف باسم سنودس (مجمع) بارمنSynod of Barmen (مايو ١٩٣٤) الذى تبنى إعلان بارمن Barmen Declaration الذى أصبح أساساً «للاعتراف» الذى تأخذ به الكنيسة الإيفانجيليكية (البروتستانتية) فى ألمانيا، معارضاً بذلك الكنيسة القائمة المهادنة للاشتراكية الوطنية، وتلخص المادة الأولى فى هذا الإعلان موقف بارت اللاهوتى أفضل تلخيص، وهى تقول «المسيح عيسى، كما ظهر لنا فى الإنجيل المقدس هو كلمة الله التى يتوجب علينا سماعها، والتى يتعين علينا أن نصدقها ونطيعها ونتبعها فى الحياة والممات» .

وإذا كان هذا الموقف كافياً وحده لأن يفجر الأزمة بين كارل بارت والنازية والكنيسة على السواء، فقد وصل الأمر إلى خط (اللارجعة) عندما رفض التوقيع على القسم الذى فرضه هتلر Hitler على أساتذة الجامعة كى يضمن ولاءهم المطلق غير المشروط .

كل هذا كان كفيلاً بعزل بارت من كرسى الأستاذية الذى يشغله فى جامعة بون واضطره لأن ينزح إلى سويسرا ويقبل كرسى أستاذ العقيدة فى جامعة بازل، وهو العمل الذى ظل يمارسه من ١٩٣٥ إلى ١٩٦٢ وهو العام الذى تقاعد فيه، وإن بقى مع ذلك يمارس تأثيراً متزايداً من خلال تدريسه وأحاديثه الإذاعية وكتاباته التى كانت تجد أصداءها فى دائرة كبيرة من المثقفين فى مختلف أنحاء العالم . حتى أنه أصبح يمثل بؤرة المقاومة المسيحية ضد النظام النازى وأيديولوجيته وبخاصة بعدما أخذ يوجه العديد من الرسائل والخطابات المقترحة لبريطانيا وفرنسا وأمريكا .

عمله الضخم فى هذه الفترة كان مؤلفه « المبادئ أو التعاليم الكنسية» Kirch-liche Dogmatick الذى شرع فى استكماله وهو فى بازل بعد أن كان بدأه وهو فى

جامعة بون، وبالرغم أن من بارت لم يستطع الانتهاء من هذا العمل فقد أنجز منه أربعة مجلدات اشتملت على ١٣ جزءاً جاءت فى أكثر من ٩ آلاف صفحة . وهو عبارة عن عمل موسوعى ملىء بالمواقف والنظريات الثاقبة، وغنى بمادته التاريخية والفلسفية وبتفسيره للمبادئ والتعاليم، ويعتبر فى رأى كثير من البروتستانت ودارسى الكاثوليكية الرومانية أضخم الأعمال الكلاسيكية اللاهوتية التى تمت خلال هذا القرن .

ومع أن بارت طوَّر فى هذا العمل الكثير من أفكاره السابقة وعدل بعض القضايا التى كان قد قالها فى سنوات حياته الفكرية المبكرة فقد ظل - كما هو الحال فى كل كتاباته - مرتبطاً بقضيته المحورية القائلة بأن الدعوة والإرشاد سيظلان أبداً الشغل الشاغل لعالم اللاهوت الحقيقى الذى يجب أن يكرس «كل لحظات الأسبوع من الأحد إلى الأحد» لإعلاء كلمة الله. شغله الشاغل ارتياد العالم الذى تم الكشف عنه فى الإنجيل والذى لا يوجد فيه مكان لنظرات أو لمواقف التأمل الداخلية التى تسود الديانات غير المسيحية ؛ فالدين -كما يراه- هو محاولة البشرية للتطلع إلى الله . وهو ما عبر عنه على أى الأحوال فى مؤلفه « إنسانية الله» Die Menschlichkeit Gottes الذى نشر فى ١٩٥٧ وتمت ترجمته إلى الإنجليزية فى ١٩٦١ .

وأياً كان الأمر فإن مواقف كارل بارت اللاتوفيقية على الرغم من أنها كانت بمثابة قوة دافقة لمقاومة سلطة النازي، فقد كانت فى الوقت نفسه عرضة لغير قليل من الانتقاد، وبخاصة فى السنوات الأخيرة من حياته . فبالرغم من أنه أنكر أى مظهرمن مظاهر القداسة للإنسان (أياً كان هذا الإنسان) فقد رآه البعض سلبياً أكثر مما يجب فى تقديره للجنس البشرى وفهمه لقدراته . كما بدا فى ذات الوقت ضيق الأفق عندما حصر (الكشف) فى الإنجيل وفى التراث الإنجيلى واستبعد بذلك الديانات غير المسيحية، علاوة على ما يراه البعض الآخر من أنه أثار بمواقفه الدينية الفكرية المتطرفة الكثير من المشكلات التى أصبح يعج بها الفكر الدينى المعاصر، وبخاصة فى مجال علاقة الإيمان بالعقل وعلاقة الدين بالعلم والثقافة .

● قراءات مقترحة ●

Works : Dogmatics in Outline (Dogmatik in Grundriss. 1947).

: Protestant Theology in the Nineteenth Century. (Die Protestantische Theologie) , 1952.

● وأنظر أيضاً :

- Andrews, J.F. Comp.; Karl Barth. 1969.
- Bowden, J.S.; Karl Barth. 1971.
- Busch, Eberhard; Karl Barth, 1976.
- Hartwel Herbert.; The Theology of Karl Barth : An Introduction. 1960.
- Kung, Haus; Justification : The Doctrine of Karl Barth . and a Catholic Reflection. Trans by T. Collins (et al) . 1964.
- Oden , Thomas C., The Promise of Barth : The Ethics of Freedom, 1969.
- Torrance, T.P, Karl Barth (An Introduction to his Early Theology (1910-1931) 1962.
- Von Balthasar, Hans; The Theology of Karl Barth. tran By J. Durry . 1972.

* * *

١٢ - بارت، رولان جيرار (١٩١٥ - ١٩٨٠)

12 - BARTHES, Roland Gérard

هل يكفى ونحن فى معرض الحديث عنه القول بأن كتاباته طوفت بآفاق كل من الأدب والفن والفلسفة والاجتماع والتربية فى آن، وأنها امتدت بذلك إلى كل جوانب الظاهرة الثقافية، إذ كتب -على سبيل المثال - فى التاريخ وفى وظائف الأدب، مثلما كتب عن الدعاية والإعلان وعن موضة النساء، وعن الزهور والحدائق والتغذية.

قد يكون بمقدورنا القول بأن هذا صحيح، ولكن الأهم منه هو حقيقة أن اهتمامه الأساسى كان يدور حول الظاهرة الثقافية باعتبارها أنساقاً لغوية. فهذه كانت قضيته الرئيسية التى جعلته يحتل تلك المكانة المرموقة كواحد من المفكرين البنائيين على الرغم من صعوبة التسليم بأنه كان (بنائيا) بالمعنى الدقيق للمفهوم .

ولد رولان بارت فى الثانى عشر من شهر نوفمبر عام ١٩١٥ فى شيربورج Cherbourg بفرنسا، وتوفى فى السادس والعشرين من شهر مارس عام ١٩٨٠ فى باريس قبل أن يكمل عامه الخامس والستين، ومع أنه يعتبر من أكثر المثقفين الفرنسيين المعاصرين تأثيراً فى الفكر الفرنسى، فقد أضاف بإسهاماته القيمة إلى (السميوطيقا) Semiotics أى الدراسة الشكلية للإشارات والرموز لدرجة أن الكوليج دو فرانس قد أنشأت له خصيصاً أول كرسى لآداب السميولوجى (علم الإشارات) تكريماً له واعترافاً بمكانته فى الثقافة الفرنسية .

بعد أن أكمل دراسته الثانوية التحق بارت بجامعة باريس . ولكنه أصيب فى عام ١٩٣٣ بالسل الرئوى مما عطله عن السير فى الدراسة بطريقة منظمة حيث قضى بضع سنوات متنقلاً بين المستشفيات والمصحات، وبخاصة ما بين

عـامى ١٩٤٢ و١٩٤٧ . وإن كـان قـد نجح مع ذلك فى (مـواصلة) دراسـاته حـتى تخرج وتولى أعمال التدريس فى بعض المدارس .

ولقـد حصل بارت على درجة الدكـتوراه فى الآداب الكلاسـيكيـة عـام ١٩٣٩، وعلى درجة فى فقه اللغة Philologie عام ١٩٤٣، ومع أنه قام فى أواخـر الأربعينات وأوائل الخـمسينات بالتدريس فى جامعة الإسكندرية (١٩٥٠)، وقبل ذلك التدريس فى جامعة بوخارست فيما بين ١٩٤٨، ١٩٤٩، إلا أنه حصل على منحة من المركز القومى للبحث العلمى للقيام بأبحا ث فى علم المعاجم والعلامات والرموز خلال الفـترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٩، لم يقطعهـا إلا فى عـام ١٩٥٨ لزيارة الولايات المتحـدة الأمريكية، وكذلك الصين فى رحلة استغرقت بضعة أشهر، ليعين بعد ذلك فى عام ١٩٦٢ أستاذاً فى المدرسة التطبيقية للدراسات العليا Ecole Pratique du Hautes Études واستمر فى هذه الوظيفة حتى عام ١٩٧٦ حيث أصبح استاذاً لعلم العلامات فى الكوليج دو فرانس .

وعلى الرغم من أن أنه كـان يهـتم اهتـمـامـاً خـاصـاً بالأدب وبتـاريخ الأدب الفرنسى وأنه اشتهر كواحد من أكبر أعضاء جماعة النقد الأدبيين التى مثلت أكبر الحركات النقدية الحديثة فى فرنسا إبان هذه الفترة، فإن أعماله كانت تنتمى بوجه عام إلى التقليد أو التراث اللاوضعى Anti - Positivism واللاإمبريقى، حيث مضى يهاجم مواقف الوضعيين الذين (يتشدقون) بأن آراءهم وأفكارهم لا تصدر عن مـواقف إيديولوجيـة مسبقـة، محـاولين بذلك إبراء أنفسـهم من تهـمـة التوجـه الإيديولوجى وإن كانت الحقيقة على العكس من ذلك تؤكد أنه موقف هروبى ينبغى الكشف عما ينطوى عليه من زيف، وهو يحاول إضفاء طابع الظواهر الطبيعية على الظواهر التاريخية، الأمر الذى يمكن القول معه بأنه وجد منطلقاته الأساسية فى فكر مـاركس (بالرغم من أن الوضـعـيـة هـى بمعنى من المعـانى عـبـارة عن رد فـعل للماركسية بالذات) وكذلك فكر نيتشة Nietzsche وفردينان دو سوسير De Saussure وسيجموند فرويد Freud بالإضافة إلى وجودية سارتر وفينومنولوجية باشلار، وهو مزيج ثقافى هائل نجح بارت على أى الأحوال فى أن يتمثله ليفرز موقفه الفكرى من الثقافة ومن العالم .

وقد يكون من الصعب حقيقة اختزال رولان بارت الذى تغلغل فى كل الأوساط الأدبية والفكرية فى بضعة سطور، فهوقد نشر أكثر من خمسة عشر كتاباً بخلاف عدد هائل من المقالات والدراسات. ومع ذلك يمكن القول بأن هناك ثلاثة أوجه أو زوايا يمكن رصدها بل والتمييز بينها فى إنتاجه الفكرى وإن كانت تبدو فى النهاية متسقة مع تطور هذا الإنتاج .

أما الوجه الأول فيعكس اهتماماً مزدوجاً لبارت إن صح التعبير حيث انشغل -وهذا من ناحية- بتفنيد ونقد الانماط الجامدة التى رأى أنها تسيطرعلى الثقافة البرجوازية وتصبها فى قوالب. ومن الناحية الثانية، تركيزه على دراسة الثقافة باعتبارها شكلاً as from. وكلها اهتمامات يمكن رؤيتها فى مجموعة من كتبه ومؤلفاته وخاصة تلك التى شهدتها حياته الفكرية المبكرة .

كان كتابه الأول «الكتابة عند درجة الصفر» Le Degré Zero et de L'écriture الذى نشر فى ١٩٥٣ وهو فى الثامنة والثلاثين بعد أن كان قد نشره على شكل سلسلة من المقالات فى مجلة Combat عام ١٩٤٧، انعكاسا لاهتماماته بقضايا الأدب وتاريخ الأدب الفرنسى بالذات، حيث تضمن تحليلاً متعمقاً للكتابة البرجوازية ولعشوائية البناءات اللغوية وتعسفها، وقصد بذلك الكتابة الفرنسية التى رأى أنها آخذة فى التراجع والتهاوى مفسحة الطريق أمام العديد من الكتابات الأكثر حداثة والتى تصدر عن قدر من الالتزام الذى يربط الكاتب نفسه به. وهو مالم يعد متوافرا فى الكتابة البرجوازية. الأمر الذى يعنى فى النهاية تقريره لمدى مسئولية الكاتب أمام نفسه وأمام الآخرين بما يجعل الكتابة مؤشراً أو دليلاً على الانتماء سواء إلى الطبقة أو المجتمع أوالعصر وما قد يوجد به من إيديولوجيات، حيث تبدو عملية الكتابة نفسها والإنتاج الأدبى لأى كاتب أو أديب عملية متفردة ومتميزة إلى حد بعيد نتيجة لحساسية الكاتب أو الأديب واختياره لهذا الشكل بالذات (الكتابة) كانعكاس لقدرة ذاتية يلتقى عندها محور اللغة ومحور الأسلوب فيتحدد من ثم فى ضوئها طابع أدوات تعبيره كاللفظ واللهجة وشكل الصياغة التى يتميز بها عن الآخرين .

من الناحية الأخرى وضح أيضاً أهتمام رولان بارت بطبيعة العلاقة بين الكتابة والسير الذاتية على النحو الذى قدمه عام ١٩٥٤ بعنوان «ميشيليه بقلمه هو نفسه» Michelet Par Lui-Même حيث تحدث عن المؤرخ الفرنسى جول ميشيليه. ليؤكد بذلك على حقيقة وجود حديث خفى يقوم وراء الحديث الظاهر الأمر الذى يفرض بالتالى نوعاً معيناً من القراءة التى تستهدف الكشف عن النظام الذى يقول بأنه يقوم دائماً وراء ما يبدو من ظاهر الكتابة. وعلى أية حال فقد كان طبيعياً أن يعكس هذا الاهتمام بالكتابة البرجوازية اهتماماً مماثلاً بما يمكن أن يوصف بأنه الثقافة الجماهيرية كنتاج فرعى لهذه الكتابة التى تعبر فى الحقيقة عن ثقافة الطبقة.

ويعتبر الكثيرون أن كتابه الثانى «أساطير» Mythologies الذى صدر فى عام١٩٥٧ يمثل فى الوقت نفسه أكبر إسهاماته فى مجال محاولة إزالة الغموض الثقافى عن طريق نقده وتفنيده للأساطير التى يتعلق بها المجتمع ويسلم بها دون أن يكون هناك منطق أو أسباب معقولة تدفع لذلك، ويقول بارت نفسه فى مقدمته لهذا الكتاب «هذه الدراسات كتبت شهرياً على مدى عامين تقريباً من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٥٦.. كانت نقطة البداية فى هذا التفكير فى أغلب الأحيان إحساساً بالضيق إزاء الطابع الطبيعى الذى تضفيه كل من الصحافة والفن والرأى العام على الواقع .. فى حين أن هذا الواقع الذى نعيشه هو تاريخى تماما، وباختصار كنت أتألم عندما أرى فى كل لحظة مدى الخلط بين الطبيعى والتاريخى عند الحديث عن حاضرنا.. إن كل شىء فى حياتنا اليومية إنما يرجع إلى تصور البرجوازية لعلاقة الإنسان بالعالم. فنحن نعيش القوانين البرجوازية وكأنها قوانين بديهية لنظام طبيعى.....».

بعد ذلك صدر كتابه «مقالات نقدية» Essais Critiques فى عام ١٩٦٤، وهو العام نفسه الذى ظهر فيه أيضاً كتابه « برج إيفل» La Tour Eiffel، ومن بعدهما «مبادئ أو عناصر السيميولوجيا » Eléments de Semiologie الذى نشر فى أواخر ١٩٦٥، ثم «نقد وحقيقة» Critique et Varité فى عام ١٩٦٦ .

فى الكتاب الأول «مقالات نقدية» ظهر اهتمام بارت بالقضية المسرحية

بعامة وبمسرح برتولد برخت Brecht بخاصة، ولكن من خلال فكر «علامي» عبر عنه فى ثمانى مقالات خاصة بالعلامة المسرحية وتحدث فيها عن برخت وبلزاك Balzac وبودلير Baudelaire والمأساة الإغريقية . ومع ذلك فإن كتابه عن «راسين» Sur Racine الذى كان قد أصدره فى عام ١٩٦٣ يعتبر فى الحقيقة من أهم مؤلفاته فى هذا الاتجاه . ففى هذا الكتاب سعى بارت إلى تحليل عالم راسين المأساوى تحليلاً بنيوياً يكشف عن مستوى التكنيك والقواعد والطقوس والخلفيات الاجتماعية التى يتحرك من خلالها مسرحه . وربما لزم التنويه هنا إلى أن هذا الكتاب كان بمثابة بداية حرب شعواء أثارها أنصار المدرسةالقديمة فى النقد ضد بارت وعلى قمتهم ر. بيكار الذى رد فى عام ١٩٦٦ على كتأب بارت بكتاب صغير عنوانه « نقد جديد أم خدعة جديدة » كان سبباً مباشراً ليصدر بارت كتابه « نقد وحقيقة» الذى أشرنا إليه، وتحدث فيه عن النقد الجديد عامة وعمليتى القراءة والكتابة خاصة، وحدد من خلال هذا مفهومه الخاص للأدب والعمل الأدبى والدور الذى يلعبه الرمز والرؤية الرمزية فى هذا المجال .

وعلى آية حال فإن عمله الأول ولو أنه قد عكس بوضوح مدى تأثره بكل من سارتر وبرخت فإن هدفه الجوهرى كان ولا شك دراسته رموز واتجاهات الثقافة البرجوازية وانتقادها على النحو الذى ظهر فى « اساطير» الذى اعتبر وصفاً لمظاهر المغالاة فى المجتمع الفرنسى البرجوازى، ومحاولة لإزالة ما أطلق عليه البعض الغموض الثقافى الذى تتفشى فيه الأوهام والعادات والخرافات التى يسلم بها المجتمع حتى دون التفكير فى معناها الذى (تفننت) أجهزة الإعلام والدعاية والإعلان والصور والرموز وما إلى ذلك من وسائل التعبير اللفظى التى تعتمد أساسا على الإشارة والرمز فى إخفاء مضامينها الحقيقية اعتمادا على ما تمتلكه من قدرات على الافتعال والتصنيع . فكأنها إذن عملية «فضح» لميكانيزمات الخداع والتمويه عن طريق إثارة شكوك الناس وحفزهم لأن يناقشوا ولأن يتعرفوا ويفسروا بدلا من الاستسلام والتقبل .

أما الوجه الثانى لكتابات رولان بارت فيمثل ما يمكن وصفه بأنه الوجه

السميوطيقى Semiotic الذى بدأ مع قراءاته لأعمال فردينان دوسوسير Saussure الذى يعتبر أول من استخدم كلمة سيميولوجيا Sémiologie والذى اشتهر باقتراحه أن يقوم علم بهذا الاسم يعنى بدراسة أنساق الإشارات (العلامات) ومعانيها، وهو اقتراح أخذ حيزاً كبيراً من كتابه الشهير «دروس فى علم اللغويات العام» Course de Linguistique Générale الذى صدر فى ١٩١٥.

هذا الاهتمام من جانب بارت بكتابات دوسوسير وإن كان قد ظهر فى عدد كبير من مقالاته حتى تلك التى ظهرت فى مرحلة مبكرة والتى كان ينشرها فى مجلة Combat وفى Tel Quel والأدب الجديد des Lettres nouvelles ومثال ذلك مقالته « تصور العلامات» ومقاله « النشاط البنيوي» اللتان نشرتا فى ٦٢، ١٩٦٣، فإن الملاحظ على أى الأحوال أن قراءته دوسوسير كانت بمثابة نقطة تحول تمثلت فى اهتمامه باللغة، ذلك الاهتمام الذى كان بمثابة حجر الزاوية أو نقطة الانطلاق فى موقفه البنائى. ومع ذلك فربما كان أفضل تعبير عن هذه المرحلة كتابه «عناصر علم الإشارات» Élements de Sémiologie الذى نشر فى أواخر عام ١٩٦٥ . بل وقد اعتمد اعتماداً كبيراً على هذا العلم فى كتابه «أساطير» وكذلك كتابه «نظام الموضة» الذى تحدث فيه عن الموضة من خلال حديثه المستمر عن الأدب. فالموضة لا تعدو أن تكون تجربة إنسانية تتحول إلى تيارات واتجاهات تأخذ شكل الحوار والكلام ما بين الأطراف التى تهمها هذه العملية كالمصممين والرسامين والمستهلكين والتجار وأصحاب المحال... إلخ .

والمهم على أى الأحوال أن بارت فى هذه الفترة قد ركز بصفة أساسية على مصطلح «الاشارة» Signe أو العلامة، وهو المصطلح أو المفهوم الرئيسى عند دوسوسير ومن ثم كان ذلك بمثابة مدخله إلى التحليل اللغوى من خلال نظرية اللغة كنسق من العلامات أو الرموز، وهو الموقف ذاته الذى يظهر أيضاً فى (تواصل) Communication تلك الدراسة النظرية التى سعى فيها بارت إلى تطويع النموذج «السوسيري» لدراسة الظاهرة الثقافية وليس اللغة فحسب، كما يعتبر أيضاً كتابه «نظام الموضة» Systeme de La Mode (١٩٦٧) بمثابة تطبيق لمناهج

وأساليب التحليل السيميولوجى، واستخدامها فى مجموعة كاملة من مقالاته التى كتبها فى هذا المجال.

كذلك يظهر الوجه الثالث لفكر رولان بارت بداية من تلك الفترة التى أخذ يبتعد فيها عن سيميولوجية دو سوسير ليقيم ما يعرف (بنظريته فى النص) Theo-ry of the Text التى اعتبرها مجالاً للعب باللغة وبألفاظها وتعابيرها، حيث يعرف الكاتب المبدع Ecrivain لا الكاتب العادى كيف ينتقى الألفاظ وكيف يختارها، وهو ما عبر عنه بأن «النص» عبارة عن مهرجان للكلمات يولد نوعاً من المتعة الفائقة التى تشبه متعة العاشق عندما يهيم فى فيض من هوى معشوقته .

فكأن هناك إذن نوعين من (النص)، ذلك الذى يبدعه الكاتب الحقيقى وهو (النص) قابل لأن ينقل Le Scriptible أو تعاد كتابته أو حتى يجتره المرء لنفسه بما يثيره ذلك من «لذة» عندما يستشعر و (يفهم) المعانى والرموز الخفية الحقيقية التى تقوم وتختفى وراء ظاهر الألفاظ وظاهر سطور النص العادى ذلك الذى ينتجه الكاتب العادى غير المبدع، وهذا من الواضح أنه لا يثير متعة أو لذة وإنما الأغلب أن يكتفى القارئ بقراءته only read، أو هو ما يمكن قراءته على حد قوله Le Lisible.

وعلى الرغم من أن بارت يبدو هنا على غاية من الصعوبة والتعقيد سواء من حيث الأسلوب أوالتركيب اللغوى، وخاصة أن كتاباته التى تناولت هذه النظرية فى النص وأيضاً تطبيقاتها لا تزال جديدة على فهم الكثيرين حتى من بين المثقفين، فقد اعتبر بارت هذا التمييز فى النص تمييزاً جوهرياً عند التقييم، وهو موقف طوره على أى الاحوال فى مؤلفه «متعة النص» Le Plaisir du Texte الذى نشره عام ١٩٧٣ (ظهرت له ترجمة إنجليزية عام ١٩٧٥)، وذلك عن طريق استعارة الهيئة أو الجسم كنص واللغة كموضوع للرغبة والاستمتاع.

وقد يبدو هذا الكلام فى نظر البعض مليئاً بالغموض الذى يوقع فى غير قليل من الحيرة. ومع أن هذا صحيح فى جملته لدرجة أن وصف البعض هذا الكتاب بأنه كتاب محير وغير واضح فى كثير من المواضع، وهوما أقره بارت نفسه واعترف به، وخاصة أنه لم يعر مسألة الوضوح Clarté الاهتمام الواجب على الرغم

من أن الوضوح فى الفكرة أو فى الكتابة كان دائماً من أبرز السمات التى تميز الثقافة الفرنسية والعقلية الفرنسية عموماً ، فإن الشىء المهم هو أن معظم هذه الكتابات التى كتبها خلال السبعينات ومن بينها (متعة النص) والتى كتبها بارت بشكل متفرق أقرب ما يكون إلى الشذرات، قد مثلت بالنسبة إليه نوعاً من التراجع الواعى عما يراه مجالاً للسيطرة والقوة الخادعتين فى العلاقة بين الذات والموضوع وعادات وأساليب البلاغة وعلم البيان، والتى طالما لجأت إليها البرجوازية المتطلعة للإقناع كوسيلة للسيطرة على الآخرين من الطبقات الأدنى، فهو يميز الآن بين «الأيديولوجى» the ideological و«الجمالي» the aesthetic وبين لغة العلم التى تتعامل مع المعانى المحددة الراسخة الجامدة والتى تتوحد بالعلامة Sign ولغة الكتابة والنقد التى تهدف إلى التنثير والتشتيت، والإحلال والتغيير من طبيعة النظرة إلى كل ما هو مألوف ومعتاد .

وقد يزيد هذا الكلام المسألة كلها غموضاً على غموض؛ لأن معناه أن بارت يهدف بالنص أو بالعمل الأدبى العبقرى إلى أنه يعمل على تشتيت ذهن القارئ لا على تركيزه، وهنا يبدو وكأن لا غاية هناك من العمل، والغريب أن يذهب إلى أن العمل الجيد هو ما ليس له غاية، تكفى المتعة التى يشعرها القارئ وهو يقرأ النص، تلك هى غاية اللغة وغاية العمل الأدبى عموماً .

وربما كان كتابه «إمبراطورية العلامات» L'Empire des Signes الذى صدر فى عام ١٩٧٠ فى جينيف أفضل نموذج قدمه بارت على القراءة النصية textual reading، حيث عالج هنا الكثير من أحداث السلوك اليومى ومظاهر الثقافة كالطهى والاهتمام بالزينة والحدائق والزهور وأساليب تقديم الهدايا، وكلها مما اعتبره بلا آية أعماق حقيقية أو مستترة، وتكشف عن ثقافة تختلف كثيراً عن ثقافة الغرب المألوفة، ويشير بذلك إلى ثقافة اليابان التى يقول بأنها مليئة بالإشارات والعلامات والرموز الدالة Signifiant التى تستمد سحرها وطابعها الخاص المميز من عدم وجود مدلولات أو مضامين تسعى إلى إبرازها والدلالة عليها .

وإذا كان بارت قد ابتعد فى كتابه س/ز S/Z (١٩٧٠) ابتعاداً ملحوظاً عن

دوسوسير، فإننا نلتقى بالأمر نفسه فى مؤلفه «رولان بارت بقلم رولان بارت» Roland Barthes par Roland Barthes الذى ظهر فى ١٩٧٥، ويكاد يكون ترجمة لحياته أوسيرة ذاتية له على الرغم من موقفه الخاص من السير كعمل أدبى.

فى هذا الكتاب، وأيضاً فى كتابه «شذرات فى درس المحب» Fragments d'un Disours Amoureux (١٩٧٨) وهما نموذجان للكتابة (النصية) تكمن الدعوة ذاتها للاهتمام بالنص لذاته حتى وبصرف النظر عن وجود أوحتى محاولة التعرف على الكاتب أو المؤلف . الأدب يمثل عالماً لا متناهياً، أما النص فإنه يمثل لا نهائية اللغة، والمهم هو العلامة أو الرمز الذى تكمن الروح فى أعماقه، ويقول بارت فى هذا الكتاب «أننى أشعر بالسعادة والشقاء معاً فى وقت واحد برغم ما قد يبدو فى هذا القول من تناقض .... إننى أقبل الأمور بل وأجزم بها دون نظر أو اعتبار للصدق والكذب أو النجاح والفشل ..... إننى بعيد تماماً عن الغائية .... أعيش كيفما اتفق» .

ولقد كان طبيعياً أن تؤدى هذه الأفكار إلى كثير من المناقشات والاختلافات فى الرأى وخاصة أن حياته ذاتها كانت أشبه بها، فهى أقرب إلى التشتت والإحلال والتغيير تماماً كما كانت أفكاره وكتاباته موضوعاً لكل هذا، فنجده ينتقل من موضوع لموضوع آخر بل ومن جملة لجملة أخرى بكلمات قليلة، حتى أن مصطلح «السيميولوجيا» نفسه أخذ يستخدمه فى السبعينات بطريقة مغايرة ارتباطاً بالفن وبعلم الجمال ونظرياته وقاده ذلك إلى كثير من المناقشات النظرية المتعلقة بالرواية الجديدة Nouveau Roman أو «اللارواية» كما عبر عنها بعض الأدباء والمفكرين من أمثال آلان روب جرييه Robbe-Grillet وناتالى ساروت Sarraute على وجه الخصوص. ومع الستينات كانت الحركة البنائية التى شارك بارت مع غيره من كبار المفكرين الفرنسيين من أمثال كلود ليفى ستروس Levi-Strauss وميشيل فوكو Foucault وجاك لاكان Lacan قد تمكنت من إرساء قواعدها، وكان ذلك بدوره مثار مناقشات حادة فى دوائر المثقفين الفرنسيين جعلت بارت محوراً لهجومها وانتقاداتها وبخاصة من قبل الأكاديميين التقليديين .

وأيًّا كان الرأى فى رولان بارت وفى كتاباته ومؤلفاته، وأيًّا كانت المآخذ التى تؤخذ عليها فإن بارت الذى انتهت حياته (٢٦ مارس ١٩٨٠) بطريقة غريبة أيضاً أشبه بكتاباته متأثراً بجراحه إثر حادث سيارة دهمته في أحد شوارع الحى اللاتيني، سوف يظل أشبه بعلامة الاستفهام المعلقة. وحتى إن لم نجد جواباً شافياً فيكفى أنه أثر تأثيراً فائقاً فى كثير من المعاصرين من بينهم جاك دريدا نفسه، وج. كريستيفا وج. جينيه Genette وغيرهم، بل يكفى أنه ترك لنا (متعة) أن نحاول فهم كتاباته و(نصوصه).

● قراءات مقترحة●

- G. de Mallac and M.Eberbech; Barhtes . 1971.
- L. J. Calvet, Roland Barthes, Un Regard Politique sur le Signe. 1973.
- S. Heath; Vertige du déplacement . 1974.
- P. Thody; Roland Barthes: A Conservative Estimate. 1977.



١٣ - باسكوم، وليام راسل
13 - BASCOM, William Russell

يعتبر وليام راسل باسكوم واحداً من أبرز علماء الأنثروبولوجيا الذى يمكن القول بأنه قد شغلتهم موضوعات بذاتها، أو حتى موضوع واحد بعينه ظل محوراً لكتاباته ودراساته طوال حياته العلمية. فقد دارت معظم كتاباته ومؤلفاته إن لم يكن كلها تقريباً حول أفريقيا والفن الافريقى والثقافة الأفريقية عموما. وربما كان هذا التخصص هو الذى يسبغ عليه ذلك الطابع الخاص الذى تميز به والذى يجعل القارئ يكاد يستشعر (وجود) أفريقيا من خلال كتاباته .

ولد باسكوم فى الثالث والعشرين من شهر مايو عام ١٩١٢ فى برينستون بولاية آلينوى Illinois الأمريكية . وشغل أثناء حياته (توفى عام ١٩٨٨) العديد من المناصب والمراكز العلمية والعملية المرموقة. فقد تلقى تدريبه فى جامعة ويسكنسن Wisconsin ونورث وسترن North western التى حصل منها على درجة الدكتوراه فى عام ١٩٣٢ وعمل بها مديراً للدراسات الأفريقية (١٩٥٣ - ١٩٥٧) ورئيساً لقسم الأنثروبولوجيا (١٩٥٦ - ١٩٥٧) .ثم عين فى العام نفسه (١٩٥٧) أستاذاً للأنثروبولوجيا ومديراً لمتحف روبرت لوى Lowie بجامعة كاليفورنيا . كذلك شغل باسكوم عدداً من المناصب الرسمية فى أفريقيا الغربية فى الفترة من ١٩٤٣ - ١٩٤٦، كما عين باحثاً رئيسياً فى مركز بحوث فولبرايت Fulbright (١٩٥٠ - ١٩٥١) وشارك فى كثير من البعثات العلمية والدراسات الميدانية سواء فى أفريقيا أو فى غيرها، فقام بدراسة قبائل الكيووا Kiowa فى أوكلاهوما والجالا Gullah فى جورجيا وجنوب كارولينا والبنوبى Penope فى جزر كارولين وأيضاً فى كوبا Cuba. علاوة على عضويته للمعهد الأفريقى الدولى، ورئاسته لبعض الجمعيات الأنثروبولوجية وجمعيات الفنون الشعبية .

ولا شك فى أنه كان لهذا التكوين الأكاديمى والخبرة الميدانية والعلمية الواسعة آثارها التى وضحت فى كتاباته ومؤلفاته التى ميزته كثيراً عن غيره من الأنثروبولوجيين فى مجالات الدراسات الأفريقية بعامة. ولقد قدم باسكوم بداية من أواسط الخمسينات على وجه الخصوص عدداً من المؤلفات الرئيسية التى تعكس هذا الطابع المميز الذى يعتمد بصفة أساسية على المادة والمعلومات الأثنوجرافية التى جمعها أثناء رحلاته الميدانية .

فى عام ١٩٥٩ ظهر كتابه المشهور «الاستمرار والتغير فى الثقافات الأفريقية» Continuity and Change in African Cultures وبالرغم من أن هذا الكتاب قدمه بالاشتراك مع ميلفيل هرسكوفيتز Herskovits (١٨٩٥ - ١٩٦٣) فإنه يعتبر من وجهة نظر الكثيرين الأساس الحقيقى الذى بنى عليه باسكوم شهرته كأحد المتخصصين المبرزين فى الدراسات الأفريقية. والكتاب فى الحقيقة مجموعة من المقالات والدراسات التى كتبها لفيف من الخبراء الأنثروبولوجيين المتخصصين فى مختلف فروع العلم الاجتماعى بعامة، والتى تدور بصفة اساسية حول مشكلات التغير الاجتماعى والثقافى، بمعنى أنه دراسة شاملة للظواهر المتصلة بالاستمرار والتغير فى الثقافات الأفريقية وخاصة مع تزايد الاحتكاك بالثقافة الأوربية نتيجة للاستعمار ونتيجة للغزو الثقافي، وبتعبير آخر هو محاولة للإجابة على سؤال كبير عما إذا كان للتغيرات الطارئة على الانساق البنائية والثقافية الأفريقية تأثيرها فى استمرارية الثقافات الأفريقية بملامحها الأصيلة ومكوناتها التقليدية، أم أنها قضت على استمرارية هذه الانساق، أم أن فى هذه الأنساق ما يكفل لها الدوام والاستمرار، بل وإمكانات التطور والارتقاء .

الكتاب الذى يعتبر أهم كتبه على الإطلاق صدر بعد ذلك بعشر سنوات (١٩٦٩) بعنوان «الكهانة والعرافة والتنبؤ عند الإيفا : الصلة بين الآلهة والبشر فى غرب أفريقيا» : Ifa Divination: Communication Between Gods and Men in West Africa وقد درس فى هذا الكتاب نسق الكهانة والعرافة عند قبائل اليوروبا Yoruba (نيجيريا) فى ضوء دراسة ميدانية كان قد قام بها عام ١٩٣٨ ثم بعد ذلك فى

عامى ١٩٥٠، ١٩٥١ وأوضح بالتفصيل كيفية انتقال خصائص هذا النسق وأسراره بطريقة شفاهية عن طريق كهنة الإيفا Ifa Priests وعرافيهم، مما جعله يتحول إلى نوع من الممارسة أو الحرفة التى تقوم على ما يشبه نظام «التلمذة» الذى يتلقى فيه «الصبي» أسرار المهنة على أيدى «معلمه» صاحب الحرفة، ومع أنه قد ظهرت له خلال هذه الفترة (١٩٥٩ - ١٩٦٩) بعض الكتب والمؤلفات لعل أهمها «الفنون الأفريقية » African Arts (١٨٦٧) و « قبائل اليوربا فى جنوبى غرب نيجيريا The Yoruba of Southwestern Nigeria (١٩٦٩) و «الدور الاجتماعى للفرق الدينية عند اليوربا » The Sociological Role of The Yoruba cult -group . فإن كتابه «الكهانة والعرافة والتنبؤ عن الإيفا» سيظل مع ذلك العلامة المميزة لما قدمه وليام باسكوم على الرغم من مرور أكثر من ربع قرن من الزمان على صدوره .

الهدف الأساسى الذى عكف باسكوم على تحقيقه فى كل كتاباته هو إبراز مكونات الثقافة الأفريقية، ولهذا فقد ركز على دراسة الفنون الأفريقية منذ عصور ما قبل التاريخ إلى عصر الدول والممالك الأفريقية المعاصرة . كما اهتم ببحث خصائص التكوينات العرقية وتأثيرها فى هذه الثقافات ارتباطاً بالمناطق اللغوية المختلفة التى تتعدد فى القارة وتتشعب أصولها، وبالتالى التأثيرات المتبادلة بين هذا الكل المركب والتكوين الديموجرافى لسكانها وشعوبها فى محاولة للكشف عما إذا كانت عملية تبنى التجديدات السياسية قادرة على إحداث تغيرات جذرية فى أنماط هذه المجتمعات وفى ثقافتها وفنونها .

ويعتبر كتاب « الفنون الأفريقية» نموذجاً للاهتمام بموضوع الفن الأفريقى حيث أخذ يستقصى تاريخ الفنون الأفريقية ويتتبع أصول الأشكال الفنية المختلفة وأساليب التعبير الفنى للتعرف على وظيفة الفن الدينية والجمالية. ولقد ذهب باسكوم - على العكس من الاعتقاد السائد بأن هذه الفنون ترجع إلى الحقب المتأخرة من العصر الحجرى القديم - إلى أن الفنون الأفريقية، وبخاصة النقوش والصور الملونة التى رسمت على الصخور وحفرت فوق جدران الكهوف لم توجد قبل نهاية العصور الحجرية المتأخرة بعد انتهاء عصر البلستوسين مباشرة، وهى

الفترة التى انتشرت فيها هذه الفنون بشكل واسع وبخاصة فى شمال غرب أفريقيا وفى الصحراء الكبرى وفى جنوب غرب أفريقيا وفى جنوبها. الشىء الجوهرى بالنسبة إلى باسكوم هو أن هذه الفنون أياً كانت صور التعبير عنها والوسائل التى استخدمها الفنان الأفريقى كالأقنعة والتماثيل الصغيرة والأشكال الخشبية والصور الملونة والرسومات المحفورة، إنما تمثل فى النهاية سجلاً فريداً لحياة الشعوب والأجناس التى عاشت تلك الحقب السحيقة، وهو سجل يعطى صورة عن معتقداتها وأفكارها ومظاهر الحياة وموقف الإنسان الافريقى من الكون .

أما كتابة، «الكهانة والعرافة» فترجع أهميته فى نظر كثير من الكتاب إلى طبيعة الموضوع الذى يتناوله، وهو من الموضوعات التى نجحت فى جذب أعداد متزايدة من الباحثين والقراء على السواء، وذلك على اعتبار أن الإنسان منذ أقدم العصور أحب دائماً أن يحول تجربته الحياتية إلى أساطير وقصص شعبى وروايات (فولكلور)، وسواء اختزلت هذه الأنواع الفكرية الأدبية التجربة إلى ما تنطوى عليه من رمز وإيحاء، أو حتى عن طريق الصور المباشرة التى تحمل بدورها معانى واضحة ومباشرة، فقد أصبحت على أى الأحوال وسائل يعبر بها الإنسان عن كثير من مثله العليا، ومن هنا امتزاجها بمختلف العناصر الدينية والفلسفية والفنية، وتأخذ من ثمة هذه الأساطير والقصص والروايات التى تنتقل شفاهة عبر الأجيال طابعها الفريد المميز .

ولقد تناول باسكوم بالدراسة والتحليل نسق هذه الممارسات وما تتضمنه هذه النسق من طقوس وشعائر ورموز وإشارات، وكذلك الغايات التى تهدف إليها هذه الأنساق سواء أكانت أهدافاً خيرة أو شريرة، وبالتالى خصائص ومواصفات أولئك الذين «يمتلكون» حق ممارسة تلك القوي (غير المشخصة) والظروف التى يعترف فيها المجتمع بهذه الممارسات أو يرفضها، وبالتالى نبذ القائمين بها أو الاعتراف بهم وتقديرهم إن لم يكن تقديسهم فى كثير من الاحيان .

ويخلص وليام باسكوم من كل هذا إلى نتيجة أساسية، هى أن هذه الممارسات فى مثل تلك المجتمعات البسيطة ينظر إليها المجتمع نظرة مغايرة تماماً

لنظرة المجتمع المعاصر (ولو أن السحر والشعوذة والتنبؤ والعرافة والتنجيم كلها أمور تشيع فيه بل وتكاد تسيطر على عقلية قطاعات عريضة منه)، ولكنه يعتبرها على أى الأحوال وسائل (ناجحة) تساعده على السيطرة على المشكلات والتغلب على المخاوف والصعاب إن لم يكن التحكم فى هذه القوى المسيطرة والخارقة ذاتها وإخضاعها لإرادة الإنسان ورغباته، وهنا كما يذهب باسكوم نقطة التقاء بين هذه الممارسات جميعها من ناحية وبين الفن من ناحية ثانية، فهو يعتقد أن كلا من هذه وتلك يعتمد اعتماداً أساسياً على الخيال مثل اعتماده على الرمز، وهو ما اعتبره أدق خصائصهما معاً .

● قراءات مقترحة ●

Works : Bascom , W.R. and Waterman, R.A, African and New World Negro Folklore, in Funk and Wagnalls Dictionary of Folklore, Mythology and Legend. (ed.) .M. Leach.1949.

--; Social Status, Wealth and Individual Differences Among the Yoruba . American Anthropologist III , 1951.

--; The Principle of Seniority in the Social Structure of the Yoruba. American Anthropologist XLIV. 1942.

● وأنظر أيضاً :

- Fitzgerald, Walter; Africa, 1950.
- Huntingford, G.W.B., The Southern Nilo-Hamites: Ethnography Survey of Africa East Central Africa. 1953.
- Ottenberg, Simon and Phoebe; Cultures and Societies of Africa . 1960.

★ ★ ★

١٤ - باستيد، روجيه
14 - BASTIDE, Roger

بالرغم من أن عالم الاجتماع الفرنسى روجيه باستيد قد تربى فى ظل تقاليد المدرسة الفرنسية لعلم الاجتماع، وأنه تخصص مثل غالبية أعضاء هذه المدرسة وعلى رأسهم إميل درو كايم فى دراسة الظاهرة الدينية، بل وتأثرمع غيره من كتاب وعلماء العشرينات والثلاثينات من أمثال مالينو فسكى وجورج جيرفيتس Gurvitch بأفكار مارسيل موس Mauss (ابن أخت دوركايم) الذى يعتبر بدوره واحدا من أقطاب هذه المدرسة والأمين التقليدى على فكرها، إلا أنه درس الظاهرة الدينية من أكثر من زاوية، لا باعتبارها نظاماً اجتماعياً فحسب كما ذهب غالبية هؤلاء، ولكن أيضاً من حيث علاقة الدين ببعض الظواهر الأخرى فى المجتمع مثل السحر والأساطير التى تنتشر بصفة خاصة فى المجتمعات البدائية والبسيطة، بالإضافة إلى علاقته (الدين) بالعقل وبالعلم، وهى قضايا يهتم بها المجتمع الحديث، وذلك بهدف توضيح الأثر والتأثير المتبادلين بين النظم الدينية وغيرها من النظم الاجتماعية التى تشكل الكل الاجتماعى. وقد دفعه هذا إلى الاهتمام بفحص الأفكار الموضوعية والذاتية فى الدين والتى ترددت فى كتابات ونظريات كبار المفكرين وبخاصة روبرتسون سميث Robertson Smith الذى يعتبر مسئولاً إلى أبعد الحدود عن نظرية دور كايم فى الدين.

وبوجه عام يمكن القول بأن باستيد قد ارتبط بالمفهوم الشائع للدين كتفسير لعلاقة الإنسان بالكون وبالمحيطات من حوله، والممارسات والشعائر التى يستخدمها الإنسان فى هذه العلاقة. ومع أن قراءاته المتعمقة للتراث قد مهدت ولا شك الطريق أمامه لكى يبلور مواقفه الخاصة، فقد نزع فى معظم هذه المواقف إلى إبراز

الجـوانب السـيكولـوجـيـة للدين، مما باعـد بينه وبين الخط العـام الذى سـارت فـيـه المدرسـة الفـرنسـيـة، واعـتـمـد فـى ذلك على مـبـدأ الوحـدة السـيكولوجـيـة للجنس البـشـرى، وهو مـوقـف يتفق كثـيراً مع ما ذهـب إليه بعض كـبـار المفكرين، وبخـاصـة أندرو لانج Lang الذى يعتـبـر من أكبـر المهـاجـمين لنظرية دور كايم فى الـدين، حيث اعـتـبـره نزعـة فطرية خـالصـة مـؤكداً بذلك على أن «الله» إنما يتجلى للفـرد وليس للمجتمع .

هذا الموقف المبدئى الذى نجده عند باستيد يتسق كثيراً مع تفسيره للتطور الإنسـانى والمراحل التى مـر بهـا الفكر الاجـتـمـاعى، إن لم يكن منبـثـقـا عنه، وهى المشكلة التى شغلته كثيـراً وتعـرض لها فى كـتـابه الشـهـيـر « مـبـادئ علم الاجـتـمـاع الديني» Eléments de Sociologie Religieuse الذى صـدر فـى عـام ١٩٤٧، حـيـث ركـز باستيد هنا على مناقشة وضعيـة أوجيست كونت الذى وصفه بأنه جعل من علم الاجتماع تاريخاً للفكر الإنسانى وذلك عندما توصل إلى قانونه الشهيرباسم قانون الحـالات الثـلاث Loi de trois états وهـو القــانون الذى تصـور بـه كــونت أن الفكر الإنســانى ينتـقل مع تقـدم المجـتـمع وتطوره من المرحلةالغـيـبـيـة (اللاهوتيـة) إلى المرحلة الوضـعـيـة، مما يعنى أن تطور المجـتمع البشـرى أمـر يلازمـه ابتعـاد الإنسـان عن الدين، وهذا مـا رفضه باسـتيـد على أساس أنه لا يوجد من الشواهد أو الوقائع التاريخية ما يؤيده، فما زال الدين والتصورات الدينية وما تشتمل عليه من قواعد ومثل ومبادئ أخلاقية لها دورها الخطير فى المجتمعات المختلفة بصرف النظر عن تقدمها أو تأخرها .

وعلى العكس مما كان يذهب إليه كثير من علماء الاجتماع الذين جذبتهم آراء إميل دوركايم الـذى ذهب إلى أن الدين ظاهرة اجتمـاعية، وخلط بذلك بين الظاهرة الدينية والظـاهرة التاريخيـة، وبخاصة عندما قرر فى كتابه «الأشكال الأولية للحياة الدينيـة» Les Formes Elementaire de la Vie Religieuse (١٩١٢) أن الـديـن مـن صـنـع المجتمع، وأنه ينحصر فى عبادة المجتمع لنفسه، وأن كل ماهو دينى اجتماعى، نجد أن روجيه باسـتيد قد مضى يكشف عمـا فى ذلك من خلط وتداخل، فقـرر أن دور

كايم قد فشل فى إدراك أن الدين عاطفة فطرية لدى كل إنسان، ونتيجة لهذا فهو لم يميز بين ما هو دينى يتجسد فى الشعور الذاتى وبين ما هو اجتماعى، مما ترتب عليه إغفاله للجوانب الذاتية فى الدين نزولاً على اتجاهه العام الذى ينكر الظاهرة الفردية .

والواقع أن دور كايم تحت وطأة النظام الاجتماعى ونتيجة لأنه لم يضع خطاً فاصلاً بين ما هو ذاتى وما هو اجتماعى فى الدين، قد تجاهل حقيقة أن الدين قد بدأ نقياً خالصاً بعيداً عن تلك الطقوس والشعائر التى تغلفه والتى تحوله إلى شىء إستاتيكى، وكأنما يكفى الوقوف على ماهية الدين أن يتم ذلك من خلال دراسة مجموعة الطقوس والشعائر وبعض الأرقام والإحصاءات وما إلى ذلك مما يصيب الفطرة السليمة بغير قليل من التشويه .

كذلك وجه روجيه باستيد غير قليل من الانتقاد إلى تفسير دوركايم للدين الذى أقامه على النظرية التوتمية أو الديانة التوتمية التى اعتبرها أقدم الأديان. فالتوتم ليس إلا موضعاً للاحترام العائلى، وذلك على أساس أن أفراد الوحدة العائلية عشيرة كانت أو عائلة لا يكونون عشيرتهم أو عائلتهم على أساس صلة الدم وإنما على أساس اشتراكهم فى الاسم والرمز التوتمى اللذين يتمتعان بالاحترام والتقديس، وهو الأمر الذى ينهدم معه الركن الدينى فى الحقيقة، لأن التوتمية بذلك تكون أقرب وأكثر تعلقا بالنظام العائلى وهو نظام اجتماعى أياً كان نمطه أو نوعه، منه الدين. فالتوتمية بما أسبغه عليها دور كايم من عناصر القداسة وعنصر الجماعية اللذين اعتبرهما اساساً للدين، والممارسات الدينية ليست فى الواقع من الدين فى شىء، وهو موقف ربما وجدنا بذوره فى كتابات الأب شميدت Schmidt الذى انتقد دوركايم عندما أقام من التوتم إلهاً واعتبر التوتمية ديانة تؤله المجتمع، وهو ما نجده أيضاً فى كتابات موريس جينز برج Ginsberg التى انتقد فيها نظرية دور كايم فى الدين.

وبالرغم من أن هناك من يعتقد بأن الدراسات السيكولوجية للدين قد أصابها غير قليل من التراجع بعد تلك الإسهامات المبكرة لسيجموند فرويد

وبخاصة كتابه «التوتم والتابو» والمناقشات التى أثارها بعض أعضاء التحليل النفسى، فإن كتاب باستيد الثانى «علم الاجتماع والتحليل النفسي» الذى قدمه فى ١٩٥٠ والذى يعتبر فى الحقيقة امتداداً لكتابه الأول «مبادئ علم الاجتماع الديني»، قد اشتمل على مناقشة ممتعة للجوانب السيكولوجية فى الدين، من خلال ما يعكسه من علاقات بين علم الاجتماع وعلم النفس الفرويدى .

وكعادته فى تأصيل الأمور اهتم باستيد فى هذا الكتاب اهتماماً خاصاً بمناقشة الكثير من الرؤى والقضايا التى طرحها فكر السير جيمس فريزر Frazer وتايلورTylor وهوبير Hubert وموس أثناء معالجاتهم الظواهر السحرية، وتناولهم لطبيعة العلاقات بين الدين والعلم والسحر، وما انطوت عليه هذه المعالجات من مظاهر المغالطة والتسطيح .

ولا ينكر باستيد الكم الهائل من المعلومات والمادة والأمثلة الأثنوجرافية التى يمتلئ بها كتاب فريزر «الغصن الذهبي» Golden Bough الذى يعتبر أهم كتبه وأشهرها بما ينطوى عليه من موضوعات تتصل بأمور الدين والسحر والشعائر والفولكلور والأساطير، ومع ذلك فإنه لا يتردد فى أن يصف معالجة فريزر للدين والسحر بأنها معالجة سطحية لا عمق فيها، بل وتنطوى على غير قليل من الأحكام والتقارير الخاطئة وخاصة عندما يقرر فريزر أسبقية السحر على الدين، وكذلك بعض المشابهات بين منهج العلم ومنهج السحر.

وصحيح أن فريزر قد أقام تمييزات واضحة بين الدين والسحر فى مقدمتها أن الدين يقوم أساساً على الاعتقاد فى الكائنات الروحية أو الإلهية، بينما يتألف السحر من الأعمال والشعائر التى تتصل بالكائنات الأخرى. وهو فى هذا يتفق مع الاتجاه التطورى الذى ساد الفكر الاجتماعى (وغيره) فى القرن التاسع عشر .

ولكن الانتقاد الذى يوجهه باستيد ينصب على ادعاء فريزر بأسبقية السحر على الدين فى الزمن وتقريره بأن السحر هو الطريق الطبيعى التى سلكته البشرية للوصول إلى العلم مروراً بالدين، فما يؤكده باستيد أن فكرة الدين إنما هى فكرة قديمة قدم الإنسان نفسه، ويستخلص من ذلك كذب الافتراض الذى ارتبط به

التطوريون من أن الإنسان البدائى لم يعرف الدين الذى ربطوه بالأشكال الأكثر تقدماً فى الحضارة .

من الناحية الأخرى أنكر باستيد أيضاً المشابهات بين منهج العلم ومنهج السحر، وبالتالى تلك القوانين السحرية التى يقول بها هؤلاء لتفسيرهم الظواهر السحرية، ففى اعتقاده أن محاولة التقريب بين السحر والعلم من ناحية، وأنهما يتعارضان مع الدين من ناحية ثانية، مسألة لا تخلو من الخلط والادعاد، وخاصة من حيث القول بأن القوانين التى تقوم وراء السحر والعلم هى نتيجة حتمية لترابط الأفكار وتداعى المعانى، فليس هناك سوى شبه ضعيف جداً بين موضوع السحر وصورته مما يعنى أن السحر أمر تأويلى إلى أبعد الحدود .

بل إن هناك فى رأى باستيد اختلافاً جوهرياً بين العلم والسحر من حيث المنهج أيضاً. وكما يقول «فإن الخاصية الأولى للعلم هى روح النقد، ولم يولد العلم إلا عندما لجأ الباحثون إلى حكم العقل بدلاً من النقل » . على حين أن السحر هو على العكس من ذلك أسير للحدود التى تضعها التقاليد وتحددها بشكل تحكمى، علاوة على أنه لا يوجد أى شبه بين منطق العلم ومنطق السحر، حيث تؤكد الملاحظة الموضوعية الثاقبة أن مجال السحر ونطاقه يضيقان مع تزايد اتساع مجال العلم ونطاقه.

● قراءات مقترحة ●

Works: Le Candomblé de Bahia , 1958.

● وانظر أيضا:

- Frazer, J.G.; Magic and Religion . 1944.
- Norbeck, E., Religion in Primitive Society. 1961.
- Robertson, R., The Sociological Interpretation of Religion . 1970 .

★ ★ ★

١٥ - بودوين دوكورتنى، جان نيتشلو (١٨٤٥ - ١٩٢٩)

15 - BAUDOUIN, de Courtenay, Jan

هو العالم اللغوى البولندى جان نيتشلو بودوين دو كورتنى Jan Niecislaw Baudouin de Courtenay الذى ساعد كثيراً فى تطوير علم الأصوات أو علم الأصوات التركيبى Phonology كما يطلق عليه البعض، وهو العلم الذى يهتم بدراسة وظيفة الأصوات فى البناء اللغوى Linguistic Sturcture وما يقوم بينها من علاقات بمعنى النظام الصوتى Sound System .

ولد بودوين دوكورتنى فى ١٣ مارس عام ١٨٤٥ فى راتسمن Radzmin ببولاندا (الإمبراطورية الروسية وقتذاك) وتوفى وهو فى الرابعة والثمانين فى ٢٣ نوفمبر عام ١٩٢٩ فى وارسو Warsaw. ويمثل مكانة مرموقة بين علماء اللغة نتيجة لموقفه الخاص الذى نظر إلى أصوات اللغة Language Sounds على أنها ذاتيات أو كيانات بنائية Structural entities أكثر منها مجرد ظواهر فيزيقية وأسهم بذلك فى الجهود اللغوية الحديثة التى تهتم اهتماماً زائداً بالبناء اللغوى الأمر الذى انعكس بوجه خاص فى تفكير كثير من علماء اللغة البنائيين .

بدأت حياته العلمية الطويلة فى التدريس بجامعات أوربا الشرقية فى ١٨٧١ ووصل فى هذا الاتجاه إلى مرتبة الأستاذية من جامعة سان بترسبرج St. Petersburg التى أصبحت الآن جامعة لينتجراد، وأيضاً فى جامعة وارسو وذلك خلال الفترة من ١٩٠٠ إلى ١٩١٤ .

والواقع أن بودوين دوكورتنى لم يكن بعيداً عن الاتجاهات العامة التى سادت الدراسات اللغوية فى القرن التاسع عشر، من حيث إن البحث فى اللغة قد اتخذ طابعاً تاريخياً مميزاً، ومن حيث أيضاً أن أحد الأغراض الرئيسية لهذه الاتجاهات

كان يتمثل فى تجميع اللغات فيما يعرف بالفصائل أو العائلات اللغوية، وعزز من ذلك أنه كان متخصصاً فى اللغويات المقارنة Comparative Linguistics أو علم اللغة المقارن الذى يختص بدراسة مجموعة من اللغات التى تنتمى إلى فصيلة لغوية واحدة، بمعنى أنها ترجع جميعها إلى أصل واحد مشترك، وذلك بغرض أساسى هو إعادة بناء اللغات القديمة والكلاسيكية فى ضوء ما يتكشف من علاقات التشابه أو التغاير والاختلاف .

وليس من شك فى أن هذه الدراسات اللغوية التاريخية Historical or Dia-chronic التى اعتمدت أساساً على المنهج المقارن قد افادته كثيراً فى التعرف على التغيرات التى تطرأ على اللغة، وفى محاولة فهم الكيفية التى تمت بها هذه المتغيرات والأسباب التى ترجع إليها فى الزمان، أو بتعبير آخر، أفادت هذه الدراسات فى التعرف على الكيفية التى تتشعب بها اللغات الأصلية الأولى أو اللغات الأم إلى العديد من اللغات المستقلة، وهو ما شارك فيه فردينان دوسوسير نفسه وبخاصة فى كتاباته المبكرة مشاركة فعالة على اعتبار أنه يرجع إليه الفضل فى إطلاق مصطلح diachronic بمعنى تاريخى أو خلال الزمن أو تطورى. ولكن ما يعنينا على أى الأحوال بالنسبة إلى بودوين دوكورتنى أنه قد تحول من هذا التخصص إلى الاهتمام بدراسة المشكلات اللغوية العامة التى تطرأ على نظم الاصوات اللغوية وفى مقدمتها المشاكل التى تنتج عن الاختلاط اللغوى، أو التجاور اللغوى وبما يعرف عموماً بمشكلات التغير الصوتى Sound Change، بالإضافة إلى اهتمامه بلغة الطفل، وتلك المباحث التى تدور حول التعرف على آثار البناءات اللغوية على نظرة الإنسان إلى العالم .

وبالرغم من أننا لسنا هنا فى معرض الحديث تفصيلاً عن مظاهر هذا التغير الصوتى فربما كان أوضح الأمثلة على هذا التغير ما يعرف بالمماثلة- Assimilation والمخالفة Dissimilation باعتبارهما فى مقدمة الظواهر التى يتخذها التغير الصوتى. والمماثلة كما يراها اللغويون المحدثون هى مجاورة صوتان لغويان فيتبع الصوت الأول الصوت الثانى حتى تتحقق سهولة النطق بسبب التوافق

والانسجام الذى حدث بين الصوتين، أوقد يحدث العكس فيتبع الصوت الثانى الصوت الأول . على حين يقصد بالمخالفة قلب أحد الاصوات إلى صوت آخر يختلف عن الصوت المجاور له فى الكلمة، أى العملية التى يكون نطق أحد الأصوات فيها مخالفا لنطق الصوت المجاور، وكلها على أية حال مسائل شائكة دفعت العلماء إلى محاولة الوصول إلى نظرية عامة فى التغير الصوتى الذى اختلف البعض فى نظرتهم إليه ما إذا كانت التغيرات الصوتية مما يتوجب النظر إليها -لكى نفهمها - من خلال السياق أو الموقف التركيبى .

وربما كانت المشكلة الرئيسية التى واجهت بودوين دو كورتنى متضمنة فى ذلك الاختلاف الذى قسم العلماء فى نظراتهم إلى طبيعة هذا التغير الصوتى وميكانزماته حيث ذهب بعضهم إلى أن التغير الصوتى لا يكون بالضرورة تغيراً فونولوجيا أى متعلقا بعلم الاصوات التشكيلى أو التركيبى الذى يختلف عن علم الأصوات اللغوية الذى اعتقد أنه يهتم بدراسة أصوات الكلام بوجه عام، أى دون أن يهتم اهتماماً خاصاً بلغة معينة من اللغات، وإنما ينصب أساساً على البحث فى أقسام الأصوات ومقومات كل قسم منها وخصائصه الطبيعية والطرق التى ينطق بها الإنسان وكيفية إخراج الأصوات والعمليات الفسيولوجية التى تتم فى الجهاز النطقى والتى يقوم بها المتكلم من غير أن يربطها بوظيفتها اللغوية .

يتبلور هنا بالذات الإسهام الهائل الذى قدمه للتمييز بين الدراسة الفونولوجية وعلم الأصوات اللغوية أو ما يعرف بالفونتكس Phonetics من حيث إن الأولى تهتم بالنظام الصوتى بمعنى التركيز على توضيح الوظيفة التى تقوم بها الأصوات فى البناء اللغوى، وتوضيح طبيعة العلاقات التى تربط الأصوات بعضها ببعض لتبدو فى اخر الأمر كنظام أو نسق محدده دلالته، ومن هنا تلك التسمية التى تطلق أحيانا على علم الفونولوجى كعلم الأصوات الوظيفى أو علم الصوتيات .

والواقع أنه كان لبودوين دو كورتنى الفضل فى أنه قدم إلى هذا الفرع المتخصص مصطلح الفونيم Phoneme الذى قصد به ذلك الصوت الكلامى الذى يميز المعانى، ولعل أفضل مثال لذلك حرف b على سبيل المثال فى لفظ Bit الذى

يميزه عن الشكل Pit أو Fit أو Sit . فكأنما الفونيم هو إذن أصغر وحدة صوتية يسهل التمييز فى ضوئها بين معانى الكلمات، وهى صور ذهنية محدودة العدد على العكس من الألفونات Allphones التى هى الأصوات المنطوقة بالفعل أو التغيرات والتنوعات الصوتية التى لا يمكن حصر تشكيلاتها .

وأيًا كان الأمر فالمهم هو أن بودوين دو كورتنى قد عبر عن ذلك كله فى كتابه «مقال فى نظرية البديل الصوتي» Versuch eier Theorie Phonetislher Alternationen الذى قدمه فى عام ١٨٩٥ (ترجم إلى الإنجليزية بعنوان «مقالة فى نظرية الفونتكس» Essay on a Theory of Ponetic Alternation وهو الكتاب الذى أصبح بمثابة أحد الأسس الهامة فى اللغويات الحديثة.

وعلى الرغم من أنه كان يكتب باللغة الألمانية فقد أصبح معروفاً على نطاق واسع لقارئ الإنجليزية بعدما ترجمت معظم أعماله إلى هذه اللغة . وربما كان من أهمها مؤلفه : Anthology : The Beginnigs of Structural linguistics الذى ظهر فى ١٩٧٢ بعدما قام بترجمته إلى اللغة الإنجليزية إدوارد ستانكيفيش Stankiewicz .

★ ★ ★

١٦ - بيرد، تشارلز أوستن
16 - BEARD , Charles Austin

ترجع شهرة المؤرخ وعالم السياسة والاجتماع والاقتصاد الأمريكى تشارلز أوستن بيرد إلى تفسيره الاقتصادى لتطور المؤسسات والمنظمات الأمريكية، وهو التفسير الذى ركز فيه على ديناميات الصراع الاقتصادى والاجتماعى والعوامل المؤدية إلى التغير الاجتماعى، ذلك إلي جانب انتقاداته العنيفة التى وجهها إلى مختلف الدعاوى القائلة باليقين العلمى Scientific Certitude فى البحث الاجتماعي، وتحليله للعوامل الدافعية فى تأسيس المؤسسات والمنظمات الاقتصادية والاجتماعية.

ولقد ولد بيرد بالقرب من نايتس تاون Knightstown بولاية أنديانا الأمريكية فى شهر نوفمبر عام ١٨٧٤، وكان لظروف مولده ونشأته الأولى أبعد الأثر فى تحديد مساره العلمى والعملي، فهو ينتمى لأسرة ثرية تعتنق المبادئ الجمهورية وتتمسك بها، ومكنته هذه الوضعية من ولوج الحياة السياسية فى سن مبكرة نسبياً حيث عمل فى جريدة «لواء نايتس تاون» التى يمتلكها أبوه، وهو عمل ساعده على أن يتكشف فى نفسه ميلاً للسياسة والدبلوماسية، فقام وهو لا يزال طالباً فى جامعة دو باو De Pauw فى جرين كاسل بزيارة لشيكاغو التى تولدت فيها علاقاته الأولى المبكرة بالصناعة الأمريكية وبمظاهر الفاقة التى تعيشها الطبقة العاملة .

ولكن التغير الحقيقى الذى لحق تفكيره لم يحدث إلا بعد تخرجه فى دو بادو عام ١٨٩٨ والتحاقه بجامعة أكسفورد التى التقى فيها بمؤلف جون راسكين Ruskin (١٨١٩ - ١٩٠٠) Unto This last الذى كان قد نشر فى ١٨٦٢، وكان لأسلوبه المتوثب الجرىء ابعد الأثر فى النفوس، فقد كان راسكين بوصفه أحد الذين استهلموا

أفكارهم من العمل مع تشارلز كينجزلى Kingsley (١٨١٩ - ١٨٧٥) وغيره من المصلحين الاجتماعيين الذى دعوا فى الخمسينات من القرن الماضى إلى تشجيع حرف العصور الوسطى والإيمان بالغايات النبيلة، من أهم المفكرين الذين أزعجهم النظام الصناعى لدرجة أنه عبر عن ذلك بقوله « إن الصراخ المتصاعد من كل مدننا الصناعية والذى يعلو صخبه على ألسنة نيران أفرانها المتوهجة، ينطق بأننا نصنع كل شىء فيما عدا الإنسان». وتعتبر هذه الفقرة من راسكين بمثابة أساس من أسس تفكير بيرد وفلسفته التى أدان بها التقدم الآلى والآثار السلبية الناجمة عن الثورة الصناعية والتى مثلت فى الوقت نفسه نقداً عنيفاً للاقتصاد التقليدى ودعوة صريحة لمزيد من تدخل الدولة فى تسيير الصناعة والاقتصاد.

بل ويمكن القول بأن جهود بيرد فى ١٨٩٩ التى بذلها لإنشاء مدرسة عمالية فى أكسفورد كانت رد فعل مباشر لذلك التأثير، وإن كان من الممكن رؤية هذا التأثير بشكل أوضح فى مؤلفه «الثورة الصناعية» الذى ظهر فى ١٩٠١ بعد زواجه من مارى ريتر Ritter أثناء زيارة قصيرة لأمريكا وعودته إلى إنجلترا حيث ينطوى هذا الكتاب الذى أهداه للطبقة العاملة البريطانية على معارضة صريحة لمبدأ اقتصاديات السوق الحرة المفتوحة التى رأى فيها سبب معاناة هذه الطبقة وتخلفها.

فى عام ١٩٠٤ عاد بيرد إلى الولايات المتحدة الأمريكية وقام بتدريس العلوم السياسية فى جامعة كولومبيا . ولكنه فى هذه المرحلة خضع لبعض المؤثرات التى تدخلت بدورها فى تشكيل مواقفه الفكرية، لعل فى مقدمتها كتابات الحركة التقدمية التى كانت تركز وقتذاك على المسائل الاقتصادية والاجتماعية، وإن كانت التأثيرات التى خلفها كتاب سليجمان Seligman التفسير الاقتصادى للتاريخ (١٩٠٢) وكذلك كتابات جيمس ماديسون Madison عن جماعات المصلحة لا تقل أهمية عن ذلك حيث ساعدت على بلورة خطه الفكرى الذى التزم به فى التفسير التاريخى وهو ما عبر عنه أفضل تعبير فى كتابه «تفسير اقتصادى لدستور الولايات المتحدة» An Economic Interpretation of the Constitution of the United States وهو الكتاب الذى صدر فى عام ١٩٢٣ وأكد فيه على أن هذا الدستور قد تمت صياغته

تحت ضغوط جماعات المصلحة التى كانت دوافعها الاقتصادية دوافع قومية أكثر منها دوافع إقليمية، وكذلك فى كتابه «التاريخ الأمريكى المعاصر - ١٨٧٧/١٩١٤» Contemporary American History (١٩١٤) الذى قرر فيه «أن الباحث فى التطور السياسى والاجتماعى إنما يهتم اهتماماً بالغاً بتأثير التغيرات المادية على بناء المجتمع، بمعنى أنه يهتم بإعادة ترتيب الطبقات وظهور جماعات المصلحة النامية التى تظهر نتيجة لظهور أساليب ووسائل جديدة للتكسب وتكوين الثروات، والواقع أن ذلك التحول بالذات هو الذى يعبر عن طبيعة العلاقة بين الفرد والدولة، كما أنه هو الذى يؤدى إلى خلق قوى جديدة تناضل من أجل حيازة القوة السياسية» .

وبالرغم من أن رجال السياسة والاقتصاد الأمريكيين كانوا لا يخفون حنقهم واستياءهم من متضمنات المصالح المادية الغالبة التى ينطوى عليها الدستور والمؤسسات الاقتصادية عموما فقد لقى هذان الكتابان ترحيبا ملحوظاً من الأكاديميين، واعتبروا الكتاب الأول على وجه الخصوص دراسة جديدة ومبتكرة فى العوامل الدافعية التى تعمل فى داخل الجماعات والتكوينات السسيواقتصادية. وهو على أية حال نفس الاتجاه الذى ظهر فى كتابه «الأصول الاقتصادية للديمقراطية الجيفرسونية» The Economic Origins of Jeffersonian Democracy (١٩١٥) واهتم فيه بإبراز المحتوى الفلسفى للنضال السياسى .

غير أن حياة بيرد الأكاديمية تعرضت مع نهايات الحرب العالمية الأولى لبعض الهزات التى كانت لها آثارها فقد أقدمت جامعة كولومبيا على فصل عدد من أعضاء هيئة التدريس بتهمة عدم الولاء والتخريب، فما كان من بيرد إلا أن قدم استقالته من الجامعة فى ١٩١٧ احتجاجاً على هذه السياسة التى اعتبرها ماسة بكيان الجامعة واستقلالها. وبالرغم من أن استقالته من الجامعة لم تبعده كثيراً عن مزاولة نشاطه العلمى والأكاديمى نظراً لقيامه بدور هام فى إنشاء المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعى فى نيويورك فى ١٩١٩، فقد كانت وراء التغيير الذى لحق اتجاهاته وميوله الثقافية والتى أخذت تتجه فى السنوات التالية نحو معالجة بعض المشكلات التى بدأت تلح عليه وبخاصة مشكلة «المعرفة التاريخية» التى

تعتبر أخطر المشكلات التى شغلته أثناء الثلاثينات، بالإضافة إلى اهتمامه المتزايد بأوضاع السياسة الأمريكية الخارجية أثناء سنوات الحرب .

ولقد تصدى بيرد لمعالجة هذه المشكلات فى أكثر من كتاب واحد . فقد ظهر فى عام ١٩٢٣ كتابه « التاريخ المكتوب كعمل من أعمال الإيمان والإخلاص» وهو كتاب يتضمن نقداً لاذعاً لطبيعة المنهج العلمى الذى وصفه بالجمود والمحدودية، وذلك على اعتبار أن نظرتة للتاريخ كانت تعكس موقفاً براجماتيا ينبنى على اختيار المؤرخ للحقائق وترتيبها فى ضوء علاقتها بالفكر المعاصر، وهى القضية المحورية التى انعكست أيضاً فى كتابه «ظهور الحضارة الأمريكية » الذى صدر فى جزءين عام ١٩٢٧ .

ومع ذلك فإن عام ١٩٣٤ كان عاماً حاسماً فى حياة بيرد العلمية لأنه بدأ فى إصدار سلسلته المشهورة عن السياسة الخارجية للرئيس روزفلت Roosevelt فظهر كتابه «الباب المفتوح فى الوطن» The Open Door at Home (١٩٣٤) و«نظرية الشيطان فى الحرب» The Devil Theory of War (١٩٣٦) و«صناعة السياسة الخارجية الأمريكية فى الفترة من ١٩٣٢ - ١٩٤٠» American Foreign Policy in the Making (1932-1940) (١٩٤٦) و« الرئيس روزفلت والحرب القادمة» (١٩٤١) President Roosevelt and the Comming War (١٩٤٨). ومع أن بيرد قد سلك فى هذه المؤلفات نفس المنحى التاريخى التحليلى الذى ميز كتاباته، فإن جانباً من الباحثين يرون أن طبيعة الموضوعات،التى تناولتها كانت وراء التأثيرات السلبية التى بدأت شهرته تتعرض لها، حيث أخذت هذه الشهرة فى التراجع بعدما نشر هذه المؤلفات الأخيرة، و إن لم يكن معنى هذا أنها ألقيت فى دائرة النسيان، فما زال بيرد يعتبر حتى اليوم واحداً من أشهر المؤرخين الاجتماعيين الذى عرفهم القرن العشرون .



١٧ - بيكر، كارل لوتس (١٨٧٣ - ١٩٤٥)

17 - BECKER, Carl Lotus

يمثل كارل لوتس بيكر نموذجاً متميزاً بين المؤرخين الأمريكيين الذين اعتمدوا فى معظم كتاباتهم عن التاريخ الأمريكى على منهج خاص فى الكتابة التاريخية أقامه على تصوره الخاص لمسئولية المؤرخ من ناحية، وطبيعة المادة التى يتعين عليه أن يتناولها وكيفية هذا التناول من ناحية ثانية.

ولد بيكر فى ٧ سبتمبر ١٨٧٣ فى مقاطعة بلاك هوك Blackhawk بالقرب من واترلو Waterloo فى إيوا Iowa بالولايات المتحدة الأمريكية، وتوفى فى العاشر من إبريل ١٩٤٥ فى أيتاكا Itaca بنيويورك، وهو مؤرخ أمريكى حقق شهرته بسبب كتاباته فى التاريخ الأمريكى وأعماله التى قدمها عن عصر التنوير .

فى عام ١٨٩٣ التحق بيكر بجامعة ويسكنسن Wisconsin فى ماديسون Madison حيث درس على أيدى اثنين من أشهر علماء التاريخ هما تشارلز هود هاسكنز Haskins وفردريك جاكسون تيرنر Turner. ثم أتم جانباً من بحوثه ودراساته فى جامعة كولومبيا فى عام ١٨٩٨ حيث أتيح له أن يدرس تحت إشراف الأستاذ جيمس هارفى روبنسون Robinson وهى مرحلة ولئن كانت أثرت فى تكوينه العلمى ولا شك باعتبار أن اساتذته من كبار الأساتذة المرموقين، فقد مهدت له أيضاً أن يقف على المدخل التركيبى البراجماتى وهو المدخل الذى يطلق عليه «التاريخ الجديد» New History تمييزاً له عن المداخل التقليدية السائدة بين جمهرة المؤرخين .

على أى حال فقد كان لهذا التكوين أثره فى نشاطه العملى والأكاديمى حيث قام بالتدريس فى جامعة كانساس Kansas بولاية لورانس Lawrence فى الفترة من

١٩٠٢ إلى ١٩١٦ ثم فى جامعة كورنل Cornell (إيتاكا) فى نيويورك من ١٩١٧ حتى تقاعده فى عام ١٩٤١ .

ويبدو أن بيكر قد آثر منذ البداية أن يتخذ لنفسه موقفاً تتحدد به هويته العلمية. وهو موقف ارتبط بكل من النطاق الذى تدور فيه كتاباته التاريخية والمنطلقات التى ينطلق منها فى معالجته لموضوعاته، حيث دارت معظم كتاباته لا عن التاريخ الأمريكى فى عمومه ولكن الظواهر الأساسية التى يمكن القول بأنها ميزت هذا التاريخ وفى مقدمتها الثورة الأمريكية ذاتها . حتى أن البعض ذهب إلى القول بأن هذا الاتجاه بارتباطاته السياسية والاجتماعية هو الاتجاه الذى ظهرت فيه قدراته كمؤرخ متميز والذى أبدع فيه تأريخاً وتحليلاً على حد سواء .

ولا ينطوى هذا الكلام على شىء من المبالغة فى الحقيقة ففى عمله الموسوم «بدايات الشعب الأمريكي» The Begnnings of The American People وهو الكتاب الذى قدمه فى عام ١٩١٥. عمد بيكر إلى تطوير بعض مواقفه التى كان قد ضمنها رسالته للدكتوراه بخصوص الثورات الأمريكية حيث ذهب إلى أن هناك نوعين من الثورات لم يعكسا فحسب الواقع الاجتماعى والسياسى لأمريكا. ولكن الخلفية الأيديولوجية التى كانت تدور وراءها أو التى تمخضت هذه الثورات عنها .

النوع الأول من هذه الثورات يتمثل -فى تصوره- فى محاولة الوصول إلى الحكم الذاتى Self-Government ومن ثم فهى تنطوى على المبدأ الديمقراطى بأوسع ما يشتمل عليه هذا المصطلح من معان. أما النوع الثانى فيهتم بالمعارك الأيديولوجية وبالاصطراع الفكرى اللذين كان لهذا الحكم الذاتى أن يقوم عليهما من ناحية وأن يخوضهما ويناضل فى سبيل ترسيخ أيديولوجيته وتطويرها من الناحية الثانية .

والواقع أن وجهة النظر هذه ظهرت فى مؤلفين اثنين على الأقل من مؤلفات بيكر هما مؤلفه « فجر الثورة» The Eve of Revolution الذى ظهر فى ١٩١٨ و«إعلان الاستقلال» Declaration of Independence الذى ظهر فى ١٩٢٢. حيث اهتم فى هذين الكتابين بالتأصيل للمبدأ الديمقراطى وبإبراز العلاقة بين فلسفة الحقوق الطبيعية

التى ظهرت فى القرن الثامن عشر والثورة الأمريكية، وفلسفة الحقوق الطبيعية هى على أى الأحوال التى هيأت لحدوث كثير من التغيرات فى علاقة الفرد بالدولة، وجعلت من قضية «السيادة» وقضية الشرعية ومن أفكار المساواة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية محاور رئيسية لاهتمامها، وهى أفكار أثرت على أى الأحوال تأثيراً مباشراً «وبخاصة تلك التى قال بها جان جاك روسو» فى فكر كثير من المفكرين لما انطوت عليه من معان ثورية وغير تقليدية عندما جعلت الإنسان محوراً للكون ومركزاً له، وكان ذلك بمثابة أساس من الأسس التى أقامت عليها الكثير من الدول نظمها الديمقراطية.

ولكن فترة ما بين الحربين العظميين يبدو أنه كانت لها انعكاسات خاصة على تفكير بيكر من حيث إن الحرب عنت بالنسبه له الإطاحة بكل الأفكار والمبادئ التى ينبنى عليها المثال الديمقراطى، وحتى فكرة الحقوق الطبيعية ذاتها. اغتيال بمعنى آخر أقدم عليه الإنسان لكل المثاليات والتطلعات إلى الديمقراطية والحرية والمساواة ... الخ .

والمهم هو أن هذا الظرف (الحرب) كان نقطة البدء لنقده الفلسفى من ناحية ولمواقف المؤرخين والعلماء من الناحية الثانية. وهو نقد غلبت عليه الرؤية التشاؤمية، وانطبع بمشاعر الإحباط. وهو تحول برز خلال العشرينات على وجه الخصوص وعبر عنه فى تحديه السافر للمقولة التقليدية القائلة بسمو المنهج العلمى وبأفضليته فى الدراسة التاريخية. وهو موقف أفصح عنه فى مقالته الافتتاحية التى قدمها فى عام ١٩٣١ أمام الرابطة التاريخية الأمريكية American Historical Association تحت عنوان « كل إنسان مؤرخ ذاتى » Every man His Own Historian والتى نشرها فى ١٩٣٢. وإن كان قد عاد فطورها ونشرها فى شكل كتاب فى عام ١٩٣٥. وهو كتاب عالج فيه بيكر بشكل واضح ومركز حقيقة الكشف والتصور التاريخيين، وهو من الكتب القليلة التى أبرزت موقفاً مغايراً لما هو سائد بين عامة المؤرخين حيث ذهب إلى أن الحقائق المدركة أو التى يدركها المؤرخ أو حتى الباحث أو العالم أو الفيلسوف هى فى الأساس صور عقلية يتم تكوينها

(وخلقها) بواسطة الخبرة والتجربة التاريخية التى تتوافر للمؤوخ، وهذا معناه أنها مسألة ذاتية إلى أبعد الحدود حيث (ينخرط) المؤرخ فى عملية اختيار لمادته ومعلوماته.

ويعتبر كتابه الذى ظهر فى ١٩٣٢ باسم « مدينة القرن الثامن عشر السماوية» The Heavenly City of The Eighteenth Century أكبر إنجازاته، حيث لم يكتف بيكر فى هذا الكتاب بفحص أفكار الفلسفات المختلفة مثل الاعتقاد أو الإيمان بالتقدم والكمال الإنسانيين، وإنما ركز- أبعد من ذلك - على فحص وتحليل المبادئ والتعاليم الأساسية للمسيحية الأرثوذكسية وعلمانية عصر التنوير بأفكاره فى التقدم العلمى . وإن كان قد عاد أثناء فترة الحرب العالمية الثانية فأعاد صياغة الكثير من تصوراته وأفكاره التشاؤمية المبكرة ليجعل من هذه الصياغة محاولة يؤكد فيها مدى حاجة الإنسان إلى العودة للتمسك بالقيم الأخلاقية وبالمبادئ الانسانية، وبخاصة وهو يعرض لأحداث التاريخ. وهو موقف يغلفه التشاؤم الدفين ولا شك حتى على الرغم مما قد يبدو فيه من نزعة للتفاؤل. وربما كان ذلك بالذات هو سر ذلك الطابع الخاص الذى جعله مقروءاً على نطاق واسع حتى خارج الولايات المتحدة الأمريكية.

• قراءات مقترحة•

- Kammer, Michael.;(ed.); Where is the Good History? Selected Letters of Carl Becker. (1900-1945). 1973.
- Smith Charlotte W., Carl Becker : On History and the Climate of Opinion. 1936.
- Strout Cushing .; The Pragmatic Revolt in American History: Carl Becker and Charles Beard. 1978.
- Wilkins Burleigh.; Carl Becker : A Baiographical Study in American Intellectual Theory. 1961.



١٨ - بل، دانيال
18 - Bell , Danial

عندما ترك دانيال بل عمله الصحفى ليلتحق بالجامعة كأستاذ لعلم الاجتماع لم يكن الأمر بالنسبة له أكثر من مجرد نقلة فى المكان لأنه ظل يمارس مهنته الجديدة بنفس حسه الصحفى وعينه الناقدة وبنفس القدرة على تحسس المشكلات وتناولها وتحليلها.

ولقد ولد بل فى العاشر من شهر مايو فى نيويورك عام ١٩١٩، وتلقى تعليمه فى سيتى كوليج City College التى حصل منها على درجته العلمية الأولى عام ١٩٣٩ ليبدأ عمله الصحفى الذى استمر يمارسه لأكثر من عشرين عاماً عمل خلالها محرراً لمجلة الرائد الجديد The new Leader (١٩٤١ - ١٩٤٥) ثم محرراً عمالياً لمجلة فورشن Fortune (١٩٨٤ - ١٩٥٨) وهى فترة تميزت بكتاباته المنوعة فى مختلف الموضوعات والقضايا الاجتماعية والسياسية. وفى عام ١٩٥٦/١٩٥٧ انتقل إلى باريس حيث عمل رئيساً لبرنامج الندوات والسيمنارات الذى كان ينظمه مجلس الثقافة الحرة، وبدأ فى العام نفسه يستعد للحصول على درجة الدكتوراه التى نالها من جامعة كولومبيا فى عام ١٩٦٠، وكان ذلك بداية طريقه الأكاديمى الجديد فعين أستاذا لعلم الاجتماع بالجامعة نفسها (١٩٥٩ - ١٩٦٩) وهو العام نفسه الذى انتقل فيه إلى جامعة هارفارد أستاذاً لعلم الاجتماع . والمهم فى كل هذا هو أنه كان لعمله الصحفى أثره الواضح ليس فقط فى تحديد اتجاهاته الأكاديمية ولكن أيضاً فى تحديد نظرته للعلم الاجتماعى نفسه، وتصوره لدور علم الاجتماع فى التقدم الاجتماعى وهو تصور ينبثق من الإيمان بضرورة الاستعانة بالنظرية الاجتماعية فى معالجة ما يعتقد أنه التناقضات الجذرية التى تكمن فى بناء المجتمعات الغربية .

ولكن هذا الموقف ينطوى على أمرين على غاية من الأهمية . فمن ناحية هناك رؤيته الخاصة التى تكونت لديه فى ضوء خبرته العلمية والأكاديمية بصدد الدور الذى تلعبه الأيديولوجيا فى صياغة حياة الأفراد بل وتشكيل الوجود الإنسانى بأكمله، فالأيديولوجيا فى نظر بل تخفى دائماً أو على الأقل تغلف شيئاً ما، ولا تكون واضحة إلا عندما تظهر المصلحة الموضوعية التى تكمن وراء الفكرة. ومن الواضح هُنا مدى تأثر بل بفكرة نهاية عصر الأيديولوجيا التى تأصلت أساساً فى أوربا بتأثير هجوم رايمون آرون على الستالينية الذى تضمنه كتابه «أفيون المثقفين»، وكذلك كتابات كامى Camus وهى الكتابات التى انتشرت فى الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة كتابات دانيال بل وليبست Lipset على وجه الخصوص.

ثم هناك من الناحية الثانية طبيعة المشكلات التى توجدها هذه الانتماءات الأيديولوجية ذاتها وهى مشكلات اعتقد بل أنها تبلغ ذروة التشابك والتعقيد فى المجتمع الغربى المعاصر على وجه التحديد. وبالرغم من أن معظم كتابات دانيال بل كانت تدور بصفة أساسية حول المشكلات الاقتصادية والسياسية والظروف التى تتدخل بها القوى المختلفة فى تشكيل حياة الأفراد وفى عملية صياغة القرارات واتخاذها فإن الشىء المهم هو أن هذه الرؤية ذاتها التى نظر بها بل للانتماءات الأيديولوجية كانت بدورها منطوية على نوع من التبنى الأيديولوجى وهو ما تعكسه بوضوح بعض كتاباته الرئيسية على الأقل فى بعض مراحل تطوره الفكرى.

ويعتبر كتابه «نهاية الأيديولوجيا» The End of Ideology : On Exhaustion of Political Ideas in the Fifties (١٩٦٠) أفضل مثال على ذلك، فهو يكشف عن (التحولات) الفكرية والأيديولوجية التى خضع لها تفكيره وخاصة فى الخمسينات التى قام خلالها بكثير من المراجعات لمواقفه الفكرية وهى المراجعات التى انتهت برفضه لمختلف أشكال التنميط المذهبى التى تعكسها لفظة (Ism) التى تلتصق بالمقولات المذهبية التى تعبر عن هذه الأيديولوجية أو تلك، مثل الرأسمالية Capital (ism) والاشتراكية Social (ism) والنزعة الانسانية Human (ism) والشيوعية Commun (ism) إلى آخر تلك التوصيفات التى شاع استخدامها فى الثلاثينات والأربعينات

على وجـه الخـصـوص. وهى ثورة لم تكن على المسـتـوى النظرى فـحـسب، ولكن صـاحبـها تحوله عن «اليسـار» الذى ظل مـرتبطاً به لفتـرة طويلة، اعتبـر خلالها من أشد الاشتراكيين تطرفاً واندفاعاً .

ولقـد سـعى بل إلى بلورة هذا الموقف وتطويره فى ثلاثة كـتب على الأقل، ظهـرت فى الخمـسينات والستينات وبخاصة فى الخمـسينات التى اصطبغ فيـها المناخ السيـاسى فى أمـريكا بالاتجاهات الرجعية المرتبطة بالحرب البـاردة وظروف التضـخم والمشكلات الاقتصادية، وأول هذه الكتب هو كتابه «الاشتـراكية الماركسية فى أمـريكا» (١٩٥٢) وثانيـهـا كـتـابه «الحق الراديكالي» (١٩٦٣) وأخـيـراً « اصـلاح التعليم العام» (١٩٦٦) وهو كتاب حاز على جائزة بوردن Borden Award .

أمـا كتبه ومؤلفـاته الأخرى فقد مثلت رد فعل لظروف المجتمعات الصناعية المتقدمة التى كان يقصد بها المجتمعات الغـربية بعامة والمجتمع الأمريكى بخاصة، ففى عام ١٩٧٣ ظهر كتابه «بزوغ مـجتمـع مـا بعد التصنيع» The Coming of Post Industrial Society وقـصـد بذلك نموذجـاً مـتـمـيـزا من المجـتـمـعـات التى تخـتلف عن المجتمع الصناعى الذى نعـرفه حـالياً حيث يتميـز بـالآلية والوفـرة وبأنماط وأشكال جديدة من الصراعات الاجتماعية. ففى تصوره أنه يمكن الانتقال (واقعياً) إلى مثل هذا المجتمع مثلما تم الانتقال من المجتمع الزراعى إلى المجتمع الصناعى فى القرن التاسع عشـر. وقد سعى فى هذا الكتاب إلى تحديد العـلاقات المتشابكة بين العلم والتكنوولجيا والرأسمالية، كما أكد على الأهمية البالغة للمعـرفة النظرية فى نظام الانتـاج والتـحـول من اقـتـصـاد المصنع إلى إقـتـصـاد الخـدمـات، وأبرز فى ذلك الشخصية التاريخية لمثل هذا المجتمع وإمكاناته .

ولقـد صـدر كتـابه الثـانى فى الاتجـاه نفـسـه عـام ١٩٧٦ باسم «التـناقـضـات الثقافية فى الرأسمالية» والكتابان معاً يعتبران بمثابة مدخل للكتاب الهام الثالث فى ذات الاتجاه، والذى نشـر فى ١٩٨٠ تحت عنوان مـثيـر وغريب هو «الممـر الملتوى » The Winding Passage وهو عبارة عن دراسة تحليلية نقدية للإنسـان اللامنتمى الذى يعيش كل صنوف الاغتـراب فى المجتمع المعاصـر، وإن كان من المهم مع ذلك القول

بأن هذا الكتاب إنما يمثل دراسة تأصيلية لهذا المفهوم الذى يرجع أساساً إلى كارل ماركس وهو ما لا يظهر بشكل واضح فى تناول الكتاب المحدثين الذين وقفوا بالمفهوم عند ماكس فيبر و توكوفيل، وابتعدوا بذلك عن المعنى الذى كان يرمى إليه ماركس،وفى هذا يذهب إلى أن هؤلاء الكتاب أصبحوا يرون فى فكرة الاغتراب نوعاً من النقد الراديكالى للمجتمع المعاصر أكثر منه ذلك التحليل العميق للطبقة، وهذا لا يشير إلى ماركس فى شىء حيث ركز على إبراز أهمية التحليل لعلاقات الملكية فى ظل الرأسمالية، وأهمية فلسفة التاريخ. وكله يجعل من هذا الكتاب وكأنه إعادة كشف للأبعاد الحقيقية والأصيلة لمفهوم الاغتراب عند ماركس وهيجل.

● قراءات مقترحة●

Works: Ideology : A Debate , Commentary; Vol. 38 (Oct. 1964).

; The Radical right . 1964.

● وانظر أيضا :

- Birnbaum , Norman; The Crisis of Industrial Society. 1969.
- Bottomore, T.B; Sociology as Social Criticism,. 1975.
- Lipset, M.Seymour; Political Man : The Social Basis of politics 1960.
- Nisbet, R. A.; The Soiological Tradition, 1973.
- Patterson, Sheila; Immigrants in Industry. 1968.
- Waxman, Chaim I.; The End of Ideology Debate. 1968.

★ ★ ★

١٩ - بندا، جوليان (١٨٦٧ - ١٩٥٦)

19 - BENDA, Julien

عندما التقى جوليان بندا بالفيلسوف الفرنسى هنرى برجسون Bergson فى حلقات باريس الثقافية التى كانت تجمع صفوة المثقفين والمفكرين من وقت لآخر بطريقة شبه منتظمة منذ الثمانينات على الأقل من القرن الماضى، وربطت بينهما صداقتهما الفريدة باعتبارهما يشاركان معا فى الحياة الثقافية والفكرية الفرنسية علاوة على انتمائهما الدينى الواحد باعتبارهما من أصل يهودى، لم يكن يخطر ببال أحد أن بندا سوف يصبح بعد سنوات قليلة من أكبر معارضى برجسون، وأن معارضته «للبرجسونية» سوف تستمر إلى ما يزيد على الأربعين عاما، حتى أصبحت هذه المعارضة أهم ملامح الحياة الفكرية لبندا نفسه، أو هى إشارة عليه بتعبير آخر.

ولد الفيلسوف والروائى جوليان بندا فى ٢٦ ديسمبر ١٨٦٧ فى باريس، أى بعد ثمانى سنوات فقط من مولد برجسون ١٨٥٩، وتوفى وهو فى التاسعة والثمانين فى ٧ يونيو ١٩٥٦ فى فونتنى أو-روز Fontenay aux- Roses بالقرب من باريس.

ولقد كان للظروف الأسرية التى نشأ فيها بندا أثر بعيد فى اكتسابه الطابع أو الخصائص العامة لشخصيته، فقد ولد فى أسرة يهودية متواضعة لأبوين قال عنهما بعدما تقدمت به السن أنهما خلفا له الكثير من حساسيتهما المفرطة ومزاجهما العصبى. ويبدو أن هذه المرحلة المبكرة من حياته كانت بالفعل بالغة الأثر فى شخصيته لأنه تعرض لها فى كتاباته المتأخرة، وبخاصة كتابه «شباب كاتب» La Jeunesse d'un Clerc الذى ظهر فى عام ١٩٣٧ حيث وصف نفسه بأنه «نتاج يهودى ينتمى إلى الشرق القديم وأنه يعشق الأبدية والخلود ويحتقر الصدفة

والاحتمال ويشعر دائما برغبة محمومة فى الكتابة» وهى مشاعر لئن كانت غرست فيه نوعا من الطمأنينة الداخلية التى لم تفارقه فى أى وقت من الأوقات إلا أنها جعلت منه شخصية حادة تسير رأسا إلى ما يريد أن يقوله دون أن يتمسك بأواسط الأمور. وحتى عندما بلغ سن التعليم فإننا نجده لا يلتحق بواحدة من تلك المدارس الشهيرة التى يتجه إليها الشباب الباريسى الذى يعد نفسه للحياة الفكرية والذى قد يسيطر عليه تصور أنهم يفضلون غيرهم، وأنهم قادة أجيالهم، ولكنه على العكس من ذلك التحق بإحدى المدارس العامة دون أن يشارك أبناء جيله ذلك «التطلع المريض» بل ولم يكن لديه فى الحقيقة إحساس قوى بجيله، ولهذا قبع بعيدا راضيا بأن يتمثل النماذج الإنسانية العملاقة التى كانت تجد متعتها فى الانفراد بنفسها فى غرفة صغيرة وبين يديها ورقة وقلم. بتعبير آخر كان بندا يتمتع بنوع من الاستقلالية فى حدود ما يمكن للعالم الحديث أن يقدم للانسان. فله دخله الخاص الذى يكفيه ليحيا حياة مناسبة بلا زوجة وبلا ولد وبلا أى مشاكل حادة. وربما كانت الواقعة أو التجربة الخطيرة الوحيدة التى عاشها حتى أواخر الثلاثينات من عمره هى قضية الكابتن دريفوس Dreyfus التى أثارت فى ذهنه كل قيم ومعايير ومفهومات العدل والظلم السياسيين، الأمر الذى لم يفارقه أبدا طوال حياته. فحين تفجرت هذه القضية التى انقسم الرأى العام الفرنسى إزاءها كان بندا ونخبة من مثقفى العصر من أمثال إميل دور كايم وبرجسون وسوريل Sorel وبيجى Péguy فى مقدمة الذين دافعوا عنه ووقفوا فى وجه الاتهامات التى وجهت إليه:

ومواقف بندا الفكرية وأعماله كلها نوع من الجدل الفلسفى فى مشكلات العصر وفى أسبابها، أو ربما أمكن القول أنها جدل مع روح العصر الثقافى. كما تكشف فى الوقت نفسه عن قدرته الفائقة على (تعرية) الأمور ومهاجمتها. ولئن كنا رأينا جانبا من هذا فى موقفه من قضية دريفوس التى أشرنا إليها، فإن أحداث الأعوام ١٩١٧ و ١٩٢٢ كانت بدورها مناسبات حقيقية لكى ينظر بشكل أعمق فى تصوراته ومعتقداته الأساسية بصدد عقلانية الإنسان. أو لا عقلانيته بتعبير أدق.

وقد تطرق بندا لذلك فى عدد من أعماله الهامة وبخاصة فى كتابه «خيانة المثقفين» La Trahison des Clercs الذى ظهر فى باريس فى ١٩٢٧ وبدا فيه بندا مثاليا رافضا بشكل واضح. ففى هذا الكتاب لا يكشف بندا عن توجهاته الفكرية فحسب كواحد من زعماء الحركة المضادة للرومانسية فى الأدب والفكر عموما، وكواحد من كبار المدافعين عن العقل وحرية العقل وقدراته الفائقة على الوصول إلى المعرفة اليقينية مما يعنى رفضه لمختلف الدعاوى والنزعات والمذهبيات الآلية والميكانيكية والحدسية، ولكنه يكشف أيضا - وهذا هو المهم - عن مدى الزيف الذى دأب المثقفون والمفكرون على الإيهام والخداع به. وكانوا بذلك يضحون بالحقيقة وبالقيم الثقافية والإنسانية العليا لاعتبارات سياسية دون ما اكتراث بحياة الأفراد أو الشعوب.

هذا الموقف لم يكن مجرد صوت نذير يطلقه بندا ضد كل انتصارات لينين وموسولينى وهتلر وسائر حركات القمع والاستبداد التى روج لها عن قصد وعن غير قصد مثقفو العصر ومفكروه، ولكنه يمثل بالدرجة الأولى إدانة لتاريخ المثقفين وتاريخ الثقافة الغربية بأكلمه، فمنذ العصور الوسطى يرى بندا أن المثقفين قد شكلوا دائما طبقة متعالية تعيش بعيدا عن الأرض وتكرس جهودها على اهتمامات غير واقعية.

أما خيانتهم فى العصر الحديث فيذهب بندا إلى أنها تصدر عن رغبتهم فى تدمير، أو على الأقل، سوء استخدام قيم المعرفة وقيم الفعل والتطبيق. فالمثقفون فى كل مكان وبخاصة فى فرنسا وفى ايطاليا وفى ألمانيا يدركون تماما ومنذ وقت مبكر فى حوالى ١٨٩٠ مدى الخطورة التى تنطوى عليها مختلف المذاهب السلطوية والديكتاتورية والدعاوى اللاعقلية التى قد تبهر الإنسان ولكنها بالضرورة تلعب بالعقل وتخنق الحرية وتؤكد نزعات الحرب والعبودية والطبقية والعنصرية. ولكنهم بدلا من أن يقفوا فى وجهها ويقاوموها فيحولوا بذلك دون اتساع الهوة بين الطبقات وتعميق الفوارق والاختلافات وتغذية الاتجاهات القومية والنزعات اللاعقلية أصبحوا هم أنفسهم المتحدثين باسم هذه الحركات والمروجين لشعاراتها.

وفى ضوء هذا قد نستطيع فهم بعض مواقفه الفكرية والفلسفية التى عبر عنها فى بعض كتبه ورواياته مثل رواية «الرسامة» L'ordination التى ظهرت فى ١٩١١ وترجمت إلى الإنجليزية فى ١٩١٣ بعنوان «بؤرة الشفقة» The Yolk of pity حيث شجب فى هذه الرواية التى تعتبر أفضل رواياته، وقبلما يكتب «خيانة المثقفين» بسنوات طويلة، سلوكيات وأخلاقيات الخونة الذين يتلاعبون بالحقائق وبالعدالة لمصلحة سياسية أو ذاتية ضيقة. وهو الخط نفسه الذى عمقه وبلوره فى كتابه «خيانة المثقفين» على ما سبقت الإشارة.

كذلك قد يكون بمقدورنا الآن فهم دواعى هجومه الحاد العنيف الذى شنه على الفلسفة البرجسونية وهو الهجوم الذى تابعه على الأقل فى أربعة من أعماله الرئيسية بخلاف كتابين كرسهما كلية لإبداء وجهة نظره وظهر أولهما فى ١٩١٢ بعنوان «البرجسونية أو فلسفة الحركة La Bergsonisme ou une Philosophie de la Mombilité بينما ظهر كتابه الثانى وهو بعنوان «حول نجاح البرجسونية» Sur le Succés de Bergsonisme فى عام ١٩١٤.

وقد يرى الكثيرون أن معارضة أو هجوم بندا على نسق برجسون الفلسفى وبخاصة مقولة الحدس Intuition التى تعتبر المحور الجوهرى لهذا النسق هو أهم إنجازات جوليان بندا الذى نظر إلى برجسون - على الرغم من الصداقة الوطيدة التى تربط بينهما - على أنه لا عقلانى وذو نزعة لا عقلية نتيجة تأكيده على الحدس. وقد نختلف كثيرا مع الكثير مما ذهب إليه هنرى برجسون كما قد نختلف كثيرا فى الكثير مما ذهب إليه جوليان بندا. ولكن تظل مع ذلك حقيقة جوهرية هى أنه على الرغم من كل ما تتصف به مواقفه الفكرية من حدة فقد كان يصدر فى ذلك عن إيمان مطلق بالإنسان وبقيمة الإنسان وبحريته وكرامته، وكلها مما يعلو فوق الرؤى العتيقة التى سعى بها أصحابها لإخضاع هذا الإنسان والسيطرة عليه. قصة الخدعة الكبرى التى عكسها باستمرار تاريخ التطور السياسى والاجتماعى للحضارة الغربية، وروج لها المثقفون والمفكرون أكثر من غيرهم.

• قراءات مقترحة•

- **Works** ; Un Régulier dans le Siécle. 1938.

• وانظر أيضا:

- Robert J. Niess; Julien Benda. Ann. Arbor Mich. 1956.
- Stuart Hughes ; Consciousness and Society: The Reorientation of European Social Thought. (1890 - 1930). 1967.

★ ★ ★

٢٠ - بنديكت، روث

20 - BENEDICT, Ruth

ولدت روث فولتون بنديكت عالمة الأنثروبولوجيا الأمريكية الشهيرة فى الخامس من شهر يونيو عام ١٨٨٧ فى نيويورك، وتوفيت فى السابع عشر من سبتمبر عام ١٩٤٨ فى نيويورك أيضا، بعد حياة حافلة بكتاباتها وبنظرياتها التى أثرت تأثيرا عميقا فى الأنتروبولوجيا الثقافية، وبخاصة فى مجال دراسة الثقافة والشخصية، وهو المجال الذى وضح فيه اتجاهها الذى يعطى أهمية فائقة للثقافة باعتبارها أساسا لا يمكن الاستغناء عنه فى فهم السلوك من النواحى المعرفية Cognitve والعاطفية، والذى اتفق على تسميته بالمنهج النمطى أو الصياغى الذى عبرت عنه فى مؤلفها الشهير «أنماط الثقافة» Patterns of Culture الذى ظهر لأول مرة فى عام ١٩٣٤، وارتبط به اسمها وحققت بسببه شهرة واسعة خاصة بعدما ترجم إلى ١٤ لغة، واعتبر من وجهة نظر الكثيرين أبرز أعمالها، على الرغم من أنه قد وجهت إليه الكثير من الانتقادات التى شملت بعض أفكاره ومبادئه المحورية، وامتدت إلى المنهج النمطى ذاته الذى مثل العمود الفقرى للعمل بأكمله.

والظاهر أن اهتمام روث بنديكت بهذه النواحى كان متأصلا فى توجهاتها الفكرية والثقافية المبكرة. فانتماؤها إلى الأنثروبولوجيا كان من خلال اهتمامها بالإنسانيات عموما. فقد درست الأدب الإنجليزى فى Vassar College فى باوكيبساى Poughkeepsie فى نيويورك فى الفترة من ١٩٠٥ إلى ١٩٠٩. وهى دراسة ظلت آثارها عالقة بها حتى بعدما تخصصت فى الأنثروبولوجيا فى العشرينات من القرن، حيث ظلت تمارس ميولها الأدبية وتقرض الشعر باسم مستعار هو آن سينجلتون Singleton واستمرت فى ذلك حتى أوائل الثلاثينات.

خلال هذه الفترة أخذت روث بنديكت على أية حال تشق طريقها إلى ميدان العلوم الاجتماعية، حيث نجح عالم الثقافة فى جذب انتباهها، فبدأت من ثم تتبلور نظرتها إلى الثقافات على أنها بناءات كلية Total Constructs من العناصر الذهنية والعقيدية والجمالية التى تتداخل وتمتزج جميعا، وهى النظرة التى ربطتها بالشخصية الانسانية التى ذهبت إلى أنها تتشكل بفعل هذه الثقافات وبتأثيرها، وأعلنت فى ذلك مقولتها الشهيرة التى تقول بأن ثقافة المجتمع هى شخصيته بأوسع معانيها. فالثقافة فى رأى روث بنديكت ليست مجرد مجموعات أو فئات متفرقة من الأفكار والأشياء المادية المصنوعة، ولكن كل مجتمع يستمر كيانه وتماسكه ووحدته نتيجة لوجود مبادئ تنظيمية معينة بحيث يكشف النمط الثقافى الناجم عن ذلك عن أنماط أو صيغ Configurations محددة ومتميزة خاصة بهذا النسق المعين بالذات. وهو موقف تأثرت فيه ولاشك بأفكار فرانز بواس Boas الذى أشرف على رسالتها للدكتوراه فى جامعة كولومبيا عن «مفهوم الروح الحارسة فى شمال أمريكا» The Concept of the Guardian Spirit in North America وهو المفهوم الذى يعتبر واحدا من الملامح الثقافية الهامة لدى الهنود الحمر فى شمال أمريكا. واستمر هذا التأثير يلاحقها بعد أن نالت درجة الدكتوراه فى ١٩٢٣ وعينت بجامعة كولومبيا حيث أصبحت أستاذا مساعدا من عام ١٩٣٠ وأستاذا فى عام ١٩٤٨.

ولقد انشغلت روث بنديكت فى معظم هذه الفترة بدراساتها الحقلية التى أجرتها بين قبائل جنوبى غرب الولايات المتحدة، وبخاصة قبائل «السيرانو» Serrano فى كاليفورنيا وقبائل «بلاك فوت» Blak Foot الكندية، وهى الدراسات التى ركزت فيها على جوانب الفولكور والعقيدة والدين بصفة خاصة، وأسفرت عن كتابها «أساطير الزونى» Zuni Mythology الذى ظهر من جزءين فى عام ١٩٣٥.

وطبقا لاعتقادها الأساسى بأن ثقافة أى جماعة من الجماعات الإنسانية تتميز عادة بوجود نمط أو «مبدأ» كلى مسيطر، بمعنى أنه يتجسد فى كل مناشط وأوجه حياة الجماعة، فقد انتهت روث بنديكت إلى أن قبيلة الزونى ينطبق عليها

ما سبق للفيلسوف الألمانى فردريك نيتشة أن وصفه بالمبدأ أو الأسلوب الأبولونى Appollonian حيث يتسم تفكيرهم بالميل إلى الاعتدال والتأمل، كما تتسم سلوكياتهم بغير قليل من الاتزان وبالخضوع إلى القانون والمعايير وبالثقة فى الآخرين. وذلك على العكس من بعض القبائل الأخرى مثل الكواكيوتل التى وصفت بنديكت الطابع النفسى المسيطر عليها بأنه أميل إلى النموذج الديونيزى Dionysian الذى يتسم بالاندفاع والتطرف وبدرجة عالية من الأنانية وحب الذاتية بالإضافة إلى التشكك فى الآخرين.

وبالرغم من الأهمية التى يمثلها هذا الكتاب فى التراث الأنثروبولوجى فمازال كتابها أنماط الثقافة يعتبر أهم أعمالها وأكثرها تعبيرا عن منهجها التنميطى أو منهج النمط الكلى، والذى يظهر فيه أيضا مدى تأثرها بكتابات ديلتاى Dilthey عن رؤى العالم. ففى هذا الكتاب الذى يدور أساسا حول دراسة ثلاث ثقافات هى ثقافة الدوبو Dobu وثقافة البويبلو Pueblo وثقافة الكواكيوتل Kwakiutl، أوضحت روث بنديكت الكثير من الجوانب المتعلقة بمسائل الانتقال والأنتشار الثقافى، حيث ذهبت إلى أن هناك من الملامح الثقافية والمظاهر السلوكية فى مختلف الثقافات ما يخضع لنوع من الإبراز والبلورة والتضخيم، مما يساعد على تثبيتها لا فى الثقافة أو المجتمع المعين نفسه، ولكن فى غيره من المجتمعات التى لم تكن هذه الملامح موجودة فيها أصلا ، كانت هذه المسألة تخضع ولاشك للظروف النسبية لكل ثقافة، مما يجعل اعتبار السياقات الثقافية والاجتماعية مسألة لابد من أخذها فى الحسبان عند تقويم أية ثقافة أو الحكم عليها.

ومع أن مبدأ النسبية الثقافية قد أصبح من المبادئ المسلم بها فى البحوث والدراسات الأنثروبولوجية والاجتماعية عموما، فإن الإطار العام الذى تناولت فيه روث بنديكت هذا المبدأ، وهو ما يتمثل فى فكرة «النمط الكلى» قد وجهت إليه العديد من الانتقادات التى ركزت أغلبها على قولها بوجود «نمط» أو «مبدأ» سلوكى واحد يسيطر على سلوك وتفكير أفراد الجماعة. فمن الصعب التسليم بصحة ذلك سواء على مستوى الفكر أو مستوى الواقع.

وقد لا يكون هناك خلاف حول فكرة أن ثقافة أى مجتمع من المجتمعات لها طابعها الخاص الذى يميزها عن غيرها من الثقافات، أو حتى أن هذه الثقافة أو تلك تطبع شخصية أعضائها بملامح وسمات عامة مميزة. ولكن الواضح أن هذا القول يعنى شيئا بينما القول بوجود نمط أو مبدأ واحد مسيطر يعنى شيئا آخر. فثقافة المجتمع لا تتميز عن ثقافة مجتمع آخر بفضل وجود هذا المبدأ الوحيد المسيطر، ولكن لأن هناك واقعيا العديد من الأنماط أو المبادئ الأساسية هى التى يمكن القول بأنها ما يعطى الثقافة طابعها النهائى نتيجة اجتماعها وتفاعلها معا. وهذا موقف يؤيده الكثيرون لعل فى مقدمتهم موريس أوبلر Opler وكلكهون Kluck-hohn الذى درس هنود النافاجو والكيفية التى يتصورون بها خبراتهم، وينظرون بها إلى الموضوعات التى تنطوى عليها قوانين الفكر.

وعلى العموم فقد أخذت كتابات روث بنديكت وبخاصة فى السنوات الأخيرة من حياتها تتسم بطابع إنسانى عام وضح فى الاهتمام الذى أخذت توليه للقضايا الإنسانية الأساسية. فقد ظهر فى عام ١٩٤٠ كتابها «العنصر والعلم والسياسة» Race, Science and Politics الذى سعت فيه إلى تطبيق المناهج الأنثروبولوجية المعترف بها، وهى المناهج التى عادت إلى استخدامها بشكل مركز فى دراستها لليابانيين وللثقافة اليابانية بتكليف من الحكومة الأمريكية. وظهرت نتائج هذه الدراسة فى كتابها المعنون: «زهرة الكرزانتيم والسيف: أنماط الثقافة اليابانية» The Chrysanthe-mum and the Sword: Patterns of japanese Culture (١٩٤٦)، وكان لهذه النتائج أكبر الأثر فى تحديد اتجاهات السياسة الخارجية للولايات المتحدة الأمريكية حيال اليابان بعد الحرب العالمية الثانية، وذلك على اعتبار أن الكتاب هو فى الأساس دراسة لنظرة اليابانيين للعالم وموقفهم منه. أو هو كتاب فى الثقافة بمعنى أدق. ومع أنها اعتمدت فى هذا الكتاب على التراث والوثائق والكتابات، بمعنى أنها لم تجر دراسة ميدانية عن الموضوع، فإنه يعكس بوضوح وجهة نظرها فى الثقافة وارتباطها بالشخصية.

ولقد ظلت روث بنديكت حتى اللحظات الأخيرة من عمرها مشغولة بعملها.

فكانت قبل وفاتها بعام واحد رئيسة للرابطة الأنثروبولوجية الأمريكية، كما كانت تخطط لأحد المشروعات الضخمة التى كانت تزمع فيه القيام بدراسة الثقافات الأوربية والآسيوية المعاصرة. وهو مشروع لم يقدر على أى الأحوال أن تنفذه حيث توفيت فى عام ١٩٤٨. وبعد ذلك بأكثر من ربع قرن أقدمت مارجريت ميد Mead على نشر السيرة الذاتية لأستاذتها روث بنديكت ١٩٧٤، فوضعتها، بالرغم من بعض الأخطاء التى تضمنتها السيرة، فى المكانة اللائقة بها بين كبار الأنثروبولوجيين الذين قدموا للعلم أجل الخدمات.

● قراءات مقترحة●

- Argyle, Michael; Psychology and Social Problems. 1967.
- Collingwood, R. G. The Ideas of History, 1946.
- Erikson, ErikH.; Ruth Fulton Benedict: A Memorial, 1949.
- Eysenck, H. J ; The Structure of Human Personality. 1960.
- Harris, Marvin; The Rise of Anthropological Theory. 1968.
- Mead, M. ;Benedict: An Anthropologist at Work, (ed.) 1966.
; Ruth Benedict. 1974.
- Sprott, W. J. H; Human Groups. 1967.

★ ★ ★

٢١ - برلين، السير إيزايا (١٩٠٩ -)

21 - BERLIN, Sir Isaiah

على الرغم من أصوله الروسية فإن السير إيزايا برلين يعتبر واحدا من أشهر الفلاسفة والمؤرخين البريطانيين الذين مازجوا فى كتاباتهم بين عقلية المؤرخ، وحس الأديب، وتأمل الفيلسوف، لدرجة أن اعتبرت مقالاته وكتاباته أنموذجا للكتابات النقدية والأدبية، بل والكتابة السياسية والاجتماعية فى القرن العشرين.

كان مولد السير إيزايا برلين فى ريجا Riha فى لاتفيا Latvia فى السادس من شهر يونيو عام ١٩٠٩. وكان بالكاد قد تجاوز العاشرة من عمره عندما هاجرت أسرته من الاتحاد السوفياتى فى عام ١٩٢٠، وتمكن بذلك من تلقى تعليمه فى مدرسة سان بول St. Paul ثم فى كوربس كريستى كوليج Corpus Christi College بأكسفورد. وبعدها استمر فى دراسته كطالب متميز حتى نال درجته العلمية الأولى، ومن ثم بدأ عمله كمدرس للفلسفة فى نيوكوليج بأكسفورد وهوعمل ولئن كان قد استغرقه لفترة طويلة نسبيا (ما بين ١٩٣٨ و١٩٥٠) إلا أنه تخللته فترات نجح فيها فى ممارسة العمل الدبلوماسى، حيث عمل أثناء الحرب العالمية الثانية خبيرا فى مكتب نيويورك للاتصال والمعلومات، كما عمل سكرتيرا أول فى السفارة البريطانية بواشنطن (٤٢ - ١٩٤٥)، ثم عين بعد ذلك فى السفارة البريطانية فى موسكو (٤٥/ ٤٦) وهى فترة نجح خلالها فى أن يكتسب ثقة رؤسائه وإعجابهم وبخاصة السير ونستون تشرشل Churchill، وعلى أية حال فقد عاد ثانية إلى اكسفورد ليتولى التدريس فى أول سولز كوليج ما بين عامى (١٩٥٠و ١٩٦٦) ثم ليعين عميدا بعد ذلك لكلية ولفسون Wolfson من ٦٦ إلى ١٩٧٥ وبعدها أستاذا فى أول سولز كوليج ثم رئيسا للأكاديمية البريطانية من ١٩٧٤ إلى ١٩٧٨.

وربما كانت رشاقة الأسلوب وسلاسته أبرز الخصائص التى تميزت بها كتابات السير إيزايا برلين، وهى خصائص لا يلمسها القارئ فى كتاباته الأدبية فحسب، ولكن أيضا فى دراساته التاريخية والاجتماعية التى أسهم بها فى تشكيل وصياغة التوجهات الجديدة التى اتخذها مسار الفكر الاجتماعى بالإضافة إلى كتاباته السياسية النقدية الخالصة.

فى عام ١٩٣٩ أصدر برلين كتابه «كارل ماركس: حياته وبيئته» Karl Marx: His Life and Environment الذى تناول فيه بالمناقشة والتحليل المؤثرات البيئية والخارجية التى أثرت فى تشكيل فكر كارل ماركس وتكوينه. كما قدم فى عام ١٩٥٥ كتاب «الحتمية التاريخية» Historical Invitability الذى يعتبر انتقادا متعمقا لمذاهب الحتمية Determinism المختلفة، وأعقب ذلك بكتابه «عصر التنوير» The Age of Enlightenment ١٩٥٦ الذى ناقش فيه مناقشة تحليلية كتابات ومواقف فلاسفة القرن الثامن عشر. ثم بعد ذلك «أربع مقالات عن الحرية» Four Essays on Liberty. (١٩٦٩).

والواقع أن كتابات برلين يمكن القول بأنها كانت تدور فى مجملها حول محورين رئيسيين: فهو من ناحية كان يهتم، وبخاصة فى فلسفته السياسية، بمعالجة مشكلة الحرية والإرادة الحرة، وهى القضية الأساسية التى عرض لها فى كتاباته عن المجتمعات والأنظمة الشمولية التى تخضع لنظام الحكم الفردى. كما كان يهتم – وهذا من الناحية الثانية – بالتعرف على المقومات الرئيسية فى فكر كبار الفلاسفة والكتاب والمفكرين، ومن هنا كان ميله الواضح إلى اتخاذ كتاباتهم (حتى الأدبية والفنية) مادة لتحليله ودراسته. وتعتبر مقالته «الثعلب والقنفذ» The Headgehog and the Fox التى نشرها فى عام ١٩٥٢، (ثم عاد لنشرها ضمن «وثائق ومقالات اكسفورد السلافية» Oxford Slavonic Papers وهى مجموعة من الوثائق التى نشرت فى شكل كتاب عام ١٩٥٣)، واحدة من أروع المقالات التى كتبت فى النقد الأدبى والاجتماعى، حيث تناول فيها بالتحليل العناصر والمقومات البارزة فى شخصية ليوتولستوى Leo Tolstoy اعتمادا على تحليله لنظرياته التاريخية. وهو جانب فى كتابات تولستوى أهمله الباحثون ولم يسلطوا عليه الضوء الكافى. وفى

هذا الاتجاه نفسه نجده يهتم أيضا بجمع الكتابات والمقالات وسائر أعمال المثقفين الأدبية والفنية التى كتبها هؤلاء عن الحياة فى روسيا والخبرات السياسية والتاريخية والفكرية، وكانت حصيلة هذا الجهد أربعة مجلدات نشرها برلين عن المفكرين الروس Russian Thinkers فى عام ١٩٧٨. كما نشر فى العام نفسه كتابه «مفهومات ومقولات» Concepts and Catogries، وتبع ذلك كتابه «ضد التيار» Against the Current ١٩٧٩ و«انطباعات شخصية» Personal Impressions ١٩٨٠ بالإضافة إلى بعض مترجماته لأعمال إيفان تورجنيف Turgenev.

كان إيزايا برلين من القلائل الذين أصابهم التكريم أثناء حياتهم فقد نال العديد من الجوائز والأوسمة تقديرا لأعماله ولخدماته أثناء الحرب العالمية الثانية. كما منح لقب أمير الأمبراطورية البريطانية Commander of British Empire عام ١٩٤٦، ثم نصب فارسا عام ١٩٥٧ واختير عضوا فى مجمع الخالدين عام ١٩٧٣.

• قراءات مقترحة •

Works; Essays on J. L .Austin. 1973.

• وانظر أيضا:

- Briggs, Asa; The Language of "Class" in Early Nineteenth Century England. 1960.
- Williams, Raymond; Culture and Society (1780 - 1950), 1960.



٢٢ - بير، هنرى (١٨٦٣ - ١٩٥٤)

22 - BERR, Henri

قليلون هم الأفراد الذين يمتلئ ذهنهم بفكرة أو بمشروع يكرسون كل حياتهم لتحقيقه وإنجازه. وهنرى بير، كان واحدا من هؤلاء القلائل الذين أرقتهم على مدى عمره الطويل (٩١ عاما) فكرة مسيطرة ملكت عليه كل حواسه: أن يضع أمام الناس تلك الملحمة الفريدة التى تطورت فيها البشرية منذ عصور ما قبل التاريخ إلى العصر الحاضر.

ولد هنرى بير فى ٣١ يناير ١٨٦٣ فى لونيفى Lunévill بفرنسا وتوفى فى باريس فى ١٩ نوفمبر ١٩٥٤ عن ٩١ عاما. عاش ما يزيد على نصفها منكفئا على تنفيذ مشروعه الكبير، جنبا لجنب كتاباته ومؤلفاته التى جعلت منه واحدا من أكبر الفلاسفة والمؤرخين الذين أنجبتهم فرنسا وتألق نجمهم على مدى سنوات النصف الأول من القرن العشرين.

وهو كمعظم كبار الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين تعلم فى مدرسة المعلمين العليا «النورمال سوبيريور» École Normale Superieure فى باريس فيما بين عامى ١٨٨١ و١٨٨٤. عمل بعدها فترة فى التدريس ليصبح فى عام ١٨٦٩ أستاذا فى ليسيه هنرى الرابع Lycée Henri IV وهو عمل استمر يمارسه لفترة طويلة قاربت الثلاثين عاما، نال خلالها درجة الدكتوراه فى ١٨٩٩ عن رسالته التى قدمها بعنوان «الفلسفة والتاريخ».

وقد لا يكون فى كل ذلك ما ينبئ - حتى الآن - بتفرده أو حتى تميزه. فهناك الآلاف ممن ينال الدكتوراه فى كل عام. ولكن القليلين هم الذين يختطون مع

ذلك، الطريق التى سار هو فيها. ذلك أنه يرجع إليه الفضل فى تأسيس مجموعة من المجلات والمؤسسات التى كرست جهودها لنشر الدراسات التاريخية والفنية عن طريق تقديم المنح الدراسية، وتسهيل مهام الباحثين.

فى عام ١٩٠٠ أسس هنرى بير مجلة «المركب التاريخى» Revue de Synthése Historique، وهى مجلة كرست جهودها للتوفيق بين التاريخ والعلوم الاجتماعية. وبالرغم من ضخامة هذه المسئولية، فقد أقدم فى عام ١٩٢٤ على تأسيس المركز الدولى للتأليف Centre International de Synthése فى باريس، ليكون نواة لمشروعه الضخم الذى وقف حياته عليه. إذ شرع بير فى التخطيط لإنجاز مشروع «تطور الإنسانية» L' Evolution de Humanité، فى مائة مجلد، نشر منها ٦٥ مجلدا فيما بين ١٩٢٠ و١٩٥٤. أما المشروع نفسه فهو عبارة عن سلسلة من الدراسات والمقالات المطولة التى قصد بها إلى إبراز عوامل التأليف والتركيب فى الحضارة الإنسانية أثناء تطورها من عصور ما قبل التاريخ، إلى العصر الحاضر. وذلك فى ضوء نظريته الخاصة التى أقامها فى التاريخ. والتى ميز فيما بين ٣ أنماط للعلاقات السببية هى تتابع الحقائق والعلاقات الدائمة، والضرورة والارتباط الداخلى، والارتباط المنطقى فيما بين هذه الحقائق والعلاقات. وهى نظرية لا تقف بالبحث التاريخى عند مجرد الواقعة أو الحدث، ولكنها تستقصى العلاقات ودوافع الارتباطات وأسبابها فى علاقاتها أيضا بالظروف والواقع الاجتماعى نفسه. وكأنما المؤرخ هنا هو باحث اجتماعى أيضا، بل وفيلسوف.

كذلك تضمنت أعماله الفكرية الأولى سلسلة من النشاطات إذ أسس فى عام ١٩٣٦ مجلة «العلم» Science وهى خطوة تعكس اتجاهه للتقريب بين الفلسفة والعلم كدعامتين لفهم روح العصر الذى لم يكن بعيدا عن أحداثه على ما ظهر بصفة خاصة فى مؤلفاته التى كتبها عن مسألة الإلزاس واللورين، وعن الواقع السياسى والقومى لألمانيا، إضافة إلى عمل روائى وفلسفى وحيد قدمه باسم «أنشودة الحياة» L'Hymne de la Vie عام ١٩٤٢، وكأنما أراد بذلك أن يعلو صوت الحياة على كل مظاهر الدمار التى سببتها سنوات الحرب القاسية.

• قراءات مقترحة•

- Elias, Norbert; The Civilising Process . 1978.

- Hempel, C. G. and Oppenheim, P.; Studies in The Logic of Explanation ,Philosophy of Science. Vol. 15. 1948.

- Rayan, Alan; The Philosophy of Social Sciences, 1970.

★ ★ ★

٢٣ - بينجهام، حيرام (١٨٧٥ - ١٩٥٦)

23 - BINGHAM, Hiram

دخل ميدان السياسة من أوسع أبوابها، فقد انتخب مساعدا لحاكم ولاية كونيكيكت Connecticut الأمريكية فى عام ١٩٢٢ إلى ١٩٢٤. وفاز فى انتخابات عام ١٩٢٤ كحاكم للولاية، ولكنه استقال من منصبه ليصبح عضوا فى مجلس الشيوخ الأمريكى عام ١٩٢٦، ومن وقتها وهو يكرس جهوده للقضايا والشئون العامة إلى أن عين مستشارا ومسئولا عن الخدمات المدنية فى عام ١٩٥١ فى عهد الرئيس الأمريكى السابق هارى ترومان Truman.

ومع ذلك فإن الشهرة التى تحققت له لم تكن بسبب عمله السياسى فى هذا المنصب أو ذاك، ولكنها انبنت أساسا بوصفه أحد علماء الآثار الأمريكيين، ونتيجة لكشوفه الأثرية التى ألقت الضوء على كثير من صفحات التاريخ الأمريكى القديم.

هو الأركيولوجى الأمريكى حيرام بينجهام، من مواليد هونولولو Honolulu فى ١٩ نوفمبر ١٨٧٥ وتوفى فى ٦ يونيو ١٩٥٦ فى واشنطن. وأحد القلائل المبرزين الذين استهوتهم محاولة الكشف عن ملامح وأصول الحضارات الكبرى التى عرفتها أمريكا. وكان أول من نجح فى عام ١٩١١ فى تحديد موقع عاصمة حضارة الانكا Inca وهى العاصمة المعروفة باسم فيلكابامبا Vilcabamba بالقرب من ماشو بيتشو Machu Picchu التى تقع فى قلب منطقة وعرة من الأنديز فى بيرو.

ولقد كان اهتمامه بالبحوث والتنقيبات الأثرية أشبه بالهواية والميل الشخصى فى أول الأمر. فقد عشق بينجهام منذ الصغر رياضة تسلق الجبال، وربما تضافر هذا العشق مع رحلاته التى كان يلازم فيها أباه الذى كان يعمل

مبشرا فى الكشف عن حقيقة ميوله وتنميتها، لأنه أخذ منذ عام ١٩٠٦ يشبع ميله للتعرف على تاريخ أمريكا اللاتينية الذى بدأ ينجذب إليه بشكل شديد.

كانت نقطة البداية بالنسبة إليه معرفته أن أمريكا الوسطى وبيرو بصفة خاصة هما المركزان الرئيسيان اللذان يكشفان عن أهم الملامح الحضارية التى عاشتها هذه المناطق من العالم. ولهذا نجده يسافر فى ١٩٠٦ عن طريق الأنديز الذى كان قد استخدمه سيمون بوليفار Bolivar فى ١٨١٩ من فنزويلا Venezuela إلى كولومبيا. ثم تبع بعد ذلك فى عام ١٩٠٨ طريق التجارة الأسبانية القديم عبر الأنديز من بوينس إيريس Buenas Aires إلى ليما Lima فى بيرو.

ولم تكن مهمة أرتياد هذه المناطق والتنقيب فيها مهمة سهلة بأى حال من الأحوال، فحتى ذلك التاريخ كانت الصور والخرائط والرسومات التى تحدد المواقع والأماكن قليلة للغاية وغير دقيقة، لدرجة أن الغزاة الأسبان أنفسهم لم يتمكنوا من اكتشاف موقع فيلكابامبا رغم محاولاتهم.

وعلى أية حال فقد ساعده عمله كعضو فى كلية التاريخ بجامعة ييل Yale من ١٩٠٠ إلى ١٩٢٤ على توجيه البحوث الآركيولوجية وبعثات التنقيب التى ترسلها الجامعة نحو هدفه الأساسى. وبالرغم من فقر المعلومات وقلة المعارف المتوافرة لدى هذه البعثات فقد استطاع أن يحدد موقعا تقريبيا لفيلكابامبا التى اعتقد أنها لابد أن تكون على مسافة ما من كوزكو Cuzco فى بيرو.

ولقد نجح فى شهر يونيو عام ١٩١١ فى الوصول إلى أحد المواقع القريبة من كوزكو. وكشفت تنقيباته فى هذا الموقع عن بقايا من المصنوعات الحجرية التى تحتفظ بشكلها، وقد أدهشته كثيرا مظاهر الشبه بين بعض الأبنية ومعبد الشمس Temple of the Sun الموجود فى كوزكو، وإن كان الغريب أنه لم يكن يعرف حتى ذلك الحين أنه قد وصل بالفعل إلى فيلكابامبا.

وعلى العموم فقد تمكن فى أغسطس من العام نفسه من العثور على موقع آخر من مواقع حضارة الانكا هو فيتكوس Vitcos. وقد حفزه ذلك إلى أن يعود فى

عام ١٩١٢ إلى الموقع الأول بالقرب من كوزكو، وأن يقوم بتنقيبات واسعة تأكدت بها شكوكه أنه فوق أرض عاصمة الأنكا التى ظلت مجهولة لقرون عديدة.

ولقد خلف بينجهام العديد من المؤلفات التى تدور حول هذه الكشوفات فى أمريكا الجنوبية، فى مقدمتها «أرض الانكا» Inka Land فى ١٩٢٢ وبعده «مدينة الأنكا المفقودة» Lost City of the Inkas الذى صدر فى ١٩٤٨. وهى كتابات مازالت تتمتع بكثير من التقدير على الرغم من تقادم العهد بها.

• قراءات مقترحة •

- Bushnell, G. H. S: (eds), Peru. 1976.

- Sellards, E. H ; Early Man in America. 1952.

★ ★ ★

٢٤ - بليك ، ماكس
24 - BLACK, Max

التساؤل البسيط الذى طرحه بليك فى مقدته الضافية لكتابه القصير الممتع «تيه اللغة» The Labyrinth of Language عما يميز الإنسان عن غيره من سائر الحيوانات، أو بتعبير آخر الأسباب والخصائص التى جعلت الإنسان إنسانا أو ما هو عليه الآن، ثم إجابته القصيرة التى اختزل بها مسيرة ملايين السنين وهو يجيب على ذلك بأن الإنسان هو الحيوان الوحيد القادر على النطق والكلام Homo Loquens لأنه الكائن الوحيد الذى ينتمى إلى ذلك النموذج الفيزيقى الذى يطلق عليه فى العادة اسم الإنسان العاقل Homo Sapiens: ما كاد ماكس يتساءل هذا التساؤل ويجيب عليه بهذه الإجابة حتى انفتح طريق طويل أمام البحوث والدراسات اللغوية التى تهتم بقضية الاكتساب اللغوى وبكيفية النطق الإنسانى والقدرة على إصدار الأصوات. وليضيف بذلك إلى الدراسة العلمية الجادة للغة خاصة وهو يسلم بأسبقية الكلام وبحقيقة أنه لو لم تكن هذه القدرة الفطرية لدى الإنسان وقدرته على الفهم والإدراك وأيضا قدرته على اختزان التجربة وكلها من ذات تكوينه لاستحال أن يكون هناك تخيل أو فكر أو معرفة من أى شكل أو لون.

وماكس بليك الذى ولد فى الرابع والعشرين من شهر فبراير عام ١٩١٥، روسى المولد أمريكى الجنسية، يعتبر فى مقدمة فلاسفة اللغة التحليليين الذين سعوا فى دراساتهم وبحوثهم إلى المزج بين ماهية اللغة الإنسانية وتحليل عناصرها ومكوناتها، وبين الوظيفة أو الوظائف الاجتماعية التى تقوم بها اللغة، وكان بذلك من بين الأوائل الذين ربطوا بين نشأة اللغة وسياقاتها الاجتماعية والثقافية، وهى النظرة التى أصبحت ركيزة فى البحث اللغوى المعاصر.

تلقى تعليمه الأساسى فى إنجلترا ثم رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث نال درجة الدكتوراه فى المنطق من جامعة كورنل Cornell وخلال الفترة من عام ١٩٤٠ إلى عام ١٩٤٦ عمل مدرسا ثم أستاذا لفلسفة اللغة بجامعة كورنل وجامعة ألينوى Illinois، كما زار عددا من الجامعات فى مختلف أنحاء العالم كأستاذ زائر ومحاضر له جماهيره الواسعة. ثم بعد ذلك فى عام ١٩٥٠ أصبح محررا مسئولا للمجلة الفلسفية The Philosophical Review التى لعبت دورا كبيرا فى نشر أفكاره وآرائه وترسيخ شهرته ككاتب لا تقف نشاطاته العلمية عند حدود أسوار الجامعة.

وتكشف كتابات ماكس بليك اللغوية والفلسفية عموما عن معرفة واسعة تميل به إلى السعى وراء توضيح المعنى باعتبارها القضية الأساسية التى ينبغى أن تشغل الباحث اللغوى. وقد سار فى هذا الاتجاه نفسه الذى اتخذه لودفيج فتجنشتين Wittgenstein . وبالرغم من أنه أكد فى ذلك على حقيقة أن اللغة قد أصبحت وسيلة للتفاهم مع الآخرين إن لم تكن أهم وسائل الاتصال الإنسانى وأبعدها تأثيرا، وهو الأمر الذى لا يختلف عما نجده عند فتجنشتين وحتى عند إدوارد سابير Sapir، فإن الملاحظ مع ذلك أن كتاباته تنطوى على فهم خاص لهذه الناحية يجعله يبدو غير متفق تماما مع كثير مما ذهب إليه سابير على وجه الخصوص.

ويمكن توضيح هذه الناحية إذا أخذنا فى الاعتبار نظرة إدوارد سابير للغة وتعريفه لها، فقد كان سابير واضحا فى تقريره أن اللغة هى وسيلة إنسانية خالصة بمعنى أنها غير غريزية بالمرة. كما قرر أيضا أنها وسيلة لتوصيل الأفكار والانفعالات والرغبات عن طريق نظام من الرموز التى تصدر بطريقة إرادية، وقد حدد ذلك بشكل أوضح فذهب إلى أن اللغة من حيث البناء هى فى هيئتها الباطنة قالب للفكر.

ولكن هذا بالضبط هو ما أنكره بليك على موقف سابير، فاللغة فى رأيه ليست مرآة للحقيقة كما ذهب سابير، وإنما المشكلة هى فى الاستخدام المتعدد والمتشابك أيضا للكلمات والألفاظ والتعابير، وفى الربط بين ما يصدر عن الإنسان

من أصوات وبين الخبرة الواقعية أو الخبرة بالواقع بمعنى أدق. وإذ يقرر بليك هذا فإنه يقترب كثيرا من الموقف العام الذى نجده لدى التحليليين الذين يرون أن المشكلات الفلسفية وبالتالى المشكلات الاجتماعية ليست أصلا مشكلات ولكنها تنتج بصفة أساسية نتيجة لسوء استخدام اللغة ونطقها، وبالتالى فإن النجاح فى حل هذه المشكلات لن يتم إلا إذا استخدمنا اللغة استخداما صحيحا. وهو ما يستدعى لا التعرف فحسب على النواحى البنائية للغة، ولكن أيضا اعتبار تغيرها كنسق من الوظائف المرتبطة باحتياجات الإنسان فى المجتمع. والناحيتان معا يطرأ عليهما من غير شك غير قليل من التغيير بتغير الملامح الثقافية أو المقومات البنائية لكل من الثقافة والمجتمع سواء بسواء.

مشكلة المعنى إذن وتداخل المعانى وسوء المفهم هى المشكلة المحورية فى فكر ماكس بليك، والتى ترددت فى كل كتاباته. ففى عام ١٩٥٤ ظهر كتابه «مشكلات التحليل» Problems of Analysis ثم بعد ذلك كتابه «اللغة والفلسفة» Language and Philosophy وأيضا «طبيعة الرياضيات» The Nature of Mathematics ثم «الصياغات والمجاز والاستعارة» Models and Metaphors (١٩٦٢)، و«مرافق لرسالة فتجنشتين» A Companion to Wittgenstein's Tractatus فى (١٩٦٤)، و«الفلسفة اللغوية والتحليلية» Analytic and Linguistic Philosophy و«تيه اللغة» (١٩٧٢).

● قراءات مقترحة●

Works: Linguistic Relativity: The Views of Benjamin lee Whorf. Philosophical Review. 68. 1959.

"Reasoning with Loose Concepts", Dialogue, Vol. I (1963 - 4).

● وانظر أيضا:

- Lyons, John; Structural Semantics. 1963.

; Introduction to Theoritcal Linguistics. 1968.

★ ★ ★

٢٥ - بلجين، كارل (وليام)

25 - BLEGEN, Carl (William)

يصنف كارل وليام بلجين كواحد من أشهر علماء آثار ما قبل التاريخ Prehis-toric الأمريكيين، ذلك العلم الذى يعتبره الكثيرون فرعا من فروع الأنثربولوجيا الثقافية والذى يهتم بدراسة المجتمعات البشرية القديمة وثقافاتها منذ أول ما ظهر الإنسان العاقل Homo Sapines. وأيضا كواحد من الذين أضافوا باكتشافاتهم وتنقيباتهم إلى معرفتنا بالمراحل قبل التاريخية للحضارة اليونانية على وجه الخصوص.

ولقد ولد بلجين فى السابع والعشرين من شهر يناير عام ١٨٨٧ فى مينابوليس Minneapolis بالولايات المتحدة الأمريكية. وباعتباره واحدا ممن جذبتهم منذ سن مبكرة ثقافة الأغريق القدماء كما ترددت فى أعمال كبار المفكرين والفلاسفة والشعراء اليونان وبخاصة هوميروس، فقد اهتم بدراسة الكلاسيكيات وانكب بصفة خاصة على الإلياذة Illiad والأوديسة Odyssey حيث أخذت تشده الصور التى رسمها هومير Homer عن طروادة Troy. وهى الصور التى أصبحت فيما بعد محورا لاهتماماته التى كرس حياته العلمية كلها بحثا عما يؤكد واقعيتها تاريخيا.

وهو لم يزل دون الثلاثين من عمره وأثناء انضمامه للمدرسة الأمريكية للدراسات الكلاسيكية American School of Classical Studies بأثينا Athens فى الفترة من ١٩١٣ إلى ١٩٢٧ بدأ بلجين تنقيباته فى عدد من المواقع الأثرية فى الشمال الشرقى للبيلوبونيز Peloponnes وهى مواقع تصور أن لها أهميتها الخاصة لإعادة بناء المراحل قبل التاريخية لليونان. والمدهش أنه تمكن بعد ذلك بسنوات فى عام ١٩٣٩ من اكتشاف عدد من اللوحات المصنوعة من الطين الطفلة منقوش عليها واحدة من أقدم المنقوشات الأوروبية التى يرجع تاريخها إلى ١٢٥٠ ق. م. كما نجح

خلال الفترة من ١٩١٦ إلى ١٩١٨ فى نشر ما يعتبره علماء الأنثربولوجيا الثقافية وعلماء آثار ما قبل التاريخ خطوة رئيسية متقدمة فى طريقة تحديد تاريخ ثقافة ما قبل الحضارة الميسينية Pre- Mycenaean اعتمادا على بقايا الفخاريات التى عثر عليها بالمنطقة، وذلك بالاشتراك مع الآركيولوجى البريطانى أ. ج. ب واس A. J. B. Wace الذى شاركه بحوثه وتنقيباته فى المواقع التى سبق له تعيينها بهذه المنطقة.

ولكن جانبا كبيرا من الفضل فى نجاحاته اللاحقة يرجع بالتأكيد إلى مساعدة جامعة كينكيناتى Cincinnati (أوهايو Ohio) التى عمل بها استاذا للآركيولوجيا الكلاسيكية Classical Archaeology فى الفترة من ١٩٢٧ إلى ١٩٥٧، فقد ساعدته الجامعة فى توجيه تنقيباتها إلى حصارليك Hisarlik وبعض المواقع الأخرى التى كان بلجين موقنا من أنها موقع مدينة طروادة القديمة.

وأثناء تنقيبات هذه البعثة (١٩٣٢ - ١٩٣٨) تمكن هو وزملاؤه من اكتشاف أن الفترات التسع الرئيسية التى كانت تحدد فى ضوئها أحداث بناء طروادة وتدميرها ثم اعادة بنائها وتجديدها ثانية إنما تمثل كل منها طورين أو أكثر. ونجح الفريق فى ضوء دراسته للطبقات الجيولوجية فى اكتشاف وتعيين ستة وأربعين طورا من هذه الأطوار. بل ونجح فى تقديم بعض الشواهد التى تثبت أن بقايا طروادة الملك بريام Priam التى ترجع إلى الفترة الرئيسية السابعة VII أى إلى ١٢٥٠ ق. م قد شهدت الكثير من مظاهر التدمير والتخريب البشرى. وقد وصف مراحل هذه البحوث والتنقيبات وما أسفرت عنه من كشوف فى المجلدات التى أصدرتها جامعة كينكيناتى وأشرف هو على إعدادها وتحريرها. والتى صدر منها أربعة أجزاء تحت عنوان «طروادة: تنقيبات قامت بها جامعة كينكيناتى فيما بين عامى ١٩٣٢ و١٩٣٨) Tory: Excavations Conducted by the University of Cincinnati. 1932 - 1938. (وهى الأجزاء التى ظهرت فيما بين ١٩٥٠ - ١٩٥٨)، وإن كان هو قد نشر بعد ذلك بسنوات قليلة طبعة شعبية عامة بمحصلة بحوثه وكشوفاته، وذلك فى مؤلفه «طروادة والطرواديون» Troy and the Trojans (١٩٦٣).

وفى نفس الاتجاه الذى كانت تشده إليه المواقع التى وصفها هومير فقد عاد

بلجين مرة ثانية إلى اليونان فى عام ١٩٣٩، وخطط لتحديد موقع قصر الملك نستور Nestor فى بيلوس Pylos وعين لذلك منطقة إيبانو انجليانوس Epano Englia-nos فى ميسنيا (موكناى)، على بعد خمسة أميال شمال خليج نافارينو Navarino كمنطقة يرجح كثيرا أنها موقع هذا القصر.

والواقع أن عمليات التنقيب كشفت عن بقايا بناء أو مجموعة من البنايات الضخمة. وربما كان أكثر كشوفاته قيمة ودلالة النماذج الأولى والمبكرة جدا للكتابة الإغريقية التى تشبه لوحة نقش الحرف B التى كان قد تم العثور عليها فى وقت أقدم فى كريت Crete. وبمواصلة التنقيب بداية من عام ١٩٥٢ تمكن من اكتشاف ما يزيد على ١٠٠٠ لوحة منقوشة فى بيلوس، وكذلك أحد القصور الميسينية البديعة التى ترجع إلى القرن الثالث عشر قبل الميلادى.

وإزاء هذا النجاح فقد أقام فى بيلوس حتى عام ١٩٦٤ حيث تمكن خلال هذه الفترة من العثور على عدد من المقابر التى عثر فيها على بقايا ومخلفات تنبئ عن أنها كانت لطبقة النبلاء والأثرياء. وقد قام بلجين بالاشتراك مع ماريون راوسون Rawson بتسجيل هذه الكشوفات جميعا فى مؤلفهما الذى نشره تحت عنوان «قصر نستور فى بيلوس بمسنيا الغربية» The Palace of Nestor at Pylos in Western Messinia والذى ظهر فى ٣ أجزاء أولها عام ١٩٦٦ وآخرها عام ١٩٧٣ بعد وفاته فى الرابع والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٧١.

● قراءات مقترحة●

Works: Excavation Reports, American Journal of Archaeology (1939 - 1957).
and Orhers; 4 Vols. 1950, 1951, 1953, 1958.

● وانظر أيضا:

Wace, A. J. B; Mycenae, 1969.

★ ★ ★

٢٦ - بلوخ، إرنست

26 - BLOCH, Ernst

يعتبر إرنست بلوخ نموذجا بارزا للفلاسفة والمفكرين الاجتماعيين الذين ساهموا فى مراجعة الماركسية مما كان له أثره فى صياغة فلسفة ماركسية متفائلة اصطلح على تسميتها «فلسفة الأمل» Philosophie der Hoffnung تنادى بالتقدم وبالتحرير السياسى الأمر الذى اعتبره بلوخ تصحيحا للنظرة الجزئية المتميزة التى نظرت بها الماركسية التقليدية للحقيقة.

ولد إرنست بلوخ فى الثامن من شهر يوليو عام ١٨٨٥ فى لود فيجشافن Lud-wigshafen بألمانيا، وتوفى فى الرابع من أغسطس عام ١٩٧٧ فى شتوتجارت Stutt-gart بألمانيا أيضا.

وقد بدأ طريق حياته فى جامعة ليبزج Leipzig متأخرا بعض الشىء عام ١٩١٨. ولكنه أمام تصاعد موجات الفكر النازى هرب من ألمانيا إلى سويسرا عام ١٩٣٣، ثم رحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث استقر وتمكن من إنجاز الجزء الأول والجزء الثانى من عمله الرئيسى الذى اشتهر به وهو مؤلفه «مبادئ التفاؤل» Das Prinziphoffnung الذى جاء فى ثلاثة أجزاء نشرت فيما بين عامى ١٩٥٤ و ١٩٥٩.

ومع أن بلوخ كان قد عاد إلى ألمانيا فى عام ١٩٤٨ حيث التحق ثانية بجامعة ليبزج التى هيأت له مناخا علميا مناسبا هيأه لأن يفوز فى عام ١٩٥٥ بالجائزة القومية National Prize لجمهورية ألمانيا الديمقراطية، وهى الجائزة التى تعتبر أرقى الجوائز الرسمية وأعلاها شأنا، واستمر يمارس عمله فى الجامعة حتى عام ١٩٥٧ إلا أن كتاباته الاجتماعية والسياسية التى كان ينشرها فى جريدة Deautsche Zeits-

chrift Fur Philosophic التى أشرف على تحريرها منذ عام ١٩٥٣، جعلته يبدو فى عين السلطات كمحرض خطير ضد حكم الحزب الشيوعى وموظفيه الرسميين، ومن ثم أخذت فى اضطهاده متهمة إياه بالثورية (من وجهة نظرها ومفهومها الخاص طبعا) ومنعته من النشر، وصادرت كتاباته، بل واعتبر مرتدا ومنشقا من عام ١٩٥٧، وبلغ من ذلك أن أعدمت كتاباته فى عام ١٩٦١ فلم يجد مفرا من الهرب إلى ألمانيا الاتحادية (الغربية) Fedral Republic of Germany حيث عمل أستاذا زائرا بجامعة توبنجن Tubingen التى فتحت له أبوابها بمزيد من الترحيب والتقدير.

وعلى أية حال فقد اشتهر ارنست بلوخ على مدى حياته العلمية والعملية بكونه أحد كبار النقاد المناهضين للفكر الماركسى، وبخاصة تلك المبادئ والأفكار التى تضمنتها الماركسية باعتبارها فلسفة فى الطبيعة، وأيضا تلك المتضمنات المرتبطة بموقفها بصدد المعرفة والمصالح البشرية. وإن كان البعض من النقاد مازال يأخذ على بلوخ امتزاج فكره وفلسفته بغير قليل من العناصر البوذية حتى ليبدو أقرب ما يكون تعبيرا عن مسيحية بوذية يرى فيها خلاص الإنسان وتحرره من مشكلاته، وهو انتقاد لا يخلو فى الحقيقة من الصدق.

● قراءات مقترحة●

· **Works**; Natural Law and Human Dignity. Tran. 1986.
;Utopie et Marxism, Archives de Sociologie des Religions. 1966.

★ ★ ★

٢٧ - بلوم، فرانز فردينان

27 - BLOM, Frans Ferdinand

لا ترجع أهمية العالم الداينماكى فرانز فردينان بلوم إلى أنه يقف فى مقدمة الآركيولوجيين الذين سعوا إلى إعادة بناء الثقافات القديمة فى ضوء ما يعثرون عليه من بقايا مخلفات مادية يعاملونها بمناهجهم وبأساليبهم لتحديد الفترات الزمنية التى ترجع إليها، ولكن ترجع أهميته أيضا إلى أنه يعتبر حجة فى حضارة المايا Maya التى تعتبر أعظم الحضارات القديمة فى العالم الجديد، والتى انتشرت فى جزء من المكسيك وفى بعض المناطق التى تعرف اليوم باسم يوكاتان Jucatan وكامبش Campeche وتابسكو Tabasco وهندوراس Honduras البريطانية وجواتيمالا Guatemla، حيث قادته بحوثه وتنقيباته إلى اكتشاف عدد من المدن المفقودة التى تنتمى إلى العصر الكلاسيكى Classical Period الذى امتد ما بين عامى ٣٠٠ إلى ٩٠٠ ميلادية، وهى الفترة التى يصفها علماء آثار ما قبل التاريخ بأنها شهدت ازدهار هذه الحضارة ومظاهر التقدم التى عاشها شعب المايا الذى ترجع أصوله التاريخية إلى الثقافات المحلية التى ازدهرت فيما قبل ألفى عام حوالى ٥٠٠ ق. م.

ولقد ولد بلوم عام ١٨٩٣ فى كوبنهاجن، وما أن حصل على درجته العلمية الأولى من جامعة كوبنهاجن حتى هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٩ حيث حصل على درجة الماجستير من جامعة هارفارد عام ١٩٢٥. وبالرغم من أنه كانت قد أتيحت له قبل ذلك (٢٢ / ١٩٢٣) فرصة المشاركة فى إحدى البعثات العلمية فى المكسيك مما أكسبه ولاشك بعض الخبرات التى ساعدته على بلورة أساليبه فى البحث وفى جمع المادة والحقائق وكيفية معالجتها والربط بينها، بالإضافة إلى عمليات التصنيف والتبويب وكلها جوانب تحدد بها طابع شخصيته

العلمية المتميزة، فإن الشئ اللافت للنظر أنه قضى معظم حياته فى أدغال شياباس Chiapas إلى أن توفى فى سان كريستوبال San Cristobal بالمكسيك عام ١٩٦٣، حيث ارتبطت شهرته أكثر ما ارتبطت بجهوده التى توجها بإزالة النقاب عن كثير من فنون المايا وبخاصة فنهم المعمارى فى بالينك أوكساكشين Palenque Uxaac-tun بجواتيمالا وفيراكروز Veracruz. وهى الجهود التى يرجع إليها الفضل فى معرفتنا بملامح حضارة المايا وخصائصها وخاصة بالنسبة لفن الزخرفة والنقوش. ومن المهم هنا أن نذكر أنه على الرغم من تميز حضارة المايا بفن العمارة وخاصة بناء الأهرامات، فقد أكدت تنقيبات بلوم أن هذا الشعب لم يستخدم المعادن على نطاق واسع وإنما كان فنهم من المشغولات الخشبية وفى الحجر السلى، وهى مشغولات برعوا فى تشكيلها وتلوينها بألوان زاهية ومزركشات بديعة، علاوة على أن كتاباتهم التى يعتبرها البعض أشد تعقيدا من الهيروغليفية لم تكن منقوشة فوق الحجر فحسب، وإنما كانت تنقش أيضا بالألوان فوق الجلود والألواح الخشبية وعلى لحاء الأشجار بعد ضغطها لتصبح رقيقة. كما يرجع الفضل أيضا لهذه التنقيبات فى أنها كشفت عن ملامح تقدم هذه الحضارة فى بعض العلوم وبخاصة علم الحساب وعلم الفلك، بالاضافة إلى كون المايا من أوائل الشعوب التى أدخلت استخدام (الصفر) فى حساباتهم. ويزيد من معنى هذه الكشوف ودلالتها أنه يرجع الفضل إلى فرانز بلوم فى اكتشاف آخر بقايا شعب لوكاندن Laucandon الذى يعتبر من سلالات المايا، وذلك أثناء تنقيباته فى هذه المنطقة عام ١٩٤٨.

وعلى العموم فقد تشعبت جهود بلوم ومسئولياته بشكل كاد ينعكس على بحوثه وتنقيباته الميدانية. فقد عمل فى الفترة من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٤١ مديرا لمعهد بحوث أمريكا الوسطى التابع لجامعة تولان Tulane فى نيوأورليانز. ولكنه بعد أن استقر فى المكسيك فى ١٩٥٠ أنشأ بالاشتراك مع زوجته فى سان كريستوبال دولاكاس San Cristobal de las Cases مركزا للبحث بالإضافة إلى متحف يعتبر من أكبر متاحف الآركيولوجى والأثنوجرافيا فى العالم. فضلا عن تأسيسه مكتبة ضخمة ملأها بالكتب والمؤلفات التى تحتوى على قدر هائل من المعلومات عن حياة المايا وحضارتهم.

ولقد سجل فرانز بلوم أفكاره واكتشافاته فى عدد من المؤلفات التى تضمنت الكثير جدا من المعلومات التى أصبحت ركيزة للمهتمين بدراسة هذه المناطق وثقافاتها، ويعتبر كتابه «قبائل ومعابد» Tribes and Temples الذى أصدره فى عام ٢٧/٢٦ بالاشتراك مع أوليفر فارج Farge العمل الرئيسى الذى يعكس منهجه فى البحث والتنقيب. ولا يقل أهمية عن هذا الكتاب كتابه الآخر الذى ظهر فى ١٩٣٦ بعنوان «فتح يوكاتان» The Conquest of Jucatan الذى يعتبر دراسة متخصصة لأسباب عظمة الأمم والشعوب وأسباب انهيارها كذلك.

• قراءات مقترحة•

- Morley S, G. and Brainerd, G. W.; The Ancient Maya. 1956.

- Thomson, J. E. S; Maya Hieroglyphic Writing: "Introduction". 1955.
; The Rise and Fall of Maya Civilization. 1962.

★ ★ ★

٢٨ - بلومفيلد ، ليونارد

28 - BLOOMFIELD, Leonard

يعتبر ليونارد بلومفيلد واحدا من أكبر علماء وفلاسفة اللغة فى النصف الأول من القرن العشرين، وربما أبعدهم تأثيرا. ويعتبر كتابه «اللغة» Language (١٩٣٣) كتابا نموذجيا ومن أهم ماكتب فى اللغويات؛ حتى أن البعض قد ذهب إلى أنه نقطة تحول أساسية حددت بدرجة كبيرة مسار الاتجاهات والدراسات اللغوية بعد ذلك فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد ولد بلومفيلد فى شيكاغو عام ١٨٨٧ ونال تعليمه فى أكثر من جامعة واحدة فدرس فى هارفارد وويسكونسن وشيكاغو. كما قام فى الفترة من عام ١٩٠٩ - ١٩٢٧ بالتدريس فى ثلاث من أكبر الجامعات الأمريكية هى جامعة ألينوى وأوهايو ستيت وشيكاغو، وذلك قبل أن يصبح أستاذ الفقة وفلسفة اللغة الجرمانية Philology فى جامعة شيكاغو (١٩٢٧ - ١٩٤٠) وبعدها أستاذا للغويات بجامعة ييل فى الفترة من ١٩٤٠ حتى وفاته فى الثامن عشر من أبريل عام ١٩٤٩ فى نيوهافن بولاية كونيكتيكت Connecticut الأمريكية.

فى كتاباته الأولى المبكرة وضح اهتمامه بالبحوث والدراسات المقارنة للغات الهندوأوربية وبخاصة اللغات الجرمانية التى سعى إلى تحليل أصواتها وتفاصيلها البنائية وإلى الكشف عن كيفية بناء الكلمات وترابط العبارات ارتكازا على فهم طبيعة المادة التى تتكون منها. ولكنه تحول بعد ذلك إلى مجالات أوسع من البحث والدراسة، الأمر الذى يظهر بصفة خاصة فى مؤلفه «مقدمة لدراسة اللغة» An Introduction to the Study of Language الذى نشر فى عام ١٩١٤، وهو كتاب مازال موضع تقدير إلى يومنا هذا. ثم أخذ بداية من عام ١٩١٧ فى إنجاز مجموعة من

البحوث والدراسات الرائدة عن اللغات الملايوية بولينيزية Malayo - Polynesian ضمن مجموعة اللغات الأوسترونسية Austronesians وبخاصة لغة التاجالوج Tagalog فى الفيلبين، كما شرع فى أوائل العشرينات فى عمله الكلاسيكى الضخم الخاص بلغات هنود أمريكا الشمالية، فأضاف بذلك كما هائلا من المعلومات الوصفية والمقارنة الدقيقة التى أثرت الدراسات المقارنة الخاصة بعائلة اللغات الألجونكينية Algonquian . على العموم فقد نشرت نتائج هذه الدراسات والبحوث فى عدد كبير من المقالات التى تناولت شتى الموضوعات وبخاصة فى الفونيتكس Phonetics (علم الأصوات اللغوية من حيث ما يلقيه من ضوء على الجانب النطقى بمعنى الوسط الذى تحدث فيه اللغة المنطوقة) واللغويات التاريخية والسيمانتيك Semantics (العلم الذى يهتم بدراسة معنى الكلمات والعبارات والعلاقات الدلالية المختلفة وما يطرأ على هذه النواحى بفعل التغيير) وكذلك كيفية تدريس اللغات الأجنبية.

ومع ذلك يظل كتابه «اللغة» Language ١٩٣٣ . هو عمله الضخم الرئيسى الذى يكشف بوضوح عن نظريته فى اللغة ومنهجيته فى البحوث اللغوية. فقد تناول فى هذا الكتاب المميز الفونولوجى الوصفية Descriptive Phonology وهو يعنى بذلك وظيفة الأصوات فى البناء اللغوى وما يقوم بينها من علاقات لتبدو فى آخر الأمر كنظام أو نسق محدد له دلالته بالإضافة إلى مختلف القضايا المتعلقة بالنحو وبالتغير اللغوى. ويرى الكثيرون أنه كان لهذه الجهود أثرها فى تطوير علم الأصوات اللغوية وعلم الأصوات التركيبى معا مما أسهم فى تشييد ما أصبح يعرف وخاصة بعد جهود فردينان دوسوسير De Saussure باسم اللغويات البنائية Structural Linguistics التى أصبحت إحدى السمات الأوربية منذ منتصف القرن.

ويمكن التعرف على ملامح المنهج عند بلومفيلد من خلال الوقوف على ما يمكن اعتباره المسلمات الأساسية التى نادى بها. فهو - من ناحية - قد رفض تماما فكرة إخضاع الدراسة اللغوية أو تبعيتها لأية مقولة سيكولوجية. وباعتباره - وهذا من الناحية الثانية - واحدا من أتباع المدرسة السلوكية فقد ركز على التفسيرات والشروح السلوكية عموما، وذهب إلى أن اللغويات ينبغى أن تدرس كعلم

تجريبى وبعيدا عن أية تأثيرات غير لغوية، بمعنى أنه لم يكن يثق إلا فى الوصف التجريبى الذى يقوم على المشاهدة والملاحظة.

ويبدأ منهج بلومفيلد الوصفى بوصف أصغر الأصوات الكلامية (الفونيمات) ليقيم بعد ذلك بناء أو نسقا من الأشكال والعناصر اللغوية يتم من خلاله التمييز بين المورفيمات ويسهل عملية تصنيفها. ولاتبدو هذه المسألة سهلة بأى حال ولكنها بالغة التعقيد فى الحقيقة؛ لأنها تهتم بإقامة المشابهات والمماثلات بين الأصوات والجمل والتراكيب، وذلك كخطوة أولية لدراسة الأنماط التى تتخذها هذه المشابهات والمماثلات مع محاولة إبراز أوجه الاختلافات القائمة بين البناءات التى تنتمى إليها اللغات المختلفة، ومن ثم تفسير هذه الاختلافات وتوضيح أسبابها.

ولكن هذه الجهود لم تسلم مع ذلك من الانتقاد، فقد ذهب بعض اللغويين المحدثين إلى أن منهج بلومفيلد لا يهتم إلا بوصف البناءات السطحية للغة، وأنه تجاهل بذلك البناءات الأعمق التى قد تكون لها صفة العمومية فى اللغة. وبالرغم من استمرار الجدل بين أنصار بلومفيلد وأولئك الذين يأخذون عليه تمسكه بمدخله التجريبى، فمن الصعب إنكار النجاح الذى حققته دراساته والأثر الذى تركته على الدراسات اللغوية. وربما كان فى الكتاب الذى نشره تشارلز هوكيت Hockett بعنوان «مختارات أدبية لبلومفيلد» A Leonard Bloomfield Anthology (١٩٧٠) أبلغ دليل على ما تمتع به من احترام وتقدير.

• قراءات مقترحة•

Works: ASet of Postulates for the Science of Language. in Joos. 1957.

• وانظر أيضا:

- Bolinger, D. L; Aspects of Language. 1968.
- Greenberg, Joseph; Universals of Language. 1963.
- Hymes Dell; Language in Culture and Society: A Reader in Linguistics and Anthropology, 1964.



٢٩ - بلومر، هربرت
29 - BLUMER , Herbert

ينتمى عالم الاجتماع الأمريكى هربرت بلومر إلى جيل الكتاب المعاصرين الذين يركزون على دراسة مظاهر السلوك الجمعى و العمليات الاجتماعية والاتصالية ، كمدخل لفهم الواقع الاجتماعى والتعرف على مكوناته ، بغرض الوصول إلى أفضل السبل للتدخل والتأثير فيه .

وباعتباره واحداً من كبار العلماء الذين تربوا على تقاليد مدرسة شيكاغو التى تعتبر مركزاً لازدهار التفاعلية الرمزية Symbolic Interactionism ، فقد ظل اهتمامه الأصيل يدور دائماً حول دراسة الحركات الاجتماعية Social Movements التى تستهدف- باعتبارها سلوكاً منظماً وصورة من صور السلوك الجمعى - تغيير المعتقدات الشعبية أو النظم الموجودة فى المجتمع . واهتم فى ذلك بمناقشة كيفية تكوين هذه الحركات الاجتماعية وتوضيح الخطوات التى اعتقد أنها ضرورية لمساندتها، وركز فى هذا الصدد على أهمية وجود أيديولوجية معينة يلتف الأفراد من حولها وتكون بؤرة لاهتمامهم. وقد دفعه هذا الاهتمام إلى الحديث عن الرأى العام Public Opinion وعن آراء الجمهور وعن الزمر الاجتماعية والحشود والجماهير والجماعات الصغيرة؛ ليبرز خصائص عقلية الجماهير وسلوكها الانفعالى والعاطفى وطرق التدخل فى تشكيل سلوكيات أفرادها من خلال فهم عاداتها الجمعية والديناميات التى تعمل بداخلها ، وهى جوانب وإن كانت قد ظهرت فى أماكن متفرقة من كتاباته إلا أنه تناولها بشكل منهجى ومنظم فى عدد من أهم كتبه لعل فى مقدمتها «السينما والسلوك» Movies and Conduct (١٩٣٣) الذى تناول فيه علاقة السينما بالنظم الاجتماعية ومعايير وقيم الأفراد والجماعات

وكيف أنها تؤثر فى عقول الجماهير وفى مشاعرهم وتحول الفكر إلى إتجاهات بعينها يساعد على انتشارها ودعمها برامج الإذاعة والتليفزيون، وكلها جوانب نجح فى معالجتها من خلال إطار أشمل سعى به إلى توضيح طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وكذا نطاق السلطة وحدود الحرية الفردية .

ولكن يبقى مع ذلك أن جانباً كبيراً من من اهتمام بلومر قد انصب على دراسة المشكلات الاجتماعية والأخلاقية ومشكلات التكامل الثقافى والتمييز العرقى والعنصرى. ونجح بذلك فى أن يصبح من العلامات البارزة التى استطاعت التمييز بوضوح بين الحركة الإصلاحية والثورة، على اعتبار أن هدف الأولى العمل على تغيير جوانب محددة من النظام الاجتماعى العام على حين تستهدف الثورة إحداث تغيير جذرى فى النظام الاجتماعى وإعادة بنائه من جديد. وعرض لذلك بشكل تفصيلى فى كتابه الشهير الذى أشرف على تحريره وصدر فى ١٩٥١ بعنوان «السلوك الجمعى» Collective Behavior وهو كتاب استقبلته الأوساط الأكاديمية بحفاوة كبيرة على اعتبار أنه من أفضل الكتب التى عالجت بشكل موضوعى مظاهر الصراع الاجتماعى والثقافى بين الأقليات وقضايا الانقسام والصراعات بين السود والبيض فى أمريكا. ولقد كان من نتائج هذه الاهتمامات المتشعبة التى تناولتها كتاباته المنوعة أن استطاع بلومر خدمة النظرية الاجتماعية والبحث الاجتماعى عموماً ربما بشكل أفضل بكثير ممن اقتصروا فى تفسيرهم للمجتمع على تحليل المظاهر الخارجية للسلوك.

والواقع أن قضية العلاقة بين النظرية والممارسة والتطبيق كانت الشغل الشاغل لهربرت بلومر أثناء عمله بجامعة كاليفورنيا (باركلى) . ففى مقالة تعتبر من أشهر المقالات التى نشرتها المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع بعنوان « ما الخطأ فى النظرية الاجتماعية» What is Worng with Social Theory نجده يناقش دور النظريات والمفهومات والتصورات النظرية وعلاقاتها بالمادة الإمبريقية. وقد برز فى ذلك موقفه الخاص الذى ظهر فى كل كتاباته والذى مؤداه أنه فى البحث الميدانى ينبغى أن يكون هناك تفاعل مستمر بين الفرضيات الأولية والملاحظة

الأمبريقية والتصورات النظرية . وقد عبر هو نفسه عن أهمية وقيمة ذلك بقوله أنه من خلال مثل هذا التفاعل بين التوجه النظرى والملاحظة الإمبريقية سوف تظهر أمام الباحث الفرص التى لا تعوض للابتكار والأصالة والإبداع .

وللحق فقد وجدت آراء بلومر ومواقفه فيما يتعلق بمجالات النظرية والمناهج وتصميم البحوث غير قليل من التقدير الذى نجد صداه فى كتابه الموسوم «نقد البحث فى العلوم الاجتماعية» الذى صدر فى عام ١٩٣٩ . ففى عام ١٩٣٧ أى بعد حوالى عقد من ظهور كتاب توماس Thomas وزنانيكى Znaniecki «الفلاح البولندى فى أوربا وأمريكا» The Polish Peasent in Europe and America ، طلب مجلس البحوث الاجتماعية إلى بلومر أن يقوم بعمل تقييم مفصل لهذا الكتاب نظراً للضجة الهائلة والنقاش الطويل اللذين دارا من حول ما تضمنه من مشكلات نظرية ومنهجية . ومع أن مجلس البحوث الاجتماعية كان قد عقد حلقة مناقشة لهذا العمل بعدما نشر الكتاب فقد عاد بعد هذه السنوات يطلب إلى بلومر إعداد هذا التقييم فى ضوء النتائج التى توصلت إليها حلقة المناقشة .

وعلى العموم فقد دار تقييم بلومر لهذا العمل حول عدد من المحاور التى أبرز أهميتها، وهى: أولاً، هدف الدراسة وغرضها، وثانياً، مدى ما حققته الدراسة من نجاح، وثالثاً، التعميمات التى توصلت إليها، ورابعاً، درجة اعتماد هذه التعميمات على المادة الميدانية (الخام) التى أمكن جمعها والتى اعتمد المؤلفان عليها.

وبالرغم من اعتراف بلومر بأن هذا الكتاب يعتبر نقطة تحول أساسية فى تطور منهج العلم الاجتماعى باعتبار أنه يمثل أول دراسة حقلية ضخمة تهتم بموضوع محدد وتتميز بكفاية المناهج المستخدمة حيث أكدت على استخدام منهج البحث الميدانى كمنهج لاستكشاف الواقع القائم بالفعل وكما هو موجود بعيداً عن آية افتراضات متخيلة ، فقد أبرز فى تقريره الذى قدمه بعنوان « تقييم لدراسة توماس وزنانيكى .... إلخ » An Appraisal of Thomas and Znaniecki "The Polish Peasant in Europe and America : Critique of Research in the Social Sciences" بعض أوجه القصور التى شابت هذه النواحى، وإن لم تؤثر فى القيمة البالغة للعمل ككل .

وأيًا كان الأمر فقد لا يتفق الكثيرون مع كل ماذهب إليه هربرت بلومر فى نظرته إلى القضايا والمشكلات النظرية والمنهجية التى دارت أعماله من حولها، ولكن هذا لا يمنع من الاعتراف أنه نجح فى تكوين رؤية واضحة وموقف محدد لا يختلف مؤرخو الفكر الاجتماعى فى أنهما لقيا الكثير من المساندة إن لم يكن تبنى الكثيرين من العلماء والباحثين لهما .

• قراءات مقترحة•

Works : The Mass, The Public and public Opinion, in Berelson, Bernard , Janowitz, Morris, (eds.), Reader in Public Opinion and Communication- 1953.

--------- : Public Opinion Pollying - and Public Opinon Polling.

• وانظر أيضاً :

- Chase, Stuart, The Proper Study of Mankind : An Inquiry into the Science of Human Relations. 1960.
- Meltzer, Bernard N.,(et al) , Symbolic Interaction ism: Gensesis, Varieties and Criti cism, 1945.
- Reynolds, Paul Davidson; Ethics and Social Science Research. 1982.
- Roll, Charles W. and Cantril, Albert H.; Polls: Their Use and Misuse in Politics.1972.

★ ★ ★

٣٠ - بواس، فرانز

30 - BOAS, Franz

على الرغم من أن فرانز بواس قد ولد فى ألمانيا وتلقى تعليمه فى مدارسها وفى ثلاث من أكبر جامعاتها، وهى جامعة هايدلبرج وجامعة بون وجامعة كييل التى نال منها درجة الدكتوراه فى الطبيعة عام ١٨٨١ عن رسالة بعنوان «إسهامات للتعرف على لون الماء» Contributions Towards the Understanding of the Colour of Water، فإنه يعتبر من وجهة نظر مؤرخى الفكر الاجتماعى والأنثربولوجى الأب المؤسس للأنثربولوجيا الأمريكية ، فقد أدت أعماله العديدة والمتشعبة التى تتراوح من جمع المعلومات الاثنواجرافية إلى الدراسات الاحصائية والرياضية فى الأنثربولوجيا الفيزيقية، إلى الدراسات الوصفية للغات الهنود الأمريكيين ، بالإضافة إلى الموضوعات المنوعة التى تناولتها مقالاته وكتاباته التحليلية إلى نشرالاتجاه الوظيفى فى الاثنولوجيا (الأنثربولوجيا الثقافية)، وإلى تشكيل منهج البحث الأنثربولوجى كعلم له أصوله ويتمتع بذاتية مستقلة ، علاوة على تأثيره البالغ الذى خلفه فى الأجيال الأصغر من العلماء والباحثين حيث درب جيلاً كاملاً من الأنثربولوجيين فى مقدمتهم ألفريد كروبير Kroeber وروث بنديكت Benedict وروبرت لوى Lowie ومارجريت ميد Mead وإدوارد سابير Sapirوملفيل هرسكوفيتز Herskovits وبول رادين Radin وعشرات غيرهم ممن تأثروا بطريقته فى البحث الأنثربولوجى وتحليله للمعلومات الاثنواجرافية .

ولقد ولد فرانز بواس فى مدينة مندن Minden (وستفاليا) فى التاسع من شهر يوليو عام ١٨٥٨ ، وكان أبوه تاجراً وواحدا من كبار رجال المال والأعمال اليهود ومن أولئك الليبراليين الذين يتمسكون بالمثاليات التى تمخضت عنها ثورة

١٨٤٨، فأتاحت تلك الظروف التى تضافرت مع أحوال الصغير الصحية التى لم تكن على ما يرام دائما، الفرصة للابن لأن يقضى معظم وقته فى القراءة التى عمقت مشاعره تجاه ألمانيا التى شب وهو يشعر بانتمائه الكامل إليها ، بالرغم من أنتمائه الدينى اليهودى. ومع أنه أظهر منذ الخامسة تفوقاً ملحوظاً فى العلوم الطبيعية كالجغرافيا وعلم النبات والحيوان والجيولوجيا والفلك، فقد أخذ وهو فى المدرسة الثانوية يبدى شغفاً ملحوظاً بتاريخ الثقافة على الرغم من عدم وجود هذا التخصص فى مدرسته. وكان للاستاذ ثيوبالدفيشر Fischer أكبر الأثر فى تحوله إلى الجغرافيا الثقافية حيث أخذ يوجهه توجيهاً تاريخياً ويعده إعداداً إثنولوجيا. وهو تحول تضافرت على تعميقه كتابات فردريك راتسل Ratzel وفيلهلم فونت Wundt ، حيث أخذت تتكشف اهتماماته العميقة بالعلاقة بين البيئة والثقافة. وعلى أية حال ما أن أنهى عاماً فى الخدمة العسكرية حيت أخذ يواصل دراسته فى برلين ، ليشارك بعد ذلك فى إحدى البعثات العلمية لجزيرة Baffin بالقطب الشمالى استغرقت عامى ١٨٨٣، ١٨٨٤، وهى رحلة أسفرت عن عدد من المقالات الجغرافية والاثنوجرافية التى دارت حول حياة الاسكيمو (١٨٨٨) وكذلك كتابه الذى نشر بعنوان The Central Eskimos فى عام ١٨٨٨ أيضا. وإن كان الأهم من ذلك أن هذه الرحلة قد ساعدته كثيراً فى إرساء أسس توجهاته الرئيسية فى تفكيره الأنثربولوجى ، وأقصد بذلك انتباهه إلى حقيقة التعقد اللامتناهى للثقافات الإنسانية وتطور هذه الثقافات وكيفية نشأتها وانتشارها. وقد ساعد على ترسيخ هذه التوجهات عمله الذى التحق به كمساعد فى المتحف الاثنواجرافى فى برلين (١٨٨٥) الذى كان يشرف عليه الأستاذ أدولف باستيان Bastian . ولهذا فقد وجدت أفكار باستيان صدى لها عند فرانز بواس، وبخاصة فيما يتعلق بدعوته إلى ضرورة جمع أكبر قدر ممكن من الأدلة والبراهين والمعلومات للدلالة على وجود علاقات مفترضة بين الشعوب والثقافات قبل الإقدام على حكم بوجود هذه العلاقات.

غير أنه فى هذا العام أيضاً بدأ يتطلع إلى إجراء دراساته الميدانية عن هنود الكويكيُوتل Kwakiutl فى كولومبيا البريطانية . وفى العام التالى (١٨٨٦) أثناء

عودته من دراسته الحقلية لهنود جزيرة فانكوفر Vancouver نجده يقرر الهجرة إلى أمريكا ، فتوقف فى نيويورك التى قرر الاستقرار فيها بعدما وجد وظيفة متواضعة كمحرر مساعد بمجلة العلم Science . ولكنها ساعدته على أى الأحوال فى أن يتزوج مارى أ.أ. كراسكوفيزر Krackowizer ليبدأ من ثم مشواره الأكاديمى الطويل. فقد عمل مدرساً للأنثربولوجيا فى جامعة كلارك الأمريكية التى أنشئت عام ١٨٨٩ ، وبعد ذلك قضى فترة من الوقت فى شيكاغو حيث ساهم فى الإعداد لبعض البعثات الأنثروبولوجية التى كانت ترسلها جامعة كولومبيا (١٩٨٣) ثم أصبح أميناً لمتحف شيكاغو ، وبعدها أصبح أميناً للمتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى (١٨٩٦) وهو نفس العام الذى أصبح محاضراً للأنثربولوجيا الفيزيقية ليصير بعد ذلك عام ١٨٩٩ أول أستاذ للأنثربولوجيا فى جامعة كولومبيا وهو المنصب الرئيسى الذى ظل يشغله حتى تقاعده فى عام ١٩٣٦، وعلى العموم فقد قام بواس خلال هذه السنوات كلها بتحرير العديد من التقارير العلمية الخاصة ببعثات شمال الباسفيكى التى اهتمت بصفة خاصة ببحث العلاقات بين الشعوب الهامشية بالإضافة إلى مشاركاته الضخمة فى تأسيس العديد من المنظمات والروابط المهنية فكان محرراً لمجلة أمريكان أنثربولوجيست ومجلة الفلكلور الأمريكى Journal of American Folklore. كما أسس المجلة الدولية للغويات الأمريكية، وأسهم فى تأسيس الرابطة الأمريكية للأنثربولوجيا وعمل رئيساً للرابطة الأمريكية لتقدم العلوم (١٩٣١) علاوة على عضويته فى العديد من الجمعيات العلمية. ولكن يبقى بعد ذلك كله أن أعماله ودراساته الميدانية التى قام بها هى التى هيأت له تلك المكانة الرفيعة فى تاريخ العلم، وإن لم يقلل ذلك من قيمته ومكانته كمدرس ومحاضر لا يضارع. فما كاد يبدأ القرن العشرون حتى كان بواس يمسك بزمام الأنثربولوجيا. وبلغ من تقدير زملائه له أنهم أهدوا إليه وهو لم يزل فى الثامنة والأربعين من عمره (١٩٠٦) ميدالية شرفية لم تكن تقدم إلا للأساتذة الكبار عند تقاعدهم ، ولم تكن السنوات الست والثلاثون التى أعقبت ذلك أقل غزارة فى الإنتاج أو التأثير والعطاء .

ومع ذلك فمن الصعب فهم تأثير فرانز بواس الثورى بعيداً عن المناخ العام والمواقف السائدة التى كان الأنثربولوجيون يأخذون بها، وبخاصة فيما يتعلق بنظرتهم للإنسان . فمعظم الأنثربولوجيين كانوا يرتبطون بالاعتقادات المسيطرة عن وحدة الجنس البشرى، وإن لم يكن معظمهم يؤمن بقدرة الجنس البشرى على خلق وتطوير الاشكال المنوعة والمتعددة من الثقافة .

ولكن كما قلنا من قبل كان بواس يرى بوضوح مدى التعقد فى الظاهرة الثقافية والنمو الثقافى ، ونتيجة لهذا فقد ذهب إلى أن النظرة إلى الثقافة تتطلب من الأنثربولوجى أن يكون قادراً على فهم كل العوامل التى قد تؤثر فى توزعات وحركات الشعوب ، ومؤكداً بذلك على حقيقة أن الاختلافات الثقافية ليست نتيجة للاختلافات البيولوجية بقدرما هى نتيجة للعلاقات والتعاملات المتشعبة والمتشابكة بين الإنسان والبيئة . وقد نجح هنا فى توظيف مفهوم التاريخية Historicity أو النزعة التاريخية لتوضيح تصوره للعوامل التى اعتقد أنها تتدخل فى تشكيل الثقافات، وهو ما أرجعه إلى العديد من عمليات التكيف والاستعارة من الثقافات الأخرى. مما يعنى أنه مع وجود عامل الزمن تقوم علاقة دينامية فى داخل كل ثقافة وبين الثقافات بعضها وبعض وبين الثقافات والبيئة كذلك. ومن الواضح أنه يعارض بذلك الفرض الأساسى عند الانتشاريين الذين يتمسكون بوجود قوانين عامة وشاملة تحكم تطور الحضارات ، وفى الوقت نفسه نظريات الحتمية البيئية فالثقافة ذاتها هى العامل الأكثر تأثيراً فى تشكيل الحضارة الإنسانية .

ولقد عبر بواس عن ذلك الموقف المتشابك فى إحدى مقالاته الشهيرة التى نشرها عام ١٩٤٠ بعنوان « النقاء العنصرى» Racial Purity فى مجلة Asia حيث ذهب إلى أن تاريخ الجنس البشرى يثبت أن التطورات الثقافية إنما تعتمد أساساً على الفرص التى تتيح للجماعة أن تتعلم من خبرات وتجارب جيرانها. فالاكتشافات والاختراعات التى تتم فى جماعة ما تنتقل إلى الآخرين وبذا فكلما تعددت الروابط والصلات كانت الفرصة أكبر للتعلم ولتطور المعرفة ونموها .

وقد يكون من الصعب إدراج إسهامات فرانز بواس تحت النظرية الأنثربولوجية الأمر الذى يرجعه الكثيرون إلى حقيقة أنه تعود على صياغة وجهات نظره فى صورة انتقادات لما يعتبره الكثيرون من المسلمات أو الفروض الواجب التمسك بها .

غير أن موقفه من انتقال الثقافة وانتشار الملامح الثقافية ينبغى مع ذلك أن ننظر إليه بشىء من الحرص . وكما يرى البعض فإن هذا الموقف لا يعنى أبداً أنه يساند المنهج الانتشارى والتطورى، أو أنه يعتنق موقف الانتشاريين فالواضح أنه قد انتقد المنهج التطورى القديم الذى يكتفى بدراسة أصول النظم والظواهر الاجتماعية عن طريق جمع المعلومات فى المجتمعات المختلفة عبر مختلف الأزمنة. وربما كان هذا من الأسباب الرئيسية التى جعلته يعارض بشدة الآراء والأفكار التطورية عند كل من أدوارد تايلور ولويس مورجان على وجه الخصوص، وعلى العكس من ذلك ظهر على يديه الاتجاه الوظيفى فى الاثنولوجيا أو الأنثربولوجيا الثقافية. فمنذ وقت مبكر تأثر بواس بالتطبيقيين الأوائل وبكل أصحاب الاتجاه الوظيفى القديم كما يظهر عند باخوفن Bachofen وفوستيل دو كولانج du Coulanges فتتلمذ عليهم وقرأ كتاباتهم ودرس نظرياتهم واتجاهاتهم الوظيفية حتى تشربها .

ومع أن الوظيفية فى الأنثربولوجيا قد نمت أساساً وتطورت كرد فعل ولكى تواجه النزعة التطورية Evolutionary والإنتشارية وتعارضهما، فإن ما لا شك فيه هو أن بواس قد سعى جاهداً إلى تخليص الدراسات الأنثربولوجية من ملامح الفكر التطورى والتأملى ، وأكد فى ذلك على الروابط بين الظواهر الاجتماعية ، وخضعت النزعة الوظيفية بذلك لتأثير الاتجاه الثقافى الأمريكى عند بواس الذى اعتبره روبرت لوى Lowie أكبر أنصار الوظيفيين إن لم يكن الوظيفى الوحيد .

ويقرر فرانز بواس صراحة أنه ينبغى أن يعتمد فهمنا للثقافة على الدراسة التكاملية التى تسعى لتحليل عناصرها ومكوناتها فى علاقاتها بعضها ببعض وعلاقتها بالظواهر الأخرى . فالمنهج الحقيقى لدراسة الثقافة كما يراه إنما يكون بإلغاء منهج الظن والتخمين Conjectural والاستعانة بمنهج التحليل العلمى الذى

يستند إلى الدراسة التكاملية للأنساق الثقافية ودراسة العناصر الثقافية ورد الظواهر الجزئية إلى سياقها الكلى .

هذا الموقف نجد أفضل تعبير عنه فى مقدمته التى كتبها لكتاب روث بنديكت «الأنماط الثقافية» Patterns of Culture ، ففى هذه المقدمة حدد بواس معالم منهجه فى دراسة الثقافة استناداً إلى ما أطلق عليه منهج التحليل المركز، وهو تحليل يقوم على جمع المادة التى تتعلق بتفاصيل الحياة الاجتماعية ، تلك التى تؤدى إلى الفهم الواضح لكل نواحى الحياة الاقتصادية والسياسية والتكنولوجية والفن والتنظيم الاجتماعى والدين ... إلخ . أما إذا درسنا الثقافة من جانب واحد فلن يعطى هذا سوى صورة مشوهة للثقافة أو للظاهرة الثقافية موضوع البحث .

ولا ينفصل هذا المنهج التحليلى عن موقفه من النظرية اللغوية عموماً ، فعلى الرغم من أنه قد اعتمد على جهده فى دراساته اللغوية ، فإن تأثره بالنزعة الإنسانية التى نجدها عند همبولدت Humboldt وأيضاً عند هيردر Herder وستانتيال Steinthal كان جليا. ولقد علمته دراسته للغات الهندية أن هذه اللغات تعمل من خلال مقولات خاصة بعيدة عن تلك تفترضها وتعمل من خلالها اللغات الهندوأوربية Indo-European . وعلى ذلك فإنه يلزم وصف وتحليل هذه اللغات فى ضوء مصطلحاتها ومقولاتها الذاتية والخاصة بها ، حتى لا يتم تشويهها بتدخل مقولات اللغات الهندوأوربية. ولقد أعطانا هو نفسه أكثر من مثال على هذا التحليل اللغوى فى دراسته لنحو الشينوك Chinook والتسمان Tsimshion والكواكيتول KwaKiutl وهى الدراسة التى ظهرت فى كتابه « دليل اللغات الهندية الأمريكية» The Handbook of American Indian Languages (١٩١١) . ففى هذا الكتاب يتضح أن التحليل اللغوى من وجهة نظره ليس غاية فى ذاته ولكنه جزء من التحليل الاثنوجرافى.

وكما أوضح هو نفسه فى مقدمته التى كتبها لهذا الكتاب فإن اللغة باعتبارها كشفا للعقل الإنسانى ما زلنا قادرين على ملاحظته إمبريقيا ، تساعدنا على الوصول إلى فهم أوضح للظاهرة الاثنولوجية وبخاصة من حيث طبيعتها التى

لا تخضع تماماً للوعى والشعور نظراً لأن الطبيعة الذاتية للغات سواء أكانت مرتبطة بالصياغات النحوية أو بالمعنى ، إنما تشير إلى الطرق المختلفة التى تتشكل بها التجربة الإنسانية . والواقع إن مثل هذه المفهومات والتصورات الجديدة قد فتحت الطريق أمام ظهور بعض الفرضيات الأكثر حداثة وراديكالية فيما يتعلق بالعلاقة بين اللغة والنظرة إلى العالم، وهى الفرضيات التى تطورت ونمت بعد ذلك على أيدى تلميذه أدوارد سابير Sapir وأيضا بنيامين فورف Whorf .

والإنتاج العلمى الذى خلفه فرانز بواس إنتاج متنوع وضخم بكل المقاييس، وإن كان الجانب الأكبر من كتاباته يتكون من الكم الهائل من المادة والمعلومات التى جمعها عن هنود ساحل الباسيفيكى . فعلى مدى ستة عقود نشر بواس مايزيد على ١٠ آلاف صفحة عن ثقافات هذه المناطق. ومع أن هذه الكتابات تشتمل على تقارير مركبة وتفصيلية على النحو الذى نجده فى «التنظيم الاجتماعى» والجمعيات السرية عند الكواكيتول The Social Organization and Secret Societies of the Kwakiutl Indians الذى ضمنه تقريره للمتحف الوطنى الأمريكى (١٨٩٥/١٨٩٧) وهو التقرير الذى أعيد نشره مؤخراً فى كتاب بعنوان «اثنوجرافية الكواكيتول» Kwakiutl Ethnography (١٩٦٦) ، فإن إحدى السمات المميزة لتناوله أن باقى المعلومات والمادة المتوافرة لديه كانت عبارة عن مجموعات من النصوص التى سجلها بلغات الأهالى الوطنيين أنفسهم أى باللغات واللهجات المحلية. وقد تسنى له ذلك بمساعدة أحد الإخباريين (جورج هنت George Huut) الذى يقول عنه إنه ساعده كثيراً فى وصف وترجمة وتحرير آلاف الصفحات التى تعتبر مرجعاً أصيلاً يشتمل على الأساطير والتواريخ العائلية والأعراف والعادات والتقاليد والأحلام بالأضافة إلى كم هائل من المادة حول المعتقدات الدينية والشعائر والطقوس الاحتفالية. فقد كان بواس يؤمن بأن هذه هى الطريقة الوحيدة التى تمكننا من فهم الثقافة من الداخل ، وخاصة أنه لم يكن يثق تماما فى الاكتفاء بوصف السلوك غير الرسمى، على اعتبار أن طريقة حياة الهنود الأمريكية تخضع للكثير من التغيرات نتيجة لجهود الرجل الأبيض التى تهدد بضياعها واختفائها، وبخاصة تلك الجوانب الرمزية ألتى تعكس عقلية السكان الأصليين ونظرتهم إلى المحيطات .

وليس بالإمكان التعرض هنا لكل مؤلفات فرانز بواس، ولهذا نكتفى بمجرد الإشارة إلى بعضها مما يعتبر أهمها. ففى عام ١٩١١ صدر مؤلفه «عقلية الإنسان البدائى» The Mind of Primitive Man ، وبعد ذلك ظهر كتابه «الأنثربولوجيا والحياة الحديثة» Anthropology and Modern Life (١٩٢٨) ومن بعده «توزع جغرافى لأسماء الكواكيتول» Geographical Names of the kwakiutl Indians (١٩٣٤) ثم «العنصر واللغة والثقافة» Race, Language and Culture (١٩٤٠) .

وكتابه عقلية الإنسان البدائى عبارة عن سلسلة من المحاضرات عن الثقافة والعنصر ألقاها فى العشرينات، وكانت مرجعاً للمعارضين لسياسات أمريكا التى كانت تفرض قيودا صارمة على الهجرة ، وهى قيود تتصل بالاختلافات الأجناسية. وقد أقدم النظام النازى فى الثلاثينات على حرق هذا الكتاب، كما حرم بواس من درجة الدكتوراه التى حصل عليها من جامعة كيبيل عام ١٩٣١. ولكنه أقدم فى عام ١٩٣٧ على إعادة كتابة بعض فصول الكتاب كما أدخل عليه بعض التعديلات والإضافات، وكان لذلك تأثيره على حركة الحقوق المدنية التى ظهرت فى الخمسينات.

أما كتاب « الفن البدائى» Primitive Art فقد سعى فيه بواس إلى بلورة قضية أساسية مؤداها أننا لن نستطيع فهم فن أى شعب من الشعوب والتعرف على أسلوبه المميز إلا إذا درسنا هذا الفن فى ارتباطه بالظروف الحياتية كلها التى يعيشها هذا الفن. بينما سعت بقية كتبه إلى دحض وتفنيد وجهة النظر التى يعتنقها التطوريون فيما يتعلق بنظرتهم إلى الشعوب، والتى تذهب إلى أن هناك بعض الشعوب قد نجحت فى تحقيق مرحلة تقدمية (أعلى) مما يوجد لدى غيرها. وهذه نظرة عرقية ولا شك تقسم الشعوب إلى شعوب أرقى وأخرى أدنى ولا تصمد أمام القول بالنسبية الثقافية التى ترى أن الجماعات الإنسانية كلها قد خضعت لتأثيرات التطور وإنما بطرق مختلفة .

وهكذا تظل المهمة التى يتعين على الباحث الأنثربولوجى أن يقوم بها متمثلة فى التوصل إلى أكتشاف قوانين العلية الثقافية أكثر من مجرد افتراض وجودها. وهو الأمر الذى لن يتهيأ إلا بمعرفة الكثير من الجوانب المتعلقة بالهجرة والتربية

والتربيب والأمراض، وأيضاً تلك الحركات والعلاقات المتبادلة ما بين الشعوب وثقافاتها .

• قراءات مقترحة •

- Goldschmidt, W., (ed.). The Anthropology of Franz Boas. 1959.
- Herskovits, M.; (ed.), Franz Boas, The Science of Man in the Making. 1943.
- White, L.; The Ethnogaphy and Ethnoliogy of Franz Boas. 1963.

★ ★ ★

٣١ – بوهانان، بول
31 - BOHANNAN, Paul

ترجع شهرة عالم الأنثربولوجيا الأمريكى بول بوهانان إلى أنه أحد الذين شغلتهم دراسة الانساق القانونية والسياسية فى المجتمعات الأفريقية ، وهى الدراسات الى ازدهرت فى الثلاثين سنة الأخيرة على وجه الخصوص ، واحتلت فيها كتاباته عن القانون فى المجتمعات البدائية والبسطية مكانة مرموقة وهى تتاول المشكلات القانونية والسياسية فى علاقتها بالتنظيم الاجتماعى لبعض هذه المجتمعات ، وذلك من خلال نظرة واقعية للأفراد ولطبيعة هذه المشكلات فى ارتباطها بالظروف الاقتصادية والايكولوجية العامة ، مما يمكن القول معه بأن دراسته للقانون البدائى إنما تنبئ باهتمام وشغف بالغين بقضايا الضبط الاجتماعى، وبدراسة الإجراءات والوسائل التى تلجأ إليها مثل هذه المجتمعات لفض المنازعات ولمواجهة الخروج على قواعد السلوك والمتعارفات المتفق عليها فى المجتمع ، ولمصادرة ما يوجد من انحرافات .

ولقد تلقى بوهانان تعليمه ونال درجاته العلمية من جامعتى أريزونا وأكسفورد . كما تلقى تدريبه فى أكسفورد التى قام بالتدريس فيها، وكذلك فى جامعة برينستون Princton وجامعة نورث ويسترن Northwestern التى عمل فيها أستاذا لعلم الاجتماع والأنثربولوجيا . كما أصبح زميلاً فى مركز الدراسات المتقدمة فى العلوم السلوكية Center for Advanced Studies in the Behavioral Sciences فى العامين ٦٣- ١٩٦٤.

ومع ذلك فمن المهم القول بأن تركيز بول بوهانان على دراسة القانون البدائى وعلى قضايا الضبط الاجتماعى عموماً فى هذه المجتمعات لا يعنى أن عطاءه

العلمى كـان أسـيـر هذا النطاق، ذلك لأن كـتـاباته واهتـمـامـاته كـانت من التـرح والتشعب لدرجة قل أن نجد لها مثيلاً بين أفراد جيله من العلماء ، فقد كتب فى قضايا الجنس Sex والأخلاق، كما درس مشكلات الطلاق وكتب فى الدين وفى الفن. بالإضافة إلى قيامه بالعديد من الدراسات الميدانية التى غطت هذه المواضيع فى كثير من المجتمعات والقبائل الأفريقية، بل وفى بعض المناطق والمدن الأمريكية ذاتها. حيث أجرى دراسته الشهيرة عن الطلاق فى مدينة سان فرانسيسكو. على الرغم من أن أفريقيا قد ظلت مع ذلك المسرح الرئيسى لمعظم بحوثه ودراساته.

ولقد انطلق بوهانان فى دراساته الحقلية التى أجراها بالقارة الأفريقية من مسلمة أساسية تقول بأنه لأجل دراسة تاريخ إفريقيا والتعرف على شعوبها ونظمها الاجتماعية وفنونها وأيضاً مستقبلها فى عالم متغير ، فلابد من الوقوف على تراثهم الثقافى وفهم هذا التراث بشكل عميق يمس الجذور. ومع أنه عبر عن هذه المسلمة فى كتابه «أفريقيا والأفريقيون» Africa and Africans الذى ظهر فى عام ١٩٦٤ وأعيد طبعة ثانية عام ١٩٧١ بالاشتراك مع فيليب كيرتن Curtin أستاذ التاريخ بجامعة ويسكنس Wisconsin إلا أن الملاحظ أنها (المسلمة) كانت تنعكس باستمرار فى كل أعماله حتى تلك الأعمال التى ظهرت قبل هذا التاريخ، بداية من دراسته الحقلية التى أجراها عن قبائل التيف Tiv فى نيجيريا الوسطى ما بين عامى ١٩٤٩ - ١٩٥٣، والتى أمضى فيها هو وزوجته لورا بوهانان Laura ثمانية وعشرين شهراً، وكذلك دراسته الحقلية الهامة التى أجرها بين الوانجا Wanga فى كينيا، ونجح أثناء هذه الدراسات فى أن يجمع كما هائلاً من المعلومات الاثنوجرافية التى كانت بمثابة نواة لمعظم كتاباته عن أفريقيا .

ونحن بالطبع لن نتعرض لهذه الأعمال والكتابات كلها، ولكن يكفى القول بأنه قدم عدداً من الكتب والمقالات التى ما زالت تتمتع بالتقدير كمراجع لها أهميتها. ففى عام ١٩٥٧ صدر كتابه الهام « العدالة والحكم بين التيف فى نيجيريا» Justice and Judgment Among The Tiv of Nigeria ، و« التيف فى نيجيريا الوسطى» The Tiv of Central Nigeria الذى ألفه بالاشتراك مع زوجته ، وكذلك «اقتصاديات التيف» Tiv

Economy وبعدها كتابه «الأسواق فى أفريقيا» Markets in Africa (١٩٦٥) ، و«الإطار الأفريقى» (١٩٦٦) الذى تناول فيه عمل النظام الانقسامى الذى تقوم عليه البدنة والدور الذى تلعبه فى المناشط والمجالات التى تعجز العائلة الصغيرة عنها . أما بالنسبة إلى مقالاته فقد كانت تدور فى معظمها حول مختلف المظاهر الاجتماعية فى القارة وربما كان فى مقدمتها مقالته عن «هجرة التيف وانتشارهم » The migration and Expansion of the Tiv التى نشرها عام ١٩٥٤ فى مجلة Africa و«أثر النقود على اقتصاد المعيشة الأفريقى The Impact of Money on African Subsistance Economy (١٩٥٩) ، و«الزواج والعائلة ونمط الإقامة» Marriage, Family and Residence (١٩٦٨) و «الطلاق وما بعده Divorce and After (١٩٧٠) إلى جانب عدد آخر من المقالات والبحوث التى يضيق المقام هنا عن ذكرها.

النقطة الرئيسية التى ركز عليها بوهانان فى كل هذه الكتابات ، وبخاصة كتابه عن العدالة والحكم بين التيف فى نيجيريا هى مناقشته لمختلف الوسائل التى يلجأ إليها المجتمع لحسم النزاعات التى تنشب بين المتخاصمين، وهى وسائل يرى أنها تهدف بالدرجة الأولى، إلى إرضاء الشاكى وإنزال العقوبة المناسبة بالمعتدى أو على الأقل التعويض عن الضرر وما إلى ذلك من الإجراءات التى تستهدف إنهاء حالة التوتر والنزاع اللذين يهددان الاستقرار الاجتماعى. وذلك من خلال تحليله لبعض الأفعال والتصرفات الاجتماعية التى تحقق هذه الغاية .

وعلى العموم فقد ساعدت هذه الكتابات فى إلقاء كثير من الأضواء على مختلف جوانب الظاهرة الاجتماعية والاقتصادية فى أفريقيا ، ومثال ذلك أنه عرض فى كتابه « الأسواق فى أفريقيا » لأنساق الإنتاج والتوزيع فى المجتمعات البدائية البسيطة وركز فى ذلك على مبدأ تبادل الخدمات والسلع وبذلك يعتبر دراسة متكاملة للأسواق ودورها الاقتصادى والاجتماعى ومدى تأثر هذه الأسواق التى تعتبر عصب الحياة الاقتصادية بالنقود وبالآليات الحديثة الوافدة إليها . وإذا كان كتابه عن « القرابة والتنظيم الاجتماعى » Kinship and Social Organization الذى كتبه بالاشتراك مع ج. ميدلتون Middleton قد اعتبر دراسة رائدة عن الدور الذى

يلعبه النسق القرابى فى الحفاظ على تضامن المجتمع وتماسكه، فإن كتابه عن الطلاق يصير من الناحية الأخرى معالجة موضوعية لأشكال الزواج والالتزامات التى يفرضها المجتمع على الزوجين وبخاصة الزوج فى حالة وفاة الزوجة . وفى ذلك نجده يستعرض مكانة المرأة المتزوجة وكيف أن المجتمع يلجأ إلى إعادة تزويج الأرملة التى يموت عنها زوجها كوسيلة لإعادة دمجها فى حياة المجتمع . علاوة على توضيحه لمقومات الحياة العائلية الهنيئة ، وكذا العوامل التى ينتج عنها تحلل الروابط الأسرية وتفككها .

وبالرغم من كل هذا فإن دراسته لقانون الإسكيمو وتلك التى أجراها عن التودا Todas فى الهند تظل من أمتع الدراسات وأعمقها التى أجريت عن القانون فى المجتمعات البدائية التى يتصف تنظيمها الاجتماعى بدرجة عالية جدا من البساطة. ففى دراسته لقانون الإسكيمو نجد بوهانان يسعى إلى إبراز ما أطلق عليه مبدأ الاعتماد على النفس الذى يلجأ إليه المجتمع فى حل أكثر قضايا النزاع والخصام ، وهو مبدأ يتمتع بالشرعية وباعتراف المجتمع نظرا لعدم وجود الضبط الرسمى (البوليس) لدى الإسكيمو، وإنما على الفرد أن يعتمد على نفسه وعلى مجهوداته فى أخذ حقوقه واسترجاعها إذا ما اعتدى عليها ، كما أن له أن يطلب مساعدة أقاربه فى هذا .

ومع أن كبار السن يلعبون هنا دورا له قيمته فى فض المنازعات وإنهاء الخصومات وذلك عن طريق إسداء النصح والتوجيه والإرشاد والتقريب بين وجهات النظر، فإن قانون الإسكيمو يمكن القول بأنه يخضع للظروف ذاتها التى يعيشها أعضاء المجتمع وبخاصة فيما يتعلق بحوادث خطف الزوجات التى يعتبرها المجتمع من أشد أنواع الجرائم وأكثرها انتشارا كذلك، وخاصة أن عملية الخطف ترتبط بنظام المكانة الاجتماعية، بمعنى أن خطف الرجل زوجة رجل أخر يتمتع بمكانة ومنزلة اجتماعية مرموقتين مما يسبغ على الخاطف منزلة اجتماعية ويرفع من قدره فى المجتمع .

ومع أن من عادات المجتمع أن يقدم الزوج زوجته لضيفه مدة إقامته فى بيته

ويعتبر هذا التصرف منتهى الكرم وقمة المراعاة لأصول الضيافة ، فالمدهش أن الزوج لا يمكن أن يسكت إذا ما اغتصبت زوجته .

ومن الطريف هنا أن الاسكيمو لا يعدمون الوسائل والأساليب التى يضيقون بها من اتساع نطاق المنازعات التى تقوم بسبب خطف الزوجات ، وما قد يؤدى إليه هذا من أفعال انتقامية بين جماعة المعتدى والمعتدى عليه . فهم يلجأون إلى المناظرات والمساجلات الهجائية التى يهاجم فيها أزواج المخطوفات أو المغتصبات أعداءهم خطابيا، ويذهب بوهانان إلى أنه بهذه الطريقة ينجح المجتمع فى تجنب مظاهر الصدام الدموى التى قد تمتد إلى جماعات كثيرة مما يهدد أمن المجتمع واستقراره علاوة - كما يذهب بوهانان - إلى أن مثل هذه الوسيلة كفيلة بأن تنفس عن العواطف المكبوتة والمشحونة بمشاعر الكراهية والرغبة فى الانتقام العنيف وهى طريقة تعتبر مؤثرة حيث إنها تفقد الشخص المعتدى منزلته الاجتماعية، وهذا أقصى عقاب يمكن أن يتوقعه رجل الإسكيمو.

وعلى العموم فإن هذه الكتابات جميعها تعكس بدرجة أو بأخرى اعتماد بوهانان على مفهوم التوازن الدينامى الذى نجده فى المدخل الوظيفى البنائى لدراسة المجتمع ، فقد قدم بوهانان فكرة نسق الحدث Event System ويعنى بذلك ضرورة تحليل أى بناء للعلاقات الاجتماعية، سواء أكانت فى داخل الأسرة أو الجماعة أو المجتمع المحلى فى ضوء دورة الأحداث البشرية والتى تقع بصفة دائمة ومستمرة داخل بناء هذه العلاقات، وهى فكرة تبدو مفيدة وقد عرض لها تفصيلا فى كتابه الشهير « الانثربولوجيا الاجتماعية Social Anthropology الذى قدمه عام ١٩٦٣، واعتبر أن الأخذ بها ضرورى للإحاطة بشبكة العلاقات الاجتماعية وطبيعة الظروف التى تدفع إلى الفعل والسلوك .

• قراءات مقترحة•

- Bohannan, Laura; Political Aspects of Tiv Social Organization, J. Middleton and D. Tait (eds.), Tribes Without Rulcrs.

- -------------- and P. Bohannan; Land Rights: Social Relations in Terrestrial Space " in the Tiv Economy. 1968.

- Hoebel, A.; The Law of Primitive Man. 1954.

- LLewellyn, karl and Hoebel, E. A.; the Cheyenne way. 1953.

- Paden, John and Soja, Edward W.; The African Experience. 3 Vols. 1970, 1971.

★ ★ ★

٣٢ - بوتومور، ت . ب.

32 - BOTTOMORE, T.B.

اشتهر عالم الاجتماع البريطانى توماس ب. بوتومور بإصداراته المتعددة لكتب كارل ماركس وبدراساته المتشعبة فى الطبقات والصفوات الاجتماعية وكتاباته المنوعة فى ميادين النظرية الاجتماعية والتدرج الاجتماعى والنظرية الماركسية على وجه الخصوص، علاوة على أنه يعد واحدا من أبرز علماء الاجتماع البريطانيين الذين يتمتعون بنظر ثاقب ودراية عميقة ليس فحسب بعلم الاجتماع الأوربى، ولكن أيضا بقضايا الرأسمالية المعاصرة ومشكلات المجتمع الصناعى الحديث، وكذلك طبيعة القضايا الملحة التى تصاحب عمليات التطور الاجتماعى فى المجتمعات النامية عموما، وكله أتاح له فرص التدريس لا فى إنجلترا وحدها، ولكن أيضا فى جامعات أمريكا وفرنسا وكندا، فضلا عن عضويته ورئاسته لعدد من الجمعيات والروابط الاجتماعية المحلية والدولية، فقد عمل أستاذا لعلم الاجتماع بمدرسة لندن للعلوم السياسية والاقتصادية من عام ٥٢ إلى ١٩٦٤، وقضى ثلاث سنوات كأستاذ ورئيس لقسم العلوم السياسية والاجتماع والأنثربولوجيا فى جامعة سيمون فريزر Simon Fraser فى فانكوفر Vancouver ببريطانيا . ثم أصبح منذ عام ١٩٦٨ أستاذا لعلم الاجتماع فى جامعة سسكس Sussex، علاوة على أنه شغل لفترة طويلة منصب رئاسة الجمعية الاجتماعية البريطانية، ومنصب نائب رئيس الرابطة الدولية لعلم الاجتماع . كما أشرف فى الفترة من ٥٣ إلى ١٩٦٢ على تحرير مجلة Current Sociology والمجلة الأوربية لعلم الاجتماع .

ولا جدال فى أن بوتومور قد اعتبر دائما واحدا من أهم علماء الاجتماع

الذين انشغلوا بمناقشة كارل ماركس Marx والماركسية Marxsim ومع ذلك فقد نجح فى أن يبلور لنفسه موقفا خاصا يتسم بالأصالة والعمق . ويمكن القول بأن بوتومور قد أقام هذا الموقف على مسلمة أساسية مؤداها أن ماركس قد جعل كل همه أن يدرس فحسب وبشكل تفصيلى نوعا واحدا من الجماعات الإنسانية هى الجماعة (المجتمع) الرأسمالية التى كانت فى إنجلترا فى أخريات القرن التاسع عشر، ولهذا فإنه من هذا المنظور تبدو نظرية ماركس مقبولة، وإنما فى حدود ما إذا أخذنا ظروف إنجلترا فى هذه الفترة .

من الناحية الثانية احتل موضوع الطبقات الاجتماعية مكانة محورية فى نسق بوتومور الفكرى . ولا يرجع هذا فحسب إلى ارتباطه بالنظرية الماركسية، ولكن أيضا لأن دراسته للطبقات الاجتماعية تمثل موضوعا سياسيا له مكانة خاصة فى علم الاجتماع البريطانى، باعتبار أن التغيرات الاقتصادية والصناعية التى شهدتها بريطانيا قد صاحبها تغيرات جذرية فى البناء الطبقى وهو الأمر الذى تعكسه لا كتابات بوتومور وحده، ولكنا نجده فى أعمال أخرى كثيرة وبخاصة أعمال مارشال Marshall الذى يعتبر من وجهة نظر الكثيرين أول من اهتم بهذه الناحية بين كتاب جيل ما بعد الحرب العالمية الثانية، وعلى ما يظهر فى كتابه « الطبقات فى المجتمع الحديث » Classes in Modern Society (١٩٥٥) الذى يعتبر مناقشة جادة للطبقة الاجتماعية كمفهوم اجتماعى، وحيث وجه بوتومور العديد من الانتقادات لرؤية كارل ماركس للطبقات الاجتماعية، واتهمه بأنه بسط دون مبرر طبيعة السلم الاجتماعى بهدف أن يظهر الاتساق فى نظريته عندما ذهب إلى أن هناك طبقتين رئيسيتين تتصارعان على الرغم من أن طبيعة المجتمعات الصناعية المتقدمة لا يوجد بها واقعيا مثل هذه السمة القاطعة والحادة وإنما تتميز على العكس من ذلك بوجود تفرقة وتمييزات دقيقة وواضحة بين مختلف المكانات والمنزلات الاجتماعية، الأمر الذى يؤدى بالضرورة إلى مزيد من التعقيدات فى السلم الاجتماعى .

وبدلا من ذلك فقد عالج بوتومور قضية الطبقة الاجتماعية من خلال تركيزه

على البناء الطبقى Class Structure فى كل من المجتمعات الرأسمالية والمجتمعات الاشتراكية، واستخدام العديد من المفارقات التى يكشف عنها الواقع الاجتماعى كمحكات لاختبار النظرية الماركسية فى الصراع الطبقى والوعى الطبقى، ومثيرا بذلك العديد من القضايا النظرية والمنهجية التى يدعمها الواقع الإمبريقى دون ما تحيز إيديولوجى ملحوظ . وإن كانت مسألة التحيز هذه تظل مع ذلك من المسائل التى ينبغى النظر إليها بمزيد من الحرص وربما عدم الاطمئنان .

الكتاب الهام الثانى لبوتومور هو الذى قدمه بالإشتراك مع مكسمليان روبل Rubel (١٩٥٦) بعنوان « كارل ماركس : كتابات مختارة فى علم الاجتماع والفلسفة الاجتماعية» Karl Marx : Selected Writings in Sociology and Social Philosophy. وإن كانت الستينيات والسبعينيات هى التى شهدت مع ذلك أكثر كتبه عمقا وأصالة. ففى عام ١٩٦٢ قدم كتابه الممتاز « علم الاجتماع : مرشد للقضايا والتراث» Sociology : A Guide to Problems and Literature وهو كتاب وصفه البعض بأنه فريد فى موضوعه باعتباره مدخلا أو مقدمة فى علم الاجتماع بمعناه الواسع . بمعنى أن بوتومور لم يكتبه للمتخصصين فحسب، ولكن ليقدم معرفة علمية واضحة إلى القارئ العادى. وبلغ من هذا التقريظ أن وصفه أرنست جلنر Gellner بأنه أحسن كتاب شامل قدم فى إنجلترا خلال العقود الأخيرة . وربما كان ذلك هو السبب الذى جعل اليونيسكو Unesco تعيد طباعته بعد ذلك بعدة سنوات فى عام ١٩٧١، وهى طبعة أقدم فيها بوتومور على إعادة النظر فى بعض القضايا التى كان قد أثارها من قبل فى الطبعة الأولى، بالإضافة إلى معالجته للفكر الماركسى عموما وللتطورات التى لحقت البنائية، علاوة على مناقشته لبعض القضايا الهامة فى علم الاجتماع مثل مشكلة القيمة، وارتباط كل هذا بمشكلات المجتمع الصناعى الحديث وبالحركات السياسية والتى تظهر هنا وهناك، وبخاصة فى الدول النامية كاشفا بكل هذا عن طبيعة الدور الذى تقوم به القوة فى الحياة الاجتماعية وبخاصة فى الحروب والثورات.

أما الكتاب الهام الثالث فهو كتابه « الصفوة والمجتمع » Elites and Society

(١٩٦٤) وهو كتاب يقدم فيه منظورا جديدا لموضوعه يختلف عن المعالجات التى نراها عند كتاب الصفوة الكلاسيكية من أمثال موسكا وميتشلز وباريتو وغيرهم. كما يختلف أيضا عن محاولات التوفيق بين الاتجاهات المختلفة تلك التى يمكن رؤيتها فى كتابات أمثال رايت ميلز وبيرنهام على الرغم من أهميتها .

ولقد أدى به هذا إلى أن يحاول منذ البداية تحديد مفهوم الصفوة من خلال منظور معين بوصفها مفهوما علميا، وأيضا كأداة لتحليل النظم السياسية وكتعبير عن أيديولوجية عامة يرى أنها أصبحت تحكم المجتمعات وتتحكم فيها. وفى هذا كله نجده يناقش بعض المفهومات الأساسية كمفهوم الطبقة الحاكمة ومفهوم القوة ومفهوم صفوة القوة كاشفا عن الديناميات التى وصفها بأنها ديناميات الصفوة . وإنما الأهم من كل هذا أنه أقدم على تحليل لبعض الصفوات التى حصرها فى جماعات المثقفين والمديرين والبيروقراطيين وأبرز فى تحليله خصائص كل منها وطبيعة العلاقات التى تقوم بينها وبين باقى الفئات الاجتماعية ليبرز الدور الذى تقوم به كل من هذه الصفوات فى حياة المجتمع اعتمادا بالدرجة الأولى على ما تعتنقه من أيديولوجيات ومواقف فكرية .

بعد ذلك صدر كتابه الممتع « النقد فى المجتمع : التفكير الراديكالى فى أمركيا الشمالية » Critics of Society (Radical Thought in North America) الذى ظهر عام ١٩٦٧ وهو كتاب كان فى الأصل مجموعة من الأحاديث التى أذاعتها الإذاعة الكندية فى الفترة ما بين مارس ومايو ١٩٦٦ وقد قام اتحاد الإذاعة الكندية بجمع هذه الأحاديث وإعادة نشرها فى شكل كتاب تحت العنوان المذكور .

ومع ذلك يظل كتابه « علم الاجتماع كنقد اجتماعى » Sociology as Social Criticism (١٩٧٥) ربما أفضل كتبه على الإطلاق. والكتاب عبارة عن مجموعة من المقالات التى نشرت خلال الستينيات ويبرز تصوره للفكر الاجتماعى كأداة فاعلة لتحليل ونقد النظريات والمذاهب الاجتماعية والنظم السياسية .

ولكن الكتاب إلى جانب هذا يعالج أيضا وبصفة رئيسية بعض الرؤى

المحافظة المسيطرة فى علم الإجتماع والتى يعتقد أنها من بين المعوقات الأساسية لتطور العلم وتقدمه، كما يتناول ايضا كيفية انبثاق الفكر الراديكالى والحركات الاجتماعية الحديثة، ومن هنا اعتباره بمثابة نظرية نقدية فى المجتمع وخاصة أنه يثير العديد من القضايا والمشكلات الاجتماعية المعاصرة .

ومع أن البعض يذهب إلى أن هذا الكتاب لا يعدو أن يكون تطويرا إن لم يكن ترديدا لبعض رؤاه ومواقفه التى سبق أن عبر عنها فى مناقشته لقضايا الطبقات الاجتماعية وقضايا الرأسمالية والاشتراكية فلا ينفى هذا أبدا اتصافه بوحدة التفكير وبأنه ينطوى على محاولة نقدية واعية لصياغة أسس عقلية جديدة يعتقد أنها لازمة للتطور الثقافى والسياسى فى المستقبل . ومن ها هنا بالذات تبدو أهميته الفائقة .

• قراءات مقترحة•

- Douglas, Jack D. (ed.); The Impect of Sociology. 1970.
- Gellner, E., Thought and Change. 1964.
- Horowitz, Irving L.; Three Worlds of Development. 1966.
- Lockwood, D.; The Blackcoated Worker. 1958.
- Thompson, E. P.; The Making of the English Working Class. 1968.
- Touraine, Alain; La Conscience Ouvriére, 1966.

★ ★ ★

٣٣ - بريثويت، ريتشارد

33 - BRAITHWAITE, Richard

أخذت مشكلة وجود علم أجتماع علمى بالمعنى الدقيق جانبا كبيرا من تفكير الفيلسوف البريطانى ريتشارد بريثويت الذى اشتهر بنظرياته فى فلسفة العلوم وبدراساته وبحوثه فى فلسفة الدين والأخلاق . فقد كان من العلماء القليلين الذين أرقتهم أزمة العلم الاجتماعى، حيث رأى أن العلماء لا يهتمون أساسا بالأحداث أو الظواهر المتفردة، أو المنعزلة، أو حتى بنماذج من هذه الأحداث التى قد تتكرر على نطاق ضيق، ولكنهم يستهجنون ذلك كا يستهجنون أن يكون العلم مستخلصا من مثل هذه المواقف وما تنطوى عليه من خبرات. وباعتباره واحدا من كبار فلاسفة العلوم البريطانية فقد كان يرى أن العلم يهدف على العكس من ذلك إلى كشف ما يقوم وراء السطح، وأن العلماء يتوجب عليهم من ثم أن يسعوا إلى الكشف عن سبب (أسباب) الوحدة والتوافق بين كل مظاهر الاختلاف والتغاير. فمن حول عوامل الوحدة هذه يتم بناء منطقى، يكون وسيلة للوصول إلى نوع من التعميم الوصفى. وذلك على اعتبار أن النظرية فى العلم هى طاقم من الفروض أو الفرضيات التى تترابط فى نسق منطقى محكم . ولقد عبر هو نفسه عن ذلك بقوله أنه بهذه الكيفية وحدها يصل العالم إلى نسق استدلالى (استنتاجى) deductive يتم ترتيبه وتنظيمه بشكل يسهل استنتاج كل الفرضيات، من بعض المقدمات والفرضيات النهائية فالنظرية فى العلم ليست نتيجة تأمل نظرى ولكنها نتيجة لنمو تدريجى ودراسة تراكمية وبنائية للحقائق العديدة التى تخضع لفرضيات يتم التحقق منها امبريقيا فى فترة زمانية، بغرض الكشف عن طبيعة العلاقات الأساسية أو المبادئ المنطقية التى يمكن صياغتها بشكل مقبول . فالنظرية كما قرر بريثويت فى كتابه

الشـهـيـر الذى نشـر فـى عـام ١٩٥٥ بعنوان Scientific Explanations: A study of the Function of Theory, Probability and Law in Sciencc. 1955. تؤكـد علـى الاعـتـقـاد بوجود نوع من الانتظام الذى يخضع للقانون، وهو الذى يعطى الأحداث أو الوقائع المتكررة معناها الحقيقى .

ولقـد ولد ريتـشـارد بريثـويت فى الخـامس عـشـر من يناير عـام ١٩٠٠ فى بانبيرى Banbury بأكسفورد شاير Oxfordshire ببريطانيا وكان لتدريبه العملى وبنائه العلمى أثرهما العميق فى أن يصبح فى وقت قصير نسبيا فى مقدمة فلاسفة العلوم الذين أنجبتهم بريطانيا . فقد تلقى تعليمه فى جامعة كامبريدج حيث درس فى أول الأمر الطبيعيات والرياضيات، وذلك قبل أن يتحول إلى دراسة الفلسفة: أما مرحلة انطلاقته العلمية فيمكن القول بأنها بدأت عندما أصبح زميلا فى الجامعة فى عام ١٩٢٤ حيث أخذ يحاضر فى علم الأخلاق فى الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٥٣ ليصبح بعد ذلك استاذا لفلسفة الأخلاق منذ عام ١٩٦٣ إلى ١٩٦٧ .

ولقـد كـان لعـمل بريثـويت فى فلسـفـة العلوم أهمـيـة بـالغـة بالنسـبـة لتطوير النظريات المتعلقة بطبيعة البحث العلمى، ففى كتابه السابق الإشارة إليه ناقش العـديد من الجـوانب النظرية فى العلم، وتعـرض للصـراع فى العـلاقـة بين النظرية والامـبـريقـيـة، واهتم بكيـفـيـة بناء النظرية العلمـيـة وبطبـيـعـة العلم نفسـه، وكـيـفـيـة صياغة القوانين العلمية والتوصل إلى التعميمات .

غير أن اهتمامات برثيويت من الخطأ القول بأنها تنصب على هذه النواحى فحسب أو حتى تلك التى تدور حول النماذج وتصميم الموديلات وكيفية الإفادة بكشل تام من قوانين الاحتمالات والبدائل المتاحة أمام الباحث العلمى التى تنتجها هذه الأطر والأساليب، فقد أفادت – وهذا من الناحية الأخرى – خلفيته العلمية فى دراساته التى أجراها عن القضايا الأخلاقية وفلسفة الدين والتى حاول أن يطبق فيها نظرية المباراة الرياضية. وذلك على النحو الذى نراه بصفة خاصة فى كتابه «نظرية المباراة كأداة للفيلسوف الأخلاقى » Theory of Games as a Tool for the Moral Philosopher الذى صدر فى ١٩٥٥ وركز فيه على إبراز الكيفية أو الطرق التى يمكن

بهـا اسـتـخـدام نظرية المبـاراة (اللعب) للتـوصل إلـى بعض المواقف والاخـتـيـارات الأخلاقية، علاوة على فائدتها فى عملية صنع القـرارات الأخلاقية ذاتها وتطبيقها،. وهى قضيـة شائكة على أى الأحـوال، وما زالت تثير الكثيـر من الجدل والمناقشات بين جماهير الباحثين ودوائر المثقفين .

● قراءات مقترحة ●

- Bung, M.; the of Simplicity. 1963.
- Hampel, C. G.; Aspects of Scientifie Explanation, 1965 .
- Dickinson, John p., Science and Scientifie Researches in Modern Society. 1984.
- kurtz, p.; Decision and the Condition of Man. 1958.
- Popper, k.; Objective Knowledge: An Evolutionary Approach.

★ ★ ★

٣٤ - بروسفيتز، اكسل

34 - BRUSEWITZ, Axel (Karl Adolf)

ينتمى عالم الاجتماع وأستاذ العلوم السياسية أكسل كارل أدولف بروسفيتز لأبوين سويديين، ولكنه ولد فى التاسع من شهر يونيو عام ١٨٨١ فى فيشتز Vichtis بفنلندا، وهى البلدة التى قضى فيها مراحل تعليمه الأولى ليعود إلى السويد ويلتحق بجامعة أوبسالا Uppsala التى انهى فيها تعليمه الجامعى وحصل منها أيضا على درجة الدكتوراه عام ١٩١٣ عن رسالته التى دارت حول «التمثيل النيابى فى الدورة البرلمانية بالسويد من عام ١٩٠٨ إلى ١٩١٠» .

ومنذ حصوله على الدكتوراه امتزجت حياته العلمية بحياته العملية امتزاجا ملحوظا لدرجة أنه لعب دورا متعاظما فى كل من الناحيتين عن طريق إسهاماته فى تدعيم الأفكار الديمقراطية سواء من خلال عضويته للجان التى تشكل لتطبيق الممارسات الديمقراطية وبخاصة لجان التصويت الشعبى أو بكتابته فى تاريخ الفكر الدستورى فى السويد وعن الديمقراطية الشعبية فى سويسرا وهى الكتابات التى كان لها تأثيراتها فيما أصبحت تمارسه السويد وسويسرا، من آليات ونظم تدعم المثال الديمقراطى وتعمقه. فقد عمل فور تخرجه فى عام ١٩١٣ محاضرا فى العلوم السياسية كما عمل مساعدا فى مكتب المقاطعة فى الفترة من ١٩٠٦ إلى ١٩٢٠، ثم مدرسا بالجامعة فيما بين عام ١٩١٩ وعام ١٩٢٣، وليصبح أستاذا للعلوم السياسية والنظرية السياسية والاجتماعية فى جامعة أوبسالا من عام ١٩٢٣ وهو المنصب الرئيسى الذى ظل يشغله حتى عام ١٩٤٧ .

وتعتبر كتاباته ودراساته عن الأزمة الدستورية التى شهدتها السويد عام ١٨٠٩ والتى تناولها فى مؤلفه الذى نشره عام ١٩١٧ بعنوان « دراسات فى أزمة

١٨٠٩ الدستورية « Studies on the Constitutional Crisis of 1809 من أهم الدراسات التى ظهرت فى الموضوع ومن أكثرها ثورية فى تاريخ الفكر الدستورى، حيث أسفرت عن إدخال كثير من التعديلات التى أخذت بها العديد من الدساتير فى أنحاء مختلفة من العالم، فقد أوضح فى هذه الكتابات تأثيرات النظرية السياسية والاجتماعية وبخاصة نظريات الفيلسوف الفرنسى مونتسكيو Montesquieu مما كان له أثره على فقهاء القانون الدستورى الذين ساندوا رؤيته السياسية والاجتماعية التى تذهب إلى أن الدستور لم يكن تعبيرا عن الوحدة القومية بقدر ما كان نوعا من التوفيق بين مختلف القوى والعوامل المتصارعة التى تعمل فى داخل السويد، وهى الرؤية التى أصبحت على أية حال بمثابة ركيزة فى مختلف دساتير العالم التى تستهدف نشر الديمقراطية وتقليل الفوارق بين الطبقات والفئات الاجتماعية المختلفة، ومواجهة الآثار السلبية والمدمرة لتفاقم مظاهر الصراع الاجتماعى .

من الناحية الأخرى قدم بروسفيتز أيضا فى عام ١٩٢٣ مؤلفه الموسوعى «نظام التصويت الشعبى والديمقراطية السويسرية » The Institution of the Popular Vote and Swiss Democracy وهو عبارة عن دراسة حافلة لأعمال اللجان التى خولت العمل فى هذه الناحية نظريا وتطبيقيا ما زال ينظر إليها الكثيرون على أنها أفضل وأعمق ما كتب فى الموضوع حتى الآن .

ولقد توفى بروسفيتز فى الثلاثين من شهر سبتمبر عام ١٩٥٠ فى أوبسالا بالسويد، وبالرغم من مرور حوالى نصف قرن على وفاته فما زال يذكر كحجة فى الأدوار الهامة التى تقوم بها الحكومة السويدية والبرلمان السويدى فى أمور السياسة الخارجية، والشىء نفسه بالنسبة للتاريخ البرلمانى لإنجلترا وقانون الملكية السويدية والحقوق التى يخولها القانون للملك والمسئوليات الملقاة على عاتقه .

• قراءات مقترحة •

- Bourdieu, Pierre; Outline of a Theory of Practice. 1977.
- Hägerström, Axel; The Roman Notion of Obligation in the Light of the General Roman View of Law 2. Vol. (1927 - 1941).

★ ★ ★

٣٥ - برايانت، السير آرثر واين مورجان

35 - BRYANT, Sir Arthur

من كبار الكتاب الذين انطلقوا فى كتاباتهم التاريخية من خلفية اجتماعية، فهو لم يكتف برصد الحدث التاريخى وإنما سعى إلى وضعه فى قلب السياقات الاجتماعية التى وجد فيها، وركز فى تناوله للأحداث وفى تحليله لها على ابراز ديناميات العصر، الأمر الذى جعل «تواريخه» وكأنها معايشة جديدة لكل أبعاد الواقع الاجتماعى والسياسى، أو كأنها « بعث » جديد لهذا الواقع .

من الناحية الأخرى يعتبر أيضا من بين القلائل الذين ترتبط أسماؤهم بمؤلف واحد أو عمل واحد يشير إليهم . ذلك بالإضافة إلى أن طريقته فى التأريخ قد تميزت بمسحة ملحمية غالبة تناول بها حياة الأبطال والمشاهير مما أكسب كتاباته طابعا شعبيا ساعد على الإقبال عليها وانتشارها لتتأكد له بذلك شهرة عالمية تجاوزت حدود بلاده إنجلترا .

هو السير آرثر واين مورجان برايانت المؤرخ البريطانى الأشهر الذى سجلت كتاباته صفحات من التاريخ الاجتماعى والسياسى من خلال نظرة بارانومية واسعة تنظر إلى التاريخ الإنجليزى ككل أو كمتصل تتفاعل على مداه الأحداث بقدرات الإنسان وإبداعاته .

ولقد ولد السير آرثر برايانت فى ديرز نجهام Dersingham بمقاطعة نورفولك Norfolk بانجلترا فى الثامن عشر من فبراير عام ١٨٩٩ . واشتهر بصفة خاصة بمؤلفه الضخم الذى صدر فى ثلاثة أجزاء عن حياة صامويل بيبى Pepys فى السنوات ١٩٣٣ و ١٩٣٥ و ١٩٣٨ . فصدر أولها بعنوان « مرحلة التكوين The Man

In the Making والثانى بعنوان « سنوات الخطر » Thre Years of Peril والثالث بعنوان «منقذ البحرية» The Saviour of the Navy .

ولقد ترك برايانت دراسته فى هارو Harrow وهو فى سن الثامنة عشرة ليصبح واحد من أكفأ الطيارين فى السلاح الجوى الملكى البريطانى خلال الحرب العالمية الأولى . ولكن ما أن وضعت الحرب أوزارها حتى عاد يواصل دراسته . وبعد أن تخرج فى إكسفورد أصبح مديرا لمدرسة كمبردج للفنون والحرف والتكنولوجيا Cambridge School of Arts, Crafts, of and Technology فى الفترة من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٥ ثم عمل بعد ذلك محاضرا فى التاريخ فى برامج أكسفورد الإضافية ما بين عامى ١٩٢٥ و ١٩٣٦ .

ولقد صدر للسير آرثر برايانت عدد ضخم من الكتب والمؤلفات التى لقيت تقديرا متزايدا من كافة الأوساط العلمية والحكومية، فأنعم عليه بلقب فارس فى عام ١٩٥٤ . كنوع من التقدير والعرفان .

إلى جانب مؤلفه الضخم الذى أشرنا إليه عن حياة صامويل بيبى ظهر له العديد من المؤلفات التى أسهمت فى نسج خيوط شهرته ومكانته العلمية . وقد بدأت أعماله المبكرة بسلسلة من السير الذاتية Biographies التى تناولت الملك شارل الثانى King Charles II (١٩٣١) وسيرة ماكولى Macaulay (١٩٣٢) «وجورج الخامس» George V (١٩٣٦) وستانلى بالدوين Stanley Baldwin (١٩٣٧) . وقد ظهر فى هذه المرحلة أيضا اهتمامه بتاريخ الولايات المتحدة الأمريكية فصدر له كتابه « النموذج الأمريكى American Ideal عام ١٩٣٦ .

المرحلة الثانية التى يمكن تمييزها فى إنتاج السير آرثر برايانت تلك التى بدأت مع الحرب العالمية الثانية، وهى مرحلة انعكست فيها رؤيته البانورامية للتاريخ الإنجليزى بوضوح حيث بدأها بكتابه «سنوات المحنه : ١٧٩٣ - ١٨٠٢» The Years of Endurance (١٩٤٢) ومن بعده مؤلفه «سنوات الانتصار : ١٨٠٢ - ١٨١٢» Years of Victory (١٩٤٤) ثم أعقبهما بمؤلفه «عصر الأناقة والازدهار : ١٨١٢ -

١٨٢٢»، The Age of Elegance (١٩٥٠) ثم بعد ذلك أعماله المتأخرة والتى من أشهرها كتابه عن نلسن Nelson (١٩٧٠) و«الدوق العظيم. ولينجتون» The Great: Wellington (١٩٧١)، على حين تضمنت تواريخه التى جاءت بعد ذلك ومن بينها «ألف عام للملكية البريطانية A Thousand Years of British Monarchy (١٩٧٥) و«روح إنجلترا The Spirit of England الذى أصدره عام ١٩٨٢ قبل وفاته فى سالسبورى Salisbury بإنجلترا فى الثانى من شهر يناير عام ١٩٨٥ .



٣٦ - بيرجس، إرنست واطسن

36 - BURGESS, Ernest Watson

يعتبر عالم الاجتماع الأمريكى إرنست واطسن بيرجس (ومعه فى الحقيقة زميله روبرت بارك Park) أشهر أقطاب مدرسة شيكاغو التى تعتبر مركز البحوث الأيكولوجية، فقد نجحت بحوثه ودراساته المنوعة التى اهتم فيها بقضايا علم الاجتماع الحضرى، ومعالجة أوضاع العائلة كوحدة اجتماعية، وبطبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع، وصور السلوك الاجتماعى المختلفة، فى أن تترك تأثيرا عميقا فى أجيال من العلماء الذين جذبتهم البحوث الأيكولوجية التى تعنى أول ما تعنى بدراسة العلاقات بين السكان أو الجماعات البشرية وبيئاتها، وتحليل عمليات التكيف بينهما، وما يصاحب ذلك أو ينجم عنه من مشكلات النمو الحضرى، وبذا انصب اهتمامهم بصفة خاصة على دراسة مناطق التحول والأحياء المتخلفة التى تسهم فى ظهور الجريمة والانحراف والأمراض الاجتماعية وما إلى ذلك من صور التفكك الاجتماعى والعائلى .

ولقد ولد بيرجس فى السادس عشر من شهر مايو ١٨٨٦ فى تيلبرى Tilbury بكندا، وتوفى عن ثمانين عاما فى السابع والعشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٦٦ فى شيكاغو، وتلقى تعليمه فى كلية كينج فيشر King Fisher College بأوكلاهوما حيث حصل على درجته العلمية الأولى فى عام ١٩٠٨. ثم حصل على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو عام ١٩١٣ وهى الجامعة التى ظل اسمه مرتبطا بها على الرغم من أنه قام بالتدريس فى جامعات توليدو Toledo وكانساس Kansas وأوهيو Ohio قبلما يبدأ طريقه الطويل الذى استمر خمسين عاما فى جامعة شيكاغو فى الفترة من ١٩١٦ إى ١٩٦٦، وحتى بعد أن أصبح أستاذا فخريا منذ تقاعده فى ١٩٥١ Professor emeritus.

أثناء هذه الرحلة الطويلة تبلورت اهتمامات بيرجس بصفة خاصة حول مسألة التناظر بين المناطق الطبيعية والظواهر الاجتماعية والثقافية، ولذا فقد عمل جاهدا على جمع أكبر قدر من المادة والمعلومات والحقائق الاجتماعية التى تتيح المقارنة، وقد استخدم هذه المعلومات والمادة الضخمة فى كتابة عدد كبير من الكتب والبحوث والمقالات سواء تلك التى قدمها بمفرده أو بالاشتراك مع آخرين.

ويعتبر كتابه « مقدمة علم الاجتماع » Introduction to the Science of sociology الذى قدمه عام ١٩٢١ بالأشتراك مع ربرت بارك Park فى مقدمة أهم أعماله وأكثرها شيوعا وانتشارا، باعتباره مرجعا لا غنى عنه للدارس الاجتماعى والمهتمين بشئون المجتمع، ولا يقلل من هذه الفائدة أن الكتاب قد يعتبر اليوم ضمن كلاسيكيات العلم لأنه نجح فى إثارة الكثير من القضايا الأكثر حداثة فى علم الاجتماع والتى ما زالت تلح على أذهان المشتغلين به علاوة على أنه قد استخدم فى هذا الكتاب لأول مرة مصطلح « الأيكولوجيا البشرية » Human Ecology الذى أصبح من المصطلحات المحورية فى الإتجاه الأيكولوجى عموما . وحيث ركز بيرجس على عمليات التفاعل بشكل يظهر فيه تأثير مدرسة شيكاغو كمدخل لدراسة المجتمع ضمن المداخل الأخرى سواء منها تلك التى تركز على القيم والمعايير الاجتماعية كما نجد عند سمنر Summner على سبيل المثال أو على الطبقة والمصلحة والصراع مثلما عند ماركس Marx، أو اهتمت بالفعل الاجتماعى على ما نجد عند تولكوت بارسونز Parsons، وبدلا من ذلك ركز بيرجس اهتمامه على دراسة التفاعل الاجتماعى، حيث أكد على مسئولية علم الاجتماع فى تحليل وتصنيف العلاقات الاجتماعية، لا لأنها تمثل فحسب شيئا مشتركا أو شائعا، ولكن لأنها تمثل أيضا طريقة أساسية لتنظيم المعلومات والحقائق الاجتماعية، على اعتبار أن المجتمع يمكن النظر إليه كنسق من العلاقات الاجتماعية.

وفى هذا الاتجاه أقدم بيرجس فى عام ١٩٢٣ على نشر دراسته الهامة بعنوان «نمو المدينة» The Growth of the City الذى تضمن فرضيته الأساسية التى تركز عليها الأيكولوجيا الحضرية والقائلة بأن المدينة تنمو فى شكل دوائر مركزية

حول قلب المدينة الذى يمثل المنطقة التجارية. وهنا يتجلى اهتمام بيرجس بأسباب ظهور المجتمع الحضرى وأسباب نموه، وكذلك طبيعة التفاعل بين البيئة الاجتماعية والبيئة الطبيعية، وانعكاسات ذلك على مظاهر هذا النمو وعلى طبيعة الأنشطة التى يقوم بها السكان فى المناطق المختلفة، بل وتوزع هذه الأنشطة وكثافاتها وما يرتبط بذلك من وجود مناطق السكن ومناطق العمل والأسواق ومناطق التبادل التجارى بل وبؤر الجريمة والانحرافات باختلاف طبيعة العلاقات المتبادلة بين البيئتين الطبيعية والاجتماعية من ناحية، وطبيعة ما يقوم بين الجماعات المختلفة التى تدخل فى تكوين البناء الاجتماعى الكلى من ناحية ثانية، مما يعكس فى النهاية نوعا من التقارب بين الاتجاه الأيكولوجى والاتجاهات الوظيفية فى دراسة المجتمع .

وبوجه عام فقد نظر بيرجس إلى المدينة على أنها ظاهرة طبيعية تنشأ نتيجة عوامل طبيعية يصعب التحكم فيها . كما ذهب إلى أن لكل مدينة طابعها وتنظيمها الخاص الذى تنقسم به إلى مناطق مختلفة صناعية أو تجارية أو سكنية، بالإضافة إلى الملامح الثقافية والاجتماعية المميزة لها، وهو ما ظهر أيضا فى كتابه «المجتمع الحضرى» The Urban Community الذى قدمه فى عام ١٩٢٦ وكان فى الأصل مجموعة من المقالات عن المدينة الحديثة، ألهمت الكثير من البحوث الإيكولوجية أن تفكر تفكيرا اجتماعيا عند النظر إلي المدن حيث ركز على توضيح طبيعة هذا المجتمع كنمط مكانى، وصلة ذلك بالنمط الأخلاقى والثقافى العام .

ومنذ أن نشر بيرجس هذه الكتابات وبدأ العلماء يميلون إلى الأخذ بنظرته الخاصة إلى الجماعة الاجتماعية وإلى العمليات الاجتماعية ذاتها . فقد وضح من خلال كتاباته أنه يمكن الإشارة إلى أية جماعة بأنها جماعة اجتماعية Social إذا كانت تتصف بالقدرة على العمل الدائم أى إذا توافر الفعل الشعورى الذى يستهدف غاية معينة باعتبار أن هذا يمثل الرابطة التى تربط الأفراد أو ما أطلق عليه علاقات التكافل Symbiotic Relationships .

وفى ضوء هذا فقد جعل بيرجس أهمية خاصة لتصور الأفراد لغيرهم

وشعورهم بوجودهم، إذ رأى أن هذا كفيل بإيجاد قدر من التفاعل الاجتماعى والتأثيرات المتبادلة بين كائنات شاعرة وواعية وليس بين مجرد أشياء، الأمر الذى يفيد ولا شك فى تحليل السلوك الجمعى وفهمه على الرغم من أنه يعكس منظورا سيكولوجيا واضحا .

والحقيقة أن هذا الإدراك لطبيعة الجماعة الاجتماعية قد مثل بالنسبة إليه مدخلا لتصنيف العمليات الاجتماعية ذاتها. فنجده يصنف هذه العمليات إلى أربعة أنواع، هى التكيف والتمثل والمنافسة والصراع . والتكيف بالنسبة إليه هو عملية تتضمن نشاط الأفراد والجماعات وسلوكياتهم التى ترمى إلى تحقيق الإنسجام بين الفرد أو الجماعة والبيئة الاجتماعية، وهو عملية دينامية باعتبار أن المجتمع فى تغير مستمر . وهنا نجده يبرز مفهومه للتكيف الاجتماعى الذى رأى أنه يختلف عن التكيف الثقافى الذى يقصد به اكتساب الفرد لثقافة مجتمعه. أما فيما يتعلق بالمنافسة فهى عملية اجتماعية، تقوم بين طرفين يعمل كل منهما لتحقيق هدف يسعى إليه الطرف الآخر . وهى تختلف عن الصراع، حيث يعمل التنافس غالبا بين أطراف متماسكة بينما يعمل الصراع، بين أطراف غير متكافئة، والواقع أنه أعطى الصراع أهمية خاصة باعتباره بعدا أساسيا من أبعاد الواقع الاجتماعى، وهذا نتيجة لتأثره بالدارونية الاجتماعية والعضوية التطورية حيث اهتمت كلتاهما بفكرة الصراع .

ولكن على الجانب الآخر أدت بحوثه العلمية فى طبيعة العائلة Nature of Family إلى توضيح كثير من مكونات النظام العائلى والطريقة التى تعمل بها هذه المكونات، حيث أسفرت دراساته عن الزواج والاستقرار الزواجى عن إمكانات هائلة للتنبؤ بما قد يئول إليه الزواج من نجاح أو فشل . وذهب فى ذلك إلى أن نوعية التوافق ودرجته يعتمدان كثيرا على توافر قدر من التقارب والتفاهم بين الاتجاهات الاجتماعية والخصائص الشخصية للزوجين، وقد مكنته النتائج التى توصل إليها من تطوير نموذج نظرى فى الاستقرار العائلى، وقد نشرت هذه النتائج والنموذج الذى أقامه عليها فى أكثر من عمل، حيث نشر فى عام ١٩٣٩ كتابه الذى ألفه

بالاشتراك مع ليونارد كوتريل Cottrell بعنوان «التنبؤ: النجاح أو الفشل فى الزواج» Predicton; Success or Failare in Marriage . كما نشر فى عام ١٩٤٧ بالاشتراك أيضا مع موريس فيشبين Fishbein كتابه «الزواج الناجح» Successful Marriage ثم كتابه الذى نشر مع آخرين أيضا (١٩٥٥) بعنوان «العائلة : من النظام إلى الرفقة» : The Family: From Institution to Companionship وترجع أهمية هذا الكتاب الذى أعيدت طباعته فى ١٩٦٠ إلى أنه قد أثار فيه واحدة من أهم القضايا حيث أوضح أن العائلة فى العصور التاريخية كانت دائما عرضة للتغيرات والتحولات المستمرة من كونها نظاما اجتماعيا يظهر السلوك العائلى فيه محكوما بالتقاليد والأعراف والرأى العام والقانون إلى نوع من الصحبة أو الرفقة ينبثق فيها السلوك العائلى من مشاعر الود والتعاطف بين أعضائها .

وفى كتاباته اللاحقة اهتم بيرجس بدراسة الأعمار المتقدمة ومشكلات كبر السن والشيخوخة، فقد حرص فى كتابه «تقدم العمر فى المجتمعات الغربية» Aging in Western Societies الذى قدمه عام ١٩٦٠ على إبراز آثار التقاعد Retirement وذلك من خلال المناقشة الموضوعية والمستفيضة للبرامج الحكومية والتى تقدمها الهيئات الرسمية لهذه الفئة التى يرى أنها ما زالت فى حاجة إلى كثير من أوجه الرعاية الاجتماعية والصحية والتشريعية .

وعلى الرغم من أهمية هذه الكتابات جميعها فإن شهرة بيرجس ما زالت مرتبطة أساسا بأعماله التى قدمها فى علم الاجتماع الحضرى، وأيضا تلك الكتابات التى عكست اهتمامه بمشكلات المنهج . وإذا كانت مقالته الرائعة التى نشرها عام ١٩٤٥ فى كتاب جورج جورفيتش وويلبرت مور Wilbert Moore «علم اجتماع القرن العشرين» Twentieth Century Sociology بعنوان «منهج البحث فى علم الاجتماع Research Method in Sociology مما يعتبر مرجعا حتى الآن، فلا يقل عنها أهمية كتابه الذى نشره عام ١٩٦٤ بالاشتراك مع دونالد بوجى Bogue بعنوان «إسهامات فى علم الاجتماع الحضرى» Contributions to Urban Sociology .

• قراءات مقترحة•

- Cavron, Hannah; The Captive Wife. 1972.
- Morris, R. N.; Urban Sociology. 1968.
- Newsom, J. and E.; Four Years Old in an Urban Community. 1986.
- Willmott, P.; The Evolution of a Community. 1963.

* * *

C

٣٧ - كامبل، جوزيف (١٩٠٤ - ١٩٨٧)

37 - CAMPBELL, JOSEPH

عندما أقدمت بتى سو فلاورز Betty Suc Flowers أستاذة الشعر والأساطير فى جامعة تكساس بأوستن على نشر كتاب جوزيف كامبل «قوة الأسطورة» The Power of Myth فى عام ١٩٨٨ أى بعد وفاة كامبل بعام واحد، إستقبلت الأوساط الثقافية والأكاديمية الكتاب بضجة هائلة، وبتقدير متزايد عبرت عنه مجلة نيوزويك الأمريكية بقولها «إن كامبل أصبح نموذجا غاليا ونادرا للمثقفين فى الحياة الثقافية الأمريكية: فهو مفكر جاد عشق الثقافة الشعبية Popular وعاش معها فى عناق طويل». كما كتبت الكينكيناتى بوست Cincinnati Post وهى فى طليعة المجلات الأدبية المتخصصة تقول: «لقد ارتاد كتاب قوة الأسطورة عالما غريبا مثَّل دائما موضوعا أثيرا لدى كامبل، ذلك الأستاذ المتميز الذى أثرت كتاباته فى الملايين من القراء، فالأسطورة بالنسبة إليه كانت دائما أغنية الكون وموسيقى العوالم الرحيبة».

ولقد ولد جوزيف كامبل فى السادس والعشرين من شهر مارس عام ١٩٠٤ فى مدينة نيويورك، وتوفى عام ١٩٨٧ قبيل أيام من الذكرى السنوية الرابعة والعشرين من اغتيال الرئيس الأمريكى جون كينيدى Kennedy الذى قتل فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٣ بمدينة دالاس Dallas بولاية تكساس Texas الأمريكية. وهى المأساة التى انطبعت فى حسه، وناقشها بلغته الأسطورية فى أولى لقاءاته مع بيل مويرز Moyers الكاتب والإذاعى اللامع الذى تعرف عليه وقتذاك، وكان يعتبر أيامها واحدا من ألمع الوجوه الصحفية التى أدارت الكثير من الحوارات مع شوامخ الفكر والثقافة

الأمريكية، سواء من خلال أحاديثه الصحفية أو عن طريق تقديمهم وتقديم أعمالهم فى برامجه الاذاعية والتليفزيونية التى جذبت إليها ملايين المستمعين والمشاهدين.

على أى حال فقد ظهر شغف كامبل بالأساطير وحكايا الشعوب وبآدابها وتراثها الشعبى فى فترة مبكرة جدا من حياته، إذ قرأ وهو لم يزل طفلا فولكلور الهنود الأمريكيين، وكان هذا بداية طريقة الطويل الذى سار فيه والذى تحدد بصفة خاصة عندما أخذ يعد لنيل الماجستير فى الأدب الإنجليزى.

والواقع أن صلته بالأساطير الهندية وبثقافات الهنود الأمريكيين وهى التى مثلت جانبا كبيرا من اهتمامه، بدأت وهو صبى دون العاشرة عندما كان يقف مبهورا فى متحف التاريخ الطبيعى فى نيويورك Museum of Natural History أمام العشرات من نماذج التواتم Totems والعشرات من الأقنعة Masks مختلفة الحجوم والأشكال. ويتساءل عقله: من الذى صنعها؟ ولماذا؟ وما الذى تعنيه؟ وهى أسئلة كانت بداية لقصته مع الأساطير الهندية حيث أخذ يقرأ كل ما تقع عليه يداه بشأنها: أساطيرهم وقصصهم وخرافاتهم ومعتقداتهم، وكيف تشكل جميعا العمود الفقرى لثقافاتهم. وما بلغ العاشرة من عمره حتى كانت روحه مشبعة بمشاهداته وبقراءاته التى هيأت له ولاشك أساسا راسخا لكى يصبح واحدا من أبرز علماء الأساطير فى العالم لا بسبب كتبه التى نشرها فحسب والتى بلغت ٢٠ كتابا، ولكن أيضا بسبب أحاديثه ومناقشاته التى تنتفض كلماتها بوثبة الحياة.

ولا تعتبر قصته مع الحياة ذاتها أقل غرابة. فالحياة بالنسبة إليه هى نوع من المغامرة Adventure التى نخوضها - أو هكذا يتعين علينا - بكل حسنا وكياننا. وهو موقف انعكس بدوره فى كتاباته المختلفة، بل وفى مواقف حياته العملية ذاتها. فعندما حاول استاذه الذى يشرف على رسالته للدكتوراه أن يفرض عليه منهجا وإطارا ضيقين للدراسة علق كامبل بقوله: إلى الجحيم بالدراسة كلها»، وتحول إلى عالم القراءة يلتهم الكتب التى تدور عن كل شىء فى العالم وظل يقرأ من يومها حتى وفاته فى عام ١٩٨٧. قرأ فى الأنثربولوجيا وفى البيولوجيا، وفى التاريخ

والفلسفة والدين والاجتماع والأدب وعلم النفس والجمال. مما هيأ له أساسا راسخا لدراساته المقارنة التى سعى فيها إلى الكشف عن وظائف الأساطير فى الثقافات المختلفة وانعكاساتها فى الآداب والعلوم المعاصرة.

هكذا إذن كانت علاقة جوزيف كامبل بالأساطير. فقد بدأ مشوار حياته مدرسا بكلية سارة لورنس Sarah Lawrence فى نيويورك فى عام ١٩٣٤ واستمر يمارس مهنة التدريس فى هذه الكلية على مدى أربعين عاما تقريبا. ولهذا كرمته كليته بأن أنشأت له أول كرسى لعلم الأساطير المقارنة.

وعلى مدى هذه السنوات توالت إبداعاته التى تجاوزت العشرين كتابا إلى جانب كم هائل من المقالات والدراسات التى يصعب حصرها. وإن كانت تعكس فى مجملها أهم النتائج التى انتهى إليها والتى كانت منذ البداية سببا فى لفت الأنظار إليه. فقد لاحظ كامبل أن كثيرا من الموضوعات و«التيمات» التى نقف عليها فى الأساطير التى تدور عن الملك آرثر Arthurian Legend تماثل تماما الموتيفات والموضوعات الأساسية التى نجدها فى فولكلور الهنود الحمر. وقد أدت به هذه الملاحظة إلى أن يتابع مشكلة تشابه الأنماط والأشكال الأسطورية القديمة فى مختلف الثقافات وهو الجهد الذى استغرقه طوال أيام حياته.

ولقد قدم كامبل فى الفترة ما بين عامى ١٩٥٩ و١٩٦٧ ربما أهم مؤلفاته وهو مؤلفه المدهش «أقنعة الله» The Masks of God وذلك فى أربعة أجزاء صدر أولها عن الأساطير البدائية Primitive Mythology والثانى عن «الأساطير الشرقية» Oriental بينما دار الكتاب الثالث حول أساطير الغرب Occidental واهتم الجزء الرابع بأساطير الخلق Creative Mytholohy.

أما كتابه الهام الثانى فقد ظهر عام ١٩٦٩ بعنوان «حينما جاء الاثنان لأبيهما: شعائر الحرب عند النافاهو» Where the Two Came To Their Father: A Navaho War Ceremonial. وتعتبر مقالته التى جاءت ضمن هذا الكتاب بعنوان «البطل ذو الألف وجه» The Hero With a Thousand Faces دراسة مقارنة فذة لتصور «البطل» فى الأساطير الهندية الأمريكية القديمة، بما يوجد فى أساطير الشعوب الأخرى. وقد

انتهى كامبل فى هذا العمل إلى واحدة من أهم النتائج حيث ذهب إلى أن شيوع المشابهة فى عالم الأساطير وتماثل الكثير من الموضوعات والموتيفات الأساسية بين فولكلور الهنود الحمر وتلك التى توجد فى أساطير الشمال إنما يكشف عن مدى حاجة الإنسان النفسية إلى الاستناد إلى مبادئ وتصورات إنسانية مسبقة ومتأصلة فى التكوين البشرى نفسه. وهو تفسير أثار غير قليل من الانتقادات التى وجهت إليه بسبب متضمناته السيكولوجية الواضحة. علاوة على ما يبدو فى كتاباته من ربط الدور المعاصر للأساطير إما ببعض الوظائف الأيديولوجية وإما بالوظائف العلاجية عموما.

كذلك شهدت السبعينات والثمانينات فيضا من كتبه ومؤلفاته. إذ ظهر كتابه «الأساطير والأحلام والدين Myth, Dreamas and Religion فى عام ١٩٧١. كما صدر كتابه «أساطير نعيش بها» Myth To Live By فى عام ١٩٧٣ ومن بعدهما «الصورة الأسطورية» The Mythic Image الذى ظهر فى عام ١٩٧٥، ليصدر بعد ذلك مؤلفه الهام «الأطلس التاريخى لأساطير العالم» Historical Atlas of World Myths فى جزءين. أولهما باسم «طريق القوى الحيوانية» The Way of Animal Powers عام ١٩٨٣، والثانى بعنوان «طريق الأرض الخصبة» The Way of Seeded Earth بعد شهور فى العام نفسه. ذلك بالإضافة إلى مجموعة من الكتب والمؤلفات التى قدمها بالاشتراك مع آخرين من بينها «أوراق من كتاب أرانوس السنوى» Papers From Era-nos Year book وقد صدر فى ٦ مجلدات ضخمة، ثم الدغل المتنقل The Portable Jung والليالى العربية الساهرة» The Portable Arabian Nights و«طيران ذكر الأوز البرى» The Flight of the Wild Gander. وإذا كان البعض قد هاجم كامبل بسبب تحليلاته السيكولوجية، فقد تمادى البعض الآخر فى موقفهم من كتاباته لدرجة أنهم رأوا فى تفسيراته التى قدمها للأساطير ما يوصف بأنه نزعة تشاؤمية، وبلغوا فى ذلك إلى حد القول بأن كتاباته فى هذا الاتجاه ليست سوى محاولة للهرب من الواقع.

ولكن الإنصاف يقتضى القول بأن مثل هذا الموقف ينطوى على كثير من

المغالاة والتطرف إن لم يكن التجنى. ذلك أن النظرة التحليلية الموضوعية لأعمال جوزيف كامبل إنما تكشف عن موقف هو أبعد ما يكون عن ذلك الاتهام بالتشاؤم أو الرغبة فى الهروب، إذ يؤمن تماما بأن هناك قبسا من «الحكمة» Wisdom يختفى وراء مظاهر التخبط والصراع بين ما هو حقيقى وما هو وهم. وفى اعتقاد كامبل أن بمقدور هذا (القبس) أن يحول مظاهر الشتات والفرقة التى يعيشها الناس والجماعات والأمم والشعوب إلى الاتساق وإلى الوحدة والتوازن من جديد وهو موقف بدأ يتبلور على أى الأحوال فى كتاباته المتأخرة على وجه الخصوص، حيث سعى فى السنوات الأخيرة إلى الوصول إلى مركب جديد من العلم والروح، وهو مركب كان يعتقد بضرورة أن نخرج فيه من محورية أو مركزية الذات إلى رؤية كونية أكثر رحابة حتى لتحيط بالكون باكمله. فقد كتب بعدما وصل الإنسان إلى القمر أن الإنسان أصبح يشارك اليوم فى واحدة من أكبر قفزات الروح الإنسانية وهى تسعى لمعرفة ما يحيط بنا من مظاهر التداخل والتخبط والغموض.

وللحق فقد كان جوزيف كامبل أشبه بكتاباته ومؤلفاته رجلا بألف قصة وقصة إن صحت المشابهة وصح التعبير. ففى أحد لقاءاته فى نيويورك مع أحد الرهبان الشينتو Shinto قال كامبل للراهب: «حتى الآن أنا لا أعرف ما هى ايديولوجيتكم ولا أعرف ما هى نظرتكم للدين» ويفاجأ كامبل برد الراهب وهو يقول له: «ليس لنا أيديولوجية أو لاهوت .. إننا نرقص». وربما كان هذا هو ما يفعله كامبل بالضبط. فما مواقفه الفكرية وكل كتاباته إلا رقصة دائمة للإنسان وللحياة وللكون بأكمله.

★ ★ ★

٣٨ - تشابين، ف . ستيوارت

38 - CHAPIN, F. Stuart

من أبرز أعلام الجناح المعتدل فى الوضعية المحدثة التى اتجهت إلى الاستعانة بالرياضيات والكم والإحصاء لفهم الظواهر الاجتماعية وقياس العلاقات التى تربط بين مظاهر الفعل والسلوك الاجتماعى المختلفة. وبالرغم من أنه يتفق مع الوضعية المحدثة على الأقل فى اتجاهها العام الذى يؤكد على أهمية التعاريف الإجرائية، فقد كان له منظوره الخاص فيما يتعلق بهذه التعاريف التى لم يعتبرها حلا نهائيا أو مطلقا أو إنما مجرد تطور مفيد لتحقيق قدر أكبر من الموضوعية.

أما الناحية الثانية التى يمكن القول بأن تشابين يختلف فيها أيضا عن معظم الوضعيين المحدثين فتتمثل فى اهتمامه بدراسة الحركات الاجتماعية بعيدة المدى التى تتعرض لها الحضارات الإنسانية ككل. ولعله من ها هنا كانت نظرته إلى علم الاجتماع على أنه نظام ثقافى شامل، مما دفعه إلى الاهتمام بالثقافة وهو الاهتمام الذى شارك فيه عدد كبير من العلماء الاجتماعيين والأنثربولوجيين من بينهم روث بنديكت وليند Lynd وبيكر Becker.

ولقد حصل تشابين على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا فى أوائل العشرينات وهى مرحلة من الواضح أنه كان خاضعا خلالها لتأثير الاستاذ جيدنجز Giddings الذى كان وقتذاك أستاذا بارزا وعلما من أعلام الوضعية المحدثة فى هذه الجامعة، وهو التأثير الذى تبلور فى مرحلة لاحقة عندما عمل فى جامعة مينوسوتا، وظهر من ثم اهتمامه بالاستعانة بالرياضيات المتقدمة وبالتحليل الرياضى والاحصائى والدور الذى تلعبه فى البحوث الاجتماعية، الأمر الذى ساعده ولاشك فى تصميمه لمقياس المنزلة الاجتماعية لجامعة مينوسوتا Social Status

Scale. والواقع أن ذلك الاهتمام قد ظل ملازما له طيلة حياته العلمية لدرجة أن اعتبره الكثيرون حجة فى التصميمات التجريبية لعدة عقود، وأرجعوا إليه الفضل فى تحقيق قدر كبير من التقارب بين المنهج التجريبى الذى يستخدمه علماء الطبيعة ومناهج البحث الاجتماعى، رغم التباين بين مجالى العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية.

ولكن هناك من الناحية الأخرى تأثره بالدراسات التى أجراها إرنست جرينوود Greenwood فى الاتجاهات التجريبية، والتى أبرز فيها أهمية التصميمات التجريبية فى البحوث السوسيولوجية. فقد كان لهذه الدراسات وبخاصة «علم الاجتماع التجريبى». Experimenatal Sociology الذى كتبه جرينوود عام ١٩٤٤ وناقش فيه مظاهر تطور وتقدم الأساليب والتكنيكات التجريبية، أكبر الأثر فى تشكيل نظرته إلى العلم وتحديد اتجاهاته العملية والنظرية وتوضيحها. فقد أصبح تشابين موقنا تماما من أن عالم الاجتماع عليه أن يخترع وحدات، وأن يقنن أدوات قياس الأمر الذى يعتقد أنه يساعد كثيرا على إخضاع الظواهر للملاحظة المباشرة والتسجيل.

ومع أن هذا التأثير ينعكس فى كل أعمال تشابين ومؤلفاته، إلا أنه يظهر مع ذلك كأوضح ما يكون فى عمله الرئيسى الموسوم «التصميمات التجريبية فى البحوث الاجتماعية» Experimental Designs in Sociological Research وهو الكتاب الذى ظهر فى عام ١٩٤٧ وكان يدور بصفة أساسية حول استخدام منطق التجربة المعملية فى دراسة المجتمع والعلاقات الاجتماعية. كما ظهر التأثير أيضا فى مقالاته العديدة التى دارت حول الموضوع، وبخاصة مقالته التى نشرها فى Social Forces فى العام نفسه بعنوان «المعوقات الاجتماعية لقبول المعارف القائمة فى العلم الاجتماعى Social Obstacles to the Acceptance of Existiing Social Science Knowledge وهى مقالة مازالت موضع تقدير كبير من جمهور العلماء والباحثين حيث ناقش فيها ثمانية معوقات اعتبر أنها تحول دون التقبل الكامل للعلم الاجتماعى.

وعلى العموم فقد مضى تشابين يحفز تلامذته ويقوم معهم باعداد وتصميم

عدداً من المقاييس التى جرى استخدامها بدرجة ملحوظة من الدقة والنجاح فى قياس صور السلوك الثقافى المختلفة، وبخاصة تلك التى ترتبط بالمكانة الاجتماعية والبيئة الأسرية وبالشخصية.

ويعتبر كتابه «النظم الأمريكية المعاصرة» Contemporay American Institutions (١٩٣٥) من أهم الدراسات التى برزت فيها اتجاهاته الرياضية والتجريبية. ففى هذا الكتاب الذى اهتم بدراسة النظم الاجتماعية أبرز تشابين المقصود بهذا المفهوم، وذهب إلى أنها (النظم) عبارة عن أنماط من السلوك البشرى أوهى شبكة من الاستجابات الشرطية والعادات الفردية والاتجاهات الاجتماعية التى يمكن تحديدها بدرجة عالية من الصدق بواسطة الرسوم البيانية الرمزية التى اعتبرها من أهم الوسائل التى تساعد على إدراك أنماط العلاقات التى يصعب رؤيتها والتى يتعين إخضاعها للضبط والقياس.

ولقد ميز تشابين فى هذا الكتاب بين نمطين اثنين من النظم متأثراً فى ذلك بموريس هوريو Hauriou، وهى النظم النووية Nuclear والنظم العامة، وهذه الفئة الأخيرة يذهب تشابين إلى أنها تتصف بطابعها الرمزى الواضح.

ومع ذلك فلايزال الكثيرون يعترفون بالدور الذى قام به تشابين فى تطوير علم الاجتماع التاريخى وعلم الاجتماع الثقافى. ففى كتابه «التغير الثقافى» Cultural Change الذى صدر عام ١٩٢٨ نجده يؤكد على أن المسؤليات الأساسية لعالم الاجتماع إنما تتركز فى وعيه العميق بالاتجاه الرئيسى للثقافة الذى يميز الجنس البشرى منذ العصر الحجرى حتى عصر الآلة والثورة التكونولوجية التى تعيشها المجتمعات المعاصرة. ومع أن هذا الموقف لا يعتبر جديدا تماما على الفكر الاجتماعى، إلا أنه تناوله من زاوية ووجهة نظر معينة، حيث رأى أن هذا الاتجاه الرئيسى إنما يتضمن العديد من التيارات المستقلة، تقابل مجموعات من الثقافات التى تنعكس فى هذه التيارات. وربما كان الشىء الجديد هنا هو إبرازه لمفهوم النضج الثقافى إذ رأى أنه يستحيل تحديد السمات الثقافية الخاصة، أو حتى عدد

الأشكال والأنماط الاجتماعية التى تكون الكل المركب والتى يلزم وجودها بوضوح قوى، حتى يمكن الحديث عما يوصف بأنه الثقافة القومية.

ومع أن تشابين قد طبق نظريته على عدد محدود من التطورات الملموسة مثل تقدم الحضارة الإغريقية، والصراع الطبقى، والمشكلات الزراعية التى عرفتها روما، وبعض التغيرات الثقافية المادية فى إنجلترا إبان العصور الوسطى، إلا أن النظرية مازالت فى حاجة إلى مزيد من البلورة والتأكيد وخاصة أنه يميز بين الثقافة المادية والثقافة اللامادية non- material . ومع ذلك تقع المظاهر من النوع الأول (المادية) فى المجال الثقافى، ولكن لا باعتبارها أو لكونها مادية، وإنما لأنها ذات معنى، وهو معنى يستثير فكر الإنسان. ومن هنا فإن ذلك المعنى الذى تنطوى عليه هذه الظواهر وليس جوانبها المادية هو ما يجعلها ذات طابع ثقافى ملحوظ.

• قراءات مقترحة •

- Dean, Dwight C.; and Donald M. Valdes; Experiment in Sociology .1968.
- Lazarsfeld, Paul, Problems in Methodology. in Sociology Today: Problems and Prospects (eds). Merton. 1959.
- Young, Pauline V; Scientific Social Surveys and Research. 4th ed. 1966.



٣٩ - تشايلد، فير جوردون

39 - CHILDE, V(ere) Gordon

تمثل كتابات عالم الآركيولوجيا (علم آثار ما قبل التاريخ) والمؤرخ الأسترالى المولد والبريطانى الجنسية فيرجوردون تشايلد مركبا واسعا من الثقافة والمعرفة التى تغطى بطريقة فريدة عددا متداخلا ومتشعبا من المجالات والميادين لدرجة أن اعتبره الكثيرون مرجعا للكثير من المسائل والموضوعات فى مختلف التخصصات التى تتعلق بمجال نشاطه الأصلى وهو دراسة الثقافات القديمة والبحث فيها.

ولقد ولد تشايلد فى سيدنى Sidney عام ١٨٩٢، واشتغل أستاذا للآركيولوجيا فى جامعة أدنبره Edinburgh لفترة امتدت حوالى عشرين عاما ما بين عام ١٩٢٧ و١٩٤٦، ثم عمل بعد ذلك مديرا لمعهد آثار ما قبل التاريخ فى جامعة لندن حتى عام ١٩٥٦ أى إلى ما قبل وفاته بعام واحد (١٩٥٧). وأثناء ذلك انشغل بدراساته التى أجراها عن أوربا فى عصور ما قبل التاريخ فيما قبل عام ٢٠٠ و٣٠٠ قبل الميلاد، والتى سعى فيها إلى تقييم العلاقة بين أوربا والشرق الأدنى، وإلى فحص بناء شخصية الثقافات البدائية فى العالم الغربى فى الأزمنة القديمة، وهى الدراسات التى نجح عن طريقها فى نشر مدخله العالمى أو الدولى الذى كان له أثره فى إقامة أحد التقاليد الراسخة فى دراسات ما قبل التاريخ.

ولقد صدر أول أعماله الضخمة التى استخدم فيها هذا المدخل وهو كتابه «فجر الحضارة الأوربية» The Dawn of European Civilization فى عام ١٩٢٥، وقد صدرت طبعته السادسة فى عام ١٩٥٧ قبيل وفاته بأسابيع قليلة، وبعد ذلك ظهر كتابه «الدانوب فى عصور ما قبل التاريخ» The Danube in Prehistory ١٩٢٩ وهو من الكلاسيكيات التى مازالت تقرأ بشغف واهتمام.

ومع ذلك فقد كان لتشايلد بعض الكتابات التى تعتبر أكثر شعبية والتى حرص على أن يوجهها إلى القارئ العادى، ففى عام ١٩٣٦ ظهر كتابه الشيق «الانسان يصنع نفسه» Man Makes Himself الذى استعرض فيه بشكل ممتع قصة تطور المجتمع البشرى والمظاهر التكنولوجية التى صاحبتِ هذا التطور. ثم ظهر بعد ذلك كتابه «ماذا حدث فى التاريخ» What Happend in History فى عام ١٩٤٢ وهو يعتبر بمثابة مدخل أو مقدمة لعلم آثار ما قبل التاريخ.

فى الكتاب الأول ركز جوردون تشايلد على إبراز الفوارق الأساسية بين التقدم التاريخى والتطور العضوى وبين الثقافة الإنسانية والتكوين البيولوجى للحيوان وبين الميراث الاجتماعى والوراثة البيولوجية. ولقد عالج تشايلد فى هذا الكتاب معالجة تاريخية موضوع الاختراع الذى مثل دائما أحد الاهتمامات الرئيسية لعدد كبير من العلماء فى ذلك الوقت، وأبرز فى ذلك نظريته الخاصة المتعلقة بما أطلق عليه الثورات التكنولوجية والاقتصادية. فقد ذهب إلى أن التطور البشرى عبارة عن سلسلة متصلة من التطورات الاقتصادية التى ترتب عليها تحول مستمر فى نوعيات ومستويات العمل والإنتاج. ومن أخطر هذه الثورات أو الفترات الانتقالية ما أسماه ثورة إنتاج القوت الحجرية التى تميزت بالانتقال من الصيد إلى الرعى، ثم بعد ذلك ثورة اكتشاف الزراعة ومعرفة الاستقرار فى القرى الصغيرة، وثورة المدينة التى تميزت ببناء المدن وظهور أساليب الإدارة والتنظيم والقوى الفكرية التى طورت المعارف الإنسانية فى الفلسفة والعلوم والآداب. فالاختراع من وجهة نظره لا يحدث طفرة أو بشكل فجائى أو نتيجة مورثات بيولوجية، ولكنه مركب جديد يحدث نتيجة لتراكم الخبرات التى يحصل الإنسان عليها عن طريق التراث المنوع الذى ينفتح عليه ويكتسبه.

ولاشك فى أن اهتمام تشايلد بموضوع التطور من ناحية واستقرار الجماعات والمجتمعات البشرية وتحولها من ناحية ثانية، يحمل الكثير من ملامح الاتجاه التطورى الأمر الذى جعل كثيرا من الباحثين ينظرون إليه على أنه واحد من أتباع هذه المدرسة، وخاصة بعد أن أقدم على نشر كتابه «التطور الاجتماعى» So-

cial Evolution الذى ظهر عام ١٩٥١، وناقش فيه مشكلات التطور الاجتماعى والثقافى. ولكن هذا الاعتقاد يصعب التسليم تماما بصحته، فمن ناحية تبرز فى تحليله لهذه المشكلات بعض الملامح الماركسية، ومن ناحية ثانية، تبرز فيه أيضا بعض المواقف المعارضة للنزعة التطورية التى سادت القرن التاسع عشر، والتى ذهبت إلى أن كل الثقافات تمر بنفس مراحل النمو التى تسير فى خط واحد نتيجة لوحدة قانون التطور الذى يرى التطوريون أنه يؤدى إلى تكرار وقوع نفس الاختراعات فى عدة بقاع من العالم بشكل مستقل يخلو من عنصر احتكاك المجتمعات التى تقع فيها هذه الاختراعات، ثم مالوا إلى تصنيف الثقافة بحسب درجة التقدم الذى وصلت إليه.

ويرى تشايلد أنه يصعب اليوم الأخذ بهذه الفكرة نظرا لأن المعلومات الاثنوجرافية والآركيولوجية لا تؤيد قضاياها الرئيسية، ونزولا على ذلك فإنه يبدو أقرب إلى المدرسة الانتشارية وإلى النزعة التطورية المحدثة التى تصطنع مدخل التطور الشامل الذى يسعى إلى دراسة الثقافة الإنسانية ككل. ومع أن هذا لا يخلو بدوره من ملامح تطورية تقليدية، إلا أنه يؤكد على ضرورة الأخذ فى الاعتبار عند دراسة هذه الثقافة من ذلك المنظور الشامل، مدى الاحتكاك أو الانتشار الذى يقوم بين البيئات والثقافات المختلفة.

وبالرغم من اعترافه بأن التقدم الثقافى مما يمثل فى ذاته عقبة أمام إمكانية تحديد مراحل عامة فى تطور الثقافات، فقد نجح فى تلاشى هذه المشكلة عندما أوضح أنه بدلا من الاهتمام بثقافة معينة أو بأخرى، يلزم إسقاط الملامح المميزة للبيئة المعينة والنظر إلى ما تتصف به جميع المجتمعات نظرا للتأثير الذى تمارسه البيئات والثقافات المختلفة بعضها على البعض الآخر.

وهكذا تبدو نظرته الكلية الشاملة التى تؤكد على الثقافة ككل فى مقابل تلك الاتجاهات الميكروسكوبية ذات النظرة المحدودة التى تؤكد على الخصوصية التاريخية لكل ثقافة على حدة. وإن لم يكن معنى هذا أنه تجاهل هذه الخصوصية، وإنما هو اعتراف بأنه ثمة احتكاك أو ما يطلق عليه الانتشار المتحول -Modified dif

fusion الذى تعزى إليه مظاهر التماثل فى وجود حياة الجماعات المتباعدة كنتيجة للاقتباس الثقافى بين هذه الجماعات.

ومع أن هذا الموقف لا يخلو بدوره من الميل إلى ما يذهب إليه السيكولوجيون الذين يقولون بأن هناك وحدة سيكولوجية هى التى تجعل الجماعات المتباعدة تستجيب للتأثيرات المتماثلة بطريقة متشابهة، فإن الأهم من ذلك هو ما يقرره تشايلد من أن الاختراعات ليست مجرد استجابة للحاجات الانسانية سواء أكانت حاجات بيولوجية أم سيكولوجية، وإنما هى نتيجة اقتران العديد من الأفكار، وقيام الذهن بربطها مما يؤدى إلى ظهور مركب جديد قد يكون بدوره حافزا لمقابلة احتاجات أخرى ناتجة عن هذا المركب الابتكارى الجديد. مما يؤكد فى النهاية أهمية الدور الذى يقوم به الاحتكاك والاقتباس الثقافى فى انتشار الأفكار والمفاهيم والأساليب التى تتعامل بها الجماعات والمجتمعات مع بيئاتها المختلفة.

● قراءات مقترحة ●

Works: Skara Brae, 1931.

The Origin of Neolithic Culture in Northern Europe. 1949.

● وانظر أيضا:

- Evans, J. A. S; Redating Prehistory in Europe. "Archaeology". 1977.
- Hadingham, Evan, Secrets of the Ice Age, 1980.
- Mendelssohn, Kurt; The Riddle of the Pyramids. 1974.
- Renfrew, Colin: Before Civilzation: the Readiocarbon Revolution and Prehistoric Europe. 1973.
- Thom, Alexander, Megalithic Sites in Britian. 1967.
- Wilson, David, Science and Archaeology. 1978.



٤٠ - تشومسكى، نعوم

40 - CHOMSKY, (Avram) Noam

يعتبر أفرام نعوم تشومسكى بأكثر من مقياس نقطة تحول جذرى فى الدراسات اللغوية، وبخاصة منذ أن أقدم على نشر كتابه الرائع «التراكيب النحوية» Syntactic Structures فى عام ١٩٥٧. وهو الكتاب الذى سعى فيه إلى توضيح ملامح منهجه الجديد فى دراسة اللغة ونظريته الخاصة فى طبيعة وكيفية اكتسابها مما اعتبر ثورة لغوية من وجهة نظر الكثيرين حتى من بين أولئك الذين قد يختلفون معه، حيث استطاع الكشف عن مدى ضحالة الكثير من الأفكار التى تبنتها الاتجهات السلوكية والبنيوية المسيطرة، وفتح بذلك آفاقا جديدة فى دراسة اللغويات وهى الآفاق التى تأكدت من خلال نظرته إلى اللغة كنظام مفتوح، وذلك فى ضوء تمييزه المنهجى الأساسى الذى وضعه بين ما أطلق عليه «ملكة اللغة» Competence و«الأداء» Performance.

ولقد دخل تشومسكى ميدان دراسة اللغة متأثرا فى البداية باهتمام أبيه وهو أستاذ يهودى كانت تجذبه اللغويات التاريخية على وجه الخصوص. ومع أنه قد شغف منذ وقت مبكر من حياته بالمواقف والاتجاهات السياسية الراديكالية إلا أنه نجح فى شق طريقه ممازجا بين حياة سياسية حافلة وعمل أكاديمى لامع. فقد درس الرياضيات والفلسفة فى جامعة بنسلفانيا Pennsylvania ولكنه بتأثير من أستاذه زيلنج هاريس Harris بدأ ينجذب نحو دراسة اللغويات وخاصة أنهما كانا يتشاركان فى كثير من وجهات نظرهما السياسية.

ولقد ولد تشومسكى فى السابع من شهر ديسمبر عام ١٩٢٨ فى فيلادلفيا Philadelphia بالولايات المتحدة الأمريكية. ويبدو أن اهتماماته المبكرة بالعبرية،

الحديثة والتى ظهرت بوضوح أثناء تحضيره للدكتوراه عن «التحليل التحويلى» Transformational Analysis كانت تشبع فيه الجانب الفلسفى فحسب أكثر منه البحث اللغوى ذاته. لأنه بعد حصوله على الدكتوراه فى عام ١٩٥٥ شرع على الفور فى تدريس اللغويات الحديثة. ولم يشرع فى تطوير نظريته فى النحو التوليدى Ge- nerative Grammer إلا عندما اشتغل زميلا باحثا فى جامعة هارفار ثم بعد ذلك فى معهد ماساشوستس Massachusetts للتكنولوجيا. وهى النظرية التى حققت له شهرة عالمية وهو بالكاد فى الأربعين من عمره. ذلك بالرغم من أنه كان قد نال درجة الأستاذية منذ عام ١٩٦١ وأصبح استاذا متميزا فى ١٩٦٦ ثم استاذا وباحثا رئيسيا فى المعهد فى ١٩٧٦.

ومن المألوف تماما أن يتحدث الباحثون عن الثورة التى أحدثها تشومسكى فى النظرية اللغوية، وبخاصة فى سياق اللغويات البنيوية الأمريكية على اعتبار أنها ثورة على كل ما هو مألوف وتقليدى. ولكن الأهم من ذلك تلك الدوافع التى حدت بالمدرسة التوليدية فى علم اللغة والتى قامت على أنقاض المدرسة البنيوية وكان تشومسكى مؤسسها الأول - إلى المناداة برؤيتها إن لم يكن موقفها الجديد من اللغة. وإذا تجاوزنا تلك المرحلة الباكرة من مراحل البحث اللغوى والتى كان الاهتمام فيها - ربما منذ اكتشاف اللغة السنسكريتية فى نهايات القرن الثامن عشر - منصبا على الدراسات المقارنة بين اللغات للتعرف على تلك اللغات التى توحى بنيتها ومفرداتها وأنظمتها الصوتية أنها تكون فيما بينها عائلة لغوية واحدة، بالإضافة إلى الاهتمام بدراسة التطور التاريخى للغات، فإننا نلتقى بالمنهج البنيوى فى علم اللغة الذى يعتبر عالم اللغة السويسرى الجنسية فردينان دو سوسير مؤسسه الأول بلا جدال، وذلك فى ضوء تمييزه الأساسى بين اللغة Language والكلام Parole.

ولقد وجد تشومسكى هنا أول نقاط الضعف التى تشوب المنهج البنيوى، فقد اعتقد البنيويون أن الهدف الأساسى الذى يسعى إليه البحث اللغوى هو دراسة وتحليل اللغة كما يستعملها الناس فى وقت معين ومكان معين، وفى هذا فتعتبر

الأسبقية المطلقة للكلام أحد المفاهيم الأساسية والراسخة فى البحث اللغوى البنيوى؛ ولذا فإن المادة العلمية التى يقوم عالم اللغة بتحليلها هى النص اللغوى أى ما يقوله الناس.

ولكن ما يراه تشومسكى هو أنه على الرغم من مظاهر النجاح التى لقيها هؤلاء ومعهم السلوكيون عموما وهم يهتمون بالتفسيرات والشروح السلوكية والميل إلى إقامة البناءات اللغوية والنحوية، فإن على عالم اللغة أن يتحول من مجرد وصف ورصد الظواهر اللغوية إلى العناية بتقديم تفسير عميق للظواهر الدالة. أى البحث عن المبادئ التفسيرية التى تنفذ إلى عمق الظواهر الدالة، ويكون معنى هذا أن هدف البحث اللغوى لابد إذن أن يكون وصف المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوى. وخاصة أن النص اللغوى كثيرا ما لا يكون تعبيرا أمينا عن المعرفة اللغوية وليس السلوك اللغوى. وتلك فى الحقيقة هى الفكرة المحورية التى أقام عليها تشومسكى نحوه التوليدى بأكمله حيث إن مجرد دراسة النص مما لا يفيد عالم اللغة كثيرا، كما أن تحليل البنية السطحية (أى ما يقال) لا يفسر كثيرا من الظواهر اللغوية، ولذا يصبح من المتعين لأجل تحقيق فهم أكبر بالظواهر اللغوية أن يتجاوز عالم اللغة هذه البنية السطحية أو الظاهرية إلى البنية العميقة أو يغوص إلى ما وراء النص بتعبير آخر.

فى داخل هذا الإطار ذهب تشومسكى إلى أن مسألة الاكتساب اللغوى Language Acquisition تمثل أحد الأهداف الرئيسية للنحو التوليدى. ويقصد بذلك تلك العملية بالذات التى يستطيع بها الطفل إدراك لغة مجتمعه أو لغته القومية أو اللغة الأم كما يصفها البعض، وأن يتمكن من هذه اللغة بشكل طبيعى ييسر له التفاعل والتعامل السليمين مع الآخرين.

ولقد آثار تشومسكى العديد من الأسئلة بصدد هذه المسألة؛ مثال ذلك: هل الأطفال مهيؤن بشكل فطرى لاكتساب لغة واحدة بذاتها أكثر من لغة أخرى؟ وهل العملية التى يتم بها اكتساب الطفل للغته هى بالضرورة نفس العملية التى قد يتعلم بها الطفل بعض اللغات الأخرى فى مراحل مختلفة من حياته؟ وهل فى مقدور

الطفل أن يكتسب اللغة دون أن يكون هناك أية رابطة بينه وبين غيره من الأفراد، بمعنى أن يكون بعيدا تماما ومنعزلا كلية، عن تلك الظروف الطبيعية والعادية التى تستخدم فيها اللغة عادة؟ ثم، ماذا أيضا عن تلك العلاقات التى يقال بأنها موجودة وقائمة بين ذكاء الطفل ومعدل اكتسابه للغة الأم؟

وقد لا يكون من السهل أن نبْرز هنا طبيعة موقف تشومسكى من كل هذه القضايا التى كانت مثار جدل طويل منذ ما قبل الأربعينات من القرن. ولكن المهم على أية حال، هو أنه رفض بشكل حاد الكثير مما انتهت إليه دراسات الاكتساب اللغوى التى سارت منذ البداية فى سياق بحوث النمو العام للطفل. كما رفض بوجه خاص تلك الآراء التى نادى بها سكينر Skinner فى كتابه «السلوك اللفظى» Verbal Behavior والذى كشف فيه عن اعتقاده بأن اللغة هى فى آخر الأمر عادة سلوكية يتم تعلمها بالطريقة ذاتها التى نتعلم بها عاداتنا السلوكية المختلفة. فقد لاحظ تشومسكى - بداية - أن مفهوم أو (لفظ) العادة هو مفهوم سيكولوجى بالدرجة الأولى؛ ولذا فلا يتم شرحه أو تفسيره والوقوف على طبيعته ووظيفته إلا من خلال سيكولوجية الجماهير بصفة خاصة. واللغة كما يراها تشومسكى أمر اجتماعى بالدرجة الأولى. أضف إلى ذلك أن القول بأن اللغة عادة اجتماعية سلوكية إنما يعنى أن سبيل اكتسابها هو التجربة والمحاولة والخطأ مما يضعنا بدوره فى قلب المقولة السيكولوجية من ناحية، وفى قلب معامل التجريب والاختبار من ناحية ثانية.

ومع أن هذه الانتقادات التى أثارها تشومسكى قد امتدت لتشمل آراء عدد آخر من العلماء من أمثال بيفر Bever وفودور Fodor مؤكدا بذلك وجهة نظره بأن نظريات التعلم التقليدية ليس لديها إلا القليل جدًا الذى يمكن أن تقوله لفهم الاكتساب اللغوى، فإن الأهم من كل هذا أنه عبر عن موقفه فى ضوء التمييز الأساسى الذى قلنا من قبل أنه وضعه بين مصطلح الملكة Competence ومصطلح الأداء Performance.

ففى ضوء هذا التمييز أعلن تشومسكى قناعته الكاملة بأن اللغة ممثلة فى العقل على نحو غاية فى التجريد. وأن الأفراد يكتسبون اللغة على الرغم من أى ادعاء بأية وصاية أو ولاية مهما كانت ضئيلة أو شحيحة. فالمعرفة الأساسية باللغة يتم تعيينها وتحديدها بفطرة الإنسان، ومن ثم فإن كل الفرضيات والأحكام المتعلقة بقواعد التركيب Syntax والتى يمكن القول بأن الطفل قد يخترعها إنما هى أمور ممتنعة بسبب ميراثه الإنسانى الفطرى. وكذلك الحال بالنسبة إلى كل اللغات الموجودة فهى من طبيعة واحدة.

فكأن اللغة كما يراها تشومسكى هى إذن ظاهرة بالغة التعقيد على الرغم من كونها فطرية. فالطفل ليس كما زعم السلوكيون يولد وذهنه صفحة بيضاء، لأنه مزود بحكم فطرته وطبيعته الإنسانية بملكة اللغة، أو هذا الاستعداد الفطرى للغة.

أما هذه اللغة بالغة التعقيد فهى مع ذلك واحدة من حيث الجوهر البنائى والوظيفى معا فى كل مجتمع من المجتمعات. ولهذا فإنه يقول بأن هناك تلك «العموميات اللغوية» Linguistic Universals بمعنى القواعد والتراكيب والأشكال العامة التى لا تشذ عنها لغة من اللغات، ولكنها تصدق بالنسبة إلى جميع اللغات وتنطبق عليها كلها. وهو يصل بذلك إلى إحدى النتائج الرئيسية التى تقول بأنه لهذا كله يستطيع الطفل بسرعة استيعاب الأصوات النحوية والقواعد المختلفة التى يسير عليها الكلام الذى يسمعه من حوله، وبالتالى يستخدم هذه القواعد عند بنائه لبعض الأصوات التى ينطقها لأول مرة دون أن يكون قد سمعها من قبل.

والحقيقة أن هذه النظرية فى التراكيب النحوية أو نظرية التوليد النحوى كانت نغمة جديدة فى الدراسات اللغوية. وإذا كان أنصار هذه النظرية وفى مقدمتهم تشومسكى طبعا يعلنون صراحة أن عملهم الأساسى إنما يستهدف التشخيص الصحيح لملكة اللغة بمعنى تلك القدرات الفطرية المتوارثة فى الإنسان من حيث هو إنسان، فقد اعتبر هذا العمل ضربة عنيفة للغويات البنائية وعلم النفس السلوكى معا.

وقد لا نكون فى حاجة إلى تأكيد التأثير الذى مارسته هذه الأفكار على مختلف الدراسات والاتجاهات المهتمة بالبحث اللغوى ومسألة الاكتساب اللغوى على وجه الخصوص، ولكنها نجحت على أى الأحوال فى أن تثير من النقاش بين رجال الاجتماع والسيكولوجين والفلاسفة والمناطقة وعلماء اللغة أنفسهم الذى مازالت أصداؤه تتردد حتى الآن، خاصة مع توالى مؤلفات تشومسكى وكتاباته التى سعى بها إلى تطوير نظريته وتعميق قضاياها والتعريف بها والدعوة إليها.

وإذا كنا قد أشرنا من قبل إلى كتابه «البناءات التركيبية» (١٩٥٧) فقد ظهر فى عام ٦٥ كتابه الفذ الآخر «أوجه نظرية السنتكس» Aspects of the Theory of Syntax، أعقبه مؤلفه «اللغويات الديكارتية» Cartesian Linguistics عام ١٩٦٦، ثم «النمط الصوتى للغة الإنجليزية» The Sound Pattern of English الذى قدمه عام ١٩٦٨ بالاشتراك مع موريس هال Halle، و«اللغة والعقل» Language and Mind الذى ظهر فى العام نفسه. وبعدهما «البناء المنطقى للنظرية اللغوية» The Logical Structure of Linguistic Theory عام ١٩٧٥ ثم «اللغة والمسئولية» Language and Responsibility عام ١٩٧٩، وهو كتاب تناول فيه على وجه الخصوص العلاقات المتبادلة بين اللغة والسياسة من خلال تاريخ الأفكار والعلم، وبغرض أساسى هو تأكيد نظريته فى النحو التوليدى.

وعلى العموم فقد يكون من المناسب هنا مادمنا قد أشرنا إلى هذه الناحية أن نقول بأن جانبا من شهرة تشومسكى قد تحقق بعيدا عن كتاباته المتخصصة فى اللغة، وأقصد بذلك كتاباته التى عبر بها عن مواقفه السياسية وبخاصة فيما يتعلق بمعارضته حرب فيتنام وتورط أمريكا فى الستينات والسبعينات فى هذه الحرب الخاسرة. فقد قام تشومسكى بإلقاء العديد من المحاضرات وكتب العديد من المقالات التى عبرت عن معارضته تلك، بالإضافة إلى تناوله لكثير من المشكلات الاجتماعية والاقتصادية، ولعل فى مقدمة هذه الكتابات «القوة الأمريكية والاستنزاف الجديد للعقل» American Power and the New Mandrains الذى قدمه عام ١٩٦٩ وكتابه «الاقتصاد السياسى للحقوق الإنسانية» The Plitical Economy of Hu-

man Rights الذى صدر فى جزءين عام ١٩٧٩. وكلها كتابات سعت إلى تأكيد ذاتية الفرد وإعلاء كرامة الإنسان فى كل مكان.

● قراءات مقترحة●

Works: At War With Asia, 1970.

; For Reasons of State. 1973.

; Remarks on Nominalization, in Jacobs & Rosenbaum 1969.

; Reflections on Justice and Nationhood 1974.

'and Miller G. ; Introduction to the Formal Analysis of Language. in luce, Bush & Galanter 1963.

● وانظر أيضا:

- Hockett, C. f; The State of the Art . 1967.
- Lyons, John; Chomsky.1970.
- Piattelli - Palmarini, Massimo (ed); Language and Learning (The Debate between Jean Piaget and Noam Chomsky). 1980.



٤١ - كول، فاى - كوبر

41 - COLE, Fay - Cooper

لا يعتبر عالم الأنثربولوجيا الأمريكى فاى كوبر كول حجة فحسب فى ثقافات القبائل والشعوب الملاوية Malayaia التى توجد فى بعض جزر المحيط الهادى الملاوية البولينيزية، ولكنه يعتبر أيضا واحدا من أهم المؤسسين لعلم آثار ما قبل التاريخ الحديث، وواحدا من العلماء الكبار الذين يرجع إليهم جانب كبير من الفضل فى التعريف بجوانب التطور الثقافى عن طريق كتبه ومؤلفاته التى اكتست بطابع شعبى جعلها شديدة الرواج بين مختلف المستويات الثقافية والاجتماعية.

ولقد ولد كول فى بلانول Palinwell بولاية ماساشوستس بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٨١، وتخرج فى جامعة نورث وسترن Northwestern عام ١٩٠٣ وبعدها التحق بجامعة شيكاغو للدراسات العليا، ثم جامعة برلين ومنها إلى جامعة لندن التى حصل منها على درجة الدكتوراه عام ١٩١٤.

وبالرغم من أن كول بدأ دراساته الحقلية فى شمال الفلبين وبخاصة فى ميندناو Mindanaw بتكليف من متحف البحوث الميدانية للتاريخ الطبيعى فى شيكاغو، فإن أولى دراساته الحقلية الهامة كانت عن «الفولكلور فى تنجاوانا» A Study of Tinguian Folkore، وهى دراسة تعتبر بمثابة حجر الزاوية فى ترسيخ شهرته معتمدا فى ذلك على المنهج الأثنولوجى المقارن، الذى استخدمه للمقارنة بين الثقافات القديمة التى تعكسها أساطير تينجوانا وأيضا ثقافتها المعاصرة، مع دراسة تحليلية للتغيرات التى طرأت على الانساق الفكرية القديمة والتقليدية وهى تخضع لعملية التطور.

ولم يمض وقت طويل بعد قيامه بهذه الدراسة حتى أصبح باحثا متخصصا فى اثنولوجيا الشعوب الملايوية Malayan Etnology والأنثربولوجيا الفيزيقية فى المتحف الميدانى.

ولكن عام ١٩٢٤ كان يمثل نقطة تحول أساسية فى اهتمامات كول. إذ التحق فى هذا العام بجامعة شيكاغو حيث التقى بإدوارد سابير Sapir وأيضا روبرت ردفيلد Redfield واشترك ثلاثتهم فى وضع وتنفيذ البرنامج الدراسى الجامعى فى الأنثربولوجيا الذى اعتبر طفرة واسعة فى تطوير هذا التخصص نظريا وعمليا. والواقع أنه منذ ذلك الحين أخذ كول يحاضر كما يقوم بتدريس كل التخصصات والفروع التى تتصل بالأنثربولوجيا اتصالا وثيقا باستثناء اللغويات Linguistics التى ارتبطت باسم إدوارد سابير.

ولقد تابع كول دراساته الحقلية بعد ذلك بنشاط ملحوظ، حيث أشرف على بحث أركيولوجى فى الينوى Illinois، وهى مرحلة ظهرت فيها على أى الأحوال اهتماماته العميقة بتطوير دراسات وبحوث ماقبل التاريخ وبخاصة فى المناطق الوسطى والغربية، ونجح من خلال هذا فى تقديم العديد من التكنيكات الوصفية والتصنيفية التى استخدمها بنجاح فى دراسته لوادى المسيسيبى Mssissippi، وظل مشدودا إلى هذه الاهتمامات حتى بعدما أصبح أستاذا متفرغا عام ١٩٤٨ (توفى كول فى ١٩٦١ فى سانتاباربر Santa Barbare بكاليفورنيا).

وقد ترك كول مجموعة من الكتب والمؤلفات وعددا ضخما من المقالات العلمية التى تناولت التطور الثقافى والاجتماعى. ويعتبر كتابه «الطريق الطويل من التوحش إلى الحضارة» The Long Road From Savagery to Civilization الذى ظهر عام ١٩٣٣ فى مقدمة هذه الأعمال الهامة. وكذلك كتابه الذى أصدره بالاشتراك مع مابل كوك كول Cook Cole تحت عنوان «قصة الإنسان» The Story of Man فى ١٩٣٧، والكتابان معا يعكسان الكثير من آراء ومواقف الاتجاه التطورى بتياراته المختلفة، ولكن بعد تعديلها، إضافة إلى الاستعانة بالمعلومات التاريخية والأثرية فى محاولة لإعادة بناء التاريخ الحضارى للإنسانية وتعيين المراحل التى مرت بها من

منظور يمكن القول بأنه يبتعد بشكل ملحوظ عن التطورية الكلاسيكية التى قادها تايلور ومورجان وغيرهما فى القرن التاسع عشر مما جعله أقرب إلى التطورية المحدثة التى تعتبر فى جوهرها امتدادا لبعض تيارات التطورية التقليدية مع اختلاف فى التفاصيل.

★ ★ ★

٤٢ - كولمان، جيمس صامويل

42 - COLMAN , James Samuel

لا يعتبر عالم الاجتماع الأمريكي جيمس صامويل كولمان فحسب واحدا من رواد علم الاجتماع الرياضى الذين أضافوا بأعمالهم وبحوثهم إلى الاتجاهات الحديثة فى الاستعانة بالطرق الكمية والإحصائية لفهم الظواهر الاجتماعية وتحليلها والاعتماد على قياس الاتجاهات وتصميم المقاييس، ولكنه يعتبر كذلك واحدا من الذين قاموا بدور كبير فى بلورة شخصية علم الاجتماع السياسى، ومارست كتاباتهم تأثيرا متزايدا على العلوم والدراسات السياسية حتى أصبحت علامة مميزة على زيادة التأثير الاجتماعى فى هذا المجال، الأمر الذى يرجع بالدرجة الأولى إلى قدرته الفائقة على الاستعانة بالطرق التفسيرية والنماذج والأطر التصورية والإجرائية فى فهم الظاهرة السياسية والسلوك السياسى فى علاقاتهما المتشعبة على ما يظهر بصفة خاصة فى كتابه الشهير الذى ألفه بالاشتراك مع جابرييل آلموند Almond بعنوان «سياسات المناطق النامية» The Politics of Developing Areas (١٩٦٠).

ولقد ولد كولمان فى بدفورد Bedford بأنديانا، وتلقى تعليمه فى جامعة بيردو Purdue (١٩٤٩). ونال درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩٥٥ كما عمل باحثا مساعدا فى مكتب البحث الاجتماعى التطبيقى Bureau of Applied Social Research وهو العمل الذى استمر فيه لمدة عامين من ٥٣ إلى ١٩٥٥. وهى فترة خضع كولمان خلالها لتأثير بول لازرسفلد Lazarsfeld الأمر الذى يظهر فى أسلوب اقترابه وتناوله للمشكلات وفى طريقة التفكير فيها وكيفية اختيار البدائل المطروحة لحلها. وهو تأثير من السهل ملاحظته فى عدد من أعماله التى ظهرت فى مراحل

مختلفة على ما نجد فى كتابه «مقدمة لعلم الاجتماع الرياضى» Introduction to Mathematical Sociology (١٩٦٤)، و«رياضيات الفعل الجمعى» Mathematics of Collective Action الذى ظهر فى ١٩٧٣، وأيضا كتابه «التحليل الطولى (الرأسى) للمادة والمعلومات» Longitudinal Data Analysis (١٩٨١)، وبعد ذلك كان زميلا لمدة عامين ٥٥/ ٥٦ فى مركز الدراسات المتقدمة فى العلوم السلوكية فى بالو آلتو Palo Alto بكاليفورنيا. ثم عمل أستاذا مساعدا لعلم الاجتماع فى جامعة شيكاغو فى الفترة من ٥٦ إلى ١٩٥٩، ثم استاذا فى قسم العلاقات الاجتماعية بجامعة جون هوبكنز John Hopkins من عام ١٩٥٩ إلى ١٩٧٣ ليعود مرة ثانية إلى شيكاغو كأستاذ وباحث فى المركز القومى لبحوث الرأى National Opinion Research Center الذى يعتبر مناظرا لمكتب البحث الاجتماعى التطبيقى بجامعة كولومبيا.

ولاشك فى أنه كان للمدخل السلوكى الذى نمى بشكل مطرد وسريع فى جامعة شياغو خلال فترة الثلاثينات دوره فى الأثر الذى مارسه علم الاجتماع فى ميدان الدراسات السياسية، وبالرغم من أن توافد الباحثين والدارسين من أوربا قد ساعد فى دعم هذا المدخل وإن يكن من خلال توجهاتهم الأيديولوجية السائدة فى القارة والتى تنحدر أساسا من ترا ث روبرت ميتشيلز Michels وماكس فيبر Weber، فإن تزايد التأثير السوسيولوجى أخد يتجه اتجاهات خطيرة فى السنوات الأخيرة بفعل كتابات كولمان التى عكست بعض المواقف التى تظهر فيها بشكل واضح استعارة النماذج والإجراءات من الاتجاه الوظيفى وبخاصة استخدام فكرة النسق الاجتماعى من ناحية، وربما قدر غير قليل من الإحياء لبعض الأفكار الاجتماعية فى النظرية الماركسية التى ألهمتها الحركات الثورية فى الدول النامية على وجه الخصوص، من ناحية ثانية علي ما يظهر بصفة خاصة فى كتابه «نيجيريا: خلفية للقومية» Nigeria: Background to Nationalism (١٩٥٨).

ويمثل كتابه «الديمقراطية الاتحادية» Union Democracy الذي صدر فى ١٩٥٦ بالاشتراك مع ترو M. Trow وسيمور ليبست Lipset هذا الاتجاه أفضل تمثيل حيث ناقش فيه المشكلات السياسية والاجتماعية التى صاحبت انتشار

وتزايد أعداد ونفوذ النقابات العمالية والاتحادات وتنظيمات ومؤسسات أصحاب الياقات البيضاء فى سعيها للسيطرة على الاتحادات وإخضاعها لنفوذها.

كذلك تعتبر كتاباته التى اهتم فيها بمناقشة مشكلات الشباب ومشكلات التربية والتعليم وبخاصة فى المجتمعات الصناعية الحديثة، وبالتالى تأثير العوامل البيئية والعوامل الثقافية والمكتسبة فيما يتعرض له الشباب أثناء مراحل نموه المختلفة من أمتع الكتابات فى الموضوع، وأفضل مثل لذلك كتابه «المجتمع المراهق» The Adolescent Society (١٩٦١)، وكذا كتابه «نماذج للتغير والاستجابة القلقة» Models of Change and Response Uncertainity ١٩٦١، وأيضا كتابه «المراهقون والمدارس» Adolesents and Schools (١٩٦٥) وكتابه «الشباب: الانتقال إلى مرحلة الرجولة» Youth: Transition to Adulthood فى ١٩٧٣، وكلها كتابات تثير الكثير من المناقشات حول المسائل والقضايا التى تزعج المجتمعات المعاصرة، وربما يتكامل مع هذه الاهتمامات كتابه بعنوان «موارد للتغير الاجتماعى» Rescources For Social Change (١٩٧٣)، و«المساواة وفرص التربية والتعليم» Equality and Educational Opportunity الذى نشر فى صورة تقرير قدمه ونفر من زملائه لإدارة التربية والتعليم بالولايات المتحدة الأمريكية فى عام ١٩٦٦. وهو تقرير يكشف عن الفوارق فى مستويات الذكاء والتحصيل والأداء بين التلاميذ والأطفال الذين ينتمون إلى الجنسيات المختلفة وبخاصة الأطفال من السود والبيض والهنود الأمريكيين. وقد كان للكثير من النتائج التى توصل إليها البحث وتضمنها التقرير من الدلالات التى تكشف عن دور البيئة وفرص التعليم المتاحة فى ابراز هذه الفوارق وتعميقها، والتى لم تفلح الجهود التى تبذلها الحكومات للتخفيف من حدتها، ربما نزولا على السياسات العامة ولكنها تهدم من الأساس وجهة النظر التقليدية القائلة بأن العنصر يعتبر عاملا محددا لمستويات الذكاء والخصائص الذهنية بين الجماعات الإنسانية. وقد عاد إلى إثارة هذه المشاكل والموضوعات ذاتها تقريبا فى الثمانينات فى كتابه «المجتمع اللامتناسق» The Asymmetric Society وكتابه «إنجاز المدارس الثانوية» High School Achievement اللذين صدرا فى عام ١٩٨٢.

• قراءات مقترحة•

- Colin, leys; Politics and Change in Developing Countries. 1969.
- Crick, Bernard; the American Science of Politics. 1959.
- Easton, David; A System's Analysis of Political life. 1965.
- Euliu, Heinz; The Behavioral Persuation in Politics. 1967.
- Worsley, Peter; The Third World. 1967.

★ ★ ★

٤٣ - كون، كارلتون ستيفنز

43 - COON, Carleton (Stevens)

يشتهر عالم الأنثربولوجيا الأمريكى كارلتون ستيفنز كون بتشعب اهتماماته واتساع نطاقها وتنوعها، الأمر الذى جعله لا يتمتع فحسب بمكانة مرموقة كأستاذ متخصص له إسهاماته الضخمة وخاصة فى الأنثربولوجيا الثقافية والطبيعية، ولكن يتمتع أيضا بتقدير زائد نظرا لبحوثه ودراساته التى تتروح من الاهتمام بآثار ما قبل التاريخ إلى دراسة المجتمعات الصغيرة إلى المجتمعات الكبيرة المعاصرة، وكذلك المجتمعات القبلية وبخاصة تلك التى توجد فى الشرق الأوسط وبتاجونيا Patagonia والهند، علاوة على دراساته لمجتمعات الحدود والبناءات الهامشية.

ولد كون فى عام ١٩٠٤ فى واكفيلد Wakefield بولاية ماساشوستس Massa-chusetts بالولايات المتحدة الأمريكية، وعمل بجامعة هارفارد التى حصل منها على درجة الدكتوراه عام ١٩٢٨ من عام ١٩٢٧ إلى عام ١٩٤٨، أما أثناء الحرب العالمية الثانية فقد عمل بمكتب الخدمات الاستراتيجية فى أفريقيا ثم التحق فى ١٩٤٨ بكلية جامعة بنسلفانيا وأصبح محاضرا فى الأثنولوجيا بجامعة المتحف University Museum فى فيلادلفيا وظل يجمع بين المنصبين حتى عام ١٩٦٣.

جذبته منذ البداية مشكلات مجتمعات الحدود أو البناءات الهامشية، فقدم فى عام ١٩٣١ كتابه «قبائل الريف» Tribes of the Rif. ومع ذلك فإن شهرته ترتبط أساسا بكتاباته التى تناول فيها مشكلات التكامل الثقافى بالإضافة إلى دراساته عن الأجناس والسلاسلات، وهى الاهتمامات التى ركز عليها بداية من الخمسينات.

ففى عام ١٩٥٠ نشر بالاشتراك مع جارن Garn وبيردشل Birdsell دراسته الشهيرة فى الأجناس التى تناول فيها بالدراسة والتحليل ٣٠ جنسا من مختلف

مناطق العالم. وقد جاءت هذه الدراسة تحت عنوان له دلالته هو «الأجناس: دراسة لمشكلات تكوين الأجناس بين البشر» Races: A Study of the Problems of Race Formation in Man حيث اعتمد بشكل واضح على المعيار التلقيدى للنمط الفيزيقى. وذهب إلى أن الجنس Race أو العنصر ليس شيئا جامدا لا يتغير، وإنما هو مرحلة فى عملية يتم بها تكيف الجنس البشرى للظروف الخاصة التى يمر بها.

وبالرغم من أن النظرة السائدة للأجناس كانت تعتمد إلى حد بعيد على التقسيم الذى اشتهر به بويد Boyd الذى ميز بين خمسة أجناس رئيسية هى الجنس الأوربى أو القوقازى Caucasiod والجنس الأفريقى (النيجرو) Negroid والجنس الآسيوى أو المنغولى Mongoloid والهنود الحمر Americans Indians والجنس الجنوبى أو الأسترالى Australoid، فقد ذهب كون وزملاؤه إلى أن بعض هذه الأجناس الثلاثين مثل الأمريكيين الملونين والملونين فى جنوب أفريقيا والسكان المولدين بجزر هاوى تمثل كلها نماذج شيقة للأجناس التى مازالت فى بدايات التكوين.

ولعل الشىء الطريف هنا أن يربط كون فى تقسيمه هذا بين الخصائص الوراثية وبين أشكال الأنساق والنظم التكنولوجية التى يتم ابتكارها. فنزولا على مقولته الأساسية التى تؤكد استحالة أن يعيش أى مجتمع دون إحداث نوع من التكيف مع بيئته نجده فى كتابه الذى أصدره بالاشتراك مع شابل Chapple تحت عنوان «مبادئ الأنثربولوجيا» والذى ظهر عام ١٩٤٧ يميز بين أربعة عناصر أساسية تتضمنها أية وسيلة أو تقنية من التقنيات، وهى شكل الأداة Type of implement، ونوع العملية، ومصدر الطاقة، وطبيعة التفاعل الاجتماعى الذى تتطلبه هذه التقنية.

وبالرغم من أن هناك العديد من الدراسات التى سعت إلى ربط المجتمعات المختلفة بأنواع بذاتها من التقنيات فإن ما يؤكده كون هو قدرة المجتمعات المختلفة على استيعاب مختلف التقنيات إذا ما توافرت الظروف المادية والعلمية لذلك، وهو بذلك يدحض النظرة العنصرية التى تقول بأن ثمة فوارق سيكولوجية فطرية بين الأجناس، والدعاوى التى تعلى من شأن العوامل الفطرية فى التطور والتى ذهبت

ضمن ما ذهبت إليه إلى أن الأفارقة والسود عموما أقل قدره على استيعاب التطورات الحديثة أو الإضافة إليها.

ولقد توالت مؤلفات كون وكتاباته خلال الخمسينات وحتى أواخر السبعينات فى الاتجاهات نفسها التى قلنا أنها تجذبه إليها. ففى نفس العام (١٩٥١)، ظهر كتابه الممتع «القافلة: قصة الشرق الأوسط» Carvan the: Story of The Middle East ومن بعده «قصة الانسان» The Story of Man (١٩٥٤) و«الكهوف السبعة» The Seven Caves فى ١٩٥٧، و«شعوب الصيد» The Hunting Peoples (١٩٧١)، بالاضافة إلى كتابه الذى نشره فى أواخر السبعينات عن الأجناس الأوربية The Races of Europe (١٩٧٨).

وبالرغم من أن هذه الكتابات تعطى صورة واضحة عن مدى تشعب اهتماماته بمسيرة الإنسان وتطوره الحضارى وبخاصة فى منطقة الشرق الأوسط التى اهتم بها اهتماما خاصا، حتى بدت بعضها وكأنها دراسات مستفيضة لتاريخ علم آثار ما قبل التاريخ (الأركيولوجيا) فى المنطقة، فإن كتابه «القافلة» يظل مع ذلك واحدا من أمتع الكتب وأعظمها التى تناولت موضوع تكامل الثقافة فى الشرق الأوسط. ففى هذا الكتاب ينظر كون إلى الشرق الأوسط على أنه مجتمع كلى تتكامل ثقافته فى ضوء تكامل أجزائه وتناسقها. فالمنطقة كما يرى تنقسم وظيفيا واستنادا إلى مبدأ تقسيم العمل إلى بدو وسكان حواضر وفلاحين وسكان مدن باعتبارها الأنماط الرئيسية الواضحة.

والنقطة الرئيسية التى سعى كون إلى إبرازها تتعلق بنظرته إلى البدو على وجه الخصوص حيث نجده يقسمهم إلى أنماط بذاتها منها نمط البداوة الخالصة ومنها أنماط البداوة الهامشية التى يصفها بأنها تلك التى تقع على الحدود حيث تصبح موقعا للامتزاج الثقافى والبنائى معا نتيجة توافد عناصر ثقافية بعضها من شمال أفريقيا وبعضها الآخر من مختلف الثقافات التى توجد وتتعايش فى حوض البحر المتوسط مما يكسبها فى النهاية طابعا ثقافيا له خصوصيته التى يتفاعل فيها القديم والتقليدى مع الجديد والحديث بما يؤثر بالتالى فى بناءاتها ونظمها

بما يجعلها أقدر على التكيف ومواجهة مشكلات الاحتكاك الثقافى عموما باعتبارها جسورا ثقافية تتبادل الأخذ والعطاء بما يحافظ على وجودها.

• قراءات مقترحة•

- Boyd, W. C.; Genetics and Races of Man. 1950.
- Dobzhansky, Th.; Mankind Evolving. 1962.
- Herskovits, M. J; Man and His Works. 1948.

★ ★ ★

٤٤- كوزر، لويس

44 - COSER, Lewis

على الرغم من تردد القول بأننا ما زلنا فى حاجة إلى نظرية عامة فى الصراع وهو قول ينطوى بلا شك على غير قليل من الصحة ، فقد أسهمت كتابات كوزر فى بلورة بعض الاتجاهات التى أبرزت ضرورة ذلك . ففى مقدمته التى كتبها لمؤلفه الشهير «وظائف الصراع الاجتماعى» Functions of Social Conflict (١٩٥٦) لاحظ كوزر أنه على الرغم من أن علماء الاجتماع الأمريكيين الأوائل من أمثال ألبيون سمول Small وتشارلس كولى Cooley وجورج جريهام سمنر Summner قد عرفوا أهمية الصراع الاجتماعى ، بل وجعلوا له قيمة إيجابية ، فإن علماء الخمسينات من القرن لم يعطوا الموضوع سوى جانب ضئيل من اهتمامهم. وحتى عندما تناولوه فإنهم لم ينظروا إليه إلا على أنه ظاهرة لها آثارها السلبية التى تؤدى إلى التفكك والتمزق الاجتماعيين. ومع أن هذا لا يعنى فى ذاته أن ميدان الدراسات الاجتماعية كان خلوا من الدراسات التى تتناول الصراع الاجتماعى فإن الإحياء الحقيقى لجهود هؤلاء الرواد الأوائل لم يحدث إلا فى منتصف الخمسينيات مع انتباه علماء الاجتماع إلى دلالة الصراع وأهميته فى ضوء المتغيرات الايديولوجية والسياسية والثقافية التى شهدتها الساحة العالمية إبان هذه الفترة وفى أعقاب الحرب العالمية الثانية والتى تميزت بتنامى الحركات الثورية والاتجاهات التحريرية ، وبأشكال المواجهة بين مختلف التكتلات والنظم على السواء .

وهناك مجموعة من الملاحظات تظهر بوضوح فى تناول كوزر السوسيولوجى لموضوع الصراع، فمن الواضح - وهذا من ناحية - أن كوزر قد انطلق فى دراسته للصراع من ثنايا الموقف العام الذى يتخذه الوظيفيون من الصراع والذى يتسم بغير

قليل من التجاهل عند الرغبة فى تحديد أبعاده الإيجابية. إذ نجده يسلم ببعض المسلمات الوظيفية التى تربط بين حدوث أى تغيير فى جانب من جوانب البناء أو وظائفه وتأثير ذلك فى سائر وظائف وعناصر و مكونات البناء على السواء. وبالرغم من أن هذا المدخل قد يوحى بأنه يهتم أساسا بمعرفة الأسباب البنائية للصراع فالملاحظ أن التركيز على وظائف الصراع وإبراز آثاره هو الذى حظى بمزيد من اهتمامه وعنايته وربما كان ذلك راجعا إلى أن دراسة آثار الصراع تبدو أسهل من التعرف على أسبابه ودراسة هذه الأسباب.

أما الملاحظة الثانية فهى أن نظريته فى الصراع لم تأت فى ضوء دراسات إمبريقية أو حتى بناء على معطيات تاريخية رغم أهمية هذا ، ولكنه اعتمد أساسا على قراءته للتراث الذى تعرض للموضوع، وبخاصة كتابات جورج زيميل Simmel وتولكوت بارسونز Parsons بل ويمكن القول أكثر من هذا أنه بذل جهدا كبيرا فى محاولة التقريب بين أفكار زيميل والأفكار والتوجهات الوظيفية بعامة . حيث إنه أبرز - وهذا من ناحية - الوظائف الاجتماعية للصراع متأثرا بجورج زيميل على الرغم من أن كتاباته ورؤيته كانت كتابات ورؤية تحليلية ركزت على إبراز الجوانب السلبية والسيئة . كذلك ظهر - وهذا من ناحية أخرى - مدى تأثره ببارسونز وبخاصة فى محاولة تصنيف الصراع وتعيين أنماطه وأشكاله وفقا لدرجة انتظامه المعيارى Normative فى داخل النسق الاجتماعى ، حيث أخذ يميز بين نوعين من الصراع الأول نظامى بمعنى أن النسق يتقبله ويتمثله بل ويوزعه بين عناصره ومكوناته . والثانى غير مصاغ نظاميًا أو هو صراع لا وظيفى بمعنى أنه يعوق النسق عن أداء وظائفه الاجتماعية . ولا شك فى أنه تظهر هاهنا مشابهة فكرة النسق كما نجدها عند بارسونز ، وهى فكرة توضح دور الصراع فى داخل الأنساق وفيما بينها وخاصة عندما يذهب إلى أن الصراع يسهم فى إعادة التكييف الاجتماعى للأعضاء وفى إعادة التوازن فى داخل الكل الاجتماعى .

وبالرغم من أنه قد وجه لبارسونز العديد من الانتقادات فإن المثير للدهشة أنه تظهر عنده المفهومات والتصورات الوظيفية نفسها مثل مفهوم القيمة والمعيار

وصمام الأمان والصياغة النظامية، وكذلك مفهومات الوظائف الكامنة والوظائف المعوقة بالإضافة إلى مفهوم التوازن الذى يعتبر مفهوما محوريا لدى الوظيفيين. ولقد عبر كوزر نفسه عن هذا الاتجاه بقوله « إن الصراع يساعد دائما على تنشيط المعايير الاجتماعية واستثارتها وتدعيمها . بل إنه قد يؤدى إلى ظهور معايير اجتماعية جديدة، وبهذا فيعتبر الصراع أداة أو ميكانيزما يضمن تكيف المعايير مع الظروف الجديدة ويستطيع المجتمع من ثم أن يستفيد من الصراع ، ذلك لأنه بفضل إسهامه فى خلق معايير جديدة وتعديل المعايير السائدة يستطيع أن يضمن استمراره وبقاءه فى ظل الظروف المتغيرة » .

كذلك يلاحظ – وهذا من الناحية الثالثة – أنه بالرغم من تأثر معالجة كوزر للصراع بكثير من أفكار كارل ماركس ، حيث استعان بتصوره الذى يرى أن الصراع لا يغير العلاقات البنائية للمجتمع ، ولكنه يسهم فى إعادة تشكيل هذا البناء وإحلال تكوين اجتماعى اقتصادى آخر ، فقد كان معظم اهتمامه منصبا على ابراز الصراع كعملية اجتماعية ضرورية لفهم العلاقات الاجتماعية، أى كعملية من عمليات التفاعل الاجتماعى كما اعتبرها نضالا حول القيم والمكانات ومصادر القوة تسعى فيه الأطراف المختلفة إلى إبعاد أو إزاحة بعضها للبعض .

ومن الواضح هنا أن رؤيته لكيفية حل الصراع إنما تعكس ايديولوجية وظيفية، وإيمانا بأهمية الاتفاق بين الأطراف أو خضوع الأطراف للقوة الأكبر، أو على الأقل إمكانية أن تقوم الأطراف بعملية استبدال لأهدافها؛ لأنها فى هذه الحالة لا تسعى إلى الوصول إلى حل معين لموقف معين لا يلائمها بقدر ما تسعى إلى إزالة التوتر الذى يحدثه هذا الموقف، وهذا بدوره منظور لا يخلو من ملامح وظيفية، وخاصة وأنه كثيرا ما استخدم مفهوم العنف بدلا من مفهوم الصراع وكأنهما مفهومان متكافئان.

وعلى العموم فإن الاستقراء السليم لكتابات كوزر وبخاصة تلك التى كتبها مؤخرا وفى مقدمتها «رجال الأفكار : رؤية عالم اجتماع» Men of Ideas: A Sociologist's View (١٩٧٠) وأيضا كتابه «أقطاب الفكر الاجتماعى : أفكار فى

السياق الاجتماعى والتاريخى» Masters of Sociological Thought: Ideas in historieal and Social Ccontext الذى قدمه عام ١٩٧١ إنما يؤكد بشكل مباشر أو غير مباشر على استمرارية، شكل معين فحسب من أشكال الصراع هو الصراع السياسى وبخاصة فى الولايات المتحدة الأمريكية ، وإن كان يرى أن معظم هذا الصراع سوف يظل محصورا فى داخل حدود ضيقة الأمر الذى يصعب التأكد من حتمية وقوعه على النحو الذى يذهب إليه . فبالرغم من أن ظهور بعض المواقف والاتجاهات الراديكالية لدى بعض المثقفين خليق ببلورة مواقف صراعية لعلها تكون أكثر حسما، فإن تحليله لكيفية مواجهة السلطة لهذه الاتجاهات والمواقف ينبئ عن اتجاه نحو زيادة استغراق المثقفين واستدماجهم داخل الأقسام المختلفة للمؤسسة أو النظام ، بمعنى أن هناك عملية جارية لمأسسة الصراع، وبالتالى إذابة الدور الثورى والأشد تأثيرا للمثقفين ، على الأقل كما نجده فى بعض الكتابات الأخرى وكأنها النهاية المؤكدة لهذا الدور بتعبير آخر .

● قراءات مقترحة●

- **Works**: Georg Simmel (Volume of Essays), 1967.

● وانظر ايضاً :

- Bernard, Jessie; The Theory of Games of Strategy as a Modern Sociology of Conflict. A. J. S. Lix. 5. 1954.
- UNESCO; The Nature of Conflict. 1957.



٤٥ - كروتشة، بنيديتو.

45 - CROCE, Benedetto

يحلو للبعض من مؤرخى الفكر الاجتماعى أن يشيروا دائما إلى أن بنيديتو كروتشة العالم والفيلسوف الإيطالى قد ولد بعد توحيد إيطاليا بخمس سنوات وأنه توفى بعد سقوط موسولينى Mussolini بتسعة أعوام. وأنه على مدى حياته التى طالت لستة وثمانين عاما قد مارس تأثيرا طاغيًا على مختلف جوانب الثقافة الإيطالية.

ولد كروتشة فى الخامس والعشرين من شهر فبراير عام ١٨٦٦ فى بيسكاسيروللى Pescasseroli بإيطاليا، وتوفى فى العشرين من نوفمبر عام ١٩٥٢ فى نابولى Naples . ولفترة طويلة من حياته اعتبره الكثيرون الفيلسوف والمؤرخ الرسمى لإيطاليا على الأقل حتى نهايات النصف الأول من القرن العشرين .

ولقد ساعدته ظروف حياته الأسرية على أن يختط لنفسه طريقا معينا . فهو ينتمى إلى واحدة من أغنى الأسر الإيطالية التى تقطن بإقليم آبروزى Abruzzi بوسط إيطاليا، ولذا نجده يترك جامعة روما دون أن يحصل على درجة علمية ويقضى حياته فى نابولى كمدرس خصوصى . ونجح مع ذلك فى نشر أكثر من ٧٠ مجلدا فى الفلسفة والتاريخ والسياسة والاجتماع والنقد الأدبى . كما ظل لأكثر من أربعين عاما يقوم على تحرير مجلة «النقد» La Critica التى كان يمتلكها، واستطاع بذلك أن يكون له نفوذه الضخم على العديد من دور النشر وبخاصة دار لاترزا Laterza التى كانت من أكبر الدور وأشهرها . وإن كان المؤكد أن هذا التأثير لم يكن بعيدا أيضا عن عضويته لمجلس الشيوخ الإيطالى وعن منصبه كوزير للتربية خلال العامين ١٩٢٠ - ١٩٢١ ، وإن كان قد أصبح بسبب بعض المواقف السياسية خصما ومناوئا للفاشية Fascism وأقدم فى عام ١٩٢٥ على نشر رد علنى على

مانفيستو المثقفين الإيطاليين الفاشيست . وبعدها انتخب رئيسا للجناح المعتدل فى الحزب الإيطالى الحر عام ١٩٤٣ كما تبوأ أحد المناصب المسئولة فى الجمعية الدائمة التى شكلت فى أعقاب الحرب العالمية الثانية .

ولكن كروتشة لم يكن فيلسوفا بالمعنى الاصطلاحى الدقيق ، ذلك أن كل أعماله تعكس تفاعلا مستمرا بين البحث فى العديد من الموضوعات المادية الملموسة Concrete والتنظير الفلسفى . والواقع أن دراساته الأولى المبكرة جعلته يقف على التراث الألمانى فى التاريخ وعلم الجمال ونظرياته التى سادت فى منتصف القرن التاسع عشر . ولكن من الناحية الأخرى يصعب أيضا تجاهل التأثير الماركسى بل وآراء علماء وفلاسفة القرن السابع عشر وبخاصة جيامبا تيستا فيكو Vico كما ألهمته فلسفة هيجل Hegel بعض مواقفه النظرية ورؤاه الأدبية والفنية على الرغم من أنه يصعب التسليم بأنه كان هيجليا تماما، وخاصة أنه كان دائم التصريح منذ عام ١٩٠٢ بأنه أحد أتباع المثالية ولكنه يخشى مع ذلك أن يربطه مصطلح المثالية هذا بالمثالية الهيجلية Hegelian Idealism بالذات التى اعتبرها خاضعة لازدواجية أو ثنائية فى نظرتها للواقع، ومهما يكن من أمر هذه المؤثرات فقد ساعدت جميعها على بلورة شخصيته، أو بالأصح حسه الأخلاقى الذى كتب له أن يعمق وأن ينمو ويتطور حتى صار وكأنه يجسد الشخصية الأخلاقية لإيطاليا ولقدرها .

ويمكن التمييز فى حياة بنيديتوكروتشة بين أربع مراحل لكل منها سماتها وخصائصها وبالتالى إنتاجها المميز. وإن كانت فى مجملها تعكس جهده الخارق الذى ظل يبذله لتفادى كل الشكوك التى تقول بخضوع تفكيره للثنائية التى يعيبها على هيجل . وقد تأدى به هذا الجهد إلى حد أنه أصبح يفضل مصطلح «الروحية المطلقة» Absolute Spiritualism أو «التاريخية المطلقة» Absolute Historicism فى مواجهة كل من هذه الثنائية المثالية من ناحية والاتجاهات الوضعية من ناحية ثانية.

ولقد كانت المرحلة الأولى من هذه المراحل الأربعة تلك التى استغرقت الفترة حتى عام ١٩٠٠ تقريبا وهى فترة معاناة على المستوى الشخصى والعائلى نتيجة

لفقد أبيه فى أحد الزلازل التى تعرضت لها كازاميكيولا Casamicciola عام ١٨٨٣ تاركا إياه وهو لم يزل فى الثامنة عشرة ومعه أخوه الفونسو Alfonso ليواجها قساوة الحياة التى عبر هو نفسه عنها فى كتاباته بأنها كانت - آنذاك - حلما سيئا وكئيبا، فقد انتهت إلى الأبد بالنسبة إليه مرحلة الطفولة والشباب المبكر، وإن ظلت تنعكس مع ذلك على كل مناحى حياته ونشاطه الفكرى . فلم يكن أمامه من سبيل للخروج من واقعه إلا أن يلقى بكل ثقله فى دوامة العمل ودوامة القراءة وهو ما هيأ له لأن يصبح واحدا من أعظم المؤرخين وخاصة أنه كان يتميز بأسلوب فذ وبروح دافقة حتى ليطل من خلال كلماته على القارئ فيجذبه جذبا إليه .

ولقد شغلته فى هذه الفترة معتقداته وآراؤه الخاصة بكيفية إقامة حكومة ديمقراطية أخلاقية حرة فى إيطاليا بدلا مما كان يذهب إليه القوميون الأحرار الذين كانوا يسعون بمختلف الطرق لإحياء وحدة إيطاليا القومية التى كانت فى القرن التاسع عشر . ومع أنه بدأ فى بحثه عن المقومات الأساسية التى ينبغى أن تتوافر لمثل هذه الحكومة الديمقراطية الأخلاقية يتعرف على الكتابات الماركسية والاشتراكية إلا أنه سرعان ما هجرها بدورها لينهل من عالم المعرفة الواسع .

.المرحلة أو الفترة الثانية فى حياته بدأها عام ١٩٠٣ عندما أقدم على تأسيس مجلته النقدية Critica لتدعم حركة النقد الأدبى والثقافى، وهى المجلة التى نشر فيها كل أفكاره تقريبا على مدى أربعين عاما .

فى هذه الأثناء بدأ كروتشة يخطط أيضا لمشروعه الضخم عن «فلسفة الروح» Philosophy of Spirit الذى يمثل عمله الفكرى الأساسى . ومن الملاحظ أن هذا المصطلح يعكس سمتين أساسيتين متمايزتين على الرغم من ترابطهما، فى تفكيره. السمة الأولى أن فلسفة الروح تحدد ملامح نسق فلسفى وفكرى محدد على نفس منوال النمط العقلانى الذى يلون الفلسفة الرومانسية التقليدية . حيث كان المبدأ الأساسى فى هذا النسق يتمثل فى «انتشار» و «وضوح» الروح خلال بناء النسق الفلسفى بأكمله وخلال الزمان التاريخى . أما الوقفات أو اللحظات التى تتبدى فيها الروح فى هذا النسق فهى تكشفات نظرية وعملية ولكنها تتمايز بالتالى

فى كل ما هو أخلاقى وجمالى ومنطقى واقتصادى. وبتعبير آخر فقد كان يرى أن الدينامية الدائرية تتحرك ما بين اللحظات الأدنى والأعلى مثلما أن قانون الانتشار والامتداد هو قانون الوجود أو «الحدوث» المطلق Absolute Immanence . ولقد عبر كروتشة عن هذا المبدأ الذى قامت عليه فلسفة الروح فى مجموعة من الأعمال التى اشتملت على عدة مجلدات أولها «علم الجمال كعلم للتعبير واللغويات العامة» وقد صدر عام ١٩٠٢ و«المنطق» (١٩٠٧) و«الاقتصاد وفلسفة الأخلاق» (١٩٠٩) و«التاريخ: النظرية والتطبيق» (١٩١٧) .

أما السمة الثانية فتتمثل فى أن كروتشة أخذ يهجر تدريجيا هذه الخطة نزولا على بعض الاعتبارات المنهجية ، ذلك أنه بدأ يعتقد أن اللحظات أو الآنيات التاريخية لا تنحل أو تذوب ولكنها تنخرط فى الفعل التاريخى والفكر ، وبذا يصبح التاريخ المبدأ التوسطى الفريد لكل وقفات الروح بينما تظهر الروح أو الوعى الإنسانى فى تلقائية تماما وعفوية دون أى بناء يشخصها أو يجسدها .

ولقد ظهر هذا التحول الفكرى أول ما ظهر فى مؤلفه الكبير «التاريخ باعتباره قصة للحرية» الذى قدمه عام ١٩٣٨ والذى يقف كعلامة على ما أسماه «التاريخية الطلقة» التى يصفها الكثيرون بأنها الشكل الكامل والمحدد لتفكيره. فقد كانت فلسفة الروح فى شكلها المتكامل وراء منهجه الرئيسى الذى ظهر فى أعماله المتأخرة كما ظهر أيضا فى عمله «الفلسفة والشعر والتاريخ» الذى قدمه عام١٩١٥.

ويمكن القول بوجه عام أن المرحلة الثالثة فى حياته الفكرية بدأت مع إدراكه لطبيعة التحولات السياسية والفكرية التى أخذ يخضع لها النظام الإيطالى ، فقد سعى هنا كروتشة إلى أن يدمج دوره كمواطن إيطالى بدور إيطاليا الأمر الذى جعله ينخرط فى النشاط السياسى إلى أبعد الحدود . فمن خلال صحيفته بدأ يبرز دوره العام كمعلم لإيطاليا الحديثة تقع عليه مسئولية صنع إيطاليا الغد كما يحلم بها.

وللحق فقد كانت أبعاد الصورة هنا تتضح بالشقاء والمعاناة ، ولكنها مع ذلك جميلة بالجهد الخلاق وبالتوق إلى الحرية اللذين يعتلج فى أعماقهما الحس العميق

بالواجب والمسئولية وبالرغبة فى خلق أسلوب حياة ينبض بروعة إيطاليا الرومانسية المليئة بالحب وبكل المعايير التى تقدس الحقيقة الشخصية والعامة .

كل هذا كان يمثل العناصر الأساسية فى المثال الذى ملأ خيال كروتشة والذى أخذ يصنع نفسه على منواله، وإن كان التاريخ قد أخذ يحيك بأحداثه خيوطا جديدة وضعت هذا المثال فى محك الاختبار حيث برز نجم الفاشية كاتجاه سياسى يضع الدولة (إيطاليا) أو العنصر فى مركز الحياة والتاريخ ولا يعتبر الفرد ولا يعترف بحقوقه إلى أبعد الحدود .

ولقد كان هذا النسيج يتشكل تدريجيا ويتم ببطء لدرجة أن كروتشة نفسه لم يكن يتصور لأول وهلة إمكانية قيامه. فهو يعترف بأنه رأى الفاشية فى أول الأمر كحركة يمينية أميل لأن تضع حدودا ونوعا من التقييد لتلك الفردية المطلقة وبلا أية ضوابط والتى تفجرت فى معقبات الحرب العالمية الأولى .

ولكن مع تزايد وضوح الشخصية الحقيقية لذلك النظام أخذت معارضة كروتشة تزداد ذلك أنها بدت له لا كمجرد مشكلة أو شكل من أشكال الطغيان السياسى وإنما بداية لظهور إيطاليا أخرى مغايرة بالمرة، حيث تحل فيها الفردية والأنانية المتطرفة والمتغطرسة محل الفضيلة والمدنية. الشعارات والخطب تحل محل الصدق والحقيقة. قضية عنصرية بكل أبعادها القاتلة لأخلاق ولأحلام الإيطاليين المثقفين.

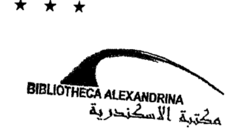
وبدأ كروتشة يكشف فى كتاباته أن إيطاليا قد أصبحت عرضة للضياع وأن طريقها كان على وشك أن يؤدى بها إلى النهاية إن لم يكن بأوربا وبالعالم الغربى بأكمله . وبدأ الإيطاليون يكتشفون أنهم فى حاجة أيضا إلى أن يسمعوا صوتا أخلاقيا يتحدث عنهم وعن إيطاليا، وليعرفوا مع العالم كله أن كروتشة هو ذلك الصوت الذى أخذ يدعو إلى أن تنظر إيطاليا إلى أصولها الداخلية الروحية التى يمكن عن طريقها أن تجد ذاتها، وأن تعيد بناء نفسها من جديد فى ظل وجود ديمقراطية مشبعة واقعا وفعلا بالحس الروحى والحس الأخلاقى معا .

وقد لا يكون مشروع كروتشة لهذا البناء هو الأول من نوعه الذى يعرفه تاريخ الأمم والشعوب ولكنه كان كافيا على أية حال لأن يعيده إلى بحوثه ودراساته وكتاباته وإلى مكتبته الضخمة التى تعتبر واحدة من أروع وأضخم المكتبات فى أوربا كلها . وهكذا نجده يؤسس المعهد الإيطالى للدراسات التاريخية Istituto Italiano per Gli Studi Storici كمركز للدراسة والبحث . ولا شك فى أن كروتشة قد أسهم متضافرا مع ذلك المركز فى إحداث تغيير عميق فى الدراسات التاريخية وفى النقد الأدبى فى إيطاليا . وإن كانت العلامة التى خلفها فى الثقافة الإيطالية تمتد فى الحقيقة إلى ماوراء تلك القضايا أو الموضوعات المدرسية . ويكفى أنه نجح فى أن يجعل الإيطاليين يقرأون ما يتحتم عليهم أن يقرأوه وأن يتركوا مالا فائدة أو غنى من وراء قراءته . ومع أن تأثيره قد بدأ فى التراجع والتهافت بعد سنى الحرب إلا أن المثقفين ظلوا مع ذلك يشعرون بحاجتهم إلى مثل ما كان يبشر به من فكر جديد وثقافة جديدة، بل وما زالت العقلية الإيطالية غير بعيدة تماما عن إسار فكره وفلسفته، وسواء أكان هذا بشكل شعورى أو غير شعورى .

• قراءات مقترحة •

- Antoni, Carlo.; Comments on Croce. 1979.
- Caponigri, A. Robert; History and Liberty; The Historical Writings of Benedetto Croce. 1965.
- Orsini, Gian N. G.; Benedetto Croce; Philosopher of Arts and Literary Criticism. 1961.

* * *



D



يحظى عالم الاجتماع الألمانى رالف داهرندورف بشهرة واسعة بين العلماء المهتمين بدراسة الصراع ، وبالرغم من أنه كان على دراية واسعة بالتراث الاجتماعى والأنثربولوجى لكبار الكتاب فى هذا الموضوع ووقف على مختلف الإتجاهات التى برزت فى هذا التراث قديما وحديثا، فقد نجح فى أن يكون له موقفه النظرى المميز من قضية الصراع الاجتماعى على وجه الخصوص، وهى القضية التى شغلت تفكيره وظهرت فى عدد من كتبه ومؤلفاته ، فقد تأثر داهرندورف بالماركسية ولكنه لا يعتبر مع ذلك من الماركسيين، كما تأثر بالوظيفية وإن لم يكن من الوظيفيين ، كما تأثر بماكس فيبر وإن لم تتطابق مواقفه تماماً مع ما يذهب إلى الفيبريون مما يجعل من مسألة تصنيفه تحت أى من الاتجاهات التقليدية السائدة أمراً على غاية من الصعوبة .

ومع ذلك فإن هناك بعض الملامح البارزة التى تحدد بوجه عام الإطار النظرى الذى تناول داهرندورف من خلاله قضية الصراع، وهى ملامح يمكن التعرف عليها من خلال استقراء كتاباته الرئيسية ، ولعل فى مقدمة هذه الملامح أنه اهتم اهتماما خاصاً بنوع واحد من أنواع الصراع هو الصراع الطبقى وركز فى هذا على الصراع السياسى على وجه الخصوص، ففى كتابه « الطبقة والصراع الطبقى، فى أحد المجتمعات الصناعية» Class and Calss Conflict in an Industrial Society (١٩٥٩) نجده يبرز دور الصراع فى المجتمع الصناعى الذى يصفه بأنه

صراع سياسى بالدرجة الأولى، حيث ركز على نسق السلطة الذى اعتقد أنه يؤثر فى أنواع وأشكال الصراع الأخرى.

ومن الناحية الثانية فقد أبرز داهرندورف الأهمية الفائقة لدراسة شدة الصراع وكثافته؛ ولذا فقد نظر إلى الصراع من خلال عملية توزع السلطة فى داخل التنظيم ما إذا كان توزعاً عادلاً أم غير عادل ، وبلور فى هذا قضيته الأساسية القائلة بأن الصراع ينشب حالما يظهر التعارض بين المصالح السياسية والذى تبرز فيه فئة المسيطرين الذين يتحكمون فى كل ظروف ووضعيات فئة التابعين، بل ويستغلون هذه الظروف والوضعيات لإحكام قبضتهم وسيطرتهم ليظل هؤلاء بعيدين على السلطة ذاتها وبمنأى من مراكزها المؤثرة .

كذلك تبلور دراسة داهرندورف للصراع العديد من الارتباطات بين عدد من المفهومات والمقولات التى يتردد استخدامها فى التراث الماركسى والتراث الوظيفى على حد سواء . وذلك مثل مفاهيم السلطة والسيطرة والتسلط والتبعية والمصالح الكامنة والظاهرة وجماعات الضغط وجماعات المصلحة، بالإضافة إلى مفهومات التغير البنائى والتغير الوظيفى والصراع الطبقى وغير ذلك من المفهومات التى تنعكس فى محاولته لتفسير التغيرات البنائية ، حيث لجأ إلى هذا فى ضوء صراع الجماعة ، ومفترضاً لذلك أن التغير والصراع لهما حضور كامل فى البناء الاجتماعى، بمعنى أن هناك تفاعلاً جدليا بين الثبات والتغير والتكامل والصراع والاتفاق والقسر ، وهو ما يظهر على وجه الخصوص فى مقالته « التغيرات الحديثة فى البناء الطبقى للمجتمعات الأوروبية » Recent Changes in the Class Structure of European Societies الذى كان قد نشره فى كتاب جروبارد Graubard «أوربا جديدة» New Europe (١٩٦٤) .

هذا الموقف بكل ما ينطوى عليه من تشعب دفع بالبعض إلى أن يصفوا داهرندورف بأنه يمثل محاولة توفيقية لحسم الصراع بين النظرية الماركسية والبنائية الوظيفية، أى بين اتجاه الصراع واتجاه التكامل. ومع أن هذا قد يبدو

صحيحاً فى مجمله إلا أنه ينبغى النظر إليه مع ذلك بمزيد من الحرص، لأن الصراع فى الحقيقة ليس اتجاهاً أو منطلقات واحدة ولكن هناك اتجاهات ومنطلقات متعددة، سواء أكانت ماركسية أو وظيفية أو غيرها مما يصعب معه التسليم بإمكانية التوفيق فيما بينها، وخاصة وأن هناك من أشكال الصراع ما تسمح له ديناميات بالتغلغل فى أقسام وجزئيات النسق الاجتماعى بشكل يقاوم ما يذهب إليه الوظيفيون من قدرة النسق على إذابته .

ولقد تناول داهرندورف بعض القضايا الرئيسية التى أثارها تولكوت بارسونز، مثال ذلك تأكيده على أن هناك حاجة ماسة إلى نموذج صراعى اعتبره لازماً لدعم النموذج البارسونزى للنسق الاجتماعى المستقر أو الثابت إن لم يكن ليحل محل هذا النسق البارسونزى .

غير أن أهم النقاط التى عالجها داهرندورف تتمثل ولا شك فى رؤيته للصراع الطبقى ودلالة دراسته فبالرغم من من أنه وجه فى كتابه «المجتمع والديمقراطية فى ألمانيا» Society and Democracy in Germany انتقاداً لاذعاً إلى المجتمع اللاطبقى عند كارل ماركس على اعتبار أنه تصور يوتوبى ، فقد عاد يساند ماركس فى إصراره على ربط مفهوم الطبقة الاجتماعية بمفهوم الصراع، وهى ناحية مثلت ركيزة أساسية فى نظريته ، حيث أصر بدوره على أن الصراع الطبقى إنما يقع بين أولئك الذى يمتلكون السلطة والذين لا يملكونها . ومع أنه يقرر أن دراسة الصراع الطبقى بجوانبه المتشابكة سوف تؤدى إلى إحداث تطوير فى الدراسات الإجتماعية، إلا أن المشكلة تبدور حالما نربط قضية الصراع الطبقى بالوسائل والغايات التى تتبناها الطبقة الإجتماعية ، أو حتى أى تنظيم من التنظيمات الموجودة فى المجتمع. فنزولا على تصوره الأساسى الذى أشرنا تواً إليه من أن الصراع الطبقى ينشب بين من يملكون السلطة ومن لا يملكونها ، فقد يكون هناك من ثم صراع طبقى فى أى من النظم الاجتماعية المختلفة، بمعنى أنه قد يوجد فى الصناعة أو السياسة ، أو الدين.. إلخ ، وسواء أصبح الصراع الطبقى عامل تمزق أو ثوريا ، فإن ذلك سوف يتوقف على قدرته على التغيير وعلى ما إذا

كانت الصراعات الطبقية التى قد تظهر فى السياقات الموقفية المستقلة أو المنفصلة قادرة على الانتشار والامتداد وفرض نفسها على غيرها. وإن لم يكن معنى ذلك أن حدوثه كفيل بالقضاء على مظاهر الصراع فى المجتمع الانقسامى ، لأنه سيظل هناك باستمرار كثير من الصراعات بين مكونات البناء الاجتماعى وأجزائه، تماماً كما هو موجود أيضاً بين مكونات الأقسام ذاتها التى ينقسم إليها النسق الاجتماعى، مادام هناك عدم اتفاق على الوسائل والغايات فى مختلف المجالات، مما يعنى فى آخر الأمر هزة عنيفة لتصور الوظيفيين عن وجود تكامل وظيفى . ولقد عبر داهرندورف عن ذلك فى أحد مقالاته التى نشرها عام ١٩٥٣ بعنوان Out of Utopia : Toward a Reorientation of Sociological Analysis حيث وصفه بأنه تصور يوتوبى لا يختلف عما ذهب إليه ماركس من وجود مجتمع لا طبقى طالما أن إحدى الخصائص البنائية التى تسم التصور اليوتوبى للمجتمع تقوم على فكرة القبول والاتفاق العام على القيم ، وما يترتب على ذلك من تصور وجود الاستقرار ، دون الاعتراف صراحة بما يخلقه البناء الاجتماعى من صراعات ، فالقول بجماعة أو مجتمع متوافق تماماً هو أمر يوتوبى وغير واقعى بالمرة .

• قراءات مقترحة •

- **Works** " Reflections on Revolution in Europe, 1990.

• وانظر أيضا:

-Przeworski, Adam; Decmocracy and the Market : Political and Economic Reforms in Eastern Europe and Latin America. 1991.



٤٧ - داسجوبتا، سيزندراناث
47 - DASGUPTA , Surendra Nath

يمثل سيزندرا ناث داسجوبتا علامة مميزة فى الفكر الفلسفى والإجتماعى الهندى المعاصر. فقد مازج فى فلسفته بين قراءاته الواسعة فى فلسفات الشرق القديم ومعرفته بمختلف الأنساق الفكرية والفلسفية التى زخر بها التطور الحضارى الثقافى فى الغرب، بالإضافة إلى وقوفه على منابع الأدب الفيدى كما حفظته نصوص وتراث الفيدا Vidas التى تعتبر أول كتب الهندوس المقدسة، علاوة على إحاطته بمختلف الديانات والفلسفات والمذاهب العقدية التى عرفتها شبه القارة الهندية وبخاصة الجانية Jainism باتجاهاتها ونظراتها الصوفية، وهى خلفية مكنته ولا شك من أن يصير حجة فى فلسفة الهند وتطورها الاجتماعى والثقافى ، وبخاصة بعدما نشر مؤلفه الضخم «تاريخ الفلسفة الهندية» History of Indian Philosophy الذى ظهر فى خمسة أجزاء فيما بين ١٩٢٢، ١٩٥٥ .

ولقد ولد داسجوبتا ونشأ فى ظل تراث الهند الفكرى العريق، الذى لم تنقطع صلته به أبداً فى أية فترة من فترات حياته، حيث ولد فى أكتوبر عام ١٨٨٥ فى كوشتيا Kushtia فى البنغال Bengal وتوفى فى ١٨ ديسمبر عام ١٩٥٢ فى لاكنو Lucknow ونجح فى أن يكون لنفسه خلال هذه السنوات شهرة واسعة امتدت إلى ما وراء حدود الهند حتى قلب أوربا وأمريكا.

وليس من شك فى أنه كان للظروف الخاصة التى نشأ فيها دخل كبير فى هذا النجاح. فهو ينتمى إلى أسرة ثرية معروفة اشتهرت منذ أجيال طويلة فى تخصصها فى تعليم اللغة السنسكريتية Sanskrit ونشر ثقافتها . ولهذا فقد اتجهت ميوله منذ وقت مبكر إلى الارتباط بالسنسكريتية وبالعلوم فى آن واحد ، وكان

ذلك الارتباط بمثابة الركيزة الأساسية التى أقام عليها نسقه الفلسفى فيما بعد وخاصة أنه أتيحت له فرصة الوقوف على مظاهر الثقافة الغربية من خلال منابعها وأصولها الرئيسية كذلك.

على آية حال ، فقد نال داسجوبتا درجة الماجستير فى السنسكريتية والفلسفة من الكلية السنسكريتية Sanskrit College فى كلكوتا Calcutta وأتاح له ذلك أن يضع قدمه فوق أولى درجات السلم الأكاديمى حيث أصبح استاذاً دائماً فى شيتاجونج كوليج Chittagong College . وهى الكلية التى بدأ يخطط فيها لمشروع مؤلفه الضخم « تاريخ الفلسبفة الهندية» على ما أشرنا من قبل . كذلك يمكن القول بأن سفره إلى إنجلترا للحصول على الدكتوراه كان بمثابة الظرف الثانى الذى ساعده على تحديد رؤيته الفلسفية ومواقفه الفكرية عموما ، ففى أوائل العشرينات التحق بكامبريدج التى حصل منها على الدكتوراه فى رسالته عن «الفلسفة الأوربية المعاصرة» وهو موضوع من الواضح أنه هيأ له أن يقف بشكل متعمق على مختلف الاتجاهات التى تطورت فيها هذه الفلسفة ، وإن كان المهم هنا أنه جذبته بصفة خاصة مذاهب الواقعية الجديدة Neorealism التى بدأت تسود الفكر الفلسفى فى بريطانيا وأمريكا ، علاوة على انبهاره بنظريات وأفكار تشارلس دارون التطورية. وإن كان قد عاد بعد ذلك إلى الهند ليستقر فى كلكوتا التى اتخذها مركزاً دائماً لحياته ولعمله .

وبالرغم من أن فكر داسجوبتا، بل والفلسفة الهندية عموماً، كانت لا تزال حتى ذلك الحين شيئا جديداً ، إن لم يكن غريباً ، على كثير من الأوربيين ، فقد تمتع داسجوبتا مع ذلك بكثير من مظاهر الاحترام والتقدير من قبل الدوائر والأوساط العلمية والفلسفية الأوربية، حتى أنه دعى عدة مرات إما للتدريس فى الجامعات الأوربية والأمريكية، وإما للمشاركة فى المناقشات والسيمنارات والمؤتمرات التى تنعقد فى المناسبات العلمية المختلفة، وكانت هذه الزيارات على أية حال مناسبات لا تعوض ليتعرف الفكر الغربى على فكره الفلسفى بما ينطوى عليه من جدة وطرافة غريبتين على العقلية الغربية بعامة، حتى وبالرغم من تأثره الواضح بنظرية التطور .

والواقع أن هذه النظرية لعبت دوراً أساسياً فى نسقه الفلسفى، وهو دور يظهر بصفة خاصة فى تفسيره للمركب المعرفى العقلى الذى نظر إليه على أنه جانب من جوانب عملية تطورية تاريخية تنبثق من «رحم» المكان والزمان الأبديين، وذلك من خلال مراحل بيولوجية لانهائية.

وعلى الرغم من وضوح هذا الأصل أو المصدر البيولوجى فى هذه العملية التطورية ، فإن غايتها ، على ما يذهب داسجوبتا ، هى غاية إلهية حيث يرتفع الفرد عن طريق ارتباطه واستجابته للقيم الهادفة العليا إلى مرتبة من السعادة الغامرة يعتبرها أسمى مراحل الحب ونوعا من الذوبان فى الحب الكلى : الله بتعبير آخر .

★ ★ ★

٤٨ – ديفيز، كينجزلى

48 - DAVIS, Kingsley

ربما كان كينجزلى ديفيز فى مقدمة علماء الاجتماع وأساتذة الديموجرافيا الكبار الذين كرسوا حياتهم العلمية لدراسة المجتمعات البشرية من حيث تركيبها وحجمها وتطورها وإبراز العناصر التى يمكن أن تتميز بها المجتمعات بعضها عن بعض، فقد أمضى حياته فى التدريس فى عدد من الجامعات، ونجح بذلك فى نشر أفكاره وآرائه ، وفى تكوين أجيال من الطلاب والباحثين. كما يرجع إليه الفضل فى صك مصطلح (الانفجار السكانى) Population Explosion ومصطلح النمو الحدى أو الصفرى للسكان Zero Population Growth. علاوة على أن دراساته التى أجراها فى المجتمع الأمريكى قد قادته إلى العمل على مستوى عالمى أو مجتمع عالمى بأسلوب علمى ينبنى على التحليل الأمبريقى لكل مجتمع على حدة، بالإضافة إلى أنه قاد حركة تجميع أكبر قدر من المعلومات عن المجتمعات المحلية على مستوى عالمى أيضاً مما وسع من نطاق معارفنا بالمراكز الحضرية فى مجتمعات مختلفة متباينة.

ولد كينجزلى ديفيز فى توكسيدو Tuxedo بولاية تكساس الأمريكية ١٩٠٨ ونال درجته العلمية الأولى من جامعة تكساس عام ١٩٣٠ وحصل على درجة الماجستير فى عام ١٩٣٣، ودرجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٣٦. وبدأ طريق حياته الأكاديمية بتدريس علم الاجتماع فى سميث كوليج Smith College فى الفترة من ٣٤ إلى ١٩٣٦ ، ثم أصبح أستاذاً مساعداً فى جامعة كلارك (٣٦-٣٧) وبعدها أستاذاً ثم أستاذا ورئيساً للقسم فى جامعة ولاية بنسلفانيا (٣٧-١٩٤٢). كما كان أستاذاً للأنثربولوجيا وعلم الاجتماع فى جامعة برينستون عندما أكمل عمله الأول والرئيسى « المجتمع البشرى» Human Society عام ١٩٤٨، وهو العمل

الذى صدرت طبعته الثانية والعشرون فى عام ١٩٦٦، وكان لنشره صدى قوى فعمل فى مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية فى جامعة كولومبيا فى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٥ ومنها انتقل إلى جامعة كاليفورنيا فى باركلى (١٩٥٥إلى ١٩٧٧) ثم أصبح أستاذاً متميزا لعلم الاجتماع فى جامعة ساوثرن كاليفورنيا Southern Clifornia من عام ١٩٧٧.

وبكل المقاييس يعتبر ديفيز علماً بارزاً من أعلام الدراسات السكانية، وقد تأكدت ريادته وأستاذيته فى هذا المجال عندما رأس تحرير مجلة World Population in Transition عام ١٩٤٥، حيث انكب على نشر سلسلة من الدراسات الهامة لاتجاهات السكان وخصائصهم وللموارد المختلفة فى المناطق والأقاليم الرئيسية فى العالم ، بالإضافة إلى دراساته لجوانب التغير السكانى ، وهى مجموعة من الدراسات والمقالات التى تتميز بالتركيز وبالوضوح . ونتيجة لهذه الخبرة الطويلة قامت مؤسسة كارنيجى Carnegie بتكليفه بإجراء دراسة واسعة مولتها بسخاء عن عشر دول إفريقية، كما أشرف على عدد من الدراسات والبحوث فى الهند وأوربا وأمريكا اللاتينية. وقد ظهرت نتائج هذه الدراسات والبحوث فى أكثر من عمل ضخم ، فنشر كتابه « سكان الهند وباكستان «The Population of India and Pakistan عام ١٩٥١، وهى تعتبر أكمل دراسة أجريت على المشكلة السكانية فى هذه المناطق قبل تعدادات عام ١٩٥١. كما «نشر عالم مزدحم: التغير السكانى فى أمريكا» A Crowding Hemisphere : Population Change in America عام ١٩٥١ ، و«الأزمة العالمية للسكان» The World Population Crisis، ثم «التحضر العالمى» من ١٩٥٠ إلى ١٩٧٠. World Urbanization فى جزءين ظهر أولهما عام ١٩٦٩ وثانيهما عام ١٩٧٢ .

ولقد أسهمت العديد من المؤثرات سواء وهو لم يزل فى فترة التكوين العلمى أو أثناء حياته العملية فى تشكيل مواقفه واتجاهاته النظرية والعملية ، وهى مؤثرات تتسم بالتنوع والتعدد والتمايز مما كان له أثره فى توسيع مداركه واتصافها بالشمول والإحاطة. فمن ناحية يتضح من كتاباته مدى تأثره بقراءاته فى النظرية الاجتماعية والفكر الاجتماعى الأنثربولوجى وبخاصة تلك التى تعكسها

كتابات دوركايم وفيبر وباريتو وزيميل وبارسونز وميرتون وماكيفر وبارك وبيرجس.

وإلى جانب هذا التنوع الهائل فى المواقف وحتى فى المنطلقات ، هناك -وهذا من ناحية ثانية - تأثره أيضاً بقراءته رادكليف براون Radcliffe-Brown ولويد Warner وارنر ومالينوفسكى وروث بنديكت ، وكل هذا يعنى أن فكره الخاص قد اصطبغ بغير قليل من ملامح الاتجاهات الوظيفية من ناحية، ومن الناحية الأخرى اتجاهات المدرسة الإيكولوجية كما يعكسها جناحها المعتدل على وجه الخصوص ونتيجة لذلك نجح فى تفادى الكثير من نقاط الضعف التى شابت الموقف الوظيفى من بعض القضايا الأساسية مثل قضية الصراع وقضية الطبقة وهى جوانب أغفلها كثير من الوظيفيين على حين لم يولها البعض الآخر منهم ما تستحق من بحث واهتمام.

ومع ذلك فربما كان الشىء الغريب حقاً هو أن كينجزلى ديفيز لم يكن مغرما لفترة طويلة من حياته العلمية بتقديم نظريات جديدة على الرغم من غزارة إنتاجه وتنوعه وتعدد مصادره. ويصدق هذا حتى بالنسبة إلى كتابه الرئيسى «المجتمع البشرى» وهو الكتاب الذى يعتبر من وجهة نظر الكثيرين أفضل كتبه، فهو لم يسع فى هذا الكتاب إلى تقديم نظريات بقدر ما كان يهمه الوصول إلى مركب من أهم الأفكار والرؤى التى تعرض لها العلماء والباحثون فى القضايا المثارة ، الأمر الذى نجح فيه إلى أبعد الحدود ، فالكتاب بأقسامه الستة التى تناول فيها طبيعة المجتمع البشرى والفرد والمجتمع والجماعات الإنسانية والنظم الأساسية والسكان والمجتمع والتغير الاجتماعى كان هدفه الأساسى إبراز الملامح والخصائص العامة للمجتمع البشرى ككل، ومحاولة للإجابة على بعض التساؤلات والقضايا والمشكلات التى تثيرها التغايرات والاختلافات القائمة بين المجتمعات الإنسانية ، وهى إجابة كان كل همه أن تجىء فى نسق فكرى منتظم فى ضوء ما توافر لديه من معلومات نظرية وإحصاءات، وما أسفرت عنه بحوثه ودراساته الميدانية من مادة اثنوجرافية واقعية .

الاستثناء البارز الذى يقدم فيه ديفيز نظريته الاجتماعية الخاصة بعلم

شامل للمجتمع البشرى نلتقى به فى كتابه «التحضر العالمى» . ففى هذا الكتاب تسهل رؤية المحاور الرئيسية أو المبادئ الأساسية التى ترتكز إليها نظريته .

فمن ناحية هناك أولاً ، عالمية الأسرة النووية كملمح ثقافى عام ولهذا نجده يستغرق فى الحديث عن وظائفها الأساسية فى الحياة الاجتماعية حيث حدد فى ذلك أربع خصائص اجتماعية هى النسل والإنجاب Reproduction والمحافظة والإعالة Maintenance والتوطن Placement والتنشئة الاجتماعية Socialization. وأكد فى هذا على وجه الخصوص على الوظيفتين الأولى والثانية ثم الوظيفة الرابعة .

من الناحية الثانية أكد ديفز أيضاً على التفاعل والاتصال الرمزيين واعتبرهما ملمحين فريدين يختص بهما المجتمع البشرى بالذات، وأخيراً طبيعة العلاقة (العلاقات) بين الفرد والمجتمع، حيث مضى يعالج مشكلات التنظيم فى الفعل الاجتماعى وركز فى ذلك على مشكلات التكامل التى تناولها على مستويين هما المستوى الفردى والمستوى المجتمعى ساعياً ، وهذا من الناحية الثانية ، إلى مناقشة دور التكنولوجيا والمعايير التكنية والاقتصادية فى تحقيق نوع من الاستقرار فى وحدات الفعل الذى يقوم به الأفراد ، ذلك فى الوقت الذى ناقش فيه أيضاً المشكلات المتضمنة فى علاقات وحدات الفعل أو مجموعة من وحدات الفعل التى يقوم بها أفراد عديدون ممن يتفاعلون معاً ، وفى كل من المستويين نجده يناقش مشكلات الملكية والعمل والحقوق والواجبات والمسئوليات والالتزامات ، ومدى ما تتمتع به التصرفات من شرعية. بالإضافة إلى مناقشته لقدرة النظم والقواعد على إشباع الحاجات الأساسية للأفراد وللجماعة ككل، ومدى تقبل الأفراد لأنساق القيم وللسلطة القائمة وهنا نجده يقترب كثيراً من تولكوت بارسونز الذى أكد تأكيداً زائداً على الدور الذى تقوم به القيم والمعايير .

وبالرغم من الطابع الوظيفى الذى يسم معالجة كنيجزلى ديفيز لهذه الجوانب فالملاحظ أنه لم يغفل ما يقوم بين الأفراد والجماعات من مظاهر التنافس والصراع. فعلى المستوى الفردى تصبح مسألة توصيل الخدمات والتسهيلات لكل فرد خاضعة لرؤية كل منهم الخاصة، والتى تخضع لمصالحه التى كثيراً ما تتعارض

مع مصلحة الآخرين ، ونتيجة لذلك فإنه تثار هنا قضية وضع السلطة ومشكلات توزيع القوة فى المجتمع، وهى مشكلات لا تنفصل فى رأيه عن القيم الاجتماعية والثقافية ليس فقط فيما يتعلق بأمر تقبلها ولكن أيضاً من حيث نقلها إلى الآخرين وكلها مسائل شائكة وثيقة الصلة بعملية التنشئة الاجتماعية، وقدرة المجتمع على التنسيق بين الوسائل والأهداف حتى لا تطفو الأهداف التنافسية على السطح بسبب عدم وضوح القواعد أو المحددات مما يؤدى بالتالى إلى نشوب الصراعات فى سبيل إرضاء الغايات وإشباعها ، وتصبح القضية الأساسية إذن منحصرة فى الكيفية التى يمكن بها تطوير وتنمية علاقات اجتماعية متشعبة بين الفرد وبين نظام اجتماعى لم يعد يتسم بالبساطة ولكنه أصبح شديد التعقيد ، تفادياً لعدم التوازن وعدم الاستقرار المهددين لتماسك المجتمع وبقائه .

ولكن إلى المدى الذى ركز به ديفيز على مظاهر التنافس والصراعات التى تظهر فى العمل والسوق والمواقف الاقتصادية المختلفة وارتباط كل هذا بمبدأ الشرعية Legitimacy الذى يؤدى إنكاره أو عدم الاعتراف به إلى تفاقم الصراعات وتزايدها ، فقد سعى أيضاً إلى ربط القضية برمتها ، وبخاصة من حيث علاقتها بتوزع السلطة، بانساق المنزلات الاجتماعية التى افترض منذ البداية أنه يصعب فهمها فهماً سليماً إلا من خلال دعاوى الحق فى السلطة الشرعية أو رفض ذلك من قبل بعض أفراد المجتمع .

وهنا نجد ديفيز فى قلب قضية التدرج الاجتماعى إذا شئنا الأخذ بالمصطلح الذى يميل الكتاب الغربيون (الأمريكيون بالذات) الى استخدامه كبديل لمصطلح الطبقة والصراع الطبقى . ولقد سعى ديفيز إلى تحليل هذه الظاهرة فى أكثر من كتاب ومقال من كتبه ومقالاته. ومع أنه قدم فى عام ١٩٤٣ كتابه « المجتمع الأمريكى الحديث» Modern American Society الذى ألفه بالاشتراك مع هارى بريد ميير Bredemeier وماريون ليفى Levy وهو عبارة عن قراءات مختارة عن تركيب العائلة الأمريكية وكيفية تكوينها وطبيعة ما يقوم به أفرادها من علاقات فى ضوء منزلاتهم الاقتصادية والاجتماعية، بالإضافة إلى بعض الفصول التى ناقش فيها

خصائص النظام الطبقى والعلاقات العنصرية فى المجتمع الأمريكى ، فإن مقالته «بعض أسس التـدرج» Some Principles of Stratification التى نشـرت فى المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع (.A.S.R) بالاشتراك مع ويلبرت مور Moore عام ١٩٤٥ هى التى تعكس موقفه من هذه القضية حيث سلم بأنه ما إن توجد المجتمعات التى تقوم على المنزلة الاجتماعية، فإن الاختلافات فيما بينها تميل إلى التزايد ويصل ذلك إلى درجة يصعب معها فى كثير من الأحيان التعرف على العوامل المؤثرة التى تتدخل فى ذلك .

فى هذه المقالة أهتم ديفيز بمناقشة محددات المنزلة والمركز الاجتماعيين فى الجماعات المختلفة، وهى ناحية اعتقد أن الاجتماعيين لم يهتموا بها ولا بالأسباب التى تجعل المجتمع يخلع على بعض أفراده أو بعض فئاته قدراً من الاعتبار والتبجيل esteem لا يتمتع به الآخرون ، لدرجة أن تصطبغ حياة أولئك وهؤلاء بطابع أو أسلوب معين فى الحياة، حيث يناضلون فى سبيل الحفاظ على ماهم فيه ويسعون إلى تأكيده بكل الطرق.

ولقد مضى ديفيز يناقش القضية من خلال الإطار العام للوظيفية، وأوضح فى ذلك أنه إذا كانت الحقوق والمتطلبات التى ترتبط بالوضعيات المختلفة فى أى مجتمع لابد من تدرجها لأن اختلاف الوضعيات وتغايرها لا يعنى أن هناك تدرجاً اجتماعيا بالفعل، فإنه يلزم عن ذلك أن عدم المساواة الاجتماعية لا يعدو أن يكون حيلة أو وسيلة لا شعورية متطورة تلجأ إليها المجتمعات لتأكيد أن أهم الوضعيات إنما يشغلها أكثر الناس كفاءة واستحقاقاً. ومن ثم فإن كل مجتمع بصرف النظر عن مدى بساطته أو تعقده ، يجب أن يمايز بين الاشخاص تحت مقولتى المكانة والاعتبار، مما يعنى بدوره الاعتراف الصريح بوجود قدر من (عدم المساواة) المؤسسية يسمح به النظام ويسعى إلى دمجه فى الكل الاجتماعى .

ومع ذلك فقد ظلت مشكلة المعايير التى تتحدد فى ضوئها الأهمية النسبية للمنزلات وأيضاً ما يرتبط بها من مظاهر الإجلال والتبجيل موضع جدل ونقاش مستفيضين على الرغم من أهمية الدور الذى تقوم به العوامل الوراثية والاقتصادية

فى ذلك وما تشير إليه من رموز تتمتع بتقدير المجتمع أو بالأصح فئاته القادرة التى تحتل مواقع القيادة والسلطة والتوجيه .

● قراءات مقترحة●

- Botomore, T,B; Sociology: A Guide to Problems and Literature . 1962.

- Burgess, E.W. and Locke, H.J., The Family: From Institution to Companionship.

- Lévi- Strauss, Claude; les Structures Élementaires de la Parenté1949.

- Turnin , Melvin M.; Social Stratification. 1967.

- Wilmott, P. and Young, M., Symmetrical Family: A Study of Work and leisure in the London Region . 1973.

★ ★ ★

٤٩- دريدا، جاك (١٩٣٠ -)

49 - DERRIDA, Jacques

بالرغم من أن جاك دريدا يصنف عادة ضمن البنائيين الفرنسيين الكبار، إلا أنه كان واحدا من أعنف الذين وجهوا النقد إلى هؤلاء البنائيين، وهو نقد كثيرا ما كان يتسم بغير قليل من التحامل وربما التجريح.

ولقد ولد دريدا فى الأبيار El Biar غربى الجزائر فى ٣١ يوليو عام ١٩٣٠ والتحق بمدرسة المعلمين العليا École Normale Supérieure فى باريس حيث درس على أيدى جان إيبوليت Hyppolite الذى يعتبر من كبار المتخصصين فى فلسفة هيجل، ومن ثم كان تأثره بالهيجلية مثلما تأثر بأفكار وفلسفات نيتشه Nietzche وفرويد Freud وهوسرل Husserl ومارتن هيدجر Heidegger. وبالرغم من أنه قضى عاما (٥٦-٥٧) على منحة دراسية فى هارفارد وقام بالتدريس كأستاذ زائر لجامعة ييل Yale وجامعة جونز هوبكينز Johns Hopkins فى أمريكا كما قام بالتدريس فى السوربون Sorbonne فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٤، فقد ارتبط منذ عام ١٩٦٥ حتى الآن بعمله الرئيسى كأستاذ تاريخ الفلسفة فى مدرسة المعلمين العليا، علاوة على ارتباطه بجماعة «الجريف» الفلسفية Group de la Recherches sur l'enseigment Philosophique (GREPH) التى تهتم بالبحث فى طرق تدريس الفلسفة ومشكلات تدريسها وتعليمها فى فرنسا.

وبداية من الستينات على وجه الخصوص يمكن القول بأن أسم دريدا أخذ يعرف طريقه إلى الشهرة إذ بدأت تشغله بصفة أساسية مسألة أولوية اللغة المنطوقة (الكلام) على اللغة المكتوبة، وهى الدعوة التى كانت تسود بوجه عام اللغويات وبخاصة عند فردينان دوسوسير de Saussure ولكن عارضها دريدا معطيا

بذلك الكتابة أفضلية مطلقة على الكلام. وهى المسألة التى ستظل تشغله لفترة طويلة على أى الأحوال وتناولها فى كل كتبه ومؤلفاته الهامة على السواء، وكان لمواقفه وآرائه اللغوية الكثير من التأثير على ما يدور فى ساحة التعبير الأدبى وبخاصة الرواية، وأثارت بالتالى كثيرا من الجدل والمناقشات التى شارك فيها عدد من كبار الفلاسفة والمفكرين الفرنسيين من أمثال فوكو Foucault وكلورد ليفى ستروس Lévi- Strausr وجاك لاكان Lacan.

ولكن شهرته ترتبط مع ذلك بعام ١٩٦٢ على وجه التحديد، وكان ذلك عندما نشر ترجمته لدراسة الفيلسوف الألمانى أدموند هوسرل «عن أصل الهندسة» Origin of Geometry وقدم لها بمقدمة ضافية وهى الترجمة التى نال عليها جائزة كافييه Prix Cavaillés لا لمجرد إقدامه على ترجمة هوسرل فحسب ولكن بسبب مناقشته لآرائه أثناء تعرضه لمشكلة العلاقة بين الموضوعية المغالية للهندسة ووجودها التاريخى التجريبى، وهى المشكلة التى ذهب فيها هوسرل إلى أن اللغة وبخاصة «الكتابة» هى التى تحقق تحول الهندسة من فكرة فى ذهن عالم الهندسة إلى موضوع «مثالى» نتيجة لما تتميز به الكتابة من خاصية لاشخصانية.

وما يعنينا على أى الأحوال هو أن تحليله لفنومنولوجية هوسرل قد أصبح بمثابة نقطة بدء أو انطلاق أقدم منها على نقد الفلسفة الغربية وهو نقد أبرزه فى ثلاثة كتب مهمة ظهرت كلها فى عام ١٩٦٧ وهى كتاب «الكلام والظاهرة» La Voix et le Phenoméne الذى ترجم إلى الإنجليزية فى ١٩٧٣، و« فى الجراماتولوجيا (علم الكتابة)» De la Grammatologie الذى ترجم بدوره إلى الإنجليزية فى عام ١٩٧٦. ويعتبر من وجهة نظر الكثيرين أهم كتبه على الإطلاق. و«الكتابة والاختلاف» L'Écriture et La Differênce الذى تمت ترجمته إلى الانجليزية فى ١٩٧٨ وهى كتب كانت خاصتها المميزة الأولى ارتيابه المنهجى المنظم فى كل أشكال التفكير الميتافيزيقى، و هو ارتياب صاحبه ادراكه لحقيقة أن لغتنا أصبحت أشبه بالألغاز بسبب الافتراضات والادعاءات الفلسفية التى يقوم عليها.

والواقع أن كتابه «الكلام والظاهرة» كان دراسة تحليلية نقدية لنظرية

هوسرل عن العلامات (الإشارات) وبصفة خاصة الأفكار الرئيسية التى حوتها. مثل فكرة «الصوت» وفكرة «الحضور» Presence ووصف فى ذلك التيار الفلسفى السائد منذ افلاطون بأنه «ميتافيزيقا حضور» قاصدا بذلك تلك الرغبة المستمرة فى الوصول إلى ضمان لليقين والسعى وراء بعض الأسس النهائية للأبستمولوجيا ومصادر المعانى والغايات. وهى رغبة تنعكس فى كل التصورات الفلسفية كالجوهر والماهية، والأصل، والذاتية، والحقيقة، إلى آخر تلك التصورات التى يمتلئ بها الفكر الفلسفى.

أما الكتابان الآخران فقد عمد فيهما دريدا إلى طريقته المفضلة فى الكتابة وهى كتابة المقال الذى عادة ما يدور حول فكر الآخرين وكتاباتهم. وعلى ذلك فقد جاءا فى شكل مجموعتين من المقالات المجموعة الأولى هى التى صدرت باسم «الكتابة والاختلاف» حيث عرض بشكل يكشف عن ثقافته الواسعة لعدد كبير من المفكرين والفلاسفة والأدباء والفنانين من بينهم ميشيل فوكو وجورج باتاى وكلود ليفى ستروس وفرويد وهوسرل. على حين كانت المجموعة الثانية من هذه المقالات هى التى ظهرت باسم كتابه الثالث الهام «علم الكتابة» أو الجراماتولوجيا» حيث اهتم بدراسة النسق الفكرى لدى مجموعة من الفلاسفة والمفكرين أيضا بداية من أفلاطون Plato وأرسطو Aristotle وكانط Kant وستيفان مالارميه Mallarmé، وهو النسق الذى اعتقد بأنه يختفى وراء النص والكلمات الظاهرة، ولجأ فى ذلك إلى استخدام وسيلته أو بالأصح «إستراتيجيته» فى تحليل النص Texte وتفكيكه إلى مكوناته وعناصره بغرض أساسى هو الكشف عن الطريقة التى تعمل بها الرموز اللغوية أو (الإشارات)، أى توضيح العلاقة التى تقوم بين «الدال» و«المدلول» أو ما تنطوى عليه «الكلمة» من دلالة أو معان ومفاهيم.

وبالرغم من (الطرافة) التى تتضمنها هذه الاستراتيجية فمازالت فى الحقيقة موضع جدل وتساؤل كثيرين، بل وهجوم حاد وعنيف ممن رأوا فيها نوعا من «الموضة» أو «التقليعة» أولا بسبب ما تتسم به من غموض وتلاعب، وثانيا لأنها تركز فيما يرى هؤلاء وخاصة البنائيين التقليديين منهم على كل ما هو هامشى فى

الكتابات والنصوص التى يحللها ويفككها مما يحول بينه وبين أى اهتمام بالمحتوى والمضامين.

وأيا كان الأمر فإن دريدا - للإنصاف - يتمتع ولاشك بشهرة واسعة فى فرنسا وفى أمريكا بالرغم من أنه مازال غير معروف على نطاق واسع فى بريطانيا. وأيا كانت الأسباب وراء ذلك فإن قراءته تثير ولاشك الكثير من الحيرة مثلما تثير الكثير من التساؤلات حول تقييم أعماله ومواقفه وكتاباته التى يرى الكثيرون أنها لا تمثل مذهبا فلسفيا، أو حتى ما يمكن وصفه بأنه مرجع أو حجة فى هذا الاتجاه.

● قراءات مقترحة ●

Works: La Dissémination. 1972.

- Marges de la Philosophie. 1972.
- Positions. 1972.
- Glas. 1974.
- Spurs (Éperons), an Essay on Nietzche. 1976.
- La Vérité on Peinture. 1978.

★ ★ ★

٥٠ - دوبنو، سيمون ماركوفيتش

50 - DUBNOW, Simon Markovich

يعتبر من وجهة نظر الكثيرين من أهم المؤرخين اليهود فى عصره، وواحدا من أكبر المشاركين فى المناقشات الطويلة والجدل الدائر حول ما يطلق عليه القومية اليهودية. حيث سعت كتاباته إلى حل الصراع بين العالمية والخصوصية، وقدم فى ذلك نظريته القائلة بدولة تتكون من القوميات المتعددة؛ بمعنى اشتمالها على عدة قوميات مختلفة ولكن تحتفظ كل منها بإمكانيات الحكم الذاتى على الرغم من انطوائها جميعا تحت لواء الدولة القومية الواحدة. وهى نظرية اعتقد دوبنو أنها ضرورية لتوجيه الحياة السياسية فى أوربا. واعتبره الكثيرون بسبب ذلك مناهضا لليهودية ومعارضا لها.

هو المؤرخ اليهودى سيمون Simon ماركوفيتش دوبنو أو سميون Semyon كما تكتب أحيانا. ولد فى العاشر من شهر سبتمبر عام ١٨٦٠ فى ميستسلاف Mistislave فى روسيا، وتوفى فى ديسمبر عام ١٩٤١ فى ريجا Riga فى لاتفيا Latvia. وانبت شهرته أساسا على لجوئه إلى التفسير الاجتماعى فى دراسته للتاريخ اليهودى وبخاصة اليهود النازحون من دول أوربا الشرقية.

ويبدو أن ظروف نشأته وتربيته الأولى كان لها دخل كبير فى تكوينه العلمى والثقافى إن لم يكن مواقفه الدينية عموما. فمنذ صباه المبكر لم يكن دوبنو مقبلا على القيام بالشعائر والواجبات الدينية بصفة منتظمة الأمر الذى يرجعه بعض المحللين إلى قراءاته المبكرة لأعمال طائفة من الكتاب والعلماء والفلاسفة من أمثال فولتير Voltaire وجون ستيورات مل Mill وهربرت سبنسر Spencer. ومع أنه أدرك مؤخرا أن حياته العلمية كمؤرخ لليهودية لا يمكن أن تنفصل تماما عن الإيمان

بأسلافه القدامى، إلا أن تفكيره ظل متسما بغير قليل من مظاهر التحرر والانطلاق حتى على الرغم من أن كتاب «التلمود» الذى يمثل التراث الشفوى لليهود قد ظل يمثل حجر الأساس الذى انطلقت منه دراساته اللاحقة.

ولقد اعتمد دوبنو منذ فترة مبكرة على تعليم نفسه بنفسه، فعمل مدرسا كما عمل كاتبا محترفا لفترة طويلة من حياته. ولكن فى عام ١٨٨٢ بدأت صلاته وهو فى الثانية والعشرين من عمره بمجلة «النهضة» Voskhod الروسية اليهودية، حيث أخذ يكتب سلسلة من الدراسات والمقالات التى أصبحت من أظهر أعماله. ومع ذلك فقد اضطر فى عام ١٩٢٢ إلى مغادرة روسيا بسبب كراهيته الواضحة للبولشفيك. ومع أنه استقر فى برلين إلا أنه عاد فى عام ١٩٣٣ فهرب من ألمانيا بسبب السياسات النازية المضادة لليهودية. حيث مضى يبحث عن ملجأ فى ريجا ولكنه لقى مصرعه على أيدى النازى أثناء مذابح المعسكرات التى شهدتها المدينة.

ويعتبر دوبنو من أوائل الدارسين الذين أخضعوا الحسيدية (الهاسيديزم Hasidism) للدراسة المنهجية المنظمة. فعلى الرغم من أن الهاسيديزم هى فى الأصل حركة دينية واجتماعية إلا أنه فى ضوء قراءاته للمصادر الموثوق بها سواء من اتباع الحسيدية أو المعارضين لها قد نجح فى إلقاء كثير من الأضواء على التطورات التى لحقت التفكير الحسيدى والعوامل التى أثرت فيها والتى أدت إلى تقويتها وانتشارها أو إلى إضعافها وتراجعها.

ومنذ البداية فقد أوضح دوبنو أن الهاسيديزم هى على العكس من «الربانية» التى اعتبرت أن دراسة التلمود هو أساس اليهودية. كما أوضح أيضا الاختلافات ما بين الهاسيديزم وبين المتصوفين الذين يطلق عليهم (القبالاه) الذين يدعون لنوع من التصوف الذى يقوم على فكرة الخلاص المبنية على العذاب الجسمانى. وعلى العكس من ذلك رأى أن الهاسيديزم تتجه إلى تقديم تفاسير بسيطة للشرائع بدلا من التعقيدات التى يتوه الأفراد فى داخل متاهاتها. ومن هنا تأكيدها على قيمة الصلاة والعبادة الشخصية مبتعدة بذلك عن دراسة التلمود وتعاليمه.

ومن الناحية الثانية فقد نجحت هذه الدراسة أيضا فى كشف الكثير من

الخرافات التى ينطوى عليها التفكير الحسيدى كالإيمان بظهور المسيح وعبادة الملائكة وما إلى ذلك من الأفكار التى تسيطر على عقلية البسطاء ومشاعرهم. وإن كان الأهم من كل هذا أنه أوضح طبيعة التناقض الحاد الذى مرت به الحسيدية. فعلى الرغم من أنها بدأت كقوة أو كحركة متمردة تواجه ما هو قائم وتدعو إلى نبذ الصورة المتحجرة للدين اليهودى، فسرعان ما تراجعت وعقدت الاتفاقات مع القوى القديمة التى جاءت لمناهضتها؛ وبذا أصبحت الهاسيديزم بدورها حركة متعصبة، تبذل الجهد كل الجهد لمحاربة أى محاولات للتغيير مما ظلت تقوده الهاسكالا Haskala أو حركة التنوير اليهودية. وعلى العموم فقد ظهرت هذه الدراسة فى مؤلفه الضخم الذى قدمه عام ١٩٣١ بعنوان «حركة الهاسيديزم» وهو مؤلف لقى إقبالا شعبيا متزايدا حتى أنه أعيدت طباعته أكثر من مرة كان آخرها عام ١٩٦٩.

أما أعماله اللاحقة فقد جاءت أكثر نضوجا وأوضح منهجا، ولعل فى مقدمتها، وربما أهمها أيضا مؤلفه الضخم الذى قدمه فى ١٠ أجزاء فى الفترة من ١٩٢٥ إلى ١٩٣٠ عن قدرات وخصائص اليهودية والشعب اليهودى، وأيضا كتابه الذى نشره بعد ذلك فى خمسة أجزاء فى الفترة من ٦٧ إلى ١٩٧٣ عن «تاريخ اليهود» وهو كتاب ترجم إلى عدة لغات فى وقت قصير نسبيا.

والواقع أن هذا الكتاب الأخير يرى الكثيرون أن له أهمية خاصة ترجع بالدرجة الأولى إلى طابعه الأصيل، ولأنه أيضا يكشف عن معرفة كاملة بالاتجاهات الاجتماعية والظروف الاقتصادية التى عرفها تاريخ اليهود. ومن وجهة نظر دوبنو فإن اليهود ليسوا مجرد مجتمع دينى ولكنهم يمتلكون خصائص مميزة لثقافة قومية، ولهذا فقد خلقوا لأنفسهم نمطهم الثقافى والاجتماعى الخاص بهم مما يعنى فى النهاية أن تاريخ اليهود هو تاريخ العديد من المراكز الضخمة.

وتقترب من فلسفته عن تاريخ اليهود نظريته فى القومية الدياسبورية Diaspora Nationalism التى عبر عنها فى مؤلفه «رسائل فى اليهودية القديمة والحديثة» الذى صدرت طبعته الروسية فى عام ١٩٠٧، وكذلك مؤلفه «القومية

والتاريخ» وهو عبارة عن مجموعة من المقالات التى تناول فيها الشخصية اليهودية والمجتمع اليهودى عبر فترات مختلفة حتى عام ١٩٥٨.

وعلى العموم فالواضح أن دوبنو قد عارض فى كل كتاباته عملية إدماج أو تذويب اليهود فى الكيانات الأخرى وإن كان قد آمن فى الوقت نفسه بأن الصهيونية Zionism ليست حقيقية أو واقعية. وهو الاعتقاد الذى أخذ يتضح فى كتاباته وأعماله المتأخرة، وبخاصة كتابه «تاريخ اليهود فى روسيا وبولندا» وقد صدر فى ٣ أجزاء وأيضا «تاريخ اليهود فى روسيا وبولندا من العصور القديمة حتى وقتنا الحاضر» ١٩٧٥ وأيضا فى سيرته الذاتية التى ظهر منها الجزء الأول والثانى الذى تناول فيها الفترة من ١٩٢٠ إلى عام ١٩٣٢ ثم الجزء الثالث والأخير فى عام ١٩٤٠.

• قراءات مقترحة •

- Steinberg, Aron, (ed.), Simon Dubnow: The Man and His Work. 1963.

★ ★ ★

٥١ - دنكان، أوتيس دودلى

51 - DUNCAN, Otis Dudley

على الرغم من كل الانتقادات التى توجه للنظرية الإيكولوجية، واصطناع معظم الباحثين فى علم الاجتماع الحضرى الاتجاه الإيكولوجى الذى يركز على الدور الذى يقوم به الوضع الأيكولوجى فى فهم البناء الاجتماعى، وعمليات النمو الذى تتميز به الحياة الحضرية عموما، وإنها تجاهلت بذلك، أو على الأقل قللت من شأن العوامل الثقافية وأهميتها فى تشكيل المظاهر المختلفة للسلوك الإنسانى، فقد نجحت جهود وكتابات عالم الاجتماع الأمريكى، أو تيس دودلى دنكان عن قضايا ومشكلات الحراك الاجتماعى والتدرج الاجتماعى، وتطور المجتمع الحضرى بعامة فى تأكيد مكانة الايكولوجيا البشرية وأهميتها كمبحث متطور من مباحث علم الاجتماع الحضرى لا يساعد فحسب فى تحقيق قدر من المعرفة الأشمل والأعمق بطبيعة البناء الاجتماعى للمجتمع الأمريكى والمدن الأمريكية الجديدة، ولكنه يساعد أيضا فى ألقاء المزيد من الضوء على كثير من المشكلات النظرية والمنهجية التى يتعين الانتباه إليها كى يتم توظيف هذا الاتجاه توظيفا أكثر تكاملا.

ولقد ولد دنكان فى نوكونا Nocona بتكساس عام ١٩٢١، وحصل على درجته الجامعية الأولى من جامعة ولاية لويزيانا Louisiana عام ١٩٤١ ثم على درجة الماجستير من جامعة مينسوتا Minnesota عام ١٩٤٢ وبعدها التحق بجامعة شيكاغو التى حصل منها على درجة الدكتوراه عام ١٩٤٩. ومنذ وقتها درس دنكان كما حاضر فى الايكولوجيا البشرية فى عدد من الجامعات سواء فى أمريكا أو فى خارجها إذ عمل فى جامعة شيكاغو من عام ١٩٥١ ثم عندما أصبح أستاذا مساعدا لهذا الفرع (١٩٥٧ إلى ١٩٦٠)، وبعدها وهو أستاذ (١٩٦٠ إلى ١٩٦٢) وبعد

ذلك عمل كأستاذ زائر متميز فى نافيلد كوليج Nuffield بجامعة أكسفورد (١٩٦٨)، وأستاذا لعلم الاجتماع بجامعة أريزونا (١٩٧٣)، ثم عمل فى معهد الدراسات المتقدمة (العليا) فى فيينا عام ١٩٨٣، وهى أعمال ومناصب لم تحل أعباؤها دون تحمله مسئولية رئاسة الجمعية الاستشارية لتنسيق البحوث الخاصة بالدلالات والمؤشرات الاجتماعية من ١٩٧٢.

وبالرغم من أنه قد ظهرت منذ أعقاب الحرب العالمية الثانية العديد من الكتابات والمؤلفات التى تعرضت فى غير قليل من الإفاضة لتاريخ الايكولوجيا وناقشت مناقشة تحليلية الوضعية التى تحققت لها. فقد تميزت كتابات دنكان بوضوح فهم خاص للايكولوجيا البشرية، ذلك أنها تدل على الدراسات الخاصة بالعلاقات المتبادلة بين التنظيم الاجتماعى والثقافة، وبين البيئة الطبيعية والتكنولوجيا القائمة، بمعنى مجموعة الأساليب الفنية التى يستخدمها الناس ويمارسونها فى أعمالهم، وهو فهم من الواضح أنه يجعل من الايكولوجيا البشرية مبحثا مميزا من مباحث علم الاجتماع الحضرى كفرع من كفروع علم الاجتماع العام له نظرياته ومنهجيته التى تمليها الخصوصية الذاتية طبعا إلى جانب إفادته من النظرية السوسيولوجية العامة والمنهجية العامة أيضا لعلم الاجتماع.

ومع أنه قد عرض لهذه النواحى جميعا لأول مرة فى كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع فيليب هاوزر Hauser ونشره عام ١٩٥٢ تحت عنوان «دراسة الإيكولوجيا البشرية» The Study of Human Ecology، فقد نجحت كتاباته اللاحقة فى إبراز المتضمنات المتشعبة لهذا الفهم الخاص. حيث أكدت دراسته الأولى التى أجراها على السود فى مدينة شيكاغو عام ١٩٥٧ مدى أهمية الايكولوجيا كإطار يتم من خلاله تحليل وبالتالى فهم التكوين العنصرى للسكان. وحيث كشفت هذه الدراسة عن حقيقة أن المحدد الأساسى للتنظيم الاجتماعى والسلوك إنما يتمثل فى التأثير الذى يحدثه المجتمع الحضرى الذى يعتبر كبر الحجم وكثافة السكان واللاتجانس من أهم خصائصه المميزة. بالإضافة إلى شدة الحراك الاجتماعى وتداخل المعايير وعدم وضوحها وما يرتبط بكل هذا من مظاهر تقسيم العمل

والتخصص، على النحو الذى نجده بصفة خاصة فى كتابه «الايكولوجيا البشرية والدراسات السكانية» الذى ظهر فى عام ١٩٥٩ وسعى فيه لإبراز الأثر الاجتماعى للخصائص والسمات الديموجرافية.

ولكن الكتاب الذى أرسى قواعد شهرة دنكان كان ولاشك مؤلفه ذائع الصيت الموسوم «البناء المهنى الأمريكى» The American Occupational Structure الذى نشره عام ١٩٦٧ بالاشتراك مع بلاو Blau. ففى هذا الكتاب يكشف دنكان عن فهم دقيق لبناء وتطور المجتمع الحضرى المعاصر، وذلك من خلال تفسيره للسكان كقوة عمل متحركة، ذلك بالإضافة إلى العديد من المشكلات المنهجية التى أثارها فى ثناياه مما جعل الكتاب فى آخر الأمر واحدا من أهم الكتب فى الحراك الاجتماعى، حتى أن البعض قد وضعه فى مرتبة مؤلف بيتريم سوروكين Sorokin «الحراك الاجتماعى». وإن كان البعض قد اعتبر أيضا مقالته «التنظيم الاجتماعى والنسق الايكولوجى» التى نشرها فى كتاب فارس Faris المعنون «دليل علم الاجتماع الحديث» (١٩٦٤) لا تقل أهمية عن كتاب «البناء المهنى الأمريكى» حيث برز فى كليهما اهتمام بمقاييس المكانة والمركز ومقاييس الوضعية المهنية والعوامل التى تتحدد بها نطاقات التدرج الاجتماعى. وهى جوانب نجد صداها أيضا فى دراسته الرائدة عن التدرج الاجتماعى التى انتقد فيها بعض أعمال لويد وارنز Warner التى تدور حول الطبقة الاجتماعية فى أمريكا والتى نشرها بالاشتراك مع هارون بوفوتز Pfautz فى المجلة الاجتماعية بعنوان «تقييم نقدى لعمل وارنر فى تدرج المجتمع الصغير» A Critical Evaluation of Warner's Work in Community Stratification.

وتبدو أهمية هذا المنظور بعيدالمدى إذا ما وقفنا على أمرين بذاتهما، الأول حديثه فى معظم هذه الكتابات عن بعض المصطلحات التى يشيع استخدامها فى الدراسات الايكولوجية مثل مصطلح المجتمع الصغير Community ومصطلح المدينة أو العاصمة Metropolis ومصطلح الإضافة إلى العاصمة بمعنى أحد أبنائها Metropolitan وأيضا مصطلح الإقليم أو المنطقة الحضرية Metropolitan Region فهو يرى أنها مقولات ومفهومات أو حتى بناءات تم تشييدها من قبل كثير من الباحثين

بطرق مختلفة. ومن هنا فهى تصنيفية بالدرجة الأولى وذات طبيعة خلافية نظرا لصياغتها بطرق مختلفة تخدم فى الأغلب وجهات نظر الباحثين الذين صكوها أو اعتمدوا عليها، وهو موقف نجح فى التعبير عنه فى كتابه المعنون «المدينة والإقليم» Metropolis and Region (١٩٦٠) الذى قدمه بالاشتراك مع وينسبرو Winsborough وسكوت Scott وستانلى ليبرسون Lieberson وبيفرلى دونكان.

أما الأمر الثانى الذى تجب الإشارة إليه فهو موقفه من التكنيكات والأساليب الكمية التى يجرى، استخدامها فى تحليل المشكلات السكانية والتوزعات المكانية. ففى كتابه الذى قدمه عام ١٩٦١ بالاشتراك أيضا مع كوزورت Cuzzort وبيفرلى دونكان تحت عنوان «الجغرافيا الإحصائية» Statistical Geography نجده يتقصى طرائق وحدود وبالتالى إمكانيات استخدام هذه الأساليب التى أصبحت تستخدم على نطاق واسع فى علم الاجتماع الحضرى، وأيضا فى التخطيط والتنمية والجغرافيا الاقتصادية والايكولوجيا ربما بشكل متداخل يقلل من قيمتها ومن الفائدة التى يرجى تحقيقها من وراء استخدامها.

وأيا كان الأمر فمازالت أعمال دنكان تلهم الكثير من شباب العلماء والباحثين والمتخصصين فى علم الاجتماع الحضرى، والذين يثير اهتمامهم بصفة خاصة مدخل الايكولوجيا البشرية كمدخل بمقدوره أن يعطى صورة متكاملة للتفاعل بين الإنسان والبيئة والظواهر التى يتجسد فيها هذا التفاعل.

• قراءات مقترحة•

- Lipset, S. M. and R.Bendix; Social Mobility in Industrial Society. 1979.
- Warren, Roland L; The Community in America. 1978.

* * *

٥٢ - ديورانت، ول

52 - DURANT, Will and Ariel

يشغل وليم جيمس ديورانت مكانة مرموقة لست أظن أن أحدا من المهتمين بالحضارة وتاريخ الثقافة والمجتمع يجهلها. وظنى أن هذا لا يصدق بالنسبة إلى المتخصصين فحسب، ولكنه يصدق أيضا بالنسبة إلى القارئ العادى الذى تجذبه قضية الإنسان وقصة تطوره الحضارى بوجه عام.

ولقد ولد ديوارنت فى عام ١٨٨٥ فى نورث آدمز North Adams بولاية ماساشوستس الأمريكية، وتوفى فى لوس انجلوس بأمريكا عام ١٩٨١ وقد شاركته معظم سنى هذه المسيرة الطويلة (٩٦) عاما زوجته إدا كوفمان Ada Kaufman (١٨٩٨ - ١٩٨٢) وهى إحدى طالباته ومن أصل روسى كان قد التقى بها أثناء تدريسه بمدرسة الفرير الجديدة Ferrer Modern School فى نيويورك، وتزوجها عام ١٩١٣ وعرفت منذ ذلك الحين باسم إيريل Ariel وهو الاسم الذى اتخذته بصفة رسمية بعد زواجها. وكان ديورانت وقتها فى الثامنة والعشرين من عمره بينما هى فى الخامسة عشرة. وقد قامت بدور كبير فى حياته العلمية حيث اشتركت معه فى تأليف بعض أعماله الضخمة لعل فى مقدمتها كتابه «قصة الحضارة» Story of Civilization الذى جاء فى عشرة أجزاء كتبها فى الفترة من ١٩٣٥ - ١٩٧٥ ونشرت فى شكل سلسلة شعبية فى لغة بسيطة مشوقة، وكان بذلك أشبه ببانوراما واسعة فى التاريخ والفلسفة العامة والحضارة.

ولقد ترك ديورانت عددا من المؤلفات الهامة أولها «الفلسفة والمسألة الاجتماعية» Philosophy and Social Problem (١٩١٧)، بالاضافة إلى مجموعة من المؤلفات التى شاركته زوجته فى بعضها. ويعتبر كتابه «قصة الفلسفة» The Story of

Philosophy الذى نشر لأول مرة عام ١٩٢٦ واحدا من أهم الكتب التى ظهرت باللغة الإنجليزية فى الموضوع، وأيضا من أحب الكتب التى أقبل القراء عليها لدرجة أن وصلت مبيعاته فى أقل من ٣ عقود إلى أكثر من مليونى نسخة وخاصة بعدما تمت ترجمته إلى العديد من اللغات.

ومع أنه صدرت له فى العام التالى قصته الوحيدة باسم «التحول» Transition وهى نوع من السيرة الذاتية التى تناول فيها المراحل الأولى والمبكرة من حياته وأحلامه السياسية والاجتماعية، فإن الكثيرين يعتبرون أن مؤلفه «روسو والثورة» Rousseau and Revolution الذى ظهر فى عام ١٩٦٧ وهو يمثل الجزء العاشر من موسوعته الثقافية التاريخية «قصة الحضارة» هو أهم كتاباته قاطبة وأكثرها عمقا وتحليلا، وخاصة أنه عالج هنا الظاهرة السياسية بمفهومها الواسع. ويستندون فى ذلك إلى أن هذا الجزء قد فاز بجائزة بوليتزر Pulitzer وإن كان من الممكن النظر إلى هذا من زاوية أخرى تكشف عن مدى عمق العلاقة والفهم المتبادل بين ديورانت وزوجته التى اشتركت معه فى هذا الجزء ومن قبله أيضا فى الجزء السابع الذى ظهر تحت عنوان «وقد بدأ عصر العقل» The Age of Reason Begins (١٩٦٠) وأيضا «دروس التاريخ» Lessons of History (١٩٦٨). أما كتابه الذى نشره فى عام ١٩٧٠ بعنوان «تفاسير وشرح الحياة: مسح للأدب المعاصر» Interpretations of Life: A Survey of Contemporary Literature: فيعتبر محصلة لتجاربة وخبراته وملاحظاته على مدى حياته وهو ينهل من عيون الآداب الحديثة مما جعله أقرب إلى ذوق القارئ غير المتخصص. وأخيرا كتابهما الذى أصدراه عام ١٩٧٧ وفيه وصف لحياتهما الفكرية والشخصية المشتركة فجاء سيرة ذاتية متكاملة باسم «يورانت ول وإيريل: سيرة ذاتية مشتركة» Durant Will and Ariel: A Dual Autobiography.



٥٣ - دوفرجيه، موريس

53 - DUVERGER, Maurice

يمثل موريس دوفرجيه أستاذ القانون وعلم الاجتماع السياسى بجامعة باريس حلقة بارزة من حلقات تطور الفكر الاجتماعى الفرنسى الذى يمكن تتبع أصوله فى كتابات بودان وروسو ومونتسكيو، وفى وقت أكثر حداثة إميل دوركايم وتراث المدرسة الفرنسية بوجه عام. بل إنه يعتبر من وجهة نظر بعض مؤرخى الفكر الاجتماعى والسياسى من الورثة الشرعيين المباشريين لجيانا موسكا وميتشلز وماكس فيبر، حيث أسبغ على علم الاجتماع السياسى وفلسفة التاريخ توجها أكثر تميزا وحيوية، ما كان علم الاجتماع الفرنسى بدونه إلا ليصبح أكثر فقرا وضحالة، وذلك بإثرائه التقليد التاريخى الفلسفى الذى سار فيه رايموند آرون Aron وجورج فريدمان Friedman. فهو من جيل الكتاب والمفكرين الاجتماعيين الذى تلقوا تعليمهم الرسمى فى سنوات ما قبل الحرب ووجهوا تفكيرهم للإحاطة على نحو واسع بمجالات علم الاجتماع وللكتابة فى المشكلات والقضايا الاجتماعية مثل آرون وجيرفيتش وكويفيليه Cuvillier، وهى الكتابات التى وضحت آثارها فى سنوات ما بعد الحرب.

ولقد تعرض دوفرجيه منذ فترة مبكرة من حياته العلمية لتأثير الاتجاه الوظيفى الذى ظهر جليا فى تناوله للقضايا وطريقة تحليلها. وبالرغم من تأثره بإميل دور كايم فقد انتقد موقفه الذى ينظر إلى الظواهر على أنها أشياء Things، وذلك على اعتبار أن المجال الذى يصلح فيه النظر إلى الحقائق على أنها أشياء يمكن المقارنة بينها هو مجال الدراسة المقارنة للنظم والروابط الاجتماعية، كاتحادات العمال والنقابات وأشكال الحكومات والأحزاب السياسية، وهو منظور

انعكس على أية حال فى معظم كتاباته ودراساته وبخاصة الأحزاب السياسية التى مثلت جانبا كبيرا من اهتمامه، إذ أصدر كتابين رئيسيين على الأقل هما «الأحزاب السياسية» Partis Politiques عام ١٩٥٤ و«الأحزاب السياسية والطبقات الاجتماعية فى فرنسا» Partis Politiques et Classes Sociales en France عام ١٩٥٥، وهما كتابان ينطويان على وجهه نظر تحليلية تعتبر صدى لتعمقه فى الدراسات الخاصة بالأحزاب السياسية وجماعات الضغط وعمليات الحكم والإدارة بوجه عام، كما أنهما كتابان لهما طابع ملح أو خاصية أساسية إذ أقامهما على أساس مقارن بهدف التوصل إلى بعض التعميمات أو المبادئ العامة التى يتحدد بها شكل وطبيعة العلاقات فى التنظيمات والمؤسسات السياسية والعمل السياسى نفسه.

ويظهر فى الكتاب الأول مدى حرص دوفرجيه على إبراز وجهة النظر التى يتبناها روبرت ميتشلز فيما يتعلق بالأحزاب الشيوعة فى الدول التى تعتنق هذا المذهب والتى تذهب إلى أن الأحزاب السياسية الثورية فى هذه الدول قد تحولت إلى نوع من البيروقراطية والأوليجاركية، وهو الأمر الذى يتفق معه دورفرجيه إلى أبعد الحدود، حيث أكدت دراسته على إبراز ملامح الشخصية الأوليجاركية التى أصبح يتسم بها زعماء الأحزاب فى البلدان التى تأخذ بنظام الحزب الواحد عموما. كما كشف الكتاب أيضا عن عدد من التعميمات التى صاغها بصدد العلاقة بين النظام الانتخابى وعدد الأحزاب مع إشارات واضحة للتأثيرات التى أصبح يمارسها نظام التمثيل النسبى فى فرنسا.

أما الكتاب الثانى فيعتبر بدوره دراسة مقارنة للأحزاب السياسية، ولكنه يؤكد فيه على قضايا الانتماء الحزبى والأيديولوجى، وعلى دور الطبقة العاملة الذى اعتقد انه ظل مرتبطا بشكل تقليدى بالجناح اليسارى، وهو ما طرأ عليه غير قليل من التغيير حيث لم يعد لهذا الدور سوى تأثير ضئيل على نتائج الانتخابات، ويستشهد دوفرجيه على ذلك بالانتخابات التى أجريت فى فرنسا عام ١٩٥١ حيث لم يصوت للحزب الاشتراكى سوى حوالى ٦٣٪ من أفراد هذه الطبقة مما يعنى ضمنيا حدوث تغيرات فى البناء الطبقى نفسه، وفى تطلعات الطبقة العاملة، إن لم يكن خلخلة هذه الطبقة وتهافتها.

وأيا كانت درجة الاتفاق مع تلك النتائج التى ينتهى إليها دوفرجيه فى هذا الكتاب فإنها تتمتع ولاشك بتقدير كبير، خاصة أن الكثيرين يعتبرونه واحدا من أهم وأشهر منظرى علم السياسة الحديث فى وقتنا الراهن. فقد أسس كما شغل منصب مدير مركز الدراسات السياسية Centre d'Etudes Politique فى بوردو Bordeaux وأحد كبار الكتاب والمحللين السياسيين فى مجلة Le Monde والإكسبريس L'Express، وإن كان من المهم القول بأن مواقفه ورؤاه السياسية من الصعب الإحاطة بها تماما دون الرجوع إلى كتبه الأخرى التى دارت من حول القضية السياسية. فقد ظهر له كتاب «علم السياسة المعاصر» La Science Politique Contemporaine عام١٩٥٠ ثم كتابه عن المناهج فى علم السياسة M'ethodes de la Science Politique عام ١٩٥٩، ثم ظهر له بعد ذلك «فكرة السياسة: استخدامات القوة فى المجتمع» The Idia of Politics: The Uses of Power in Socity عام ١٩٦٦.

وبالرغم من أهمية هذه المؤلفات جميعها فمازال البعض يرى أن فهم موريس دوفرجيه فهما موضوعيا يساعد فى التعرف على موقفه من العلوم الاجتماعية ذاتها وعلى نظرته إلى الدور الذى تقوم به هذه العلوم فى عالم اليوم، لا يتسنى إلا بالوقوف على كتابه «المدخل للعلوم الاجتماعية، مع إشارة خاصة لمناهجها» An Introduction to the Social Sciences (With Special Reference to The Methods) الذى نشره بالفرنسية لأول مرة عام ١٩٦١ ثم نشر بعد ذلك مترجما إلى الانجليزية فى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٤، وهو كتاب يعتبر بشكل عام محاولة ناضجة لتحديد مكانة العلوم الاجتماعية فى العالم المعاصر الذى أصبح خاضعا بشكل مباشر ومؤثر لمختلف تأثيرات وسائل الإعلام والدعاية (البروباجاندا) والإعلان وسائر أدوات الاتصال والتأثير.

فى هذا الكتاب تتبع دوفرجيه التطورات التى لحقت العلوم الإجتماعية التى انبثقت من الفلسفة الاجتماعية حتى أصبح لها شخصيتها الذاتية وانساقها العلمية المميزة. ومع أنه يعترف بحدود هذه التطورات وبآثارها فقد اعتقد أن أهمها يدور فى مجالات وسائل البحث وأساليبه وتكنيكاته؛ ولهذا نجده يفيض فى دراسة

المناهج ومعالجة أساليب البحث العلمى ووسائل جمع المادة وطرق الملاحظة والأساليب التى يلجأ إليها الباحثون عند تحليلهم للمادة وتفسيرها . وهو يعلن صراحة أن العلوم الاجتماعية لم تزل فى مكانة متخلفة فى هذا المجال، ويرجع السبب فى هذه الوضعية إلى وجود اختلافات أساسية على التصورات الرئيسية بل والتعاريف الأولية، وهو ما عبر عنه بتخلف النظرية عن الممارسة والتطبيق. ومن هنا يعتبر هذا الكتاب بالدرجة الأولى محاولة لتوضيح المفهومات والمبادئ فى هذا المجال، علاوة على كونه دراسة للمسلمات النظرية والوسائل التطبيقية وهى محاولة مازالت تتمتع بكثير من الاحترام وتعتبر مرجعا لجماهير الدراسين والباحثين.

- قراءات مقترحة•

- Goldman, Alvin I: A Theory of Human Action. 1970.
- Lukas Steven; Power: A Radical View. 1974.
- Oakeshott, Michael; Rationalism in Politics. 1967.

★ ★ ★

E

٥٤ – إيستمان، ماكس فورستر (١٨٨٣ – ١٩٦٩)

54 - EASTMAN, Max Forrester

كانت نظراته ومواقفه الإصلاحية سببا فى اعتقاله أكثر من مرة، كما كانت سببا فى إغلاق المجلات التى أشرف على تحريرها وتقديم كل محرريها للمحاكمة، ولكن المحكمة انقسمت على نفسها نتيجة لاختلاف وجهات نظر أعضائها ما بين مساند له ومتحامل عليه. ومع ذلك فهو لم يفقد إيمانه أبدا بكل الدعاوى التى نادى بها، فأنشأ أول جمعية (رجالية) وقفت إلى جانب المرأة فى مناداتها بحقها فى التصويت والانتخابات، وكانت هذه خطوة مبكرة جداً (١٩١٠) حتى بدا الأمر فى عين الرأى العام الأمريكى المحافظ شيئا مبتذلا ومستهجنا.

ولد ماكس فورستر إيستمان فى ١٢ يناير عام ١٨٨٣ فى كاناندايجو Canandaigua فى نيويورك، وتوفى فى ٢٥ مارس ١٩٦٩ فى بريدج تاون Bridgetown بالبريادوس Barbados وحقق شهرته الواسعة كواحد من زعماء الاصلاح التقدميين الذين قادوا الكثير من الحملات الراديكالية قبل الحرب العالمية الأولى وبعدها. وإن كان قد اتخذ بعدما تقدمت به السن مواقف انتقادية من سياسات الاتحاد السوفياتى والفكر الماركسى عموما.

على أية حال فقد كانت حياته مزيجا من العمل الصحفى والعمل الأكاديمى الجامعى. فقد تلقى علومه فى ويليامز كوليج Williams College فى ويليامزتاون Williamstown فى ولاية ماسوشيستس Massachusetts الأمريكية وهى الجامعة التى تخرج فيها فى عام ١٩٠٥، والتحق بجامعة كولومبيا حيث قام بتدريس الفلسفة والمنطق لمدة أربعة أعوام.

ولقد كان للظروف التى تعرضت لها أوربا والتى امتدت آثارها إلى الولايات المتحدة الأمريكية خلال العقدين الأول والثانى من القرن دخل كبير فى تشكيل نشاطاته العلمية والعملية، والتى تحققت بها شهرته. ففى نهايات الحرب العالمية الأولى أقدم ايستمان على نشر وتحرير مجلة «الجماهير» The Masses وهى مجلة سياسية وأدبية اشتهرت باتجاهاتها المتطرفة التى كانت سببا فى تقديم هيئة تحريرها إلى المحاكمة مرتين فى عام ١٩١٨ لاتخاذها موقفا معارضا لدخول الولايات المتحدة الحرب.

ولقد أثار هذا الموقف ثائرة فئات وشرائح عريضة من المجتمع الأمريكى التى أعلنت تعاطفها معه، فأقدم من ثم على تحرير مجلة جديدة باسم The Liberator لم تكن سياستها تختلف كثيرا عن سابقتها وإن أفرد فيها مساحة أكبر للنقد الأدبى وللشعر (١٩٢٢) عندما أخذ يعد للسفر إلى روسيا لدراسة النظام السوفيتى عن كثب.

والواقع أن زيارته للروسيا كانت نقطة تحول فى حياة ايستمان الشخصية والفكرية على السواء، فقد تزوج من إلينياكرايلنكو Krylenko شقيقة وزير العدل السوفيتى وقتذاك. ولكنه عندما عاد إلى الولايات المتحدة كانت الفكرة التى رسخت فى ذهنه نتيجة زيارته للروسيا هى أن الهدف الأصيل لثورة أكتوبر قد أجهض على أيدى جماعة فاسدة صارت إليها كل الأمور.

ومهما يكن من شىء فقد كان لذلك الاعتقاد أثره فى كتاباته وبخاصة تلك التى ظهرت فى العشرينات والثلاثينات حيث نشرت له عدة كتب هاجم فيها التطورات التى حدثت فى الاتحاد السوفيتى ساعدت بدورها فى تدعيم شهرته. من بينها: «منذ وفاة لينين» Since Lenin Died الذى ظهر فى ١٩٢٥ و«فنانون فى الزى الرسمى» Artists in Uniform وظهر فى ١٩٣٤، و«نهاية الاشتراكية فى روسيا» The End of Socialism in Russia فى ١٩٣٧ و«روسيا الستالينية وأزمة الاشتراكية» Stalin's Russia and the Crisis of Socialism (١٩٣٩) كما قام بترجمة كتاب ليو تروتسكى Trotsky «تاريخ الثورة الروسية» فى عام ١٩٣٢.

وبالرغم من أن هذه الكتب قد أفلحت فى إلقاء كثير من الضوء على الواقع السياسى والاجتماعى الذى عاشه الاتحاد السوفيتى خلال تلك الفترة وكشفت عن كثير من القوى والديناميات التى تدخلت فى صياغة هذا الواقع وتشكيله فإن الكثيرين مازالوا يرون أن عام ١٩٤١ بالذات كان هو العام الذى بدأت شهرته تأخذ طابعا عالميا بعدما أصبح محررا متجولا لمجلة ريدرزديجست Reader's Digest. إذ أتاح له ذلك أن يتناول بقلمه كل ما يثيره أو يجذب اهتمامه من موضوعات بما فى ذلك الأدب والفن والشعر. فظهر له فى عام ١٩٦٣ كتابان هما: «متعة الشعر» Enjoyment of Poetry وهو كتاب قديم يرجع إلى عام ١٩١٣ عاد إلى إبرازه وتطويره، و«متعة الضحك» Enjoyment of Laughter وهما كتابان أعيدت طباعتهما أكثر من مرة. ذلك بالاضافة إلى عملين رئيسيين آخرين ضمنهما سيرته الذاتية ظهر أولهما فى ١٩١٨ بعنوان «الاستمتاع بالحياة» Enjoyment of Living، وظهر الثانى فى عام ١٩٦٥ أى قبل وفاته بأربع سنوات بعنوان «الحب والثورة: رحلتى فى فترة من الزمان» Love and Revolution: My Journey Through an Epoch.

● قراءات مقترحة●

- Cantor, Milton; Max Eastman. 1970.
- O'Ncill, William L.; The Last Romantic: A Life of Max Eastman. 1978.

★ ★ ★

٥٥ - إيزلى ، لورين كورى

55 - EISELEY, Loren Corey

يعتبر عالم الأنثربولوجيا الأمريكى لورين كورى إيزلى من العلماء القليلين الذى نجحوا فى تناول علم دراسة الإنسان بأسلوب سهل جعله فى متناول القارئ غير المتخصص ، وفى طبع الأنثربولوجيا بطابع شعبى أتاح للكثيرين من القراء العاديين فرصة التعرف على هذا التخصص وذلك من خلال مؤلفاته وأحاديثه التليفزيونية التى جعلته وجها مألوفا لدى الجماهير .

ولقد ولد إيزلى عام ١٩٠٧ فى لينكولن Lincoln بنبراسكا Nebraska . ونال تعليمه فى جامعه نبراسكا التى حصل منها على درجته العلمية الأولى عام ١٩٣٣ . ثم التحق بجامعة بنسلفانيا حيث حصل على درجة الماجستير (١٩٣٥) ثم درجة الدكتوراه عام ١٩٣٧ . أما حياته العلمية وطريقه الأكاديمى فقد بدأهما فى جامعة كنساس Kansas التى عمل بها فى الفترة من ٣٧ إلى ١٩٤٤ ثم أوبرلين كوليج Oberlin فى الفترة من ٤٤ إلى ١٩٤٧ . وفى رحلته الطويلة مع جامعة بنسلفانيا التى دامت ثلاثين عاماً تبوأ إيزلى العديد من المناصب وشغل أكثر من مكان ، فقد عمل استاذاً للأنثربولوجيا (١٩٤٧-١٩٦١) ومحاضراً للإنسان الأول فى جامعة المتحف University Museum فى الفترة من ٤٧ إلى ٧٧. كما أصبح رئيساً للجامعة (٥٩ -٦١) وأستاذاً للأنثربولوجيا وتاريخ العلوم من عام ١٩٦١ وحتى وفاته فى فيلادلفيا عام ١٩٧٧. أضف إلى ذلك عمله كمستشار للمتاحف والمؤسسات العلمية ولدى الحكومة الأمريكية ، كما حظى بكثير من مظاهر التكريم والتشريف فكان عضواً فى المعهد القومى للفنون والآداب، وكذلك الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم American Academy of Arts and Sciences .

وقد تركزت بحوث إيزلى العلمية فى الكشف عن المستحجرات وتحديد أعمارها وأزمنتها الجيولوجية وفى هذا فقد كان يهتم بصفة خاصة بتلك المستحجرات التى ترجع إلى العصور البليوستسينية Peleosticine وإلى العصر الجليدى Ice Age التى قام بتوصيفها وتصنيفها فى فهارس كاملة .

وتغطى كتاباته هذه العصور بشكل متعمق حيث نجده يتعرض لكثير من المسائل المرتبطة بالتطور، كما يكشف عنه السجل الحفرى . وفى هذا فقد ترك إيزلى أكثر من اثنى عشر كتاباً ومؤلفاً فى العلم والطبيعة البشرية من بينها ستة كتب على الأقل تمتعت بشهرة ممتازة نظراً لسلاسة أسلوبها والطابع القصصى الذى يغلب عليها. وربما كان فى مقدمة هذه الكتب كتابه الذى أصدره بعنوان «الرحلة الواسعة» The Immense Journey عام ١٩٥٧ ، وكتابه « قرن دارون» Darwin's Century (١٩٥٨) و«قبة الزمان» Firmament of Time (١٩٦٣) و « الكون غير المتوقع» The Uexpected Universe (١٩٦٩) و «مملكة الظلام» The Night Country (١٩٧١) و«كل الساعات الغريبة» All Strange Hours (١٩٧٥) .

ومن الناحية العلمية فإن كتابه «قرن دارون» يعتبر أفضل هذه الكتب جميعا إن لم يكن واحدا من أفضل وأهم الكتب المعروفة. فهو دراسة رزينة للأسس العقلية للنظرية التطورية الحديثة، وهذا يختلف عن باقى كتبه التى قلنا أنه تناولها بأسلوب بسيط وفى قالب قصصى مما جعلها تلقى رواجًا ملحوظًا ، والحقيقة أنه فى هذه الكتابات العلمية البسيطة لم يكن إيزلى يختلف كثيراً عن الطريقة التى كان يكتب بها كتاباته الأدبية وبخاصة مجموعاته الشعرية التى كان يصدرها من آن لآخر وفى مقدمتها ديوانه «نوع آخر من الخريف» Another Kind of Autumn الذى ظهر عام ١٩٧٧ قبيل وفاته بشهور قليلة .

★ ★ ★

٥٦ - إلياد، ميرسيو

56 - ELIADE , Mircea

ترجع شهرة ميرسو إلياد الذى يعتبر واحداً من أشهر علماء تاريخ الأديان المقارن History of Comparative Religion إلى بحوثه وكتاباته فى اللغة الرمزية Symbolic التى تستخدم فى الاحتفالات وفى الشعائر والتقاليد والطقوس الدينية المختلفة ، ومحاولته ربط معناها ودلالتها بالأساطير الرئيسية التى توجد فى مختلف بقاع العالم ، والتى اعتبرها أساساً للظاهرة الطبيعية الكونية، ولكل الظواهر الخارقة والغامضة الأخرى .

وإلياد مؤرخ اجتماعى رومانى الجنسية أصلاً فقد ولد فى بوخارست عام ١٩٠٧ ، وحصل على درجة الماجستير فى الفلسفة من جامعتها (١٩٢٨) . ولكنه درس اللغة السنسكريتية Sanskrit والفلسفة الهندية فى جامعة كلكوتا Calcutta فى الفترة من ١٩٢٨ إلى ١٩٣١ ثم عاش فترة تزيد على ستة أشهور فى صومعة ريشيكيش Rishikesh بإحدى قمم الهيمالايا ، عاد بعدها إلى رومانيا حيث نال درجة الدكتوراه عام ١٩٣٣ فى رسالة عن اليوجا قدمها بعنوان : «اليوجا : مقالة فى أصول التصوف الهندى» Yoga : Essai Sur Les Origines de la Mystique Indienne .

ولقد شغل ميرسو إلياد عدداً من المناصب العلمية والعملية الهامة. إذ عمل أستاذاً مساعداً وقام بتدريس تاريخ الأديان والفلسفة الهندية فى جامعة بوخارست من عام ٣٣ إلى ٣٩ وبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية انتقل إلى باريس فى عام ١٩٤٥ كأستاذ زائر فى مدرسة الدراسات العليا فى السربون. ولكنه انتقل بعد ذلك إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٦ حيث التحق بجامعة شيكاغو كأستاذ لتاريخ الأديان أيضا. ثم أقدم فى عام ١٩٦١ على تأسيس المجلة الدولية لتاريخ

الأديان وهى مجلة أسهمت بقدر كبير فى التعريف وأيضاً ترسيخ هذه الاهتمامات.

وتتبلورالفكرة المحورية فى كتابات ميرسو إلياد فى أن التجربة الدينية كما نراها فى المجتمعات التقليدية والمعاصرة هى فى جوهرها ظواهر يمكن تصديقها وذلك على اعتبار أنها تجليات المقدس فى العالم . وانطلاقاً من هذا الاعتقاد فقد عكف إلياد فى بحوثه ودراساته على استقصاء أشكال هذه التجليات وكيفية انتشارها فى العالم خلال الزمان.

وفى كل أعماله تكمن هذه الفكرة التى صارت توجه تفكيره وتفسيره الذاتى للثقافة الدينية، حيث نجده يقدم من خلالها تحليلاً دقيقاً للأشكال الغامضة والتجارب الصوفية، الأمر الذى أكسب مؤلفاته طابعاً مميزاً، حتى تلك المؤلفات التى كتبها فى مرحلة مبكرة من حياته العلمية، وهو ما يظهر فى كتابين صدرا له فى عام ١٩٤٩ وهما «ملامح فى تاريخ الأديان» Traité de L'Histoire des Religions و«أسطورة العودة السرمدية» La Mythe de L'étérnal Retour .

ولكن كتاباته اللاحقة هى التى أكسبته تلك المكانة العلمية المرموقة التى يتمتع بها . ففى عام ١٩٦٩ صدر مؤلفه « الضالة المنشودة : تاريخ ومعنى» The Quest : History and Meaning . ثم صدر له بعد ذلك « الطقوس والشعوذة والأنماط الثقافية : مقالات فى الأديان المقارنة» Occultism, Witchcraft and Cultural Fashion : Essays in Comparative Religion (١٩٧١)، وهو كتاب يبلور فيه إلياد نظرياته كلها حيث وجد فى الأسطورة الأولى شكلاً نقياً وخالصاً للتجربة الدينية هو الذى يعطى الظواهر الدينية فى العالم ملامحها العامة وخصائصها الأساسية، كما تضمنت سيرته الذاتية التى نشر الجزء الأول منها عام ١٩٨١ الكثير من جوانب فلسفته الدينية ورؤاه عن علاقة الدين بالأفراد وبالمجتمعات عموماً .

● قراءات مقترحة●

- Banton , M.; Anthropological Approaches to the Study of Religion. 1976.
- Robertson, R.; The Sociological Interpretation of Religion. 1981.
- Yinger, J.M.; Religion , Society and the Individual. 1957.

★ ★ ★

٥٧ - إيفانز بريتشارد ، السير إدوارد إيفان
57 - EVANS - PRITCHARD, Sir Edward Evan

لعل واحداً من كبار أساتذة الأنثربولوجيا البريطانيين لم يترك أثرا فى الأجيال المعاصرة من علماء الأنثربولوجيا لا فى بريطانيا فحسب ، ولكن فى أنحاء عديدة من العالم، وخاصة تلك التى ترتبط باتجاهات وتقاليد البنائية البريطانية ، مثلما ترك السير إدوارد إيفان إيفانز - بريتشارد . الذى يعتبر من وجهة نظر الكثيرين أشهر علماء الأنثربولوجيا الاجتماعية البريطانيين ، وهى الشهرة التى اكتسبها بسبب بحوثه ودراساته الحقلية (الميدانية) التى أجراها فى القبائل والثقافات الأفريقية على وجه الخصوص.

ولقد ولد إيفانز بريتشارد فى عام ١٩٠٢ فى كروبروه Crowborough بمقاطعة سسكس Sussex بإنجلترا، وبدأ تعليمه فى كلية ونشستر التى هيأته للالتحاق بكلية أكستر فى جامعة أكسفورد التى حصل منها على درجته العلمية الأولى فى التاريخ. وبعدها التحق بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية لمتابعة دراساته العليا، حيث بدأت تظهر ميوله إلى الأنثربولوجيا التى نال فيها درجة الدكتوراه من جامعة لندن عام ١٩٢٧ . وذلك عن دراسته التى أجراها عن الأزاندى Azande والتى كانت موضوعاً لكتابه الذى ظهر بعد ذلك بسنوات فى عام ١٩٣٧ بعنوان «الشعوذة والعرافون والسحر عند الأزاندى» Witchcraft, Oracles and Magic Among the Azande وهى أول دراسة حقلية مركزة تتم على أحد الشعوب الأفريقية حيث أمضى حوالى العامين (٢٠ شهراً) فى منطقة البحث، وتعلم لغة الأهالى التى استخدمها فى مقابلاته ولقاءاته مع الأهالى نزولاً على متطلبات المنهج الأنثربولوجى كما عرفه على أيدى أستاذه مالينوفسكى الذى تتلمذ على يديه. وبعد ذلك قام بعدة دراسات

حقلية أخرى فى النوير Nuer بجنوب السودان وأصدر عن هذه الدراسات ثلاثة كتب على الأقل، أولها هو كتاب النوير The Nuer الذى ظهر فى عام ١٩٤٠ تحت عنوان طويل نسبيا هو : وصف لأحوال المعيشة والنظم السياسية عند أحد الشعوب النيلية The Nuer : A Deiscription of the Modes of Livelihood and Polictical Institutions of a Nilotic People ، وقدم فيه وصفًا لأحوال المعيشة والنظم السياسية عندهم. أما كتابه الثانى فهو كتاب « القرابة والزواج عند النوير» Kinship and Marriage Among the Nuer الذى ظهر عام ١٩٥١ على الرغم من أن إيفانز بريتشارد كان قدفرغ منه منذ فترة طويلة ولكن ظروف الحرب العالمية هى التى منعت نشره فى أوائل الأربعنيات. ثم «الدين عند النوير» Nuer Religion الذى ظهر عام ١٩٥٦. ذلك بالإضافة إلى كم هائل من المقالات التى اعتمد فيها على المادة الخام التى كان يجمعها أثناء زياراته المتعددة (وإن تكن على فترات متقطعة) لجنوب السودان، وهى كتابات يمكن بسهولة أن نلاحظ فيها تأثير مالينوفسكى من ناحية (على الرغم من اختلافهما فى النظرة إلى التاريخ الذى كان مالينوفسكى يدعو صراحة إلى عدم استخدامه فى البحوث الأنثربولوجية) وكذلك تأثير الأستاذ سليجمان Seligman من ناحية ثانية والذى يعتبر فى الحقيقة أول من دفعه إلى الاهتمام بدراسة المجتمعات القبلية فى جنوب السّودان فى الفترة من عام ١٩٢٦ إلى عام ١٩٣٦، ذلك بالإضافة إلى بعض التأثيرات الأخرى التى جاءته من المدرسة الفرنسية وبخاصة إميل دوركايم Durkheim الذى يظهر بوضوح فى كتابه «الدين عند النوير» وأيضاً ليفى برول Bruhl وموريس هاليفاكس Halifax ومارسيل موس Mauss علاوة على تأثره ببعض الرواد الكبار من أمثال السيرهنرى مين Maine وفوستيل دوكولانج Foustel de Coulanges على وجه الخصوص. ولهذا كله فلا يعتبر غريباً أبداً أن ينظر إلى إيفانز بريتشارد على أنه واحد من كبار الوظيفيين حيث كان يبحث دائماً عن علاقة الأجزاء بعضها ببعض وعلاقتها بالكل الاجتماعى، وهو المبدأ الأساسى الذى انطلقت منه كل بحوثه وكتاباته التى استقى مادتها الاثنوجرافية فى ضوء ملاحظاته ومعايشته للنظم والظواهر التى تناولها بالدراسة والتحليل.

ويعتبر عام ١٩٤٠ بمثابة نقطة انطلاق حقيقية لإيفانز بريتشارد ، فبالرغم من تنقلاته ورحلاته الواسعة والتى زار خلالها مصر حيث قام بالتدريس فى الجامعة المصرية بالقاهرة وألقى عددا من المحاضرات التى دارت معظمها حول السحر والدين والعلم فى الفترة من ١٩٣٢ إلى ١٩٣٤ ، وكذلك زياراته المتكررة للسودان وكينيا. والتى تمخضت عن عدد كبير جداً من المقالات إلى جانب دراساته الحقلية المركزة فقد تمكن من إنجاز دراسته للأنواك إلى جانب دراسته للشيلوك واللوو Luo فى كينيا، وإذ كان كل هذا قد أسفر عن كتابه «النسق السياسى عند الأنواك فى السودان المصرى الإنجليزى» The Political System of the Anuak of the Anglo-Egyptian- Sudan الذى ظهر فى عام ١٩٤٠ ، فقد تأكدت شهرته فى العام نفسه عندما اشترك مع ميرفورتس Fortes فى إصدار كتابهما عن النظم السياسية فى أفريقيا African Political Systems وهو عبارة عن مجموعة مقالات مثلت ثورة وانقلاباً حقيقيين فى دراسة الحكومة البدائية وشكل الحكم فى المجتمعات البدائية على وجه الخصوص. وذلك بالإضافة إلى كتابه الذى ظهر عام ١٩٤٨ عن «الملكية المقدسة عند الشيلوك» The Divine Kingship of the Shilluk of Nilotic Sudan ثم بعد ذلك كتابه عن « السنوسى فى برقة» The Sanusi of Cyrenaica الذى ظهر عام ١٩٤٩ مستفيداً من وجوده فى شمال أفريقيا أثناء الحرب العالمية الثانية كضابط اتصال بين الإدارة العسكرية البريطانية والسلطات والعشائر والقبائل الليبية، بالإضافة إلى كتابه الآخر عن الأزاندى الذى نشر عام ١٩٧١ بعنوان «الأزاندى: التاريخ والنظم السياسية» The Azande: History and Political Institutions . ولا جدال فى أن كل هذا معناه أنه كان كاتباً مميزاً يتصف بتنوع اهتماماته التى تراوحت ما بين موضوعات القرابة والدين وتاريخ الأنثربولوجيا ودراسة الظاهرة السياسية وتحليلها . وهى موضوعات نجح فى توجيه عدد كبير من تلاميذه لدراستها وبحثها، حيث اتبعوا فى دراستهم أسلوبه فى البحث وطريقته فى تحليل المواد الاثنوجرافية .

ومما هو جدير بالذكر أن تنقلاته الواسعة وبحوثه الحقلية (الميدانية) التى بلغت ستة بحوث لم تمثل عائقاً أمام نشاطه الأكاديمى، مهمته التدريس بالدرجة

الأولى ، فقد ظل تأثيره كمحاضر وكأستاذ جامعى ذا أهمية كبيرة ، لأنه انتقل بعد عمله فى الجامعة المصرية بالقاهرة إلى أكسفورد كمحاضر باحث فى علم الاجتماع الأفريقى فى الفترة من ١٩٣٥ إلى ١٩٤٠ حيث عمل تحت رئاسة الأستاذ رادكليف براون Radcliffe-Brown الذى توطدت العلاقة بينهما على الرغم من اختلافهما النظرى فى كثير من المواضع . ويمكن القول بأنه لم يبتعد عن الجامعة إلا خلال سنى الحرب ولكن ليعود بعدها فى عام ١٩٤٥ فيلتحق بجامعة كمبردج ثم ليشغل بعد ذلك كرسى الأنثربولوجيا فى جامعة أكسفورد خلفا لرادكليف براون وهو المنصب الذى ظل يشغله حتى عام ١٩٧٠ وهو العام الذى تقاعد فيه وهو فى الثامنة والستين من عمره، ذلك بالإضافةإلى أنه كان زميلاً فى All Souls College طوال الفترة من ١٩٦٤ إلى ١٩٧٠ حيث نصب فارسا عام ١٩٧١ أى قبيل وفاته بعامين اثنين، حيث توفى عام ١٩٧٣ بعدما نجحت مدرسة اكسفورد فى الأنثربولوجيا الاجتماعية وبخاصة فى السنوات الأخيرة من حياته فى جذب عدد متزايد من الدارسين من مختلف أنحاء العالم. كما أشرف على كثير من الدراسات والرسائل العلمية التى كانت تجرى دراساتها الحقلية فى أفريقية وفى أماكن أخرى فى ضوء منهجيته العامة التى أوضح معالمها فى كتابه الهام الذى أصدره عام ١٩٥١ بعنوان « الأنثربولوجيا الاجتماعية» Social Anthropology . وهو كتاب ما زال حتى اليوم يتمتع بتقدير كبير على كافة المستويات العلمية والأكاديمية رغم ما قد تثيره بعض مواقفه وآرائه النظرية من نقاش وجدل باعتبار أنه هو نفسه لم يكن ممن يسعون إلى تكوين نظرية عامة، مما جعل البعض يرى أن كتاباته النظرية إنما تحتل مكانة ثانوية بالنسبة إلى بحوثه الحقلية، وهى دعوى تنطوى على غير قليل من التجنى والافتراء خاصة إذا ما تم تقييمها (الدعوى) فى ضوء الآراء النظرية التى اشتمل عليها كتابه «مقالات فى الأنثربولوجيا الاجتماعية» Essays in Social Anthropology الذى نشره عام ١٩٦٢ .

● قراءات مقترحة ●

- **Works** : Zande Iron-Working , Paideuma.1967.
-         : Zande Bridewealth, Africa, 40. 1970.

● وانظر أيضاً :

- Biedelman, Thomas O.; Sir Edward Evan Evans - Pritchard (1902 - 1973): An Appreciation - 1974.
- Douglas, M.; Evans - Pritchard. 1980.

★ ★ ★

F

٥٨ - فاى ، سيدنى برادشو (١٨٧٦ - ١٩٦٧)
58 - FAY, SIDNEY BRADSHAW

قد يكون من اليسير - حتى ولو تجاوزا - أن نتخيل عالما بلا حروب ، ولكن من المستحيل أن نتصور أن تكون الحروب مسئول عنها طرف واحد فحسب. الحروب باستمرار مسئولية كل الأطراف المنخرطة فيها جميعها، مسئولية جمعية بتعبير أدق.

ذلك هو التصور الجوهرى والمحورى أيضاً الذى أدار المؤرخ الأمريكى سيدنى برادشو فاى من حوله كل كتاباته. وذلك التصور بالذات كان السبب المباشر وراء شهرته الطاغية باعتباره أول مؤرخ أمريكى يقف فى مواجهة الاعتقاد السائد بأن ألمانيا «وحدها» كانت هى المسئولة عن الحرب العالمية الأولى، وكان لذلك الموقف «المتميز» أثره الكبير فى تعديل وتغيير كثير من الاتجاهات نحو ألمانيا بعد الحرب .

ولد فاى فى الثالث عشر من إبريل عام ١٨٧٦ فى واشنطن، ومات فى التاسع والعشرين من أغسطس عام ١٩٦٧ فى لكسنجتون Lexington بولاية ماسا شوستس Massachusetts الأمريكية ومعنى هذا أن حياته امتدت إلى أكثر من تسعين عاماً شهد خلالها كل أحداث العصر. شاهد على العصر بتعبير -مرة ثانية- أدق . فبعد أن نال الدكتوراه من هارفارد فى ١٩٠٠ درس فى السوربون Sorbonne وفى جامعة برلين ليعود بعد ذلك ليقوم بتدريس التاريخ فى دارتموث كوليج Dartmouth College بهانوفر فى نورث هامبشاير North Hampshire وسميث كوليج Smith فى نورث هامبتون Northampton بماساشوستس، وأيضاً فى جامعتى هارفارد وييل حتى بلغ سن التقاعدفى عام ١٩٤٦.

مسيرة طويلة هى إذن ومليئة بالعمل الأكاديمى . ومع ذلك فإن شهرته ارتبطت بصفة رئيسية بمراجعته الكلاسيكية لأسباب الحرب العالمية الأولى. وهى المراجعة التى أبرز نتائجها فى مؤلفه الضخم الذى ظهر فى جزءين فى عام ١٩٢٨ بعنوان «أصول الحرب العالمية الأولى» Origins of the World war I وهو المؤلف الذى اعتمد فيه كثيراً على دراسته وفحصه لكثير من الوثائق والسجلات والمحفوظات التى لم تكن قد بحثت أو كشف عنها من قبل، حيث مكنه ذلك من بلورة مقولته القائلة «بالمسئولية الجمعية» Collective Responsibility فى نشوب هذه الحرب واندلاعها .

وبالرغم من مظاهر التحفظ والبرود التى استقبلت بها كثير من الأوساط هذا العمل، فإن النظرة المدققة لمقولة «المسئولية الجمعية» تكشف عن حقيقة ما يتمتع به فاى من قدرة على النظر والتحليل إضافة إلى ما تنطوى عليه المقولة ذاتها من (واقعية) صادقة تتكشف من خلال الربط بين الوقائع والأحداث واستقصاء ما يعمل فى باطن هذه الوقائع والأحداث من عوامل وأسباب . علاوة على ما تعكسه المقولة (المسئولية الجمعية) من رأى علمى يبتعد عن مظاهر التحيز أو المحاباة .

والواقع أن فاى يلقى بجانب كبير من اللوم والمسئولية على الصرب Serbia بصفة خاصة نظراً لدورها المباشر والواضح تماماً فى اغتيال الأرشيدوق فرانسيس فرديناند Archduke Francis Ferdinand فى الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٤ . كما نجده يلقى باللوم أيضاً على النمسا ومطالبها وعلى ألمانيا لمساندتها لدولة النمسا الهنغارية Austria - Hungary وعلى روسيا لإقدامها على التعبئة العسكرية وبالمثل إنجلترا وفرنسا لتواطؤ الدولتين مع الروسيا .

وأياً كان الأمر فيما ذهب إليه فاى من أسباب أدت إلى وقوع الحرب العالمية الأولى فقد كان لهذا العمل نتيجة مزدوجة، ففى الوقت الذى أدى إلى خلق ما يمكن أن يوصف بأنه نوع من التعاطف مع ألمانيا مما أدى بالتالى إلى تغيير كثير من الاتجاهات نحوها بعدما كانت تصب باللوم كله عليها، فقد أثار لدى الكثيرين من الأسباب ما جعل قادة هذه الدول وساستها يقدمون على إعادة النظر فى طبيعة

وشكل العلاقات القائمة ، بل وأدى هذا إلى بذر بذور الحرص والتشكك فى نوايا البعض مما كان له أثره على أى الأحوال فى المواقف السياسية التى مثلت بدورها خلفية للحرب العالمية الثانية على الرغم من التغير الذى طرأ على مواقف أطرافها.

وعلى العموم فقد نجحت مؤلفات فاى وكتاباته فى أن تجعله واحدا من أعظم المراجع الأمريكية التى يرجع إليها بصدد التاريخ الألمانى، وخاصة بالنسبة إلى ظهور الإمبراطورية البروسية وسياستها الخارجية. وهو ما ينعكس فى أكثر من واحد من كتبه حيث قدم فى عام ١٩١٦ مؤلفه المعنون باسم « سياسة أسرة هوهنزوليرن فى القرن السادس عشر» The Hohenzollern Household and Administraion in the Sixteenth Century . كما قدم فى ١٩٣٨ كتابه «نهضة بروسيا حتى ١٧٨٦» The Rise of Brandenburg Prussia to 1786. وكذلك قيامه بترجمة كتاب المؤرخ الألمانى فردريك مينيكى Meinecke المعنون باسم « الكارثة الألمانية» Die Deutsche Katastrophe . الذى ظهرت ترجمته بالإنجليزية فى ١٩٥٠.



٥٩ - فيرث ، سير رايموند وليام
59 - FIRTH, Sir Raymond William

يعتبر السير رايموند وليام فيرث من جيل علماء الأنثربولوجيا البريطانية الذين درسوا فى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية، حيث التقى بعدد من الدارسين من بينهم إيفانز بريتشارد الذى كان فيرث يكبره بعام واحد، وميير فورتس الذى كان يصغره بخمسة أعوام، والأستاذة أودرى ريتشاردز، وغيرهم ممن قدر لهم أن يحملوا لواء الأنثربولوجيا البنائية التى انتشرت عن طريقهم وبجهود زملائهم وتلامذتهم فى مختلف بقاع العالم .

ولقد ولد رايموند فيرث عام ١٩٠١ فى نيوزيلاندة New Zealand وبدأ دراسته فى جامعة أوكلاند Ouckland بموطنه الأصلى حيث حصل على درجتى البكالوريوس والماجستير ، ولكنه أكمل دراسته بعد ذلك فى جامعة لندن التى حصل منها على درجة الدكتوراه عن رسالته التى قدمها عن اقتصاديات المورى Maori وهى الرسالة التى ظهرت فى شكل كتاب لأول مرة عام ١٩٢٩ ، ثم أعيدت طباعتها بعد ذلك عام ١٩٥٩ تحت عنوان « اقتصاديات المورى فى نيوزيلندة» Economics of The New Zealand Maroi .

ولقد ارتبط فيرث لفترة من الوقت بجامعة سيدنى Sydney بأستراليا (١٩٣٠ إلى ١٩٣٢) حيث عمل محاضراً ثم أستاذاً للأنثربولوجيا الاجتماعية وهى فترة انقطعت خلالها صلته بجامعة لندن التى عاد إليها فى عام ١٩٣٣، حيث أصبح أستاذاً فى ١٩٤٤، وظل بهذه الجامعة إلى أن أعتزل العمل وأصبح أستاذاً متفرغاً بها عام ١٩٦٨. ونتيجة لجهوده العلمية واعترافا بفضله فقد نصب فارساً فى عام ١٩٧٣.

وبوجه عام يمكن القول بأن شهرة رايموند فيرث قد انبنت أساساً على تلك الدراسات والبحوث التى أجراها عن قبائل المورى وبين شعوب جنوب شرقى آسيا والأقيانوس، وهى الدراسات التى يظهر فيها مدى تأثره بالأستاذ برينسلاف مالينوفسكى الذى درس الأنثربولوجيا على يديه، وكان يعجب به أتم إعجاب حتى أنه ألف كتابه «الإنسان والثقافة : تقييم لأعمال مالينوفسكى» Man and Culture : An Evaluation of the Work of Malinowski (١٩٥٧) وهو كتاب يعتبر من أمتع وأعمق الكتب التى تكشف عن فهم فيرث العميق لهذا العالم الأنثربولوجى الشهير. كما يظهر فيه أيضاً مدى تأثره به خاصة، وهو يتعرض لطبيعة العمل وتقسيم العمل. حيث يظهر تمييزه بين العمل البسيط والعمل المركب وهى نفس التفرقة التى كان مالينوفسكى يقيمها بين العمل الجماعى Communal Labour والعمل المنظم Organized على اعتبار أن أساس العمل فى المجتمعات البدائية هو عمل جماعى دائماً.

ولا شك أن مجموعة كتبه ومقالاته التى أصدرها عن جزيرة تيكوبيا Tikopia التى تقع شرقى جزرسولومون البريطانية Solomen Islands والتى عالج فيها مختلف أوجه الحياة الاجتماعية مثل الحياة الأسرية والقرابة والاقتصاد والدين والأساطير والتاريخ هى التى تمثل حجر الزاوية فى هذه الشهرة التى تمتع بها فيرث، على الأقل فى مرحلة معينة من حياته العلمية حيث يرجع اهتمامه بهذه المنطقة إلى أوائل العشرينات وهو لم يزل طالباً يبحث عن موضوع لرسالته فى الدكتوراه . وإذا كنا قد أشرنا من قبل إلى أنه نشر هذه الرسالة فى شكل كتاب صدر عام ١٩٢٩ فإن أول كتبه التى نشرها عن سكان الجزيرة لم يظهر إلا بعد ذلك فى عام ١٩٣٦! وهو الكتاب الذى أصدره تحت عنوان طويل نسبياً هو «نحن، تيكوبيا : دراسة اجتماعية للقرابة فى بولينيزيا البدائية» We Tikopia : A Sociological Study of Kinship in Primitive Polynesia وحيث نلمس فى هذا الكتاب مدى اهتمامه بإبراز فكرة البناء الاجتماعى، وأيضاً بالدين والمعالجة الأنثربولوجية للرموز. علاوة على اهتمامه الأصيل بالنسق القرابى الذى اعتبره أساس الحياة الاجتماعية فى كثير من المجتمعات بما يتضمنه من ظواهر اجتماعية جوهرية مثل تعدد الزوجات والأبوة الحقيقية والاجتماعية.

والحقيقة أن اهتمام فيرث بالبناء الاجتماعى وبالمناشط الاجتماعية هو اهتمام يشارك فيه معظم العلماء الذين ينتمون إلى مدرسة لندن فى الأنثربولوجيا حتى ليمكن القول بأنه اهتمام مشترك بينه وبين إيفانز بريتشارد وميرفورتس على ما بين مواقف ثلاثتهم من فوارق واختلافات .

فعلى حين قد اهتم إيفانز بريتشارد بهذه النواحى من زاوية التركيز على البناء السياسى على نحو ما تأكد فى دراسته لمجتمع النوير ، فإن رايموندفيرث قد اهتم بها أيضاً وإنما من زاوية البناء الاقتصادى فى مجتمع تيكوبيا . ولا شك فى أن مثل هذا التشابه فى الاهتمامات راجع أساساً إلى كونهما معاً من جيل التلاميذ الأوائل الذين تشربوا الأنثربولوجيا على أيدى الأستاذ مالينوفسكى .

وقد لا يعنينا هنا إبراز أو مناقشة أوجه الاختلاف بين هؤلاء الثلاثة فى نظرتهم للبناء الاجتماعى ، ولكن من الضرورى مع ذلك القول بأن البناء الاجتماعى عند فيرث يتضمن مختلف أنواع الجماعات والنظم التى تربط بين أفراد المجتمع. كما أنه يقوم على أساس التخصص المهنى الذى اعتبره أحد المبادئ الأساسية فى كل المجتمعات البدائية، وكذلك مبدأ الاختلاف الطبقى أو المرتبة الاجتماعية، وكأنما اهتمامه بالبناء الاجتماعى هو بالدرجة الأولى اهتمام بإبراز دور المهن وتقسيم العمل والطبقات والمراتب الاجتماعية. ومن هنا اهتمامه بدراسة العلاقات الاجتماعية الواقعية والمتحققة بالفعل فى المجتمع اعتماداً على ما تقدمه الدراسة الميدانية من معطيات فى ضوء الملاحظة المباشرة والملاحظة بالمشاركة وإن لم يكن معنى هذا عدم ضرورة فهم العلاقات المثالية لدى المجتمع باعتبار أنها تلعب دوراً فى تحديد مظاهر الفعل والسلوك المتوقعين .

وبتعبير آخر ينصب اهتمام رايموند فيرث على إبراز العلاقات المتبادلة والمتداخلة للنظم الاجتماعية المختلفة كالسحر والدين والاقتصاد والسياسة على اعتبار أنها تمثل أهم العناصر أو المكونات التى تتفاعل فى داخل الكل الاجتماعى، وبذا فهو يجمع البناء الاجتماعى فى تلك العلاقات الثابتة التى تدور حول النوع Sex والقرابة والموطن والسن وما يقوم فيها من اختلافات فى المراتب والطبقات تبعاً

للتخصص المهنى وتقسيم العمل، وبدون إغفال لدور القيم والعلاقات المثالية على ما أشرنا.

وإذا كان كتابه «نحن ، تيكوبيا» هو أول كتبه التى كتبها عن تيكوبيا وأرسى فيه قواعد ومبادئ مدخله الاقتصادى فقد سعت كتاباته الأخرى عن هذا المجتمع إلى تعميق هذا المدخل وبلورة مواقفه، وبهذا نجده يعاود زيارته لهذا المجتمع مرة ثانية فى عام ١٩٥٢ حيث قضى حوالى ستة أشهر درس خلالها مظاهر التغير الاجتماعى التى طرأت عليه. وعلى العموم فقد ظهر كتابه «عمل الآلهة فى تيكوبيا» The Work of the Gods in Tikopia فى عام ١٩٤٠ ، ثم كتابه « تاريخ تيكوبيا وتقاليدها» History and Traditions of Tikopia عام ١٩٦١ ، وأيضاً «المرتبة والدين فى تيكوبيا» Rank and Religion in Tikopia عام ١٩٧٠ بالإضافة إلى كتابه عن التغير الاجتماعى الذى كان قد نشره عام ١٩٥٩ بعنوان «التغير الاجتماعى فى تيكوبيا » Social Change in Tikopia.

ولقد ظل موضوع التنظيم الاقتصادى يمثل دائماً واحداً من أكبر الاهتمامات التى شغلت فكر رايموند فيرث. فقد قام هو وزوجته فى عامى ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ بإجراء دراسة ميدانية عن الفلاحين فى الملايو ، ونشرت هذه الدراسة بعنوان «صيادو الملايو : اقتصادياتهم القروية» The Malay Fishermen : Their Peasent Economy (١٩٤٦) كما صدرت له أيضاً مجموعة أخرى من الكتب والمقالات التى اهتمت بالموضوع نفسه من خلال التنظيم الاجتماعى الأشمل من أهمها «عناصر التنظيم الاجتماعى» Elements of Social Organization و«مقالات فى التنظيم الاجتماعى والقيم» Essays on Social Organization and Values (١٩٦٤) وأيضاً «الطقوس والمعتقدات فى تيكوبيا» Tikopia Ritual and Belief (١٩٦٧) وقد عالج فى الكتاب الأول ما اعتبره الخصائص المميزة لكل ثقافة، وأكد فى هذا على أن هذه الخصائص إنما هى انعكاس لقيمها الأساسية على اعتبار أن نسق القيم هو الذى يعطى الثقافة تماسكها وهويتها واستقرارها. كما عرض فيه أيضاً نظريته فى الفن البدائى، وهى نظرية لا تخلو من مضامين اقتصادية حيث رأى أن الفنان البدائى

هو إنسان حرفى قبل أى شئ. وهذا معناه أنه يرفض بالنسبة لهذه المجتمعات البدائية النظرية التى تقول بالفن للفن، وإنما للفن فى هذه المجتمعات وظيفة، كما أن له هدفا. أما المتعة بالمعنى الذى تعرفه المجتمعات الحديثة فمسألة لا تدخل فى حسبان الفنان البدائى الذى لا يصنع الأشياء لمجرد النظر إليها أو الاستمتاع بها على حد تعبير الأستاذ هاموند Hammond. وهو الموقف نفسه الذى تردد بعد ذلك فى بعض أعماله مثل كتابه الذى أصدره بعنوان «موضوعات فى الأنثر بولوجيا الاقتصادية» Themes in Eoconomic Anthropology الذى نشر لأول مرة عام ١٩٦٧، وأيضاً كتابه « الرموز : العامة والخاصة» Symbols : Public and Private الذى ظهر فى عام ١٩٧٣ .

وبالرغم من كل هذا الإنتاج العلمى الضخم فمازال الكثيرون يرون أن أشهر كتبه وأكثرها انتشاراً هو كتابه « الأنماط البشرية : مقدمة فى الأنثربولوجيا الاجتماعية» Human Types : An Introduction to Social Athropology (١٩٥٨) .

● قراءات مقترحة●

- **Works** : Primitive polynesian Economy . 1960.

--------; Offering and Sacrifice : Problems of Organization . Journal of the Royal Anthropological Institute . 93, 1963.

---------; An Analysis of Mana: An Empirical Approach, Journal of the Polynesian Society . 58.1940.

---------; An Appraisal of Modern Social Anthropology. in B. Siegel and Others (eds.) Annual Review of Anthropology. 1975.



٦٠ - فورد ، سيريل داريل

60 - FORDE, Cyril Daryll

ينتمى عالم الأنثربولوجيا البريطانى سيريل داريل فورد إلى جيل العلماء الذين تلقوا تدريبهم فى العشرينات والثلاثينات من القرن، وهو الجيل الذى يضم إيفانز بريتشارد Evans Pritchard وميير فورتس Fortes وريموند فيرث Firth ولوسى مير Mair وليوناردوشابيرو Schapiro وغيرهم ، ممن ظهرت لديهم الاتجاهات ذاتها فى التفكير وربطت بينهم الاهتمامات المشتركة فوضعوا بدراساتهم وبحوثهم الحقلية الأسس المتينة لفهم ظواهر الدين والسحر والشعوذة، وكذلك أنماط وطبيعة النظم السياسية والاقتصادية والأنساق القرابية .

ولقد اشتهر فورد كواحد من أبرز علماء الأنثربولوجيا الفيزيقية الذين شغفوا بدراسة الثقافات البدائية والآثار التى تخلفها التطورات التكنولوجية فى البناءات الاجتماعية والعلاقات الاجتماعية عموماً ، الأمر الذى أدى إلى إفساح الطريق أمام ازدهار دراسات الجغرافيا المقارنة .

ولقد ولد فورد عام ١٩٠٢ فى توتنهام Tottenham بميدلسكس Middlesex بإنجلترا، ودرس الجغرافيا وعلم آثار ما قبل التاريخ فى يونيفرستى كوليج ثم نال درجة الدكتوراه عام ١٩٢٨ وعين وهو فى الثانية والعشرين من عمره بجامعة ويلز Wales فى عام ١٩٣٠ واعتبر بذلك أصغر أستاذ يتم تعيينه فى المملكة المتحدة.

وبداية من عام ١٩٤٤ عين مديراً للمعهد الأفريقى الدولى وهو منصب ظل يشغله حتى وفاته فى عام ١٩٧٣ . وخلال هذه الفترة شغل فورد أيضاً كرسى الاستاذية الجديد للأنثربولوجيا فى كلية الجامعة بلندن (١٩٥٤) وبذلك أتيحت له فرصة الاتصال المباشر بالأسماء اللامعة التى عرفتها جامعة لندن وكان لهم

تأثيرهم البالغ فى تحول اهتمامه إلى الأنثربولوجيا وإلى دراسة الثقافات البدائية فى المجتمعات الأفريقية على وجه الخصوص .

ولقد نجحت دراسته الحقلية التى أجراها فى أريزونا ونيومكسيكو فى لفت الأنظار إليه باعتبارها دراسة رائدة فى الجغرافيا المقارنة . وقد ظهرت بعد ذلك فى عام ١٩٣٤ فى كتاب بعنوان «اقتصاديات البيئة والمجتمع Habitat Economy and Society ، ونالت تقدير الأوساط العلمية، واعتبرت بمثابة مرجع أساسى فى التحليل الاجتماعى لأشكال وأنواع الاقتصاد والعلاقة بينهما وبين أنماط النظم الاجتماعية الأخرى.

وتعتبر قضية تقسيم العمل من أهم القضايا العديدة التى تناولها فى فورد فى هذا الكتاب حيث ناقش الفعاليات البدائية التى تقوم بشكل أساسى على هذا المبدأ . فبالرغم من الاعتقاد الشائع لدى معظم الكتاب بأن التقسيم الجنسى للعمل هو محصلة طبيعية لسيطرة الرجل وتفوقه الجسمانى وعلو منزلته الاجتماعية، فقد أيد فورد، على العكس من ذلك نظرة أخرى مؤداها إن تقسيم العمل بين الجنسين فى كثير من المجتمعات لا يعتمد كلية على هذه الفوارق الجنسية، وإنما يتنوع بتنوع العديد من الأسباب الأخرى كالظروف الطبيعية وتغاير التجارب التاريخية للمجتمعات وقد نجحت هذه النظرة فى أن تفرض نفسها حتى أصبحت مسيطرة إلى الآن .

ومع ذلك فقد كانت دراساته الحقلية اللاحقة التى أجراها فى جنوب شرق نيجيريا هى العمل الذى رسخ شهرته كواحد من أعلام الأنثربولوجيا المتميزين ، فقد قادته هذه الدراسات إلى سلسلة من البحوث التى أجراها عن شعوب الياكو Yako فى الفترة ما بين ١٩٣٥ ، ١٩٣٩ فى كروس ريفر Cross River واستطاع من خلالها أن يرسى أسلوباً مميزاً ومنهجاً محدداً للدراسات السياسية ودراسات أنساق القرابة العديدة التى توجد فى هذه المناطق من القارة الأفريقية، وهو ما تأثر به بشكل واضح عدد من الدراسات والبحوث الحقلية التى أجراها تلامذته أو غيرهم بعد ذلك .

ويمكن الوقوف على النتائج المباشرة لهذه الدراسات التى أجراها فورد فى نيجيريا فى عدد من الكتب والمقالات التى تناول فيها الثقافة الأفريقية والمجتمعات الأفريقية. ولعل فى مقدمة هذه الكتب كتابه الرئيسى « الزواج والعائلة عند الياكو فى جنوب شرقى نيجريا» Marriage and Family Among the Yoko of South Eastern Nigeria الذى نشر فى عام ١٩٤١ ، وأيضا كتابيه «عوالم أفريقية» African Worlds (١٩٥٤) و«تجار أفريقيا القدامى» اللذين أشرف على تحريرهما . بالإضافة إلى كتابه المميز الذى صدر بالاشتراك مع رادكليف براون Radcliffe - Brown فى عام ١٩٥٠ عن «أنساق القرابة والزواج فى أفريقيا» African Systems of Kinship and Marriage . وهو عبارة عن دراسة مسحية لنظم وأنساق القرابة والزواج فى أفريقيا ويحتوى على مجموعة من الدراسات القيمة لأنساق القرابة والعادات والأعراف فى بعض القبائل والشعوب الأفريقية قام بكتابتها عدد من الأنثربولوجيين الكبار .

وعلى العموم فقد كان لرئاسته المعهد الأفريقى الدولى أثرها فى هذا الإنتاج حيث أتاح له منصبه أن يقف على مختلف التطورات التى لحقت بالدراسات الأنثربولوجية عن أفريقيا ، مما ساعده أيضاً فى الإشراف على بعض البحوث الضخمة والبرامج التى حصل لتمويلها على اعتمادات ضخمة كرست للدراسات الأفريقية ، جنبا إلى جانب مقالاته التى قام بنشرها فى المجلات التى تولى الإشراف على تحريرها، وبخاصة مجلة أفريقيا Africa والملخصات الأفريقية» African Abstracts والمسح الاثنوجرافى لأفريقيا ، علاوة على مقالته الشهيرة التى نشرها عام ١٩٦٢ فى كتاب جلوكمان «مقالات عن طقوس العلاقات الاجتماعية» Essays on Ritual of Social Relations بعنوان : «الموت والخلافة : تحليل لطقوس دفن الموتى عند الياكو» Death and Succession : An Analysis of Yako Morlury Rituals.

● **قراءات مقترحة**

-**Works** : (ed.) African World ; Studies in the Cosmological Ideas and Social Values of African peoples. 1954.

-----------; Double Descent Among the Yako, in A.R. Radcliffe - Brown, D.Forde (eds.) African Systems of Kinship and Marriage. 1950.

٦١ - فورتيس، ميير

61 - FORTES, MEYER

على الرغم من أن عالم الأنثربولوجيا البريطانى ميير فورتيس قد تلقى تعليمه الأساسي فى علم النفس ونال درجة الدكتوراه التى حصل عليها عام ١٩٣٠ من مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية London School of Economics and Political Sciences فى علم النفس التحليلى، فقد نجحت دراساته وبحوثه فى أن تجعله واحدا من أشهر علماء الأنثربولوجيا البريطانيين الذين يرجع إليهم الفضل فى انتشار المدرسة البنائية البريطانية جنبا إلى جنب جيل الكبار الذين ينتمون إلى هذه المدرسة من أمثال رادكليف براون وإيفانز بريتشارد ورايموند فيرث باعتبار أن ثلاثتهم هم أشهر من أضافوا إلى تراث هذه المدرسة على الأقل فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

والأستاذ ميير فورتيس على خلاف زميليه لم يكن مولده ولا أيام نشأته الأولى فى بريطانيا ولكنه ولد فى بريتستاون Britstown بمقاطعة الكاب Capc Province فى جنوب أفريقيا فى الخامس والعشرين من شهر إبريل عام ١٩٠٦. ونال تعليمه الأساسى فى المدارس الوطنية إلى أن التحق بجامعة كيب تاون Cape Town التى درس فيما علم النفس. ثم التحق بعد ذلك بمدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية حيث نال درجة الدكتوراه فى علم النفس أيضا عام ١٩٣٠. ولكن ليتحول بعد ذلك فى عام ١٩٣٢ من علم النفس إلى الأنثربولوجيا بتأثير أستاذه مالينوفسكى كزميل باحث لمؤسسة روكفلر Rockefeller. وخلال الفترة من ١٩٣٤ إلى ١٩٣٧ عمل فى غانا Ghana ثم عين بعد عودته محاضرا فى الأنثربولوجيا الاجتماعية بمدرسة لندن. وبعدها عين باحثا محاضرا فى علم اجتماع المجتمعات

الأفريقية بأكسفورد ثم أصبح أستاذا للأنثربولوجيا الاجتماعية في كينج كوليج King College بكيمبردج من عام ١٩٥٠ حتى تقاعده عام ١٩٧٣ وهو في السابعة والستين من عمره. وإن لم تنقطع صلاته بهذه الجامعة إلى أن توفى في كيمبردج أيضا في السابع والعشرين من يناير عام ١٩٨٣.

وتنصب الاهتمامات الرئيسية للأستاذ ميير فورتيس على دراسة القضايا والموضوعات التى تندرج عادة فى داخل نطاق الأنثربولوجيا السياسية Political Anthropology. ولما كانت معظم دراساته قد أجراها على القبائل والمجتمعات الأفريقية فقد كان طبيعيا أن يتساوق مع هذا الاهتمام بدراسة النظم والأنساق السياسية اهتمام آخر بدراسة الأنساق القرابية Kinship Systems نظرا للعلاقات الوثيقة والمتداخلة بين المجالين فى المجتمعات القبلية والبسيطة عموما. وإن كان من الناحية الثانية قد اهتم أيضا بالأنثربولوجيا النفسية التحليلية كأثر راسخ من تكوينه العلمى الأساسي. وانعكست هذه الاهتمامات فى كل دراساته وبحوثه حتى تلك التى ركز فيها على دراسة الطقوس وشعائر الأسلاف على اعتبار أن الدين وما ينطوى عليه من شعائر وطقوس دينية لها جميعا وظيفة سياسية تتمثل فى إقرار وتحقيق النظام فى المجتمع بصرف النظر عن مدى تقدمه أو تأخره. فالدين فى آخر الأمر يعتبره علماء الاجتماع والانثربولوجيا من أهم عوامل الضبط الاجتماعى فى مثل هذه المجتمعات.

وعلى الرغم من أن فورتيس قد تركزت معظم دراساته وبحوثه فى مجتمعات غرب أفريقيا وعلى وجه الخصوص فى مناطق معينة على طول ساحل غينيا Guinea فقد ظهرت هذه الاهتمامات أيضا فيما أجراه من دراسات فى مناطق ومجتمعات أخرى سواء فى الصين أو اليابان. وإن ظلت المجتمعات التقليدية فى أفريقيا هى مناط اهتمامه الحقيقى؛ نظرا لتعدد وأيضا لتباين المبادئ أو العناصر التى يقوم عليها التنظيم السياسى، وخاصة فى تلك المجتمعات التى يرى البعض أنها تفتقر إلى هذا التنظيم، وأيضا للغموض الذى يسم الكثير من الكتابات عند

التمييز بين ما هو سياسى وما ليس كذلك، وكلها وضعيات خليقة بأن تجذب انتباه الباحثين وتدفع بهم إلى دراستها ومحاولة إلقاء الضوء عليها.

وقد قام ميير فورتيس بعدد من الدراسات التى نجحت ليس فحسب فى إرساء قواعد شهرته، وإنما أيضا فى توضيح بعض مواقفه من بعض القضايا والمسائل النظرية والمنهجية التى تعتبر مثار خلافات بين العلماء والباحثين. ولاشك أن فى مقدمة هذا تصوره الذاتى لما يعتبره «ظاهرة سياسية» وكذلك نظريته أو مفهومه الخاص للبناء الاجتماعى، علاوة على موقفه من بعض المناهج المستخدمة فى التحليل الاجتماعى ومدى كفاية هذه المناهج فى دراسة الظواهر الاجتماعية فى المجتمعات البدائية.

ويرى فورتيس أن السياسة تمثل مفهوما يصعب الوصول فيه إلى تحديد واضح متفق عليه على الرغم من تردده وكثرة استخدام الباحثين له كأداة للوصف والتحليل. ومع ذلك فإن أهمية هذا المفهوم كما يراها فورتيس ترجع إلى إمكانية استخدامه فى دراسة مدى وجود التنظيم السياسى فى المجتمعات البدائية والبسيطة، إذا ما أمكن الاتفاق على ما يعتبر (سياسيا) من ظواهر الحياة الاجتماعية وأنماط ما يقوم فيها من علاقات.

وبالرغم من تعدد الخصائص التى يقول العلماء بأن الظاهرة السياسية تتصف بها فقد أوضح فى مقال له عن «بناء الأنساب فى الجماعات ذات الانتساب الواحد» Unilineal كان قد نشره ضمن كتاب: «الثقافات والمجتمعات الافريقية» Cultures and Societies of Africa الذى أشرف على تحريره أوتنبرج Ottenberg أن من أبرز وأهم خصائص الظاهرة السياسية اتصافها بالعمومية، ويعنى بذلك أنها عامة Public تهم المجتمع بكامله، ولا يمكن أن تنحصر فى نطاق الشئون الفردية المتعلقة ببعض أعضاء المجتمع. ذلك بالإضافة إلى توافر القصد، بمعنى أن الظاهرة السياسية من خصائصها أيضا أنها ترمى إلى أهداف معينة تكون لها قيمتها وأهميتها بالنسبة للجماعة أو المجتمع ككل ومن هنا أيضا كان اتصافها بدرجة واضحة من الوعى Consciousness بمعنى أن يكون السلوك السياسى، سلوكا قصديا

علاوة على اتصافها بطابع القوة وتوافر سلطة ما يكون لها حق استخدام هذه القوة، أولا لاقرار النظام داخل المجتمع كهدف نهائى للسياسة وأيضا لمواجهة الحالات والظروف الحرجة التى قد يمر بها المجتمع وتضطره حتى إلى استخدام القوة الفيزيقية عند اللزوم - وإن كانت مسألة استخدام القوة فى مثل هذه المجتمعات من المسائل التى أثارت الكثير من الخلافات بين العلماء والباحثين. فبالرغم من وضوح موقف فورتيس فيما يتعلق باعتباره عنصر «القوة» ضمن العوامل الهامة والمحددة للتنظيم السياسى فى المجتمعات الحديثة والمتقدمة التى تؤلف دولة (وهو اعتقاد يشاركه فيه الأستاذ إيفانز بريتشارد) فإن مسألة توافر السلطة المركزية التى يحق لها استخدام القوة المنظمة والقول بعدم وجودها فى المجتمعات التى لا تؤلف دولة Stateless Societics ضاعف كله من مشكلة البحث عن المبادئ الأساسية التى يقوم عليها التنظيم السياسى، خاصة فى مثل هذه المجتمعات الانقسامية Segmentary التى تلعب فيها القرابة والنسق القرابى دورا متعاظما فى التنظيم السياسي. والواقع أن الأستاذ مالينوفسكى فى مواجهته لهذه الناحية قد وسع من مفهوم القوة ولم يحصره فى القوة الفيزيقية وحدها، وإنما هناك القوة الروحية أيضا التى تلعب دورا هاما بهذا الصدد، وبخاصة قوة القادة والرؤساء والزعماء الروحيين فى هذه المجتمعات.

ولكن يبدو أن طبيعة المجتمعات التى أجرى فيها فورتيس دراساته هى التى دفعت به إلى اعتبار فكرة الانقسامية Segmentation أو التجزئة عند التمييز بين المجتمعات والنظم والأنساق السياسية ما بين النوع الانقسامى والنوع المركزى، فقبائل التالينزى Tallensi التى تعيش فى المناطق الشمالية من غانا والتى أجرى فيها أهم دراساته هى من القبائل الانقسامية التى يظهر فيها بوضوح أهمية العشائر والبدنات والنسق القرابى عموما فى التنظيم السياسي. ولعل فى مقدمة هذه الدراسات تلك المجموعة من الدرسات التى نشرها بالاشتراك مع إيفانز بريتشارد عام ١٩٤٠ تحت عنوان «الأنساق السياسية فى أفريقيا» African Political Systems حيث عرض فورتيس فى مقالته نتائج دراسته فى التالنزى The Tallensi حيث برز

تقسيمه لأنماط النظم السياسية إلى ثلاثة أنماط رئيسية يمكن التمييز بينها على أساس القرابة ودرجة الانقسام وقدر التنظيم الإداري.

ولقد ظهر اهتمامه بإبراز دور القرابة فى التنظيم السياسى فى أكثر من عمل حيث نشر كتابه «ديناميات البناء العشائرى عند التالنزي» The Dynamics of Clanship Among the Tallensi فى عام ١٩٤٥ وأتبعه بكتابه «النسيج القرابى عند التالنزي» The Web of Kinship Among The Tallensi عام ١٩٤٩ ثم بعد ذلك كتابه «القرابة والنظام الاجتماعي» Kinship and Social Order عام ١٩٦٩. بالإضافة إلى الكتاب الذى أشرف على تحريره وظهر تحت عنوان «الزواج فى المجتمعات القبلية» Marriage in Ttibal Societies فى عام ١٩٧٢، وكذلك مقالته الشهيرة عن «القرابة والزواج بين الأشانتي» فى كتاب رادكليف براون وداريل فورد Forde المعنون «أنساق القرابة والزواج فى أفريقيا» African Systems of Kinship and Marriage (١٩٥٠).

ولعل الملمح الأساسى الذى يمكن ملاحظته فى كل هذه الدراسات والبحوث اتصافها بمسحة بنائية وظيفية ترجع إلى اهتمامه بمفهوم البناء الاجتماعى كمفهوم محورى وموجه لدراسة جميع الظواهر الاجتماعية بما فيها من وجوه التنظيم السياسي. وقد ظهر اهتمامه بالبناء الاجتماعى كانعكاس طبيعى لتصور المجتمعات ما إذا كان تصورا ديناميكيا أم تصورا أستاتيكيا. فقد لاحظ فورتيس أن غالبية الباحثين وفى مقدمتهم الأستاذ رادكليف براون يعالجون ظواهر المجتمع وما فيه من مشكلات من زاوية إستاتيكية تعتمد أساسا على مفهوم البناء الاجتماعى الذى ميز فيه رادكليف براون بين البناء الواقعى والبناء الصورى. وقصد بالبناء الواقعى البناء العينى أو المحسوس أو البناء الديناميكى المتغير، أما البناء الصورى فهو بناء ثابت نسبيا وإن تغير فلا يكون إلا تغيرا قليلا وعلى فترات طويلة غير محسوسة. مما يعنى فى النهاية أن البناء الواقعى هو مجموعة العلاقات الواقعية التى تتغير بين الأشخاص والزمر والجماعات على حين يظل البناء الصورى أو الصورة البنائية العامة ثابتة نسبيا لا يغير من تماسكها حتى تلك التغيرات الثورية التى قد تحدث بشكل فجائي.

ويعتبر ميير فورتيس فى مقدمة الذين وجهوا الانتقاد إلى تصور رادكليف براون للبناء الاجتماعى، ففى كتابه الذى قدمه بالاشتراك مع آخرين تحت عنوان «البناء الاجتماعي، دراسات مهداة لرادكليف براون» Social Structure; Studies Presented to Radcliffe - Brown (١٩٥٠) نجده يصف التفرقة التى يقيمها رادكليف براون بين البناء الواقعى والبناء الصورى بأنها لا تستند إلى أى معيار يمكن الوثوق فيه. وعلى العكس من ذلك نراه يذهب إلى أن البناء الاجتماعى لا يمكن أن يخضع للرؤية العينية المباشرة حيث إننا لا نستطيع رؤية البناء مباشرة فى واقعه المشخص وإنما البناء يتكشف لنا عن طريق المقارنة والاستقراء فى ضوء تحليل عينة من الوقائع الاجتماعية. فهو ذلك الكل الذى يتميز بأنه يتضمن النظم والزمر الاجتماعية والمواقف وسائر العمليات التى يمكن تحليلها إلى أجزاء تنتظم وتتناسق فى الزمان والمكان بالطرق التحليلية الخاصة.

وبصرف النظر عن مدى سلامة الانتقاد الذى يسوقه فورتيس وهو الانتقاد الذى عاد يكرره مؤخراً فى كتابه الذى نشره عام ١٩٧٠ بعنوان «الزمان والبناء الاجتماعي» Time and Social Structure فمن المهم القول بأنه أصبح يعكس الاتجاه الغالب الذى يسيطر على غالبية الدراسات المهتمة بالبناء الاجتماعى حيث يجرى تقسيم المجتمع إلى مجموعة من الأنساق الاجتماعية التى يدخل فى تكوينها عدد من النظم الاجتماعية وبذلك يمكن الحديث عن الأنساق النوعية كالنسق السياسى أو النسق الديني، أو النسق القيمى، أو النسق القرابى، وأيضا إلى ما يندرج تحت هذه الأنساق من نظم تدخل فى تكوينها ويقوم فيما بينها كلها بعضها وبعض علاقات تتبادل الأثر والتأثير فى داخل هذا البناء الكلى، وربما من هنا تأكيد مييرفورتيس على عاملى الزمان والمكان نظراً لما يطرأ على هذه العناصر والمكونات من تغيرات تختلف شدتها ومداها باختلاف ما يحيط بالكل أو يعمل فى داخله من ظروف ووضعيات .

ويتأدى بنا كل هذا إلى اعتبار قضية الطرق والمناهج والأساليب المستخدمة فى التحليل الاجتماعى للمادة الاثنوجرافية وموقف ميير فورتيس من هذه القضية وبخاصة فيما يتعلق بالمنهج الإحصائى والأساليب الكمية والإحصائية .

وللحق فإن فورتيس يعتبر من أكبر الدعاة إلى استخدام المنهج الإحصائى فى دراسة الظواهر الاجتماعية فى المجتمعات البدائية والبسيطة والتقليدية عموما على الرغم من كل ما يقال من صعوبة ذلك. ويعتمد موقفه على نظرة خاصة مؤداها أن السلوك الإنسانى فى مظاهره الاجتماعية إنما يمدنا بمجوعتين أو فئتين من المعلومات والحقائق، هما الحقائق ذات الدلالة الكمية أى التى تشير إلى الكم والحجم والمقدار وتلك التى يكون لها دلالة كيفية والتى تحتاج إلى الوصف والتفسير. وفى اعتقاده أنه لكى يأمن الباحث من خطأ الوقوع فيما قد تحتمله الالفاظ والتعابير من مدلولات ومعان مختلفة فلابد من إخضاع المعلومات الكيفية إلى تصميمات وقياسات رقمية وكمية. بل إنه يقترب فى هذا الاتجاه مما نجده عنده عالم الاجتماع الفرنسى كلود ليفى ستروس عندما ذهب إلى ذلك التحول إلى الرياضيات وأكد على أن الكم هو سبيل تطور العلم الاجتماعى وتقدمه.

● قراءات مقترحة●

-**Works** : Kinship and Marriage Among the Ashanti- in A.Radcliffe. Brown and D. Forde(eds.), African Systems of kinship and Marriage. 1950.

● وانظر أيضا:

-Turner , Victor W., The Drums of Afflication, 1968.

----------; The Ritual Process. 1969

* * *

٦٢ - فوكو، ميشيل بول

62 - FOUCAULT, Michel Paul

ولد الفيلسوف والمؤرخ وعالم الاجتماع والسياسة الفرنسى ميشيل بول فوكو فى بواتييه Poitiers بفرنسا فى الخامس عشر من شهر أكتوبر ١٩٢٦ . ودرس على يد الفيلسوف الماركسى الفرنسى لوى آلثوسير Althusser فى مدرسة المعلمين العليا École Normale Supérieure بالرغم من أنه كان يصغر استاذه بثمانية أعوام فقط إذ ولد آلثوسير عام ١٩١٨ . وبالرغم من أنه لم يعمر طويلاً إذ مات فى باريس فى الخامس والعشرين من شهر يونيو عام ١٩٨٤ وهو فى الثامنة والخمسين من عمره فقد نجح فى تبؤ عدد من المناصب العلمية والأكاديمية الهامة قبل أن يصبح أستاذاً فى ألكوليج دو فرانس Collége de France بداية من عام ١٩٧٠ حيث انشغل بتدريس «تاريخ أنساق الفكر» وهو تخصص جديد ابتكره لنفسه وظل يشغل كرسيه حتى وفاته.

ومنذ البداية تنازعت ميشيل فوكو العديد من النزعات والاتجاهات التى تركت آثارا عميقة فى حياته الفكرية والعملية على السواء، فهو ابن طبيب وكان المفروض أن يواصل الإبن طريق الأب، ولكن يبدو أن هذا الاتجاه لم يكن له صدى فى نفسه لأنه تحول عنه إلى دراسة علم النفس، والتحق لذلك بمدرسة المعلمين العليا التى تخرج فيها عدد من أشهر الفلاسفة والمفكرين البنائيين الفرنسيين، ومع أنه نال تدريبه فى مستشفى سانت آن للأمراض العصبية واشتغل بعد تخرجه بتدريس الطب النفسى فى باريس إلا أنه لم يستطع الاستقرار فى مكان واحد، وأخذ يتنقل بين عدة مناصب تعليمية أخرى سواء فى داخل موطنه فرنسا أم فى خارجها مثل جامعة أوبسالا وجامعة تونس وأيضاً فى ألمانيا الغربية والسويد، ثم

جامعة كليرمونت فيران Clermont- Ferrand التى عمل بها فى الفترة من ١٩٦٠ إلى ١٩٦٨. وبعدها أمضى عامين آخرين فى جامعة Paris-Vincennes ليلتحق فى عام ١٩٧٠ بالكوليج دو فرانس على ما سبقت الإشارة .

خلال هذه الرحلة الطويلة نشرفوكو منذ عام ١٩٦٠ عدداً من الدراسات الهامة عن الجنون والأمراض العصبية وعن مؤسسات الأمراض العقلية ونظمها، وعن أساليب الإدارة والعلاج فى داخل المستشفيات، وأيضاً عن نظم العقوبة والتهذيب فى داخل السجون الحديثة، وعن الجنس Sex وطرق التحكم فيه، وفى كل هذه الدراسات كانت الفكرة المحورية التى تقوده هى استقصاء عناصر القوة Power والبحث فى هذه المؤسسات والنظم .

ولقد كانت إحدى الملاحظات الذكية التى لاحظها فوكو أن معظم الدراسات الحديثة تؤكد على إبراز حقيقة أن كل التطبيقات والإجراءات والممارسات وحتى صور الجدال والمناقشات تتأطر بشكل أو بآخر فى استخدام القوة. ولكن إذا كانت القوة تتمثل دائماً فى مقولة مثل «من يفعل ماذا بمن؟» Who does what to whom، وكانت ممارسة القوة وآثار هذه الممارسة هى الشغل الشاغل لفوكو فيمكن القول بأن دراسات فوكو كانت مما يمكن النظر إليه وقراءاتها على أنها محاولة لتقديم شكل جديد من أشكال تحليل القوة يعتمد بالدرجة الأولى على مقولة «يفعل ماذا» التى أصبحت تمثل المفهوم المحورى فى كل كتاباته .

ولكن مفهوم فوكو عما تفعله القوة خضع ولا شك لكثير من التغيرات على مدى عشرين عاماً، وهى تغيرات من الصعب الوقوف عليها إلا من خلال مقابلة كتاباته المبكرة بكتاباته الأكثر حداثة والمقارنة بينها .

فى عام ١٩٥٤ نشر فوكو كتابه عن الأمراض العقلية وعلم النفس تحت عنوان «الأمراض العقلية والشخصية» . ولكن إذا تجاوزنا هذا الكتاب الذى يعتبر بمثابة مدخل ملىء بالتعاريف والمفهومات الأساسية نجده يقدم فى عام ١٩٦١ على نشر كتابه الهام الأول المعنون « الجنون والاختلال : تاريخ الجنون» Folie et Déraison : Histoire de la Folie à l'Âge Classique (ترجم هذا الكتاب إلى الإنجليزية

عـام ١٩٦٧ تحت عنوان «الجنون والحـضـارة» (Madness and Civilization) وهوعبـارة عن دراسـة لتـاريخ المرض العـقلى واسـتـعـراض وتصنيف للجنون فى القـرن السـابع عشر وطرق عـلاجه . ولكن الأهم من ذلك أنه صاغ فى هذا الكتاب مفهوم «القوة» بطريقـة سـالبـة على أنهـا شىء يعمل على نحو يقيم التقسـيمـات ومختلف صـور الابعاد والإقصـاء exclusion فتبـدو «القوة» هنا باعتبـارها مـا يفـرق ويفـاضل، وهذه المفـارقـة تعـمل فى الجنون الذى كـان العـصـر الكلاسـيكى يعـرفـه بأنه اللاعـقل أو الإقصـاء السـالب للعقل، كمـا تعمل هذه المفـارقـة أيضاً بشكل واقعى خلال بناء وعمليـات المؤسسـات المختلفـة مثل مؤسسـات وبيـوت «الحجـز» التى عـرفـهـا القـرن الثامن عشر لعزل المصابين بالجنون بعيداً عن المجتمع .

غير أن هذا المفهوم السلبى للقوة تغيـر تمامـاً فى الأعمال المتأخرة لفوكو التى قدمت مفهومـاً جديداً يفرض الرؤية أو القول أو الفعل بشكل سـافر ولامتناه . ففى كتابه « التهذيب والعقاب : مولد السجن » Surveiller et Punir : Naissance de la Prison الذى نشر عام ١٩٧٥ نجده يقدم دراسته لتاريخ نظم السجون والكيفيـة التى ولدت بها فكرة السجن، ونظم العقوبة التى يفرضهـا القانون فرضاً على المجرمين وشاع الأخذ بها منذ أوائل القرن التاسع عشر .

ولا تخـتلف الفكرة فى جـوهرهـا أو روحـهـا عـمـا نجـده اليـوم فى المدارس والمصانع والمستشفيات من حيث إنها جميعاً تتبع أساليب معينة وإجراءات بذاتها تفـرض على التـلامـيـذ أو العـاملين أو المرضى لتـحـقـيق غـاياتهـا وأهـدافـهـا ولكنهـا أساليب وإجراءات لا تخلو من القهر والارغام .

بعـد ذلك قـدم فـوكـو كـتـابـه « تاريخ الجنس» Histoire de la sexualité وهـو مشروع ضخم فى ثلاثة أجزاء ظهر أولها عام ١٩٧٦ وثانيها عام ١٩٧٨ حيث مضى يستقصى تاريخ الاتجاهات الغربية حيال الجنس ونظرتها إليه وكيفيـة تعاملها معه منذ الإغريق القدماء وإلى العصر الحاضر .

وتكشف النظرة الفاحصـة لكل هذه المؤلفـات عن أمـرين يمكن مـلاحظتهـمـا : الأول أنها تتسم بنوع من الانتقائية الوصفية حيث يبدو أن تحليل فوكو إنما ينصب

دائمـاً على العـلاقـات التى تقـوم بين العناصـر المتغـايرة فى مـخـتلف المجـالات والميـادين سـواء مـجـال المعـرفـة أو الاقـتـصـاد أو القـانون أو العـلاقـات والتـرتيـبـات الاجتماعية ذاتها، أو حتى مـاتعلق منـهـا بالوجود الشخصى نفسه. على نحو ما نجد بصفة خاصة فى كتابه الذى نشره عام ١٩٦٩ تحت عنوان «آركيولوجيا المعرفة L' Archéologie du Savoir الذى يعـتـبـر دراسـة نظرية سـعت إلى تصنيف وترتيب وتحليل الدراسات والمعارف الجوهرية السابقة، وذلك بإعادة صياغة الظروف التى وجدت فيها العلاقات اللازمة الضرورية ما بين تلك العناصر اللامتجانسة، ليرى مـدى ما وصلت إليه المعارف والدراسـات الحديثة لنظم العقوبة مثلاً من إسبـاغ المعقولية والتجانس على ما يوجد فيها من تغايرات واختلافات .

أما الأمر الثانى الذى يمكن ملاحظته أيضاً فيتمثل فى «الغرابة» التى تتصف بها الموضوعات ذاتها التى يتخيرها فوكو لكتاباته، وهى غرابة تمتد حتى إلى العناوين ذاتها التى تصدر بها هذه الكتابات، حيث يبدو واضحاً أن المشكلة الأساسية عنده هى مشكلة القوة والحرية الفردية وأشكال القهر على المستوى الفردى والمستوى الاجتماعى معا.

ومع أن البعض لا يرتاح تماماً إلى كتابات فوكو ويراها نتاجا لعقلية «ملتوية ومراوغة» ويصفها بأنها ليست كتابات علمية بالمعنى الإصطلاحى الدقيق وأن اختياره لموضوعاته بهذه العناوين والمضامين الغريبة ليست إلا من قبيل الإثارة والرغبة فى شد الأنظار، فإن ما لا شك فيه هو أن هذه النظرة فيها كثير من التجنى لأنها تتجاهل المضمون الحقيقى الذى سعت إلى إبرازه، وهو أنه عن طريق تحليل ظاهرة القوة ومعرفة أشكالها وطبيعتها والديناميات التى فيها فإن هذه المعرفة ذاتها يمكن أن تكون بداية الطريق للتحرر من آثارها السلبية إن لم يكن ترشيد استخداماتها بما لا يهدد الحرية ويقلل من صور القهر ومظاهره سواء كان القهر من الأفراد أو من الجماعة أو من المجتمع ككل أو من الدولة التى تمثل قمة القهر وذروته. وتلك فى الحقيقة هى الرسالة التى سعى فوكو إلى أن يقولها وإلى أن يوصلها بالرغم من غرابة أدواته التى استعملها ووظفها لذلك.

• قراءات مقترحة •

- **Works** : Les Mots et les Chose (1966).

---------, L'Ordre du Discours (1972).

---------. Moi, Pierre Riviers (1973).

---------, Language, Counter Memory and Practice (1977).

• وانظر أيضا:

- Donzelet, J : La Police des Familles, 1977.
- Gordon, C.; "Other Inquisitions", in Ideology and Consciousness (Autumn) 1979.
- Williams, K.; Pauperism to Poverty. 1980.

* * *

٦٣ - فرانكفرت، هنرى

63 - FRANKFERT, Hneri

يعد عالم الاجتماع والآثار الأمريكى هنرى فرانكفرت من أهم العلماء الذين كانت لجهودهم الرائدة فضل استكمال بعض الملفات والوثائق والأثريات الموثقة عن حضارة بلاد ما بين الرافدين (ميسوبوتاميا Mesopotamia) وثقافتها وفنونها، الأمر الذى كان له أكبر الأثر فى ملء الثغرات الموجودة فى العلاقات بينها وبين حضارة مصر القديمة، وكانت له نتائجه فى إعطاء صورة أكثر تكاملاً عن هاتين الحضارتين والروابط المختلفة التى قامت بينهما .

ومن حيث الأصل فقد ولد فرانكفرت فى أمستردام عام ١٨٩٧ وإن كان قد نال بعد ذلك الجنسية الأمريكية حيث تلقى تعليمه فى جامعة شيكاغو على وجه الخصوص . ولقد كانت دراساته فى المرحلة الجامعية فى التاريخ واللغة المصرية وعلم آثار ما قبل التاريخ، وهى دراسات يمكن القول بأنها كانت متوازية مع جهوده البحثية وتنقيباته التى بدأت فى فترة مبكرة، إذ قام بالتنقيب فى مصر وبخاصة فى إقليم أبيدوس Abydos وتل العمارنة Tell el Amarna وأرمنت (١٩٢٢) ثم سافر بعدها مرتين إلى البلقان والشرق الأوسط، وكانت المرة الأولى فى نهاية عام ١٩٢٢ ثم بعد ذلك فى عام ١٩٢٥/٢٤، ولكن ليعود مرة ثانية إلى مصر حيث استمرت بحوثه وتنقيباته من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٢٩. وبعد ذلك تولى الإشراف على بعثة معهد الدراسات الشرقية التابع لجامعة شيكاغو إلى العراق والتى استغرقت الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٧ .

ولقد أسفرت هذه الرحلات والتنقلات الدائمة عن بعض الأعمال الهامة فى مقدمتها دراسات عن الفخاريات القديمة فى مناطق الشرق الأدنى Studies in Early

Pottery of the Near East . الذى ظهر فى جزءين (١٩٢٤ - ١٩٢٧) . وكذلك «الأختام الأسطوانية: مقالة موثقة عن فن وديانة الشرق الأدنى القديم Cylinder Seals : A Documentary Essay on the Art and Religion of the Ancient Near East (١٩٣٩)، وإن كان قد ظهرت له بعد ذلك بعض الأعمال الأخرى من بينها «الملكية والآلهة: دراسة فى ديانات الشرق الأدنى القديمة كعامل للتكامل بين الطبيعة والمجتمع» Kingship and the gods: A Study of Ancient Near Eastern Religions as the Integration of Soiety and Nature (١٩٤٨) وكذلك فى العام نفسه «العقيدة المصرية القديمة: تفسير » Ancient Egyptian Religion as Interpretation ثم آخر أعماله التى ظهرت قبل وفاته مباشرة «فن وعمارة الشرق القديم» The Art and Architecture of the Ancient Orient (١٩٥٤) وهى كتابات مازالت تعتبر رغم قدمها النسبى من أهم المراجع التى تلقى بالضوء على الجوانب المختلفة لتلك الحضارات التى تناولتها .

● قراءات مقترحة ●

-**Works** :The City of Akhenaten. 1934.

- Sculpture of the Third Millennium B.C. from Tell Asmar and Khafajah. 1949.

● وانظر أيضاً :

- Cottrell, L.; The Mountains of Pharoah. 1959.

- LLoyd, S.H.F.; Twin Rivers. 1976.

* * *

٦٤ - فريزر، سير جيمس جورج

64 - FRAZER, Sir James George

يمثل السير جيمس جورج فريزر علامة بارزة فى تاريخ الأنثربولوجيا لدرجة أن البعض يعتبره ممثلاً لحقبة من أهم الحقب التى تطورت فيها الدراسات الأنثربولوجية، والتى تركت تأثيراتها فى عشرات الطلاب والباحثين الذين ارتبطوا باتجاهه وباهتماماته الواسعة بالتراث الانسانى. كما يعتبره البعض الآخر خاتمة العلماء الأنثربولوجيين الكلاسيكيين الكبار الذين اشتهروا بكتاباتهم فى فولكلور الشعوب والدين المقارن .

ولقد ولد السير جيمس فريز فى أول يناير عام ١٨٥٤ فى جلاسجو Glasgow باسكوتلندة وقضى مراحل تعليمه الأولى فى إحدى أكاديميات هيلنسبرج Helensburg فى دمبارتون Dumbarton، ليلتحق بعدها فى عام ١٨٦٩ بجامعة جلاسجو، ثم بعد ذلك دخل ترينتى كوليج Trinity College بكيمبردج Cambridge عام ١٨٧٤ ليصبح زميلاً عام ١٨٧٩ . وبعذ لك عين عام ١٩٠٧ أستاذاً للأنثربولوجيا الاجتماعية بجامعة ليفربول Liverpool ولكنه سرعان ما عاد ثانية إلى كيمبردج بعد فصل دراسى واحد وبقى فى كمبريدج التى ارتبط بها اسمه حتى وفاته فى السابع من شهر مايو عام ١٩٤١ .

ويتسم فكر فريزر منذ البدايات الأولى لتكوينه العلمى بالموسوعية والاتساع والشمول . فقد درس الطبيعة والأحياء وأتقن اللغات الكلاسيكية والقديمة فكان يقرأ اليونانية واللاتينية والآرمية ويكتب بها، بالإضافة إلى دراسته للتاريخ والفنون والآداب حتى أنه قرض الشعر فى أكثر من مرحلة من مراحل حياته . ولهذا فلا يبدو غريباً أن يترك أثرا باقياً فى أجيال من المفكرين وفلاسفة التاريخ وعلماء

السياسة والاجتماع، وحتى الأدباء والشعراء على الأقل من حيث ماتثيرقراءاته فيهم من خيال ومشاعر وأفكار وأحاسيس .

وبالرغم من الانتاج العلمى الضخم الذى خلفه فريزر والذى يقدر بآلاف الصفحات، فإن شهرته ارتبطت أساساً بمؤلفه الكلاسيكى الشهير «الغصن الذهبي» الذى ظهر لأول مرة عام ١٨٩٠ تحت عنوان «الغصن الذهبى : دراسة فى السحر والدين» The Golden Bough: A Study in Magic and Religion وهو عمل ضخم فى اثنى عشر مجلداً صدرت طبعته الجديدة فيما بين ١٩٠٧، ١٩١٥، ثم قام هو نفسه بتلخيصه فى جزء واحد ظهر عام ١٩٢٢. أما أعماله الأخرى فمن الصعب حصرها فى هذا النطاق لأن مجرد ذكرها قد يستغرق بضع صفحات ولهذا نكتفى بالاشارة إلى ما يعتبر أهمها حيث ظهر كتابة «التوتمية والأكسوجامية» Totemism and Exogamy عام ١٩١٠ و« الفلكلور فى العهد القديم » Folklore in The Old Testment فى ١٩١٨ . وقد تناول فريزر فى الكتاب الأول أصل التوتمية وارتباطها بفكرة التابو Taboo وبالتالى أفكار القداسة والتحريمات والقواعد الخاصة بكل هذه النواحى لينتهى إلى تأكيد أن التوتمية ظاهرة نصف دينية كما أنها ظاهرة نصف اجتماعية، وإن كان الملاحظ مع ذلك أنه لم ينته فى هذه الدراسة إلى صياغة نهائية متكاملة . أما كتابه «الفلكلور فى العهد القديم » وهو بدوره عمل ضخم فقد جاء فى ثلاثة أجزاء قسمها إلى أربعة أبواب تناول فيها عصور الحياة الأولى وعصر الآباء والشيوخ وعصر الملوك وعصر القضاة والملوك، وذلك من خلال تفسيره لبعض أساطير الشعب العبرى ومناقشة بعض معتقداته وأنماط سلوكه فى المراحل المختلفة لتاريخهم القديم.

ولأنه عاش فى القرن التاسع عشر الذى سيطرت عليه الأفكار والاتجاهات التطورية فقد كان طبيعياً أن يكون فريزر من أنصار هذه الاتجاهات إن لم يكن، كما يرى البعض، على رأس المدرسة التطورية التى سعت إلى دراسة المجتمع البدائى والإنسان البدائى، وإن كان قد استخدم فى دراساته المنهج المقارن الذى يعتمدعلى جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات من أنحاء مختلفة من العالم، وهى معلومات كان

يستقيها بالدرجة الأولى من قراءاته الواسعة ومن كتابات الرحالة والمبشرين دون الاعتماد أو القيام بأية دراسة حقلية مما جعله يلجأ دائماً إلى الظن والتخمين .

والمقولة الأساسية فى كتاب الغصن الذهبى التى دار الكتاب بأكمله من حولها كانت نظريته عن التطور العام لأنماط التفكير، ونظراً لأنه كان يرى أن أية محاولة لفهم نتاج الحضارات الإنسانية، لابد أن تبدأ من العناصر البسيطة إلى العناصر الأكثر تشابكاً وتعقيداً، وذلك نزولاً على الفهم العام للاتجاه التطوري، فقد وجد أنه لابد من التركيز على بحث حياة الإنسان البدائى والعمل على فهم سلوكه، ومن هنا أخذت تتضح معالم نظريته فى التطور التى تقول بأن تفكير الإنسان مر أولاً بالمرحلة السحرية Magical إلى المرحلة الدينية Religious ثم المرحلة الأخيرة وهى المرحلة العلمية Scientific .

وبالرغم من أن هذا الطابع التطورى للتفكير لم يعد مقبولاً اليوم بوجه عام، إلا أن ذلك مكنه من إقامة نظرية خاصة عن السحر والدين، وعن صلة كل منهما بالمنطق وبالعلم وهى نظرية أثارت الكثير من الجدل والنقاش اللذين ما زالت أصداءهما تتردد إلى اليوم، وبخاصة فيما يتعلق بما ذهب إليه من أسبقية السحر على الدين، وأن المجتمعات الإنسانية قد مرت بمرحلة لم تكن تعرف فيها سوى السحر، ثم نشأت الأفكار الدينية بعد ذلك عندما عجز الإنسان بوسائله السحرية عن تحقيق أغراضه.

ويقصد فريزر بالسحر محاولة الإنسان التحكم فى الطبيعة والسيطرة عليها عن طريق ممارسة بعض الأفعال والطقوس للتأثير فى مظاهر الأشياء. وكان ذلك بمثابة مدخل لتمييزه بين السحر التشابهى والسحر التواصلى على أساس قاعدتين أساسيتين هما أن الشبيه ينتج الشبيه وأن معلولا ما يشبه علته. بينما الدين محاولة للاستعانة بالقوى الروحية والكائنات الفائقة للطبيعة مما يعنى أن الإنسان قد انتقل من مرحلة التأثير على القوى الطبييعة بشكل مباشر عن طريق الوسائل السحرية إلى التأثير فيها بشكل غير مباشر عن طريق موجودات أعلى وأسمى وقوى خارقة غير ملموسة.

وبصرف النظر عن الانتقادات العنيفة التى وجهها العلماء لنظرية فريزر فى السحر والدين وفى مقدمتهم مارسيل موس Mauss وماريت Marett وجورج جيرفيتش Gurvitch وكلهم أجمعوا على رفض موقف فريزر القائل بأسبقية السحر على الدين، بالإضافة إلى انتقادهم للخلط الذى يسم كتاباته بين الظواهر الدينية والظواهر العلمية، وبالتالى عدم التفرقة بشكل واضح بين ما هو سحر وما هو علم فى ضوء معايير محددة ومعقولة، إلا أنه يصعب إنكار أن تناول فريزر لهذا الموضوع قد مكنه من إقامة مركب استطاع أن يعقد من خلاله الكثير من المقارنات بين المادة الهائلة التى توافرت لديه عن الممارسات الدينية والسحرية، ربما بشكل لم يتحقق لأى عالم انثربولوجى آخر. بالإضافة إلى أنه فتح بذلك الباب واسعا أمام أجيال من الأنثربولوجيين وعلماء الاجتماع للكتابة فى موضوع أصبح من أمتع الموضوعات وفى الوقت نفسه من أكثرها تشابكا وتعقيدا.

وأيا ما كان الأمر فقد نجح كتاب «الغصن الذهبى» فى لفت الأنظار إلى المركب من الكهنوتية إلى المقدس وربط المقدس بالأرض على ما يظهر فى نظام الملكية المقدسة أو الإلهية Divine Kingship الذى كان محور كتابه فى ضوء ما استقاه من معلومات من القارة الأفريقية وغيرها، وأيضا ملاحظته لسيطرة الطقوس السحرية على عقائد البدائيين وعلى مختلف مظاهر الفولكلور السائدة فى المجتمعات البدائية، ذلك فى الوقت الذى مهدت أفكاره لقيام العديد من الدراسات التى هدفت إلى التحقق من صدق فرضياته التى كان يضعها مسبقا، وأيضا ما انتهى إليه من نتائج فى ضوء المعلومات الاثنوجرافية الميدانية بدلا من الاعتماد كلية على ما يتناقله الكتاب أو رجال الإدارة والبعثات التبشيرية من معارف ومعلومات تترك مجالا فسيحا للوقوع فى أخطاء الظن والتخمين. مادام هو لايردها إلى ما يفسرها فى ضوء سياقاتها الاجتماعية والوقائع الاجتماعية الكلية. وهذا فيما يرى البعض هو ما يمثل أخطر ما وجه إلى كتابات السير جميس فريزر من انتقادات.

● قراءات مقترحة:

- Downie, Robert Angus; James George Frazer. 1940.

------------; Frazer and The Golden Bough. 1970.

- Geertz, C.; Myth, Symbol and Culture. (ed.) 1974.

- Malinowski, B.; A Scientific Theory of Culture, and Other Essays. 1969.

* * *

٦٥ - فرازيير إدوارد فرانكلين

65 - FRAZIER, Edward Franklin

بأكثر من معيار يعتبر مؤرخو الفكر الاجتماعي عالم الاجتماع الأمريكى إدوارد فرانكلين فرازيير أشهر من كتب عن تاريخ الزنوج والعائلة السوداء حتى الآن. فقد نجحت أعماله وكتاباته عن السود والبرجوازية السوداء ووضعيات السود عموما فى مختلف المجالات والإدارات والمواقع فى إلقاء الكثير من الأضواء على طبيعة المشكلات التى يعيشونها فى الولايات المتحدة الأمريكية والتى مازالت معظمها تبحث عن حلول لها.

ولقد ولد فرازيير لأبوين زنجيين فى بلتيمور Baltimore عام ١٨٩٤. وحصل على درجته العلمية الأولى من جامعة هوارد Howard عام ١٩١٦ وعلى درجة الماجستير فى علم الاجتماع من جامعة كلارك Clark عام ١٩٣٠. وكانت دراساته فى مرحلة الليسانس عن السود سببا فى حصوله على منحة دراسية من مدرسة نيويورك للخدمة الاجتماعية New York School of Social Work فى الفترة من عام ٢٠ إلى ١٩٢١، وهى منحة تبعتها منحة أخرى من إحدى المؤسسات الإسكندنافية الأمريكية إلى الدينمرك ليدرس نظم التعليم والحركة التعاونية Cooperative Movement وقد استغرقت هذه المنحة بدورها العامين ٢١ و ١٩٢٢.

وتعتبر السنوات من ١٩٢٢ إلى ١٩٢٤ نقطة تحول ملموس فى حياة فرازيير ذلك أنه خلال هذه الفترة اضطلع أثناء قيامه بتدريس علم الاجتماع بكلية مورهاوس Morehouse (أتلانتا) بمسئولية إدارة مدرسة جامعة أتلانتا للخدمة الاجتماعية، حيث ركز جهوده فى الدعوة لقبول التحاق السود بالمدرسة. ومع أن جهوده قد كتب لها النجاح بعد ذلك بسنوات، إلا أنه اضطر إلى مغادرة أتلانتا

بسبب إقدامه على نشر مؤلفه «باثولوجيا التمييز والحقد العنصرى» The Pathology of Race Prejudice عام ١٩٢٧ فى مجلة فورم Forum. وإن كان هذا العام قد شهد - من ناحية أخرى - جانبا من حظه السعيد عندما حصل على منحة أخرى جديدة من جامعة شيكاغو حيث نال درجة الدكتوراه عن رسالته عن العائلة السوداء فى شيكاغو The Negro Family in Chicago. وهى الرسالة التى أقدم على نشرها عام ١٩٣٢ وكانت سببا فى أن أخذت الجامعة تنتبه إلى أعماله التى تهتم اهتماما خاصا بتناول العائلة السوداء ودراسة ظروفها، فقدمت له من ثم منحة جديدة من مجلس البحوث فى العلوم الاجتماعية كى يقوم بدراسة شاملة عن العائلة السوداء فى الولايات المتحدة الأمريكية.

ولقد أسفرت هذه المنحة عن واحد من أهم مؤلفاته. ففى أثناء عمله أستاذا بجامعة فيسك Fisk فى الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٤، ثم بعد ذلك وهو يعمل أستاذا ورئيسا لقسم الاجتماع بجامعة شيكاغو بداية من ١٩٣٤ نجده ينكب على تأليف كتابه «العائلة السوداء فى الولايات المتحدة الأمريكية» The Negro Family in The United States of America وهو الكتاب الذى نشر فى ١٩٣٩ ويعتبره الكثيرون أهم كتاب عن تاريخ وسوسيولوجية العائلة السوداء ظهر حتى السبعينات من القرن. ولا يرجع ذلك إلى مجرد أنه يكشف عن السمات والخصائص المميزة لهذه العائلة بطريقة وصفية بالغة الدقة وبلغة فى غاية الوضوح، ولكن لأن استعراض العائلة السوداء يعطينا فكرة عن تاريخ السود فى أمريكا عموما وطبيعة الظروف القاسية التى عاشوها وصنوف الضغوط والمعاملة السيئة التى تعرضوا لها منذ أن أخذت فى (استجلابهم) من مواطنهم الأصلية.

فى عام ١٩٤٠ ظهر كتابه الهام الثالث وهو «شباب النجرو فى مفترق الطرق» Negro Youth in the Cross Way حيث ظهرت فى هذا الكتاب ملامح منهجه الخاص فى البحث الاجتماعى الذى اعتمد فيه على المنهج الإحصائى الذى يزاوج بينه وبين الملاحظة الدقيقة إن لم يكن المعايشة أيضا كمنهج الأنثربولوجيين وطريقتهم.

بعد ذلك أصبح فرازيير رئيسا لإدارة العلوم الاجتماعية التطبيقية فى

اليونسكو UNESCO وذلك فى الفترة من ٥١ إلى ٥٣ وهى فترة وضح خلالها مدى اهتمامه بمشكلات التوتر والتغير الاجتماعيين، وجدوى المشروعات التى تستهدف التقليل من حدة آثارهما السلبية والسيئة. وفى هذا الاتجاه نجده يدرس الطرق التى يمكن أن تؤدى إلى مزيد من الفهم المتبادل بين الثقافات والأجناس والشعوب، وهو هدف مثل الاطار العام لمحاضراته التى أخذ يلقيها فى جامعة لندن والتى اتسمت بالمازجة بين هذا الاتجاه التطبيقى والنظرية الاجتماعية الأمر الذى أسفر عن تأليفه لكتاب «البناء النظرى لعلم الاجتماع والبحث الاجتماعى» Theoritical Structure of Sociology and Sociological Research. الذى ظهر عام ١٩٥٣.

ومن الطريف أنه فى هذا العام (١٩٥٣) تكللت جهود فرازيير بالنجاح حيث أخذت مؤسسة فورد Ford Foundation على عاتقها إنشاء قسم للدراسات الأفريقية فى هوارد Howard، وهو ما ساعده على أن يفرغ من تأليف كتابه الهام «الروابط الثقافية والعنصرية فى العالم الحديث» Race and Cultural Contacts in Modern World الذى ظهر عام ١٩٥٧. ولذا فليس غريبا أبدا أن تنتخبة الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع The American Sociological Society رئيسا لها، وأن تمنحه جائزة ماكيفر MacIver تقديرا له وعرفانا.

● قراءات مقترحة ●

Works :Black Bourgeoisie. 1957.

● وانظر أيضا:

- Odum, Howard W., American Sociology: The Story of Sociology in The United States Through 1950. 1958.

* * *

٦٦- فروم، إيريك
66 - FROMM, Erich

على مدى حياته الطويلة كان إيريك فروم كاتبا منتجا. كما ظل تدريبه الأساسى ودراسته المبكرة فى الاجتماع وعلم النفس يمارسان تأثيرا قويا على كتاباته، فهو فيلسوف اجتماعى وواحد من علماء النفس التحليليين الذين ارتادوا قضايا ومشكلات التفاعل بين المجتمع وعلم النفس، وسعوا إلى الربط بين أفكار كارل ماركس وسيجموند فرويد، ويدعو إلى أن أفكار التحليل النفسى ومبادئه من الممكن تطبيقها فى دراسة الأفراد والمجتمعات كما أنه يمكن الإفادة من أفكار ماركس ومن آراء فرويد دون أن يتبع الباحث أيا منهما بالضرورة.

ولقد ولد إيريك فروم فى فرانكفورت Frankfurt فى الثالث والعشرين من شهر مارس عام ١٩٠٠. ودرس علم النفس وعلم الاجتماع فى جامعات فرانكفورت وميونيخ Munich وهيدلبرج Heidelbery، وبعد أن حصل على الدكتوراه من جامعة هيدلبرج عام ١٩٢٢ أخذ برنامجا تدريبيا مكثفا فى التحليل النفسى Psychoanalysis فى معهد برلين للتحليل النفسى. وبدأ بالفعل يعمل فى هذا المجال كواحد من تلامذة سيجموند فرويد، وإن كان سرعان ما اتخذ موقفا معارضا من آراء الأستاذ فيما يتعلق بنظريته فى الدوافع اللاشعورية واللاوعى، وهى النظرية التى لا تعتبر كثيرا أهمية العوامل الاجتماعية فى النفس البشرية. فالشخصية الفردية بالنسبة إلى فروم هى نتاج لثقافته مثلما هى نتاج لتكوينه البيولوجى.

فى عام ١٩٣٣ ترك فروم ألمانيا النازية إلى الولايات المتحدة الأمريكية متسلحا بسمعته فى التحليل النفسى، حيث التحق فى بادئ الأمر بمعهد شيكاغو للتحليل النفسى Chicago Psychoanalytic ولكن ليتحرك بعد ذلك إلى نيويورك حيث

بدأ يعانى من سلسلة من الصراعات والإحباطات من جراء ما كان يشعره من سيطرة النزعة البيروقراطية والاتجاهات التقليدية التى تسود حركة التحليل النفسى فى الولايات المتحدة الأمريكية، وهى تتمسك بحرفية فرويد، فأقدم فى عام ١٩٤٢ على تأسيس معهد وليام ألينسون وايت للطب النفسى William Alanson White Institute of Psychiatry وذلك بالاشتراك مع كلارا تومبسون Thompson وهارى ستاك سوليفان Sullivan بعدما أصبحت مواقفه ووجهات نظره منذ أن التحق بجامعة كولمبيا وعلى مدى الفترة من ١٩٣٤ إلى ١٩٤١ مثار مناقشات حادة وخلافات مستمرة، وهو يسعى إلى إبراز الروابط بين فكر كارل ماركس وسيجموند فرويد وإبراز أهمية العوامل الاجتماعية دون التركيز فقط على النزعات والغرائز، وإن لم يكن معنى هذا إنكاره لأهميتها. وأيضا بسبب مواقفه التى كان يعلن عنها من الشيوعية والرأسمالية ورفضه للمذهبين معا لأنهما يحيلان الإنسان إلى تروس وآلات.

والحقيقة أن إيريك فروم كان على مدى حياته العملية كاتبا لا يتعب أو يتوقف عن الكتابة التى كان يبدو فيها بوضوح أثر تدريبه الاجتماعى المبكر. وبالرغم من أنه أصبح عضوا بمجلس إدارة مكتبة بنينجتون Bennington فى فيرمونت Vermont عام ١٩٤١، فإن نشر كتابه «الهروب من الحرية» Escape From Freedom فى ذلك العام جعل اسمه معروفا على نطاق واسع لقراء الإنجليزية.

فى هذا الكتاب الذى اشتهر فى بريطانيا باسم «الخوف من الحرية» The Fear of Freedom والذى يرى الكثيرون أنه أول أعماله الهامة، استعرض فروم المظاهر التى تطورت فيها الحرية منذ العصور الوسطى إلى العصر الحديث، كما استخدم أساليب التحليل النفسى وتكنيكاته لتحليل وفهم ميل الإنسان المعاصر إلى الهرب من كل مظاهر الحياة الحديثة التى أصبحت تثقل كاهله إلى الدرجة التى تهدد شعوره بالأمن والاستقرار. ويرى فروم أنه بسبب هذا الإحساس ينخرط الإنسان فى الحركات الشمولية ويلجأ إلى العنف كوسيلة للتعبير عن ذاته ولتأكيد وجوده فى مواجهة إحساسه بالتيه والضياع كما نرى فى الحركات النازية والفاشية عموما

وهو ما عاد إلى تأكيده مرة ثانية فى كتاباته اللاحقة، وبخاصة كتابه «الإنسان لنفسه» Man For Himself (١٩٤٨)، و«علم النفس التحليلى والدين» Psychoanalysis and Religion (١٩٥١)، حيث مضى يؤكد فى هذين الكتابين على أن التاريخ الإنسانى عبارة عن سلسلة متصلة الحلقات من الصراع والنضال، لأن كل خطوة نحو تحقيق فردية وحرية الفرد كانت تهدد دائما أمن وحرية الآخرين. وبذا يمكن القول بأن هذه الكتابات إنما هى دراسة للشخصية الاجتماعية وهو مصطلح عام قصد به فروم البناء الشائع لشخصية أفراد الجماعات الاجتماعية والطبقة الاجتماعية كذلك، أو هى بتعبير آخر جهد لتحرير الشخصية من أوهام «الهو» Id واللاشعور Uncosciousness.

فى عام ١٩٥١ أيضا عين إيريك فروم أستاذا للتحليل النفسى بجامعة أوتونوموس القومية بالمكسيك، ثم بعد ذلك أستاذا بجامعة ولاية ميتشجان Michigan State (٥٧ - ٦١) ولكن ليعود من جديد إلى جامعة نيويورك كأستاذ للطب النفسى Psychiatry.

ومع أنه نشر فى عام ١٩٥٢ كتابه «اللغة المنسية» The Forgotton Language الذى يعتبر ارتيادا للرمزية Symbolism فى الأحلام والأساطير والخرافات وحكايا الجنيات، فإن الشىء الهام هنا هو انتقاده الحاد لنظريات فرويد ويونج Jung فى الأحلام، واتهامه هذه النظريات بأنها أحادية الرؤية والتفسير، وهو يؤكد بذلك وجهة نظره الخاصة التى تذهب إلى أن اللغة الرمزية Symbolic Language هى اللغة الإنسانية العامة الوحيدة التى لم يكتشف الجنس البشرى أو يطور سواها.

ولقد توالت بعد ذلك كتابات فروم التى سعت إلى إعطاء صورة تعتبر من أكمل صور التحليل السيكولوجى للتفاعل الاجتماعى. ففى عام ١٩٥٥ صدر ربما أهم كتبه وأكثرها انتشارا بعد كتابه السابق «الهروب من الحرية» وهو كتاب «المجتمع العاقل» The Sane Society وأتبعه فى عام ١٩٥٦ بكتابه «فن الحب» The Art of Loving.

وإذا كان فروم قد قرر من قبل قضيته الأساسية بصدد اغتراب الإنسان فى المجتمع الحديث، فقد عاد فى «المجتمع العاقل» يؤكد على القضية ذاتها وعلى حقيقة أن الإنسان قد أصبح موجها توجها استهلاكيا وأنه لم يعد سيد نفسه أو

أنه مركز حركة العالم، ويثير فى ذلك مختلف القضايا التى تثقل على المجتمع الأمريكى وفى مقدمتها قضية الأخلاق الاجتماعية وقضية الانتماء وقضية العدالة والمساواة؛ ليخلص من ذلك كله إلى ضرورة تعميق مشاعر الانتماء إلى الجماعة وتقوية الروابط الاجتماعية مع الآخرين؛ ليتحقق بذلك قدر من التوازن بين الفرد والمجتمع وهى قضية لم تسلم على أية حال من انتقادات البعض ممن ذهبوا إلى أن الجماعة كثيرا ما تمارس على الفرد من الضغوط ما يذهب بحريته ويعصف بكيانه، وخصوصا عندما تصطدم الواجبات الاجتماعية بعواطف الفرد وبمشاعره الحقيقية. فالأغلب أن يضحى الفرد بهذه العواطف والمشاعر خشية رد فعل الجماعة مما يجعل الإنسان فى آخر الأمر كائنا سلبيا أبعد ما يكون عن المشاركة الحقيقية مادام خاضعا إلى هذا الحد لنظام لم يشارك أبدا فى صنعه.

إن نظرة فروم للمجتمع تتمثل فى أنه كيان يرتبط فيه الإنسان بغيره برابطة الحب ومشاعر المودة والتعاطف المتأصلة فى أعماقه أكثر من مجرد العيش فوق أرض واحدة. ولما كان يعتبر العوامل السيكولوجية قوى نشطة تعمل فى قلب العملية الاجتماعية فقد اختزل هذه العملية الاجتماعية فى مقولتين: الأولى الحاجة إلى مزيد من الحب وإلى مزيد من التفاعل مع الآخرين، والثانية الحاجة أيضا إلى قدر مناسب من الحرية والاستقلالية. ففى رأيه أن مثل هذه الحاجات لا تعتبر متأصلة فحسب فى العملية الاجتماعية ولكنها من ذات حرية الإنسان ووجوده الحقيقى، ومن ثم يصير من الواجب العمل على تعميق الفهم بضرورة مجتمع جديد يكون أكثر اكتمالا إذ يسمح لكل فرد أن يشبع احتياجاته الفردية فى إطار من تقديره لذاته وحبه للآخرين.

ولقد كانت كتابات إيريك فروم الذكية عن الطبيعة البشرية وعن الأخلاق والحب والحرية كافية لأن تجذب اهتمام علماء الاجتماع والنفس والأخلاق على السواء. وإذا كان قد انتهى إلى أن فهم الحاجات الإنسانية الأساسية مسألة ضرورية لفهم المجتمع وفهم الجنس البشرى نفسه، فيكون معنى ذلك أن المجتمع الصحيح هو إذن ذلك الذى يعطى للإنسان إحساسا بقيمته ومكانته.

ومع أنه كان يدرك تماما أن الأنساق والنظم الاجتماعية تجعل من الصعب أو حتى من المستحيل إرضاء الحاجات المختلفة وإشباعها فى وقت واحد وبقدر متساو مما يخلق التوترات والصراعات الفردية والاجتماعية معا، فلابد إذن من تعميق الفهم بدور العوامل الاجتماعية فى دعم الشخصية وتنميتها.

ولقد تبلورت جهوده العلمية طوال الستينات والسبعينات من حول هذه المهمة بالذات على ما يظهر من كتاباته التى تلاحقت خلال هذه الفترة حتى وفاته عام ١٩٨٠. ففى عام ١٩٦١ ظهر كتابه «ترى هل سيبقى الإنسان؟» May Man Prevail الذى قدمه بالاشتراك مع سوزوكى Suzuki ودو مارتينو De Martino . ومن بعده كتابه «وراء سلاسل الوهم» Beyond the Chains of Illusion فى ١٩٦٢، و«عطية المسيح ومقالات أخرى فى الدين وعلم النفس والثقافة» The Dogma of Christ and Other Essays in Religion, Psychology and Culture و«ثورة الأمل» The Revolution of Hope فى ١٩٦٨، و«أزمة التحليل النفسى» The Crisis of Psyhoanlysis عام ١٩٧٠، و«تشريح طاقة البشر التدميرية» The Anatomy of Human Destructivness فى ١٩٧٣، الذى كان بمثابة دراسة جادة مطولة للعوامل الاجتماعية والشخصية التى تؤدى إلى إبراز الظواهر السادية عموما من خلال تحليل الظروف الخاصة والعامة التى أحاطت بشخصيات هتلر وهيملر Himmler وستالين Stalin. وأخيرا كتابه الذى أصدره قبل وفاته بعامين اثنين بعنوان «أن نملك أو أن نكون» To Have or to Be فى عام ١٩٧٨. وكما يؤكد مؤرخو الفكر الاجتماعى أن أهمية إيريك فروم كانت ذات شقين، أحدهما أنه كان من أوائل علماء التحليل النفسى الذين أوضحوا أن أفكار هذا الاتجاه من الممكن تطبيقها والاستفادة منها فى فهم المجتمع والإنسان معا. والثانى أنه على مدى حياته كلها كان واحدا من أكبر المشايعين للنزعة الإنسانية والمنادين بضرورة أن تعمق روابط الحب وأواصره. بل إنه لم يفقد أبدا إيمانه بأن الإنسان قادر على أن يخلق - بالرغم من كل شىء - مجتمعا يجد فيه إشباعا حقيقيا لاحتياجاته الإنسانية. مجتمع يتمركز حول الإنسان لا حول «الأشياء».

• قراءات مقترحة •

Works: Social Character in a Mexican Village. 1970.

• وانظر أيضا:

- Evans, Richard I., Dialogue With Erich: Fromm. 1960.
- Hausdorff, Don; Erich Fromm. 1972.
- Landis, Bernard, and Tauber, Edwards., eds., In the Name of Life : Essays in Honor of Erich Fromm.1979.

* * *

قائمة الأعلام والترتيب الرقمى **

(* *) للتسهيل على القارئ يلاحظ أن الأرقام بالبنط الأسود المعطاة للأعلام تشير إلى ترتيبها فى الكتاب وليس إلى صفحات الكتاب. وهى من هنا بمثابة رقم للمدخل فحسب.

كما تشير الحروف الكبيرة إلى الأعلام فى هذا الجزء الأول، بينما تشير العلامة (*) إلى الأعلام التى سيأتى ذكرها فى الأجزاء التالية. وفى كل الأحوال تكون الأسماء بالبنط الأسود الكبير، أما بقية الأسماء التى يجىء دكرها فى داخل هذا الترتيب الرقمى فهى بالبنط العادى.

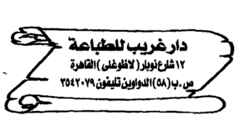
رقم المدخل

رقم المدخل

رقم المدخل

رقم المدخل

* * *



دار غريب للطباعة
١٢ شارع نوبار (لاظوغلى) القاهرة
ص.ب (٥٨) الدواوين تليفون ٣٥٤٢٠٧٩

أعلام الفكر الاجتماعى

والأنثربولوجي الغربي المعاصر

تأليف

د. محمود أبو زيد



الجزء الثانى

G - N

أعلام الفكر الاجتماعي والأنثربولوجى الغربي المعاصر

الدكتور/ محمود أبو زيد

(الجزء الثانى)

G - N



الـكـتـاب : أعلام الفكر الاجتماعي والأنثربولوجي الغربي المعاصر «جـ٢»
المؤلـف : د. محمود أبو زيد
رقم الإيداع : ١٤٧٩٤
تاريخ النشر : ٢٠٠٧
الترقيم الدولي : I. S. B. N. 977 - 215 - 372 - 6

الـنـاشـر : دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
شركة ذات مسئولية محدودة
الإدارة والمطابع : ١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
ت : ٧٩٤٢٠٧٩ فاكس ١٩٥٤٣٢٤
الـتـوزيـع : دار غريب ٣،١ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
ت ٥٩٠٢١٠٧ - ٥٩١٧٩٥٩
إدارة التسويق والمعرض الدائم : ١٢٨ شارع مصطفى النحاس مدينة نصر - الدور الأول
ت ٢٧٣٨١٤٢ - ٢٧٣٨١٤٣
البريد الإلكتروني : DarGhareeb@hotmail.com

محتويات الكتاب

تصدير

هذا هو الجزء الثانى من «أعلام الفكر الاجتماعى والأنثربولوجى الغربى المعاصر» الذى نحاول فيه الاقتراب ممن نعتقد أنه من الضرورى على الباحثين فى علم الاجتماع وفى الأنثربولوجيا أن يتعرفوا على ما يشتمل عليه من أعلام كان - ولايزال- لهم دورهم المؤثر فى مسيرة وتطور هذين النسقين العلميين، وبذلك يتكامل هذا الجزء مع ما سبق أن عرضنا له فى الجزء الأول من الكتاب وصولا إلى الجزء الثالث الذى آثرنا أن تكتمل به خطة الكتاب ككل بتناولنا لما تبقى - بعد هذا الجزء الثانى - من أعلام وأسماء.

ولقد سبق أن قلنا فى تصديرنا للجزء الأول أنه ليس المقصود بهذا الكتاب أن يكون مجرد وصف أو تأريخ للأعلام الذين نعرض لهم بقدر ما هو (الكتاب) محاولة لمناقشة ما نعتقد أنه أهم ما انطوت عليه كتاباتهم من مبادئ وأفكار ونظريات، ولست أظن أن شيئا من هذا المنهج قد طرأ عليه ما يغيره أو يحيد به عما كان وسرنا عليه من قبل سواء من حيث اختيارنا للأعلام ذاتهم أو من حيث تحديدنا للإطار الزمنى الذى ينتمى إليه هؤلاء الأعلام أو حتى الإطار المكانى باعتبار أن القصد هو أن يدور الكتاب حول الفكر الاجتماعى والأنثربولوجى الغربى ومفكرى هذين العلمين بالذات وعلى وجه التحديد.

ولكن من المهم مع تلك الإشارة إلى أن هذا الجزء الثانى قد سعى - باعتباره واسطة العقد - إلى أن يحقق قدرًا من التوازن الكمى بين الأجزاء الثلاثة التى أرجو أن يحتويها الكتاب ككل. وهذه فى الواقع مسألة من الصعوبة بمكان نظرا لأنها أملت الخضوع لكثير من الضرورات كما دفعت إلى الكثير أيضا من البدائل والأولويات. فلم يكن من المقبول أبدا أن يجىء كتاب الأعلام فى جزء واحد فحسب نظرا للعدد

الضخم من الأعلام والمفكرين مما يجعل أى كتاب ينوء بحمله حجما وانتاجا وإخراجا، الأمر الذى ضاعف فى الحقيقة من مشكلة تخير الأعلام من نكتُب عنه ومن نُسقط من حسابنا حتى تتوازن الأجزاء بقدر الإمكان. وإن كان هذا لا يعنى التقليل من أهمية الذين لم نعرض لهم أو إنكارا لعطائهم ودورهم، ودون أن يكون ذلك أيضا على حساب الغاية النهائية التى يسعى الكتاب إلى تحقيقها وهى إلقاء المزيد من الضوء على جانب من أهم جوانب الفكر الغربى المعاصر الذى يهتم بدراسة وفهم المجتمع والثقافة كيما نكون أقدر على فهم المجتمع الكبير من حولنا حتى نكون أقدر على التعامل مع مشكلات المجتمع ومشكلات الثقافة فى عصر يتسارع إيقاع تغير كل ما فيه.

والله ولى التوفيق

محمود أبو زيد

مصر الجديدة

في مايو ٢٠٠٦

G

GADAMER, HANS GEORG — جادامر، هانز جورج (١٩٠٠ -

يعتبر واحدا من أشهر الفلاسفة والمفكرين الذين يمارسون نفوذًا وتأثيرًا بالغين على كل الفكر الأوربى هذه الأيام فهو بلا شك رائد مدرسة التأويل المعاصر Hermeneutics (الهرمنطيقا) متأثرًا فى اتجاهاته تأثرا كبيرا بالنزعة الفلسفية الفينومينولوجية Phenomenology التى يمثلها مارتن هيدجر Heidégger (١٨٨٩ - ١٩٧٦) الذى ارتبط به ارتباطا وثيقا كان له أثره فى تكوينه الشخصى والفكرى على السواء.

ولد جادامر فى عام ١٩٠٠ بألمانيا وتلقى تعليمه فى جامعة ميونيخ Munich وجامعة ماربورج Marburg حيث تتلمذ على أيدى مارتن هيدجر الذى أصبح صديقا مقربا له، ولهذا فلم يكن غريبا أن شغل منصب أستاذ الفلسفة فى ماربورج وأيضا فى ليبزيج Leipzig وفرانكفورت Frankfurt وهايدلبرج Heidelberg وكلها من كبريات الجامعات الألمانية.

ولقد اهتم جادامر منذ وقت مبكر بقضية التحليل التأويلى التفسيرى ومشكلاته ولذا ركز كل جهده فى عرض ومناقشة الأفكار حول التأويلية التى كان يعتبرها عملية خلاقة وليست عملية سلبية إذ أنها تقوم فى قلب التقاليد والأعراف والعقائد وكل ميراث الفرد الذى يقوم بعملية التأويل حيث أن الهرمنطيقا تهتم أساسا بشكل ومضمون موضوع التفسير سواء أكان فعلا أو نصا أو موقفا اجتماعيا.

ويعتبر كتابه (الحقيقة والمنهج) Wahrheit and Methode الذى صدر فى عام ١٩٦٠ (ترجم فى ١٩٧٥ إلى الانجليزية تحت عنوان Truth and Method) من وجهة نظر كثير من النقاد والباحثين أهم كتاباته وإسهامه الرئيسى الذى سعى فيه إلى إبراز موقفه وأفكاره عن الهرمنطيقا (نظرية التأويل / التفسير).

وهناك مسلمة أساسية تظهر بوضوح عند جادامر فهو كفيلسوف هرمنطيقى يرى أن هناك علاقة جذرية ومتداخلة فى أى موقف من المواقف (النص) بين الكل والأجزاء التى يتكون منها هذا الكل ومن ثم فيصير من الصعب جدا فهم أو معرفة أى جانب دون معرفة الجوانب الأخرى.

وفى ضوء هذه المسلمة يسير جادامر فى كتاب «الحقيقة والمنهج» خطوة أبعد. فالهرمنطيقا تمثل عنده نسقا فكريا يضمن التوصل (فى رأيه) إلى الحقيقة. وهذا معناه أن الحقيقة تتلازم مع الوجود بوصفها جزءًا منه على ما ذهبت إليه الفينومينولوجيا الوجودية وهو الأمر الذى اعتبره غير صحيح تماما وأنه يمثل أحد الأخطاء الأساسية فى الفينومينولوجيا الوجودية التى تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر. وعلى الرغم من أنه قد سعى إلى ذلك من خلال عملية جدلية طويلة فإن معالجته ظلت بعد ذلك معالجة ناقصة لأنها فشلت فى اعطاء تفسير مقنع للهرمنطيقا.

وبالرغم من ذلك فهناك بعض الأمور اللافتة التى قد تساعد فى إلقاء مزيد من الضوء على فكر جادامر أهمها ما يثار بصدد قضية الفهم ذاتها التى تعتبر قضية محورية فى تفكيره. فالفهم عنده ليس مجرد أمر ذاتى يتسم بالتلقائية أو الآلية والميكانيكية ولكنه ينطوى على مستويات عدة يتداخل فيها الماضى والحاضر بصفة دائمة وهو بهذه الطريقة يختلف تماما عن تفسير الوقائع التى تنتمى إلى عالم الطبيعة ذلك أنه يتطلب إقامة نوع من الحوار والغوص أو الولوج إلى الفعل ذاته أو النص للتعرف عليه من الداخل حتى لو كان ذلك لا يتم إلا عبر التنقل خلال الأزمنة المختلفة.

وليس من شك فى أن الفهم على هذا النحو يمثل رحلة طويلة وشاقة وربما كان إدراكه لهذه الوضعية هو السبب فى القول بمفهومه عن عمومية الهرمنطيقا Universality of Hermeneutics الذى يعتبر بدوره مفهوما محوريا فى نظريته.

ولكن هذا المفهوم كان سببا فى قيام نقاش طويل وبصفة خاصة بينه وبين يورجن هابرماس Habermas نتج عنه إثارة العديد من القضايا التى طالما تحدث عنها فلاسفة التنوير والتى كانت تتردد فى كل مناقشاتهم التى غالبا ما كانت تدور حول الأيديولوجيا. وعلى أية حال فقد كان ثمة خلاف فارق بين موقفيهما. فجادامر – من ناحية – يوحد الهرمنطيقا بكل انعكاسات التراث بكل ما يتضمنه من تقاليد ومثل وقيم وأخلاقيات.. إلخ. ولهذا فقد اعتبر هذا التراث بمثابة المنبع (المرجعية) الضرورى اللازم لكل فهم ومعرفة إنسانية. على حين – وهذا من الناحية الثانية – عارض هابرماس ذلك بشدة تأسيسا على اعتقاده بأنه يطرأ على التراث دائما الكثير من التغيرات والتحريفات والتشويهات التى لا يشك أحد فى أنها تباعد بينه وبين أن يكون مرشدًا كافيا للفهم وللمعرفة. وهو خلاف لم يستطع جادامر أن يقطع فيه برأى على أية حال.

★ ★ ★

عالم الاجتماع الأمريكى هارولد جارفينكل هو مؤسس المنهجية الإثنية (المنهجية الجماعية) التى تعرف اصطلاحا بالأثنوميثودولوجيا أحد أحدث المناهج (الطرائق) التى تلقى اليوم رواجا كبيرا بين أجيال المفكرين الأمريكان الشبان.

ولد جارفينكل فى نيوجرسى فى عام ١٩١٧ وتتملذ على أيدى تالكوت بارسونز Parsons الذى أفلح فى أن يثير فيه اهتماما زائدا بتحليل عالم الحياة اليومية وما يجرى فيها من وسائل وأطر اتصالية ولهذا كانت دراسته لنيل درجة الدكتوراه التى حصل عليها عام ١٩٥٢ عن «إدراك الآخر» .

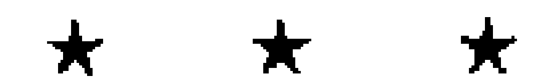
فى عام ١٩٦٧ ظهر كتابه «دراسات فى الأثنوميثودولجيا Studies in Ethnomethodology الذى سعى فيه إلى توضيح المجال المعرفى الذى تهتم به الأثنية المنهجية. وهو كتاب استقبلته الدوائر العلمية والأكاديمية بترحاب شديد وإن عاب عليه البعض تفكك أسلوبه وغموضه فى أماكن كثيرة ربما بسبب حدة الاتجاه نفسه كاتجاه يعكس منهجية جديدة فى علم الاجتماع.

ولعل أول ملاحظة يمكن ملاحظتها فى أعمال جارفينكل أنها تربط ربطا قويا بينه وبين الأفكار التى قال بها فيتجنشتين Wittgenstein (١٨٨٩ - ١٩٥١) وأوستن (ح. ل. أوستن) Austin الذى يعتبر من ألمع علماء المدرسة التحليلية التى أطلق عليها مدرسة لغة الحياة اليومية أو مدرسة اكسفورد اللغوية (١٩١١ - ١٩٦٠) وعالم الاجتماع النمساوى الفريد شوتز Schutz (١٨٩٩ - ١٩٥٩) الذى يعتبر من أكبر ممثلى اتجاه الفينوميتولوجيا الوجودية. وبوجه عام تعنى الاثنوميثودولوجيا الدراسة التى توضح كيف يفهم الناس ما يقوله وما يفعله الآخرون أثناء عمليات التفاعل الاجتماعى اليومية كما تهتم بالمنهجيات الجماعية (الشعبية) التي يستخدمها البشر فى عمليات التبادل الاتصالى ذات الدلالة التى تتم بينهم وبين بعضهم. وبمعنى آخر يمكن القول إن الأثنوميثودولوجيا تهدف أساسا إلى الكشف عن الأسس الاجتماعية للمعرفة الحياتية ومدى وكيفية استخدام كفاءتنا الاجتماعية حيث يبدو مفهوم الاثنوميثودولوجيا مفهوما دالا بذاته لذا يشير المقطع الأول (اثنو) إلى مخزون الفهم

أو المعرفة البدهية العامة المتاحة لأعضاء المجتمع بينما يشير المقطع الثانى (ميثودولوجى) إلى المناهج أو الاستراتيجيات التى يستخدمها الأفراد فى أطر مختلفة لكى يجعلوا من أفعالهم أفعالا قابلة للفهم من قبل الآخرين. ولهذا فإن تحليل اللغة من الواضح أنه يمثل موقعا مركزيا فى هذا الاتجاه.

ولقد ساعدت الظروف الاجتماعية السائدة فى نهايات الخمسينيات تقريبا من القرن الماضى على ظهور ومن ثم بلورة لا المفهوم فحسب ولكن الاتجاه بأكمله وذلك نتيجة بالدرجة الأولى لتراجع الوظيفية Functionalism كنظرية سائدة وموجهة لعلم الاجتماع الأمريكي وهى بوجه عام عبارة عن نوع من المزاوجة بين بعض الاتجاهات الفلسفية كالفينومينولوجيا من ناحية وفلسفة فتجنشتين وفلسفة اللغة من ناحية ثانية.

وعلى أية حال فإن الاثنوميثودولوجيا تمثل جانبا هاما من النقد الراديكالى لعلم الاجتماع التقليدى عن طريق سعيها المتصل لتوضيح المعانى وتجلية المفاهيم، والأطر التى تتحرك فيها الكلمات والألفاظ والخطابات بين الأفراد الفاعلين. وذلك على الرغم مما يشوب بعض مفاهيمها من غموض وبخاصة ما تعلق منها بفكرة الاشارية indexicality التى يقصد بها أن المعرفة تكتسب أحيانا بالإشارة إلى كلمات أخرى وإلى الأطر التى تنطق فيها الكلمات وفكرة الانعكاسية reflexivity التى تشير إلى أن أى فهم للفظ أو الموقف أو النص إنما هو نتاج لعملية تخاطبية أى أن الفهم إنما يتولد أو يتخلق من خلال الحديث ذاته وما قد يكون هناك من معان ودلالات للفظ أو النص.



يقف عالم الانثربولوجيا الأمريكى كليفورد جيرتز فى مقدمة العلماء الذين اشتهروا بدراساتهم لقضايا الرمزية ومشكلات التغير الثقافى، والذين اسهمت بحوثهم اسهاما كبيرا فى ابراز أهمية البعد الثقافى فى التحليل الدينى والعقائدى حيث ركز بصفة خاصة على الملامح والأبعاد الثقافية فى الدين وصلتها بالبناء الاجتماعى والنفسى خاصة وهو يحاول العثور على إجابة شافية لتساؤل جوهرى مؤداه إلى أى مدى يكون اعتبار الدين نتاجا للبناء الاجتماعى وإلى أى حد يمكن أيضا الركون إلى صدق هذه المقولة.

ولقد ولد جيرتز فى الثالث والعشرين من شهر أغسطس عام ١٩٢٦ وحصل على تعليمه فى كلية أنتيوش Antioch ونال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد التى التحق بها خلال العام ٥٦ / ٥٧ ليصبح بعد ذلك زميلا فى مركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية فى بالتو آلتو Pallto Alto (٥٨ / ٥٩) ثم استاذا مساعدا للأنثربولوجيا فى جامعة كاليفورنيا (٥٨ / ٦٠) ليعود بعدها إلى جامعة شيكاغو عام ١٩٦٢ حيث أصبح أستاذا للانثربولوجيا عام ١٩٦٤ ثم أستاذا بجامعة ميتشجان وبرينستون.

ومنذ البدايات الأولى لطريقه الأكاديمى تحددت نظرته إلي الدين باعتباره نسقا ثقافيا. ولكنه انطلق مع ذلك من اقتناع أساسى مؤداه أن حالة الدراسات والبحوث التى أجراها الأنثربولوجيون على الدين تشكو غير قليل من السطحية والضحالة الأمر الذى يصدق على ما تم منها طوال سنوات ما قبل الحرب العالمية الثانية أو تلك التى أجريت منذ اندلاعها. فكلها لم تضف - فى رأيه - أية اضافات نظرية لها قيمتها وذلك لأنها فى الوقت الذى استلهمت كتابات مفكرين كبار مثل دوركايم وماكس فيبر وفرويد ومالينوفسكى لم يخطر ببالها أن ثمة علاقات متشعبة بالفلسفة والتاريخ والأدب والقانون وتجاهلت بذلك أحد الأبعاد بالغة الأهمية فى تحليل الدين وهو البعد الثقافى.

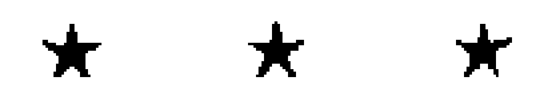
وينبثق عن هذا الموقف المبدئى قناعته المماثلة التى يكتمل بها موقفه النظرى والعلمى معا. ففى رأي جيرتز أن استقصاء الدور الاجتماعى والسيكولوجى للدين

ليس مجرد محاولة لإيجاد الارتباطات بين بعض الأفعال الشعائرية وبعض الروابط الاجتماعية على الرغم من أهمية ذلك وأن هذه الارتباطات موجودة بالفعل، وإنما الأهم من هذا هو معرفة كيف أن التصورات تصيغ أفعال الإنسان وتكون ادراكهم لما هو معقول ولما هو عملى وتطبيقى وانسانى وأخلاقى، وبالتالى فإن السؤال الحيوى لابد أن يكون عن تأثير هذه التصورات وهو سؤال يمثل فى الحقيقة قضية هامة وخطيرة فى علم الاجتماع المقارن وسيكولوجية الأديان.

وهناك خاصيتان أساسيتان يرى جيرتز أن الدراسة الانثربولوجية للدين لابد أن نتتبه إليهما الأولى أهمية تحليل نسق المعانى الذى تنطوى عليه الرموز الدينية والثانية علاقة هذه الأنساق ببناءات العمليات الاجتماعية والسيكولوجية بالرغم من أن معظم الاهتمام المعاصر مازال ينصب على الناحية الثانية دون الاهتمام كثيرا بالناحية الأولى التى يرى أنها مازالت فى حاجة إلى مزيد من الاهتمام والتعمق.

وعلى العموم فقد قام جيرتز بعدد من الدراسات الاثنوجرافية فى كثير من البقاع منها اندونيسيا ومراكش وخاصة جاوة هذا بالاضافة إلى العديد من الدراسات والبحوث التى درات حول الأديان فى هذه المناطق وبخاصة حول تفسير ما يوجد فيها من ثقافات ورموز وأساطير بخلاف عدد كبير من المقالات والكتب والمؤلفات التى قدمها بالاشتراك مع آخرين.

وعموما فإن من بين أهم مؤلفاته «الدين فى جاوة» The Religion of Java (١٩٦٠) و«مجتمعات قديمة ودول جديدة» Old Societies and New States (١٩٦٣) و«تفسير الثقافات» The Interperation of Cultures (١٩٧٣) و«الأسطورة والرمز والثقافة» Myth, Symbol and Culture (١٩٧٤) و«مدخل (اقتراب) أنثربولوجى لدراسة الدين An Anthropological Approach to the Stdy of Religion (١٩٧٦).



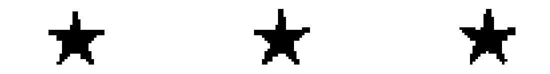
جايجر، تيوردور يوليوس (١٨٩١) GEIGER, Theodor Julius

ترجع شهرة عالم الاجتماع الألمانى تيوردور يوليوس جايجر إلى أنه أول استاذ لعلم الاجتماع فى الدانيمارك وإلى دراساته وبحوثه فى التدرج والحراك الاجتماعيين وهى الدراسات والبحوث التى مارست تأثيرًا متزايدا فى معظم الباحثين الدانيماركيين وبخاصة على ما يظهر فى دراسته للسكان فى آرهوز Arhus بالدانيمارك والتى نشرت تحت عنوان «التغيرات الاجتماعية فى مدينة دانيماركية متوسطة الحجم Social Changes in a Medium-Sized Danish City فى عام ١٩٥١ وقبلما يموت بعام واحد أثناء قيامه برحلة بحرية وهو فى طريق عودته إلى أوروبا بعد زيارة لمدة عام كأستاذ زائر فى تورنتو.

ولد جايجر فى ميونيخ عام ١٨٩١ وبعد أن انتهى من تأدية الخدمة العسكرية فى الحرب العالمية الأولى عاد إلى ميونيخ حيث نال درجة الدكتوراة فى القانون ليبدأ طريقه الذى كان مليئا بالأشواك بسبب أفكاره التى ضمتها كتاباته ومؤلفاته التى كانت لفترة طويلة متأثرة بالفكر الماركسى الذى مكنه على أية حال من الحصول على كرسى الأستاذية فى معهد برونشفيك التكنولوجى من ١٩٢٨ إلى ١٩٣٣ . وإن كان قد هجر هذا الفكر على ما تبدى فى مؤلفه الرئيسى «المجتمع الطبقى فى بوتقة الانصهار» Class Society in the Melting Pot الذى ظهر فى ١٩٤٨ . ولكن بعد صعود النازيين إلى الحكم اضطر للهرب إلى كوبنهاجن حيث شغل عدة مناصب فى مؤسسة روكفلر وفى معهد الدراسات التاريخية والاقتصادية وفى جامعة أرهوز. ثم هرب إلى ستوكهولم فى ١٩٤٣ حيث عمل استاذًا لفلسفة القانون فى مدرسة أوبسالا Uppsala حيث ركزت دراساته على فلسفة القانون والايديولوجيا والقانون. وعندما انتهت الحرب عاد إلى آرهوز فى ١٩٤٥ حيث قام بتأسيس إدارة المعهد الاسكندنافى للبحث الاجتماعى.

وقد قام جايجر بنشر عدد كبير من الكتب والمؤلفات فى علم اجتماع المجتمع كما ظهر اهتمامه بسوسيولوجيا النظام الاجتماعى فنشر «دراسات أولية فى علم

الاجتماع القانونى» فى عام ١٩٤٧ ومن بعده نشر «الايديولوجيا والحقيقة» فى ١٩٥٣ ثم «الديموقراطية بلا عقائد جامدة» فى عام ١٩٦٠ وهو كتاب له أهمية خاصة إذ يبرز موقفه ورؤيته فى المجتمع ومدى تأثير الايديولوجيا عليه وإن كان قد اعتمد كثيرا على تجاربه الشخصية التى تكشف عن اتجاه غائي يصعب التقليل من أثره ونتائجه.



لعل واحدا من علماء الاجتماع لا يختلف اليوم كثيرا فى أن عالم الاجتماع البريطانى أنتونى جيدنز يحتل - بالرغم من كل ما قد يوجه إليه من انتقادات - مكانة متقدمة بين أشهر علماء الاجتماع المعاصرين، وفى أنه يعتبر من وجهة نظر الكثيرين ربما أبعدهم تأثيرا لا فى بريطانيا وحدها ولكن فى مختلف أنحاء العالم. وأيضا فى أن هذه المكانة لا ترجع فحسب إلى الكم الهائل من الكتب والمؤلفات والدراسات والمقالات التى دأب على تأليفها ونشرها فى المجلات العلمية منذ سبعينيات القرن الماضى على الأقل وإنما ربما لأن أحدا لم يسهم فى تطوير النظرية الاجتماعية مثلما أسهم هو ليس فقط عن طريق محاولته إعادة قراءتها قراءة جديدة ولم شتاتها وإعادة بنائها ولكن لأن أحدا منذ فترة طويلة لم يسبق إلى تقديم نظرية تتسم بطرافة الفكر وبجدة المنهج مثلما فعل وتجاوز بذلك العديد من الأفكار والمقولات التى باتت منذ زمان طويل أشبه بالمسلمات أو المقدسات التى لا يصح مناقشتها أو حتى الاقتراب منها. فما بالك انتقادها واعلان إفلاسها وربما هدمها فى أحيان كثيرة.

ولقد ولد أنتونى جيدنز فى الثامن عشر من شهر يناير عام ١٩٣٨ فى بريطانيا وتلقى تعليمه أولا فى جامعة هل Hull التى درس فيها علم الاجتماع وعلم النفس ونال منها درجته العلمية الأولى (١٩٥٩) ثم انتقل منها إلى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية حيث حصل على درجة الماجستير فى علم الاجتماع (١٩٦١) ثم حصل بعد ذلك على درجة الدكتوراه من جامعة كمبريدج (١٩٧٦) حيث أصبح زميلا فى كلية الملك King's College ثم أستاذا للاجتماع بجامعة كمبريدج التى ظل يعمل بها حتى الآن كأستاذ ورئيس لمركز البحوث الاجتماعية بها.

هذا الإعداد الذى يتصف بتعدد التخصصات والاهتمامات وبتنوع الروافد الرئيسية التى نهل منها فى الثقافة والمجتمع قديما وحديثا جعل انتونى جيدنز يتمتع بتكوين علمى متميز كما نجم عنه أن جاء انتاجه ضخما وهائلا بكل المعايير لدرجة أن وصفه البعض بالموسوعية التى استثارها حسه الاجتماعى الذى طالما قاد تفكيره

وخطواته سواء وهو يلتقط ويتخير موضوعاته وقضاياه أو عندما يشرع فى طرحها ومناقشتها. وقد قدم لنا أنتونى جيدنز حتى الآن حوالى ٤٠ كتابا فيما بينها على الأقل عشرة كتب رئيسية عكست فى مجموعها ما يطلق عليها سوسيولوجيا أنتونى جيدنز ودار بعضها (وربما هى الأكثر أهمية) حول نظريته المعروفة باسم نظرية «الصياغة البنائية» أو «البنينة» كما يطلق عليها البعض Structuration Theory وإن كان قد كتب إلى جانب ذلك ما يزيد على مائتى مقال كثيرا ما يعود إلى بعضها ليستكمل موضوعا من الموضوعات أو نقطة من النقاط التى يتناولها فى كتبه ويكون قد عرض لها فى مقال سابق من مقالاته.

وقد يكون من الصعب حقا فهم سوسيولوجيا جيدنز ومن باب أولى فهم نظريته والإحاطة بمنهجيتها ما لم نحط بمفهومه الذاتى لعلم الاجتماع طالما أن أحد الأهداف الرئيسية لنظريته هو إعادة الفهم السوسيولوجى لمفهوم البناء Structure بدلا من أن يظل أسيرا لثنائية الذات / الموضوع التى طالما دارت من حولها النظريات والاتجاهات الأخرى والتى أصبحت بالنسبة إليه مجرد نظريات واتجاهات كلاسيكية ينبغي تجاوزها. فعلم الاجتماع عنده عبارة عن حوار مفاهيمى ممتد حول طبيعة المجتمع الحديث وهو حوار يفترض وجود الوعى بمستوياته وبدرجاته المختلفة وبأنواعه المختلفة أيضا سواء أكان وعيا عمليا أو وعيا ذاتيا وسواء أكان وعيا ناضجا ومكتملا أو فى مرحلة من مراحل نموه واكتماله أو حتى مجرد تعبير عن لا وعى ولا شعور. ومن الواضح أنه يصير ضروريا فى كل هذا الإحاطة أيضا بالعديد من المفهومات وثيقة الصلة التى وإن كان بعضها قديما ومترددا فى تراث علم الاجتماع إلا أنه اكتسب أبعادا ومعانى أخرى وربما استخدامات أخرى كذلك فى نظريته مثل مفهوم تفكيك الصياغة البنائية Destructuration ومفهوم الصياغة البنائية Struc-turation نفسه الذى يقصد به كل عناصر الحياة الاجتماعية التى تجرى صياغتها من خلال الممارسات الاجتماعية التى تتم بشكل ماهر. ومن ثم تكون أشبه بالصياغة الأنطولوجية للحياة الاجتماعية بأكملها.

وبالنظر إلى هذا الفيض من الكتابات والمؤلفات لا يصح الاعتقاد بأن نظرية جيدنز قد عكسها واحد فحسب من هذه المؤلفات ولكن الأقرب إلى المنطق أن مراحلها وخطواتها قد تكاملت على امتداد بعضها التى استغرقت ولاشك عددا من

السنوات. وربما أمكن تحديد كتاباتها الأساسية من خلال الاشارة إلى عناوينها التى جاءت دالة على موضوعها إلى حد بعيد وهذه المؤلفات هى «الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة» وهو مؤلفه الأول الذى صدر فى عام ١٩٧١ . و«السياسة وعلم الاجتماع فى فكر ماكس فيبر Weber ودور كايم Durkheim» الذى صدر فى العام نفسه ثم كتابه الهام «قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع» (١٩٧٦) و«دراسات فى النظرية السياسية والاجتماعية» (١٩٧٧) و «البناء الطبقى للمجتمعات المتقدمة» (١٩٧٩) وكذلك كتاب «مشكلات محورية فى النظرية الاجتماعية: الفعل والبناء والتناقض فى التحليل الاجتماعى» فى العام نفسه. وإن كانت الثمانينيات قد حفلت أيضا ببعض الكتب الرائدة فى مقدمتها «نقد معاصر للمادية التاريخية» (١٩٨١) وأعقبه كتابه المعنون «تكوين المجتمع: الخطوط العامة لنظرية الصياغة البنائية» (١٩٨٤). و«تأسيس المجتمع» (١٩٨٤) و «الدولة القومية والعنف» (١٩٨٥) و«مقدمة نقدية فى علم الاجتماع» (١٩٨٩) ثم انفتحت التسعينيات بكتابه «منتجات الحداثة» (١٩٩٠) و«الحداثة والهوية الذاتية» (١٩٩١)، و«الطريق الثالث» (١٩٩٨)، و«عالم منفلت: كيف تشكل العولمة حياتنا» (١٩٩٩)، ثم آخر كتبه «علم الاجتماع» الذى صدرت طبعته الرابعة منذ خمس سنوات (٢٠٠١).

كتاب «الرأسمالية والنظرية الاجتماعية الحديثة» Capitalism and Modern Social Theory من أهم الدراسات التى عرضت بالنقد والتحليل لأهم وأخطر النظريات التى كان لها تأثيرها فى علم الاجتماع كالوظيفية والبنائية والماركسية وحتى الفرويدية والبارسونزية وما بعد البنائية والحداثية وما بعد الحداثية وكان بذلك أشبه بمراجعة نقدية للتراث يمكن القول بأنها مثلت ركيزة لانطلاقه نحو تأسيس نظريته الخاصة.

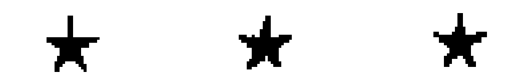
ويعتبر كتابه «السياسة وعلم الاجتماع فى فكر ماكس فيبر ودوركايم» Politics and Sociology in the Thought of Max Weber and Durkheim امتدادا - بمعنى من المعانى - طبيعيا للكتاب السابق وإن كان قد ركز بصفة أساسية على ما تتسم به منهجية العلم من حالات انفصامية أو اغترابية بسبب جمود وضيق أطر التحليل الاجتماعي وعدم اتساق منطقها.

أما كتابه الثالث الذى يبدو للكثيرين وكأنه أكثر أهمية من سابقيه فهو كتاب «قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع» New Rules of Sociological Method فيدور موضوعه حول المنهج ويقدم صياغة جديدة لقضايا الفعل والبناء والتحول الاجتماعي كما يركز بصفة أساسية على طبيعة الفعل الاجتماعى وعلى دلالات تحليل الفعل بالنسبة لمنطق العلم الاجتماعى وهو كتاب من الواضح أنه يعيد إلى الأذهان كتاب دور كايم «قواعد المنهج فى علم الاجتماع» Les Re`gles de la Méthode Sociologique (١٩٢٧) والتأثير الذى مارسه على الملايين من الطلاب والعلماء والباحثين. فإذا كان كتاب دور كايم قد سعى إلى تحقيق التماسك المنهجى فى ضوء ما ارتآه من شروط وحتى تتحقق للعلم ذاتيته فإن كتاب جيدنز يسعى بدوره - رغم تغاير الوضعيات والظروف - إلى تقديم منهجية تقضى على حالة التشرذم التى بات العلم يعانيها وذلك فى ضوء معالجته النقدية للاتجاهات الأساسية والمدارس الفكرية التى شغلت نفسها بتفسير الفعل الاجتماعى وفهم المجتمع والسلوك البشرى عموما. فكانت نظريته فى الصياغة البنائية بما انطوت عليه من تصورات جديدة ومفاهيم جديدة ربما أحدث الحركات المعاصرة التى تستهدف أساسا إعادة صياغة العلم وإعادة بنائه من جديد.

وليس من شك فى أن كتاب «نقد معاصر للمادية التاريخية» A Contemporary Critique of Historical Marerialism كان بدوره يهدف إلى الغاية ذاتها كنقد يسعى إلى إعادة صياغة النظرية الاجتماعية فى ضوء القراءة الجديدة لأفكار العلماء والكتاب السابقين وهى الغاية التى لم يحد عنها فى أى من كتبه ومقالاته. وهو ما ظهر كأوضح ما يكون فى كتابه الهام «مشكلات محورية فى النظرية الاجتماعية» Central Problems in Social Theory : Action, Structure and Contradiction in Social Theory . وهو كتاب يعتبر تطويرا للأفكار التى سبق أن تناولها فى كتابه قواعد جديدة للمنهج فى علم الاجتماع ومحاولة للرد علي الذين انتقدوا هذا الكتاب فى بعض ما ذهب إليه مما ألقى بضوء جديد على كتاب القواعد يجعله أشد تماسكا واقناعا بما يعكسه من نظرة نقدية تحليلة ثاقبة.

إن ما لا شك فيه هو أن انتونى جيدنز قد نجح فى أن يصيب العلم بهزة عنيفة كانت ضرورية كيما يستطيع مواصلة طريقه نحو فهم أعمق للمجتمع وللإنسان وما

كان هذا ليتحقق إلا بالمعالجة النقدية الواعية وإلا عن طريق ابتكار ونحت العديد من التصورات والمفهومات الجديدة لفهم عملية انتاج وإعادة انتاج المجتمع التى وإن بدت - حتى الآن - غريبة على كثير من الآذان إلا أنها سوف تلعب الدور نفسه الذى سبق لكتاب دور كايم الذى أشرت إليه أن قام به وبذا تتراكم المعرفة وفى الوقت نفسه يتجدد العلم كطريق لا طريق غيره نحو مزيد من الفهم والتقدم.



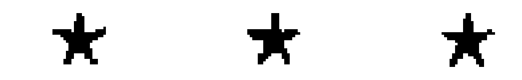
جيفورد، ادوارد وينسلو (١٨٨٧ - ١٩٥٩) GIFFORD, Edward (Winslow)

يعتبر عالم الانثربولوجيا الأمريكى إدوارد جيفورد أحد كبار علماء آثار ما قبل التاريخ المشهود لهم وواحدا من أهم الذين درسوا اثنوجرافية الثقافات الهندية فى الغرب الأمريكى فى كاليفورنيا وأسهموا إسهاما ضخما فى تطوير المتحف الأنثربولوجي التابع لجامعة كاليفورنيا وجامعة بيركلى Berkely بكثير من المجموعات. خاصة وأنه عمل أستاذا فى كاليفورنيا كوليج منذ عام ١٩٢٠ حيث أصبح استاذا للانثربولوجيا فى عام ١٩٥٤ وذلك بعد رحلة علمية وعملية طويلة شارك خلالها فى العديد من البعثات كما أصبح نائبا مساعدا لمدير أكاديمية كاليفورنيا للعلوم من عام ١٩٠٤ إلى ١٩١٢ ثم لفترة طويلة من ١٩١٢ إلى ١٩٥٦ رئيسا عن جدارة لإدارة المتحف الذى ارتبط به لفترة بلغت حوالى ٤٤ عاما كاملة.

والواقع أن المادة الاثنوجرافية الهائلة التى جمعها عن الهنود الأصليين أمدته بالدقائق والتفاصيل الدقيقة بشكل قل أن يوجد له مثيل لدرجة أن عملين اثنين على الأقل من أعماله مازالت تعتبر إلى اليوم من المراجع الأساسية فى هذا الميدان وهذان الكتابان هما كتاب «مصطلحات أنساق القرابة فى كاليفورنيا» (١٩٢٢) والكتاب الثانى عن الخصائص الطبيعية باسم California Anthropometry (١٩٢٦) والشىء نفسه بالنسبة لرحلته العلمية التي قام بها إلى جزر تونجا فى عام ١٩٢١ وكتب عنها «مجتمع التونجا» Tonga Society (١٩٢٩).

ويشكل تصنيفه وترتيبه للمادة التى كان يجمعها بنفسه وبواسطة غيره من الباحثين والتى تحتوى فى الأغلب على كم ضخم من المعلومات التفصيلية الخاصة بثقافتهم إنجازا أرشيفيا رائعا يحاول مثله الكثيرون من المتحفيين. وإن كان جانبا من الفضل فى تطوير مفهوم البدنة Lineage الذى يعتبر أحد المفهومات الرئيسية فى الانثربولوجيا الحديثة يرجع إليه. فقد اهتم بقضية الانتماء إلى البدنة والدور الذى تلعبه فى المجتمعات الزراعية والمجتمعات الرعوية على وجه الخصوص الأمر الذى يتطلب درجة عالية من تعاون عدد كبير من الأفراد الذين تربط القرابة بينهم فى مختلف الأعمال والنشاطات.

وفى وقت متأخر اهتم جيفورد بدراسة آثار ما قبل التاريخ وأضاف بذلك الكثير إلى التراث الخاص بجماعات شمال غرب المكسيك مما قاده إلى بعض التنقيبات فى كاليورنيا الجديدة New Caledonia وفيجى Figi وياب Yap وهو ما أتاح له الفرصة لكتابة مؤلفه «آثار وتنقيبات ما قبل التاريخ فى فيجى» (١٩٥١) وكذلك مشاركته لعالم الانثربولوجيا كروبر Kroeber فى كتاب (World Renewal) الذى صدر فى ١٩٤٩ ولقى رواجا منقطع النظير.



على الرغم من أن الاتجاه الغالب لدى كثير من العلماء أنهم لم يعودوا يهتمون كثيرا بقضية التقدم الأخلاقى، وصياغة نظرية أخلاقية، فإن عالم الاجتماع البريطانى الجنسية موريس جينزبرج يعتبر إلى حد بعيد استثناءً ملحوظا من ذلك. فقد مضى جينزبرج فى أماكن عديدة من كتاباته المتقدمة والمتأخرة ينتقد علماء الاجتماع الذين افترضوا وجود ارتباط ضمنى بين التباينات فى القوانين الأخلاقية وبين النسبية الأخلاقية، وكذلك الفلاسفة الذين نظروا إلى الأحكام الأخلاقية على أنها شىء واقعى ومن ثم فهى ليست صادقة أو كاذبة، ومن هنا فقد أخذ يركز فى دراساته على بحث وتحليل التغاير الأخلاقى فى ضوء التغايرات فى الشعور والتغايرات بين الأفكار الأخلاقية المجردة وتلك التى توجد فى واقع الحياة وفى قلب مجتمع بعينه.

ولقد ساق الأستاذ جينزبرج منظورا نقديا لمفهوم التطور Evolution فى علم الاجتماع، وهو مفهوم لا يتعلق بقضية التطور فى ذاتها فحسب، ولكن أيضا بالمسألة الأخلاقية بعامة وبخاصة قضية التقدم الأخلاقى فى ارتباطها بالسياسة. وهى قضية ولئن كانت قد شاركه فى حمل همومها هو بهاوس Hobehouse وحتى وستر مارك Westermark ، إلا أنه نجح فى بلورة موقفه الخاص الذى وصفه بوتومور بأنه ألقى بكثير من الضوء على المدخل التطورى نفسه وعلى طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع والعلوم الأخرى وكان حريا بكل هذا أن يكون له أثره فى الفكر السوسيولوجى الغربى.

وهناك ثلاثة محاور رئيسية تبلورت من حولها مواقف جينزبرج النظرية والمنهجية. وأول هذه المحاور وهو فى الوقت نفسه أكثرها أهمية دراساته لأنماط الجماعات الاجتماعية وهو اهتمام برز لديه فى وقت مبكر نسبيا. أما المحور الثانى الذى لا يقل أهمية، فيتمثل فى فهمه الخاص لمفهوم الطبقة الاجتماعية ومفهوم الوعى الطبقى، وبالتالى كيفية تكونهما والمؤثرات التى تؤثر فى تشكيلهما. ومن الناحية الثالثة قضية التغير الاجتماعى والثقافى وهى قضية لا تنفصل عن تأكيده المستمر على ما للفلسفة والميتافيزيقا من أهمية، الأمر الذى يختلف كثيرا عما نجده

لدى بعض كبار الفلاسفة والمفكرين من أمثال أوجيست كونت Comte وحتى إميل دور كايم Durkheim نفسه. وأخيرا اهتمامه بأنماط وأشكال التعميمات التى يطرحها العلم وقضية القانون العلمى فى العلم الاجتماعى.

فى عام ١٩١٥ ظهرت الطبعة الأولى من كتاب جينزبرج «الثقافة المادية والنظم الاجتماعية لدى الشعوب البسيطة» The Material Culture and Social Institutions of Simpler Societies. وفى هذا الكتاب الذى أعيدت طباعته أكثر من مرة ونشرت له طبعة منقحة فى عام ١٩٣٠ ارتاد جينزبرج بالاشتراك مع هوبهاوس وهويلر Wheeler طبيعة العلاقات المتشابكة بين أشكال المجتمعات المختلفة وبين أنساق التكنولوجيا وآلياتها.

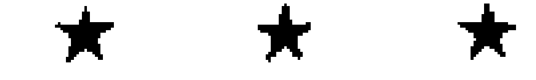
وعلى الرغم من أن جينزبرج قد لجأ فى هذا الكتاب إلى استخدام المنهج المقارن الذى استطاع توظيفه بنجاح فإن دراسته للمجتمعات البسيطة لم تستطع مع ذلك أن تقدم تفسيرا كافيا لطبيعة هذه العلاقات وإن كانت قد أوضحت الكثير من جوانب العلاقة بين التغاير الاجتماعى وبين أشكال السلطة السياسية المستقرة وهى ناحية تفتقر إليها مثل هذه المجتمعات.

ولقد لعب مفهوم الطبقة Class والوعى الطبقى Class Consciousness دورًا هاما فى فكر موريس جينزبرج، حيث ارتبطا بتصوره لنشاط المجتمعات والجماعات الإنسانية وما يطرأ عليها من مظاهر التطور أو حتى التغيير. وربما كان كتابه «سيكولوجية المجتمع» The Psychology of Sciety الذى قدمه فى عام ١٩٢١ أفضل ما يضعنا على تصوراته الأساسية بهذا الصدد حيث تناول العادات الاجتماعية والأعراف والرأى العام، كما انتقد نظرية باريتو Pareto فى الرواسب أو البواقى الثقافية Residues وقدم بدلا من ذلك تحليلا دقيقا لدور العقل والدوافع فى السلوك الاجتماعى.

وربما كان من أبرز المواقف التى تضمنها هذا الكتاب مهاجمته فكرة العقلية البدائية التى يقول أصحابها بأنها عقلية غير منطقية فهو يرى أن الاختلاف الرئيسى بين العقلية البدائية والعقلية المتحضرة هو فى نسبة مجال ما هو طبيعى إلى ما هو فوق طبيعى وبذلك فإن العقلية البدائية هى عقلية منطقية لأنها تستخدم أيضا مبدأ العلية ولكن بغير المعنى الذى نجده عند الإنسان المعاصر.

فى عام ١٩٣٢ ظهر كتابه «دراسات فى علم الاجتماع» Studies in Sociology، ثم بعد ذلك كتابه «علم الاجتماع» Sociology (١٩٣٤) ومن بعدهما كتابه الهام «العقل واللاعقل فى علم الاجتماع» Reason and Unreason in Sociology (١٩٤٧) وفى كل هذه الكتابات ضمن جينزبرج فيضا من المعلومات النظرية والواقعية لتجئ جهدا أكاديميا لا غنى لدارس علم الاجتماع عن الوقوف عليها.

ومع أن البعض يرى انطباع هذه الكتب جميعها بطابع سيكولوجى وهذا صحيح إلى حد بعيد إلا أن الأمر كان أشبه بالضرورة الموضوعية مع ذلك بحكم نوعية القضايا التى تثيرها. وإذا كان قد برز لديه فهم خاص للميتافيزيقا يختلف كثيرا عن فهم أوجيست كونت الذى ذهب إلى أنها مرحلة سابقة على التفكير الوضعى فقد أبرز جينزبرج حقيقة أن فهم كونت لطبيعة المنهج الوضعى إنما يرتكز على تمييزات ميتافيزيقية لم يخضعها للتحقيق والاختبار ذاهبا فى ذلك إلى أن وضعية كونت لم تفعل أكثر من أنها قد اصطنعت منهج العلم رغم كل الادعاءات بما هو عكس ذلك.



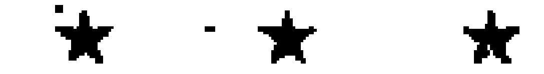
ولد جلوكمان فى يناير عام ١٩٠٠ فى جوهانسبرج Johannesburg فى جنوب أفريقيا وهو عالم أنثربولوجى يتميز باسهاماته الضخمة فى الأنثربولوجيا السياسية على وجه الخصوص وخاصة تحليله للنظم السياسية للقبائل الأفريقية. وكذلك دراساته للصراع وللمنازعات وعداوات الدم إذ اهتم اهتماما كبيرا بابراز علاقاتها بالتغير الثقافى على نحو ما نجده بصفة خاصة فى كتابه الشهير «العرف والصراع فى أفريقيا» Custom and Conflict in Africa الذى صدر فى ١٩٥٥.

والواقع أن جلوكمان تعتبر من أوائل الذين أكدوا على أهمية دور الصراع فى المجتمعات البدائية ولكنه حاول فى هذا إبراز الجوانب الوظيفية فى الصراع باعتباره ليس دائما عامل هدم كما يعتقد الكثيرون. وقد كان من الطبيعى أن يهتم - إلى جانب هذا - بالتعرف على طبيعة القانون البدائى والطرق التى تلجأ إليها الجماعة البسيطة لحل منازعاتها كالتعويض أو القيام ببعض الخدمات ... إلخ. مما يعنى أنه هدف فى النهاية إلى الوقوف على الدور الذى يلعبه هذا القانون فى تنظيم المجتمع نفسه والحفاظ على استقراره. فالقانون فى رأيه يعنى مجموعة القواعد المقبولة من أعضاء المجتمع الأسوياء باعتبار أنها التى ترسم طرق السلوك الصحيح الذى يتعين على الأفراد الالتزام بها فى صلاتهم وعلاقاتهم بعضهم ببعض وبكل ما يوجد فى المجتمع من أشياء وهو تعريف بسيط أقرب إلى طبيعة البحث الانثربولوجى الذى يعنى على وجه الخصوص بقوانين المجتمعات البدائية والقبلية والبسيطة التى لم يتعقد تركيبها وبناؤها السياسى بعد ومن ثم فقد سعى إلى ابراز دور المحكمين البدائيين وميلهم إلى المصالحة بين الأفراد لمنع الصراع من الانتشار إلى باقى الأعضاء الأمر الذى ترتب عليه أن يلقى الضوء على علاقة الصراع بالتفاوت فى التطور والنمو التكنولوجى الذى كان يحتم البحث عن وسائل أخرى لتحقيق الضبط والنظام معا.

ولقد تنقل جلوكمان فى العديد من المناصب التى هيأت له امكانات القيام بدراساته الحقلية. فبعد أن نال درجة الدكتوراه فى الأنثربولوجيا الاجتماعية من اكسفورد عمل باحثا فى معهد ليفنجستون رودس للدراسات الاجتماعية فى أفريقيا

الوسطى البريطانية (روديسيا الشمالية) حيث أجرى العديد من الدراسا فى بارتسولاند ما بين عامى ٣٩ و ١٩٤١ وقام ببعض البحوث على قبائل التونجا Tonge (١٩٤٤) وأيضا شعب اللامبا Lamba (١٩٤٦) ثم حاضر فى اكسفورد (٤٧ / ٤٩) ليصبح من عام ١٩٤٩ أستاذا للانثربولوجيا الاجتماعية فى جامعة مانشستر. هذا بالاضافة إلى بحوثه ودراساته فى الهند وبريطانيا وبخاصة فى مجال علم الاجتماع الصناعى.

ويمكن الوقوف على اطار تفكيره الواسع من خلال عناوين كتبه ومؤلفاته حيث كتب «شعائر التمرد (الانعزال) فى جنوب شرق أفريقيا Rituals of Rebllion in South - East Africa و«السياسة والقانون والشعائر فى المجتمع القبلى» Politics, Law and Ritual in Tribal Society (١٩٦٥)، و«الأفكار فى نظام باروتسو القانونى» The Ideas in Barotse Jurisprudence (١٩٦٥) كما أشرف على تحرير وإعداد The Allocation of Responsibility فى ١٩٧٢ . أى قبل وفاته بثلاثة أعوام.



نجحا معا وتمكنا من تحقيق مكانة رفيعة كعالمين من علماء الاجتماع وكبار المتخصصين فى علم الاجرام Criminology اللذين كانت لدراساتهما عن السلوك الاجرامى وعن آثار ونتائج المعاملة الاصلاحية أعمق الأثر فى تطوير نظم العدالة الجنائية Criminal Justice سواء من الناحية التشريعية أو من الناحية الأدائية والادارية.

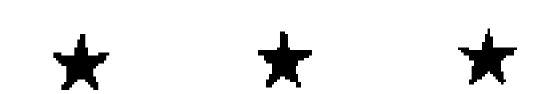
هما العالمان شلدون جيلوك وزوجته اليانور من أصل بولندى ولكنهما عاشا فى الولايات المتحدة الأمريكية التى قدم هو إليها فى ١٩٠٣ ليصبح مواطنا أمريكيا فى ١٩٢٠ وبعدها تزوجا فى ١٩٢٢ وظل زواجهما قائما حتى توفيت هى فى ١٩٧٢ ثم توفى هو بعدها بسنوات فى ١٩٨٠ . ولقد تلقى شيلدون جيلوك تعليمه فى جامعة جورج تاون وفى الجامعة الوطنية للقانون ثم فى جامعة هارفارد التى نال منها درجة الماجستير ودرجة الدكتوراه وتولى مهام التدريس بها من عام ١٩٢٥ إلى عام ١٩٦٣ حيث تقاعد وأصبح أستاذا متفرغا من هذا التاريخ. أما زوجته فكان اسمها قبل الزواج اليانور توروف Touroff وقد ولدت فى بروكلين بأمريكا وتلقت تعليمها فى برنارد كوليج وفى مدرسة الخدمة الاجتماعية بنيويورك ثم فى جامعة هارفارد التى عملت فيها باحثة فى علم الاجرام من عام ١٩٢٥ حتى وفاتها فى عام ١٩٧٢ .

ولمدة تزيد على أربعين عاما ارتادا معا سيرة حياة المئات من المجرمين والجانحين واشتركا معا فى العديد من المؤلفات والمقالات والدراسات التى يمكن القول بأنها قد توجت بالعمل الرئيسى الذى ترجع إليه شهرتهما وهى «جداول التنبؤ الاجتماعى» Glueck's Social Predection Tables التى وضعا تصميمها وطرائق تطبيقها واستخدامها والتى توصلا إليها من دراساتهما وبحوثهما فى السلوك الاجرامى والانحرافى التى حاولا فيها تحديد خصائص الجانحين ومن يحتمل جناحهم فى ضوء العديد من الحالات التى كانت من الأطفال فى سن السادسة واحدة من أهم هذه الدراسات التى اعتمدا فيها على المناهج التتبعية للأفراد والجماعات بغرض رؤية الآثار الناجمة على مدى الفترات الزمنية المختلفة للتعرف على اتجاهات السلوك الانحرافى بعرض عام ومحاولة التنبؤ باحتمالات السلوك الجانح فى ضوء ما يتوافر من معلومات مؤلفهما تحت عنوان «جناح الأحداث

اللاتجـوالى» Unroveling Jevenile Delinquency (١٩٥٠) الذى قـارنا فيـه بين ٥٠٠ حالة جانحة و٥٠٠ حالة أخرى من غيـر الجانحين وهى عينة راعى فيها أن تكون متجانسة فى السن والذكاء والأصل وانتهى إلى قصور العوامل السيكولوجية وحدها فى تفسير الاختلافات بين المجموعتين حيث برزت فى مقابل هذا أهمية وخطورة الدور الذى تقوم به ثقافة الجناح Delinquent Culture المتفشية فى المنطقة محل الدراسة.

ومع أن شلدون جيلوك قد كتب دراسة خاصة عن روسكو باوند تحت عنوان «روسكو باوند والعدالة الجنائيـة» Rosco Pound and Criminal Justice (١٩٦٤) إلا أنه عاد ثانية إلى قضية الجناح فصدر لهما مؤلفهما «البنية والجناح» Physique and Delinquency (١٩٦٥) الذى اشتمل على تحليل للعلاقات بين أنماط الجسم وبعض سمات الشخصية والعوامل الاجتماعية والثقافية بهدف تحديد أى سمات الشخصية والعوامل الاجتماعية هى التى تباشر تأثيرا فارقا له دلالته الاحصائية على الجناح فى مختلف الأنماط الجسمية. وانتهيا إلى أن النمط المتوسط التركيب (ميزوفورميك) لديه قابلية عالية للجناح تفوق أى نمط جسمى آخر إذ ترتبط به ميول الهدمية والسادية وكذلك انعدام التوازن الانفعالى أكثر من ارتباطها بجناح أصحاب النمط الخارجى التركيب (الأكتومورفيك).

كذلك ظهر لهما فى عام ١٩٦٨ مؤلفهما Delinquents and Nondelinquents in Prespective عبارة عن دراسة تتبعية على مدى ١٥ عاما اشتملت على بعض دراساتهما المبكرة. وما أن فرغا من هذا المؤلف حتى انشغلا فى عملهما الأخير المشترك الذى ظهر تحت عنوان «نحو تنميط للأحداث المذنبين: تضمينات لعلاج وقـــائى» Toward a Typology of Jevenile Offenders: Implications for Therapy Prevention (١٩٧٠). حيث أكدا فى هذا الكتاب على أن فكرة المناطق المتخلفة SlumAreas أو ما يطلق عليه المناطق الانتقالية لا يمكن أن تفسر بمفردها ظاهرة الانحراف.



عالم الاجتماع الكندى الأصل ايرفنج جوفمان من أكثر علماء الاجتماع تأثيرا فى دراسات سوسيولوجيا الجماعات الصغيرة على الأقل فى الفترة خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى. فقد انبنت شهرته الواسعة بسبب تحليله للقواعد الاجتماعية التى لا تتصف بصفة المباشرة ولكنها كامنة وتتحكم مع ذلك فى مختلف صور التفاعل غير اللفظى ولذا فهو يعتبر من أكبر المشايعين لنظرية التفاعل الرمزى وواحدًا من أكبر أتباع مدرسة شيكاغو فى التفاعلية الرمزية إذ تتلمذ على أيدى هربرت بلومر Blumer الذى كان يعتبر من أقطابها المرموقين.

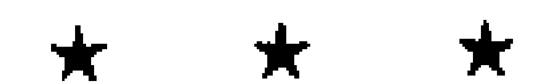
ولد ايرفنج جوفمان فى مانفيل Mannville فى البيرتا Alberta بكندا فى ١١ يونيو عام ١٩٢٢ وتعلم فى جامعة تورنتو حيث تخصص فى العلم الاجتماعى وحصل على درجة الماجستير (١٩٤٩) ثم الدكتوراه فى علم الاجتماع (١٩٥٣) من جامعة شيكاغو وقام بتدريس علم الاجتماع والانثربولوجيا من عام ١٩٦٨ إلى عام ١٩٨٢ (عام وفاته) فى جامعة ادنبرة التى انتقل منها إلى جامعة كلى ثم إلى جامعة بنسلفانيا.

ومنذ البداية اتسم تفكير جوفمان بالاصالة والعمق فقد قرأ دور كايم وجورج زيمل واهتم اهتماما كبيرا بكتابات مختلف الاتجاهات الصورية على وجه الخصوص وبخاصة فى نزعتها إلى التعميمات لدرجة أنه كان يسقط من حسابه كثيرا من التفاصيل التى قد يضيع فى ثناياها جوهر ما يهدف إليه ويريد أن يقوله خاصة وأن كل كتاباته كانت تدور حول العلاقات الاجتماعية ومظاهر السلوك البشرى بجوانبها الظاهرة والمضمرة ولكنها بالذات ما اعتبره تركيبا صادقا للواقع الاجتماعى.

ولقد سعى جوفمان إلى بلورة نظريته الخاصة فى مظاهر السلوك البشرى فى عدد من مؤلفاته لعل أهمها كتابه «تقديم الذات فى الحياة اليومية» The Presentation of Self in Every day Life الذى صدر فى ١٩٦٥ . ففى هذا الكتاب الذى يعتبر أشهر كتبه عرض نظريته فى التفاعل الاجتماعى والفكرة المحورية عنده أننا نقدم أنفسنا إلى الآخرين فى صور مختلفة ومن خلال أقنعة تختلف باختلاف المواقف التى نجد أنفسنا طرفا أو منخرطين فيها، كاشفا بذلك عن أن كل ما يصدر

عن الإنسان من إيماءات وإشارات تلقائية وغير مقصودة ومن بينها حتى حركة العينين أو وضع الجسم وحركاته وما إلى ذلك من مظاهر السلوك إنما لها وضعية ذات معنى وتأثير إيجابى فى العملية الاتصالية إذ تتحدد فى ضوئها الكثير من ردود الأفعال من قبل الآخرين. وهى ما يتفق مع نظرته إلى الحياة ذاتها التى نظر إليها على أنها مسرح كبير مليئ بالمواقف التى يقوم فيها الأشخاص بدور الممثلين الذين يسعون إلى التأثير أو على الأقل ترك انطباعات معينة فى المشاهدين. وكذلك الحال بالنسبة إلى كل منا فى سعينا المتواصل إلي أن تؤثر صورتنا عن ذواتنا فى الآخرين أطراف التفاعل والمشاركين فى المواقف على نحو أو آخر.

والكتاب الهام الثانى أصدره جوفمان فى ١٩٦٩ تحت عنوان Where the Action Is? واهتم فيه أهتماما خاصا ببناء المواقف الاجتماعية والقواعد التى تحكم هذه البناءات أكثر من اهتمامه بالمحتوى الذى اعتقد أنه كثيرا ما يتغير ويتلون بتغير القواعد ذاتها وبالتالى تأثيرها فى بناء المواقف الاجتماعية ومضامينها. كما صدر له كتابان آخران على غاية من الاهمية أحدهما ظهر فى أواخر حياته (١٩٧٤) بعنوان «التحليل الاطارى: مقال فى تنظيم الخبرة» Frame Analysis: An Essay on the Organization of Experience. 1974 واهتم فيه بدراسة عمليات الاتصال غير اللفظى. على حين يعتبر الكتاب الهام الثانى آخر كتبه إذ صدر قبل وفاته بثلاثة أعوام بعنوان: Gender Advertisment ويدور حول دراسة متعمقة لخصائص بعض الصور واللوحات والبورتريهات التى تنطوى صراحة وضمنا على أهداف دعائية وإعلامية ترتكز على ما تكرره دائما وتروج له من قيم تستهدف التأثير فى مشاعر المستهلكين وبالكاد فى الطبقة السطحية الرقيقة من وعيهم.



من أهم الذين جمعوا بين البعدين السياسى والاجتماعى فى كتاباته العلمية والأدبية. ولذا فمن الصعب حقيقة فهم لوسيان جولدمان فهما جيدًا وفهم مساجلاته ومواقفه الفكرية بعيدًا عن هذين البعدين وعلى وجه الخصوص بعيدًا عن تراث واسهامات وتقاليد مدرسة فرانكفورت وذلك لأن كل النقاش الدائر من حول قضية علم اجتماع المعرفة والأدب والعلم والثقافة عموما وكلها موضع اهتمام جولدمان الأصيل لا يمكن الاحاطة به واستيعابه بصورة واضحة إلا من خلال أعمال ما نهايم ولوكاتش التى مارست عليه تأثيرا متزايدا وبخاصة فى نظريته الجمالية وعلم اجتماع الأدب التى أقامها على علم اجتماع المعرفة وإن كان من المهم القول مع ذلك أن أعمال كاتب مثل جولدمان ستظل بسبب ارتباطها وقربها الشديدين بماكس فيبر تدفع بالحياة لوقت طويل فى التقليد الماركسى الراسخ فى علم الاجتماع.

ولقد ولد الفيلسوف وعالم الاجتماع الفرنسى لوسيان جولدمان فى عام ١٩١٣ ولكن شهرته تجاوزت الحدود الحضارية والاقليمية لوطنه فاكتسب شهرة عالمية جعلت منه أحد كبار المفكرين المعاصرين فهو واحد من كبار النقاد الفرنسيين المعاصرين الذين انبنت شهرتهم على موقفه الخاص من العلاقات الجدلية بين التيارات الثقافية والاجتماعية والبناءات اللغوية وهى علاقة يمكن تحليلها وإن كان وجه الخطورة يكمن فى أنه وإن كنا لا ننكر ما ذهب إليه علماء كبار مثل ياكوبسون Jakobson، وكارشفسكى Karcevsky، وتروبتسوى Troubetzkoy من وجود هذه العلاقة الجدلية فقد تجاوز جولدمان الارتباطات اللغوية البنائية فلم يقم تصوره على منهج تاريخى اجتماعى يقوم على التصور المادى الجدلى للتاريخ وإنما تطرف فى ذلك إلى حد أنه اعتبر أى انتاج ثقافى لا يرتبط بالتصور الماركسى للتاريخ مجرد وهم ولغو وهراء ومتخذا بذلك موقفا حاسما من العلم الوضعى Positive Science الذى انتقده بعنف الأمر الذى يمثل فى الحقيقة بؤرة اهتمام أساسية فى تحليله لعلم اجتماع المعرفة ويكشف فى الوقت نفسه عن وجه الالتقاء بينه وبين أقطاب مدرسة فرانكفورت وهو التفسير الماركسى الذى يناهض النزعة العلمية لليسار التقليدى

القديم وكذلك الراديكالية الزائدة فى اليسار الجديد أيا كانت المسميات التى تتخذها الإنسانية أو المثالية أو كلاهما.

والواقع أن هناك منطلقات أساسية وحاكمة فى تفكير جولدمان فهو يذهب - بداية - إلى أن علم الاجتماع وبخاصة فى أشكاله اللاماركسية، قد أصبح علما خادما للمصالح الرأسمالية تظهر توجهاته الأساسية فى دعمه أهداف التكنولوجيا حتى أصبح يوجه معظم اهتمامه إلى المشكلات الصغيرة والبحث عن حلول مؤقتة لها أكثر منه الاهتمام بالقضايا الأكثر أهمية المتعلقة بالتطور التاريخى.

ويؤكد جولدمان موقفه هذا ذاهبا إلى أن علم الاجتماع الأمريكى على وجه الخصوص قد انغمس فى مرحلة من مراحله - ومازال - فى محاولة شرح وتفسير وسائل التكيف والتوافق الاجتماعيين مع التقدم الآلى والتكنولوجى وما ينشأ عن هذا التقدم من مشكلات صار المجتمع الرأسمالى ممتلئا بها. أما ما يعنيه جولدمان بذلك فهو إن البحث قد فقد أهم دوافعه وهو البحث فى التغيرات الكيفية التى تطرأ على البناءات الاجتماعية وأيضا الأبعاد التاريخية للحقائق الاجتماعية وهذا ما عبر عنه فى كتابه المعنون «العلوم الإنسانية والفلسفة» The Human Sciences and Philosophy (١٩٦٩) والذى نشر لأول مرة فى عام ١٩٥١ .

ولكن جولدمان سعى إلى تطوير هذه القضية السابقة إلى ما هو أبعد من ذلك فحاول إلقاء الضوء على هذا الاهتمام (الميثودولوجى) الأمر الذى لا يرجع فحسب إلى اخضاع علم الاجتماع للمصالح الرأسمالية وإنما نتيجة أيضا لما يوجد من غموض وخلط فى القيم العلمية وفى العلاقة بين الحقائق الاجتماعية والحقائق الطبيعية والمحاولات التى تهدف إلى جعل علم الاجتماع تابعا لمناهج العلوم الطبيعية والكيميائية عموما. وفى هذا فإنه يخلص إلى نتيجة هامة مؤداها أن محاولة جعل علم الاجتماع علما يتصف بالعلمية إنما هى محاولة لمنعه من أن يرى المجتمع ككل أو كسياق اجتماعى مفتوح للتغير وفعل التغير. ويلقى مسئولية مباشرة على علم اجتماع المعرفة لأنه باعتباره أساسا للنقد مسئول مسئولية ضخمة عن هذه الوضعية طالما أنه موجه إلى تحليل الأسس القائمة للمناهج الاجتماعية ومن ثم فإن على علم اجتماع المعرفة أن يعمل جاهدا على قيام علم اجتماعى تاريخى يقف فى مقابل علم الاجتماع السائد حاليا.

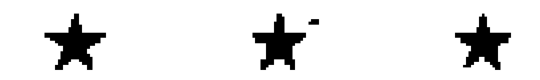
ولا يزال الجدل دائرا حول أعمال لوسيان جولدمان وكتاباته التى عبر بها عن مواقفه المتعلقة بعلم اجتماع الأدب ونظريته الجمالية على وجه الخصوص وهذه ناحية استأثرت بجانب كبير من اهتماماته ويصعب التغافل عنها إذا ما أريد فهم جولدمان وفلسفته فهما سليما متكاملا خاصة وجولدمان له موقف محدد من النص الأدبى يتضمن معانى اجتماعية أو ما يعرف عموما بالمحتوى الاجتماعى للكتابة.

ولا ترجع مواقف جولدمان فقط إلى تلك الأفكار التى تبناها عن ماركس وما حواه فكره من تصورات وإنما إلى إحاطته الواسعة بالانتاج الفكرى والفلسفى على مدى العصور السابقة التى مر بها الفكر الغربى عموما وبخاصة التراث الأدبى عن عصر التنوير رغم ضخامته وغزارته وهو ما انعكس فى كتاباته فى مختلف مراحل تطوره الفكرى. ففى عام ١٩٤٨ صدر كتابه المعنون «الجماعة الإنسانية والكون عند كانط» La Communauté Humaine et l'Univers chez Kant ثم دراسته عن المسرح والتراجيديا فى فكر باسكال التى ظهرت تحت عنوان طويل نسبيا هو Le Dieu Caché: Etude Sur la Vision Tragique dans les Pensées de Pascal et dans le Théâtre de Racine (١٩٥٥) ومن بعده كتابه عن «فلسفة عصر التنوير» The Philosophy of the Enlightenment (١٩٧٣) ومن قبله كتابه «الابداع الثقافى فى المجتمع الحديث» La Création Culturelle dans la Société Moderne الذى صدر عام ١٩٧١ .

ولكن الكتاب الذى يعتبر أكثر أهمية فيما يتعلق بنظريته الأدبية كان كتابه المعنون «نحو علم اجتماع الرواية» Pour Une Sociologie du Roman الذى صدر فى عام ١٩٦٤ وضمنه نظريته الأدبية والفلسفية. وحيث لعب مفهومه الخاص برؤية العالم دورا محوريا فى توضيحها خاصة وإن علم اجتماع الأدب عنده يدور حول قضايا أثارها جورج لوكاتش فى علم اجتماع المعرفة وإن كان قد اختلط بها عند جولدمان عناصر هيجلية جديدة علاوة على نزعته المضادة للوضعية والإنسانية عموما.

إن مفهوم رؤية العالم الذى كان لدلتاى الفضل فى طرحه اتسع توظيفه فى العديد من المجالات التى ربما لم تكن قائمة أو موجودة على الساحة من قبل. وإذا كان المفهوم فى جوهره يسعى إلى الفهم والوعى بالظاهرة فى سياقها الاجتماعى والثقافى فقد أفاد منه جولدمان الذى تبنى المادية الجدلية وأقام عليه نظريته فى

الأدب والفلسفة على اعتبار أن كل مجال منهما إنما يعبر عن رؤية العالم التى هى فى جوهرها عبارة عن وقائع اجتماعية وليست فردية. أما معنى هذا فهو أن رؤية العالم هى فى جوهرها وجهة نظر موحدة ومتماسكة إزاء الواقع بأكمله وهذه نقطة محورية وتختلف تماما عن الرؤية الفردية وعن أفكار الفرد التى نادرًا ما تكون متماسكة. فكأن جولدمان فى اهتمامه بالأعمال الأدبية قد اعتبر رؤية العالم أداة تصورية للعمل كما اعتبرها ضرورية لفهم التعبيرات المباشرة لفكر الفرد. وأداة تسمح باستخلاص العنصر الأساسى فيما يدرس من أعمال.



يمثل عـالم الأنثـربولوجيـا والأثنولوجيـا الأمـريكى وارد هنت جـودانف (مع كونكلين Conklin فى الحقيقة) أحدث الاتجاهات البنائية التى عرفت طريقها إلى الانتشار فى الولايات المتحدة الأمريكية بعدما ذاع صيتها أولا فى فرنسا على أيدى كلود ليفى ستروس بصفة خاصة ومثلها فى انجلترا ادموند ليتش وهى الاتجاهات التي صارت توصف (بعدما لحقت البنائية التقليدية بعض التحويرات والتعديلات وغير قليل من المفهومات والتصورات التى تتفق والعقلية الأمريكية) «بالاثنوجرافيا الجديدة» New Ethnography أو «بعلم الجماعية» Ethno science كما يطلقون عليها أحيانا.

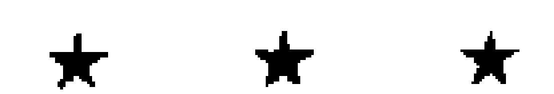
وقد ولد جود إنف عام ١٩١٩ ومنذ أن بدأ حياته العلمية كأستاذ فى جامعة بنسلفانيا وقد انشغل بتطوير مدخل تحليلى سيمانتيكى لدراسة الأنساق الثقافية وساعده فى تحقيق هذا المشروع الذى اشتهر به قيامه بعدد من البحوث والدراسات بين قبائل التروكيز Trukese فى ميكرونيزيا Micronesia حيث أمدته هذه الدراسات والبحوث بكم هائل من المعلومات والمادة الاثنوجرافية التى مكنته من المقارنة والتحليل.

وبحوث الدلالة (السيمانتيك) Semantics يذهب اللغويون إلى أنها تهتم بدراسة اللغة من حيث كونها أداة للتعبير عما يجول بالخاطر والفكر. ومع أن علم الدلالة تشتمل بحوثه على علم المفردات Lexicology وعلم المورفولوجيا Morphol-ogy وعلم التنظيم (السنتكس) Syntax وعلم الأساليب Stylistics كما أنه يهتم أساسا بدراسة معانى الكلمات والبناءات والعلاقات الدلالية المختلفة وكل ما يطرأ على هذه النواحى بفعل التغيير إلا أن جودإنف قد ذهب بعيدًا عما يتصف به هذا العلم من نزعة فلسفية صاحبته منذ نشأته وبخاصة عند ميشيل بريال Breal وأخذ يركز تركيزا كبيرا على الجوانب الأشد عمقا والتى تتمثل فى نظرية المعنى والمجالات الدلالية بوجه خاص. حيث أعطى عناية فائقة للاقتراب التحليلى Analytical الذى تكون فيه الجملة أو القضية التحليلية صادقة فى ضوء تحليل المركب الذى تصاغ

منه ووفقا للكلمات ومعانيها على حين يتضح صدق الجملة التركيبية فى ضوء الحقائق الامبريقية.

وليس من شك فى أن هناك الكثير من العلماء الذين سعوا دائما إلى إلقاء المزيد من الضوء على الجوانب ذات الصلة الوثيقة بين الانثربولوجيا الثقافية التى تهتم بالإنسان ككائن ثقافى والاثنولوجيا التى تهتم بدراسة الذاتيات الثقافية للشعوب والخصائص التى تميز ثقافة من الثقافات عن الأخرى وهما العلمان اللذان يلقيان بالضوء على الظروف البيئية والاقليمية التى عاشها الإنسان وما نجم عن ذلك من تأثير فى النظم اللغوية وفى التراث الثقافى بوجه عام إضافة إلى الكشف عن القوى المؤثرة فى تباين أو تشابه اللغات بين الأقاليم المختلفة على النحو الذى برز في أمريكا على أيدى أمثال جرينبرج وهوايتلى اللذين اهتما بدراسة اللغة وسط البيئة الثقافية العامة. ولكن الملاحظ فيما يتعلق بجودإنف أنه أكد تأكيدا زائداً على الجوانب المتعلقة بوصف اللغة وعلى النواحى البنائية وإنما فى ضوء تعريفات الناس أنفسهم للجوانب الدالة للحقيقة والأنساق التى تنتظم بها هذه الدلالات كمداخل للتفاهم فيما بينهم وكمداخل لإدراكهم العوالم التى يعيشون فيها وهو ما أطلق عليه مصطلح دلالة الجماعية أو الاثوسيمانتيك Ethnosemantics الذى لقى انتشارا ملحوظا خلال العقود الأخيرة من القرن الماضى.

من بين كتاباته المبكرة كتابه بعنوان «الملكية والعشيرة والمجتمع على المحك» Property, Kin and Community on Truk (١٩٥١) ثم مؤلفاته الأكثر تخصصا وأولها بعنوان «الوصف والمقارنة فى الانثربولوجيا الثقافية» Description and Comparision in Cultural Anthropology (١٩٧٠) والثانى بعنوان «الثقافة واللغة والمجتمع» Culture, Language and Society (١٩٧١) أما مؤلفه الثالث فقد أصدره بالاشتراك مع كونكلين تحت عنوان «تصنيف شعبى: ببليوجرافيا مرتبة موضوعيا عن مرجعيات معاصرة وغيرها خلال ١٩٧١» Folk Classification: A Topically Arranged Bibliography of Contemporary and Background References Through 1971 (١٩٧٢).



يصنف عالم الاجتماع الأمريكى آلفين جولدنر على أنه واحد من أكبر أنصار الاتجاه النقدى فى علم الاجتماع فهو من أبرز العلماء الذين أسهموا فى نقد علم الاجتماع المعاصر والنظرية الاجتماعية وهو بذلك يمثل الحركة النقدية المعاصرة التى تركز بصفة أساسية على ضرورة ربط النظرية بالسياقات الاجتماعية.

وقد ولد جولدنر فى نيويورك عام ١٩٢٠، وتلقى تعليمه فى جامعة كولومبيا التى نال منها درجة الماجستير عام ١٩٤٥ والدكتوراه عام ١٩٥٣ . وخلال هذه الفترة التحق بجامعة بافالو Buffalo حيث عمل محاضرا فى علم الاجتماع فى الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥١ . وبعدها عمل استاذا مساعدا فى كلية آنتيوش (٥٢ / ٥٤) ثم أستاذا لعم الاجتماع بجامعة واشنطن (١٩٥٤ / ١٩٦٧) ودعته جامعة هارفارد كأستاذ زائر خلال فصل الربيع والصيف (١٩٥٦) ثم عين أستاذا للنظرية الاجماعية منذ ١٩٧٦ وقام بالتدريس فى الجامعة العبرية وجامعة وارسو وجامعة برلين الحرة وفى مدرسة الاقتصاد فى ستوكهولم.

وهناك مقولة مشهورة قالها جولدنر وتشير إشارة واضحة إلى متضمنات رؤيته ومواقفه الفكرية مؤداها «إننا في حاجة إلي مجتمعات جديدة وليس تنظيرات جديدة» إذ يمكن في ضوئها فهم ما طرأ على تفكيره من تقلبات. فمما لا شك فيه أن جولدنر كان في مقدمة علماء الاجتماع المعاصرين الذين وجهوا أشد الانتقادات إلى الوظيفية وبخاصة وظيفية تالكوت بارسونز Parsons لاعتقاده أن بارسونز قد اعتمد فى تفسير التغير الاجتماعى على أساس تطورى الأمر الذي اعتبره جولدنر محاولة لاحياء التطورية السبنسرية رغم التمسح بالتقليد الماركسى وهو ما تقبله جولدنر إلى حد ما على اعتبار أنه حتى صدور كتابه الشهير «الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى» The Coming Crisis of Western Sociology الذى صدر فى ١٩٧٠ كان يصنف كواحد من الوظيفيين الذين يهتمون بالتنظيم الصناعى وإن كانت هذه النظرة قد تغيرت تغيرا جذريا ليصير واحدا من الراديكاليين وأنصار الاتجاه النقدى للعلم خاصة وأنه قد سعى منذ وقت أسبق على هذا التاريخ إلى تطوير

نظرية التنظيم لكى تكون أقدر على دراسة ديناميات الحياة الاجتماعية فى تنظيمات العمل وظهر ذلك فى دراسة له لأحد المصانع حيث حاول اختبار نظرية ماكس فيبر عن البيروقراطية التى تزايدت فى المجتمع الصناعى المعاصر. ففى كتابه الذى نشر فى ١٩٥٥ بعنوان «أنماط البيروقراطية الصناعية» Patterns of Industrial Bureaucracy سعى إلى تقديم صورة متكاملة للنمو التنظيمى يظهر فيها تأثره بأفكار روبرت ميرتون Merton وعلاقة ذلك بالظروف المجتمعية من منظور ثقافى وحضارى محددا فى ذلك عناصر البيروقراطية وآثارها وعلاقات القوة التى تعمل فى الكيان الواقعى للتنظيم وتؤثر فى طبيعة العلاقات الإنسانية القائمة فيه.

إذن فيمكن اعتبار كتاب «الأزمة القادمة لعلم الاجتماع» نقطة تحول مركزية فى تفكير جولدنر دفعته إلى البحث فى طبيعة العلاقة بين الفرد والمجتمع وإلى تتبع أصول النظرية السوسيولوجية والتعرف على العلاقات القائمة بينها وبين الاتجاهات الفكرية والمذاهب والايديولوجيات المختلفة. كما سعى فى الوقت نفسه إلى الكشف عن العلاقة بين البناء التحتى للمفكر أى مشاعره واهتماماته التى تتحكم فى فكر المنظر وبين النظريات التى يقدم على صياغتها لوصف الواقع وتفسيره ومن ثم تشخيصه لأزمة العلم لتصحيح مساره وتخليصه من أزمته التى كان على قناعة بقرب وقوعها.

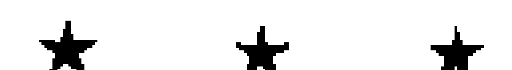
ولقد تبلورت المشكلة التى قابلها فيما يعانيه علم الاجتماع من مشكلات نظرية ومنهجية والتداخل الكبير بين مختلف الاتجاهات التى لا تحظى إلا بقبول ضئيل بين المشتغلين بالعلم وهو ما عبر عنه بمشكلة الوضعية المعاصرة لعلم الاجتماع والتى اعتبر أنها مشكلة تحليلية بالدرجة الأولى.

فى عام ١٩٧٣ نشر جولدنر كتابا جديدًا بعنوان «من أجل علم الاجتماع: التجديد والنقد فى علم اجتماع اليوم» For Sociology: Renewal and Critique in Sociology عبارة عن محاولة للرد على بعض الانتقادات التى وجهت إلى كتابه «الأزمة القادمة لعلم الاجتماع الغربى» فكان بمثابة مناقشة مستفيضة لدعوى وجود علم اجتماع متحرر من القيمة وهو ما أنكره بعنف مؤكدا فى ذلك على تأثر الأعمال السوسيولوجية بالأيديولوجيا مما جعله يركز على معارضة ونقد فيبر ودور كايم

وبارسونز خاصة من حيث تأثرهم الشديد بكارل ماركس ومؤكدا فى الوقت نفسه على صعوبة وجود نظرية للعلم دون نقد المجتمع.

ولقد قامت محاولات عديدة لإرساء ما يعرف بعلم الاجتماع الجديد New Sociology وبخاصة على أيدى س.رايت. ميلز Mills وأعماله التى ارتبطت باليسار الجديد الذى ظهر فى الخمسينيات وأوائل الستينيات من القرن العشرين. ولكن هذه الانتفاضة سرعان ما أصابها الاضمحلال بسبب عدم تطور أفكارها وفشلها فى اعطاء العالم الجديد روحا جديدة. ثم ظهر بعد ذلك علم الاجتماع النقدى Critical ومن بعده علم الاجتماع الراديكالى Radical وجميعها حركات ارتبطت بالاتجاهات السياسية السائدة.

غير أنه فى خضم هذه المحاولات قدم ألفين جولدنر شكلا جديدا فيما يعرف باسم علم الاجتماع التوفيقى أو المرتد Reflexive حيث ينحت عالم الاجتماع مفهوماته وتصوراته الاجتماعية متسلحا بتكوينه الفكرى وثقافته الذاتية الأمر الذى وصفه البعض بأنه نوع من الأمبريقية التى تفتقر إلى التجديد. ومهما يكن الأمر فإن كل هذا يصدمنا بحقيقة وجود أزمة سواء فى الحياة الاجتماعية أو نمط التفكير الذى يواجه به علم الاجتماع واقعه المأزوم. الأمر الذى عبر عنه فى كتابه عن أزمة علم الاجتماع والتى حاول أن يبلورها من خلال النسقين السائدين فى علم الاجتماع وهما الوظيفية من ناحية والماركسية من ناحية أخرى باعتبارهما النسقين المسيطرين تماما على النظرية الاجتماعية وكله مما يدفع إلى مزيد من البحث عن فكر جديد وأطر نظرية جديدة تكون أقدر على فهم الواقع القائم وتغييره.

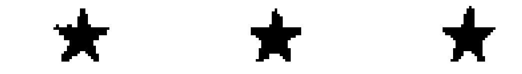


على الرغم من أصوله الروسية فإن عالم الانثربولوجيا الكسندر وفيتش جولد نفايزر يعتبر واحدا من أهم علماء الانثربولوجيا الأمريكيين الذين أضافوا إلى الانثربولوجيا الثقافية على وجه الخصوص، فقد لعب دورا هاما فى هذا الفرع وأيضا فى علم الاجتماع الأمريكي والتحليل النفسى واهتم فى ذلك بمسألة التمايز والتغاير الجنسى بين سكان أمريكا ومعظمهم من المهاجرين ومن أصول وبيئات ثقافية مختلفة ولذا كان اهتمامه بتطور الانثربولوجيا الثقافية ضمن مبادرات الرواد الأوائل من أمثال كروبير وكلكهوهن.

ولد جولد نفايزر فى كييف Kiev عام ١٨٨٠ وهاجر مع أسرته إلى أمريكا حيث درس تحت إشراف فرانز بواز فى جامعة كولومبيا التى منحته درجة الدكتوراه عام ١٩١٠ . ونتيجة لتأثره بأستاذه اهتم منذ وقت مبكر بمعالجة العديد من المشكلات والقضايا الثقافية التى تتراوح ما بين الحركات العقلية فى علم النفس والتحليل النفسى حيث بلور قضيته الأساسية القائلة بأن الانتشار الثقافى ليس عملية ميكانيكية أو عمياء ولكنه يعتمد أساسا على مدى ملاءمة الثقافات للحاجات الأساسية فى المجتمع الذى يستقبلها. وأبرز فى ذلك الكثير من قضايا الانتشار الثقافى وتتبع هجرة السمات والعناصر الثقافية لإعادة تركيب ماضيها ثانية وكان يركز فى ذلك على المشابهات الثقافية التى توجد فى كثير من النظم الاقتصادية والدينية مؤكدا على مبدأ الامكانات المحدودة Limited Posibilties الذى تتحد معه هجرة هذه السمات والعناصر الثقافية وانتشارها.

من ناحية أخرى مثلت العقلية البدائية موضوعا رئيسيا ضمن اهتماماته ولكن من خلال مدخل معين يدور حول الاكتشافات والاختراعات والتحسينات الاقتصادية والتكفية التى تلجأ إليها المجتمعات البدائية وناقش فى هذا قضية التفكير المنطقى لدى البدائيين منتهيا إلى أنه ليس صحيحا بالمرة أن نعزو إلى العقلية البدائية دورا سلبيا وقرر فى هذا أن لكل مجتمع بدائى طرائقه الخاصة فى التعامل مع البيئة والحفاظ على المهارات والمعلومات التى تؤسس على التجربة إنما كل المشكلة تنحصر فيما إذا كانت هذه المعارف تمثل نوعا من العلم كما يعرفه المجتمع المتقدم.

ومع أنه قـام ببـعض الدراسـات الحـقلية بين قـبـائل الايروكـوا Iroquois فى أمـريكا الشـمـالية إلا أنه اهتم اهتمـامـا خـاصة بدراسـة المشكلات النظرية فـدرس الطوطمية التى تصور أنها مؤسسة على علاقة رمزية صوفية غامضة نافيا وجود طبقة أو فئة واحدة للممارسات الطوطمية. وربما كان من أهم مواقفه ذلك الذى عبـر عنه بأن العوامل التصورية للشعوب الأمية لا تختلف اختلافا جوهريًا عن عالم الإنسان الحـديث الأمـر الذى ناقـشه باستـفـاضـة فى كـتابين رئيـسيين من مؤلفـاته أولهما: «التاريخ وعلم النفس والثقافة (١٩٣٣) وكتابه الثانى «الانثربولوجيا» الذى صدر فى عام ١٩٣٧ قبل وفاته بثلاثة أعوام (١٩٤٠) فى بورتلاند بأمريكا.



اشتهر عالم الأنثربولوجيا واللغويات الأمريكى جوزيف هارولد جرينبرج بتصنيفه الشهير للغات واللهجات الأفريقية وهو التصنيف الذى لقى قبولا عالميًا وبخاصة بعدما أوضح فيه الكثير من الانتقادات التى وجهها لبعض التصنيفات اللغوية التى قال بها بعض العلماء وبالذات التصنيفات الحديثة نسبيا التى ارتكزت على جهود علماء مرموقين مثل كارل ماينهوف Meinhof ووسترمان Westermann وكشف عن أوجه الضعف فى كثير من الأدلة التى أقيمت على الظن والافتراض دون اللجوء إلى الشواهد الواقعية والتاريخية.

وقد ولد جرينبرج عام ١٩١٥ فى بروكلين بأمريكا واكتسب شهرته كمتخصص فى الثقافة واللغات الأفريقية وبخاصة فى الخصائص والسمات أو ما يعرف بالعموديات اللغوية التى تشارك فيها عدد من اللغات التى تنتشر فى عدد من البيئات أو المناطق اللغوية الواسعة. ولقد حصل جرينبرج على درجة الدكتوراه فى الانثربولوجيا من جامعة نورث وسترن فى عام ١٩٤٠ ولكنه قام بدراسة اثنوجرافية فى الهوسا Hausa فى شمال نيجيريا (١٩٣٨ - ١٩٣٩) تمخضت عن واحد من أعمق كتبه دار حول «أثر الإسلام فى عقيدة سودانية» حيث ظل الإسلام يمارس دورًا هائلا فى صوغ أنماط الحياة عند الشعوب الزنجية فى السودان ومعظم أفريقيا الشرقية، ثم قام بالتدريس فى جامعتى نورث وسترن ومينسوتا وصار أستاذا للانثربولوجيا واللغويات فى جامعة ستانفورد (١٩٦٢) وكان زميلا فى مركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية التابع لهذه الجامعة وأصبح محاضرًا متميزًا أول (١٩٧٠) فى الرابطة الانثربولوجية الأمريكية.

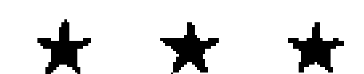
وليس من شك فى أن أفريقيا تعتبر من الناحية اللغوية من أشد مناطق العالم تعقيدًا وربما لا يضاهيها فى هذه الناحية إلا سكان أمريكا الجنوبية الأصليون وسكان غينيا الجديدة ولهذا فقد كان جوهر بحوثه يتركز فى قضية أساسية أصبحت شغله الشاغل وهى البحث عن العلاقات المشتركة والعامة فى اللغات التى ذهبت الدراسات والبحوث إلى أنها تقدر فى أفريقيا بأكثر من ثمانمائة لغة وإن كان

البعض قد قفز بهذا الرقم إلى ١٥٠٠ لغة ولهجة الأمر الذى يثير التساؤل عن كيفية ظهور ذلك الكل المعقد من التنوع اللغوى فى القارة وعن السمات والخصائص التى تشارك أو تتمايز بها هذه اللغات ودور الاتصال أو الاحتكاك المباشر بين شعوب القارة وغيرها من الشعوب.

فى ضوء دراساته التى أجراها فى نيجيريا طور جرينبرج تصنيفا حديثا للغات الأفريقية وقد نشر أولا فى سلسلة من المقالات فى جورنال ساوث وسترن للأنثربولوجيا ولكنه صدر بعد ذلك فى كتاب باسم «دراسات فى التصنيف اللغوى بأفريقيا» Studies in African Linguistic Classification وهو كتاب يعتبر بمثابة عمله الرئيسى الذى بنى شهرته حيث أقام تصنيفه على أساس وجهتى نظر أساسيتين الأولى النظر إلى الفصائل اللغوية من ناحية التطور والارتقاء Genetic والثانية من حيث الاتفاق فى الأصول والقواعد والبناء Typological وذهب إلى أن هناك خمس أسر لغوية متميزة وهى النيجر - الكردوفانية Niger-kordofanism، الأفروآسيوية Afroasiatic, الصحراوية النيلية Nilo-Saharan، والماكروسودانية والكليك التى تشمل قبائل الهتنتوت والفئات السكانية المختلفة من قبائل البوشمن المنتشرة فى جنوب غرب أفريقيا وبعض المناطق الأخرى فى شرق أفريقيا أيضا. وذلك بخلاف سبع فئات أو سبع لغات فردية فى مناطق صغيرة نسبيا من بينها السونجهاى، والمابان، والغور، والكومان حيث يعتبر مجموع الأسر اللغوية ١٢ لغة تشغل أكثر من ٩٨٪ من مجموع المساحة والسكان.

وقد صدرت لجرينبرج العديد من المقالات والمؤلفات المتخصصة فى اللغات والثقافات الأفريقية. ولا يتسع المجال هنا للتعرض لمقالاته التى كتبها فى اللغويات النظرية وإن كان لابد من ذكر كتابه فى هذا المجال المعنون «الانثربولوجيا اللغوية» Anthropological Linguistics (١٩٦٨) وكتابه الهام الذى أصدره بعد ذلك تحت عنوان «اللغة والثقافة والاتصال» Language, Culture and Communication (١٩٧١) وإن كان قد صدر له قبل هذا ببضعة أعوام كتابان آخران عن لغات أفريقيا الأول بعنوان «لغات أفريقيا» The Languages of Africa (١٩٦٣) والثانى بعنوان «عموميات اللغة» Uiniversals of Language وصدر فى العام نفسه ثم كتابه الضخم المعنون «عموميات اللغة الإنسانية» Universals of Human Language (١٩٧٨) فى أربعة مجلدات كاملة.

وعموما فقد تمكن جرينبرج فى هذه الدراسات والبحوث من التوصل إلى بعض النتائج الهامة حيث دلل على فساد بعض الفرضيات القديمة التى تذهب (ماينهوف) إلى وجود تعاقب فى أنواع اللغات بدلا من القول بما تؤكده البحوث من تداخل واختلاط كثير من الظواهر اللغوية الدالة على وجود روابط تاريخية حقيقية. منتهيا إلى أن اللغات الأفريقية تشترك - بالرغم من تعددها وتنوعها - فى بعض الخصائص الأساسية التى تقوم وراء التعقيد الذى يحيط بنشأتها وأصولها. والأهم من ذلك أن هذه اللغات تنسجم بشكل ملحوظ مع الجوانب الأخرى من الثقافة الأفريقية. وكما يقول هو نفسه أنه بالرغم من أن المنظر اللغوى الشامل كاف فى ذاته لأن يكشف عن مدى تفرع الظاهرة اللغوية وانشعابها فمن الصعب القول بأن كل هذا يتم بطريقة عشوائية مما يعنى أنه يوجد بالفعل وراء هذه (البرقشة) أو هذه الألوان التى تتكشف لنا الظاهرة اللغوية من خلالها نوع من النظام والترتيب والمبادئ الأساسية التى تحدد شكل وطبيعة مثل هذا الاتساق المطلوب للوفاء بغايات الإنسان وحاجاته وهو الاتجاه الذى تأدى بالعلماء إلى أن يؤكدوا على حقيقة أن اللغات المختلفة أيا كان المدى الذى تفرعت به لابد وأن تكون قد تفرعت أساسا عن بعض أصول محددة هو ما أطلقوا عليها اسم الفصائل أو العائلات العامة الكبرى التى اعتبرت الأصل الأول لكل ما هنالك من لغات ولهجات.



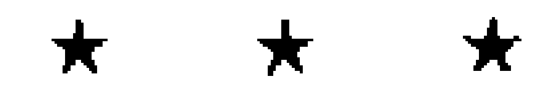
تلقى تعليمه وتدرب كباحث أنثربولوجى كما تخرج فى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية . ثم قام بالتدريس فى هذه المدرسة وأيضا فى جامعة هارفارد وتخصص فى أنثربولوجيا المجتمعات الأفريقية حيث عمل أستاذا فى مدرسة الدراسات الأفريقية والشرقية التابعة لجامعة لندن . بالإضافة إلى عمله كخبير متميز وباحث اجتماعى لحكومة تنجانيقا علاوة على منصبه كأستاذ للأنثربولوجيا فى جامعة بوسطن حيث شارك فى أحد مشاريعها الضخمة المتعلقة بالدراسات الأفريقية.

ولا ترجع شهرة جليفر إلى مناصبه العلمية والأكاديمية ولكنها ترجع بالدرجة الأولى إلى بحوثه ودراساته الميدانية التى أجراها فى أجزاء ومناطق مختلفة فى شرق ووسط أفريقيا منذ عام ١٩٤٨ وبخاصة فى أوغندا وتنزانيا وكينيا اللتين درس فيهما مختلف القضايا المتعلقة بوسائل وأساليب فض المنازعات إضافة إلى مشكلات التوطين والإقامة ومشكلات الهجرة العمالية وتنجانيقا بالذات وكلها دراسات حقلية تطلبت منه دراسة وتحليل البناءات الاجتماعية للمجتمعات التى عمل فيها والوقوف على طبيعة العلاقات الاجتماعية وصور وأنماط التفاعل الاجتماعى بين الأفراد والجماعات وبين المجتمعات بعضها وبعض وما قد يقوم بينها جميعا من علاقات المودة والتعاون أو التنابذ والشقاق والعدوان والدور الذى تلعبه القرابة بصفة خاصة فى المصالحات والمفاوضات لإذابة الصراعات حفاظا على وحدة القبيلة (أو الوحدة القرابية عموما) وعلى تماسكها الاجتماعى خاصة مع غيبة النظم القضائية والمحاكم والقانون بمعناها الحديث.

وهناك بعض المفهومات التى لها أهمية خاصة عند جليفر منها مفهوم القبيلة ومفهوم القبلية اللذين يختلفان عنده عما نجده عند إيفانز بريتشارد مثلا أو عند جلوكمان. وهنا اهتم اهتماما ملحوظا بما يوجد فى أوغندا بالذات ويطلق عليه رابطة الصداقة Bond of Friendship التى تجمع بين شخصين فى ضوء وضعيات وشروط معينة كأن يكونا من نفس الجنس والسن ومن حيث التكافؤ الاجتماعى والاقتصادى وبذلك تتوثق علاقة الصداقة التى تعبر عن ذاتها فيما يقوم بين الأفراد

من اعتماد متبادل وتعاون وتساند وخصوصا فى حالات الاعتداء على الآخرين وهو ما قد يتم وفق بعض الشعائر والطقوس فى كثير من الأحيان.

وربما يعتبر جليفر من أغزر الأنثروبولوجيين انتاجا وتأليفا فقد كتب عددا هائلا من المقالات (خاصة فى القانون ووسائل فض المنازعات). فى المجالات الأنثريولوجية والمجالات القانونية من بينها «مسح مبدئى عن التركانا» A Preliminary Survey of the Turkane (١٩٥١) عن قبيلة «التركانا» فى شمال كينيا. وكذلك مقالته الشهيرة عن «المفاوضات كنموذج لفض المنازعات : نحو نموذج عام» Negotation as a Model of Dispute Settlement: Towards a General Model (١٩٧٣) هذا طبعا بخلاف كتبه الرئيسية التى ألفها سواء بمفرده أو بالاشتراك ومن بينها «قطعان العائلة» Th Family Herds (١٩٥٥) وفى العام نفسه «الهجرة العمالية فى اقتصاد ريفى» Labor Migration in a Rural Economy (١٩٥٥) و«الضبط الاجتماعى فى مجتمع أفريقى» Social Control in an African Society علاوة على كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع زوجته باميلا «النيلوجامية الوسطى» The Central Nilo-Hamites (١٩٥٣) وأيضا كتابه «حالة العائلة فى أفريقيا» The Family State in Africa (ألفه مع جراى Gray) ثم كتاب آخر عن «التقليد والتحول فى شرق أفريقيا ؛ دراسة للعنصر القبلى فى المنطقة الحديثة» Tradition and Transition in East Africa : Studies of Tribal Element in the Modern Era (١٩٦٩).



جيرفيتش، جورج (١٨٩٦) GURVITCH, George

ولد عالم الاجتماع الفرنسى جورج جيرفيتش فى روسيا عام ١٨٩٦ وعاش فترة فى ألمانيا وتشيكوسلوفاكيا والولايات المتحدة الأمريكية واستقر أخيرا بعد الحرب العالمية الثانية فى فرنسا وظل يكتب بالفرنسية فى مختلف ميادين علم الاجتماع حتى احتسب انتاجه العلمى لفرنسا وترجمت مؤلفاته وكتاباته إلى العديد من اللغات من بينها الإنجليزية والألمانية والهولندية والإيطالية والعربية.

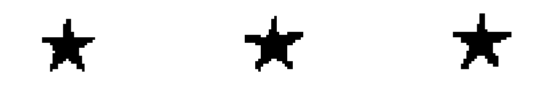
ويعتبر جيرفيتش واحدا من أبرز علماء الاجتماع الفلسفى الفرنسى اشتهر بتمييزه بين الدراسة الاجتماعية للجماعات الصغيرة (الميكروسوسيولوجيا) والدراسة الاجتماعية للجماعات الكبيرة أو الماكروسوسيولوجيا ومن خلال هذين الإطارين تعرض جيرفيتش لكل موضوعات علم الاجتماع تقريبا من خلال خلفيته النظرية والفلسفية التى أظهرت - على الأقل فى بعض مراحله - مدى تأثره بمدرسة الظواهر وهو التأثر الذى سينفيه فى مرحلة متقدمة من حياته.

وربما كان مفهوم الظاهرة الاجتماعية الكلية الذى استعاره من مارسيل موس Mauss أهم المفهومات التى قدمها جيرفيتش ويقصد به الصورة الكلية للمجتمع كما يبدو فى الخبرة المباشرة الأمر الذى يكشف عن ميله للنزعة التى أطلق عليها النزعة فوق الأمبريقية أو المغالية فى الأمبريقية تنصلا من ارتباطه الأولى بالظاهراتية الذى كان قد عبر عنه فى كتاباته المبكرة. كما يعتبر مفهوم البناء الاجتماعى الذى كتب فيه بشكل مطول من تلك المفهومات الرئيسية وكذلك مفهوم الواقع الاجتماعى المباشر أو العقل الجمعى الذى يقترب به كثيرا مما نجده عند دوركايم .

وباعتباره فى مقدمة الفلاسفة الاجتماعيين الذين تربوا فى أقسام الفلسفة بالسربون فقد اهتم كثيرا ببحث العلاقة بين علم الاجتماع المعرفى ونظرية المعرفة حيث بين إمكانية التعاون بينهما مهاجما بذلك القائلين برفض علم الاجتماع المعرفى لأنه يقوم على القول بوجود معرفة جمعية، وقد مكنه اهتمامه بهذه القضية من أن يقدم مجموعة دراسات مونوجرافية عن سان سيمون وأوجست كونت وبرودون. والأهم من ذلك توجيهه إلى دراسة التغير الاجتماعى والثقافى وكذلك مسائل التدرج الاجتماعى مما كان له أثره على علماء الاجتماع الفرنسيين فى كندا.

ولأن جيرفيتش كان يؤمن بأنه لا يوجد شيء ثابت فى المجتمع الذى يتصف بالتغير وبالحركة الدائمة فقد مثل علم اجتماع التنمية والدور الذى يقوم به محورا أساسيا فى تفكيره وكان لهذا تأثيره البالغ فى الكثيرين ممن اهتموا بالتنمية وبخاصة جورج بالاندير Balandier وشارل بتلهايم Betteleim وآلان ثورين Touraine والفريد سوفى Sauvy وكلود ليفى ستروس Strauss ولهذا فقد كان من بين اهتماماته وظيفة الحكم المحلى والديمقراطية كمظهرين من مظاهر المشكلات الاجتماعية حيث أثار فى كتابه Democracy as a Sociological Problem الكثير من التساؤلات التى ألقت مزيدا من الضوء على الموضوع. وهذه صفة تميزت بها سائر كتبه ومؤلفاته وبخاصة كتابه «الجدل وعلم الاجتماع» Dialectique et Sociologie (١٩٦٢) و«الدور الحقيقى لعلم الاجتماع» La Vocation Actuelle de la Sociologie (١٩٦٨) ومقالته المطولة التى كتبها عن «مفهوم البناء الاجتماعى» Le Concept de la Structure Sociale (١٩٥٥) وكذلك فى بعض كتاباته المبكرة التى برز فيها اهتمامه بالجوانب الأخلاقية مثل Morale Theorique et Science des Moeurs (١٩٤٨) وكتابه عن «التكنوقراطية والتصنيع» Industrialisation et Technocratie (١٩٤٩).

وعلى العموم فإن آراء جورج جيرفيتش تعكس إنكارا واضحا لإمكانية التوصل إلى قوانين علية أو تطورية أو وظيفية فى علم الاجتماع على اعتقاد منه بأنه لا يوجد فى العلم ما يعرف بالحتمية أما إذا كانت هناك حتمية فإنها لا توجد إلا من خلال القوانين الإحصائية فحسب وبعض الارتباطات الاحتمالية.



-H-

هابرماس، يورجن (١٩٢٩-   HABERMAS, JÜRGEN

تعدت آراؤه وأفكاره الحدود الحضارية والإقليمية لوطنه ألمانيا وأصبح واحدا من أبرز الفلاسفة وعلماء الاجتماع المعاصرين فى أوربا كلها. وباعتباره أحد الورثة الشرعيين لتراث مدرسة فرانكفورت فإن شهرته ترجع إلى خبرة أكثر من ثلاثين عاما قضاها فى مناقشة مختلف القضايا المعاصرة فكتب فى المجتمع وفى المعرفة والتاريخ والتكنولوجيا وعلم النفس والاتصال والاجتماع وفى موضوعات أخرى كثيرة بالإضافة إلى دوره فى الحياة العامة لوطنه وهو يمر بمختلف مراحل تطوره السياسى والاجتماعى والثقافى بعامة.

ولد يورجن هابرماس فى عام ١٩٢٩ ونال تعليمه فى جامعتى توبنجن Tobingen وفرانكفورت Frankfurt وهى مرحلة كانت بمثابة حجر الزاوية فى تحديد اتجاهاته على اعتبار أن اهتمامه بكل من الماركسية والفرويدية أخذ فى التشكل وفى التبلور الأمر الذى أدى به إلى رؤاه ومواقفه الخاصة التى لم تكن فى كثير من المواضع تتفق تماما مع المسلمات التقليدية التى كان يأخذ بها أيا من الاتجاهين وبخاصة بعدما زاول التدريس فى كل من جامعة فرانكفورت وجامعة هايدلبرج Heidelberg وتولى إدارة معهد ماكس بلانك فى الفترة من ١٩٧١ - ١٩٨٢ التى ربما كانت أخصب فترات عطائه العلمى.

وليس من شك فى أن هابرماس يعتبر من أبرز أعضاء مدرسة فرانكفورت ولكن من المهم القول مع ذلك أنه يختلف كثيرا عن الجيل الأول من رواد النظرية النقدية سواء من حيث المنطلقات أو الغايات التى سعى إلى تحقيقها فباعتباره فيلسوفا وجد متعة كبيرة فى تطوير النظرية الاجتماعية ويوجه اهتماما خاصا إلى علم اجتماع المعرفة بمعنى أنه حول اهتمامه لنقل وتحويل النظرية النقدية من اتجاهها السياسى لتصبح نظرية فى المعرفة الاجتماعية عن طريق التعرف على شروط المعرفة الممكنة والتعرف على كيفية نقد المعرفة ذاتها من خلال الإحاطة

بالبناء وبالمحتوى. وهى عملية استدعت الاعتماد كثيرا على الاتجاه السيكولوجى والتحليل النفسى على وجه الخصوص.

فى أوائل الستينيات من القرن الماضى نشر أول كتبه الهامة التى حددت ملامح نظرته النقدية تحت عنوان «التحول البنائى للحياة (المحيط) العام» The Structural Transformation of the Puplic Sphere (١٩٦٢) حيث ناقش دور المثقفين الذى أكد ضرورة قيامه على قدر من الحرية وسهولة الاتصال بالجماهير. ونزولا على هذه الغاية العملية سعى إلى إضفاء نوع من المشروعية على الفكر الذرائعى فى نسقه النظرى ذاهبا إلى أن العقل الذرائعى له دور حيوى وأصيل مستخدما التحليل النفسى لتوضيح هذا باعتبار التحليل النفسى نموذجا للعلم المنقذ أو (المخلص) ويقصد به ذلك العلم الذى لا يؤدى فقط إلى إنتاج المعرفة ولكنه يمكن الإنسان أيضا من أن يصبح على وعى بطبيعة المشكلات وأسبابها وكيفية مواجهتها.

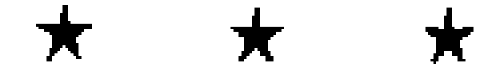
كتابه الهام الثانى هو «المعرفة والمصالح الإنسانية» Knowledge and Human Interest (١٩٦٨) وقارن فيه التحليل النفسى بالنظرية الاجتماعية مثيرا فى ذلك العديد من المسائل المتعلقة بالمنهجية وبالتصورات والمفاهيم الأساسية. وفى داخل هذا الإطار بين هابرماس أن هناك ثلاث مصالح معرفية يشترك فيها البشر أجمعين هى المصالح الفنية (تتعلق بمعرفة البيئةوالسيطرة عليها وتؤدى إلى ظهور العلوم الأمبريقية وفى مقدمتها (العلوم الطبيعية) والمصالح العملية (تتعلق بالقدرة على الفهم المتبادل وتؤدى إلى ظهور العلوم التأويلية) وأخيرا المصالح التحريرية (تتعلق بالرغبة فى التخلص من كل معوقات الفهم والاتصال وتؤدى إلى ظهور العلوم النقدية وفى مقدمتها التحليل النفسى) ومن الواضح أن هذا التصور تكمن وراءه بعض الرؤى الماركسية التقليدية فى الوجود الإنسانى وإن كان لا يمكن اتهامه بالحتمية الاقتصادية بمفهومها الماركسى القديم بسبب ما يحويه التصور من إشارات وتلميحات رمزية ولأن هابرماس قد اعتقد أيضًا أن هذه الحتمية إنما ترتبط بالمراحل المبكرة من تطور الرأسمالية وهى مرحلة تجاوزتها المجتمعات الرأسمالية الحالية بكثير وفى أكثر من اتجاه وفى عدة مستويات.

أما كتابه المهم الثالث والذى يمكن النظر إليه على أنه الإطار الأشمل لنظريته الاجتماعية فهو المعنون «نظرية الفعل الاتصالى» The Theory of Communicative

Action (١٩٨١) حيث سعت نظريته النقدية إلى خلق وتوليد وعى جديد بالطبيعة المزدوجة للوعى أو الرشد باعتباره رشدا ذرائعيا واتصاليا فى آن واحد. وهو يقصد بالفعل الاتصالى الكلام والحديث الرشيد الذى يتجه إلى إحداث نوع من الاتفاق ومن ثم فهو يعتبر بمثابة الشكل النهائى للسلوك الاجتماعى.

وقد يكون من الصعب الإحاطة بكل اهتمامات هابرماس والجوانب المختلفة لتفكيره ما لم ننتبه إلى ما طرأ على تفكيره من تحولات وبخاصة فى السنوات الأخيرة وإذا كان فى هذه الكتب التى عرضنا لها حتى الآن كان همه فى مواضع كثيرة منها منصبا على نقده اللاذع للوعى التكنوقراطى الذى يفرض نفسه بشدة على العالم الواقعى للمجتمعات الغربية عموما فقد اتسع نطاق هذا النقد خلال العقدين الأخيرين بالذات ليشمل النواحى الثقافية على اتساعها. ففى منتصف الثمانينيات انخرط فى الانتقادات التى وجهت إلى الحداثة ولما بعد الحداثة إذ صدر مؤلفه المعنون «حوار فلسفى حول الحداثة» The Philosopical Discours of Modernity (١٩٨٥) وأتبعه بأعوام أربعة بكتابه المعنون «النزعة المحافظة الجديدة : نقد ثقافى ونقاش تاريخى» The New Conservatism: Cultural Criticism and Historian's Debate (١٩٨٩) وهما كتابان كانا بمثابة مدخل واسع ليطل منه على قضايا معاصرة عاشتها ألمانيا والعالم بأكمله خلال هذين العقدين وما زالت تأثيراتهما باقية إلى اليوم. حيث ظهر كتابه «عندما سقط الحائط» When the Wall Came Down (١٩٩١) الذى احتوى على عدد من المقالات السياسية والثقافية عن سور برلين والوضعيات السوسيواقتصادية داخل وخارج ألمانيا التى نشأت على أثر انهيار حائط برلين وظهور ألمانيا فى ثوبها الجديد.

وأخيرا هناك أيضا كتابه «الماضى كمستقبل» The Past as Future (١٩٩٤) وفيه اهتمام مباشر بمختلف القضايا والظروف التى كانت ألمانيا طرفا فيها بالإضافة إلى بعض الأحداث العالمية ورأيه فيها مثل حرب الخليج وسائر الضغوط الاقتصادية والسياسية التى تتعرض لها أنحاء عديدة فى العالم والتى لا فكاك منها إلا بمزيد من الوعى والإدراك النقديين لمختلف الأوضاع ومسبباتها .



على مدى أكثر من ثلاثين عاما كان الفريد كورت هادون المساند أو ربما الممثل الوحيد للأنثربولوجيا البريطانية فى كامبريدج ولهذا فلا يعتبر غريبا أن اعتبر واحدا من الرواد الذين يرجع إليهم الفضل فى تأسيس هذا العلم فى بريطانيا فى العصر الحديث وبالرغم حتى من حقيقة أنه لم يكن قد تخصص أصلاً فى الأنثرويولوجيا ولكنه درس فى بداية حياته التشريع المقارن وعلم الحيوان بل وقام بتدريس هذا العلم الأخير فى الكلية الملكية للعلوم فى دبلن منذ أن عين استاذا لعلم الحيوان بها فى عام ١٨٨٠.

ولد هادون فى عام ١٨٥٥ في لندن وتوفى وهو فى الخامسة والثمانين من عمره فى إبريل عام ١٩٤٠ ونجح خلال هذه السنوات فى أن يحقق للأنثربولوجيا مكانتها العالية بين العلوم التى تعتمد على الملاحظة لا بسبب مؤلفاته وأعماله العلمية فحسب ولكن بسبب تدريسه للعلم والجهد الخارق الذى بذله للتعريف به والعمل على إرساء قواعده حيث درس لعدة أجيال من الشباب الذى برز منهم علماء متميزون من بينهم رادكليف براون الذى درس علم الحيوان على يديه.

ويبدو أن دراسات هادون المبكرة لعلم التشريح وعلم الحيوان كانت السبب فى تحول اهتمامه إلى دراسة الإنسان ، فبعد أن تلقى هذه العلوم فى كريست كوليج Christ College بكامبريدج وهى العلوم التى يشهد الكثيرون بتفوقه فيها وأصدر حولها أكثر من كتاب من بينها كتابه الأول بعنوان «مقدمة فى دراسة علم الأجنة» In-troduction to the Study of Embryology (١٨٨٧) وهو كتاب اتبعه بعدة دراسات وبحوث فى علم الأحياء البحرية Marine Biology أخذ يمارس فى دراسته لهذه النواحى المتخصصة بين ما يلاحظه فى عالم الحيوان وملاحظاته لعالم الإنسان وكان ذلك بمثابة بداية الطريق الذى سار فيه بقية حياته.

ويمكن القول بأن رحلته التى قام بها فى ١٨٨٨ إلى مضايق توريس Torres Strait فى ميلانيزيا لدراسة الحيوانات البحرية هى التى مثلت المنعطف الحقيقى فى اتجاهاته إذ إنه لم يقصر اهتمامه على دراسة هذه النواحى ولكنه تحول أيضا

إلى الاهتمام بدراسة الشعوب والجماعات المحلية فى ميلانيزيا وهو اهتمام تحول على أى الأحوال إلى شغف بدراسة الإنسان وكان بذلك من أوائل العلماء الذين شغلتهم مسألة تصنيف الأجناس البشرية إذ وضع تصنيفًا على أساس شكل وطول الجمجمة ولون البشرة وطول القامة فهناك أجناس طويلة الرأس وأخرى رؤوسهم متوسطة وغيرها عريضة والنمط الأول كما الاستراليين وشعوب البحر المتوسط والثانى فى شمال أوربا والنورديين والثالث بين الأسيويين.

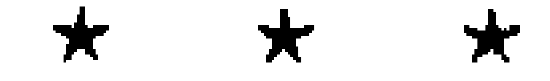
والواقع أنه كان لهذه الرحلة نتائجها الحاسمة فعند عودته إلى كامبريدج عام ١٨٩٣ أخذ يحاضر فى الأنثربولوجيا الفيزيقية. ولم تمض خمس سنوات حتى كان ينظم عام ١٨٩٨ بعثة جامعة كامبريدج الأنثربولوجية التى قادها إلى جزر ومضايق توريس وغينيا الجديدة New Guinea وساراواك Sarawak وهى الدراسات التى استخدم فيها بنجاح بعض التكنيكات الأساسية فى الدراسات الأنثربولوجية الحلقية الحديثة ومن بينها الطريقة الجينالوجية المستخدمة فى دراسة الأنساب وتتبعها .

وبالرغم من أن هذه البعثة شارك فيها عدد من العلماء من أمثال ريفرز وسلجمان وسيدنى راى وغيرهم فقد ارتبطت أساسا باسم هادون الذى أشرف على تنظيمها وترأسها وقد عرفت جامعة كامبريدج والكلية التي تخرج فيها (كريست كوليج) فضل هادون وما قدمه للأنثربولوجيا من خدمات ففتحت كامبريدج قاعاتها لمحاضراته ومنحته كليته زمالتها فى عام ١٩٠١ وعندما أنشئ مجلس الدراسات الأنثربولوجيا فى كامبريدج عام ١٩٠٤ أصبح هادون فى الفترة من ١٩٠٦ إلى عام ١٩٢٦ قارئا متفرغا للدراسات الأثنولوجية.

وقد يكون من الصعب حقيقة التعرض هنا لمؤلفاته وكتاباته التى تجاوزت الستمائة والتى تمتلئ بكم هائل من المعلومات والمادة الاثنوجرافية التى نجح فى جمعها من الشعوب البدائية متأثرا فى ذلك بكتابات وبمنهجية أدولف باستيمان الذى كان يطلق تسمية الشعوب الطبيعية فى مقابل الشعوب المتمدينة أو المثقفة وينادى بضرورة جمع أكبر قدر ممكن من المعلومات حتى يمكن تسجيلها قبل اندثارها.

وقد ظهر كتابه «التطور فى الفن» Evolution in Art (١٨٩٥) و«صائدو الرؤوس البيض والسود والقمحية» Head Hunters, Black, White and Brown

(١٩٠١) و«غـرائب الشـعـوب» Wanderings of Peoples (١٩١١) و«نحن الأوربيين» We Europeans الذى قـدمـه مع السـيـر جـوليـان سـوريل هكسلى Huxley . أمـا مؤلفاته الأكثر حداثة فتشتمل على «تاريخ الأنثربولوجيا» History of Anthro- pology الذى ظهر فى عام ١٩٣٤ ويعتبر من أكثر كتبه المتخصصة دقة ووضوحًا. ومن قبله بعشر سنوات كتابه «أجناس البشر وتوزعاتهم» The Races of Man and Their Distrbution (١٩٢٤) معتمدا فى تناوله على الاتجاه التطورى الذى يفسر الانتقال من البسيط إلى المركب ومن الأدنى إلى الأعلى والأرقى.



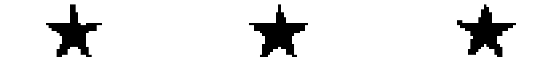
مؤرخ أنثربولوجى ورائد من رواد النظرية الحديثة اكتسب شهرته نتيجة لأعماله ودراساته الميدانية التى أجراها فى جزر باهيا Bahia وبعض الأقاليم البرازيلية الأخرى وأيضًا فى موزامبيق Mozambique وكان لمادته الاثنوجرافية التى جمعها عن صور وأشكال المواد الثقافية أكبر الأثر فى مفهوم الثقافة بوجه خاص.

وقد ولد هاريس عام ١٩٢٧ ونال درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا عام ١٩٥٣ حيث قام بتدريس الأنثربولوجيا وعمل مستشارا فنيا للحكومة البرازيلية بوزارة التربية والتعليم . وإن كانت أعماله وكتاباته قد أثارت الكثير من الجدل العلمى الذى ما زالت أصداؤه تتردد حتى الآن نتيجة لموقفه الخاص من العلوم الاجتماعية التى كان ينظر إلى وظيفتها نظرة أشبه بعملية التكيف Adaption التى توجد فى العالم العضوي وهى نظرة قادته إلى القيام بالعديد من الدراسات المقارنة فى الثقافات البدائية وفى الاقتصاديات الأوربية فى العصور الوسطى حيث كشف عن وجود نمطين متمايزين هما نظام الإقطاع Feudalism ونظام العمل اليدوى الذى تلعب فيه الملكية دورا كبيرا وهما نمطان ذهب إلى أن اقتصادياتهما لم تكن تختلف كثيرا عن الاقتصاديات التى تسود المناطق الحالية.

ومن ناحية أخرى فقد اهتم أيضا بدراسة عوامل الهجرة الثقافية والسياسية الأمر الذى أثار بدوره مناقشات طويلة خاصة بالنتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسات والتى اعتمد فيها على المنهج العلمى الجديد Ethnoscientific على النحو الذى ظهر فى دراسة له أجراها فى التونجا Thonga فى موزمبيق التى تعرض فيها لنظم العمل ونظام السُخرة ونظام الأجور التى يجرى ممارستها على الموظفين وغيرهم من العاملين. وهو ما عبر عنه فى عدد من كتبه ومؤلفاته التى ما زالت تلقى الكثير من التقدير إلى جانب الكثير أيضا من الانتقاد والمعارضة.

ويعتبر كتابه «ظهور النظرية الأنثربولوجية» The Rise of Anthropological Theory (١٩٦٨) فى مقدمة كتاباته التى تناول فيها مفهومه لعلم الاجتماع وللنظرية الأنثربولوجية بوجه خاص من خلال استعراضه ومناقشته لمختلف المراحل التى تطور

العلم من خلالها ارتباطا بأسماء عدد كبير من الآباء المؤسسين الأوائل. وإن كانت فترة السبعينيات قد شهدت له أيضا بعض الكتب الهامة من بينها كتاب «الثقافة والناس والطبيعة» Culture, People and Nature (١٩٧٥) وكذلك كتابه المعنون «الكانيبالزم والملوك: أصول الثقافات» Cannibals and Kings: The Origins of Cultures (١٩٧٧) ثم كتابه «المواد الثقافية : النضال لأجل علم للثقافة» Cultural Materialism: The Struggle for a Science of Culture (١٩٧٩) ثم كتابه الذى يعتبر من وجهة نظر الكثيرين أهم كتبه وأكثرها وضوحًا واعتمادا على المادة الهائلة التى بين يديه وهو «الأنثربولوجيا الثقافية» Cultural Anthropology (١٩٨٣) وهو من أمهات الكتب التى ما زالت تلقى رواجا إلى اليوم خاصة وأنه فى هذا الكتاب قد عاد ينظر بشىء من الحرص الذى لا يخلو من النقد إلى «المنهج العلمى الجديد» الذي يهدف أساسا إلى فهم الجوانب المكونة لثقافات الشعوب كما تتصور الشعوب نفسها هذه الجوانب. وبالرغم من أن هذا يبدو صحيحا فى مجمله فإن ما انتقده هو ما يزعمه المنهج من تأكيد على القواعد والأنماط الثقافية الأمر الذى رأى أنه يبعد الانتباه عن العملية الأكثر أهمية وهى العملية التى تطور الشعوب بها هذه القواعد والأنماط والأحكام الثقافية بطرائق بديلة تساعدها على التكيف مع الظروف المتغيرة. إضافة إلى الطابع المثالى الذى ينطوى هذا المنهج عليه خاصة وهو يدعى أن الانثربولوجى يرى الثقافة بنفس المنظور الذى يراها به المجتمع وهذه مسألة يصعب تحققها واقعيا .



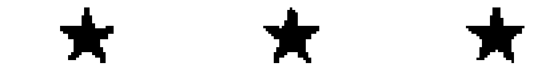
يعتبر هرسكوفيتز رائدالدراسات الأفريقية فى أمريكا إذ انصب اهتمامه على دراسة أكثر نواحى الحياة حيوية فى القارة وبخاصة قضايا الفن والتغير الثقافى والعقيدة ومن هنا فيمكن القول بأن جانبا كبيرا من الفضل إنما يرجع إليه فى فتح آفاق أوسع أمام الدراسات الأنثربولوجية التى أخذت تهتم اهتماما خاصا بدراسة الزنوج والنيجرو كمجال جديد للبحث الأنثربولوجى، علاوة على شهرته الرائدة كعالم إنسانى النزعة يتميز بنظرة خاصة للثقافة الأفريقية أقامها فى ضوء مبدأ النسبية الثقافية التى كانت بمثابة نقد للحتمية الأنثربولوجية البريطانية نظرا لما لها من ملامح تمثلت فى التركيز على التنوع الثقافى وإبراز الذاتية بدلا من الأمبريقية البسيطة ، ورفض فكرة تدنى الشعوب غير الغربية والاهتمام بإبراز البعد الإنسانى فى ممارسة البحث والعمل الأنثربولوجى وكلها ساعدت على بلورة النظرية النقدية فى الأنثربولوجيا على ما أكدته دراساته وبحوثه التى أجراها فى جزر الكاريبى وهاييتى وترينيداد وغينيا الهولندية والبرازيل فى إطار الظروف المختلفة التى يعيشها الأفارقة فى هذه المناطق.

ولقد ولد هرسكوفيتز فى بل فوتين Belle Fountaine بولاية أوهايو عام ١٨٩٥ ونال درجته الجامعية الأولى من جامعة شيكاغو (١٩٢٠) ودرجة الماجستير ثم الدكتوراه (١٩٢٣) من جامعة كولومبيا حيث تأثر بالأستاذ فرانز بواس Boas ثم عمل محاضرا فى الأنثربولوجيا فى هارفارد قبلما يذهب فى ١٩٢٧ إلى جامعة نورث وسترن حيث ظل يعمل حتى وفاته عام ١٩٦٣ بعد أن شغل أول كرسى للدراسات الأفريقية فى الولايات المتحدة عام ١٩٦١. كذلك فقد عمل مديرا لبرنامج الدراسات الأفريقية بجامعة نورث وسترن كما كان رئيسا لجمعية الفولكلور الأمريكية ومحررا لمجلة American Anthropologist .

ولقد كتب هرسكوفيتز عددا كبيرا من الكتب والمؤلفات بخلاف مقالاته فى شتى موضوعات الثقافة الأفريقية. وفى معظم هذه الكتابات هاجم هجوما عنيفا الكثير من الرؤى والمواقف التى كانت سائدة فى النصف الأول من القرن العشرين عن الثقافة الأفريقية والأصول التاريخية للأفارقة . ومن بين هذه الكتابات «اسطورة

مـاضـى الزنوج» The Myth of Negro Past (١٩٤١) عـارض فيه بشـدة الفـرضـيـة القـائلة بأن أفـريقيـا لابد وأن تتبع النمـوذج الغـربى وأن تبـقـى تحت الوصـاية المباشـرة للآخرين مـؤكدا بـذلك الشـخـصـيـة المستـقـرة للثـقـافـة الأفـريـقـيـة من نـاحيـة وإمكانات التغيـر الاجتمـاعـى والثقـافى على أيدى الأفـارقة أنفسـهم من نـاحيـة ثانية حيث اهتم بإبراز الخـصـائص المكتسبة والفطـرية فى الثقـافـة وتطورها اعتـمـادا على التجـارب الذاتيـة للشعوب ومنتـهيـا إلى أن الاختـلافـات فى تطور الشـعـوب الثقـافى كـمـا فى الأفراد يلعب الاكتساب فيها دورا متعاظما .

كذلك ظهرت اهتمامات هيرسكوفيتز باقتصاديات القـارة حيث أصـدر Man and His Work (١٩٤٨) و«الحيـاة الاقتصـادية للشـعـوب البـدائيـة» The Economic Life of Primitive Peoples (١٩٤٠) وهـو مـحـاولـة لصـيـاغـة المبـادئ الأسـاسـيـة للأنثـربولوجيـا الاقتصادية بالإضـافة إلى «الأنثـربولوجيـا الثقـافية» (١٩٥٥) و«العـامل البشرى فى أفريقيا المتغيرة The Human Factor in Changing Africa (١٩٦٢).



على الرغم من أن القانون كان دائما موضع اهتمام من الانثربولوجيين فقد ظلت الأنثربولوجيا القانونية تعانى لوقت طويل من عيب بارز هو عدم تحررها من القوالب والمصطلحات الفنية التى تمتلئ بها صفحات كتب القانون والفقه القانونى المتخصصة.

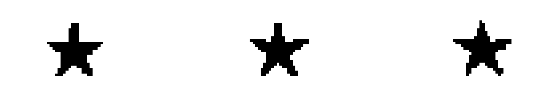
ولهذا فإن هويل وهو من أغزر الكتاب الذين كتبوا فى مختلف الدوريات والمجلات الأنثربولوجية والقانونية يعتبر نقطة تحول رئيسية فى هذا المزاج المسيطر بمحاولته تعديل معالجة الأنثربولوجيا للقانون فبدلا من الطريقة التى دأبوا عليها فى دراستهم لقوانين المجتمعات البسيطة من زاوية الفقيه أو المحامى القانونى تغير الحال إلى الاعتماد على النظرة الواقعية للأفراد المحليين من أعضاء الجماعة أو المجتمع البسيط الذي تتم دراسته. وهذه نقلة هامة إذ يبدأ الأنثربولوجي بمشاهدة وتحليل الأفعال والتصرفات الاجتماعية ويسعى من خلالها إلى تحديد شكل ونوع القانون ضمن ما تعيش الجماعة (المجتمع) فى ظله من قوانين وأعراف وهذا فى الحقيقة انعكاس لتأثره بروسكو باوند الذى يعتبر من أقطاب الاتجاه الواقعى في دراسة القانون إذ يتفق معه في تعريفه للقانون ومن حيث إنه يوجد أيضا فى كل المجتمعات بصرف النظر عن بدائيتها .

وليس من شك فى أن تكوينه العلمى هو الذى ساعد هويل علي تبوأ هذه المكانة التى يحتلها فى ميدان الأنثربولوجيا القانونية فقد حصل على درجة الدكتوراه فى الأنثربولوجيا من جامعة كولومبيا وعمل أستاذا للأنثربولوجيا فى جامعة مينسوتا وكذلك مركز دراسات إيست وسترن كما كان زميلا بمركز الدراسات المتقدمة فى العلوم السلوكية بالإضافة إلى أنه قد تمتع بعضوية مجلس تحرير مجلة «القانون والمجتمع Law and Society ومحررا فى مجلة National Law Form.

ولقد أقام هويل تمييزا فاصلا بين القانون وبين العرف اتساقا فى الحقيقة مع اتجاهه الواقعى إذ رأى أن هناك ثلاثة عناصر أساسية فى القانون تميزه عن قواعد العرف وهى القوة أو القسر، والسلطة الرسمية والقياسية. أما بالنسبة إلى

المجتمع البدائى (الذى استأثر بمعظم اهتمامه) فيعتبر العرف الوجه التقنينى للتقاليد والعادات الجمعية والآداب العامة بل ويرتبط ارتباطا وثيقا بالعديد من الإجراءات الدينية والطقوس السرية والمبادئ الأخلاقية مما يجعل منه وسيلة فذة للضبط الاجتماعى.

ولقد كتب هويل عددا هائلا من الكتب والمؤلفات لعل من أشهرها كتابه المعنون «الإنسان فى العالم البدائى» Man in Primitive World (١٩٤٩) وكتابه «قانون الإنسان البدائى» The Law of Primitive Man (١٩٥٤) وكتابه الذى قدمه فى عام ١٩٦١ بالاشتراك مع جلوكمان بعنوان «تعليق : دور الملك فى العملية القضائية فى باروتسو» Comment: The Role of the king in the Barotse Judical Process. بالإضافة إلى كتابه الهام الذى ألفه بالاشتراك مع ليولن The Cheyenn Way فى عام ١٩٤١ الذى وضح فيه دور الجماعات الخاصة فى القانون مما تتوجب معه دراسة القانون فى داخل الجماعة ذاتها . وللحق فإن هذا الكتاب يعتبر من وجهة نظر كثير من العلماء والباحثين أهم إنجازاته النظرية الحديثة فى الأنثربولوجيا القانونية إذ تخلى فيه عن المداخل التقليدية فى دراسة القانون البدائى. وحيث اهتم بإبراز الاختلافات بين الجزاءات القانونية والجزاءات الأخلاقية فى المجتمعات البدائية . فالقانون هنا (له أسنان تعض) بحسب قوله ويعتبر هذا الكتاب - بالرغم من الكم الهائل من الدراسات التى أجريت فى المجتمعات البسيطة والقبلية - من أضخم الإنجازات فى الميدان وما زال الكثيرون ينظرون إليه على أنه أنموذج يحتذى به فى ميدان البحث لما ينطوى عليه من مواقف ورؤى جديدة كان لها أبعد الأثر فى التخلى عن الدراسات الفقهية مما أفسح المجال أمام العديد من الدراسات النظرية والأثنوجرافية فى مناطق أخرى جديدة لتشكل فى مجموعها التراث الأنثربولوجى الذى يهتم ويبحث مشكلات القانون البدائى وتطوره.



مؤرخ أمريكى اكتسبت كتبه ومؤلفاته الشعبية فى مختلف المجالات والاتجاهات الاجتماعية والسياسية والثقافية شهرة ذائعة حيث فاز مرتين بجائزة بوليتزر Pulitzer العالمية. ولقد ولد هوفستادر فى عام ١٩١٦ فى بافالو Buffalo فى نيويورك وحصل على درجة الماجستير من جامعة كولومبيا عام ١٩٣٨ ثم الدكتوراه عام ١٩٤٢ وبعدها قام بالتدريس فى جامعة ميريلاند فى الفترة من ١٩٤٢ إلى ١٩٤٦ ليعود بعدها للتدريس فى كولومبيا من ١٩٤٦ إلى ١٩٧٠ حيث قضى بقية أيامه إلى أن توفى فى شهر أكتوبر من العام نفسه وهو لم يزل فى الرابعة والخمسين من عمره.

ولا شك فى أن هوفستادر كان أحد المثقفين القلائل الذين نجحوا فى أن يحددوا منذ بداية حياتهم العملية مسار فكرهم بوضوح كبير منطلقا من مشاركته الإيجابية في المناقشات التى يثيرها التفسير التاريخى التى احتدمت فى الولايات المتحدة الأمريكية منذ أربعينيات القرن الماضى خاصة فيما يتعلق بأصول الرأسمالية الحديثة التى رأى أنها بدأت بكارل ماركس وتعرضت لمراجعات ماكس فيبر للتفسير الماركسى وهى مناقشات شارك فيها عدد كبير من علماء الاجتماع والمؤرخين

ومنذ البداية تميزت مناقشاته وكتاباته التى قلنا إنها ذائعة الانتشار والرواج بمزية أساسية كانت بمثابة الأساس النظرى والمنهجى لكل مواقفه ورؤاه التى سعى بها للتعبير عن تفسيره الخاص لتاريخ أمريكا مستخدما فى ذلك الفكر السوسيولوجى والمقولات والتصورات السوسيولوجية بصفة أساسية الأمر الذى تعكسه بشكل جلى كل كتاباته. ففى عام ١٩٤٥ ظهر كتابه «الداروينية الاجتماعية فى التفكير الأمريكى» Social Darwinism in American Thought حيث استعرض مراحل تطور السبنسرية على مدى التاريخ إلى أن صار تأثير هربرت سبنسر فى أمريكا أكبر منه حتى فى انجلترا. ومع أن هذا الكتاب كان يحمل فى طياته نقدا مميزا لنظرية التطور الاجتماعى لهربرت سبنسر فإنه ينتهى إلى تقرير مكانتها فى

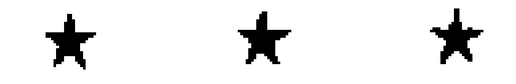
المجتمع الأمريكى لدرجة قال معها : «إنه على مدى العقود الثلاثة منذ الحرب الأهلية كان من المستحيل أن يكون المرء فعالا أو نشطا فى أى مجال من المجالات الثقافية دون أن يكون مسيطرا تماما وعلى وعى كبير بالسبنسرية» وهو قول ربما أصدقته إلى حد بعيد عملية الإحياء لسبنسر التى انبعثت بعد ذلك على أيدى تالكوت بارسونز بصفة خاصة.

وبعد هذا التاريخ توالت كتب ومؤلفات هوفستادر من بين أهمها «التقليد السياسى الأمريكى» The American Political Tradition (١٩٤٨) و«عصر الإصلاح» The Age of Reform (١٩٥٥) (هذا الكتاب نال جائزة بوليتزر عام ١٩٥٦) الذى ضمنه أفكاره عن الوضعية التى وصل إليها الفكر الاجتماعى والاقتصادى الأمريكى وهى وضعية وصفها بأنها مهددة للكيان الأمريكى نفسه خاصة مع حدوث الكساد العالمى سنة ١٩٢٨. وكذلك كتاب «أسلوب السياسة الأمريكية» (١٩٥٩) و«فكرة النظام الحزبى» The Idea of a Party System (١٩٦٩) ثم «العنف الأمريكى» The American Violence (١٩٧٠) .

ومع ذلك يظل مؤلفه «النزعة ضد الثقافة فى الحياة الأمريكية» Anti - Intellectualism in American Life الذى صدر فى ١٩٦٣ أهم مؤلفاته وأكثرها إثارة للجدل والنقاش (نال هذا الكتاب جائزة بوليتزر للمرة الثانية) وهو يؤكد أن مظاهر الإثارة والشعارات والإفراط فى الديمقراطية الجاكسونية Jacksonian قد ولدت فى حياة الشعب الأمريكى السياسية الكثير من مظاهر الحقد والكراهية نحو المثقفين الذين أصبحوا ينظر إليهم على أنهم ممثلون لحياة الصفوة المغترية.

وفى هذا الكتاب مضى هوفستارد يتحدث عن العديد من الأمثلة على مظاهر الاعتداء والمعارضة للحياة الثقافية والعقلية التى تراكمت فى حمى المكارثية Mc Carthyism التى اندلعت فى إبان الخمسينيات وكلها أمثلة يصعب مقارنتها بأية وضعية فى أى بلد أوربى أو حتى كندا مما يجعل لهذه النزعة طابعا مميزا. وربما كان هذا الإدراك الواعى هو ما حفزه إلى الإعلان عن رأيه القائل بأن «الحياة الأمريكية الهشة والتى لا جذور لها أو انسجام فيها .. وزحفها الغريب إلى المركز بحثا عن الأمان والهوية قد أفسحا الطريق أمام ظهور نوع من السياسة التى تميل

إلى التعبير عن نفسها بأسلوب «بارانودى» نكتفى فه بمجرد اجترار الذكريات ومظاهر البحث عن كبش فداء أكثر منه تقديم المقترحات والمشروعات لأجل العمل والتغيير الإيجابيين.



يعتبر جورج كاسبر هومانز أحد قادة علماء الاجتماع الأمريكيين خلال الستينيات والسبعينيات من القرن الماضى الذين أسهموا إسهاما كبيرا فى تطوير النظرية الاجتماعية وفى ترسيخ نظرية التفاعل التى نجحت تصوراتها فى إلقاء كثير من الضوء على فهم السلوك الدافعى فى التنظيمات الصناعية والجماعات الصغيرة على وجه الخصوص وكان هذا بمثابة دفعة قوية لعلم اجتماع التنظيم والاجتماع الصناعى على السواء وبخاصة على النحو الذى نجده فى كتاباته الأساسية «الجماعة الإنسانية» The Human Group (١٩٥٠) واعتمد فى هذا الكتاب على نتائج خمسة بحوث شهيرة سابقة و«السلوك الاجتماعى: أشكاله الأولية» Social Behaviour Its Elementary forms (١٩٦١) وهما الكتابان اللذان أكد فيهما على أهمية التفاعل بين الأفراد والجماعات كأساس لنمو النظم الاجتماعية وتطورها وهو ما يختلف على أية حال عما ذهب إليه تولكوت بارسونز الذى اعتبر النظم أساسا للتفاعل.

ويبدأ هومانز من قضية رئيسية هى أن الجماعة الصغيرة التى تعتبر من وجهة نظره ركيزة علم الاجتماع هى نسق له مقوماته وجوانبه الداخلية والخارجية. ولكن مفهوم النسق لما كان يعتبر أساسا للنظرية العلمية فيكون معنى هذا ارتباط علم الاجتماع نظريا بمختلف العلوم النظرية الأخرى بصرف النظر عن قدمها أو حداثتها. ومن ثم فتكون مهمة العلم هى إذن دراسة سلوك الجماعة عن طريق تحليله إلى عناصره ومكوناته الأساسية واكتشاف العلاقات المتبادلة فيما بينها ومظاهر الاعتماد المتبادل القائم بينها جميعها . على حين سعى فى الكتاب الثانى إلى تحليل السلوك الاجتماعى من خلال ثلاثة مفاهيم أساسية هى التفاعل Inter-action والعواطف Sentiments والأنشطة Activity حيث تشير إلى التساند المتبادل بين مظاهر الفعل والسلوك. وإن كان اختياره لهذه المفاهيم الثلاثة مما يمكن أعتباره رد فعل لكتابات اليوت شابل Chapple وكونراد آرنسبرج Arensberg (١٩٤٠) على وجه الخصوص وإن كان هذا بدوره لا يخفى تأثره بعالم النفس سكينر Skinner

رغم أنه أطلق عليها مسميات جديدة فمصطلح النشاط عنده هو نفسه مصطلح السلوك الفعال الذى استخدمه سكينر.

إلا أن هومانز له موقف خاص من النظريات الاجتماعية فهو يرى أن معظم ما يطلق عليها نظريات علم الاجتماع الحديثة مما تتضمن كل المميزات الممكنة ولكن ينقصها التفسير ومن بين أسباب هذه المشكلة أن معظم هذه النظريات تتكون من مجموعات من الفئات أو الوحدات التى يصنف إليها عالم الاجتماع جوانب السلوك المختلفة الأمر الذى يتم فى أحيان كثيرة بطريقة عشوائية مما يعزوه أيضا إلى فقدان كثير من العلماء للحس الاجتماعى الذى يلهم الباحث ويرشد خطواته. وهذه ناحية يظهر فيها مدى تأثره بمالينوفسكي وبحسه الفائق الذى لم يحاول أخفاءه أبدا.

ومن الناحية الأخرى اهتم هومانز أيضا بإبراز أوجه الاختلاف بين الاتجاهات الأمبريقية والعقلانية فى دراسة المجتمع فوجه انتقاداته للدارسين بسبب استخدامهم المفاهيم الكلية والمصطلحات الفضفاضة ويعطى أمثلة لذلك مفهوم الروح الرأسمالية عند فيبر ومفهوم البناء العلوى والبناء التحتى عند ماركس ومثلهما مفهوم فائض القيمة وكلها من نوع المفاهيم الوصفية على حين يطلق على المفاهيم الأمبريقية وصف المفاهيم العلمية أو الواقعية.

وكما أن هومانز لم يخف إعجابه بمالينوفسكى فقد تأثر أيضا بفلفريدو باريتو Pareto فكان موضوعا لواحد من كتبه «مقدمة (مدخل) لباريتو» An Introduction to Pareto (١٩٣٤) ألفه بالاشتراك مع كورتيس Curtis وكان يدور حول علم الاجتماع فى محاولة لتنظيم الأفكار المشوشة التى يمتلئ بها العلم. وإن كان مما أخذه على باريتو عدم الاهتمام بالبناء وتركيزه على الوظيفة فى الوقت الذى كان يشك كثيرا فى جدوى مفهوم التوازن Equilibrium فى شرح وتفسير الظاهرة الاجتماعية وربما كان الأجدى الاهتمام بالتوازن العملى وبديناميات الجماعة باعتبار أن الجماعة الإنسانية خطة تصورية لدراسة التنظيم الاجتماعى اعتمادا على نتائج ما تم اجراؤه من بحوث.

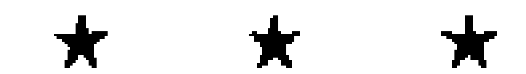
★ ★ ★

الفيلسوف وعالم الاجتماع والتربوى الأمريكى سيدنى هوك من بين جيل المثقفين الأمريكان الذين جذبهم بريق الماركسية وبخاصة فى كتاب «من هيجل إلى ماركس» From Hegel to Marx ولهذا فلا يبدو غريبا أن يقدم على تحليل للماركسية حيث وقف موقفا مناهضا لكل صور الحكم الفردى والشمولى متخذا من الديمقراطية الليبرالية نموذجا للبناء السياسى اللازم لأى تطوير اجتماعى وعلمى فعال.

ولقد ولد سيدنى هوك فى ديسمبر عام ١٩٠٢ بمدينة نيويورك وبعد أن حصل على درجة الدكتوراه من جامعة كولومبيا (١٩٢٧) بإشراف جون ديوى Dewey قام بالتدريس فى جامعة نيويورك (١٩٢٧ - ١٩٧٢) وما أن تقاعد حتى شغل منصب مستشارا للبحوث فى جامعة ستانفورد وباعتباره أحد مؤيدى البراجماتية والفكر البراجماتى فقد تبنى فلسفة عامة فى تطوير الشخصية الإنسانية وهو ما انعكس فى كتاباته ومؤلفاته التى بلغ عددها أكثر من ٣٥ كتابا من بينها «نحو فهم كارل ماركس : تفسير ثورى» Towards The Understanding of Karl Marx: A Revolution Interpretation (١٩٣٣) وكتاب «البطل فى التاريخ» The Hero in History (١٩٤٣) وكتاب «التربية لأجل الإنسان الحديث» Education for Modern Man (١٩٤٦) و«فى الدفاع عن الحرية الأكاديمية» In Defence of Acadamic Freedom (١٩٧١) وفى العام نفسه كتابه عن ديوى "جون ديوى : بورترية المثقف" John Dewey: An Intellectual Portrait ثم كتابه «الثورة والإصلاح والعدالة الاجتماعية» Revolution, Reform and Social Justice (١٩٧٦).

وباعتباره واحدا من أهم شراح الماركسية فقد ذهب إلى أن المادية التاريخية التى أعلنها ماركس ليست سوى ضرب من التفكير اليوتوبى فهو لم يرجع ظواهر الدين والفلسفة إلى مجرد الأصول الاقتصادية كما لم يردها إلى أصول أو مصادر مادية وإنما ماركس كشف فحسب عن (الزاوية) الاقتصادية التى تصوغ ظواهر الفكر السياسى والقانونى والتى تفسر ظهورها أو اندحارها . وعلى الرغم من أنه لم يربط

النظرية الماركسية بالظروف الخاصة بالمجتمع الأمريكى أو بتقاليد الفكر الاجتماعى الأمريكى نظرا لأن الحركات السياسية كانت أكثر ارتباطا واهتماما بفكر جون ستراتشى Strachey وبخاصة فى كتابه The Coming Struggle for Power الذى كان له تأثير واضح فقد كانت الأوساط الأكاديمية تستعمل كتاباته كمرجع أساسى لتنشئة المثقفين وتوجيههم لما ينبغى أن يكون عليه التعليم الاجتماعى العالى مما جعل الماركسية تظل فى الولايات المتحدة مشوبة دائما بصبغة من التشوش والغموض.



ربما كان الفيلسوف وعالم الاجتماع الألمانى هوركهايمر أهم رموز مدرسة فرانكفورت التى ترجع إليها أصول النظرية النقدية التى استمدت الكثير من مقوماتها من الفلسفة الهيجيلية والفلسفة الماركسية بوجه خاص وذلك إلى جانب زملائه أعلام هذه المدرسة وفى مقدمتهم أدورنو وهربرت ماركيوزة وليو لوينثال وإيريك فروم إضافة إلى هابرماس وجورج لوكاتش وغيرهم ممن التقى بهم فى منفاهم الاختيارى بالولايات المتحدة وممن اعتقدوا بأن وظيفة العلوم الاجتماعية هى التحليل النقدى الملتزم للمجتمع والأيديولوجيا.

ولقد تأسست مدرسة فرانفكورت عام ١٩٢٣ كمركز متخصص فى الأبحاث الماركسية ومنذ البداية غلبت عليه نزعة تشاؤمية واتخذ موقفا نقديا من الماركسية الأرثوذكسية ولهذا فعندما بدأ معهد البحث الاجتماعى Institute for Social Research فى العمل توجه معظم عمله إلى البحث الأمبريقى والبحث النظرى فى خطة لارتياد الجوانب الجوهرية فى المجتمعات الرأسمالية والاشتراكية وخاصة منذ عام ١٩٣٠ عندما عين مديرا لهذا المعهد. ففى أثناء رئاسته للمعهد واستمرار هذه الرئاسة حتى وهو فى المنفى فى فرنسا وأمريكا ثم بعد ذلك بعد عام ١٩٣٣ حدث تغير فى اتجاهات المعهد وتوجهاته إذ ظهر اهتمامه وشاركه هذا الاهتمام أدورنو وماركيوزه فى الحقيقة بتطور المادية التاريخية التى أخذ البحث النظرى يوليها اهتماما خاصا الأمر الذى كان بداية لبلورة برنامجه أو مشروعه الضخم لما يمكن أن يطلق عليه النظرية الاجتماعية النقدية Critical Social Theory وهى تسمية أطلقها مقابل ما ذهب إليه ماركس فى نظريته فى نقد الاقتصاد السياسى Critique of political Economy ولتعمل بالطريقة ذاتها التى وصف بها لوكاتش الوعى الطبقى للبروليتاريا .

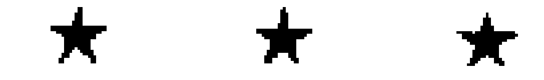
والواقع أنه بالطريقة نفسها التى قابل (عارض) بها الفكر البرجوازى بفكر الطبقة العاملة كذلك بالنسبة لهوركهايمر الذى يرجع إليه فضل سك مصطلح «النظرية النقدية» وهو يقابل هذه النظرية بالشطرية التقليدية Traditional .

فالنظرية التقليدية يراها هوركهايمر نظرية تأملية تساعد كثيرا فى عملية إعادة الإنتاج الاجتماعى فى إطار من تقسيم العمل ونظام المصنع البرجوازى بينما النظرية النقدية مهمتها الرئيسية أن تعمل خارج نطاق المجتمع البرجوازى وخارج المحددات القاسية التى يفرضها هذا المجتمع والتعبير باستمرار عن موقف نقدى للأنساق والمجتمعات الرأسمالية وهادفة بهذا الإدراك إلى أن تضع متناقضات هذه المجتمعات البرجوازية فى مستوى الوعى والشعوب. وهذا بالضبط ما سعى إلى توضيحه فى مقالته الشهيرة التى نشرها تحت عنوان «النظرية التقليدية والنظرية النقدية» Traditional and Critical Theory (١٩٣٧) حيث تناول بالشرح والتوضيح مدخله النقدى وطبيعة العلاقة بين النظرية والتطبيق وهى مقالة كان لها على أية حال أثر كبير ليس فى وقت ظهورها فحسب ولكن أيضا عندما عاد هذا الأثر إلى الظهور بعد ذلك بحوالى ثلاثة عقود فى أواخر الستينيات عندما أصبح الموضوع مثار جدل كبير بين حركة الطلاب والجيل الأكبر من مدرسة فرانكفورت وكان ذلك من بين الأسباب الرئيسية فى ذيوع فكر هابرماس وشهرته.

وباستثناء كتبه القليلة (إذا ما قورنت بغيره من العلماء) سواء تلك التى ألفها بمفرده أو بالاشتراك مع غيره فإن المقالات (الكثيرة) والموضوعات التى نشرها فى منتصف الثلاثينيات على شكل سلاسل استطاع أن يضمنها بنجاح بعض الأفكار الرئيسية الرائدة لمدرسة فرانكفورت وبخاصة المفهومات والتصورات التى عبر بها عن مضامين النظرية النقدية. أضف إلى ذلك عاملين آخرين كانا وراء انتشار أفكاره الأول أن إقامته فى كاليفورنيا كانت ملتقى لكثير من المثقفين الألمان حيث تخضع للحوار والنقاش مختلف القضايا والرؤى والمواقف والثانى أنه عندما كان فى نيويورك فقد أشرف على تحرير مجلة «دراسات فى الفلسفة والعلم الاجتماعى» التى كان يصدرها أثناء وجوده فى الولايات المتحدة.

ولكن بعد انتهاء الحرب توجه مشروعه وجهة سياسية واضحة وبخاصة بعدما أعاد تنظيم معهد البحث الاجتماعى فانشغل لفترة طويلة فى مشروع مشترك مع أدورنوهو «جدل التنوير» Dialektik der Auftarung الذى ظهر فى عام ١٩٤٧. وفى الوقت نفسه أخذ يركز كل اهتمامه فى دراساته عن التحامل والتمييز العنصرى التى شارك بعض اعضاء مدرسة فرانفكورت فى بعض مجلداتها. وهذا بخلاف إشرافه

على إحـدى الدراسـات الرائدة عن السلطة وعـلاقـاتها فى الأسـرة «وظهـرت تحت عنوان» Studieu über Autoritat und Famillie وتأثـرت بهـــا تأثرا شـــديدا ميـراكوماروفسكى Komarovsky فى دراسـتها التى أجـرتها عام ١٩٤٠ عن مـركز الرجل العـاقل والمتـزن فى الأسـرة ومـا إذا كـانت بطالتـه وعـدم انشـغاله يؤثران فى سلطته أو يفقدانه هذه السلطة.



من أهم العلماء الذين هاجموا الوضعية الراهنة للاتجاهات الأمبريقية التى جعلت علم الاجتماع يسير - كما يقول - فى طريق مسدود حيث أدت هذه الاتجاهات إلى تجميع كثير من المعارف والمعلومات عن موضوعات قليلة الأهمية تاركين المشكلات الحقيقية التى تواجه المجتمع الإنسانى بعيدة عن الاهتمام . كما ربط بين ظهور الاتجاه الأمبريقى وبين مختلف الانتقادات التى وجهت إلى المذهب التاريخى Historicism الذى يعتمد على النظرة الكلية والشاملة فى تفسير الظواهر الاجتماعية والثقافية وفى تفهم أحداث التاريخ بالاعتماد على دعاوى غير قابلة للاختبار والتحقق الأمبريقى.

مدخله هو إذن مدخل نقدى بالدرجة الأولى يسعى أساسا إلى بناء علم اجتماع هادف جديد يكون شغله الشاغل الاهتمام بالبحث فى المشكلات الكبرى كمشكلات الصراع وحل الصراع والتصورات المرتبطة بذلك باعتباره فى أعماق الواقع الاجتماعى بالإضافة إلى تلك المشكلات المتعلقة بالثورة ضد الفقر وضد التفرقة العنصرية وضد التحامل ضد السود علاوة على كافة المشكلات الناجمة عن التصنيع وآثار الخطوات التكنولوجية الهائلة التى فى المجتمعات المتقدمة.

وتعتبر فترة عمله كأستاذ علم الاجتماع بجامعة روتجرز Rutgers منذ أربعينيات القرن الماضى وحتى أواخر الستينيات من أخصب الفترات التى وضح خلالها اهتمامه الكبير بالمنهج وماهيته وبالنظرية وبنائها وكيفية صياغتها وما يرتبط بذلك من قضايا ومشكلات تتعلق بالنظرية والبحث التطبيقى وكان السؤال الأساسى الذى طالما شغل باله يدور عن نوعية التطبيق ونوعية الأهداف التى يرمى إلى تحقيقها وتحت أية ظروف. وفى تصوره أن الإجابة على هذا التساؤل مما يستدعى توفير أكبر قدر من الحرية التى يجب منحها للباحثين بعيدا عن أى تدخل يعوق حرية الفكر والبحث. وربما نزولا على مثل هذه التصورات أمكنه أن يشارك بنجاح فى بعض المجلات والدوريات العلمية إذ شارك فى تحرير Trans-Action Magazine وهى مجلة نقدية فى العلوم الاجتماعية تسعى إلى بناء علم اجتماع

هادف مع نخبة من العلماء وفى مقدمتهم ألفين جولدنر Gouldner ولى رينووتر Rainwater وليونارد زفيج Zweig ونيلسون آلدريخ Aldrich .

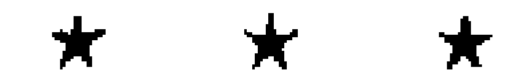
وفى اعتقاد هوروفيتز أن أى جهد فى علم الاجتماع لابد أن يبدأ من مشكلة تكون جديرة بالبحث والدراسة والاهتمام وحيث يسعى الباحث إلى الكشف عن المتغيرات المرتبطة بالمشكلة على المستويات الاجتماعية المختلفة مع مراعاة العوامل السيكولوجية التى لا يمكن إغفالها تماما وحيث تبرز أهمية توافر المعلومات لأنه بدون المعلومات لا يكون هناك تفسير وإن كان من المهم تصنيف هذه المعلومات بحسب أهميتها وأولوياتها .

والواقع أن هوروفيتز سواء فى تحديد منهجيته أو بلورة مواقفه النظرية قد تأثر كثيرا ببعض كبار العلماء من معاصرين وممن سبقوه فقد تأثر برايت ميلز Mills وصامويل ستوفر Stouffer الأول من حيث خياله الخصب الذى يمثل عالم الاجتماع المبدع ومن حيث أنه يضع الهدف الأخلاقى في مقدمة الاهتمام الاجتماعى. وبالرغم من أن هوروفيتز لا يعتبر من أنصار الإحصاءات أو الذين توجههم فى بحوثهم إلا أن تأثره بصامويل ستوفر كان أساسيا من حيث الربط بين الاهتمامات الماكروسوسيولوجية بمنهجية البحوث الاجتماعية التى تدور حول المشكلات التى لها دلالاتها وذلك فى الوقت الذى تأثر أيضا بكل من هربرت بلومر Blumer وروبرت ليند Lynd وأناتول رابابورت Rapoport ودافيد ريسمان Riesman وهوارد بيكر Becker حيث اهتم بتأثير الأخير بالذات بدراسة العلاقة بين الانحراف الاجتماعى والوضعية السياسية التى تعتبر علاقة أساسية فى الحياة الاجتماعية. أضف إلى ذلك أن كل هؤلاء هم بلا شك ممن يتمتعون بالنزعة العلمية الإنسانية العميقة وبالالتزام الواضح والرؤى المحددة بمعنى أن نظرته لعلم الاجتماع كانت بعيدة عن أية نظرة أحادية قاصرة.

وفى ضوء مثل هذه المنهجية التى تهتم اهتماما كبيرا بصياغة الفروض اعتقادا منه بأن أى بحث لا يبدأ بالفروض لن ينتهى إلى أية نظرية إلى جانب اهتمامه بالمنهج والاعتماد على وضوح وتكامل الخطة التى يسير على مقتضاها الباحث دارت معظم كتاباته وبخاصة كتابه «الراديكالية والانقلاب ضد العقل»

Radicalism and the Revolt Against Reason الذى ظهر في الخمسينيات وكتابه الآخر الهام «ثلاثة عوالم نامية Three Worlds of Development (١٩٦٦) وإذا كان قد تناول فى الكتاب الأول أحداث التحولات الاشتراكية وبخاصة فيما بين موت ماركس وانجلز ومولد لينين وستالين فقد كرس الكتاب الثانى لبحث مشكلات تحول المجتمع الأمريكى فى الستينيات إلى الفردية المغرقة وهو ما عبر عنه بأن النزاع بين الاشتراكية الديمقراطية وبين الاشتراكية الذى وصفه فى الكتاب الأول قد عاد إلى الظهور ثانية فيما أطلق عليه السياسات الراديكالية والسياسات التقدمية أو التحريرية حيث يؤثر أى تغير فى أى مكان فى غيره من الأماكن وفى مجرى الأحداث ويضرب مثالا لذلك التغيرات الاجتماعية التى تحدث فى العالم الأول (أمريكا) والعالم الثانى (الاتحاد السوفيتى) وتأثيرها فى العالم الثالث غير الصناعى .

ومهما يكن من أمر ففى نظرته إلى طبيعة التطور الذى حدث فى مجال البحث السوسيولوجى يصعب أبعاد تأثره بكل من ماركس وجميلوفيتش وزيميل وجورج سوريل حيث استمد من كل هؤلاء المادة الخام التي ساعدته فى بناء نظريته فى الصراع وتأكيده لدينامية وعدم استقرار الظاهرة الاجتماعية عموما على ما يظهر فى كتابه «الفلسفة والعلم وعلم اجتماع المعرفة» ١٩٦١ Philosophy, Science and Sociology of Knowledge وكتابه الثانى (أشرف على تحريره) بعنوان «ازدهار وسقوط مشروع كاميلوت» The Rise and Fall of Project Camelot (١٩٦٧) عن قصة الصراع والثورة فى الدول النامية ووضع القادة ودور علماء الاجتماع سواء كباحثين فى قضايا الثورة أو كمستشارين.



لا يعتبر عالم الأنثربولوجيا الأمريكى ويليام هوايت هاولز عميدا للأنثربولوجيا الفيزيقية فى أمريكا فحسب ولكنه يحتل مكانة مرموقة كأحد أساطين الأنثربولوجيا الطبيعية فى العالم كله. فقد تخصص منذ بداية حياته العلمية فى تشييد وبناء العلاقات الإنسانية باستخدام المقاييس الفيزيقة كما اشتهر بأعماله المنوعة التى استهدفت تطوير الأنثربولوجيا وتطويع مناهجها وأساليبها لارتياد مجالات جديدة مستعينا فى ذلك بالمناهج الاحصائية والكمية التى ساعدته كثيرا فى صياغة المشكلات المورفولوجية واقتراح الحلول لها الأمر الذى يظهر بوضوح فى استخدامه لمقاييس الأجرام فى الدراسات السكانية على وجه الخصوص.

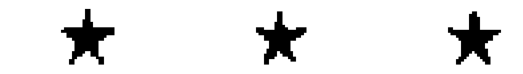
ولقد ولد هاولز فى عام ١٩٠٨ فى نيويورك وأدت به دراسته فى جامعة هارفارد التى درس فيها على أيدى الأستاذين هوتون Hooton وتوزر Tozzer إلى أن يشغف بالدراسات والبحوث الأنثربولوجية ولذلك فما أن حصل على درجة الدكتوراه حتى انضم إلى فريق البحوث فى المتحف الأمريكى للتاريخ الطبيعى فى نيويورك ثم انتقل بعد ذلك إلى جامعة ويسكونس التى استمر بها لمدة عشرين عاما وذلك إلى أن تبوأ كرسى الأستاذية فى الأنثربولوجيا الطبيعية فى هارفارد بعد وفاة هوتون فى عام ١٩٥٤ ومن ثم عمل باحثا وأمينا لمتحف بيبودي Peabody للأثنولوجيا الأمريكية التابع لهذه الجامعة بالإضافة إلى توليه رئاسة الرابطة الأمريكية للأنثربولوجيا ورئاسته أيضا تحرير المجلة الأمريكية للأنثربولوجيا الفيزيقية .

المشكلة الرئيسية التى شغلت تفكيره دائمًا كانت الظاهرة الإنسانية بعامة والكيفية التى تطور بها الإنسان على مدى تاريخه الطويل والكيفية التى ظهرت بها حضاراته وثقافاته ونظمه الاجتماعية وعاداته وتقاليده وأعرافه. كيف نشأ المجتمع البشرى وماذا عن مراحل تطوره ومظاهر هذا التطور بمعنى آخر؟

وفى محاولته بناء جوانب هذه الملحمة الطويلة كان من الطبيعى أن يظهر بصوة واضحة مدى تأثره بالأستاذ : أرنست هوتون وهو تأثر من السهل رؤية

مـلامـحـه فى كل كتـاباته ومـقـالاته التى دأب على كتـابتها بطريقـة مـبسطة وبأسلوب سهل وشيق ساعـد على ترجمتها على نطاق واسع جعل التـخصص العلمى فى متناول يد الجميع.

كتـابه الأول صـدر فى عـام ١٩٤٥ تحت عنوان Mankind So far عـبـارة عن مـزاج من الجـوانب العضوية والثقـافيـة فى تطور الإنسـان وإن كان أكثـر تركيـزا على النواحى الثقـافيـة بخـاصـة: وأتبع هذا الكتـاب بكتـاب آخـر بعنوان «الإنسان وأديانه» The Heathens: Primitive Man and His Religions (١٩٤٨) ثم بعـد ذلك Man in the Making (١٩٦٧) ومن بعـده «تطور الجنس البـشـرى» Evolution of the Genus Homo (١٩٧٣) ويعتبـر كتابه الفـذ المعنون «ما وراء التاريخ» ربما أروع كتاباته وأكثـرها عمـقا حيث تناول فيه قصـة التطور والدور الذى لعبته اللغـة والدين فى بناء الحضارات وفى تكيف الإنسان وبقائه واستمراره على مدى آلاف السنين.



عالم آركيولوجى ولغوى ألمانى شهير عرف بدراساته الواسعة عن الخطوط المسمارية الحيثية وفتح بذلك آفاقا واسعة أمام الدراسات المهتمة بالتاريخ القديم وبثقافات الشرق الأدنى حيث توالت على مدى العصور العديد من الدول والأمبراطوريات التى كانت لها حضاراتها الزاهرة مثل حضارة بابل وآشور فى بلاد ما بين الرافدين (ميسوبوتاميا) ومن بعدها العيلاميون Elamites والعموريون Amorites والحيثيون Hittites ثم الكاشيون Kassites .

ولد هروزنى فى بوهيميا **Bohemia** عام ١٨٧٩ وبعدما أكمل تعليمه شارك فى التنقيبات والحفريات التى كانت فلسطين مسرحا لها فى عام ١٩٠٤ وفى العام الذى يليه (١٩٠٥) عين أشتاذا فى جامعة فيينا وظل بهذه الجامعة إلى أن عين بجامعة شارلز فى براج **Prague** أستاذا للخطوط المسمارية وتاريخ الشرق القديم فى الفترة من ١٩١٩ حتى وفاته فى عام ١٩٥٢.

أثارت اهتمامه النقوش الحيثية الملكية التى اكتشفت فى بوغازكوى Bogazkoy وتور Tur فى عام ١٩٠٦ ، فانكب على تحقيقها وتفسيرها وشرح أصولها الأمر الذى استغرقه عدة سنوات إلى أن نشر مؤلفه الرئيسى «لغة الحيثيين» Sprache der Hathites (١٩١٥) الذى ما إن صدر حتى أثار ضجة وصار عرضة لكثير من الانتقادات التى وجهت إليه بسبب ما تضمنه من آراء لم يقبلها الكثيرون وبخاصة عندما أعلن أن الحيثية من حيث الأصول ترجع إلى العائلة الهندوأوربية Indo-European وأنها «الحيثية» قد ارتبطت ارتباطا وثيقا بالايرانية والإيطالية القديمة والسلتية والسلافية.

وليس الهدف هنا هو تحقيق هذه المسألة التى ما زال يدور جدل كبير من حولها ولكن من المهم مع ذلك الإشارة إلى ناحية معينة قد يكون فى الانتباه إليها ما يلقى بشىء من الضوء على قضية أصل اللغة الحيثية برمتها. فبالنظر إلى خريطة العالم القديم سنجد أن هذه المنطقة التى عرفت الحضارة البابلية الآشورية قد بدأت تفد إليها بعض الشعوب الرعوية الأولى فى الفترة من حوالى ١٨٠٠ ق.م

تقريبا مما يعني أنه كانت هناك أنماط أخرى من الحضارة البسيطة التى اتخذت لنفسها أساليب حياة مختلفة ومغايرة اتصفت بالخشونة والجراءة وما إلى ذلك من الصفات التى يتصف بها الرعاة عموما. وما يهمنا أنه مع تراجع بابل الحضارى كان هؤلاء الرعاة الآسيويون بعرباتهم الحربية التى تجرها الخيول يتجهون بصفة رئيسية إلى الشرق الأدنى وإلى سوريا وفلسطين واكتسح هؤلاء الغزاة (الحيثيون) كل الواحات المستقرة سواء فى جنوب أو وسط آسيا حتى أصبحوا يهددون بابل ذاتها ويقتحمون معاقلها ويقيمون فيها حكمهم. وفى الوقت نفسه أقاموا دولة أخرى فى آسيا الصغرى فى عام ١٦٤٠ق.م استمرت إلى أن جاء من بعدهم فى حوالى عام ١٥٠٠ ق.م الكاشيون الذين قدموا من شعاب جبال زاجروس Zagros التى تفصل ما بين إيران وسهول ما بين الرافدين .

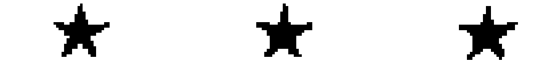
وإذا كان الرأى السائد الذى يأخذ به جماهير الباحثين أن الفصيلة الحامية السامية تشتمل على مجموعة اللغات السامية Semitie ومجموعة اللغات الحامية Hamitic وأن المجموعة الأولى (السامية) تتكون أساسا من اللغات السامية الشرقية التى تضم البابلية والآشورية واللغات السامية الجنوبية التى تضم العربية واليمنية القديمة والحبشية السامية واللغات السامية الغربية التى تضم الآرامية والكنعانية والموحابيتية والعبرية (وبعضها كاد يندثر تماما) ، فلابد أن يكون واضحا فى الاذهان حقيقة التعقيد والتشعب الهائلين فى الفصيلة الهندوأوربية التى ذهب هروزنى إلى أنها أصل اللغة الحيثية . لأن هذه الفصيلة تتشعب بدورها إلى الشعبة الشرقية والشعبة الغربية. ومما له دلالة هنا هو أن الشعبة الشرقية تضم مجموعتى اللغات الآرية (تتشعب إلى الهندية والإيرانية) واللغات البلطيقية السلافية (تتشعب إلي السلافية والبلطيقية) علاوة على الأرمينية والألبانية. فى الوقت الذى تمثل اللغات الغربية الأوربية إحدى التقسيمات الهائلة للشعبة الغربية (من الفصيلة) وما يهم هنا هو أن هذه اللغات الغربية الأوربية تتشعب إلى اللغات الإيطالية الكلتية التى تشتمل على كل من الإيطالية والكلتية.

ومما سبق يتضح بجلاء مدى تعقد وتشعب العائلة الهندوأوربية باعتبار أن لغاتها والشعب التى تتشعب إليها تجعلها أكثر العائلات اللغوية انتشارا وذيوعا حيث يتحدث بها الآن ما يزيد على ألف مليون نسمة فى مختلفة بقاع العالم وهو ما يسمح

بوجود كثير من التداخل إن لم يكن التأثير المتبادل والتمازج ما بين اللغات ويجعل من محاولة القول الفصل فى مسألة أصول اللغات أمرا على غاية من الصعوبة.

وعلى أية حال فقد عاد هروزنى ليعزز آراءه فأقدم على ترجمة بعض الوثائق التى عثر عليها بين العديد من الرسائل والنصوص التى تصور جوانب الحياة المختلفة وبخاصة الجوانب الاقتصادية والقانونية إبان هذه الفترة واعتمد فى ذلك على ترجمة لأحد القوانين الحيثية وصدر له مؤلفه «النقوش المسمارية الحيثية من بوغازكوى» Hethitische Keilschr: fttexte au Boghazkoi (١٩١٩).

وعموما فقد قاد فى عام ١٩٢٥ بعثة علمية تشيكو سلوفاكية للتنقيب فى تور Tur حيث تمكنت من تغطية حوالى مائة ألف مخطوطة آشورية كما كشف عن مدينة كانيش Kanesh الأثرية القديمة وبذلك وضع فى دائرة الضوء الكثير من مظاهر الحياة اليومية فيها. وهو الطريق الذى استغرقه البقية الباقية من عمره الذى كرسه لدراسة بعض المشكلات المستعصية المتعلقة بالشفرات ورموزها فى محاولة لحلها والوقوف على معانيها للتعرف على ما تخفيه من أسرار.



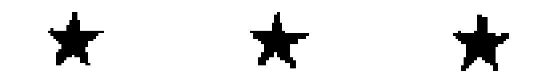
يقف عالم الجغرافيا الأمريكى الثوورث هنتنجتون فى مقدمة الباحثين الذين شغلتهم مسألة الفروق الاقتصادية والتكنولوجية التى توجد بين الجماعات المختلفة واستند فى تفسيره لهذه الفروق إلى التأثير البيئى المباشر وغير المباشر الذى يؤثر فى الشخصية وفى حضارة الإنسان بما يتدخل كثيرًا فى مكونات الحياة الاقتصادية والتكنولوجية ويحدد بالتالى مدى تقدمها بل درجة ذكائها وطبيعتها المزاجية.

ولقد ولد هنتنجتون فى الينوى عام ١٨٧٦ وعمل عضوا فى كلية جامعة ييل من ١٩٠٧ - ١٩١٧ ثم باحثا فى معهد كارنيجى Carnegie بواشنطن فى الفترة من ١٩١٧ حتى وفاته فى ١٩٤٧ فى نيوهافن. وبالرغم من أن هناك العديد من النظريات والاتجاهات الفكرية التى سعى أصحابها إلى تفسير الفروق الاقتصادية والتكنولوجية فإن هنتجتون باعتباره قد اعتمد على التفسير البيئى كان أميل بذلك إلى فكر تشارلس دارون ونظريته فى الانتخاب الطبيعى وبخاصة من حيث القول بأن عوامل المناخ تحدد مسبقا فرص البقاء وأن هذه الفرص تشجع البعض على حين تدفع بالبعض الآخر إلى الموت ومن ثم فإن لكل بيئة مناخًا خاصًا ومزاجًا خاصًا حيث تظهر أهمية تأثير المناخ فى النشاط الاقتصادى وغيره من النشاطات الإنسانية وخاصة من حيث درجة الحرارة الشديدة التى تؤثر بشكل أو بآخر على الإنتاج الأمر الذى تختلف معدلاته نسبة لمدى تعرض المناطق (أو المدن) إلى الحرارة.

وعلى الرغم من أهمية العوامل البيئية فقد لقيت هذه النظرية البيئية الاقتصادية غير قليل من المعارضة وبخاصة بعدما أصبح من المسلم به أن ثمة أهمية بالغة للعوامل التاريخية والسياسية والدينية والثقافية وكلها مسئولة فى النهاية عن تنوع أشكال التكنولوجيا والاقتصاد فى المجتمعات التى تتماثل أقاليمها من الوجهة الطبيعية.

وعلى العموم فقد ظهرت نظرية هنتجتون فى عدد من أعماله الرئيسية التى صدر أولها بعنوان «نبض آسيا» The Pulse of Asia فى ١٩٠٧ وتبعه بعدة سنوات كتابه «الحضارة والمناخ» Civilization and Climate (١٩١٥) ثم كتابه الهام الثالث «شخصية الأجناس» The Character of Races (١٩٢٤) ثم «التوطن البشرى» The

Human Habitat (١٩٢٧) وكان آخرها مؤلفه الضخم «المنابع الرئيسية للحضارة» Main Springs of Civilization الذى صدر فى عام ١٩٤٥ أى قبل وفاته بعامين اثنين فقط.



J

ياكوبسون، رومان (١٨٩٦ - ١٩٨٢) JAKOBSON, ROMAN

اسمه بالروسية رومان أوسيبوفيتش ياكوبسون ولد فى موسكو عام ١٨٩٦ وعمل استاذاً للغة السلافية واشتهر كمؤسس للحركة الأوربية فى اللغويات البنائية Structural Linguistics التى عرفت باسم مدرسة براغ Prague School حيث قام بتوسيع الاهتمامات النظرية والتطبيقية للمدرسة ومدها إلى نطاقات أوسع من الدراسة والبحث مستخدما مفهوم البناء ليعطى معنى للمادة الخام التى يدرسها كما درس الظاهرة فى مصطلحات العلاقات المتبادلة والمتداخلة بين عناصرها ومكوناتها. وبذلك أصبحت هذه اللغويات البنائية مما يتميز بالعمومية الشاملة والمنهجية وليس الذرية والتفسير الفردى للغويات وبذلك فتح الطريق أمام كلودليفى ستروس إلى عالم اللغويات وبخاصة الفونولوجى Phonology مما وطد العلاقات بين اللغويات وبين الأنثربولوجيا وبخاصة بعدما درسا معا Les Chates التى كتبها الشاعر الفرنسى شارل بودلير.

ولقد نال ياكوبسون درجته العلمية الأولى فى اللغات الشرقية من جامعة موسكو وتأثر تأثرا بالغا بالحركات الفنية الموجودة وبخاصة الشاعر المستقبلى كليبنكوف Kilebnikov فعمل فى ١٩٢٠ أستاذا للغة الروسية فى المدرسة المسرحية العليا فى موسكو High Dramatic School. ومن عام ١٩٢٠ درس وعمل فى براغ حيث أصبح مع نيقولا تروبتسكوى Trubetzkoy وكارشيفسكى Karcevski من أعلام مدرسة براغ المرموقين حيث كانت المدرسة تقريبا الحلقة الرئيسية الوحيدة فى الدراسات اللغوية وبخاصة خلال العقد قبيل الغزو النازى لتشيكوسلوفاكيا. ولكنه سرعان ما أعلن خروجه عن الوضعية الكلاسيكية البنائية لعالم اللغويات السويسرى فردينان دوسوسير DeSaussure مؤكدا أن منهجيته فى دراسة وظيفة الأصوات الكلامية يمكن تطبيقها بشكل تزامنى Synchronically على اللغات كما هى موجودة أو بشكل تاريخى Diachronicall أثناء تطور اللغة وتغيرها فى الزمان وعموما فقد قضى السنوات من ٣٩ إلى ١٩٤١ فى سكاندناوه حيث اهتم بموضوع الأفازيا ولغة الطفل الذى اعتبر آنذاك من أهم الموضوعات المثارة وعندما تأسست

مدرسة الدراسات العليا الحرة فى نيويورك عام ١٩٤٢ على أيدى لفيف من المهاجرين الأوروبيين وجهت إليه الدعوة للمشاركة فى اللغويات فانعقدت بينه وبين ليفى ستروس أواصر صداقة عقلية وروحية متينة. وبعد ذلك ذهب عام ١٩٤٩ إلى هارفارد كما عمل من عام ١٩٥٧ فى معهد ماشو للتكنولوجيا .

والواقع أن ياكوبسون قد شغل عددا من المناصب الأكاديمية المرموقة فمنذ عام ١٩٣٣ بدأ اتصاله بجامعة مازاريكوفا Musarykova فى تشيكوسلوفاكيا حيث أصبح أستاذا لفقه اللغة الروسية (١٩٣٤) واستاذاً لأدب العصور الوسطى التشيكى (١٩٣٦) وإن كانت الأوضاع السياسية آنذاك قد اضطرته إلى أن يهرب إلى جامعات كوبنهاجن ثم أوسلو وأوبسالا حيث عمل أستاذا زائرا فى الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٦٧.

وتعكس عناوين كتبه ومؤلفاته اتساع النطاق الذى شغله بالبحث والتدريس. فمن بين أعماله المبكرة كتابه «ملاحظات على التغير الصوتى فى الروسية مقارنا بغيره من اللغات السلافية» (١٩٢٩) وكتابه «خصائص الروابط فى اللغة الأوراسينية» (١٩٣١) ثم «دراسات فى لغة الطفل والأفازيا» و«العموميات الفونولوجية» (١٩٤١) ويشتملان على دراسة للمتغيرات البنائية فى النظم الصوتية فى مختلف اللغات إلى جانب دراسته للصلات الشخصية الأساسية بين الأمريكيين والتقاليد الأوروبية فى مجال اللغة.

وفى الفترة بعد الحرب العالمية الثانية تركزت اهتماماته فى الدراسات الفونولوجية ففى عام ١٩٥٢ ظهر مؤلفه «مبادئ التحليل الكلامى» ثم كتابه «أساسيات اللغة» (١٩٥٦) بالإضافة إلى بعض الدراسات الخاصة بتعريف اللغة وبالشعر والقواعد والنحو علاوة على دراسته للملاحم السلافية. ثم فى أواخر أيامه «شكل الصوت اللغوى» (بالاشتراك) الذى صدر فى ١٩٧٩ قبل وفاته بثلاثة أعوام حيث توفى عام ١٩٨٢ فى بوسطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

★ ★ ★

K

KIDDRE, ALFRED VINSENT — كيدر، الفريد فينسنت (١٨٨٥ - ١٩٦٣)

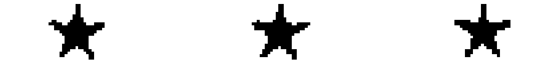
على الرغم من أن اسمه قد لا يبدو مألوفا للكثيرين فهو واحد من جيل الكبار الذين قدموا للأنثربولوجيا ولعلم آثار ما قبل التاريخ أجلّ الخدمات لدرجة أن اعتبر فى مقدمة الأركيولوجيين الأمريكيين الذين اهتموا بالدراسات والبحوث الأركيولوجية الخاصة بجنوب غربى الولايات المتحدة الأمريكية وأمريكا الوسطى على وجه الخصوص.

وقد ولد الفريد فينسنت كيدر بمدينة ماركييت Marquette بولاية ميتشجن فى عام ١٨٨٥ ونال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩١٤ فى موضوع عن تطور الأشكال الأولى للفخاريات التى ترجع إلى عصور ما قبل التاريخ فى جنوب غربى أمريكا وهو موضوع عكس امتدادا لاهتماماته الأولى المبكرة عندما بدأ طريقة فى العمل الميدانى عام ١٩٠٧ بدراساته التى أجراها فى كلورادو Cllorado ونيومكسيكو New-Mexico كما كان بداية - فى الوقت نفسه - لبعض رحلاته وبعثاته العلمية إلى أوتاوا والأريزونا (١٩١٤) وخاصة عندما أصبح مديرًا للتنقيبات فى أكاديمية فيليس Phillys Academy وأيضا فى مناطق بيكوس Pecos وكلها بعثات أضافت كثيرًا إلى الانثربولوجيا والأركيولوجيا فى جامعات الجنوب الغربى إضافة إلى جهوده فى تكوين العديد من الجمعيات العلمية وتصميم بعض المتاحف وإنشائها. ولهذا وصفه البعض بأنه كان القوة الحقيقية الدافعة وراء أول فهم موضوعى يمثل مدخلا منتظما لدراسة اركيولوجيا الأمريكتين.

ومع أن كيدر قد ظل على انتمائه لأكاديمية فيليس حتى ١٩٣٥ إلا أن نشاطه العلمى امتد إلى مواقع أخرى فقد كان عضوا فى مؤسسة كارنيجى Carnegie فى واشنطن فى الفترة من ١٩٢٧ إلى ١٩٥٠ ومشرفا على متحف بيبودى Peabody Museum للأركيولوجيا والاثنولوجيا كما عمل استاذا فى هارفارد (١٩٣٠ - ١٩٥٠) وهى فترة كانت حافلة بالعمل والانجاز إذ نظم لمؤسسة كارنيجى برنامج النشاط المتبادل الذى انبعثت منه العديد من الدراسات فى ثقافات ما قبل التاريخ.

فى العامين ١٩١٩ و ١٩٢١ أصدر كيدر بالاشتراك مع صامويل جورنسى Guernsey كتابين رائدين عن شمال شرقى اريزونا . كما كان مؤلفه الممتاز «مقدمة لدراسة آركيولوجيا الشمال الغربى Introduction to the Study of Northwestern Archaeology (١٩٢١) عميقا فى تناوله تفاصيل تطور ثقافة صانعى السلال فى عصور وثقافات ما قبل التاريخ وهو عمل أصبح معياريا ونموذجا لهذه النوعية من الدراسات بما ألقاه من أضواء على ثقافة البيبلو Pueblo بوجه خاص اعتمادا على نظام تصنيف بيكوس الاركيولوجى الذى شاع استخدامه من قبل الباحثين.

وعلى العموم فقد كانت فترة عمله بمؤسسة كارنيجى مناسبة فريدة لإلقاء المزيد من الأضواء على التاريخ الثقافى لامبراطوريات وشعوب المايا Maya التى ازدهرت فى المكسيك وأمريكا الوسطى وإن لم يمنعه هذا من العمل فى بعض المواقع القريبة من جواتيمالا إلى أن وافته ومنيته فى كامبريدج بأمريكا عام ١٩٦٣ وهو فى الثامنة والسبعين من عمره.



عالم الأنثربولوجى الأمريكى الفريد لويس كروبير يعتبر واحدًا من أبرز العلماء الذين أرسوا أسس الأنثربولوجيا الثقافية وواحدًا من القلائل الذين نجحت كتاباتهم، وبخاصة فى النصف الأول من القرن العشرين فى أن تترك تأثيرا ضخما فى النظرية الثقافية بعامة وفى الجهود التى بذلها العلماء لفهم طبيعة الثقافة والعمليات الثقافية. والواقع أن اهتماماته كانت تدور فى مجالات واسعة من البحث الانثربولوجى وبذلك أسهم اسهاما كبيرا فى فهم وترسيخ اثنولوجيا الهنود الأمريكيين وعلم آثار ما قبل التاريخ فى نيومكسيكو والمكسيك وبيرو والفولكلور واللغويات وأنساق القرابة والبناء الاجتماعى عموما.

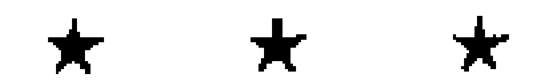
ولد كروبير فى عام ١٨٧٦ بالولايات المتحدة وأثناء دراسته بجامعة كولومبيا تأثر بالاستاذ فرانز بواز ونال الدكتوراه فى ١٩٠١ عن رسالته عن الرمزية التجميلية Decorative فى قبائل أراباهو Arapaho الهندية فى مونتانا Montane . وفى ذلك العام أسس قسم الانثربولوجيا فى جامعة كاليفورنيا باركلى وإلى جانب هذا فقد درس كروبير مواقع الزونى ما بين عامى ١٩١٥ و ١٩٢٠ وهى دراسات أسفرت عن كثير من النتائج التى تتصل بثقافات ما قبل التاريخ حيث استخدم مناهج بحثية منضبطة ولجأ إلى الوسائل التحليلية لتعزيز آرائه ساعدته على بناء نظريته العامة التى تقول بإن الفهم الكامل لأى ثقافة لابد أن يأخذ فى اعتباره العناصر الثقافية والتنظيمات التى تتخذها الثقافات أثناء تطورها حيث امتدت جهوده إلى المكسيك (١٩٢٤ - ١٩٣٠) وبيرو فى الأعوام ١٩٢٥ ، ١٩٢٦ ، ١٩٤٢ .

وعلى مدى حياته العلمية (توفى عام ١٩٦٠ فى باريس) أنتج كروبير فيضا من الكتابات والمؤلفات تزيد على ٥٠٠ مقال وكتاب وسير ذاتية. ويعتبر كتاب «الانثربولوجيا» الذى صدر فى ١٩٢٣ من أهم المراجع الأساسية فى العلم وكذلك كتابه «آثار بيرو قبل التاريخ» Poruvian Archaeology (١٩٤٢).

كذلك كانت له اهتمامات لغوية تولدت فى الأصل من دراساته للهنود الأصليين. وبالرغم من أنه كان أكثر ارتباطا بالمنهجية العامة للغويات إلا أنه ركز

بصفة أساسية على دراسة العلاقات التاريخية بين اللغات بعضها وبعض وفى ذلك أبرز واحدة من أهم القضايا التى تتعلق بانعزال المجتمعات والجماعات الإنسانية والعوامل الثقافية مؤكدا فى هذا على أن هناك كثيرا من الحواجز اللغوية حتى بين الشعوب التى تعيش فى بيئات وأماكن متجاورة مثلما الحال فى غينيا الجديدة التى تنقسم الأهالى فيها إلى عدة جماعات متفرقة يتكلمون أكثر من ٢٠ لغة الأمر الذى يوجد أيضا فى شمال وفى جنوب أمريكا.

وعموما فإن مؤلفه «تشكيلات النمو الثقافى» (١٩٤٥) يعد من أكثر مؤلفاته تكاملا وطموحا حيث سعى إلى الكشف عن عوامل تقدم وتدهور الفن والفكر الإنسانى فكان نموذجا جيدا لدراسة الكيفية أو الطريقة التى تتغير بها الثقافات من خلال بحث مظاهر وأسباب نمو بعض الثقافات على ما يعكسه كتابه «طبيعة الثقافة» (١٩٥٢) الذى جمع فيه مقالاته التى نشرها فى بعض الموضوعات والقضايا مثل النظرية الثقافية والقرابة وعلم النفس الاجتماعى والتحليل النفسى. ومن بعده كتابه «الأسلوب والحضارات» Style and Civilyizations (١٩٧٥) الذى مازال يجذب المتخصص والقارئ العادى إلى اليوم.



السؤال المحورى عند الفيلسوف والمؤرخ الأمريكى توماس صامويل كون الذى يعتبر واحدا من أكبر وأهم فلاسفة العلوم كان يدور عن العلاقة بين الفلسفة والعلم. وبالرغم من أن هذا السؤال كان قائما باستمرار وكانت هناك دائما العديد من الاجابات فقد وصفها كون بأنها إجابات تقليدية إذ ركز على منظور جديد يذهب إلى أن هذه العلاقة خاضعة للتفسير التاريخى وقدم فى كتاباته مجموعة من التصورات والمفهومات لفهم النشاط العلمى فهما صحيحا وهى مفهومات وتصورات هزت بعنف التقاليد الموروثة فى التاريخ والفلسفة وعلم اجتماع العلم وامتد تأثيرها إلى مجالات الاقتصاد والسياسة والثقافة بعامة.

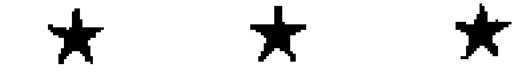
ولد كون فى كنكيناتى Cincunnati بأمريكا عام ١٩٢٢ وبدأ حياته كواحد ممن شغفتهم العلوم فبعد أن حصل على درجته العلمية من هارفارد اشتغل فى معمل بحوث الاتصال وهو عمل لم يشبع تطلعاته العلمية فهرب إلى هارفارد فى عام ١٩٤٨ وأصبح منذ عام ١٩٥١ عضوا فى كلية تاريخ العلم ثم صار فى ١٩٦١ أستاذًا لتاريخ العلوم فى باركلى إلى أن التحق فى عام ١٩٦٤ بجامعة برينستون.

ولقد نجح كون نجاحا كبيرا فى إثارة الانتباه إلى معنى العلم المتضمن فى أية حادثة أو واقعة علمية وبخاصة فى فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية. فبدلا من الفكرة التقليدية فى نمو العلم القائلة بأنه ينمو تدريجيا نتيجة لعملية تراكمية مستمرة للمعرفة الأمبريقية أعطى تصورا لتاريخ العلم أشبه بتاريخ المجتمع ذاهبا إلى أنه يتضمن نوعا من الانقطاع وعدم الاستمرارية بمعنى أن ثمة تفردات وطفرات وثورات هى ما أطلق عليها الثورات العلمية.

وفى كتابه الذى ظهر فى عام ١٩٦٤ بعنوان «بناء الثورات العلمية» The Structure of Scientific Revolutions مضى يشرح منظوره الجديد الذى قدمه لتطوير العلم وإنماء ادراكه الإنسانى كسبيل لاقترابه اقترابا موضوعيا من الحقيقة. وبالرغم من أن هذا الكتاب كان كتابا عن العلم أكثر منه كتابا فى العلم فقد هز إيمان العلماء فى مدى معقوليتهم ذاهبا إلى أن العلماء سوف يصبحون أكثر

حساسية وأكثر ميلا إلى الانتقاد الذاتى بدلا من خضوعهم المستمر للأنماط التقليدية. وكان بذلك أشبه بالثورة التى اهتز معها كل يقين.

ولقد كان من الطبيعى أن يتعرض لما اعتبره مشكلات متأصلة فى الفهم العلمى مثل مشكلات الاتفاق والقبول التى يتحدث عنها علماء الاجتماع وفى كل هذا فقد وجه انتقادا مريرا لمختلف العلاقات بين المدارس العلمية المختلفة ذاتها مقررا أنها علاقات غير سليمة وغير مرضية والسبب فى ذلك يرجع إلى عدم وجود أرضية مشتركة للبحث العلمى ولا بين النماذج والصيغ والموديلات التى يلجأ العلماء إليها. والتى اعتقد أنها لن تكون مقبولة إلا إذا كانت هناك مثل هذه الأرضية المشتركة وهى قناعة امتدت إلى مناقشته للعملية التعليمية ذاتها حيث ذهب إلى أنها عملية عقيمة لا توجد بها أية إثارة للعقل اكتفاءً بطرقها فى الإملاء والتلقين وهذا ما عرض له فى كتابين رائعين من أهم كتبه ومؤلفاته الأول نشره فى عام ١٩٥٧ باسم The Copernican Revolution: Planetary Astronomy in the Development of Western Thought, 1957. والكتاب الثانى ظهر بعد ذلك بعشرة أعوام فى ١٩٦٧ بعنوان Sources for the History of Quantum Physics. 1967.



L

لاكان، جاك (١٩٠١-) LACAN, JACQUES

إن فكر جاك لاكان يجبه القارئ بمزجه العجيب بين مختلف ميادين المعرفة. فبالرغم من أنه مختصص أصلا فى التحليل النفسى Psychoanalysis والطب النفسى Psychiatry وهما المجالان اللذان يهتمان بدراسة وعلاج الأمراض النفسية والعقلية فقد ارتبط اسمه منذ الستينيات من القرن الماضى (على الأقل) بالبنائية الفرنسية التى مثلت أبرز سمات الحياة الفكرية والثقافية فى فرنسا. كما أن شهرته ذاتها قامت بصفة أساسية باعتباره واحدا من الأربعة الكبار الذين تتردد أسماؤهم عند الحديث عن هذه البنائية وهم كلود ليفى ستروس Lévi-Strauss وميشيل فوكو Foucault ورولان بارت Barthes وجال لاكان نفسه فتجاوز بذلك تلك الحدود الضيقة التى يدور فى داخلها تخصصه الأساسى بمعنى أن هذه البنائية ذاتها كانت مدخله الذى استعان به فى تحليله النفسى ومعالجة مشكلات تخصصه الرئيسى تماما مثلما استعان بها رولان بارت فى نقده الأدبى وجاك دريدا فى تحليلاته أو قراءته للنصوص الأدبية والفلسفية وألثوسير Althusser فى نقده للماركسية وفوكو فى دراسته لانساق القوة أو فكرة القوة وتحليله لمكوناتها وبحوثه فى نظريات ونظم العقوبات، فقد ارتكز كل هؤلاء إلى الفكرة المحورية التى تقوم عليها البنائية على الأقل منذ أن تأسست فى ثوبها العصرى الجديد على أيدى ليفى ستروس والتى تقول بأن هناك بناءات أو أبنية عقلية لاشعورية عامة تشارك فيها جميع الثقافات الإنسانية على تعددها وتنوعها ورغم كل ما قد يكون بينها من اختلافات وتباينات كما اعتبر كل هؤلاء أيضا أن الوسيلة الوحيدة لفهم هذه الأبنية العقلية اللاشعورية هى دراسة النص واخضاعه للتحليل اللغوى.

وبصرف النظر عن الظروف الموضوعية التى نشأت فيها البنائية فى الفكر الفرنسى المعاصر فإن لاكان هو بلاشك أحد المفتونين بهذه الوسيلة ويكون التساؤل هنا هو إذن عن ملامح هذا الافتتان. وبتعبير أدق الكيفية التى طوع بها جاك لاكان منظوره الذاتى للبنائية لخدمة أهداف التحليل النفسى وتطويره؟

في عام ١٩٣٢ نشر لاكان رسالته للدكتوراه التى كانت عن «الذهان البارانويى وعلاقاته بالشخصية» Paranoiac Psychosis and its Relationships with Personality . ولكنه عاد فنشر بعد سنوات قليلة بحثا بعنوان «المرحلة الانعكاسية» The Mirror Stage (١٩٣٦) أو مرحلة انعكاس الصورة باعتبارها صيغة لوظيفة الذات تناول فيه الدور (الوسائطى) الذى تقوم به الصورة التى توجد لدى الأفراد عن الجسم The Body فى تشكيل الموضوع وبنائه وهو البحث الذى يعتبر من وجهة نظر الكثيرين بمثابة مدخله الأولى إلى حركة التحليل النفسى وهو المدخل الذى طوره على مدى سنوات طويلة ليتضح فى الخمسينيات على وجه الخصوص مدى ارتباطه أو حتى ما يمكن وصفه بأنه نوع من التبنى للنظرية التحليلية على مستوى النظر والممارسة والتطبيق معا. وهو موقف يمكن القول بأنه نما وتطور بشكل تدريجى من خلال مناقشاته ومحاضراته التى دأب على القيام بها فى السيمنارات العامة التى كان يعقدها بصفة منتظمة كل ١٥ يوما وكانت تدور أساسا حول موضوعات وقضايا الطب النفسى التقليدى وكما تجرى ممارسته فى المؤسسات النظمية المعنية.

ولقد كان لهذه السيمنارات الدورية أثر كبير فى لفت نظره إلى الحركة البنائية وبخاصة عندما أخذت تتضح أمامه طبيعة الصعوبات التى يلتقى بها باعتبار أنها تكشف عن عمل اللغة وتأثيراتها وهو ما أدى به إلى أن يركز اهتمامه على دراسة اللغويات طالما أنها ركيزة لا غنى عنها فى تناوله التحليلى سواء للنصوص أو المجالات التى يتحدث عنها.

وفى ضوء هذا تتبدى لنا الخاصية الجوهرية لتفكير جاك لاكان والتى أشرنا إليها عابرا بقولنا انه يمازج مزجا عجيبًا بين مختلف ميادين المعرفة. والواقع أن تفكيره على الرغم مما ينطوي عليه من صعوبة وتعقيد فى العبارة هو نتيجة جهد متصل (لدمج) اللغويات وبخاصة كما تعكسها أفكار ونظريات فردينان دوسوسير ورومان ياكوبسون وكذلك الانثريولوجيا خاصة عند مارسيل موس Mauss وليفى ستروس والمنطق الرمزى عند تشارلس ساندرز بيرس ونظرية المجموعات والفئات وهى النسق الصورى الذى أعطاه أولوية ملحوظة فى التحليل النفسى والموقف أو الاسهام العام للحركة البنائية فى العلوم الإنسانية الذى يرى أن اللاشعور تم تشييده وبناؤه فى شكل لغة The Unconscious is Strctured as a Language. والمهم هو

أن هذا (الدمج) أو على الأقل تحقيق التكامل فيما بين هذى التخصصات والمعارف جميعها هو بالذات ما يشكل مضمون (المشروع) الكبير الذى سعى إليه وهو مشروع يثير بعض الجوانب التى يلزم التوقف أمامها.

فمن ناحية بدا واضحا لجاك لاكان أن لا مهرب أبدًا لدراسات وبحوث التحليل النفسى والطب النفسى إن لم يكن البحوث المعاصرة فى مختلف حقول وميادين المعرفة من الخوض مباشرة فى مسألة الدلالة. فالمؤكد أن «الأشياء» و«الصور» و«السلوكيات» لا يمكن أن تكون دالة بذاتها ولكنها تكتسب دلالتها عن طريق اللغة. بتعبير آخر رأى لاكان أن المجالات المعرفية المختلفة تفرض علينا مواجهة اللغة. إن الأشياء تحمل دلالات فى باطنها ولاشك، ولكن ما كان لها أن تصبح «انساقا دالة» لولا تدخل اللغة ولولا امتزاجها باللغة. أى أنه يصعب تصور إمكان وجود مدلولات وأنساق صور أو أشياء خارج اللغة فعالم المدلولات - كما ذهب رولان بارت - ليس سوى عالم اللغة وإذا كانت التفرقة الجوهرية التى أقامها دوسوسير بين اللسان والكلام قد اسدت ولاشك الكثير من الخدمات لكل من علم الدلالة والبنائية على السواء فلا يقل عن ذلك أهمية التمييز الذى أقامه جاك لاكان بين (الواقع النفسى) و(الواقع) من حيث أن الأول (النفسى) يشار إليه على حين الثانى تتعين البرهنة عليه. وهذه ناحية تعرض لها أيضا رولان بارت وغيره من البنائيين الفرنسيين الذين أكدوا على أن الواقع لا يقبل التمثيل حتى وإن كان تمثله عن طريق الكلام. ولأنه لا يمكن أن يكون موضع تمثيل فهو موضع إثبات فحسب. أى أنه أمر يمكن التعبير عنه بكيفيات مختلفة وإلا فإن علينا أن نذهب مع لاكان إلى أنه المستحيل الذى لا يمكن بلوغه والذى دائما ما يفلت من أى تعبير أو خطاب. أو نقول إنه ليس بالإمكان المطابقة بين مستوى متعدد الأبعاد (أى الواقع) وبين مستوى أحادى البعد وهو اللغة.

والواقع أن بحوث لاكان قد أدت به إلى اكتشاف العديد من العلاقات المتداخلة والمتشابكة. فالتقاء اللغويات والأنثربولوجيا والماركسية والتحليل النفسى وتكاملها جميعا فى تفكيره قد نظر إليه لاكان على أنه قيمة علمية بالغة الأهمية خاصة وإنه لم يعتبر هذا التكامل مجرد مواجهة بين أنساق معرفية متخصصة ولكن التكامل الحقيقى يبدأ (بالفعل) عندما يتصدع التساند بين الدراسات والتصورات القديمة الأمر الذى يتم بعنف

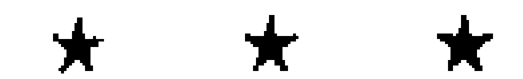
بسبب العديد من الهزات التى يتولد عنها موضوع جديد ولغة جديدة لا علاقة لهما بما كانا عليه فى داخل حقل معين بذاته من حقول المعرفة.

من الناحية الأخرى. نجد أن هذا الموضوع الجديد وهذه اللغة الجديدة يتطلبان إعادة النظر فى كل التصورات والمبادئ والمسلمات التقليدية فى علم النفس الفرويدى وهى مراجعة رأى لاكان ضرورة أن تتم فى ضوء التأثير المتولد عن المزاوجة بين الفرويدية والماركسية والبنائية وهو التأثير الذى يتطلب بالضرورة علاقة بين الواقع النفسى والواقع. تماما كما هو الحال فى الأدب عندما يتطلب الأمر تلك العلاقة بين النتاج والقارئ أو النص أو الأثر الأدبى Oeuvre الذى يرمز إلى اللغة بوجوده الظاهرى على الأقل. إنها نوع من المواجهة إذا جاز لنا استخدام هذا التعبير يقيمها لاكان بين العلوم الإنسانية والحاجة إلى إعادة النظر فى كل مشكلة الوجود والصدق والحقيقة الأمر الذى يستلزم توافر نظرة نقدية فاحصة للثقافة الغربية ومنطلقاتها الأيديولوجية. وهنا فقد بدت لجاك لاكان أهمية المقولات التى قال بها ساندرزبيرس والخاصة بالمنطق والظاهراتية والرياضيات. فالمنطق بالنسبة إلى بيرس هو منطق العلاقات أو هو علم الشروط الضرورية الموصلة إلى الصدق. وكأن هناك إذن نوعا من التوحيد بين منطق بيرس وبين علم الدلائل وهذه هى الناحية المحورية التى اهتم بها لاكان من حيث أن بمقدوره إذاً الكشف عن الدلائل الصادقة والدلائل الكاذبة وإن كان قد تجاوز ذلك إلى القول بأنه يستهدف لا الكشف فحسب عما هو موجود من ظواهر وعلاقات ولكنه يستهدف أيضا الكشف عما ينبغى أن يكون باعتباره علم الفكر النقدى الذى يفتح الأبواب أمام المحتمل والممكن.

وظاهراتية بيرس احتلت موقعا رئيسيا كذلك فى فكر جاك لاكان باعتبارها الدراسة التى تهتم بوصف خصائص الظواهر فى مقولاتها الرئيسية الثلاث وأقصد بها مقولات الوجود بوصفه كيفية وموجودا وضرورة. أما الرياضيات فموضوعها صياغة الفرضيات واستنباط النتائج منها ومن ثم فهى تستدعى الملاحظة بحيث تضع بناءات فى الخيال وفق قواعد مجردة وتلاحظ هذه الأشياء الخيالية لتقف على ما يقوم بين الأجزاء من علاقات.

ومهما يكن من شىء فلاشك فى أن أعمال جاك لاكان على الرغم من كل ما تتسم به من تعقيد تعتبر بحق من الأعمال ذات القيمة الحقيقية فى العلم الحديث. ويكفى أنه فى عام ١٩٥٣ كان من بين المؤسسين للجمعية الفرنسية للتحليل النفسى فى الوقت الذى كانت جمعية التحليل النفسى فى باريس تخوض معاركها حول قضايا ومشكلات تعليم التحليل النفسى وتدريسه وهو ما أدى فى عام ١٩٦٣ إلى تشييد المدرسة الفرويدية بباريس التى كان من بين أهدافها تعديل طرائق إعداد المحللين النفسانيين وهى أهداف نجحت الجمعية فى تحقيق بعضها على الرغم من أن لاكان تركها فى عام ١٩٨٠ وهى فترة أثمرت على أية حال أهم كتاباته حيث نشر فى ١٩٧٣ كتابه الهام «المفهومات الأربعة الأساسية فى التحليل النفسى» وألحقه فى عام ١٩٧٥ بمؤلفه «الكتابة الاصطلاحية عند فرويد» ثم بعد ذلك «الأنا والنظرية الفرويدية وطريقة التحليل النفسى» (١٩٧٨).

وقد تختلف الآراء حول أفكار جاك لاكان وحول مواقفه من البنائية ومن التحليل النفسى ذاته كما قد يكون هناك غير قليل من المآخذ على هذا كله. ولكن الشىء المؤكد هو أن أعماله تتصف بكثير من الأصالة والعمق حتى أنها طبعت تأثيرها فى كل تراث التحليل النفسى مثلما طبعتها أيضا فى الأدب والفلسفة والأنثربولوجيا بل والتيار العام للفكر الغربى المعاصر بعامة.



يعتبر هارولد دوايت لاسويل من أشهر علماء الاجتماع والسياسة الأمريكيين الذين ركزوا على دراسة علاقات القوة والبحث فى الشخصية والسلوك السياسى والعملية السياسية عموما مما ساعد كثيرا فى تطوير هذه الجوانب وبخاصة أثناء الفترة التى عمل فيها مديرا لبحوث عمليات الحرب والاتصال فى مكتبة الكونجرس الأمريكى فى الفترة ما بين ١٩٣٩ و ١٩٤٢ .

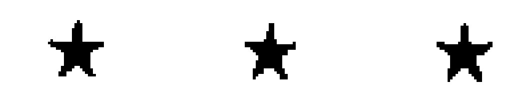
تلقى علومه فى جامعات لندن وجينيف وباريس وبرلين وبخاصة خلال فصول الصيف للسنوات من ١٩٢٣ إلى ١٩٢٥ ونال درجة الدكتوراه فى ١٩٢٦ من جامعة شيكاغو كما قام بتدريس العلوم السياسية فى نفس الجامعة حتى عام ١٩٣٨ عندما ذهب إلى جامعة ييل Yale كأستاذ زائر فى كلية القانون ثم عين استاذا للقانون فيما بين عامى ١٩٤٦ و١٩٧٠ وأستاذا للعلوم السياسية من ١٩٥٢ إلى ١٩٧٠ وأيضا أستاذا للقانون والعلوم الاجتماعية فى مؤسسة فورد ثم أستاذا متفرغا فى برامفورد كوليج Bramford فيما بين ١٩٧٠ و ١٩٧٦ . كما عمل أستاذا فى جامعة نيويورك وجامعة تمبل ومستشارا سياسيا لكثير من الإدارات والوكالات الأمريكية.

والعلوم السياسية بالنسبة إلى لاسويل هى دراسة التغيرات فى توزيع أنماط القيم فى المجتمع ولما كان النفوذ يرتبط ارتباطا ضروريا بعملية التوزيع هذه كانت القوة تمثل بؤرة اهتماماته ومناقشاته وبحوثه. أما القيم فهى عبارة عن الأهداف المرغوبة بينما القوة هى المشاركة فى عملية صنع القرارات وعلى ذلك فنجده يتصور القوة السياسية على أنها تنتج آثارا معينة ومحددة تمارس وجودها على الآخرين ومن هنا فقد برز اهتمامه بدراسة دور الشخصية فى السياسة وإن كان تركيزه علي الفرد كوحدة للتحليل قد أدى به إلى تركيز الاهتمام بالروابط بين الثقافة والسياسة وبين التطور الاقتصادى والنظم السياسية.

ولقد ركز لاسويل فى مؤلفه الشهير «من يحصل على ماذا ومتى وكيف» Politics: Who Gets what, when, How? (١٩٣٦) على دراسة النخبة أو الصفوة التى تمتلك أسباب القوة ولكنه عاد فى مؤلفه «القوة والمجتمع: إطار للبحث

السـيـاسى» Power and Sociery: A Framework for Political Inquiry وهو المؤلف الذى قدمه بالاشتراك مع ابراهام كابلان Kaplan (١٩٥٠) فوسع من دائرة اهتماماته ومناقشاته ليقدم إطارا عاما وأكثر شمولية للبحث السياسى حيث مضى يختبر بعض المقولات الأساسية التى لا غنى عنها فى التحليل السياسى والاجتماعى كمقولة الشخصية ومقولات الشخص والجماعة والثقافة مما يعكس اهتماما عميقا بالجوانب السيكوباثولوجية والمشكلات المصاحبة لعملية البحث عن القوة التى تعترى الساعين إليها والوسائل التى يستخدمونها والتى كثرا ما تسبب الاحباط للآخرين وبخاصة عندما تكون على حساب بعض الأخلاقيات. وعلى أية حال فقد ظهر اتجاهه نحو بعض الصياغات الأخلاقية فى دعوته القائلة بأن العلوم السياسية والبيولوجية بوجه خاص عليها أن تحدد اتجاهها ومواقفها من المسائل السياسية التى تخدم الإرادة الديمقواطية الساعية لتحقيق العدالة وذلك بالرغم من أنه كان يشك كثيرا فى إمكان وجود ديمقراطية على أية صورة من الصور.

وليس من شك فى أنه يرجع إليه جانب كبير من الفضل فى إبراز أهمية النظرية السياسية وامكانيات تطبيقها تحليليا عن طريق استخدام تحليل المضمون بالدرجة الأولى وهذا ما دفعه إلى الإفاضة فى أساليب تحليل المضمون حيث أطلق على تحليل الكلمات مصطلح تحليل الرموز وأبرز الملمح الأساسى فى هذا على أنه يرتكز على الكلمات المفردة وميز فى ذلك بين نوعين من التحليل إما باعتبار كل المفردات (الكلمات) أو اختيار عدد من الكلمات يعتبرها مفاتيح أو رموزا لكل الكلمات الأمر الذى مكنه من توظيف النظرية والانساق السياسية توظيفا تحليليا الأمر الذى انعكس بشكل واضح فى مؤلفه «تحليل السلوك السياسى: مدخل تجريبى» وأيضا فى مؤلفه الذى قدمه بالاشتراك مع دانيال ليرنر Lerner تحت عنوان «الصفوات الثورية العالمية: دراسات فى حركات القهر الأيديولوجى» World Revolutionary Elites: Studies in Coercive Ideological Movements (١٩٦٥) وأيضا مؤلفه عن «مستقبل علم السياسة» الذى صدر قبل هذا الأخير بعامين The Future of Political Science وهو كتاب يعتبر مراجعة لأحد كتبه القديمة التى كان لها توجه معين ونشره تحت عنوان «الأمراض السيكوباثولوجية والسياسة» Psycho-pathology and Politics (١٩٣٠).

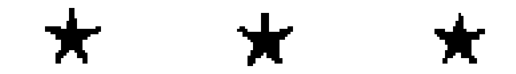


بول فليكس لازرسفيلد عالم اجتماع أمريكى من أصل نمساوى (ولد فى فيينا عام ١٩٠١) كان لإسهاماته ولمدخله الذى يتسم بالجدة فى دراسة المناهج أكبر الأثر فى دفع العلم وتطويره فى الولايات المتحدة وأوربا. تعلم فى جامعة فيينا فى تلك الفترة الزاهرة التى كانت تموج بالحركات والاتجاهات العلمية والثقافية عندما كان سيجموند فرويد Freud وآدلر Adler فى أوجهما والتى أنشىء فيها أيضا معهد بوهلر للدراسات السيكولوجية.

نال لازرسفيلد درجة الدكتوراه عام ١٩٢٥ فى الرياضيات التطبيقية Applied Mathematics وبعد أن قام بتدريس هذا التخصص قام بتأسيس مركز للبحوث التطبيقية فى عام ١٩٢٩ فى فيينا حيث برز اهتمامه بقضية تطوير مناهج البحث التى تبنى على الدراسات الأمبريقية وليس أدل على اهتمامه بتطبيقات علم الاجتماع من أن آخر مؤلفاته كان كتاب «مقدمة لعلم الاجتماع التطبيقى An Introduction To Applied Sociology (١٩٧٥) قبيل وفاته بعام واحد.

ولقد مكنته إحدى المنح من مؤسسة روكفلر من المجئ إلى أمريكا التى منحته الجنسية الأمريكية ولم يمض وقت طويل حتى أصبح واحدا من أكبر العلماء انتاجا ومن أبعدهم تأثيرا فى العلوم الاجتماعية بأمريكا إذ أصبح مديرا لمكتب بحوث الاتصالات اللاسلكية وهو أحد المشروعات التي تمولها مؤسسة روكفلر وتشرف عليها جامعة برينستون خلال الفترة من ١٩٣٧ إلى ١٩٤٠ وعندما انتقل هذا المشروع إلى جامعة كولومبيا فى هذا العام استمر مديرا وعين فى قسم الرأى العام بالجامعة نفسها ولكن تحول المشروع فيما بعد إلى اسم مكتب البحوث الاجتماعية التطبيقية وظل تحت رئاسته حتى عام ١٩٥٠ ومن بين زملائه خلال هذه الفترة التى امتدت حتى الستينيات صامويل ستوفر Stouffer ورايموند بودون وروبرت ميرتون وعندما أصبح استاذا متفرغا عام ١٩٧٠ انتقل فى عدد من الجامعات كأستاذ زائر فزار جامعة بيتسبرج Pittsburg وجامعة أوسلو Oslo (٤٨ – ١٩٤٩) والسربون وكان أول عالم اجتماع أمريكى يحظى بدرجة شرفية من السربون.

استخدم لازرسفيلد علم الاجتماع الرياضى منهجا لقياس الكم ويعتبر مزج البحث الاجتماعى الكيفى Qualitative بالبحث الكمى Quantitative من أهم اسهاماته التى كانت سببا فعالا فى تطوير علم الاجتماع وفى بحثه للمشكلات التى شغلت تفكيره وفى مقدمتها مشكلات البطالة والاتصال الجماهيرى والسلوك السياسى بالإضافة إلى بحوث التسويق ومختلف القضايا النظرية والمنهجية المرتبطة بعلم الاجتماع وغير ذلك من القضايا والمشكلات الاجتماعية التى تفجرت فى النصف الثانى من القرن العشرين فقد كان علم الاجتماع بالنسبة إليه يتمثل فى القيام بدور كاشف الطريق أمام الباحثين فى العلوم الاجتماعية أى دور الوسيط بين الفيلسوف الاجتماعى المراقب والمتأمل والباحث الأمبريقى الذى يعتمد أساسا على مختلف الأساليب الفنية فى البحث التى تدعمها النظرية السوسيولوجية ذاتها. وربما كانت من أهم كتاباته «الاختيار الجماهيرى» The Peoples Choice (١٩٤٨) ذهب فيه إلى ميل أصحاب الاتجاه الواحد إلى الاتصال ورؤية بعضهم أكثر من الاتصال بمعارضيهم فالإنسان يميل إلى مخالطة أشباهه وكتابه «الاتصال الجماهيرى» Mass Communication (١٩٥٥) الذى قدمه مع كاتز Katz وأيضا كتابه بالاشتراك مع موريس روزنبرج Rosenberg «لغة البحث الاجتماعى» The language of Social Research (١٩٥٥).



عالم الاجتماع والأنثربولوجيا الاجتماعية البريطانى وأحد كبار المتخصصين فى دراسة ثقافات الشرق وجنوبى أسيا والمؤسس الأول لتيار البنيوية فى العلوم الاجتماعية فى العالم الانجلوأمريكى فى مقابل كلود ليفى ستروس مؤسسها فى فرنسا وأوروبا عموما. درس الرياضيات والهندسة فى مالبورو وفى كامبريدج حيث نال درجته العلمية الأولى عام ١٩٣٢ ولكنه التقى بما لينوفسكى الذى كان وقتذاك فى مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم والسياسية فدرس على يديه وغير اتجاهه إلى الانثربولوجيا.

كان منشغلا بالبحث والعمل فى بورما Burma عندما اندلعت الحرب العالمية الثانية فانخرط فى الحرب مع جيش بورما البريطانى وحدث أن ضاعت أصول رسالته مما جعله بعد ذلك يعتمد على بعض المصادر الثانوية وعلى أية حال فقد نشر هذا العمل الذى يعتبر انجازه الأول الكبير بعد ذلك بعدة سنوات تحت عنوان «النظم السياسية فى أعالى بورما» Political Systems of Highland Burma (١٩٥٤). وفى أثر هذا قام أيضا ببعض الدراسات الحقلية فى كردستان Kardistan وسيلان Cylon وبورونيو Borneo وسيريلانكا Srilanka ونشر عنها بعض التقارير الأثنوجرافية التى كانت أساسا لبعض مؤلفاته المبكرة. وبالرغم من أن ليتش تشرب مواقف وتقاليد المدرسة الوظيفية كما نجدها عند مالينوفسكى فقد تأثر فى وقت لاحق فى الخمسينيات بكلود ليفى ستروس وبدأ معه حوارا طويلا كان سببا مباشرا فى لفت أنظار الانثربولوجيين البريطانيين إلى أعمال كلودليفى ستروس المهمة وإلى البنائية الفرنسية عموما التى سرعان ما أصبح (ليتش) واحدا من أهم نقادها بالرغم من أن البعض كان يعتبره هو نفسه من ضمن البنائيين.

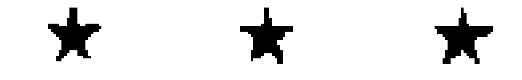
ولقد عمل ليتش أستاذا فى مدرسة لندن فى الفترة من ١٩٤٧ إلى ١٩٥٣ ثم فى كامبريدج (٥٣ – ٧٨) وخلال هذه الفترة كان كدأبه مغرما بالنقاش وبالتحدى ومثيرا للجدل ومع أنه كان رئيسا لرابطة الإنسانيين لبعض الوقت وانتخب فى عام ١٩٧٢ للأكاديمية البريطانية ونال لقب سير (فارس) عام ١٩٧٥ إلا أنه كتب عددا من المقالات ينتقد فيها فكر رادكليف براون اعتبرت بمثابة تحد للاتجاه

السوسيولوجى فى الانثربولوجيا البريطانية الذى يمثله رادكليف براون وأتباعه إذ اتهمهم ليتش بأنهم يأخذون بنظرة وصفية واستاتيكية مغالية فى نظرتهم وتفسيرهم للعلاقات ونظرة آلية وميكانيكية للطقوس والأيديولوجية وذلك على الرغم من أن ليتش نفسه لم يكن أبدا صاحب نظرية بالمعنى التقليدى المفهوم.

وهناك على الأقل ثلاثة أعمال رئيسية لادموند ليتش إلى جانب العدد الكبير من الكتابات والمؤلفات والمقالات التى كتبها عن الثقافة والاتصال والرمزية الدينية والنظرية العامة للقرابة بالاضافة إلى نقده للاتجاهات التطورية والنظرية السوسيولوجية بعامة: وأول هذه الأعمال الرئيسية هو مؤلفه «إعادة التفكير فى الانثربولوجيا» Rethinkingh Anthvopology (١٩٦١) الذى أكد فيه أن هذا العلم بدأ يتجمد ويتراجع بل ويتخلف عن الواقع الحالى والتاريخى بالاضافة إلى اتهامه العلم والعلماء بالرجعية وبمعاداة أسس الوحدة الإنسانية ولاتجاه التاريخ.

أما الكتاب الثانى فقد نشره تحت عنوان «التكوين بوصفه اسطورة» Genesis as Myth (١٩٧٠) فقد انشغل فيه بشرح ونقد وتعديل نظريات كلودليفى ستروس فى التصنيف وفى الأساطير وإن كان قد تعرض فيه أيضا لبعض الموضوعات التى آثارها المرتبطة بالكتاب المقدس (الانجيل) والتى اخضعها للتحليل من وجهة نظره. وأخيرا هناك الكتاب الهام الثالث الذى يمثل عمله النظرى الكبير باسم «الأنثربولوجيا الاجتماعية» (١٩٨٢) والذى واصل فيه بوجه عام حواراته مع ليفى ستروس والبنائية الفرنسية عموما.

ولقد ترك أدموندرونالد ليتش لفيفا من الأنثربولوجيين المشهود لهم من بينهم فردريك بارث Barth ونيريالمان Yalmen وغيرهما ممن تأثروا باتجاهاته فى دراسة التكوينات الاجتماعية ومشكلات الطوائف الدينية والاقتصادية فى بعض المجتمعات وما ارتبط بها من قضايا التدرج والحراك الاجتماعيين.



ربما كان كلود ليفى ستروس أبرز البنائيين الفرنسيين المعاصرين على الأقل فى ثوبها الحديث بعدما ظهرت فى مراحل مختلفة على أيدى فردينان دوسوسير. كما أنه أحد أقطاب هذه البنائية التى طبقت على أوسع نطاق فى تحليل الأنساق الثقافية والظاهرة الثقافية عموما وبخاصة أنساق القرابة والأساطير فى ضوء العلاقات البنائية التى تقوم بين عناصرها. فكانت بحق بنائية أثرت لا فى علوم القرن العشرين الاجتماعية فحسب ولكن أيضا فى دراسة الفلسفة والأديان المقارنة والأدب فى مختلف الأنحاء.

ولد ليفى ستروس فى عام ١٩٠٨ وتلقى تعليمه الثانوى في باريس فى ليسيه جانشون دى سالى وبعد ذلك كانت دراساته فى القانون والفلسفة فى جامعة باريس (١٩٢٧ - ١٩٣٢) وبعدها قام بالتدريس فى إحدى المدارس الثانوية واتصل بجان بول سارتر Sartre وندواته ومحاضراته الثقافية ثم سافر إلى البرازيل وعمل أستاذاً للاجتماع فى جامعة ساوباولو Sao-Pailo (١٩٣٤ - ١٩٣٩) حيث بدأ اهتمامه بالانثربولوجيا وبدأ رحلاته فى الأمازون ولكنه عاد إلى فرنسا (١٩٣٩) ومن بعدها سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث اشتغل أستاذا زائرا فى المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعى فى نيويورك (١٩٤١ - ١٩٤٥) وهى فترة تأثر خلالها ببحوث ودراسات العالم اللغوى ياكوبسون Jakobson وظل يعمل كمستشار ثقافى فى السفارة الفرنسية فى واشنطن (٤٥ - ١٩٤٨) ثم بعد عودته إلى فرنسا عين مديرا مساعدا لمتحف الإنسان فى باريس (١٩٤٩) ثم كان مديرًا للدراسات العليا بالمدرسة التطبيقية فى باريس (١٩٥٠ - ١٩٧٤) وكان قد عين استاذا لكرسى الانثربولوجيا الاجتماعية فى الكوليج فرانسيز (١٩٥٩) وانتخب عضوا بالأكاديمية الفرنسية منذ ١٩٧٣ .

وتمثل بنائية كلود ليفى ستروس محاولة متعمقة لفهم الانساق الثقافية واختزالها إلى ما اعتقده الأساسيات أو الجوهريات أو العناصر الجوهرية فى الثقافات حيث تتمثل نظرته إلى الثقافات فى أنها أنساق اتصال ونماذج بنائية تقوم على اللغويات ونظرية المعلومات والتحليل اللغوى هما بالذات اللذان بمقدورهما تقديم تفسير لها.

والحقيقة أنه يصعب فهم ليفى ستروس لأن هناك من يعتقد أنه كان يسعى إلى تقديم نسق تفسيرى شامل للعالم وهذا خطأ شائع فى الواقع لأنه لم يقدم على ذلك وربما كان ما أعطى هذا الفهم أو الايحاء أن أعماله كانت تعكس نوعا من المحاولة للوصول إلى ذلك وهو ما ينعكس في كتاباته التى دارت حول معظم المجالات المختلفة للثقافة.

ولقد ارتكزت كتابات ليفى ستراوس على إطار أساسى لنظرية المعرفة تدور من خلاله كل تفسيراته للثقافة والأساطير وهو اطار يعطى الأولوية للبيئة السوسيولوجية على البيئة الطبيعية فى تفسير الأحداث والتناقضات فى الثقافة الإنسانية. ونحن نلاحظ أن التفسيرات المعاصرة لمصير الجنس البشرى تتأرجح بين قطبين أو نموذجين تفسيريين فالبيئة الإنسانية سواء أكانت البيئة الطبيعية تعكس نوعا من الحتمية الضرورية التى تقع فى داخلها مختلف الظواهر والأحداث ولكنه أميل مع ذلك إلى أن البيئة السوسيولوجية هى ما يعتبر أفضل مدخل يمكن أن يقدم تفسيرًا لما يوجد من اختلافات ففى تصوره أن الاختلافات المتعددة والمتكثرة فى الثقافة الإنسانية ليست اختلافات تعسفية أو عشوائية وإنما هى نتيجة للتفاعل المستمر بين نوعين من المجالات اللذين يمثلان ضغوطا أساسية تتمثل فيما يوجد فى العالم الخارجى من ناحية وفى العالم الداخلى من ناحية ثانية وهذا ما أطلق عليه (الروح الإنسانية) L'Esprit Humain أو العقل البشرى. وفى اعتقاده أن العقل البشرى ليس وحدة أو ذاتية ميتافيزيقية وإنما هو شيء مادي أو الجهاز العصبى للإنسان. وما الثقافة إلا نتاج التفاعل بين العالم الخارجي وامكانات وقدرات هذا الجهاز العصبى أى العقل. وربما من هنا كان تصور ليفى ستروس الأساسى القائل بأن الانثربولوجيا البنائية هى مزاج بين علم النفس والانثربولوجيا وبالذات الانثربولوجيا الإدراكية Cognitive على وجه الخصوص. أما معنى ذلك فهو أن لكى نفهم الثقافة فإنه يلزم من ثمة أن نفهم كلا من العقل البشرى والعالم الخارجى وهذه مسألة معقدة وفى غاية الصعوبة.

ولكن الناحية الثانية لكى نفهم كلود ليفى ستروس فهى الوقوف على تصوره للتاريخ وهنا يلزم أن نتذكر شيئا معينا هو أنه كان يعتبر فى وقت من الأوقات واحدا من الماركسيين وأن هناك من المفكرين والباحثين من ينظر إليه هذه النظرة حتى

اليوم. ولكن فحص كتاباته جيدا سوف يكشف عن حقيقة أنه لا ماركسى Anti-Marxist والدليل على ذلك يقوم فى تصوره للتاريخ وهو تصور لا تاريخى Anti-Historicist بالدرجة الأولى.

بالنسبة إليه ليس هناك ما يوصف بأنه قوانين تاريخية أو قوانين للتاريخ. وفى تصوره أن التاريخ عملية احتمالية أشبه بعجلة الروليت تلقى ببعض الظروف والأحداث التى تسمح للثقافات أن تتراكم ويكون لها آثارها التى تختلف فى الزمان والمكان. ولأن التاريخ بهذا الشكل يكون من الصعب التنبؤ به. ولأجل هذا فلابد من الاحتفاظ إذن بسجلاته ووثائقه وأحداثه بقدر ما تسمح الظروف وبتعبير آخر التاريخ يقدم للإنسان فقط تلك التجارب التى يستطيع الانثربولوجى أن يعود إليها ولكن ما وراء التاريخ أو ما يحدث فى باطنه فإنه مسألة أخرى. وهذه تمثل إحدى المشكلات التى تقوم بين علوم الإنسان Science de l'Homme والعلوم الطبيعية. أضف إلى ذلك فارقا آخر هو أن العلم الطبيعى يلتصق فى محاولة فهمه والتعامل معه بمستوى الشرح والتفسير على حين تسعى علوم الإنسان بالضرورة إلى الفهم وإلى الوقوف أو التعرف على المعنى. ومن هنا اعتبرت قضية الفهم والمعنى قضية محورية عنده إن لم تكن القضية الرئيسية.

وليس من شك فى أن المتتبع الدقيق لكتابات ليفى ستروس سوف يكتشف بنفسه هذه الجوانب كلها. ومن أمتع دراساته التى حاول بها الوصول إلى هذا التصور دراسته عن القرابة التى تعتبر أول أعماله الضخمة التى نشرها بعنوان «الأبنية الأولية للقرابة» Les Structures Elémentaire de la Parenté الذى ظهر عام ١٩٤٩ (ترجم إلى الانجليزية فى عام ١٩٦٩) وهو كتاب اشتمل على تحليل للعوامل البيولوجية والثقافية فى الزواج والروابط القرابية وفى المصاهرة وما ينجم عنها من التزامات. وباختصار يقوم الكتاب على إحدى الفرضيات البنائية الأساسية التى تذهب إلي أنه فى كل مجتمع وحتى فى تلك الحالات التى يبدو فيها الزواج كأنه نتيجة لقرار فردى أو مواقف عاطفية أو اقتصادية فإن ذلك لا يكون بعيدا أبدا عن القرابة والعوامل القرابية و روابطها. ولابد أن نتذكر هنا الدور الذى تقوم به الهدية Gift التى تكلم عنها مارسيل موس Mauss ودور الزواج الداخلى والزواج

الخارجى وحتى تقديم بعض الثقافات الزوجات كهدية أو لإكرام الضيف وكذلك تقديم بعض الثقافات منتجاتها كهدايا وأثر ذلك كله فى التماسك الإجتماعى.

ولكن من المهم القول بإن تأثير مارسيل موس ولويس مورجان وريفرز إذا كان يظهر بمثل هذا الوضوح فى دراسات ليفى ستروس للقرابة فليس الحال كذلك بالنسبة إلي دراساته للأساطير التى يمكن اعتبار العالم الروسى فلاديمير بروب Propp هو المؤثر المباشر فى ليفى ستروس فى هذه الناحية.

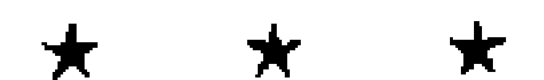
لن أخوض فى هذه النواحى لغموضها ولتشعبها ولكن يكفى الإشارة إلى مؤلفه الضخم «أسطوريات» Mythologiques (١٩٦٤ - ١٩٧١) الذى يتكون من أربعة أجزاء تضم أفكاره المحورية التى بناها على دراساته لأساطير قبائل الهنود الأمريكيين وتعكس طريقته فى التحليل. وفى تصور ليفى ستروس أنه لا توجد هناك أية مضامين خفية Latent أو رسالة معينة أبعد مما تعكسه المعانى الواضحة وإنما معنى الأسطورة يتمثل فى حقيقة أن هناك أساطير أخرى قد تكون مشابهة أو مخالفة فى نفس الموقف ونفس الاتجاه. وبتعبير آخر أن كل ثقافة لها نسقها ولها أساطيرها مما يلزم معه أن تتم دراسة الأسطورة فى ذات الثقافة التى تنتمى إليها حيث يسهل تحليلها والتعرف على مكوناتها من خلال النسق الأسطورى الخاص به وربما بهذه الوسيلة يمكن التعرف على المشابهات بين مختلف الانساق بالرغم من كل تأثيرات الانتقال والانتشار الثقافيين.

ولقد تعددت كتابات ليفى ستراوس ما بين الكتب والمؤلفات وعشرات المقالات التى تناولت مختلف الموضوعات فى مختلف المجالات. ففى الخمسينيات من القرن الماضى ظهرت مسيرة رحلاته فى مؤلفه «الأفاق الحزينة» Tristes Tropiques الذى كان بمثابة ترجمة لحياته العلمية فى مختلف الثقافات والشعوب ولبنائه وتكوينه العلمى (١٩٥٥) ومثل بذلك قطعة أوتوجرافية أدبية رائعة. ثم ظهر بعد ذلك كتابه الممتاز «الانثربولوجيا البنائية» Anthropologie Structurale (١٩٥٨) و«الفكر المتوحش» La Pansée Savage (١٩٦٢) و«الطوطمية اليوم» Le Totêmisme Au-jourdhui فى العام نفسه ثم «الطوطمية» Totemism (١٩٦٩) ثم بعد ذلك ظهر له «طريق الأقنعة» La Voie des Masques (١٩٧٥) في جزءين ضمنهما تحليلا للفن والعقيدة والأساطير بين هنود الساحل الشمالى الغربى لأمريكا وفيه مقابلة بين

الفن البدائى والفن فى المجتمعات المتقدمة التى أطلق على فنها تسمية «الفن المتحضر».

وبالرغم من كل هذا هناك ناحية من الصعب عدم الاحاطة بها ونحن بصدد فهم ليفى ستروس وتتمثل فى أن هناك ميلا إلى الربط فى كثير من المواضيع والأماكن بين ليفى ستروس وبين دور كايم عبر مارسيل موس وهى مسألة تستحق إمعان النظر خاصة وأنه هو نفسه يعلن تأثره بالأنثربولوجيا الانجليزية والانجلوساكسونية عموما أكثر من المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع التى تزعمها دور كايم وموس من بعده. إضافة إلى تقديره الذى كان يعبر عنه كثيرا لرادكليف براون ولوى وريفرز ومن قبلهم فرانز بواس. فإلى أى مدى يعتبر هذا الربط صحيحا؟ الواقع أن اهتمام بواس بالنظرية ومحاولته الوصول إلى النظرية هى ما يمكن اعتباره النقطة الجوهرية التى تفصل بين الاثنين. ولئن كان الأمر كذلك فيكون التساؤل المنطقى هو: من أين إذن أتت التأثيرات الأساسية فى فكره؟ والجواب يكمن ببساطة فى البنائية الفينولوجية Structural Phonology حيث بدا تأثره برومان ياكوبسون واضحا أشد الوضوح منذ أن التقيا فى نيويورك.

ومهما يكن من أمر فمن الصعب حقا إعطاء تقييم دقيق لتأثير ليفى ستروس على الانثربولوجيا المعاصرة نظرا لتشعبه ولكن من المهم القول إن بنائيته وجدت انتشارا كبيرا منذ الستينيات وبخاصة عندما وقعت أحداث الطلبة عام ١٩٦٨ التى أعادت اهتمامه بالماركسية وذلك إلى درجة أن تأثيره قد امتد إلى كل الاتجاهات البنائية الفرنسية فاستفاد جاك لاكان على سبيل المثال من مبدئه فى الوظيفة الرمزية كما أنه أوحى لرولان بارت بمدخله لقراءة الأساطير ودراستها فى الوقت الذى اكتشف جاك دريدا فيه صدى لجان جاك روسو ورؤيته للعصر الذهبى وحنينه الرومانتيكى إليه بعالمه الأسطورى البعيد والسعيد.

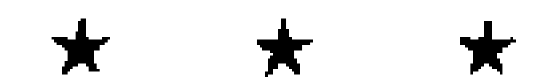


لويس، كلارنس، يرفنج (١٨٨٣ - ١٩٦٤) LEWIS, Clarence Irving

فيلسوف ومنطقى وأحد كبار فلاسفة الأخلاق الأمريكيين المرموقين الذين أسهموا اسهاما بالغا فى إثراء نظرية المعرفة فقد اتسمت نظريته فى الأخلاق والمعرفة بالنزعة التصورية والنزعة البراجماتية فى داخل إطار من الفلسفة الكانتية إذ سعى إلى تطوير التصورات الفلسفية بالطريقة التى سبق إليها كانت Kant باعتبار أنها متأصلة فى الحقيقة الأمبريقية ولهذا فقد ذهب إلى أن المعرفة لا تكون ممكنة إلا بوجود إمكانية الخطأ مما يعنى صراحة أنه أقدم على تحوير النظرة التقليدية التى تقوم على التجربة الحسية التى ينظر إليها على أنها ضمان المعرفة الحقة واليقينية فيما يتعلق بالواقع وبالحقيقة. لأن الفرد لا يكون فى أغلب الأحيان مخطئا بالنسبة إلى الانطباعات التى تأتيه عن طريق الحواس.

ولقد ولد لويس فى عام ١٨٨٣ فى ستونهام الأمريكية وتخرج فى جامعة هارفارد حيث قام بالتدريس من عام ١٩٢٠ إلى أن تقاعد فى عام ١٩٥٣ بعد أن ظل أستاذا للفلسفة منذ عام ١٩٣٠ . وخلال هذه الرحلة كان من الطريف والجميل أيضا أن جامعة كولومبيا كرمته فى عام ١٩٥٠ باعتباره أحد كبار المناطقة المشهود لهم. ثم حدث أيضا بعد ذلك بعدة سنوات أن قدم له المجلس الأمريكى للتعليم مبلغ ١٥ ألف دولار فى عام ١٩٦١ كجائزة له واعترافا بفضله. والواقع أنه قد ترتبت على جهوده ومواقفه إحدى النتائج الهامة فيما يتعلق بالمشكلات الابستمولوجية (المعرفية) التي اعتبرها لا تعدو أن تكون مشكلة تفسير ذاتى يقوم به الإنسان عن تجاربه وخبراته الحسية. أما فيما يتعلق بمسألة الحكم واليقين فإن اليقين الوحيد الممكن فى رأيه هو ما يكون مستمدا مما أطلق عليه «الحكم المنتهى» Terminating Judgment الذى يتضمن قضية عن الواقع سبق التحقق من صدقها تجريبيا. والحكم المنتهى بالنسبة إليه لابد أن يكون متعلقا بالظواهر بينما يتعلق الحكم غير المنتهى بغير ذلك من القيم والموضوعات الأخرى. وإن كان اليقين والمعنى قد يوجدان مع ذلك فى الحكم غير المنتهى (أو الحكم المعلق) إنما فى حالة ما إذا كان الحكم المنتهى يساندهما ويقف وراءهما.

ومن ناحية ثانية انتقد لويس المنطق الصورى المعاصر مستخدما أيضا تطبيقات مادية وتجريبية وبدلا منه قدم نسقا منطقيا يقوم على التضمينات المحددة بمعنى أنه رفض تماما تلك الأنساق التى لا ترتبط بما هو متضمن فى الخبرة والتجربة. أما المقولات المجردة التى يزخر بها المنطق التقليدى فهى بذاتها موضوع للتغير. ومهما يكن من أمر فقد أفاض لويس فى شرح منطقه وفلسفته فى عدد من أعماله الرئيسية من بينها «المنطق الرمزى» Symbolic Logic (١٩٣٢) وكتاب «تحليل للمعرفة والتقييم» An Analysis of Knowledge and Valuation (١٩٤٧) وكتاب «أساس وطبيعة الحق» The Ground and Nature of Right (١٩٥٥).



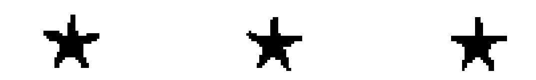
فى مقدمة الأنثربولوجيين الأمريكيين الذين أثروا تأثيرا كبيرا فى تطور الأنثربولوجيا الأمريكية والأنثربولوجيا الثقافية على وجه الخصوص باعتباره واحدا من العلماء المبرزين المهتمين بعلم آثار ما قبل التاريخ والأثنولوجيا، حتى أنه أصبح حجة فى مجموعات وآثار الهنود الأمريكيين وفى قبائل وشعوب الأقيانوس.

ولد رالف لينتون فى فيلادلفيا Philadelphia عام ١٨٩٣ ودرس فى كلية سوار ثمور Swarthmore حيث ظهر اهتمامه وشغفه بالآركيولوجى «علم آثار ما قبل التاريخ» وقام بجهد كبير فى نجاح إحدى البعثات التى أرسلت إلى نيومكسيكو وكلورادو وجواتيمالا (١٩١٢ و ١٩١٣). نال درجة الدكتوراه فى عام ١٩٢٥ وقام ببعثة أخرى إلى مدغشقر وشرق أفريقيا حيث درس التانالا Tanala (من ١٩٢٥ إلى ١٩٢٧) وهى رحلة تمخضت عنها كتاباته الرئيسية التى امتزجت بنتائج بعثته الأخرى إلى جزر ماركيز Marquesas (١٩٢٠ - ١٩٢٢) التى اعتبرت بمثابة نقطة تحول رئيسية فى حياته إذ أصبح مديرا لمتحف التاريخ الطبيعى فى شيكاغو (١٩٢٢ - ١٩٢٨) وتمكن من دراسة عدد من القبائل الهندية الأمريكية. كما عمل فى عدد من كبريات الجامعات الأمريكية فكان أستاذا فى جامعة ويسكونسن وجامعة ماديسون (٢٨ - ١٩٣٧) وجامعة كولومبيا (٣٧ - ١٩٤٦) وجامعة ييل (٤٦ - ١٩٥٣) حيث توفى فى أواخر شهر ديسمبر من العام نفسه. وتتميز هذه الفترة الأخيرة من حياته بأنه عمل مع مالينوفسكى والمحلل النفسى ايبرام كاردينيير فى بضعة أعمال مشتركة عن العلاقة بين الثقافة والشخصية حيث اعتمدوا بصفة رئيسية على التقارير المختلفة عن المجتمعات البدائية وبعض القرى الأمريكية الحديثة.

والواقع أنه نتيجة لهذه الجهود جميعها فقد نشرت له عدة مؤلفات رئيسية اشتملت على نتائج بحوثه من ناحية وعلى مواقفه النظرية من بعض المشكلات الأساسية فى العلم من ناحية ثانية. فنتيجة لجهده المشترك مع كاردينيير ومالينوفسكى ظهر كتاب «الحدود النفسية للمجتمع» The Psychological Frontier of Society الذى كتب له لينتون مقدمة ضافية عكست مفهومه عن المجتمع الذى عبر عنه بأن النظم الاجتماعية لا تعمل إلا باعتبارها أجزاء من كل أوسع وقصد

بذلك الثقافة الكلية الشاملة للمجتمع فى الوقت الذي انتقد فكرة بقاء النسق واستمراره وذلك من خلال تحليله ومناقشته لمفهوم التكامل الثقافى حيث ذهب إلى أن الوظيفيين قد فشلوا فى تحديد ما يقصدون به مؤكدا أن العلاقة بين الشخصية والثقافة تشبه العلاقة ذاتها بين الفرد والنظام الاجتماعى فأى فهم لشخصية الفرد أو للمركب الاجتماعى أو الثقافى الذى هو جزء منه يتطلب تحليلا دقيقا للعلاقة المتبادلة بين الجزء والكل واعتماد كل منهما على الآخر وهى المشكلة التى ظهرت لدى علماء الاجتماع وهم يتحدثون عن علاقة الفرد بالنظام الاجتماعى.

ويعتبر كتابه «دراسة الإنسان» The Study of Man: An Introduction (١٩٣٦) مؤلفه الرئيسى وربما أهم اسهام نظرى له باعتباره مركبا محكما من النظريات الانثربولوجية والاجتماعية والسيكولوجية وإن لم يعتبر الأسرة ركنا من أركان البناء الاجتماعى كما ذهب بعض الأنثربولوجيين الكبار، كما طور فى كتابه «الخلفية الثقافية للشخصية» The Cultural Background of Personality الذى ظهر فى عام ١٩٤٠ نظرية الشخصية الثقافية التى تعتمد على المكانة والمنزلة الاجتماعية وهى عناصر أساسية تشكل النمط الأساسى للشخصية فى أية ثقافة. أما عمله الأخير (نشر عام ١٩٥٥ بعد وفاته بعامين) فقد كان بعنوان «شجرة الثقافة» The Tree of Culture (وإن كان البعض يترجمه إلى شجرة الحضارة) فقد دار حول أصل الإنسان والتأثيرات البيولوجية على السلوك الثقافى. وعموما فإن ما لا شك فيه هو أن رالف لينتون يعتبر علامة بارزة فى تطور الأنثربولوجيا الثقافية بكل المقاييس.



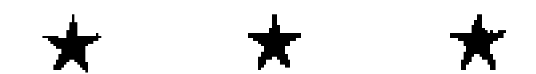
سيمور مارتن ليبست عالم اجتماع أمريكى ومنظر وعالم سياسة له اسهاماته المميزة فى النظرية الاجتماعية والسياسية واعتمدت شهرته العالمية الواسعة على آرائه وبحوثه ودراساته التى دارت حول السياسة المقارنة والبناء الطبقى وأشكال الصفوات وأنماطها والأحزاب السياسية والعملية السياسية بعامة.

وقد ولد ليبست فى نيويورك عام ١٩٢٢ وبعدما تخرج فى سيتى كوليج (١٩٤٣) عمل محاضرا فى تورنتو (٤٦ - ١٩٤٨) ثم أستاذا مساعدًا فى جامعة كاليفورنيا فى باركلى حتى عام ١٩٥٠ . وفى هذه الأثناء حصل على درجة الدكتوراه (١٩٤٩) من جامعة كولومبيا حيث ظل من عام ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦ وعمل أثناء ذلك مديرا مساعدا لمكتب البحث الاجتماعى التطبيقى (٥٤ - ٥٦) الذى كان بول لازرسفيلد قد أسسه. وفى الفترة من عام ٦٢ إلى ١٩٦٦ عمل مديرا لمعهد الدراسات الدولية ثم أصبح أستاذا فى هارفارد من العام ١٩٦٦ إلى أن أصبح استاذا للعلوم السياسية وعلم الاجتماع فى معهد هوفر بجامعة ستانفورد منذ عام ١٩٧٣ .

وبوجه عام يعتبر ليبست من بين المهتمين بشكل أساسى بمشكلات المجتمعات الصناعية الحديثة وكان يعتمد فى هذا على اختبار الفروض والنظريات فى ضوء البحث المقارن حيث كان ينفر بشدة من إطلاق التعميمات دون الاستناد إلى مثل هذه البحوث والدراسات. وتكشف عناوين كتبه ومؤلفاته عن المحاور الرئيسية والاتجاهات الأساسية لفكره النظرى. فقد قدم «الاشتراكية الزراعية» Agrarian Socialism (١٩٥٠) و«الديمقراطية الاتحادية» Union Democracy (١٩٥٦) وهو كتاب قدمه بالاشتراك مع كولمان Colmanوترو Trow ويشتمل على دراسة للاتحادات العمالية وتنامى قوة الطبقة الوسطى وأصحاب الياقات البيضاء كما قدم بالاشتراك أيضا مع بندكس Bendix كتابين أخرين هما «الحراك الاجتماعى فى المجتمع الصناعى» Social Mobility in Industrial Society (١٩٥٩) و«علم الاجتماع السياسى» Ploitical Sociology (١٩٦٤) ثم مع بندكس أيضا كتاب «الطبقة والمكانة والقوة» Class, Status and Power وهو دراسة مميزة للتدرج الاجتماعى وأنماطه وكذلك كتابه «الإنسان السياسى» Political Man (١٩٦٠) وهو

كتاب فاز بجائزة ماكيفر واشتمل على دراسة للسلوك الانتخابى وللمتطلبات الاجتماعية الواجب توافرها لقيام الحكومة الديمقراطية وخاصة فى المجتمعات الغربية التى تلعب فيها دورا بالغ الأهمية عمليات التنمية الاقتصادية على وجه الخصوص.

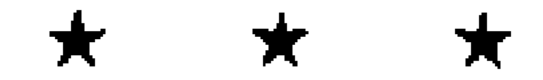
ولكن منذ أواخر الستينيات تقريبا أخذت مؤلفاته تتلون بطابع خاص أكثر براجماتية فظهر مؤلفه «الثورة والثورة المضادة» Revolution and Counte Revolu-tion (١٩٦٨) و«سياسة اللاعقل» the Politics of Unreason الذى قدمه بالاشتراك مع ايرل راب Raab (١٩٧٠) وفاز عنه بجائزة ميردال بالاضافة إلى «العصيان والثورة فى الجامعة» Rebellion in the University (١٩٧٢) و«الأكاديمى المنقسم» The Divided Academy (١٩٧٥). وجميعها كتب طورت كثيرا من نظريته فى أنماط الصفوة وفى مجال السياسة بعامة وبخاصة كتابه الذى نشره فى عام ١٩٧٨ «ظهور الائتلاف فى السياسة الأمريكية» Emerging Coalitioin in American Politics ثم كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع وليم شنيدر Schneider بعنوان «أزمة الثقة: العمل والإدارة والحكومة فى عقلية الجماهير» The Confidence Gap Business, Labor and Government in the Public Mind الذى نشر عام ١٩٨٣ . وكان يدور حول تدهور الثقة لدى الجمهور الأمريكى فى كل المؤسسات الرئيسية فى الفترة من منتصف الستينيات حتى أوائل الثمانينيات وعموما فقد كان لمؤلفاته تأثير كبير فى علم الاجتماع وعلم السياسة لدرجة أن مؤلفاته ترجمت إلى ١٨ لغة من لغات العالم ومن بينها اللغة العربية.



من الرواد الذين اهتموا بالنظرية الاجتماعية وشغلتهم أنماط الفعل والتفاعل الاجتماعيين كأساس لتكوين العلاقات الاجتماعية فأكد على حقيقة أنه لكى نفهم المجتمع أو أى نسق من الأنساق الاجتماعية فلابد أن يتوجه الاهتمام إلى أنماط التفاعل المنتظمة والثابتة ولهذا تركز همه فى محاولة صياغة مجموعة من المفاهيم والتصورات المترابطة التى تمكن من دراسة الأفعال الاجتماعية الواقعية ولهذا وضع نموذجا بنائيا حدده تحديدا اجرائيا واعتقد أنه يساعد كثيرا فى فهم وتحليل الجماعات الاجتماعية وتفسير التكامل فيما بين العناصر والمكونات التى تدخل فى تكوين هذه الجماعات كشرط لازم لتحقيق ما قد تتمتع به من تماسك ووحدة.

ولكن لوميز فى مقياسه الاجرائى من الملاحظ أنه قد اعتمد كثيرا وربما بشكل طاغ على المفهومات السيكولوجية أكثر منه الاعتماد على مضامين النظريات الاجتماعية مثال ذلك مفاهيم الشعور والنفس والانجاز والسلوك المعيارى الأمر الذى يعكس اهتمامه بالنظرية النفسية وبالاتجاهات السيكولوجية خاصة وأنه كثيرًا ما يضع الاهتمام بدراسة موضوع التغير الاجتماعى فى مرتبة أو مكانة ثانوية مثله فى هذا تولكوت بارسونز. وربما يرجع كل هذا إلى فهمه الخاص لعلم الاجتماع الذى اعتبر أن موضوعه الرئيسى الذى يستأهل الاهتمام هو السلوك الاجتماعى وسلوك الفرد مع الآخرين مقتربا بذلك كثيرا من علماء مثل لندبرج Lundberg ودود Dodd وزيف Ziph. وعلى العموم فقد استخدم نموذجه القياسى فى تحليل أعمال عدد من كبار المنظرين الذين اشتمل عليهم كتابه المعنون «النظريات الاجتماعية الحديثة» Modern Social Theories (١٩٦١) من بينهم هوارد بيكر وكينجزلى دافيز وهومانز وميرتون وبارسونز وسوروكين وروبين ويليامز. وتأسيسا على هذا فقد لا يكون ثمة تحامل إذا قلنا أن هذا الكتاب لا يعتبر بمثابة نظرية اجتماعية جديدة بقدر ما هو تحليل فحسب أو نسق فكرى قد يساعد فى المقارنة وتقييم الكتابات التى يطبق عليها: وإن كانت الفائدة من هذا الكتاب من الصعب أن تكتمل دون الالتفات إلى كتابه الأخر الذى سبقه بعام تحت عنوان «الانساق الاجتماعية: مقالات فى

استـــمـــرارها وتغـــيـــرها» Social Systems: Essays in Their Persistence and Change (١٩٦٠) وهما كتابان اعتمدا على القياس السوسيومترى لتحليل مكانات الأفراد ومراكزهم الاجتماعية فى محاولة الوصول إلى معرفة ما تتمتع به الجماعة من تكامل وتماسك اجتماعيين. وربما فى هذا تكمن قيمتهما الحقيقية.



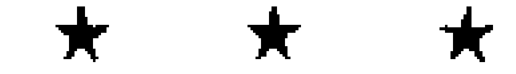
روبرت هارى لوى أنثربولوجى أمريكى من أصل نمساوى كان واحدا من جيل الكبار الذين أثروا تأثيرا كبيرا فى النظرية الأنثربولوجية بعامة والنظرية الأثنولوجية بخاصة إذ حفلت كتاباته التى قدمها على مدى نحو أربعين عاما على كثير من الرؤى والمواقف النظرية الثاقبة بالإضافة إلى نتائج دراساته وبحوثه التى أجراها على العديد من قبائل السهول الأمريكية.

ولد روبرت لوى فى عام ١٨٨٣ فى فيينا ودرس على أيدى فرانز بواس فى جامعة كولومبيا وفى جامعة نيويورك وحصل على الدكتوراه فى ١٩٠٨ ومن هذا التاريخ وحتى عام ١٩٢١ كان على صلة وثيقة بالمتحف القومى الأمريكى للتاريخ الطبيعى فى نيويورك وهى فترة زاهية فى تاريخ المتحف الذى كان كلارك ويسلر Wissler مديرًا له آنذاك. حيث قام لوى بالعديد من رحلاته الميدانية الرئيسية إلى سهول أمريكا الشمالية حيث درس قبائل الكراو Crow وبلاك فوت Blackfoot والشوشون Shoshone وكانت جميعها موضوعا لأهم دراساته النظرية والميدانية التى قدمها حتى نهاية الأربعينيات تقريبا من القرن الماضى وهى فترة ظهرت خلالها بوضوح رؤاه المساندة لنظريات الانتشار الثقافى عموما على الرغم من رفضه الصريح للمنهج الظنى التطورى القديم ومشايعته للمدرسة الأثنولوجية الأمريكية الحديثة متأثرا فى ذلك بفرانزبواس ومتخذا فى الوقت نفسه الاتجاه الذى سار فيه أمثال كروبير Croeber. كما ظهرت فى هذه الفترة أيضا اهتماماته بعلم النفس الأمر الذى انعكس بدوره فى كتاباته وبخاصة فى مؤلفه «تاريخ النظرية الأثنولوجية» The History of Ethnological Theory (١٩٣٧) الذى أخضع فيه للدراسة والتحليل كتابات عدد من أصحاب الاتجاهات التطورية القديمة منهم فوستل دوكولانج وباخوفن ومورجان وماكلينان وتايلور وكلهم من أصحاب النزعات التاريخية الاثنولوجية وإن كان يعتبرهم من أوائل الوظيفيين نظرا لدراستهم السمة الثقافية (الظاهرة) فى علاقتها وارتباطها بالسياق الكلى. علاوة على انتقاده العنيف لموقف ليفى برول من العقلية البدائية مؤكدا قدرة الإنسان البدائى على التفكير المنطقى (عكس ليفى برول) فى حدود فلسفته وموقفه من الحياة.

والواقع أنه خلال هذه الفترة التى كان فيها استاذا للأنثربولوجيا فى جامعة كاليفورنيا (١٩٢١ - ١٩٥٠) ظهرت ربما أكثر كتبه أهمية والتى مهدت الطريق أمامه لأن ينتخب رئيسا للجميعة الأمريكية للفولكلور (١٩٠٦ - ١٩١٧) ورئيسا للجمعية الأمريكية للأنثربولوجيا (١٩٣٥ - ١٩٣٦) بالإضافة إلى رئاسته تحرير مجلة الأنثربولوجيا الأمريكية فى السنوات من ١٩٢٤ إلى ١٩٣٣ . ونتيجة لجهوده فقد منحته جامعة شيكاغو الدكتوراه الفخرية (١٩٤١) عرفانا وتقديرًا لأستاذيته.

وهناك مجموعة من الأفكار الرئيسية التى ارتادها لوى وحددت مسارات فكره كما عكسته أعماله النظرية والميدانية. فقد اهتم اهتماما فائقا بالثقافة والتغايرات الثقافية لفهم المجتمع. ومع أنه قد ظهر له فى عام ١٩١٧ مؤلفه «الثقافة والأثنولوجيا» Culture and Ethnology ومؤلفه «المجتمع البدائى» Primitive Society (١٩٢٠) ثم كتابه «التنظيم الاجتماعى» Social Organization (١٩٤٨) حيث تناول فى هذه الكتب مختلف الوسائل والأساليب المستخدمة فى انتاج الطعام وكذلك أنماط الإقامة وقواعد التوريث وهو ما اعتبره مسئولا عن التغايرات فى أشكال التنظيم الاجتماعى علاوة على إلقائه الضوء على نظام طبقات العمر وبخاصة فى علاقة الرجل بالمرأة وما ارتبط بكل هذا من نظم الملكية ونظرياتها وبخاصة فى المجتمعات البدائية فقد اعتبر الكثيرون أن كتابه «المجتمع البدائى» بالذات هو الذى كان له تأثيره الزائد على الانثربولوجيا لإثارته كل المشكلات المرتبطة بالتركيب الاجتماعى ولأنه تناول بشكل واسع انساق القرابة والملكية والعدالة والحكومة وما إلى ذلك من قضايا توضح ملامح هذا المجتمع والتصورات الانثربولوجية المرتبطة به وبخاصة فكرته الأساسية القائلة بأن الدين والأساطير ترجع أصولهما إلى الأحلام التى ذهب إلى أن لها أساسها ومقوماتها البيولوجية وذلك فى الوقت الذى ذهب فيه إلى أن الاختيار الثقافى كجانب من الاختيار الطبيعى كثيرا ما يلعب دورا ويتدخل فى تحديد المزايا التى تساعد على التقدم والرقى على نحو ما ظهر فى كتابه «هل نحن متحضرون» Are We Civilized (١٩٢٩).

وعلى العموم فقد عاد لوى فى سنوات حياته الأخيرة إلى الاهتمام بالقبائل الأمريكية وإنما إلى جانب هذا اهتمامه أيضا بالثقافة الألمانية فقدم «الشعب الألمانى» The German People (١٩٥٤) و«نحو فهم ألمانيا» Toward Understanding Germany فى العام نفسه وحيث تناول فى هذا الكتاب أثر الحرب على الشخصية بينما ظهر كتابه «مختارات فى الأنثربولوجيا» فى عام ١٩٦٠ ليتوج به كتاباته وأعماله.



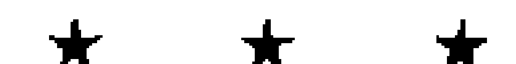
جيورج لوكاتش فيلسوف مجرى ماركسى وكاتب وأديب كان له أبعد الأثر فى الفكر الشيوعى الأوروبى فى النصف الأول من القرن العشرين. ولد فى بودابست فى عام ١٨٨٥ لأسرة يهودية ثرية فقد كان والده أحد رجال المال والبنوك ومع ذلك فقد أصبح يدين بالماركسية منذ وقت مبكر وانضم إلى الحزب الشيوعى المجرى فى عام ١٩١٨ . درس القانون ولكن بعد أن تأكد له ميله للعلوم الاجتماعية ذهب إلي برلين وواظب على حضور محاضرات جورج زيميل Simmel. وبعد أن حصل على الدكتوراه من جامعة بودابست (١٩٠٦) عاد مرة ثانية إلى برلين (١٩٠٩) حيث عاش فترة ذهب بعدها إلي هيدلبرج (١٩١٢ - ١٩١٥) حيث تابع دراساته الفلسفية على أيدي هنريش ريكرت Rickert وبدأ يتعرف على حلقه ستيفان جورج وعقد عدة صداقات مع بعض الماركسيين منهم إميل لاسك Lask والماركسى اليوتوبى إرنست بلوخ Bloch وتمخضت هذه الفترة عن أروع مقالاته الأدبية التى جمعت فى كتاب بعنوان «نظرية فى الرواية» The Thcory of the Novel (١٩١٦) عنى فيه بمناقشة القيم الجمالية فى الأدب من خلال تصور تاريخى ساعده على بلورة رؤيته للرواية التى نظر إليها كنتاج برجوازى فى عالم لا معنى له على العكس من الملحمة القديمة. وعلى كل، فما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها حتى عاد إلى بودابست ولكن يملؤه الألم لانتصار الرأسمالية الغربية وبسبب قيمها ومثالياتها النفعية وبعد ما أقصى النظام الشيوعى المجرى فى عام ١٩١٩ حيث كان يعمل مستشارا فنيا ترك المجر هاربا إلي فيينا حيث بقى لمدة ١٠ سنوات أشرف خلالها على تحرير مجلة العالم الشيوعى كما انضم إلى عضوية الحركة السرية المجرية.

وباعتباره أحد الماركسيين الجدد فقد أسهم إسهاما كبيرا فى صياغة نسق ماركسى لعلم الجمال يعارض التدخل السياسى فى العمل الفنى ومنحازا بذلك إلى جانب النزعة الإنسانية كما طور فى الوقت نفسه النظرية الماركسية فى الاغتراب الذى يصاحب نمو المجتمع الصناعى الحديث. وتعتبر مجموعة مقالاته التى كتبها ما بين عامى ١٩١٩ و ١٩٢٢ وجمعها تحت عنوان «التاريخ والوعى الطبقى» History and Class Consciousness (١٩٢٣) قراءة جديدة لفكر كارل ماركس حاول فيه أن يظهر

نظرية فى الوعى الطبقى كما أضاف هذا العمل دفعة جديدة لعلم اجتماع المعرفة (ترجم الكتاب إلى الانجليزية فى ١٩٧١) وإن كان قد هوجم على أى الأحوال بسبب انحرافه عن النظريات التقليدية الماركسية الليتينية مما جعله يحاول أن ينفض يديه منه بالرغم من أنه يعتبر إضافته الحقيقية للنظرية الماركسية ولكن كتاباته أصبحت بوجه عام أكثر التصاقا وتعبيرا عن وجهة النظر السوفياتية الرسمية.

كان لوكاتش فى برلين فى الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٣ وكان بعيدا عن يد النظام النازى لفترة من الوقت مما أغراه بالانضمام إلى معهد ماركس وانجلز فى موسكو (١٩٣٠ - ١٩٣١) ولكن فى عام ١٩٣٣ غادر برلين مضطرا وعاد إلى موسكو لينضم إلى معهد الفلسفة التابع للأكاديمية السوفياتية للعلوم حيث انشغل باعادة صياغة مفهوم الواقعية النقدية وبدراسة عن هيجل وعن الرواية الأوروبية. ومع أنه تمتع بمكانة مرموقة خلال العامين ٣٥ و ١٩٣٦ فإن هذا لم يحل بينه وبين معاداته للستالينية التى زجت به فى السجن فى ١٩٤١ . ولكن فى نهاية الحرب عاد إلى بودابست وأصبح عضوا فى البرلمان وأستاذا لعلم الجمال فى جامعة بودابست حيث أكمل دراسته للتاريخ الماركسى ولم تمض سنوات حتى صار علما من أعلام الصفوة المثقفة المجرية فاختير وزيرا للثقافة أثناء الثورة.

ولقد كتب لوكاتش أكثر من ٣٠ كتابا علاوة على مئات المقالات والمحاضرات التى ألقاها ونشرها. وبالرغم من أنه قد قبض عليه أكثر من مرة واضطر إلى الرحيل إلى رومانيا لكنه انشغل بعد السماح له بالعودة ثانية إلى بودابست (١٩٥٧) ببعض أعماله الرئيسة فظهر مؤلفه الضخم عن علم الجمال The Peculiarity of Aes the tics (١٩٦٣) فى عشرة أجزاء وكتابه فى الوجود الاجتماعى The Ontology of Social Existence (١٩٧١ - ١٩٧٣) علاوة على كتاباته عن فلسفة هيجل وعن الفلسفة الوجودية واهتماماته المتشعبة بالجوانب والمشكلات النظرية والمنهجية فى علم الجمال.



يعتبر عالم الاجتماع الأمريكى جورج لندبرج من أبرز ممثلى الاتجاه الوضعى الحديث الذى يهدف إلى تحديد الاجراءات المنهجية فى ضوء الاتفاق والاقتناع الواضحيين على تحديد المفهومات من خلال البحث عن الدلائل التجريبية أو الاحصائية التى تمثل الظواهر الاجتماعية وتصورها فى ضوء مجموعة من الاجراءات المحددة.

بتعبير آخر يمكن القول إن عدم وجود اتفاق عام حول المفهومات العامة والأساسية فى العلم واستخدام العلماء هذه المفهومات بمعان متفاوتة وهو ما يصدق حتى بالنسبة إلى العلماء والباحثين الذين ينتمون إلى الاتجاه الواحد كان أمرا شغل تفكير لندربرج وأرقه كثيرا لأنه ينذر بالقضاء على الاتجاه العلمى ومن ثم فإن الوسيلة الوحيدة لتفادى هذه النهاية المؤسفة للعلم هى تحديد المفهومات تحديدا موضوعيا عن طريق تعريفها وتحديدها تحديدا اجرائيا. والطريقة المثلى لتحقيق هذا تتمثل فى القياس الاجتماعى (السوسيومترى) الذى توحد بالاتجاه الاجرائى إلى حد بعيد.

وقد ولد لندبرج عام ١٨٩٥ وعمل فى عدد من الجامعات الأمريكية إلى أن شغل منصب أستاذ الاجتماع فى جامعة واشنطن التى استمر فيها لسنوات طويلة. كما اختير فى عام ١٩٤٢ رئيسا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع وأصبح أستاذا لعلم الاجتماع فى جامعة بتسبرج إلى أن توفى عام ١٩٦٦ وهى رحلة تطور خلالها فكره ومنهجه الذى تجسد فى دعوته إلى مناصرة الاتجاه الكمى والتحديد الاجرائى وصوغ التعميمات الكمية.

هذه الدعوة لقيت ترحيبا من الباحثين فى علم الاجتماع فأمكنهم استخدام أنواع كثيرة من المقاييس فى بحوثهم منها المقاييس الديموجرافية لقياس أشكال السلوك الاجتماعى ومقاييس الذكاء واتجاهات الأفراد وإن ظلت فى مقدمتها المقاييس السوسيومترية التى استخدمت بنجاح فى قياس العلاقات والعمليات الاجتماعية كما تظهر حتى فى الوحدات الاجتماعية الكبيرة كالجماعة المحلية والمدينة والدولة.

ومع أن البعض من العلماء قد توسعوا بشكل لافت فى تحديدهم للاتجاه الاجرائى وقالوا بوجود اتجاه اجرائى مادى يستخدم فى تحديد المفهومات المادية واتجاه اجرائى عقلى يستخدم فى تحديد المفهومات العقلية مثل مفهوم الاتصال الرياضى الذى تستخدم فى تحديده مجموعة من الاجراءات العقلية التى يتحدد بمقتضاها مدى الاتصال بين مجموعة من المقادير (بروجمان على سبيل المثال) فإن ما يبدو بوضوح هو أن لندبرج أعطى للاتجاه العقلى أهمية منهجية تفوق ما للاتجاه الآخر ومن ثم فقد انتهت كافة القواعد المنهجية لاتجاهه إلى حث الباحثين على استخدام الملاحظة الموجهة والتجارب والقياس وما تتطلبه تلك الاستخدامات من أدوات لجمع المادة والمعطيات كالاستبارات والمقاييس الثابتة الصادقة والاستبيانات المقننة مع ما يستلزمه تحليل النتائج من أساليب احصائية ورياضية فبدون جمع المادة وفق المبادئ العلمية وتصنيف هذه المادة فى أشكال السلوك وأنماطه المعينة فإن الحالات الفردية ستكون عديمة الجدوى أو النفع لأى غرض علمى. ويبدو هنا مدى اتفاقه مع ماكس فيبر فى أن العلم لا يستطيع كما لا يجب أن يشغل نفسه بصوغ الأحكام القيمية لأن ليس لها علاقة بموضوعية العلم. واتساقا مع هذا التصور فقد كان لندبرج واضحا فى عدم اعترافه بمصطلحات القيم والدوافع والمشاعر والغايات وما إلى ذلك من مفهومات رغم تأكيده المستمر على أهمية دراسة القيم التى عرفها بدورها بطريقة اجرائية وذهب إلى أنها تلك التى يسلك الأفراد على أساسها فى سلوكهم.

وهناك ثلاثة جوانب رئيسية تحدد منهجيته فى البحوث الاجتماعية والضرورات اللازمة لوضوح وتكامل اطاره التصورى. فمن ناحية أبرز لندبرج الأهمية البالغة لصياغة الفروض ذاهبا إلى أنها تعطى رؤية أو وجهة نظر محددة للبحث وتفيد فى تحديد الاتجاه الذى يتعين على الباحث السير فيه وإبراز الحقائق التى يتعين التركيز عليها أو التى يجب تجاهلها. وبمعنى آخر ذهب لندبرج إلى أن استخدام الفروض مما يلقى الضوء على كيفية جمع المادة وكيفية التحقق مما تكشف عنه أو تشير إليه.

ومن الناحية الثانية أبرز لندبرج حقيقة أن كل العلوم بما فيها العلوم الاجتماعية هى أداة أو وسيلة تكيفية وأن أبرز المفاهيم وربما أهمها مفهوم الطاقة

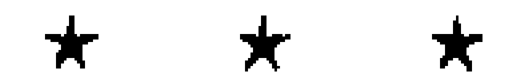
أو الحركة التى تتحدد المواقف الاجتماعية وأدوار الأفراد فى ضوئها ولهذا يلعب الاتصال بأشكاله المنوعة دورا حيويا فى تحديد وفهم المواقف المختلفة سواء أكانت مواقف مجمعة أو مواقف مفرقة. أما الناحية الثالثة فتتمثل فى ميله إلى تبنى نماذج فى العلوم الطبيعية.

فى كتابه المشهور «أسس علم الاجتماع» Foundations of Sociology الذى يعتبر عمله الرئيسى وأفضل كتبه عبارة لها دلالتها ومغزاها تقول (إن مصطلح القانون العلمى يمكن أو يجب أن يعنى فى العلوم الاجتماعية نفس ما يعنيه «بالضبط» فى أى من العلوم الأخرى).

ولاشك أن العبارة تعكس نوعا من المبالغة بقدر ما تعنيه كلمة (بالضبط) وإن كان من المهم القول مع ذلك أنها عبارة صحيحة وصادقة بوجه عام. صحيح أن هناك اختلافات بين الحتميات الفيزيقية والحتميات الاجتماعية ولكن الصحيح أيضا أنها - كما يذهب لندبرج - اختلافات فى الدرجة أكثر منها فى النوع. بل وأكثر من هذا أن الحتيمة فى العلوم الطبيعية قد تغيرت إلى حد أنها أصحبت أقرب إلى المفهوم فى العلوم الاجتماعية. ولهذا فهو ينتهى إلى نتيجة أساسية تتعلق بدور القياس فى نشأة القانون العلمى حيث يقرر أن القانون العلمى يندر اكتشافه بالقياس الأمر الذى يتوجب معه وجود النظرية الكيفية التى تحدد للباحث موضع المشاهدة وهذه الناحية أكدها في مؤلفه الذى أصدره بعنوان «البحث الاجتماعى» Social Research (١٩٤٢) حيث ذهب إلى أن المقياس الكمى ضرورة لا تقل عنها ضرورة وجود النظرية إذا أراد العلم تقديم وصف وتحليل أكثر دقة للظواهر التى يدرسها الباحثون.

لقد كان لندبرج يكن تقديرا كبيرا لعلم الاجتماع والمشتغلين به خاصة والعلوم الاجتماعية بصفة عامة. وبالرغم من وضوح هذه الوضعية فى كل كتاباته وهو ما يظهر بشكل جلى فى كتابه «علم الاجتماع» Sociology (١٩٥٤) فقد عاد فى أواخر حياته يتحدث عن الموضوع نفسه عندما مضى يتساءل فى كتابه «هل بمقدور العلم انقاذنا Can Science Save Us (١٩٦١) وإذا كان يقصد بالعلم علم الاجتماع

بالذات فقد جاءت اجابته عن التساؤل شاملة وحاسمة فى آن واحد عندما اعتبر العلم والمشتغلين به ضرورة من ضرورات المجتمعات الصناعية المتقدمة فى بلدان العالمين الأول والثانى الأمر الذى لا يختلف عليه اثنان.



اشتهرا بهذا الارتباط فى اسميهما فهما الزوجان روبرت ستون ليند وزوجته هيلين ليند أو ميريل Merrell كما كان اسمهما قبل الزواج. والاثنان معا من أبرز علماء الاجتماع الذين عملوا معا كفريق عمل متناغم فقدما الدراسة الشهيرة باسم «ميدلتاون» Middletown (١٩٢٩ و ١٩٣٧) التى أصبحت من عيون التراث الاجتماعى الكلاسيكى باعتبارها أول دراسة منظمة لفهم مجتمع أمريكى محلى فى ضوء استخدام مناهج الأنثربولوجيا الثقافية والملاحظة الميداينة لمظاهر التدرج الاجتماعى حيث قسما المجتمع إلى طبقتين لكل منهما وظائفه الأساسية وهى طبقة رجال الأعمال وطبقة العمال الأمر الذى يكشف عن وجود ما اعتبراه قدرا قليلا من التكامل فى المجتمع.

ولقد ولد روبرت ليند فى ولاية إنديانا عام ١٨٩٢ ونال تعليمه فى جامعتي برينستون وكولومبيا بينما زوجته هيلين كانت تصغره بعامين (١٨٩٤) وولدت فى «لاجرانج La Grange فى ألينوى Illinois وتوفيت بعد وفاة زوجها باثنى عشر عاما (١٩٨٢).

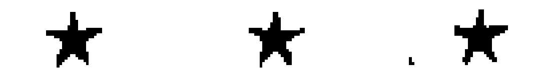
وخلال هذه الرحلة اضطلع روبت ليند فى أثناء الحرب العالمية الأولى بتحرير Publisher Weely (١٩١٤ - ١٩١٨) وبعد ذلك عمل فى بعض المؤسسات ودور النشر فى مدينة نيويورك. وفى الفترة من ١٩٢٣ - ١٩٢٦ أشرف على إحدى الدراسات الاجتماعية لمعهد البحوث الاجتماعية والدينية وقام بعد ذلك بتدريس علم الاجتماع فى جامعة كولومبيا (١٩٣٦) كما نشر مؤلفه «لماذا المعرفة» Knowledge for what? (١٩٣٩) وهو كتاب إبرز فيه طبيعة التناقضات التى يعشها المجتمع الأمريكى والصراعات التى تأخذ بفكر وكيان الأفراد وهم مشدودون إلى التطلعات التى تغرسها فى نفوسهم وعقولهم الدعاية والإعلان فبقوا يتأرجحون بين لهف طموحاتهم ووطأة تطلعاتهم وبين قدراتهم المحدودة وإمكاناتهم الضئيلة. ويخلص إلى أن الثقافة الأمريكية مما يعبتر مصدرا لكثير من المشكلات التى تتطلب عملية مواجهتها تضافر الذكاء والجهود العلمية وهو ما يتعثر العلماء والباحثون فى الوفاء

به وهى نتيجة لا تختلف كثيرا عما انتهى إليه الجزء الأول من دراسته «ميدلتاون» السابق الإشارة إليها فى محاولته لفهم المجتمع الأمريكى ومحاولته التعرف على قدرة النظام الاجتماعى على مواجهة احتياجات الأفراد.

ولقد تزوج روبرت ليند من ميريل فى الثالث من سبتمبر عام ١٩٢١ ونجحت فى التوفيق بين حياتها كزوجة وبين عملها فى سارة لورانس كولبيج Sarah Lawrence فى برونكسفيل Bronxville فى نيويورك (٢٩ - ٦٤). أما فيما يتعلق بكتاباتها التى تفردت هى بانجازها فهناك «عن الحياء والبحث عن الهوية» On Shame and the Search for Identity (١٩٥٨) و «نحــــو الكشف» Toward Discovery (١٩٦٥). وبالرغم من أن هذه الكتابات جميعها سواء تلك التى قدماها مشتركين أو كل على حدة قد لقيت فى حينها تقديرًا فائقا من الباحثين والقراء فإن دراستهما «ميدلتاون» هى التى مازالت إلى اليوم تشير إلى صاحبيها كدليل ناطق على تمكنهما وتفوقهما.

وكنت قد أشرت من قبل ربما بطريقة عابرة إلى أن ميدلتاون قد نشرت فى جزءين (كتابين) منفصلين ومنذ البداية حدد المؤلفان الغرض منها وهو على حد تعبيرهما دراسة الحياة الاجتماعية فى إحدى المدن الأمريكية التى يمكن أن تعتبر ممثلة لكل المدن الأمريكية الأخرى حيث تم تسجيل الظواهر الاجتماعية التى تناولتها الدراسة الحقلية (١٩٢٤ - ١٩٢٥) التى تم نشر نتائجها فى الكتاب الأول بعنوان «ميدلتاون: دراسة فى الثقافة الأمريكية المعاصرة Middletown AStudy in Contemporary American Culture (١٩٢٩). أما الكتاب الثانى فهو بمثابة دراسة تتبعية تمت على المجتمع نفسه بعد سنوات حيث أجريت الدراسة الحقلية عام ١٩٣٥ لدراسة المجتمع (ميدلتاون كاسم مستعار يشير إلى المدينة الحقيقية) «مونشيو Muncio» لملاحظة آثار الكساد الاقتصادى (فى الثلاثينيات) على المدينة حيث تركز الاهتمام بصفة خاصة على البناء الطبقى وعلاقات القوى السياسية والاقتصادية. وفى ضوء هذا جاء نشر هذا الكتاب الثانى بعنوان «ميدلتاون فى التجول: دراسة فى الصـــراعـات الثـقـافـيـة» Middletown in Transition: A Study in Cultural Conflicts (١٩٣٧).

إن ما لاشك فيه هو أن روبرت ليند وزوجته هيلين ليند من أبرز العلماء الذين اهتموا بقضية التدرج الاجتماعى ومن بين العلماء الذين يتمتعون بالنظرة النقدية الفاحصة فى ضوء الوعى التام بكل مظاهر عدم المساواة الاجتماعية وعدم عدالة توزيع القوة والثروة بين الطبقات والجماعات الاجتماعية فى المجتمع الأمريكى ونجح بذلك فى اعطاء صورة صادقة للمجتمع موضوع دراسته معتمدا على منهجية وتصور واضحين حاول فيما الجمع بين التحليل الماركسى والفيبرى لتحليل البناء الطبقى للمجتمع بكل مكوناته وعناصره. ومع أن كل هذا مما يعتبر بحق اضافة لتراث علم الاجتماع السياسى فربما كان الجديد الذى ينبغى أن تتذكره دائما الأجيال الأصغر من الباحثين هو معالجتهما ونظرتهما للطبقة الوسطى التى نظرا إليها على اعتبار أنها قبيلة بالمعنى الأنثربولوجى. وهذه ناحية تكشف بلاشك عن مدى إهمال الباحثين لدراسة طبيعة الانقسامات والتقلبات الاجتماعية من ناحية وإهمالهم أيضا لظاهرة الوعى الطبقى وعدم نضوجه لدى الطبقة الوسطى على وجه الخصوص.



- M -

ماكيفر روبرت هاريسون (١٨٨٢ - ١٩٧٠) MACIVER, ROBERT MORRISON

عالم الاجتماع الأمريكى الاسكتلندى الأصل روبرت هاريسون ماكيفر يعتبر واحدا من كبار العلماء الذين قدموا اسهاما كبيرا فى مجال النظرية فى علم الاجتماع النظرى من خلال كتاباته المتشعبة التى غطت معظم مناحى ومجالات الدراسة السوسيولوجية فقد كتب فى النظرية الاجتماعية مثلما كتب فى المناهج والبناء الاجتماعى والتنظيم المعيارى وفى الجماعات الاجتماعية وفى المجتمع وفى التغير الاجتماعى علاوة على كتاباته المنوعة فى السياسة التى تناول فيها النظرية السياسية والحركات الاجتماعية والضبط الاجتماعى والحرية والثورات إضافة إلى كتاباته المنوعة فى الاقتصاد والفلسفة والعلوم الاجتماعية التطبيقية وكلها كتب يغلب عليها الطابع النظرى الذى لم يفارقه أبدا.

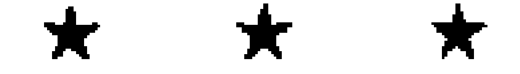
ولد ماكيفر فى ستورنوى Stornoway باسكتلندا فى شهر إبريل عام ١٨٨٢ ونال درجة الماجستير من جامعة أدنبرة (١٩٠٣) ثم درجة الدكتوراه (١٩١٥) بالاضافة إلى عدة درجات علمية أخرى نالها من جامعات كولومبيا وهارفارد وبرينستون وييل وكانت جامعة كولومبيا هى الجامعة الرئيسة التى ارتبط بها منذ أن تقاعد فى عام ١٩٢٧ . واختير رئيسا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع كما نال عدة درجات شرفية من هارفادر (١٩٣٦) إلى جانب ما حصل عليه من جوائز نالها عن بعض كتاباته ومؤلفاته من بينها جائزة وودرو ويلسون التى نالها فى الأربعينيات من القرن الماضى.

وماكيفر باعتباره أحد كبار المفكرين الذى اسهموا فى تشييد علم الاجتماع النظرى وتطويره (من بينهم زنانيكى وسوروكين وبارسونز وميلز وغيرهم على سبيل المثال) تميز تفكيره ببعض المنطلقات الأساسية التى يمكن اعتبارها مفاتيح رئيسية لفهمه وفهم مواقفه الفكرية. فهو من بين العلماء القلائل الذين تميزوا بإحساسهم الفائق بتعقد الحياة الاجتماعية وتشابكها وإن كان أسلوبه الأدبى مكنه من التغلب على هذه الناحية بما أقامه من جسور بينه وبين قرائه. ومنذ البداية ارتبط ماكيفر

بمسلمة أساسية قوامها إن الإنسان كائن مبدع ولكنه فى الوقت نفسه من صنع المجتمع وصنع الثقافة واعتبر هذا بمثابة محدد رئيسى لفهم السلوك البشرى بمجالاته المختلفة فهناك المجال المادى ومجال الكائن العضوى ومجال الكائن المدرك أو الواعى ولكل منها خصائصه وديناميات وإن كانت مترابطة ومتداخلة فى النهاية. وبالرغم من اهتمامه بالمجالات الثلاثة إلا أن معظم اهتمامه كان موجها إلى مجال الكائن الواعى بالذات الذى تبرز فيه مستويات ثقافية وتكنولوجية واجتماعية مما يجعل المجال بمثابة المخزن الثقافى للإنسان. ولما كانت نظرته للمجتمع تتمثل فى أنه شبكة من العلاقات الاجتماعية (وهو هنا لا يختلف عن نظرة علماء الاجتماع الأوائل) فقد تأدى به هذا الفهم إلى أمرين أساسين هما أولا أنه لكى تكون هناك نظرية كاملة فى السلوك البشرى فلابد أن تشتمل بالضرورة على علم الاجتماع وعلم النفس الاجتماعى وثانيا أن هذه الغاية تتطلب فهما دقيقا للمفاهيم التى ينطوى عليها كل من هذين العلمين مثل مفهوم المجتمع والمجتمع المحلى والرابطة والسنن الاجتماعية والطبقة والنظام والاتجاهات والمصالح وما إلى ذلك من المفهومات التى يتردد استخدامها. وحيث ظهرت كثير من المشابهات بين ما أوضحه من مفهومات وبين ما ذهب إليه البعض فيما يتعلق بالمفهومات نفسها فثمة انعكاسات لأفكار تشارلس كولى Cooley مثلا ليس فحسب من حيث التشابه المنهجى ولكن أيضا من حيث محاولة ماكيفر تطوير فكرة كولى عن (الآخر) وعن (صورة الذات) وعن الاعتماد المتبادل بين الفرد والمجتمع علاوة على التشابه بينه وبين تونيز وتمييزه بين المجتمع والمجتمع المحلى وهو نفس الأساس الذى استخدمه ماكيفر فى التمييز بين المجتمع المحلى والرابطة حيث ذهب إلى أن المجتمع المحلى هو جماعة اجتماعية محددة مرتبطة بمكان معين على حين الرابطة منظمة غايتها خدمة عدد معين من المصالح وبدهى أن المفهوم الأول يستغرق بالضرورة المفهوم الثانى علاوة على كل صور التنظيم الاجتماعى على تعددها وتغايرها. مما يتحتم معه ضرورة التركيز على دور مختلف الأحاسيس والمصالح والاتجاهات الذاتية فى الحياة الاجتماعية.

وقد يكون من الصعب الإحاطة بكل مؤلفات ماكيفر بسبب تشعب الميادين التى كتب فيها على ما أسلفنا الإشارة ولهذا سنكتفى بذكر بعض منها فى مقدمتها كتابه

«المجتمع المحلى» Community (١٩١٧) الذى تميز بطابعه النظرى وإن كان كتابه الذى ألفه بالاشتراك مع تشارلز بيج Page تحت عنوان «المجتمع: بناؤه وتغيراته» Society: Its Structure and Changes (١٩٣١) هو ما تضمن نظريته السوسيولوجية فى أكمل صورها. ثم تتابعت بعد ذلك مؤلفاته ومن أهمها The Web of Government (١٩٤٧) وكتابه «الأمة والأمم المتحدة» The Nation and the United Nations (١٩٥٩) و«تحول القوى» Power Transformed (١٩٦٤) و«الوقاية من الجناح والتحكم فيه» The Prevention and Control of Delinquency (١٩٦٦) و«السياسة والمجتمع» Politics and Society (١٩٦٩) وقد نشر هذا الكتاب قبل وفاته بحوالى عام إذ مات ماكيفر فى نيويورك فى الخامس عشر من شهر يونيو عام ١٩٧٠ .



انثربولوجى بريطانى من أصل بولندى يعتبر من أشهر وأهم العلماء فى القرن العشرين وينظر إليه بعامة على أنه مؤسس الأنثربولوجيا الاجتماعية بسبب دراساته الحقلية التى أجراها على شعوب المحيط الباسيفيكى (الهادى). بل إنه يمكن القول أيضا إن الدعائم المتينة للاتجاه الوظيفى لم تتأكد إلا على يديه وفى ضوء دراساته وهو ما أبرزه فى كتابه «النظرية العلمية للثقافة» A Scientific Theory of Culture (١٩٤٠) الذى أرسى فيه قواعد المنهج من ناحية والمفهومات الرئيسية من ناحية ثانية وفى مقدمتها مفهوم الوظيفة والحاجات الاجتماعية والنفسية التى اعتبر أن مهمة أو وظيفة النسق الاجتماعى والنظام الاجتماعى العمل على اشباعها وخاصة الحاجات البيولوجية والحاجات الثقافية.

ولقد ولد برونيسلاو كاسبر مالينوفسكى لأب كان استاذا جامعيا فى عام ١٨٨٤ بمدينة كاراكاو Kraków، فى بولنده وحصل على درجة الدكتوراه فى الطبيعة والرياضيات عام ١٩٠٨ ولكنه تحول إلى الأنثربولوجيا بتأثير قراءته لكتابات السيرجيمس فريزر (Frazer) وخاصة كتابه الغصن الذهبى The Golden Bough وهكذا سافر إلى انجلترا فى عام ١٩١٠ ودرس فى مدرسة لندن للعلوم الاقتصادية وقضى أربع سنوات حيث تلقى فى جامعة لندن تدريبه فى الأنثربولوجيا على يد الأستاذ سليجمان Seligman كما تتلمذ أيضا فى لندن على يد وستر مارك Wester marck وريفرز Rivers وهوبهاوس Hobhouse ثم سافر فى ١٩١٤ إلى استراليا التى لم يستطع مغادرتها بسبب الحرب العالمية الأولى والقبض عليه باعتباره بولندى الجنسية فمكث ٦ سنوات (١٩١٤ - ١٩٢٠) قام خلالها بدراسته الشهيرة عن جزر التروبرياند Trobriand Islands التى تقع شرق غينيا الجديدة كما تزوج فى ١٩١٩ من ابنة استاذ بالجامعة وبعد عودته إلى انجلترا عين فى ١٩٢٤ فى جامعة لندن وقام بتدريس الأنثربولوجيا ثم شغل أول كرسى ينشأ للانثربولوجيا فى هذه الجامعة عام ١٩٢٧ وكان م بين تلاميذه رايموند فيرث وبريستيانى وإيفانز بريتشارد وبعد ذلك قام بعدة زيارات للولايات المتحدة حيث درس فى عدد من جامعاتها ولما داهمته الحرب العالمية الثانية قرر البقاء فى الولايات المتحدة للتدريس

فى جامعة ييل Yale وقام خلال العامين ١٩٤٠ و ١٩٤١ بدراسته الحقلية عند الزابوتيك Zapotec فى المكسيك.

وهناك بديهيتان رئيسيتان ينطلق منهما تفكير مالينوفسكى الذى يرى الكثرون أنه قد تمت على يديه ملامح الاتجاه الوظيفى البنائى. البديهية الأولى أن كل ثقافة - بصرف النظر عن مدى تقدمها أو تخلفها - يجب أن تشبع الرغبات والحاجات البيولوجية للإنسان وبذلك توجد فرصة حقيقية للاستقرار ولتقدم المجتمع. أما البديهية الثانية فهى أن الاتجاه الثقافى ما هو إلا تدعيم آلى وتلقائى للفسيولوجيا البشرية وكان لهاتين البديهيتين أثرهما الكبير فى دفع الدراسات الأنثربولوجية وإن كان البعض يعتبر أن رادكيف براون بالذات هو صاحب أكبر تأثير في النظرية الوظيفية البنائية. أما الثقافة فقد ذهب مالينوفسكى إلى أنها تؤلف وحدة عضوية حيث تعتبر العادات والمعتقدات الاجتماعية صورا ومظاهر جزئية صدرت عن وحدة النسق الكلى للبناء الثقافى المتكامل نظما ووظائف.

والواقع أنه ارتكازا على هذا الفهم تأكدت لدى مالينوفسكى العلاقة بين فكرة الوظيفية وفكرة العلية (السببية) وذلك على اعتبار أن وظيفة النظام فى النسق الاجتماعى هى دوره وعلته التى تفسر سائر الوظائف فى الانساق الاجتماعية الأخرى والتى يصل الانثربولوجى إليها عن طريق تحليله الوظيفى لسائر انساق البناء الاجتماعى بمعنى أن صورة النظام هى وظيفته لأن هناك ارتباطات سببية وعلاقات تربط النظم الاجتماعية بعضها ببعض فعندما نتكلم عن وظيفة النظام فإنما نؤكد دوره فى البناء الثقافى والاجتماعى.

وليس من شك فى أن هذا المضمون الاجتماعى لفكرة العلية ونجاح مالينوفسكى فى استخدام فكرة العلية استخداما اجتماعيا يربطها بفكرة الدور الوظيفى للنظام وللنسق الاجتماعى متأثرة بدرجة أو بأخرى بفكر دور كايم وهو يسعى إلى نظرية متكاملة لتفسير الظواهر. ومع أن مالينوفسكى نفسه يعترف بتقديره العميق لدور كايم وسائر أعضاء المدرسة الفرنسية فى علم الاجتماع وفى مقدمتهم مارسيل موس Mauss إلا أن هذا التقدير لم يمنعه من أن ينتقد بل ويرفض تماما تصوراتهم المجردة عن المجتمع ويركز بدلا من ذلك على الفرد. وهذه ناحية اعتبرها مدخلا أكثر واقعية بالرغم من أن نظريته الوظيفية تصر على المبدأ

الأساسى الذى يذهب إلى أنه فى كل نمط من أنماط الحضارة نجد أن كل عادة وكل شيء مادى أو فكرة أو معتقد يعمل على كفاية وظيفة حيوية معينة ومن ثم فلن يتسنى فهم أى ثقافة إلا عن طريق فهم هذه الوظائف والكيفية التى تعمل وتترابط بها.

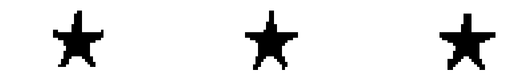
بهذه الحاسة التى تفوق بكثير ما نجده عند غيره من العلماء (من بينهم دوركايم نفسه) مضى مالينوفسكى يتحدث عما يتعين على المجتمع الإنسانى أن يكون عليه على الرغم من أن المجتمع عنده كان فى الأغلب المجتمع البدائى الذى جرت فيه أبحاثه ودراساته. وإذا كانت العادة قد جرت على تصنيفه كواحد من رواد بل عمالقة الوظيفيين وهذا صحيح إلى أبعد الحدود فإن الصحيح أيضا أنه وظيفى من نوع مغاير أو بالأصح من نمط يختلف تماما عما نلتقى به لدى دور كايم مثلا أو حتى رادكليف براون. فعلى حين سعى هؤلاء إلى تفسير النظم وشرح وظيفتها وعملها بتبيان اسهامها فى الحفاظ على حياة المجتمعات وبقائها فقد سعى مالينوفسكى إلى ذلك بتوضيح الكيفية التى تقابل بها احتياجات الإنسان وهذه التفرقة هى مناط الاختلاف بين ما يطلق عليه الوظيفة المكانية أو المجتمعية Societal Functionalism وبين الوظيفية النفسية والأخيرة هى التى قدر لها أن تصبح وجها حقيقيا لامعا لعلم النفس السلوكى.

ويقدر ما يغرى هذا بالحديث عن كل أعمال مالينوفسكى تفصيلا فإن هناك ما يحول بالفعل دون تحقيقه أولا لكثرتها وتعددها وثانيا لأن البعض من هذه الأعمال قد نشر بعد وفاته (١٩٤٢) بسنوات ويصعب الاطمئنان إلى سلامة ترجمتها عن البولندية. وعلى أى الأحوال فربما كان فى الإحاطة بأهم أعماله التى أجراها عن جزر التروبرياند ما قد يعطى فكرة واضحة عن تفكيره بجوانبه المتشعبة خاصة وأنه لم يقدم نتائج دراسته عن هذه الجزر فى كتاب واحد كما يفعل البعض وإنما قدمها فى عدة كتب عالج فى كل كتاب منها موضوعا رئيسيا فى ضوء علاقاته بطابع الحياة وأسلوبها ونمطها ككل.

الكتاب الأول عن سكان جزر التروبرياند هو Argonauts of Western Pacific نشره فى عام ١٩٢٢ وهو دراسة للنشاط الاقتصادى بين سكان ميلانيزيا الأصليين ويعطى صورة للأشكال الاقتصادية والتجارية بين القبائل حيث يظهر مبدأ التكامل بين النظم المختلفة من خلال حديثه عن ملامح التنظيم الاجتماعى

والظواهر والملامح الثقافية كالسحر والدين والأساطير وارتباطها جميعا بهذه النظم الاقتصادية التى يبرز فيها نظام الكولا Kula كنوع من تبادل السلع والمنتجات وهى دراسة استفاد فيها كثيرا من دراسة مارسيل موس عن الهدية.

الكتاب الثانى بعنوان «الحياة الجنسية عند المتوحشين فى ميلانيزيا الجديدة» The Sexual Life of Savages in New-Western Melanesia (١٩٢٩) ويدور حول العلاقة الجنسية بين الرجل والمرأة علاوة على عادات الأهالى ومعتقداتهم المرتبطة بالزواج والطلاق والأحلام والحب والأساطير والعلاقة بين عالم الأرواح وانجاب الأطفال وما إلى ذلك. وإن كان قد سبق هذا الكتاب نشر كتاب آخر بعنوان «الجريمة والعرف فى المجتمع المتوحش» Crime and Custom in Savage Society (١٩٢٦) وهو عبارة عن دراسة ممتعة للقانون البدائى وللجريمة والعقاب فى ذلك المجتمع. وكذلك نشر فى العام نفسه كتابا بعنوان «الأسطورة فى علم النفس البدائى» Myth in Primitive Psychology (١٩٢٦) ثم فى العام الذى يليه (١٩٢٧) كتابا وثيق الصلة تحت عنوان The Father in Primitive Psychology . ثم فى أواخر حياته نشر كتابين أولهما أكمل به سلسلة كتبه عن التروبرياند تحت عنوان Coral Gardens and Their Magic (١٩٣٥) ثم The Foundation of Faith and Morals (١٩٣٦). وإن كان قد نشر له بعد وفاته واحد من أهم كتبه بعنوان «السحر والعلم والدين ومقالات أخرى» Magic, Science and Religion and Other Esseys (١٩٤٨).



يعتبر كارل مانهايم من وجهة نظر الكثيرين الممثل الحقيقى لعلم الاجتماع الألمانى المعاصر فهو أحد الكبار المؤسسين (الحقيقة ومعه ماكس شيلر Scheler أيضا) لنظرية المعرفة ونظرا لمساهماته المتعددة فى علم الاجتماع بعامة ومعالجته قضية موضوعية المعرفة بخاصة بالنظر إلى العوامل والشروط الاجتماعية وما لها من أثر فى نشأة المعارف واكتسابها وانتشارها ومؤكدا بذلك على سوسيولوجية المعرفة وذلك عندما أعتبر أن المهمة الرئيسية لعلم اجتماع المعرفة إنما تتمثل فى دراسة العلاقة التى تربط المعرفة بالشروط الاجتماعية وكذلك تحليل صلة الفكر بالوجود الاجتماعى والمواقف التاريخية مما يعنى أن ثمة ارتباطا وائتلافا بين الفكر والوجود الاجتماعى يعكس الكثير من الارتباطات المتشعبة التى تربط المعرفة بالثقافة والتاريخ.

ولقد ولد مانهايم فى بودابست (١٨٩٣) التى كانت مركزا من مراكز الانتشار الثقافى للفكر الألمانى وعاش فى فترة عصيبة مشحونة بجو الأزمات والصراعات السياسية أثناء الحرب العالمية الأولى التى مثلت فترة من أحرج فترات التاريخ الأوربى التى كان لها أعمق الأثر فى تشكيل فكره وأيضا فى صياغة الموضوعات الأساسية ليس فى علم اجتماع المعرفة فحسب ولكن فى كل ضروب المعرفة وبخاصة بعد أن ترسخت فى عقله ووجدانه كافة الأزمات التى عكست أسوأ مظاهر التحلل الاجتماعى ولكن صاحبتها فى الوقت نفسه درجة عالية من الإدراك والنقد والوعى بالذات.

إزاء هذا الواقع المليئ بالتناقض كان من الطبيعى أن يتولد لديه الإحساس بالحاجة إلى قيم جديدة وثقافة جديدة وفكر جديد وكان طبيعيا أيضا أن يتأثر بمختلف التيارات والفلسفات التى كانت تصطرع وقتذاك على الساحة لتضيف إلى تكوينه العقلى والنفسى ما جعله أقدر على البحث عن ذاته وعلى اكتشاف طريقه. فقد تعلم فى جامعات بودابست وبرلين وباريس وفرايبورج كما تعرض لكثير من التأثيرات التى انطبعت بصماتها فى تفكيره وفى مقدمتها تأثير الماركسية ذاتها

وتأثير جورج لوكاتش Lukacs وبيلازيلاى Béla Zalay وكذلك تأثير جورج زيميل Simmel وبصفة خاصة تأثير ادموند هوسرل Husserl وهنريش ريكرت Rickert وماكس فيبر Weber وماكس شيلر وديلتى Dilthey وبفعل هذه المؤثرات فقد مارست النزعة التاريخية الألمانية والماركسية والفينومينولوجية بالإضافة إلى البراجماتية الانجلوساكسونية تأثيرا متزايدا ظهر بأشكال متعددة فى أعماله.

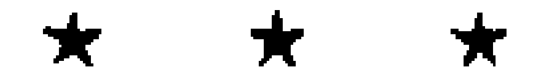
هناك قول مشهور قيل فى وصف كارل مانهايم مؤداه أن تاريخ حياته كله يعكس هجرة فيزيقية وعقلية دائمة. وللحق فإنه قول ليس فيه الكثير من التجاوز فقد تبوأ عدة مناصب أكاديمية فى هيدلبرج وفرانكفورت ومدرسة لندن للعلوم الاقتصادية وفى جامعة لندن كذلك . فإذا ما تم استعراض شريط حياته الحافل أمكن التمييز فيه بين ثلاث مراحل أساسية أولاها ما يعرف بالمرحلة المجرية التى استمرت إلى عام ١٩٢٠ والمرحلة الثانية هى المرحلة الألمانية واستغرقت فترة قصيرة نسبيا من ١٩٢٠ إلى ١٩٣٣ ثم المرحلة الثالثة التى يطلق عليها المرحلة البريطانية من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٧ عام وفاته. وغنى عن القول أن كل مرحلة من هذه المراحل كانت لها اهتماماتها وخصائصها التى انعكست فى كتاباته.

المرحلة الأولى (المجرية) كانت ذات طابع أدبى وفلسفى إلى حد بعيد وقد ظهرت له خلالها مقالة بعنوان «الروح والثقافة» Soul and Culture (١٩١٨) اتضح فيها مدى تأثره بأفكار جورج زيميل الفلسفية وتعتبر بوجه عام خطوة أولى فى محاولته تجاوز النظرة الألمانية المثالية فى التاريخ والمجتمع. كما ظهرت له أيضا فى هذه المرحلة بعض الكتابات التى نشرت فيما بعد ومنها «الحرية والقوة والتخطيط الديمقراطى» Freedom, Power and Democratic Planning.

ولكن الرحلة الثانية شهدت تحولا ملحوظا من الفلسفة إلى علم الاجتماع والشغل بالبحث عن الأصول الاجتماعية الممكنة للثقافة والمعرفة فتناولت كتاباته قضايا التحليل البنائى للمعرفة والنزعة التاريخية ومختلف التفاسير الاجتماعية والأيديولوجية للظاهرة الثقافية كما تناولت أيضا العديد من مشاكل التنافس والصراع الثقافى علاوة على مؤلفه الهام بعنوان «الأيديولوجيا واليوتوبيا» Ideology and Utopia (١٩٢٩) وغيره من الكتابات التى كانت بمثابة تمهيد أو مدخل للفهم والتحليل الاجتماعيين لبناء المعرفة وهى القضية الأساسية التى شغلته وشكلت

عصب عطائه العلمى خاصة وأنه حاول فى «الأيديولوجيا واليوتوبيا» توضيح كيف أن كل البناءات العقلية باستثناء المعرفة الخاصة بالعلوم الطبيعية غير مترابطة فى السياق ولذا فهى تختلف فى خلفياتها التاريخية والاجتماعية. ومن هنا كان تمييزه بين نوعين أو تصورين للأيديولوجيا الأول هو المفهوم أو التصور النوعى حيث نجد أن جماع البناء العقلى أو الذهنى لموضوع ما لم يتحدد بعد بشكل واضح بوضعيته التاريخية والاجتماعية على حين أن التصور الثانى هو الشامل أو الكلى وفيه يرتبط الموضوع بأكمله بالموقف التاريخى والاجتماعى أو يكون مستمدا منه على أقل تقدير. وخلص من كل هذا إلى أن علم اجتماع المعرفة إنما يعبر إذن عن الأيديولوجية الكلية ومعبرا على وجه الخصوص بالكيفية التى تقدم بها الأشياء ذاتها ونفسها للموضوع وفقا للاختلافات فى وضعياتها الاجتماعية.

أما المرحلة الثالثة من حياته فقد تلونت بشكل واضح بالتيارات والمواقف البراجماتية والعملية حيث ظهر له كتابان على الأقل حول التحليل الواعى لبناء المجتمع الحديث باعتباره بؤرة اهتمام علم الاجتماع التطبيقى على وجه الخصوص وقد صدر أول هذه الكتب تحت عنوان Man and Society in an Age of Re-construction (١٩٣٥) والثانى بعنوان Diagnosis of Our Time (١٩٤٣) بالإضافة إلى العديد من المؤلفات التى نشرت بعد وفاته وبعدها تمت ترجمتها إلى الانجليزية.

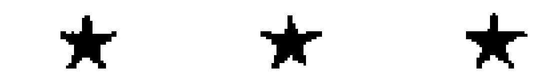


هربرت ماركوزة فيلسوف ألمانى نظر إليه الكثيرون على أنه ممثل الأيديولوجيا الألمانية والمنظر الأول لجيل الثائرين. ولد فى برلين عام ١٨٩٨ لأسرة يهودية غنية ونال تعليمه فى جامعات برلين وفرايبورج Fraiberg حيث تأثر فى مرحلة تكوينه الأولى بفكر هيجل الذى امتزج فى الوقت نفسه بفكر كارل ماركس.

فى عام ١٩٣٤ بعد تأسيس الحزب الاشتراكى الوطنى هاجر من ألمانيا إلى الولايات المتحدة الأمريكية التى منحته الجنسية الأمريكية فأصبح مواطنا أمريكيا فى عام ١٩٤٠ . وفى هذه الأثناء التقى لأول مرة بماكس هوركيمر Horkeimer وأدورنو Adorno والتحق معهما بمعهد فرانكفورت للبحث الاجتماعى الذى أعادوا تأسيسه فى كاليفورنيا. ثم بعد ذلك التحق بهارفارد وبرانديز وكولومبيا ولكن سرعان ما انقلبوا عليه بحجة إفساد عقول الشباب تماما كما فعلت أثينا مع سقراط Socrate من قبل.

وقد تساعد النظرة الفاحصة لما يعتبر أهم أعماله على فهم تفكيره كواحد من أعلام النظرية النقدية لمدرسة فرانكفورت. كتابه الأول كان بعنوان «العقل والثورة» Reason and Revolution (١٩٤١) كان انعكاسا فى الواقع لتأثره بفكر وفلسفة هيجل والكتاب نفسه يحمل عنوانا فرعيا يشى بذلك وهذا العنوان الفرعى هو «هيجيل ونشأة النظرية الاجتماعية» Hegel and the Rise of Social Theory ولذا كان على درجة عالية من التجريد وهو يناقش بعض المقولات الهامة والأساسية عند هيجيل وفى مقدمتها مقولة التناقض الذى اعتبره هيجل دليلا على حركة الفكر وقدرته الابداعية مما يعنى تأكيده الدائم على (الوجود) دون أن يحمل معنى العدم على ما يظهر فى حركة الجدل الهيجلى الذى ينشغل بوجود ميتافيزيقى بحت (أو تجريد خالص) على العكس من الجدلية المادية. ومنه مقولة الحرية ومقولة الضرورة ومقولة الصراع ومقولة الحقيقة ذاتها وفى جوهرها مقولة «العقل» الذى مجده هيجل على حين أكد كارل ماركس مقولة «الثورة» الأمر الذى أكد عليه ماركوزة بدوره.

فى كـتـابه الثـانى المعتون «الأيروس والحـضـارة» Eros and Civilization (١٩٥٥) تناول الكثير من المفهومات التى أثارها فرويد ومن بعده كتاب «الماركسية السوفياتية» Soviet Marxism (١٩٥٨) ثم بعد ذلك كتابه الهام الرابع بعنوان «الإنسان الوحادى البعد» One-Dimensional Man (١٩٦٤) الذى انتهى فيه إلى تقرير أن المجتمع الحديث المعروف بالنزعة الليبرالية إنما هو فى الحقيقة مجتمع محبط وعدوانى ومليئ بشتى أساليب الكبت والضغوط التى تمارس على الأفراد مما يتوجب معه وجود صفوة من المثقفين الذين يسعون ويعملون على إزالة هذه القوى الغاشمة والتى لا سبيل أمامها لتحقيق هذا إلا عن طريق الثورة Revolution. ففى اعتقاده أن التقدم العلمى والتكنولوجى الذى يطبع كل جوانب الحياة والوجود الإنسانى وإن كان يخلق معه من القوى والعوامل الكامنة فى النظام ويبدو أنها تقاومه إلا أن المشكلة هى فى كيفية التحول من الإمكان إلى الفعل وفى اعتقاده أن الفلسفة عليها مهمة أن تجعل الناس مدركين لحقيقة البيئة والواقع الاجتماعى الذى يسعون إلى تغييره. وإن كانت بعض كتاباته الأخرى قد حاول فيها أن يحدد القوى والشروط التى يلزم توافرها كيما توجد الصفوة الثورية التى يقع عليها عبء التغيير المنشود.



يعتبر عالم الاجتماع الفرنسى مارسيل موس واحدا من أساطين علم الاجتماع وبخاصة علم الاجتماع الفرنسى الكلاسيكى الذى ورث تقاليده عن اميل دور كايم والتى ظل مرتبطا بها وأمينا عليها حتى وفاته عام ١٩٥٠ بعدما خلف العديد من الدراسات والبحوث التى سجلتها المجلة السنوية لعلم الاجتماع L'Année Sociologique بعدما استوعب المنهج الدوركايمى فأضاف إلى علم الاجتماع الفرنسى الكثير وبخاصة فى ميادين اللغة والدين والثقافة والسحر والفولكلور فكان بذلك مؤرخا للأديان وعالما فى اللغات (السنسكريتية بالذات) إضافة إلى علم الاجتماع الدينى الذى اهتم فيه ببحث الظاهرة الدينية والنظم الدينية فى ضوء تاريخها ومن خلال تتبع أصولها وماضيها والمراحل التى تطورت فيها إلى العصر الحديث.

ولقد ولد مارسيل موس فى ابينال Épinal بفرنسا عام ١٨٧٢ فى أسرة مشغولة بالفكر وبالثقافة ولا عجب فى ذلك فقد كان أميل دور كايم أحد أعضائها (خاله) فنشأ فى كنفه وتحت رعايته فتشرب فكره ومنهجه اللذين سار على هديهما طوال حياته العلمية. ومع ذلك فقد كانت له شخصيته التى تختلف فى بعض جوانبها عن شخصية أستاذه. فإذا كان دور كايم فيلسوفا قبل أن يكون عالما فإن مارسيل موس لم يكن فيلسوفا وإنما كان عالما ولذا فقد اصطبغ منهجه وفكره بصبغة خاصة نزولا على منهجه الموضوعى الدقيق الذى يركز فيه على دراسة الظواهر المشخصة كيما يبتعد عن تجريدات الفلاسفة وتفسيراتهم بعدما كانت غارقة فى الدراسات الدوركايمية والأبحاث الوصفية والفلسفية التى خلفتها كتابات أوجيست كونت Comte. فعلم الاجتماع عنده له مفهوم خاص هو دراسة الظواهر الاجتماعية الكلية Phénomène Sociaux Totaux أى فى كليتها ومجموعها المتكامل ويعالجها كما تتمثل فى أشكالها ونماذجها وحركاتها وانتقالها. وهذه ناحية اقترب بها ولا شك من الامبريقية مفجرا بذلك ثورة علمية فى ميدان علم الاجتماع الفرنسى.

ولا يتسع المجال هنا للإحاطة بكل الميادين التى كتب فيها مارسيل موس ولكن من المهم أن نشير هنا إلى أنه فى محاولته دراسة النظم الاجتماعية ومهمتها كان

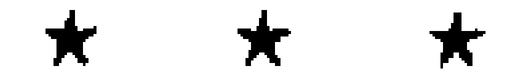
يهتم اهتماما أساسيا بدراسة البناء الاجتماعى الكلى الذى يوجد فيه النظام موضوع الدراسة الأمر الذى كان يرى أنه يستدعى أمرين الأول دراسة البناء الاجتماعى من الخارج معتبرا هذا ضرورة منهجية تحتمها الدراسة الحقلية والثانى دراسته من الداخل وهذه ضرورة يلتحم بها الباحث بالحياة الاجتماعية ويجعل منهجه أقرب إلى مناهج الأنثربولوجيين فى دراستهم للمجتمع.

وفى مقدمة اهتماماته دراسته ومعالجته للظاهرة الدينية. وإذا كان دور كايم قد سبق وصدر له كتابه «الأشكال الأولية للحياة الدينية» Les Formes El-ementaires de la Vie Religieuse (١٩١٢) فقد صدر لمارسيل موس كتابا فى المجال نفسه أصدره بالاشتراك مع زميله أو بير Hubert تحت عنوان «مقتطفات من تاريخ الأديان» Melanges d'Histore des Religions (١٩٢٩) عالج فيه ظاهرة الدين واهتم بتفسيرها. والتفسير عنده كان يعنى إقامة نسق عقلى يربط الظواهر ويصل ما بين الوقائع والأحداث متبعا الظاهرة منذ بداياتها الأولى البسيطة منتهيا إلى أكثرها تطورا وأشدها تعقيدا وتركيبا. والحقيقة أن اهتمامه بالظاهرة الدينية كان قد بدأ من قبل هذا الكتاب بوقت طويل. فقد صدر له وهو لم يزل فى السابعة والعشرين من عمره كتاب تحت عنوان «دراسات فى طبيعة القربان ووظيفته» Essai Sur le Nature et le Fonction des Sacrifice (١٨٩٩). وعموما فيرتبط بهذا الميدان دراساته للسحر الذى نظر إليه على أنه ظاهرة اجتماعية فناقش تصوراته ومنطقه وأحكامه وقوانينه.

ولكن دراسته للهدية تعتبر من أهم انجازته العلمية التى مارست تأثيرها على الكثير من الطلاب والباحثين حتى إن هذه الدراسة عن الهدية وعن نظم التهادى والتبادل والتى ظهرت فى كتاب بعنوان «مقال عن الهدية» Essai Sur le Don: Forme Archiac de l'exchanges (١٩٢٥) قد استعان بها مالينوفسكى كأساس لدراسته لنظام الكولا الذى يعنى نوعا من الاتفاق أو التعاقد بين سكان التروبرياند الذين درسهم وكذلك نظام البوتلاش الذى يعتبر أقدم النظم الاقتصادية فى المقايضة والتبادل والتجارة.

وعلى العموم فقد صدر له فى آخر أيامه كتابه الذى يحوى نظريته ومنهجه الاجتماعيين وكان بالاشتراك أيضا مع أوبير تحت عنوان «علم الاجتماع

والانثـربولوجـيـا» Sociologie et Anthropolgie (١٩٥٠) واحـتـوى على منهـجـه المتكامل الذى استند فيه إلى معنى الظاهرة الذى يصعب التوصل إليه إلا فى ضوء الكشف عن العلاقات الهائلة المتشابكة التى تدخل فى البناء الاجتماعى الذى تتميز انساقه ونظمه بتساندها البنائى والوظيفى فى آن واحد معا.

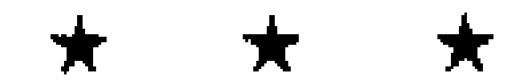


واحدة من أبرز الرائدات الأوائل اللاتى قمن بالعديد من الدراسات الحقلية الانثربولوجية الأمر الذى ساعدها على انجازه تكوينها العلمى من ناحية وشخصيتها القوية والجذابة من ناحية ثانية والمناخ ذاته الذى تهيأ لها أثناء دراستها فى جامعة كولومبيا.

ولدت مارجريت ميد فى فيلادلفيا عام ١٩٠١ وتتلمذت من عام ١٩٢٣ على يد فرانز بواس وحصلت على درجة الدكتوراه فى ١٩٢٩ . كما تتلمذت أيضا على يد عالمة الأنثربولوجيا الأمريكية روث بنديكت التى كان شغفها بدراسة العلاقة بين الثقافة والشخصية وراء تغذية الاتجاه الذى سارت فيه مارجريت ميد فكانت أولى دراساتها الميدانية فى ساموا عن «البلوغ فى ساموا» Coming of Age in Samoa وهى الدراسة التى ظهرت نتائجها فى ١٩٢٩ ثم كانت دراستها الثانية فى غينيا الجديدة عن التربية والتنشئة والنمو Growing up in New Guinea (١٩٣١) حيث أبرزت الأنماط الثقافية التى تتبعها هذه الثقافات فى تنشئة صغارها وهى أنماط ذهبت ميد إلى أنها تختلف باختلاف الثقافات ذاتها وليس بسبب عوامل الجنس أو العوامل البيولوجية. وكانت إحدى النتائج الهامة التى كشفت عنها هذه الدراسات أن كثيرا من المشكلات التى تتعرض لها حياة الفتاة المراهقة (والمراهقة ظاهرة عامة فى كل المجتمعات الإنسانية) والتى توجد فى المجتمع الأمريكى لا وجود لها فى ساموا مما يعنى أنها تظهر فقط مع وجود أنواع أو أنماط معينة من البيئة والتنشئة الاجتماعية.

وبتعبير آخر أكدت مارجريت ميد على الدور الحيوى للبيئة وللثقافة فى هذه العمليات الاجتماعية وهو ما عززته على أى الأحوال بدراستها التى أجرتها فى ثلاثة مجتمعات مختلفة ونشرت تحت عنوان «الجنس والمزاج فى ثلاثة مجتمعات بدائية» Sex and Temperament in Three Primitive Societes (١٩٣٥) وأبرزت فيها الاختلافات الثقافية التى ترتبط بالجنس على أنها لا صلة لها بمقولات الذكورة والأنوثة وإنما الاختلافات الثقافية هى التى يرجع إليها الاختلاف فى التنشئة بل وما قد يتصف به الأفراد من الجنسين من صفات وخصائص وهو ما أكدته منهجيتها القائمة على الملاحظة بالدرجة الأولى وليس على الاحصاءات والتقارير والروايات.

بيد أن هذا الاهتمام بالعمل الميدانى لا يعنى أن مارجريت ميد لم يكن لها اسهامها النظرى فمن بين أعمالها التى تمتعت - وحتى اليوم - بمزيد من التقدير وبخاصة أثناء عملها بمتحف التاريخ الطبيعى «الذكر والأنثى» Male and Female (١٩٤٩) و«الأنثربولوجيا: علم إنسانى» Anthropology: A Human Science (١٩٦٤) و«خطابات من الميدان» Letters From The Field (١٩٧٨) وقد يكفى تقديرا لها أنها اختيرت وهى فى الثانية والسبعين من عمرها رئيسة لرابطة العلوم الأمريكية. كما حصلت فى العام ذاته الذى توفيت فيه (١٩٧٨) على ميدالية الحرية التى تعتبر أعلى وأرفع تقدير أمريكى يقدم للأفراد.



عالم الاجتماع الأمريكى روبرت ميرتون أحد أقطاب الوظيفية فى العصر الحديث اهتم اهتماما كبيرا بإبراز دور التجربة العقلية فى تحقيق التوازن والتكيف داخل النسق الاجتماعى وتشعبت اهتماماته الأصيلة فشملت سوسيولوجيا العلم والمهن والحرف والنظرية الاجتماعية والاتصال الجماهيرى كما سيطرت علي ذهنه منذ وقت مبكر المشكلة الاجتماعية فسعى جاهدا لتشييد نظرية خاصة فى السلوك الانحرافى أقامها أساسا على تحليله النظرى لصور عدم التوافق والتكيف الاجتماعيين.

ولد ميرون فى فيلادلفيا عام ١٩١٠ وبعد أن حصل على درجة الدكتوراه فى عام ١٩٣٦ من جامعة هارفارد التحق بها حيث قضى حوالى ثلاثة أعوام عمل بعدها فى جامعة تولان Tulane فى نيو أورليانز (٣٩ - ١٩٤١) ثم التحق بجامعة كولومبيا حيث أصبح أستاذا للاجتماع فى ١٩٤٧ . هذا بالاضافة إلى عمله كمدير مساعد لمكتب البحوث التطبيقية (١٩٤٢ - ١٩٧١) حيث ارتبط بعلاقة وثيقة مع بول لازر سفيلد فأثر كل منهما فى الأخر حيث أخذ منه وضوح منطقه ومنهجيته وأساليبه الكمية والكيفية وأثار ميرتون فى زميله اهتمامه بالدراسات التاريخية وبقضايا علم الاجتماع.

فى كتابه الشهير «النظرية الاجتماعية والبناء الاجتماعى» Social Theory and Social Structrure (١٩٤٩) حدد ميرتون بوضوح طبيعة العلاقات المتبادلة بين النظرية الاجتماعية من ناحية والبحث الامبريقى من ناحية ثانية مؤكدا بذلك على ملامح مدخله البنائى الوظيفى فى دراسته المجتمع وتناوله للمشكلات الاجتماعية. وتتمحور الرؤية الأساسية للبنائية الوظيفية للمجتمع والعلاقات القائمة والمتبادلة بين النظم القائمة فيه أكثر من التأكيد على علاقة الأفراد أو حتى الجماعات. وساعده هذا التصور فى أن يقدم بعض المفهومات الأساسية التى أصبحت ضرورة للتحليل الوظيفى مثل مفهوم الوظيفة الكامنة ومفهوم الوظيفة الظاهرة. على الرغم من اعتقاده أن مفهوم الوظيفة نفسه مفهوم غامض وغير متفق عليه إلى حد بعيد. ولهذا فقد حاول توضيح المفهوم من وجهة نظره فأورد المعانى التى يستخدم فيها وذلك فى ضوء المسلمات الأساسية التى يقوم عليها المنظور الوظيفى. وبتعبير آخر يمكن القول بأن ميرتون قد قدم فى هذا الكتاب نموذجا أو إطارا تصوريا منظما

للوظيـفيـة من خـلال عـرضـه الـدقيق لجوهـر التـحليل الوظيـفى واجـراءاتـه وأسـاليب البـحث فـيـه بـالإضـافـة إلى التـفـرقـة التى أقـامـهـا بين مـفـهـومـى الوظيـفـة الكـامـنة والوظيفة الظاهرة.

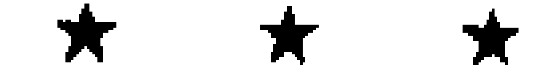
ولكن ميـرتون يرجع إليه الفضل فى ادخاله مـفـهوم البـدائل الوظيفيـة Functional Alternatives الذى يلعب دورا محوريا فى التحليل وخـاصـة عندما نتخلى عن التسليم بفكرة الوظيفة التى ينطوى عليها بناء اجتماعى معين بمعنى أنه يركز على مدى التنـوع الممكن فى الوسـائل كيما نستطيع أن نحقق مطلبا وظيفيا. وعـمـومـا فإن هذه المفاهيم ترتبط بمفـهوم آخر هو مفهوم المعوقات الوظيـفيـة Disfunction الذى يمثل بدوره أداة تحليلية هامة لفهم ودراسـة الديناميات والتغير.

ولقـد أدت به هذه الاهـتـمامـات إلى التـركيـز على أمرين بذاتهـمـا هـمـا أولا اهـتـمـامـه بسوسيولوجيـا العلم حيث درس العلاقـة بين التـفكيـر البيوريتانى Puritan وظهور العلم ومـا صـاحبـه من تطور تكنولوجى كان له أبعد الاثر فى إحداث التـغيـر الاجتماعى وأيضا ما صاحبه ونجم عنه من مشكلات. ومع أنه أصدر فى وقت مبكر جدا كتـابه «العلم والتكنولوجيا والمجتمع فى انجلترا القرن السـابع عشر» Science, Techonology and Society in Seventeenth Century England (١٩٣٨) إلا أنه عاد للاهتمـام بالقضية ذاتها بعد ذلك بسنوات فظهر كتابه «علم اجتماع العلم» The Sociology of Science (١٩٧٣) وكان من أهم ما أوضـحته هذه الكتابات موقفه من الطبيـعـة الأمبـريقيـة لعلم الاجـتمـاع حيث عـاب عليه اهـتـمـامـه بالمسـائل والمشـاكل الصـغيـرة التـافـهـة مـهـاجـمـا بذلك الاتجـاه الأمبـريقى الذى يسم العلم على حين ظلت المشكلات الكبرى الفقر والطبقة والحروب بعيدة عن التناول.

أمـا الأمـر الثـانى فـيـتـمـثل فى دراسـتـه للانحـراف التى انطلق منهـا بدءًا من تسـاؤل أساسـى عن أسبـاب التبـاين فى مـعدلات وقوع الانمـاط والأشكال المختلفـة من الانحـراف وارتبـاط هذه الأنماط والمعـدلات بالبنـاءات الاجتـمـاعيـة المختلفـة وهذه قضيـة من الواضح أنهـا ذات طابع دور كايمى خـاصـة وأن مفـهـوم الأنومى Anomie الذى يرجع إلى دوركـايم يلعب دورا مـحـوريا فى نظرية مـيـرتون عندمـا يقـرر أن السلوك المنحـرف كالجـريمة والجناح والانتحار والطلاق والأمـراض النفسية ومـا إلى ذلك إنما تنشـأ كلهـا عن تلك الظروف ذاتهـا التى تلابس البناء الاجـتمـاعى أى أنهـا

نتـاج للأنومى أى الصـدام والصـراع بين الوسـائل والطرائق التى تقـرها القـواعـد والنظم الاجتماعية وبين الأهداف المفضلة ثقافيا وبخاصة عندما تتسع الهوة بينهما أى بين ما هو ممكن فى الواقع وما تضمه الثقافة من أهداف يحاول البعض الوصول إليها على الرغم من أنه لا توجد واقعيا الفرصة المتكافئة أمام الأفراد أو الجماعات نتيجة للتفاوت فى المراكز والانتماءات الطبقية.

وعمـوما فإن ما لاشك فيه هو أن ميرتون كان مبـدعا وخلاقا وهو يتناول جانبى النظر والتطبيق على ما يظهر من كتاباته العديدة التى من بين أهمها «الاغراء الجماهيري» Mass Persuation (١٩٤٦) و «فى علم الاجتماع النظرى» On Theoretical Sociology (١٩٦٧) و«النظرية الاجتماعية والتحليل الوظيفى» Social Theory and Functional Analysis (١٩٦٩) و«البحث الاجتماعى الكيفى والكمى» Qualitative and Quantative Social Research (١٩٧٩) وهو كتاب اشتمل على عدة مقالات كتبها كتحية وتقدير لزميله بول لازرسفيلد فقد كانا فريق عمل عبقرى أثر فى كثير من الدارسين على مدى علاقة استمرت من ١٩٤١ - ١٩٧٦ .



لعل واحد من الأنثربولوجيين قد نجح في نشر وتدعيم مبادئ المدرسة الثقافية التاريخية مثلما نجحت منهجية عالم الأنثربولوجيا السويسرى الفريد ميترو بإسهاماته الرائدة فى فهم التاريخ الأثنولوجى للعديد من ثقافات العالم الجديد والعالم القديم وبخاصة ثقافات جنوب أمريكا والثقافات الأفريقية ومدى امتزاجها وتأثيرها فى ثقافة هايتى Haiti .

وقد ولد ميترو فى لوزان بسويسرا عام ١٩٠٢ وعمل مع عدد من أبرز شباب الأنثربولوجيين الأوروبيين فاكتسب من الخبرات ما هيأ لأن تتضح مفاهيمه الخاصة وتقاليده البحثية التى تشكل العمود الفقرى لمدخله فى الأنثربولوجيا التاريخية والذى بدأ فى ممارسته وتطبيقه وبخاصة عندما أصبح مديرا للمعهد الأثنولوجى التابع لجامعة تاكيومان Tucumàn بالأرجنتين إذ أمكنه خلال الفترة من عام ١٩٢٨ إلي ١٩٣٤ من انجاز عملين كلاسيكيين يعتبران من أهم مؤلفاته. الأول (١٩٢٨) عن التاريخ الأثنولوجى لتأثير هنود توبينامبا Tupinamba البرازيليين الذين لعبوا دورا كبيرا فى مساعدة البرتغاليين على التكيف مع العالم الجديد.

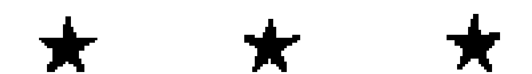
بعد ذلك رافق إحدى البعثات العلمية إلى جزيرة إيستر Easter Island فيما بين ١٩٣٤ و ١٩٣٥ ومن ثم انضم إلى متحف بيشوب Bishop Museum فى هونولولو Honolulu حيث انشغل فى دراسة حقلية ضخمة فى كل من الأرجنتين وبوليفيا وقد ظهرت نتائج هذه الدراسة فى كتابين رئيسيين الأول بعنوان «اثنولوجيا جزيرة ايستر» Ethnology of Easter Island (١٩٤٠) والثانى كان بعنوان «جزيرة الباكيه» L'Ile de Pâques (١٩٣٥).

ولقد أثار نشره للنتائج التى توصلت إليها دراسته لجزيرة ايستر ضجة هائلة بما أثارته من جدل طويل إذ أعلن عن أن سكانها من البولينيزين (بولينيزيا) سواء من حيث التكوين الفيزيقى أو الثقافى هذا بالاضافة إلى اكتشافه أن أنماط وأسلوب النحت والتشكيل التى تشتهر بها الجزيرة هى اختراع وخلق وطنى أكثر منه آسيويا أو مما ترجع أصوله إلى الهنود الأمريكيين.

ولكن فى سنوات حياته اللاحقة انطبعت حياته العلمية والعملية حتى وفاته (١٩٦٣) بطابع مميز أضاف كثيرا إلى عطائه العلمى. ففى عام ١٩٤١ التحق بمكتب الأنثولوجيا الأمريكية التابع لمعهد سميث فى واشنطن وانشغل من هذا التاريخ وحتى عام ١٩٤٥ فى عمل نموذجى عن إعادة بناء وهيكلة كتاب المكتب السنوى عن الهنود الأمريكيين وما جاء عام ١٩٥٩ حتى كان قد أنجز سبعة مجلدات ضخمة إلى جانب أعبائه وهو يحاضر متنقلا ما بين مختلف الجامعات فى الولايات المتحدة والمكسيك وغيرها من الأماكن.

أما خلال الفترة من عام ٤٦ إلى ١٩٦٢ أى قبيل وفاته بعام واحد فقد شغل عدة مناصب فى الأمم المتحدة وبخاصة فى (اليونيسكو) حيث قام ببعض الدراسات فى الأمازون (١٩٤٧ - ١٩٤٨) وفى هاييتى (١٩٤٩ - ١٩٥٠) كما تولى خلال الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٨ مهمة الإشراف على سلسلة من المؤلفات والأبحاث والسير والنشرات التى تتناول قضايا الجنس والسلالات ومشكلات الأقليات والعلاقات الدولية والعنصرية بوجه عام. كما صدرت له بعض المؤلفات الهامة التى لقيت إقبالا هائلا ربما لغرابة موضوعاتها ولسهولة أسلوبها وعرضها وعرض مضامينها بالرغم من طابعها العلمى.

ففى عام ١٩٥٩ صدر له كتاب تحت عنوان «الفودو فى هاييتى» Voodoo in Haiti حيث تناول هذه الممارسة (السحرية) تفصيلا ولكن من خلال نظرته إليها على أنها نسق بنائى ثقافى ودينى معقد. ومن ثم فقد سعى إلى البحث فى أصولها الأفريقية بالاضافة إلى تناوله لعلاقتها بالكاثوليكية فى الجزيرة.



ميلز، س. رايت (١٩١٦ - ١٩٦٢) MILLS, C. Wright

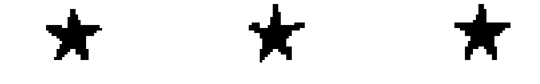
شارلس رايت ميلز عالم الاجتماع الأمريكى ارتبطت جهوده بدراسة الماركسية والفيبرية وبمختلف القضايا وثيقة الصلة بالطبقة المثقفة وقضايا المثقفين وبدورهم الواجب القيام به فى الحياة الثقافية الحديثة.

ولقد ولد ميلز فى مدينة واكو Waco فى تكساس بالولايات المتحدة الأمريكية فى شهر أغسطس عام ١٩١٦ وكأستاذ لعلم الاجتماع فى جامعة كولومبيا فقد برز اهتمامه مع لفيف من العلماء اللامعين من جيله منهم هانز جيرث Hans Gerth بفحص الماركسية والتقليد الفيبرى ومواقفهم من المشكلة الاقتصادية وبخاصة الحتمية الاقتصادية وأيضا مشكلات الطبقة التى أضاف إليها أحد المفاهيم أو المقولات الهامة فى فهم الطبقة وتحليل علاقاتها الداخلية والخارجية على السواء وهى مقولة المركز أو المكانة Status وهى اهتمامات تدخل ضمن النطاق الأوسع الذى يعبر عنه موضوع التغير الاجتماعى وما يثيره من مشكلات وبخاصة تلك التى تتعلق بتكامل المجتمع وعلى أى نحو يكون أو يتم هذا التكامل. والواقع أن الأساس لكل هذه القضايا وتحليله النظرى لها قد ضمنه كتابه المعنون «الشخصية والبناء الاجتماعى» الذى ألفه بالاشتراك مع جيرث Character and Social Structure (١٩٥٣) الذى يعتبره الكثيرون من بين أسس علم الاجتماع النظرى المعاصر الهامة. حيث أبرز مفهوم الدور كمفهوم محورى يوحد بين النظرية الاجتماعية والنظرية السيكولوجية باعتبار أن البناء يتكون من العديد من الأدوار التى ترتبط بالأنساق وبالنظم المختلفة ومن ثم يسهل تحليل البناء فى ضوء تحليلنا لهذه الأدوار مما يترتب عليه أنه كلما كانت الأدوار متسقة كان تكامل البناء أعمق وأوضح.

وبالرغم من أن استخدام المنهج التاريخى عادة ما تكتنفه بعض المخاطر التى تتمثل فى التركيز على ما هو ملموس ويتصف بالتفرد فقد توسع ميلز فى استخدامه لهذا المنهج لدرجة أن معظم مؤلفاته يمكن وصفها بأنها عبارة عن تفسيرات تاريخية للعلوم الاجتماعية فى النسق العالمى المعاصر. ولكن الذى لاشك فيه هو أن ميلز كان على وعى بهذه المخاطر وربما كان هذا دافعه الأساسى وراء مؤلفه الممتاز الذى نشره بعنوان «الخيال الاجتماعى» The Sociological Imagination (١٩٥٩) حيث

ضمن هذا الكتاب تلخيصا عميقا للنزعة الإنسانية التى اعتقد أنها كامنة وراء علم الاجتماع وبذلك فهو يمثل رؤية اجتماعية إلى العالم حيث يدعو إلى علم اجتماعى ذى نزعة إنسانية مما يعنى انتقادا للنزعة الامبريقية والنظريات الكبرى معا.

ولقد حدد هذا الموقف النظرى والمنهجى مساره الفكرى خلال الخمسينيات من القرن الماضى وحتى وفاته فى نيويورك عام ١٩٦٢ حيث سعى خلال هذه السنوات إلى توضيح قناعة أساسية ترسخت فى أعماقه مؤداها أنه لا يتعين على عالم الاجتماع أن يقنع بدوره كملاحظ أو مراقب تشغله فحسب ما يطلق عليه «الامبريقية المجردة» وإنما عليه الاهتمام بالدرجة الأولى بمختلف النشاطات التى تؤكد مسئوليته الاجتماعية مؤكدا بذلك على حقيقة أن المثقفين الأمريكيين قد فشلوا بوجه عام فى ريادتهم الأخلاقية لدرجة أن صاروا هامشيين بعدما رضوا بتسليم كل شيء لأيدى الآخرين على نحو ما يكشف عنه كتابه «الياقات البيضاء» White Collar (١٩٥١) الذى تضمن تحليلا للطبقة الوسطى الأمريكية وأيضا كتابه «صفوة القوة» The Power Elite (١٩٥٦) الذى ذهب فيه إلى أن أمريكا تحكمها مجموعة من الصفوات ذات المصالح الثابتة المترابطة. ومع أنه قدم فى عام ١٩٥٨ كتابه عن أسباب الحرب العالمية الثالثة The Causes of World War. III إلا أن آخر كتبه اتجه به اتجاها آخر وإن لم يكن بعيدا عن جوهر موقفه إذ عكس مؤلفه «الماركسى» The Marxist (١٩٦٢) اهتمامه بالثورة الكوبية من وجهة النظر الكاستورية. موضحا عدم ارتياحه للاستخدام الأيديولوجى الذى يتمسك به الدارسون فى ضوء انتقادات فيبر معبرا عن وجهة نظره الأخلاقية التى تتمثل فى توظيف المعرفة لخلق المجتمع الطيب السليم ومؤكدا بذلك على المسئولية التى يتعين على العلماء الوفاء بها فى وجه السلطة والإغرا سواء بسواء.



عالم الاجتماع والاقتصاد الأمريكى ويلبرت مور من أبرز العلماء وكبار المتخصصين فى دراسة التغير الاجتماعى والتطور الاجتماعي من منظور أميل إلى أفكار التطورية المعتدلة التى حاولت تصنيف نظريات التغير تصنيفا بنائيا لا يهتم فحسب بالتعرف على مصارد التغير واتجاهاته وإنما بالاهتمام أيضا بديناميات التغير وما تحدثه من تأثيرات فى المدى القصير أو الطويل فى الوحدات البنائية المختلفة التى قد تكون نظاما اجتماعيا أو مجتمعا محليا أو المجتمع القومى بأكمله وفتح بذلك المجال أمام علماء الاجتماع والسياسة والاقتصاد والأنثربولوجيا المهتمين بدراسة التغير الاجتماعى وما يصاحبه أو ينتج عنه من مشكلات والذين يسعون إلى وضع نظريات عامة تفسر التغير وأسبابه واتجاهاته وشدته وتأثيراته وبخاصة فى ضوء رؤاه وفرضياته المتعلقة بامكانات التنبؤ التاريخى بمسارات التطور والتغير الاجتماعى ومعتمدا بشكل قوى على التحليل الأمبريقى المنظم.

ومور له العديد من الاسهامات فى دراسة التغير الاجتماعى نشرها فى المجلة الاجتماعية الأمريكية بالاشتراك مع بارسونز الذى ركز بصفة خاصة على ما أسماه «العموميات التطورية فى المجتمع» بينما ركز ويلبرت مور أساسا على ما أطلق عليه «التنبؤ بالثغرات فى التغير الاجتماعى» وفروضه التى أقام عليها تنبؤه التاريخى ومقوماته الأساسية لهذا التبؤ.

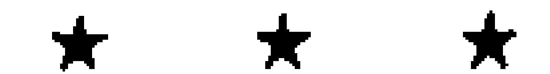
وفى عام ١٩٦٣ ظهر كتابه الهام المعنون «التغير الاجتماعى» Social Change والذى يعتبر (بالرغم من صغره) من أعظم المحاولات التى هدفت إلى إقامة نظرية فى التغير لاحتوائه على مناقشة ولئن كانت قصيرة إلا أنها كانت واضحة وعميقة فى إبرازها لطبيعة واتجاه التغير وجذوره وتحولاته وديناميباته مستخدما بعض المفاهيم والتصورات التى تعتبر قريبة فى الشبه وحتى فى المعنى لتلك التى عادة ما يستخدمها بارسونز. فعند مور تلعب عملية الانتقال وعملية الاقتباس الثقافى دورا جوهريا فى إحداث التغير. ولكنه يرى أن هاتين العمليتين لا تحدثان بطريقة عشوائية أو عمياء أو آلية بين المجتمعات. ويدلل على ذلك أن المفهومات والتصورات الثقافية لا تستقبلها الجماعات أو المجتمعات بطريقة أو استجابة واحدة فقد تلقى

قبولا من جماعة دون الأخرى كما قد تلقى مواقف يمتزج فيها الشك والرغبة معا ناهيك عما قد يطرأ على العناصر المقتبسة من تعديل أو تحوير أو حتى تبقى على حالها إذا ما كانت تتناسب وتتلاءم مع البيئة الجديدة وطبيعة نظامها القيمى على وجه الخصوص.

وانطلاقا من هذا التصور المحورى يتوصل إلى محددات التنبؤ التاريخى الذى حصر إمكانية حدوثه ارتباطا بالمدى القصير فقط مما يعنى صعوبة (أو حتى استحالة) التنبؤ باتجاهات التغير على المدى الطويل وهو ما يرتبط على أية حال بالقدرة على المثابرة وبالتجارب المستفادة وبمدى استمرار الاتجاهات المنتظمة والتخيط الواعى للمستقبل.

وإن كان قد اعتبر الثورات الاجتماعية بالذات من بين العوامل الهامة المعجلة باحداث التغير وربما تحديد شدته فى أغلب الأحيان إضافة إلى ما تحدثه الثورات من تغيرات تلحق بالنظم والبناء الاجتماعى بأكمله بما لهذا من تأثيرات ومضاعفات مباشرة وغير مباشرة على السواء.

ومهما يكن من أمر فقد اهتم فى معرض حديثه عن موضوع الانتشار والانتقال الثقافى بالحديث عما تتجه إليه كثير من المجتمعات إلى التصنيع والتحديث وبخاصة فى السنوات الأخيرة وبخاصة فى مجالات الابتكارات التكنولوجية وأساليب العمل والإنتاج والإدارة الحديثة وإن لم يغفل فى كل هذا عما قد يفد على هذه المجتمعات من قيم وأفكار قد تتعارض أو حتى تصطرع مع ما يوجد فى المجتمع من قيم وأفكار أصيلة الأمر الذى يحدث غير قليل من مظاهر التأرجح بين القديم والحديث إن لم يكن التوتر والصراع والصدام وما ينجم عنها من آثار سلبية من الصعب التنبؤ بمداها وخطورتها على ما أوضحه فى كتابيه اللذين نشرهما تباعا تحت عنوان «التصنيع والعمل» Industrialization and Labor والآخر بعنوان «العلاقات الصناعية والنظام الاجتماعى Industrial Relations and Social Order فى العام نفسه (١٩٥١).



عالم انثربولوجى أمريكى مارست كتاباته تأثيرا فائقا على الدراسات القرابية لاخضاعه البحث القرابى للطريقة العلمية الاحصائية المقارنة فبلور بذلك أوجه المشابهات والأختلافات فى أنظمة المجتمعات بالاضافة إلى دوره الكبير فى إبراز المراحل التطورية والجوانب الدينامية للبناء الاجتماعى بصورة عامة والتركيب أو النظام القرابى بصفة خاصة مما فتح الطريق واسعا أمام أجيال الباحثين لأن يتعمقوا ويطوروا البحث القرابى لا بالاعتماد على أسلوب الوظيفيين الشكليين ممن تأثروا برادكليف براون مثلا وساروا على منهجيته ولكن فى ضوء تحليل وتفسير ما يطرأ على المجتمعات والجماعات من متغيرات علاوة على أنه نجح فى وضع الخطط الدراسية التى تساعد على دراسة العلاقات بين القرابة وباقى المؤسسات الاجتماعية الموجودة فى قلب المجتمع المعين. ومستعينا فى كل هذا بالكم الهائل من المعلومات التى أمدته بها دراسته الرائدة المقارنة التى أجراها فى ٢٥٠ مجتمعا كعينة أثنوجرافية عالمية وغطت (الدراسة) كل منحى من مناحى الحياة الثقافية المعروفة.

وقد ولد ميردوك عام ١٨٩٧ فى ميريدن Meriden بالولايات المتحدة الأمريكية ودرس التاريخ فى جامعة ييل Yale ونال درجته العلمية الأولى عام ١٩١٩ ثم درجة الدكتوراه فى عام ١٩٢٥ بعدما تخصص فى الأثنولوجيا المقارنة. وبدأ حياته العملية بالتدريس فى الجامعة التى تخرج فيها وظل بها طوال الفترة من عام ١٩٢٨ إلى عام ١٩٦٠ ثم أصبح أستاذا للأنثربولوجيا فى جامعة بتسبرج وقد أصبح حجة فى الأثنولوجيا المقارنة واثنوجرافية الشعوب الأفريقية والقبائل الاسترالية إلى جانب النظرية الاجتماعية. أما شهرته فترجع أساسا إلى أنه كان الباحث الرئيسى الذى خطط لواحد من أهم وأضخم المسوح الثقافية المقارنة الذى اضطلع به معهد العلاقات الإنسانية بجامعة ييل فى عام ١٩٣٧ وهو المسح الذى شمل عينة عالمية من مائتين وخمسين مجتمعا كما سبقت الإشارة.

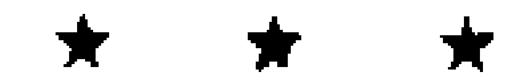
وليس من شك في أن موضوع القرابة كان المحور الأساسى لكل تفكيره وذلك على اعتبار أن نظام القرابة وما يتضمنه من مواقف وقضايا ومشكلات تتعلق بالزواج وبالعائلة يحتل مركزا رئيسيا فى الدراسات الأنثربولوجية (والاجتماعية

أيضا) التى تولى اهتماما خاصا لدراسة المجتمعات البدائية والتقليدية والمتأخرة عموما من ناحية، وعلى اعتبار أيضا أن القرابة وبخاصة فى هذه المجتمعات تلعب دورا هاما فى حياتها. فالنظام القرابى يمثل المحور الذى تنتظم حوله كل النشاطات والسلوكيات من ناحية ثانية الأمر الذى تتضاعف أهميته بحقيقة أنه لا توجد جماعة بشرية تخلو من نظام العائلة أيا ما كان شكلها وتركيبها.

وليس معنى هذا أن ميردوك هو أول من لفت الأنظار إلى هذا الموضوع فقد كان محل دراسات سابقة قام بها كثير من العلماء (خصوصا من التطوريين) فى القرن التاسع عشر بالذات ولكن الحديد فيما يتعلق بالأستاذ ميردوك هو منهجه ودراساته المقارنة والإحصائية خاصة وهو يمزج بين اللغويات والاجتماع وعلم النفس السلوكى والتحليل النفسى فى معالجته للمادة الأثنوجرافية التى بين يديه والتى أمدته بها دراساته الواسعة للحركات الثقافية ونظام العائلة والأسرة ونظم وأنماط الاتصال بين الشعوب الأفريقية وغيرها.

ونظرا للدور الهام الذى تلعبه علاقات وروابط القرابة (وهى متداخلة ومتشابكة إلى حد بعيد) فقد اهتم ميردوك كثيرا بتوضيح أهم المفاهيم والتطورات التى يجرى استخدامها وتداولها ربما بطريقة غامضة مثل مفهوم العائلة والبدنة والعشيرة والخصائص التى تتصف وتتميز بها كل منها كالاشتراك مثلا فى وحدة النسب فى العشيرة. وفى ذات الوقت وضح اهتمامه أيضا بالمصطلحات القرابية وما يرتبط بها من أمور متعلقة بالتفرقة بين الأب الفيزيقى والأب الاجتماعى وبأشكال تصنيف العائلة والأسس التى يتم التصنيف فى ضوئها كأن يكون على أساس الأبوة والبنوة أو على أساس الأجيال أو حتى شكل الزواج ما إذا كان أحاديا أو متعددا وداخليا أو خارجيا. وما يرتبط بكل هذا من جوانب وعلاقات مثل النسب ونظم النسب المختلفة فى خط الذكور أو الإناث وبالتالى حقوق الإنتماء وحقوق الميراث وحتى حقوق الإقامة ذاتها. علاوة على اهتمامه ببعض المظاهر والقواعد السلوكية مثل قواعد التحريم والتجنب والاختلاط فيما بين الرجال والنساء وفقا لدرجة القُربى بالدرجة الأولى. وكان من الطبيعى أن يهتم بدراسة الطقوس والشعائر على اختلاف نوعها ووظيفتها مثل طقوس الترشيد والتأهيل فى بعض المجتمعات وطقوس الزواج والحمل والمولد والوفاة وطقوس الانتقال وما يتصل به من حكايات وأساطير.

وبوجه عام فقد صدرت للأستاذ ميردوك عدة مؤلفات تعتبر من أمهات ما كتب فى هذا المجال من بينها كتابه المعنون «معاصرونا البدائيون» Our Primitive Contemporaries (١٩٣٤) و«ببليوجرافيا اثنواجرافية أمريكا الشمالية» Ethnographic Bibliography of North America (١٩٤١) وكتابة الفذ عن «البناء الاجتماعى» Sacial Stracture (١٩٤٩) ثم «إطار للثقافات العالمية» Outline of World Cultures (١٩٥٤) ومؤلفه الضخم الذى يعتبر عمله الرئيسى بعنوان «الأطلس الاثنوجرافى» Ethnographic Atlas (١٩٦٧) وكلها كتابات مازالت توجه البحث الأنثربولوجى فى الدراسات القرابية إلى اليوم.



عالم الاجتماع والسياسة والاقتصاد كارل جونار ميردال أحد كبار العلماء الذين اهتموا اهتماما خاصا بدراسة جماعات الأقليات سواء كانت أقليات سياسية أو دينية أو عنصرية أو عرقية أو من جنسيات مختلفة مما قد يتكون منها التركيب السكانى لمجتمع معين ولكنها لا تتمازج فيه تماما لتباين الاتجاهات واختلاف الأصول والظروف والأحوال إضافة إلى ما تلاقيه من تفرقة فى المعاملة وفى الحقوق وفى النظرة والتقدير الاجتماعيين بشكل يعكس تمييزا أو تحقيرا يترتبان على تشابك وتداخل العديد من الوضعيات والعوامل السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

والواقع أنه ارتباطا بهذا الاهتمام دارت كتابات جونار ميردال التى كان من الطبيعى أن يفرد فيها حيزا كبيرا لمعالجة المشكلة السوسيواقتصادية من ناحية والمشكلة الثقافية السياسية من ناحية ثانية وما تفرزه هذه المشكلات من وضعيات وقضايا ومشكلات سواء ما كان منها فى الدول النامية أو حتى فى المجتمع الأمريكى نفسه. وربما نزولا على هذا السبب نفسه وضح اهتمامه الفائق بدراسة النظرية الاقتصادية على وجه التحديد بغرض الكشف عن طبيعة العوامل السياسية والاجتماعية وتأثيرها فى تطوير هذه النظرية ونموها. وهو اهتمام بدأ مبكرا فى الحقيقة حيث نشر وهو لم يزل فى الثلاثين من عمره واحدا من أهم كتبه فى هذا المجال تحت عنوان «العنصر السياسى فى نمو النظرية الاقتصادية» The Political Element in Development of Economic Theory (١٩٣٠) ثم نشر بعد ذلك بعدة سنوات كتابه الهام الثانى تحت عنوان «ورطة أمريكية» An American Dilemma (١٩٤٤) عبارة عن دراسة لأوضاع الزنوج فى الولايات المتحدة الأمريكية حيث ألقى الضوء على مظاهر التحامل والتفرقة العنصرية مركزا على إظهار مدى الصراع بين الأفكار المتخلفة التى يرتبط بها السود والتى تكشف عن وضعياتهم الثقافية والسياسية المتدنية والتباين بينها وبين ما يسود البيض ويرتبطون به من أفكار وأيديولوجيات أكثر تفتحا وتقدما. ولقد كان من أهم النتائج التى أسفرت عنها هذه الدراسة التى قدمها ميردال بالاشتراك مع جلايد فيدر Vedder ورونالد تافت Taft الكشف عن الارتباط الوثيق بين طبيعة الظروف التى تعيشها هذه الأقلية (الزنوج)

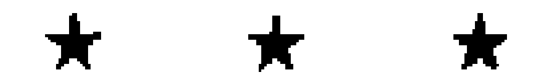
والزيادة الملحوظة فى معدلات الجريمة والانحراف وسائر مظاهر الصراع لديهم ولدى غيرهم من جماعات الأقلية (المكسيكيين) علي وجه الخصوص مما يمثل تهديدا مباشرا للبيض من ناحية وهزة عنيفة لمكانة السود وعناصر حياتهم التقليدية من ناحية ثانية. مما يتوجب معه سرعة العمل على تحسين هذه الأوضاع وتغييرها بتحسين فرص العمل وظروف السكن والأقامة وما إلى ذلك من مظاهر الرعاية والاهتمام.

وتتابعت كتابات ميردال فى الإطار نفسه ليكشف عن طريق بعض دراساته المقارنة عن طبيعة الظلم الاجتماعى وعدم المساواة التى ترزح تحت ثقلهما العديد من المجتمعات والشعوب. فظهرت له دراسة رائدة تحت عنوان «ميكانيزم عدم المساواة القومية والدولية» Mechanism of National and International In-equaltiy (١٩٥٦) أتبعها بعدم عام واحد بواحدة من أهم الدراسات فى الموضوع بعنوان «النظرية الاقتصادية والأقاليم المتخلفة» Economic Theory and Under Developed Regions (١٩٥٧) حيث لفت الأنظار بشدة إلى أهمية العلاقات السياسية والاقتصادية بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة مركزا بصفة خاصة على إبراز طبيعة العوامل الاجتماعية فى التنمية.

لقد كانت إحدى الافتراضات الأساسية التى تسود الفكر الاقتصادى أن التقدم والنمو الاقتصادى هو مسألة أو مسئولية السياسات الحكومية. ولكن تأسيسا علي هذه الفرضية فقد ذهب ميردال إلى أنه ليس واضحا تماما نوعية التدخل الذى مارسته بعض الحكومات لإثارة وحفز عمليات التنمية وبخاصة خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. ومع أنه ساق الكثير من الأمثلة على هذه الفرضية وبخاصة فى كتابه «دراما آسيوية: بحث فى فقر الأمم» Asian Drama: An Inquiry into the Poverty of Nations (١٩٦٨) إلا أنه أكد على مدى صدقها فى حالة اليابان بالذات وما حققته من طفرات تنموية فى ضوء ما اتبعته الحكومة من سياسات.

ومن الناحية الثانية فقد كان مما يقلقه كثيرا تلك الزيادات المطردة فى السكان مما جعله يفرد جانبا كبيرا من دراساته فى آسيا لهذه القضية بالذات فبين كيف أن هذه الزيادات السكانية مما يهدد تهديدًا مباشرا أية عملية تنموية الأمر الذى انتهى به إلى تقرير تدخل الحكومات لضبط هذه الزيادة عن طريق وضع

السياسات والاستراتيجيات المناسبة المتعلقة بمسائل الخصوبة والزواج والمواليد والوفيات إلى جانب مشكلات الهجرة مما يستلزم ترشيد الوعى من ناحية وسن القوانين المناسبة من ناحية ثانية. وهو ما أوضحه على أى الأحوال فى كتاباته وبخاصة على نحو ما نرى فى كتابه «دولة الرفاهية: التخطيط الاقتصادى وتضميناته الدولية» Beyond the Welfare State: Economic Planning and Its Internatinoal Implications (١٩٦٥).



نادل، سيجفريد (١٩٠٣ - ١٩٥٦) NADEL, SIEGFRIED

بالإضافة إلى نشاطه الميدانى الذى كان معظمه موجها بصفة أساسية للبحث فى أنثربولوجيا أفريقيا فقد اشتهر أيضا باهتمامه الكبير بمشكلات وقضايا النظرية والمنهج التى دارت من حولها كل كتاباته تقريبا التى مازالت تعتبر لليوم مرجعا رئيسيا للباحثين فى الانثربولوجيا التطبيقية على اختلاف توجهاتهم.

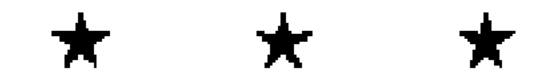
إنه عالم الانثربولوجيا والاجتماع سيجفريد نادل ولد فى فيينا فى شهر إبريل عام ١٩٠٣ ومنذ صغره ظهر شغفه بالموسيقى التى درسها فى جامعة فيينا إلى جانب دراسته للفلسفة وعلم النفس. ومع أن ميله للموسيقى انعكس فى كتابته السيرة الذاتية للموسيقار الإيطالى Ferruccio Benvenuto Busoni إلا أنه تحول إلى الانثربولوجيا حيث عمل تحت إشراف مالينوفسكى فى انجلترا لمدة عامين كاملين من عام ١٩٣٢ هيأته لأن يدخل ميدان البحث الحقلى والعمل الميدانى فقام بالعديد من البحوث فى النوبة ونيجيريا واريتريا استغرقت الفترة حتى قيام الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠) التى خدم خلالها فى اريتريا وطرابلس.

ولقد قام نادل بالتدريس فى عدد من أكبر الجامعات العالمية حيث عمل فى جامعة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية وفى الفترة من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٠ كان محاضرا فى الأنثربولوجيا بجامعة ديرهام Durham بانجلترا ثم فى جامعة نورث وسترن ثم استاذا ورئيسا لقسم الانثربولوجيا والاجتماع فى الجامعة القومية الاسترالية فى الفترة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦ حيث توفى فى يناير ١٩٥٦ فى كانبيرا Canberra وهى رحلة مكنته ولاشك من أن يرتاد الكثير من المشكلات النظرية.

والواقع أن نادل كان ينطلق من تصور أو فهم خاص للبحث الاجتماعى والانثربولوجى وهو فهم يعكس مدى تأثره بالاستاذ مالينوفسكى على وجه الخصوص. إذ كان يذهب إلى أن الحقائق الاجتماعية إنما تصدر عن حقائق سيكولوجية ولهذا فإن الشرح الكامل والتفسير السليم لأى مظهر سلوكى واجتماعى

ينبغى أن يعتمد على معرفة كاملة بالدوافع البشرية والشعور وذلك نزولا على قناعته بأن العمل الأساسى للعلم هو وصف وشرح وتفسير التصرفات والسلوك بغية توجيهها والتحكم فيها.

وفى داخل هذا الإطار صدرت كتاباته وأعماله كلها ميدانية كانت أم نظرية. فصدر له فى عام ١٩٤٢ عمل ضخم بعنوان ABlack Byzantium تضمن تحليلا للأساس النظرى للمنهج الأثنوجرافى ثم «عقيدة النوبة» Nube Religion (١٩٥٤) وأيضا «أرض النوبة» The Nuba Land وكذلك «أجناس وقبائل اريتريا» The Races and Tribes of Eritrea. هذا بخلاف مؤلفاته الأساسية التى اهتمت بالنظرية ومن بينها «أسس الانثربولوجيا الاجتماعية» The Foundations of Social Anthropology (١٩٥١) و«نظرية البناء الاجتماعى» The Theory of Social Structure وهو كتاب ظهر فى عام ١٩٥٨ بعد وفاته بعامين اثنين.



ولد الفيلسوف والمنطقى الأمريكي إرنست ناجل فى تشيكوسلوفاكيا فى عام ١٩٠١ ولكنه تلقى تعليمه ونال درجاته العلمية من الولايات المتحدة الأمريكية بدءًا من دراسته فى سيتى كوليج فى نيويورك ثم فى جامعة كولومبيا التى قدر له أن يرتبط بها طوال رحلته العلمية التى استغرقت سنى عمره فقد أشرف على تحرير المجلة الفلسفية Journal of Philosophy لمدة تزيد على ١٦ عاما ومجلة المنطق الرمزى Journal of Symblic logic وأيضا مجلة «فلسفة العلم» Philosophy of Science وتأثرا كثيرا بفكر تشارلس بيرس Peirce وجورج سنتيانا Santayana وبرتراند راسل Russell.

وبوجه عام يعتبر ناجل واحدا من كبار أنصار المدرسة الطبيعية فى كولومبيا التى أقامت تفرقة حاسمة وتمييزا قاطعا بين العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية متجهة بكليتها إلى الأخذ بالرياضة التى اعتبرتها بمنهجها التحليلى أقرب الاتجاهات إلى مسايرة الروح العلمية. وهو الأساس الذى انطلق منه بفكره الذى عمل من خلاله على تطوير نظريته الخاصة. فالرياضة منهجها استنباطى بمعنى وضع فروض فى صدر أو مقدمة العملية الاستدلالية حيث تستخرج منها النتائج مما يعنى أن برهان صوابها لا يعتمد على أنها منطبقة على وقائع العالم الطبيعى. على حين يبدأ منهج العلوم الطبيعية بالمعلومات والشواهد التى يتم جمعها من الواقع اعتمادا على المشاهدة والملاحظة والتجريب ولهذا كانت القوانين فى العلوم الطبيعية قوانين احتمالية الصدق بينما حقائق ونتائج العلوم الرياضية أقرب إن لم تكن بالغة دائما درجة اليقين.

استهوته إذن منذ البداية الفلسفة الوضعية التى تعنى فى جوهرها النظرة العلمية التى تقضى بأن تنحصر رؤية الباحث العلمى فى حدود ما هو واقع والتى تجعل صدق الحواس أصلا لا يشك فيه أو يناقش. وفى الوقت نفسه استهواه المنطق أيضا الذى هو فى جوهره رياضة ويقضى بتحويل الكيف إلى كم بعيدا عن المناقشات الواسعة والفضفاضة وإنما أقرب إن لم يكن مطابقا للحساب والدقة.

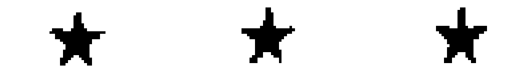
وبالرغم من أن هذا الكلام يعنى أن ناجل كان من أنصار الوضعية المنطقية Logical Positivism إلا أن نظرته كانت ذات طابع خاص. فهى فى رأيه ليست مذهبا بقدر ما هى منهج للنظر وللبحث العلمى ولهذا أطلقوا عليها اسم التجريبية العلمية مرادفا بالضبط للوضعية المنطقية. ولكنه كان أكثر تحديدا عندما سعى إلى تطوير نظرية خاصة لما أطلق عليه الامبريقية المنطقية Logical Empricism . واستدعى هذا مناقشته لبعض المفهومات الرئيسية مثل مفهوم الملاحظة ذاته ومفهوم التجربة وخاصة فى ارتباطها بقضايا الصدق والثبات وامكانيات التحقق التى ذهب البعض إلى أن التحقق عن طريق التجربة إنما يعنى التحقق بواسطة الحالات الفعلية التى يعيشها الفرد وحده على حين أن المعرفة العلمية هى معرفة تقوم على علاقات بنائية تتوحد فيها تجارب الفرد مع تجارب الآخرين.

الامبريقية المنطقية من وجهة نظره يمكن القول بأنها تختلف عن الاتجاهات التى غالى فيها البعض ممن ذهبوا إلى أنه لا معرفة ما لم تبدأ بتحصيل معطيات حسية فى محاولة للبرهنة على أن كل أشكال الاستشهادات والاحالات هى ذاتيات أو وجود يقوم بعيدا عن الملاحظة والتجربة أو لا معنى له وأنه هراء.

إن الفكر لا يكون فكرا بالمعنى الصحيح إلا إذا كانت له نتائج فعالة فى إحداث التغيير المنشود ولهذا فإن امبريقيته المنطقية لا تتجاهل أو تلقى بعيدا بالمشاعر والأفكار وحتى الاتهامات وإنما تقوم على قضيتين أساسيتين هما أولا أن الأجسام أو المادة المنظمة هى الظروف الضرورية لكل الأحداث والنوعيات والكيفيات وللعمليات التى تقع فى الطبيعة والقضية الثانية هى أن مظاهر التكثر والتعددية التغايرات المتكشفة والتى نجدها فى الأشياء بما فى ذلك الملامح الفردية المميزة للأفراد كلها أمور واقعية وحقيقية ولا يمكن اختزالها لأى حقيقة أخرى.

ولقد صدر له عدد هائل من المقالات والدراسات والبحوث التى نشرت فى المجلات التى ترأس تحريرها بخلاف مؤلفاته وكتبه الرئيسية من بينها «مقدمة

للمنطق والمنهج العلمى» Introduction to Logic and Scientific Method (١٩٣٤) وكتابه «العقل المميز (السيد)» Sovereign Reason (١٩٥٤) وكتابه الرائد: «منطق بلا ميتافيزيقا» Logic Without Metaphysics (١٩٥٧) و«بناء العلم» The Structure of Science (١٩٦١) و «إحياء التيلولوجيا ومقالات أخرى» Teleology Revisited and other Essays (١٩٧٩).



وصفه البعض بأنه فورة ذكاء وثورة وروح. أعمل عقله وفكره فى محاولة لفهم نفسه وفهم الآخرين من حوله وفهم الكون بأكمله والقوى التى تسيره فلا يكاد العقل يعرف شيئا من كل هذا بعيدا عن انتفاضة الروح وتوثبها فى تطلعها إلى المجهول.

اسمه بالكامل هيلموت ريتشارد نيبوهر لاهوتى وعالم أخلاق أمريكى كرس حياته لخدمة عقيدته (البروتستانتية) وتوضيح دور المسيحية لرفعة الإنسان وتحرره.

ولد نيبوهر فى ريت سيتى Right City فى الثالث من سبتمبر عام ١٨٩٤ لأسرة ينتمى كثير من أعضائها للكنيسة فهو الأخ الأصغر لرينهولد نيبور Reinhold (١٨٨٢ - ١٩٧١) من كبار اللاهوتيين فى أمريكا. ومنذ أن تخرج قام بالتدريس فى مدرسة ييل المقدس Yale Divinity School من عام ١٩٣١ وحتى وافته منيته عام ١٩٦٢ . وهناك بعض المؤثرات الرئيسية التى تدخلت فى تشكيل عقليته وتحديد اتجاهاته الفكرية إلى حد بعيد وفى مقدمة هذه المؤثرات فلسفة سورين كيركجارد Kierkergaard (١٨١٣ - ١٨٥٥) الذى يعتبر أبا الوجودية وأيضا العالم والمصلح اللاهوتى كارل بارت Barth (١٨٩٦ - ١٩٦٨) وأولهما ساعد عقله على أن يتحرر من جموده وأن يتجرد من أسطورة الثابت وخداع المثل الأفلاطونية وغيره مما أصبح ركائز أساسية فى فكرته عن الزمان وعن الذات وعن المسئولية بينما فتح له الثانى (بارت) باب العقيدة والإيمان المسيحى وما ينطويان عليه من مثل وأخلاقيات.

الموضوع الرئيسى الذى انشغل به نيبوهر على الرغم من مهام مناصبه العديدة التى تبوأها كان البحث فى علاقة الإيمان المسيحى بالحضارة وهو ما استدعى بالضرورة معالجة فكرة الزمان التى انتهى فيها إلى الأخذ بالزمان الوجودى أو زمان الكينونة الفردية لا الزمان المتعلق بوجود العالم (كما عند كانط). وإن كانت قد ظهرت لديه مشكلة الصلة أو العلاقة بين الفردية التى ينبنى عليها الإيمان باعتبار أن الشعور الدينى هو شعور ذاتى بحت قبل أن يكون شعورا جماعيا (كما ذهب دوركايم مثلا) وبين ما قد تنطوى عليه الحضارة من بعض صفات الاستقرار أو الديمومة والثبات.

المخرج الذى اقتنع بسلامته لتفادى ما قد يكون فى القضية من تناقض كان يتمثل فى مقولة النسبية التاريخية والثقافية على اعتبار أنها مما يؤثر فى إيمان الأفراد وفى تفكيرهم الأخلاقى وفى مواقفهم العقدية بشكل ملحوظ. وعلى اعتبار أن ما يهم بالنسبة إليه هو وجود الإنسان ولأن الإنسان متناه فى الزمان والمكان فما يعنى إذن وجود الذات وما تعيشه من آنيات ولحظات ومواقف واختيارات. الأمر الذى يضع الإنسان (الذات) فى مواجهة مع مسئوليته ومصيره.

ولقد كتب نيبوهر العديد من المؤلفات والمقالات التى تناول فيها الكثير من قضايا الدين والإلزام الأخلاقى وفى مقدمتها كتابه المعنون «المنابع الاجتماعية للطائفية» The Social Sources of Denominationalism (١٩٢٩) ثم كتابه «مملكة الله فى أمريكا» The Kingdom of God in America (١٩٣٧) و«معنى الكشف» The Meaning of Revelation (١٩٤١) و«المسيح والثقافة» Christ and Culture (١٩٥١) و«التوحيد الراديكالى والثقافة الغربية» Radical Monotheism and Western Culture (١٩٦٠) ثم آخر كتبه التى نشرت بعد وفاته بعام بعنوان «الذات المسئولة» The Responsible Self (١٩٦٣).



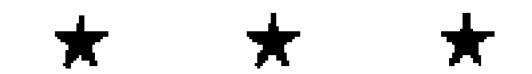
روبرت الكسندر نيسبت منظر اجتماعى وسياسى أمريكى ولد فى لوس انجليس عام ١٩١٣ واشتهر أثناء عمله كأستاذ لعلم الاجتماع بجامعة كاليفورنيا بتحليله الوظيفى للسلوك الاجتماعى وبمشاركته العميقة فى الجهود المبذولة والتى انتشرت منذ خمسينيات القرن الماضى وأخذت على عاتقها عبء تصنيف النظريات السوسيولوجية فى ضوء توجهها الأيديولوجى الذى ارتبطت به والذى اتخذته كنقطة انطلاق أو بداية لها.

وتعتبر معالجة روبرت نيسبت لنظرية علم الاجتماع فى علاقتها بالتراث الأخلاقى فى مقدمة هذه التصفيات التى قدر لها الذيوع والانتشار حتى أصبحت من بين التقاليد الراسخة للعلم ويأخذ بها جمهور العلماء والباحثين حيث أبرز بعض المفاهيم الأساسية وشرع فى شرحها وتحليلها تحليلا وظيفيا متعمقا يكشف عن ماهيتها وطبيعة الارتباطات والانعكاسات فيما بينها وتأثيرات ذلك بالتالى على الفرد والمجتمع على السواء وفى مقدمة هذه المفاهيم المجتمع المحلى والسلطة والمكانة والمقدس والاغتراب.

وتكشف عناوين الكتب والمؤلفات التى أصدرها نيسبت عن نوعية الاهتمامات التى شغلته فقد ظهر له فى عام ١٩٥٦ كتاب (بالاشتراك مع روبرت ميرتون) بعنوان «المشكلات الاجتماعية المعاصرة» Contemporary Social Problems حيث حللا معا «اللاوظيفية الاجتماعية» Social Disfunction وما ارتبط به بهذا المفهوم من ممارسات وظواهر مثل السحر Magic وهو كتاب اعتمد كثيرا فى تحليله على المادة والتصورات السيكولوجية بالرغم من أنهما لم يتطرقا إلى انعكاسات المفهوم على التماسك الاجتماعى بشكل مجرد.

وربما كان فى مقدمة كتاباته «التقليد الاجتماعى» The Sociological Tradition (١٩٧٠) الذى تناول بالعرض والتحليل رؤى ومواقف عدد من كبار الفلاسفة والاجتماعيين من أمثال توكوفيل de Toqueville وروسو Rousseau ودور كايم Durkheim وفيبر Wcber وكونت Comte وجورج زيميل Simmel وأوستن

Austin وهيجيل Hegel وغيرهم اضافة إلى تحليله بعض المفاهيم الأساسية فى العلم. هذا علاوة على عدد آخر من المؤلفات من بينها «المجتمع المحلى والقوة» Community and Power وآخر بعنوان «علم الاجتماع عند اميل دور كايم» The Sociology of Emile Durkheim (١٩٧٤) إضافة إلى كتابين آخرين رائدين أحدهما بعنوان «التقليد والثورة» Tradition and Revolt والآخر بعنوان «علم الاجتماع باعتباره شكلا فنيا» Sociology as an Art Form (١٩٧٦).



فهرست الأعلام


تم بحمد الله

أعلام الفكر الاجتماعى

والأنثربولوجي الغربي المعاصر

تأليف

د. محمود أبو زيد



الجزء الثالث

أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر

الدكتور
محمود أبو زيد

(الجزء الثالث)

O - Z



أعلام الفكر الاجتماعي
والأنثروبولوجي الغربي
المعاصر

الدكتور/ محمود أبو زيد

الكتـــاب: أعلام الفكر الاجتماعي
والأنثروبولوجي الغربي المعاصر
المـؤلـف: الدكتور/ محمود أبو زيد
تاريخ النشر: ٢٠١١م - ١٤٣٢هـ
رقم الإيداع: ٢٤٤٧٧ / ٢٠١٠
الترقيم الدولي: 978-977-463-090-3

الناشـــر:
دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع
الإدارة والمطابع:
١٢ شارع نوبار لاظوغلي (القاهرة)
تليفون: ٠٠٢٠٢٧٩٤٢٠٧٩ فاكس: ٠٠٢٠٢٧٩٥٤٢٢٤
التوزيـــع:
٣ شارع كامل صدقي الفجالة - القاهرة
تليفون: ٠٠٢٠٢٥٩١٧٩٥٩

المحتويات

❁❁❁

تصدير

بهذا الكتاب الحالي الذي بين يدي القارئ يكون قد اكتمل كتاب «أعلام الفكر الاجتماعي والأنثرويولوجي الغربي المعاصر» الذي صدر جزؤه الأول منذ سنوات، وتبعه الجزء الثاني، لأقدم اليوم - بحمد الله - الجزء الثالث والأخير، كما لعلني قد أشرت في مقدمتي للكتاب عندما ظهر منذ سنوات (الحقيقة أن الجزء الأول بالذات قد نفدت طبعته الأولى، وتجرى الاستعدادات الآن لإعادة طباعته من جديد) .

إن الجهد الذي أقدمه الآن هو إذن لإتمام المجهود الذي بدأته في الجزءين السابقين، ولكن قد يكون من الواجب أن أنبه القارئ إلى أن شيئًا من المنهج قد طرأ عليه ما يغيره أو يبدله عما سرنا عليه من قبل، سواء من حيث اختيارنا للأعلام ذاتهم، أو من حيث تحديدنا للإطار الزمني أو حتى الإطار المكاني؛ مما يعني ارتباطي بالموقف النظري والفكري الذي سبق أن ارتبطت به. ولكن من المهم أن أشير هنا إلى أمرين بذاتهما، الأول: هو أنني عرضت لجهود بعض العلماء وكبار المفكرين الذين كانوا آباء حقيقيين أو مؤسسين لهذين النسقين العلميين. ولأنهم أثروا تأثيرًا قويًا - بصرف النظر عن الاتجاهات - في الكثير من الباحثين والتلاميذ الذين مازالوا يرجعون إلى فكرهم وآرائهم. أما الأمر الثاني فهو أن الكتاب يتناول موضوعات متنوعة أشد التنوع ويغطي مجالات الفكر المختلفة طالما أنها تعبر تعبيرًا مباشرًا- رغم اختلاف الموضوع والمجال - عن الأبعاد الثلاثة للإنسان، وهي البعد الفيزيقي والبعد الاجتماعي، والبعد الثقافي، وهي الأبعاد التي تتضمن في الواقع كل تاريخ الشعوب والثقافات والمجتمعات المختلفة .

ومع أنني قد تحاشيت قدر المستطاع الدخول في متاهات الآراء الجدلية والمواقف التي انخرط فيها كثير من الاجتماعيين والأنثروبولوجيين، إلا أنني حاولت

جاهدًا أن أعطي صورة صادقة لأهم الاتجاهات والنظريات والانقسامات الفكرية أبان هذه الفترة. ومما شجعني على ذلك الرغبة في التعرف على الكيفية التي تعاملوا بها مع مشكلات المجتمع ومشكلات الثقافة وإلى أي مدى نجحت جهودهم في مواجهة هذه المشكلات وفي حلها خاصة في عصر يتسارع فيه إيقاع الحياة.

ولست أدعي لنفسي أنني غطيت موضوع الكتاب الذي يشير مجرد عنوانه إلى مدى اتساعه وتشعبه. ولكن حسبي أنني أرجو أن أكون قد أعطيت القارئ فكرة عما قدمه كبار المفكرين في مختلف التخصصات لفهم المجتمع، ولتعاملهم مع مختلف جوانب النشاط الإنساني بإثارة أهم ما تناولوه من قضايا ومشكلات نظرية ومنهجية تمثل الهيكل الأساسي لعلم الاجتماع وللأنثروبولوجيا على السواء.

م. أبوزيد

القاهرة – مصر الجديدة

أكتوبر ٢٠١٠

★ ★ ★

-O-

١- أوكلي كينيث (١٩١١-١٩٨١) OAKLEY, KENNETH

يعتبر عالم الأنثروبولوجيا البريطاني كينيث أوكلي دعامة من أهم الدعامات التي انبنت عليها الأنثروبولوجيا الطبيعية (الفيزيقية)، إذ اتسعت وتنوعت اهتماماته لتشمل الفولكلور وآثار ما قبل التاريخ، مما هيأ له أن يصير في مقدمة المتخصصين في العصر الباليوليثي على وجه التحديد .

ولد كينيث بيج أوكلي في لندن في السابع من شهر أبريل عام ١٩١١م، واشتهر بسبب استخداماته الرائدة لاختبارات الفلورين Fluorine Testing في تحديد عمر وتاريخ الحفريات البشرية، وهي الاختبارات التي أتاحت له الوقوف على أحد الكشوف الهامة في تاريخ الأنثروبولوجيا. ففي عام ١٩٥٣ ومعه فاينر Weiner وكلارك Le Gros Clark في إثبات أن الجمجمة وعظام الفلك لإنسان بلتادون Piltdown الذي أطلق العلماء عليه «إنسان الفجر» Eoanthrop (سوسكس بإنجلترا) Sussex تنطوي على أكذوبة أو خدعة كبيرة وتزييف هائل؛ لأنها بقايا حديثة، وأطلق على الأمر كله أكذوبة بلتادون The Piltdown Forgery .

وقد عمل أوكلي مديراً للمتحف الأنثروبولوجي (قسم التاريخ الطبيعي) التابع للمتحف البريطاني في لندن في الفترة من ١٩٥٣ إلى ١٩٦٩م. وساعده هذا على القيام بعدد من الدراسات والبحوث التي أدت إلى إرساء قواعد العلم. فإلى جانب إشرافه على تحرير وتنفيذ «كتالوج الحفريات» Catalog of Fossil في الفترة من ١٩٦٧ - ١٩٧٥، قدم قبل ذلك ببضعة أعوام (١٩٦٤) «إطارات لتحديد تاريخ الحفريات البشرية » Frame Works for Dating Fossil .

ولقد ظل أوكلي مشغولاً بعمله حتى اللحظات الأخيرة من عمره. فمع أنه قدم في عام ١٩٧٢ كتابه «الإنسان صانع الأدوات» Man The Toolmaker، فقد

عـاد قـبل وفـاته بعـام واحـد وتـرك عـمله الموسـوعي الضـخم «تحـديد نسـبي لمستحجرات الآدميات البشرية في أوربا» Relative Dating of the Fossil Hominids of Europe (١٩٨٠) ووافـتـه منيتـه في ١٩٨١ بعـد حـيـاة حـافلة بالعـمل والكتابات التي وضعته بين كبار الأنثروبولوجيين الذين قدموا للأنثروبولوجيا الفيزيقية أجل الخدمات .

• قراءات مقترحة •

- Boule, M., V. Vallois; Fossil Man, Thames & Hudson, London, 1957 .

- Clark, W. Le Gros; History of the Primates . London. Sth ed. 1958.

- Leakey, S. B.; Adam's Ancestors. Methuen. London, 4th ed. 1953 .



٢- أودم، هوارد واشنطن (١٨٨٤ - ١٩٥٤) ODUM, Howard Washington

هوارد واشنطن أودم عالم اجتماع أمريكي ولد بالقرب من بتلهام -Beth lehem في جورجيا عام ١٨٨٤، وتخصص منذ سن باكرة فيما أعتقد أنها المشكلات الحيوية والأكثر تهديدًا لجنوب الولايات المتحدة الأمريكية، ولذا ينظر إليه عادة على أنه أحد المصلحين ورواد التربية في الجنوب خاصة وقد برز تميزه في مجالات الفولكلور والعلاقات الأجناسية، واشتهر بأنه من كبار الداعين للمساواة وتحقيق كافة الفرص اللازمة لتقدم الزنوج .

والواقع أن معظم كتاباته قد دارت حول الزنوج الأمريكيين وقضاياهم. ويعتبر كتابه «قوس قزح حول كتفي» Rainbow Round My Shoulder: The Blue Trait of Black Ulysses الذي قدمه في عام ١٩٢٨ من أحسن ما كتب بهذا الصدد. وكذلك كتابه الذي ألفه بالاشتراك مع وليام أوجبرن ونشر في جزأين عام ١٩٣٣ بعنوان «اتجاهات حديثة في الولايات المتحدة الأمريكية» Recent Trends in the United States. ومن بعده كتابه «الأقاليم الجنوبية بالولايات المتحدة» Sonthern Regions of the U.S. (١٩٣٦)، ثم كتابه «فهم المجتمع» Un-derstanding Society الذي صدر في ١٩٤٧، وكلها مازالت تتمتع بكثير من الإقبال؛ لأنها تثير الكثير من المناقشات حول المسائل والقضايا التي مازالت تزعج الكثيرين وخصوصًا من الداعين للمساواة، ولإتاحة فرص التربية والتعليم للجميع بلا تفرقة في اللون أو الجنس أو العرق .

• قراءات مقترحة •

Works:Odum, H. W., American Sociology: The Story of Sociology in the United States Thought 1950 - 1958 .

واقرأ أيضًا:

- Frazier, E. Franklin, Black Bourgeoisie, 1959 .



٣- أوجبرن، وليام فيلدنج (١٨٨٦-١٩٥٩) OGBURN, William Fielding

وليـام فيلدنج أوجبرن عالم اجتماع أمريكي ولد عام ١٨٨٦، ونال الدكتوراه في أوائل العشرينات من القرن الماضي من جامعة كولومبيا التي عمل فيها من ١٩١٣ إلى ١٩٢٧ ثم جامعة شيكاغو لقرابة ربع قرن من الزمان من ١٩٢٧ إلى عام ١٩٥١ حيث اشتهر بمناهجه الإحصائية وتطبيقاتها على مشكلات العلوم الاجتماعية، وكذلك بفكرته عن «التخلف الثقافي» Cultural Lag التي تضمنت تصوره الذي قاده إلى فرض التخلف الثقافي الذي يشير إلى أن الجوانب المادية للثقافة تتغير بسرعة أكبر من تغير الجوانب غير المادية . هذا الفرض الذي تحدث عنه في كتابه العمدة «التغير الاجتماعي» Social Change الذي صدر عام ١٩٢٢ وأثار الكثير من الجدل والنقاش حول معيار التخلف وظروفه وشدته ومداه وتأثيراته في الوضعيات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية التي يمسها التغير.

ومع أن كتاب «التغيـر الاجتماعي» يعتبر دراسة كلاسيكية، فقد أعيدت طباعته أكثر من مرة، وفي طبعة ١٩٥٠ عاد فتحدث عن فرض التخلف الثقافي، ولكن في شيء من الحذر والتعديل، وفي ضوء صياغة جديدة تبتعد كثيرًا عن النزعة السيكولوجية المسيطرة، وإن كان قد أبقى على موقفه الداعي إلى ضرورة قياس أشكال التغير المختلفة وآثارها .

ومن ناحية أخرى ركز أوجبرن على دور الاختراع في التغير وبخاصة التغير التكنولوجي السريع، حيث برزت نظرته للاختراع على أنه ترتيب أو تركيب جديد للعناصر القائمة والموجودة. وانتهى في ذلك إلى ضرورة اكتشاف مناهج تمكن من التنبؤ بالتطورات الاجتماعية المقبلة. وإن كان الشيء المهم في هذا أنه ابتعد عن مصطلح التطور الاجتماعي الذي كان تغلب عليه النزعة السيكولوجية التطورية، وقدم لأول مرة مفهوم الثقافة الذي قصد به التدرج التراكمي للمجتمع البشري وهو المعنى نفسه الذي نجده أيضًا عند وليام إيزاك توماس من قبل، وإن يكن بطريقة غير منضبطة كما عند أوجبرن.

ومع أنه صدر لأوجبرن كتابه الهام الثاني «علم الاجتماع» Sociology في عام ١٩٤٠ (بالاشتراك مع ماير نيمكوف)، فقد ظل كتاب «التغير الاجتماعي» أهم إسهاماته في النظرية الاجتماعية خاصة وهو يركز على المناهج الرياضية والكمية ودورها في تفسير وتوضيح الجوانب المختلفة التي تنطوي عليها وتثيرها. على حين كان كتابه «الآثار الاجتماعية للطيران» The Social Effects of Aviation (١٩٤٦) قريبًا جدًا من الجانب الرياضي للوضعية المحدثة خصوصًا إذا ما قورن هذا الكتاب بأعمال أوجبرن السابقة.

وعمومًا فقد توفي أوجبرن في السابع والعشرين من شهر أبريل عام ١٩٥٩ . في تالاهاسي Tallahassee بفلوريدا. ومازالت آراؤه ونظرياته ترشد كثير من الباحثين وتقود مواقفهم وخطواتهم .

• قراءات مقترحة •

- Simpson, G., Man in Society: Studies in Sociology. N. Y. 1954 .



٤- أوسبورن، فيرفيلد (١٨٥٧-١٩٣٥) OSBORN, H. Fairfield

فيرفيلد أوسبرن عالم أنثروبولوجيا أمريكي متخصص في حفريات العصر الحجري القديم والبحث في أصول الإنسان وتطوره. ولد في عام ١٨٥٧ وتعلم في جامعة برينستون وعمل بها في الفترة من ١٨٨١ - ١٨٨٣ حيث قام وهو أستاذ مساعد للعلوم الطبيعية بعدة دراسات في تشريح المخ، واعتبر لذلك أحد الكبار الذين اهتموا بدراسة التركيب الداخلي البنيوي للحيوان والنبات، وهي دراسات ظل يواصلها بعدما أصبح أستاذًا لعلم التشريح المقارن على مدى سبع سنوات (١٨٨٣-١٨٩٠).

على مدى سني عمره (٧٨ سنة) ظل أوسبورن منغمسًا في بحوثه ودراساته العلمية سواء وهو في نيويورك كأستاذ للبيولوجيا وعلم الحيوان (١٨٩١-١٨٩٦) أو أثناء تواجده في جامعة كولومبيا التي ظل بها حتى وفاته في ١٩٣٥، بعدما أصبح محطًا للأنظار أثناء عمله أمينًا لمتحف التاريخ الطبيعي.

وكواحد من أبرز أمناء المتاحف الذين كشفوا عن الدور الذي يقوم به المتحف في التعريف بالأنثروبولوجيا الفيزيقية وتطويرها عمل رئيسًا لقسم الثدييات الذي تحول بعد ذلك لفقاريات العصر القديم (١٨٩١-١٩١٠). وعلى مدى السنوات حتى عام ١٩٣٥ استطاع أن يجمع واحدة من أكبر وأشمل مجموعات المستحجرْات الفقارية على مستوى العالم. وتمكن بذلك من تقديم مدخل بنائي لنشاط المتاحف وكيفية استخدامها لدراسة أصول الإنسان وتطوره .

كذلك يرجع الفضل لأوسبورن أنه قدم لأول مرة أحد المفاهيم الرائدة الخاصة بهذه الدراسات وهو مفهوم الإشعاع التكيفي Adaptive Radiation الذي كان وراء إعلان كشفه أن الحيوان أو النبات البدائي يمر أثناء نموه وتطوره بعدة مرحليات متغايرة يلتصق فيها ببعض المواضع والبيئات الأيكولوجية تكون أكثر ملاءمة للحفاظ عليه وتطوره.

لقد عمل أوسبورن لفترة حوالي ربع قرن (١٩٠٠-١٩٢٤) أستاذًا لأصول الإنسان وتطوره، كما عمل أستاذًا لعلم الحيوان لفترة عقد تقريبًا (١٩٢٤-١٩٣٥). وبرغم انشغالاته العديدة، فقد تمكن من تأليف بعض المؤلفات الهامة من بينها «من الإغريق إلى دارون» Form the Greeks to Darwin (١٨٩٤) و«عصر الثدييات» The Age of Mammals (١٩١٠) و«الأصل والتطور» Origin and Evolution (١٩١٧) .



٥- أوتو، رودلف (١٨٦٩-١٩٣٧) OTTO, Rudolf

الفيلسوف وعالم اللاهوت الألماني رودلف أوتو اشتهر بسبب تحليلاته العميقة للتجربة الدينية والروحية. ولد في عام ١٨٦٩ وعمل في عدد من أشهر الجامعات الألمانية، فكان أستاذًا في جامعة توبنجين Tobingen (١٩٠٤-١٩١٤)، وجامعة برسلاو Berslaw (١٩١٤-١٩١٧)، وجامعة ماربورج Marburg (١٩١٧-١٩٢٩) حيث قام بتدريس الفلسفة واللاهوت متأثرًا إلى حد بعيد في تفكيره ونظرياته بلاهوت شيلرماخر Schleiemacher (١٧٦٨-١٨٣٢) الذي يعتبر من وجهة نظر الكثيرين مؤسس اللاهوت البروتستانتي الحديث، وكذلك فلسفة إيمانويل كانط Kant (١٧٢٤-١٨٠٤) الذي يعتبر أحد أعظم الفلاسفة في جميع العصور، حيث أخذ منه موقفه في «نقد العقل النظري» الذي يذهب إلى أن البحث الإلهي مبحث ميتافيزيقي خالص لا قبل له بالعلم، وإن كان قد عاد في «نقد العقل العملي» لكي يستند أخيرًا إلى الأخلاق والدين، ومن ثم افترض أن للواجبات والالتزامات الأخلاقية مصدرًا إلهيًا على اعتبار أن الدين عند (كانط) هو المصدر الوحيد الذي يبرر للأخلاق والواجبات الأخلاقية. وأن الله هو المصدر الديني لفكرة الواجب الأخلاقي. وهذه كلها نواحي تسمو على الفكر ومختلف المواقف التي تجري في سياقات التاريخ الديني لنظريات الحدس الإرادي والشعوري والحدس الصوفي بأثوابها وألوانها الفلسفية.

ومع ذلك فقد نجح أوتو في تعزيز مواقفه وتحليلاته معتمدًا بالدرجة الأولى على كثير من الأمثلة التي التقى بها أو سمع عنها وتعرف عليها من خلال قراءته للإنجيل وللكتب الدينية الأصولية التي اهتمت ببحث التجربة الدينية وعناصرها ومقوماتها في مختلف الأديان والثقافات. وقد عبر عن ذلك في أشهر مؤلفاته المعنون «فكرة المقدس» The Ides of the Holy حيث مضى يناقشها على مستوى ديني وعلى مستوى علماني. وهذا اتجاه لقي على أي الأحوال الكثير من

الانتقادات، استنادًا إلى القول بأن مثل هذه التحليلات تعتبر أكثر ملاءمة للعقلية البدائية أكثر من التجربة الدينية في المجتمعات المتطورة والأكثر تقدمًا، وخاصة عندما تظهر مدى حساسيته للمواقف الفكرية والواقعية التي تنطوي على كل العناصر العقلية والعناصر اللاعقلية، ويظهر الميل إلى تأكيد الأخيرة التي يعتقد أنها تتجلى في التجربة الروحية والصوفية، ومن خلال تهويماته الفكرية التي يغلب عليها طابع الغرابة التي تتصف بها الشطحات الذاتية على وجه الخصوص. وهذه أحوال عرض لها في أعماله الأخرى التي تضمنت «مملكة الله» The King-dom of God، و«خطيئة الإنسان» The Sin of Man الذي صدر عام ١٩٣٤ .

• قراءات مقترحة •

- Schmidt, W., Origin and Growth of Religion, Facts and Theories, Trans by: H. J. Rosa. London. 1970 .



-P-

٦- بيج . س. هنت (١٩٠٩-) PAGE, C. HUNT

يعتبر تشارلس هنت بيج أحد القلائل الذين مازجت كتاباتهم بنجاح بين علم الاجتماع والأنثروبولوجيا، بالرغم من أنه نال درجة الدكتوراة في علم الاجتماع من جامعة كولومبيا عام ١٩٣٩ بعدما حصل على بكالوريوس الآداب من جامعة الينوى عام ١٩٣١، ولد عام ١٩٠٩ ، ونظرًا لمـازجته الناجحة بين النسقين العلميين فقد أصبح أستاذًا للاجتماع والأنثروبولوجيا في عدد كبير من الجامعات الأمريكية، وصار أستاذًا لكرسي الاجتماع بكلية «سميث» كما تبوأ منصب العمادة لكلية أدليا ستيفنسن بجامعة كاليفورنيا بسانتا كروز .

ومهما كانت شهرة بيج وسمعته العلمية فلا يمكن الحديث عنه بعيدًا عن زميله الإسكتلندي الأصل روبرت ماكيفر Mac Iver الذي ولد عام ١٨٨٢ . وبالرغم من فارق السن بينهما فقد كون الاثنان ثنائيًا متكاملاً وناجحًا على ما ظهر بصفة خاصة في كتابهما الشهير المشترك الذي أصدراه في عام ١٩٤٩ تحت عنوان «المجتمع: بناؤه وتغيراته» Society: Its Structure and Change حيث بدا واضحًا مدى ما يتمتع به بيج من قدرة على التحكم وتعقيل المادة التي بين يديه، ربما بشكل لا يتوافر لماكيفر الذي كان يتميز بإحساسه المرهف وربما العاطفي تجاه ما تتسم به مواقف الحياة الاجتماعية من تداخل وتشابك وغموض.

وكما هو الحال بالنسبة لماكيفر فقد يكون من الصعب الإحاطة تمامًا بكل إنتاج بيج لثرائه وتنوعه. فقد كتب في معظم ما يهم عالم الاجتماع المعاصر من قضايا وموضوعات حيث يبرز من بين مؤلفاته «النظام الطبقي» و«الحرية والضبط الاجتماعي» وهو الكتاب الذي يمثل أهم إسهاماته النظرية التي تجعله واحدًا من الشخصيات البارزة في علم الاجتماع المعاصر .

• قراءات مقترحة •

- انظر «ماكيفر» في الجزء الثاني من هذا الكتاب .

٧- بانتبرج ولفهارت (١٩٢٨) PANNENBERG, Wolfhart

ولد الفيلسوف وعالم اللاهوت الألماني ولفهارت بانتبرج في عام ١٩٢٨ وتلقى الفلسفة على أيدي الفيلسوف الوجودي كارل ياسبرز Jaspers (١٨٨٣-١٩٥٩) وعالم اللاهوت الكبير كارل بارت Barths (١٨٩٦) . وقام بتدريس اللاهوت في جامعة ميونيخ منذ عام ١٩٦٧ .

ينطلق تفكير بانتبرج من اعتقاد أساسي كان عنده أشبه بالمسلمات التي يؤمن بها إيمانًا راسخًا مؤداها أن الفلسفة والتاريخ ينبغي ألا يفترقا أو ينفصلا بشكل تام عن اللاهوت والعلوم الدينية، ولذا فقد تركز اهتمامه في السعي لإيجاد نوع من الاتساق أو المعنى الداخلي الكامن في جوهر الأشياء وما يقع من ظواهر وأحداث، وقد تأدى به هذا الهدف إلى محاولة إحياء التصور اللاهوتي القديم الذي يتكشف في الاعتقاد بشمولية وعدمية التاريخ وميتافيزيقيته، الأمر الذي انتهى به إلى الاعتقاد بأن الله وليست المخلوقات البشرية هو الذي يتمثل فيه التصور النهائي للتاريخ. وقد انبثق عن هذا موقفه القائل بأن الثيولوجيا لما كانت تدور أساسًا حول الذات الإلهية، فإن اللاهوت لا يمكن تصوره بعيدًا عن المعنى الذي ينطوي عليه وجود هذه الكائنات البشرية ومصائرها وما يقع من تطور اجتماعي.

وتتناول مؤلفات وأعمال بانتبرج العديد من أكثر المسائل التي ينطوي عليها اللاهوت حساسية وتعقيدًا. وأوضح مثال على ذلك مؤلفه «مسائل رئيسية في اللاهوت: مجموعة مقالات Basic Questions in Theology: Collected Essays الذي صدر في ثلاثة أجزاء ظهرت في الفترة من ١٩٧٠ - ١٩٧٣ . وكذلك كتابه الهام المعنون «الإيمان والحقيقة» Faith and Reality الذي ظهر عام ١٩٧٣، وكتابه «فكرة الله والحرية الإنسانية» The Idea of God and Human Freedom (١٩٧٣)، وكذلك مؤلفه «يسوع، الله والإنسان» Jesus: God and Man الذي صدرت طبعته الثانية المنقحة في عام ١٩٧٧ . وأيضًا «اللاهوت ومملكة الله» -Theology and The King

dom of God (١٩٧٩)، وكتابه «اللاهوت وفلسفة العلم» Theology and The Phi-losophy of Science (١٩٧٦)، وأيضًا «ما هو الإنسان؟» What is Man (١٩٧٠) .

• قراءات مقترحة •

- Gallaway, A. P., Wolfhart Pannenberg. 1973 .

- Tupper, E. F., The Theology of Wolfhart Pannenbery. 1973 .



٨- بانوفسكي، إروين (١٨٩٢-١٩٦٨) PANOFSKY, Erwin

ولد أروين بانوفسكي في ألمانيا عام ١٨٩٢، والتحق بكلية جامعة هامبورج عام ١٩٢١، وفي عام ١٩٣٣ اضطر لمغادرة ألمانيا والهجرة إلى الولايات المتحدة الأمريكية هربًا من اضطهاد النازيين. وفي أمريكا التحق بمعهد الفنون الجميلة التابع لجامعة نيويورك، وإن كان قد التحق في عام ١٩٣٥ بمعهد الدراسات الجميلة بجامعة برينستون حيث أصبح واحدًا من أشهر المتخصصين في الرمزية الفنية التي تهتم بدراسة الأيقونات Icondology والتماثيل والصور ذات الدلالات الدينية.

على الرغم من اهتمامه بدراسة الطرق التي تكتسب بها الصور والموضوعات معاني رمزية في مختلف الأعمال الفنية، إلا أن تركيزه على نطاق الأيقونات استغرقه في المراحل المبكرة من حياته التي كانت وقفًا تقريبًا على دراسة النهضة الإيطالية. ولكنه تحول بعد ذلك في فترة متأخرة (توفي عام ١٩٦٨) إلى الاهتمام بالفن في ألمانيا وهولندا على وجه الخصوص، ومضى ينخرط في مشروعه الكبير عن فن الرسم الألماني في القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وبذا أثرى المكتبة الفنية بالعديد من الدراسات والبحوث التي أضافت إلى النظرية الفنية على ما تعكسه كتاباته التي مازالت تتمتع بشهرة واسعة حتى بين غير المتخصصين وبخاصة كتابه Idea: A Concept in Art Theory الذي صدر له في نفس عام وفاته .

● قراءات مقترحة ●

- Works: Eearly Netherlandish Painting: Its Grigin and Character 1952.



٩- باريتو، فيلفريدو (١٨٢٨-١٩٢٣) PARETO, Vilfredo

عالم الاجتماع والاقتصاد الإيطالي فلفريدو باريتو ولد في باريس عام ١٨٢٨ ليصبح واحدًا من أقطاب المنظرين الاجتماعيين والاقتصاديين الذين تركزت إسهاماتهم التي أضافت إلى هذين المجالين، وذلك لإصراره على استخدام المنهج العلمي في التحليل الاجتماعي، وفي بناء النظرية الاجتماعية، وإن كان البعض لا يتردد في أن يصفه بالرجعية والمحافظة في علم الاجتماع على الأقل بسبب تأييده المطلق لفاشية الدوتشي موسوليني وتأييده للحكم المطلق.

وباريتو كان بارعًا - بحكم تكوينه العلمي - في استخدام الطرق الرياضية والإحصاءات التي يوظفهما في بناء نظريته في تفسير كيفية عمل النظم والأنساق الاجتماعية والظروف والشروط التي تحدد حالة هذه الأنساق. ومع أن الكثير من صياغاته الأصلية قد تعرضت للتغيير والتعديل، فقد نجح في وضع أساس متين للمعايير والمقاييس الاقتصادية واستنباط قانون توزيع الدخل والثروة الكلاسيكي وهو القانون الذي عرف باسم «قانون باريتو».

أما رؤيته لعلم الاجتماع فقد تبأورت في أنها نوع من الامتداد للاقتصاد. إذ إنه يرى أن علم الاجتماع إنما يتعامل أساسًا وبصفة أولية مع العناصر والمكونات اللامنطقية التي ينطوي عليها الفعل الاجتماعي مثل القيم والرغبات والأوهام والمظاهر اللاعقلانية في السلوك الإنساني التي يصعب مأسستها أو صياغتها والتعامل معها على أنها نظم كما هو الحال بالنسبة للاقتصاد، وكان هذا التحليل سبيله لنظريته عن الرواسب Residues أو المخلفات.

وفي محاولته للربط بين هذه المكونات والعناصر غير المنطقية للفعل الاجتماعي، فقد أخذ باريتو يطور نظرية مركبة للمجتمع باعتباره نسقًا اجتماعيًا .

والواقع أن أهم جانب في التطبيق الإمبريقي لنظريات باريتو إنما يتمثل في دور الصفوات Elites في المجتمع، ومن هنا فإن كتاباته عن الصفوة تعتبر أساسًا لتلك النظريات التي ذاع صيتها في علم الاجتماع السياسي على وجه الخصوص.

• قراءات مقترحة •

- Works: Cours d'economie Politique, 2 Vols, 1896 - 1897 .

- --------: Les Systémes Socialistes, 2 Vols. Paris, 1902 .

- --------: Transformatione della Democrazia, Milan. 1921 .

- --------: The Ruling Class in Italy Before 1900 . N. Y. 1950 .

وانظر أيضًا:

- Homans, George, An Introduction to Pareto N. Y. 1934 .

- Mills, C. Wright, The Power Elite. Oxford. U. P. , N. Y. 1956 .



١٠- بارك، روبرت (١٨٦٤-١٩٤٤) PARK, Robert (Ezra)

روبرت (عزرا) بارك عالم اجتماع ارتبط اسمه وحياته كلها بجامعة شيكاغو التي أصبحت مركزًا مشعًا للبحث الأيكولوجي. فهو من أكبر رواد المدرسة الأيكولوجية الحديثة وأحد البارزين في مدرسة شيكاغو لعلم الاجتماع وبخاصة في النصف الأول من القرن العشرين باعتباره من الرواد الأوائل الذين مهدوا لتطبيق الاتجاه الأيكولوجي على العلاقات الإنسانية والاجتماعية، وقام بصك مصطلح الأيكولوجيا البشرية مع بيرجس (انظر بيرجس Burgess في الجزء الأول من هذا الكتاب). وإن كان من المهم القول: إنه في عام ١٩١٥ نشر مقالاً عن المدينة وهو نفس العام الذي نشر فيه جالبن Galpin بحثه عن التشريح الاجتماعي لمجتمع محلي وإن لم يستخدم مصطلح الأيكولوجيا.

والأيكولوجيا البشرية كما قدمها بارك تعتبر نوعًا من الإحياء للحتمية البيولوجية التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر متمثلة في الداروينية الاجتماعية. وقد حاول هذا الاتجاه ربط الأيكولوجيا بالاتجاهات البيولوجية والجغرافية، وذلك من خلال الكشف عن الارتباط الأساسي بكل الجانب البيولوجي حيث طوروا كثيرًا من أدوات البحث وأساليبه مستخدمين الخرائط الكمية والكيفية خاصة تلك البحوث التي أجراها في فترات مختلفة من حياته أو تلك التي أجراها مع بيرجس في هذا المجال. فعلى مدى الفترة من عام ١٩٢١ حتى ١٩٢٣ قدم مع بيرجس وماكينزي بحثًا على غاية من الأهمية عن مناطق المدينة التي اعتبرها بارك ظاهرة طبيعية، ونتيجة للعديد من القوى غير المضبوطة وتتقسم إلى مناطق صناعية وتجارية وسكنية حيث يميل السكان ذوي الخصائص الثقافية والاعتقادية المتشابهة إلى التجمع في مناطق معينة، في الوقت الذي تؤثر الخصائص الثقافية والبيئية والاجتماعية للمنطقة على قاطنيها في نوع من الحتمية، وحيث يتم تبادل الأثر والتأثير.

والواقع أن النظرية السوسيولوجية الحديثة تدين كثيرًا إلى الدراسات الإمبريقية التي أجراها بارك وبيرجس، وبخاصة في الفترة من ١٩١٠-١٩٤٥ حيث انشغلت جامعة شيكاغو بدراسة منهجية لطبيعة الحياة بالمدينة الحضرية التي يقيم فيها، وقد انتهت الدراسة إلى إمكان القيام بتخطيط تجريبي لميدان الأيكولوجيا مستعينة برؤيته الخاصة للبناء الاجتماعي الذي كان يحدده إيكولوجيًا بأنه البناء الفيزيقي الثابت للمجتمع. وأن التغير لا يتصل بثبات هذا البناء أو استاتيكيته حيث يظل وحدة سيكولوجية واجتماعية يمثل عنصر المنافسة أهم العوامل في العملية الاجتماعية، ولكن دون أن يغفل عن عنصر الاعتماد المتبادل بين الظواهر، وكله مما يمكن قياس ملامحه ومظاهره قياسًا موضوعيًا باستخدام الصيغ الإحصائية والمعادلات الرياضية.

لقد توفي بارك في ناشيفيل Nashville وهو في الثمانين من عمره بعدما ترك أجيالاً من طلبته وتلاميذه الذين يأخذون بآرائه وأفكاره ونظرياته. ويكفيه فخرًا أنه يرجع إليه الفضل في التعريف بآراء وأفكار جورج زيمل Simmel (١٨٥٧-١٩١٨) للعديد من علماء الاجتماع الأمريكيين وخاصة في كتابه (مقدمة علم الاجتماع).

• قراءات مقترحة •

- Works: Introduction to the Science of Sociology .

وهو كتاب بالاشتراك مع بيرجس (١٩٢١).

---------: The Immigrant Press and Its Control (1922).

كما ظهر له في عام ١٩٢٥ كتاب «المدينة» وهو عبارة عن مجموعة مقالات كان قد كتب أغلبها. ثم ظهرت في عام ١٩٥٢ دراسته المونوجرافية «المجتمعات البشرية» Human Communities, Glencoe. Free Press. 1952 .



١١- بارسونز، تولكوت (١٩٠٢-١٩٧٩) PARSONS, Talcott

من أكبر المنظرين الأمريكيين في علم الاجتماع وخاصة في السنوات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية، ويقف على مستوى واحد مع بيتريم سوروكين Sor-okin على الرغم من اختلافاتهم الجوهرية .

ولد في كولورادو سبرينجز Colorado Springs في ١٣ ديسمبر عام ١٩٠٢، وكان لدراسته على يد مالينوفسكي Malinowski أكبر الأثر في توجهه النظري إلى الوظيفية حيث أثر مدخله الوظيفي Functional Approach في دراسة المجتمع ليس فقط في تشكيل علم الاجتماع الأمريكي خلال الخمسينات والستينات من القرن الماضي، ولكن كان له تأثيره المباشر في مختلف المجالات التي تعتبر وثيقة الصلة بعلم الاجتماع، وخاصة الأنثروبولوجيا وعلم النفس والتاريخ والاقتصاد، وهذا لا يبدو غريبًا نظرًا لأنه درس الاقتصاد من خلال كتابات مارشال والاقتصاديين الأوربيين الذين أعجب بهم جنبًا لجنب إعجابه بأميل دوركايم وفلفريدو باريتو الأمر الذي يتضح في كتاب «بناء الفعل الاجتماعي» الذي ظهر في عام ١٩٣٧ .

في هذا الكتاب The Structure of Social Action الذي يعتبر أول أعماله قدم بارسونز إلى علم الاجتماع واحدة من أمتع الدراسات التحليلية النقدية لفكر وأعمال ثلاثة من أهم علماء القارة، وهم: دوركايم، وباريتو، وماكس فيبر، وذلك من خلال تقديمه لنظريته الخاصة به والتي أسماها نظرية الفعل Action Theory والتي يمكن القول إنه استمدها بشكل ملحوظ من كتاباتهم، حيث ركز على حقيقة أن الفعل الاجتماعي هو الموضوع الأساسي لعلم الاجتماع، وهو نفس الشيء الذي يقرره فيبر على أي الأحوال، وذلك في الوقت الذي يؤكد الجانب المعياري للحياة الاجتماعية؛ إذ ينظر إلى الفعل الاجتماعي كسلوك ينطوي على توجيه قيمي كما تحدد نمطه المعايير الثقافية أو السنن الاجتماعية، فالمجتمع بهذا المعنى هو نظام أخلاقي في جوهره، أي أنه يرتكز على معايير ذات التزام أخلاقي كما يقول.

في نظريته للفعل الاجتماعي يحدد بارسونز إطاره الأساسي الذي يتضمن كل من الفعل والموقف، وتوجه الفاعل نحو هذا الموقف، حيث يميز في هذا التوجه بين الموجهات الدافعية والموجهات القيمية، وذهب إلى أن الأولى تتصف بالانفعالية والإدراكية والتقويمية على حين تراعي الثانية القيم ومعايير السلوك الاجتماعية.

والواقع أن قضية الموضوعية وإيجاد علم اجتماع متحرر من القيم والأحكام القيمية المذهبية أو الشخصية قد أخذت حيزًا كبيرًا من تفكير بارسونز وبخاصة في كتابه عن النظريات الاجتماعية في المجتمع المعاصر. وناقشها أيضًا في أحد المؤتمرات التي عقدتها الرابطة الاجتماعية الأمريكية (A.S.R) في شيكاغو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٥٨ وقدم فيه بحثًا بعنوان علم الاجتماع كمهنة تحتاج إلى التخصص المهني وإلى مناهج لابد من تطبيقها بموضوعية تمامًا كما تطبق مناهج العلوم الطبيعية. الأمر الذي يظهر في ثناياه مدى تأثره بفكرة دوركايم عن الظواهر الاجتماعية التي يجب أن ينظر إليها كأشياء قائمة بذاتها.

إن الموضوع الأساسي الذي دارت حوله النظريات السوسيولوجية عند بارسونز هو أداء الأبنية لوظيفتها. وفي رأيه أن التحليل البنائي الوظيفي يتطلب معالجة منهجية لمكانات وأدوار الفاعلين الذين يضمهم موقف اجتماعي معين، وكذلك للأنماط التنظيمية التي ينطوي عليها هذا الموقف. لقد وصف النظام بأنه ذو أهمية استراتيجية في أي نسق اجتماعي وهي عبارة تعني أن أداء النظام لوظيفته بقدر من الكفاية يحتل شرطًا أوليًا للاستقرار الذي يميز البناء أو النسق الاجتماعي المستقر عن النسق الاجتماعي بصفة عامة.

مثل هذه الأفكار ترددت كثيرًا في كتابه الهام الثاني الذي ظهر في عام ١٩٥١ . فعندما ظهر هذا الكتاب بعنوان «النسق الاجتماعي» The Social System كان ذلك إيذانًا بسلسلة من الأعمال التي سعى فيها إلى توضيح وبلورة نظريته ومواقفه التي تعتمد على وجهة النظر الوظيفية للمجتمع. وهي النظرية التي تفسر المجتمع كنسق كلي من النظم الاجتماعية التي يقوم فيما بينها اعتماد

متبادل بحيث يعتبر قيام كل نظام بوظيفته مسألة حيوية وضرورية لبقاء النسق الكلي.

وفي داخل هذا الإطار اهتم اهتمامًا خاصًا بمسألة القوة بعدما كان قد عرض لها من قبل في بعض كتاباته عن بعض المشاكل الأخرى، مثل مشكلة القهر والعنف حيث كان اهتمامه منصبًا أساسًا على دراسة الجوانب المعيارية كمرحلة أساسية.

لقد قام بارسونز بتدريس نظريته في جامعة هارفارد في قسم العلاقات الاجتماعية عام ١٩٤٦ بعد أن كان أستاذًا لكرسي الاجتماع في هارفارد عام ١٩٤٤ حيث كان مواظبًا على تدريس نظريته وأفكاره. وبالرغم من أنه قد وجهت إليه العديد من الانتقادات بسبب إغراق مفهوماته وتصوراته في التجريد مما يسم النظرية كلها بالاستاتيكية، فإن الشيء الخطير حقًا هو ما يراه البعض من أن بارسونز قد فشلت نظريته في إعطاء تفسير عقلي للتغير الاجتماعي والصراع، مما أدى إلى فيض من النقاشات والانتقادات للمدخل الوظيفي برمته. على الرغم من اعتقاده الأساسي الذي ظل مرتبطًا به وهو أن التحليل الوظيفي أمر مشروع وواجب دون الاعتماد فحسب على الأسس الإمبريقية أو الواقع المحسوس .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Structure of Social Action.

---------: The Social System .

---------: Sociological Theory and Modern Society. N. Y. 1972 .

---------: Action Theory and the Human Condition. Free Press. 1978 .

كما يمكن الرجوع أيضًا إلى:

- Rocher, G. Talcott Parsons and American Sociology. Tran. By: B. S. Menneh. 1944 .
- Menzies, k., Talcott Parsons and the Social Image of Man. 1977 .
- Burr, and, Francois, The Sociology of Tolcott Parsons 1981 .



١٢- بينو جيوسيب (١٨٥٨ - ١٩٣٢) PEANO, Giuseppe

أحد كبار المناطقة الإيطاليين الذين اشتهروا بسبب أعماله في المنطق الرمزي Symbolic Logic بالرغم من أنه يعتبر نفسه أقرب إلى التحليل الرياضي الأمر الذي له دلالته الخاصة. ولد في عام ١٨٥٨ ودرس الرياضيات في جامعة تورين التي انضم لها في عام ١٨٨٠، حيث أصبح أستاذًا في ١٨٩٠ بعد عام واحد من نشر مسلماته الشهيرة في ١٨٨٩، وهي المسلمات التي أطلق عليها بدهيات بينو Peano Axioms أو حقائق بينو المقررة، ولكنها أصبحت فيما بعد تعرف بالأعداد الطبيعية Natural Numbers.

في عام ١٨٩١ أسس بينو مجلته العلمية التي أطلق عليها اسم «إحياء الرياضيات» حيث كرست جانبًا كبيرًا من جهودها للمنطق وأسس الرياضيات على وجه الخصوص. وإن كان قد اهتم كذلك باللغويات الدولية واسعة الانتشار، مما دفع به إلى اختراع تلك اللغة الصناعية التي عرفت باسم Interlingua التي بنى مفرداتها من مركب من الإنجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية .

● قراءات مقترحة ●

- Kennedy, Herbert C., Giuseppe. Peano. 1974 .



١٣- بيدرسون، هولجر (١٨٦٧-١٩٥٣) PEDERSON, Holger

لغوي دانيماركي ولد في عام ١٨٦٧ وله إنجازات وإسهامات كبيرة في عدة مجالات وبخاصة الدراسات المقارنة لنحو وصرف اللغات السلتية Celtic وهي مجموعة من اللغات تنتمي إلى العائلة الهندوأوربية وتشمل لغة ويلز Welch وبريتون Breton وغيرهما ضمن الشعبة الغربية من هذه العائلة الرئيسية مثل (الغال) Gaulich أو الإيرلندية القديمة وغيرها مما كان يجرى به الحديث في بريطانيا قبل الغزو الأنجلوسكسوني.

وبعد حصوله على درجة الدكتوراة في ١٨٩٧ التحق بجامعة كوبنهاجن حيث أثرى البحوث اللغوية بعدد من البحوث والمؤلفات إلى جانب عدد كبير من المقالات التي تناولت العديد من القضايا والمشكلات اللغوية الشائكة. وقد ظهرت نتائج بحوثه في اللغويات السلتية فيما بين ١٩٠٩-١٩١٣ في عدد من المؤلفات الهامة وبخاصة مؤلفه بعنوان «المختصر في تطور اللغة السلتية Concise Comparative Celtic Grammer (بالاشتراك مع هـ. لويس H. Lewis). إضافة إلى حوالي ٣٠ مؤلف ألفها في اللغات الدانيماركية والإنجليزية والفرنسية والأرمينية والروسية، علاوة على بعض اللهجات الهندوأوربية مثل اللتوانية والطورانية.

وبالرغم من أن نشاطه امتد إلى المدرسة النرويجية للغويات حيث اعتبر من رواد الفكر اللغوي الجديد وعمل على نشر المنهجية المستخدمة في البحث اللغوي، فإن ما يتميز به حقيقة هو إسهامه في إثراء البحث الفونولوجي Phono-logical أو علم الأصوات التركيبي، أو علم الأصوات الذي يهتم بدراسة وظيفة الأصوات في السياق اللغوي وما بينها من علاقات بمعنى النظام الصوتي حيث اهتم بدراسة العلاقات بين اللغات الهندوأوربية واللغات السامية.

● قراءات مقترحة ●

- Works: The Discovery of Language. 1962,

بعد وفاته بسنوات.

--------: Particlular Regard to the Historical Study of Phonology

وقد نشر عام ١٩٨٠ .

١٤- بدرسون، جوهانز بيدر (١٨٨٣-١٩٥١)
PEDERSON, Johannes Peder

يعتبر حجة في الإسرائيليات والدراسات العبرية. كما اعتبرته الأوساط العلمية والبحثية أحد أهم فقهاء وفلاسفة اللغة Philology للدراسات التاريخية للغات حيث اهتم اهتمامًا خاصًا بدراسة اللغات السامية، وأيضًا لتركيزه على دراسة العهد القديم Old Testement حيث برزت نظريته الخاصة بالعقائد الإسرائيلية وأنماط تفكيرهم التي أقاموها على البحث والدراسة التاريخية والعقيدية والاجتماعية بصفة خاصة.

ولد في الدانيمارك عام ١٨٨٣، والتحق بجامعة كوبنهاجن عام ١٩٠٢ كأحد الطلاب الذين جذبتهم دراسات السر المقدس إذ أثارت فيه قراءته للعهد القديم شغفه وأيقظت قدراته البحثية. كما درس اللغات السامية Semitic على أيدي فرانز بوهل Buhl وعندما تخرج عام ١٩٠٨ سافر خارج بلده الدانيمارك لمدة ثلاث سنوات واصل فيها دراساته على أيدي هنرليش زيمرن Zimmern وأوجست فيشر Fischer، وكريستيان سينوك هارجيروني Sinouck Hurgronje ومعهم ثلاثتهم جولدسيهر Goldziher ونال درجة الدكتوراة في علوم وأسرار العهد القديم خلال الفترة من ١٩١٦ – ١٩٢٢، وأصبح حينذاك أستاذًا لفقه وفلسفة اللغات السامية، واستمر في ذلك من ١٩٢٢ حتى عام ١٩٥٠ خلفًا للأستاذ بوهل، خاصة بعدما أتاحت له قدراته البحثية أن يلج دوائر كبار اللغويين الذين وقفوا حياتهم وجهودهم على دراستهم للخصائص والملامح الشرقية القديمة مما انعكس في بعض أعماله الرائدة حيث يعتبر عمله الرئيسي «إسرائيل: حياتها وثقافتها Israel: Its Life and Culture» في مقدمتها. وهو عمل ظهر في أربعة مجلدات فيما بين ١٩٢٠ و ١٩٣٤، وترجم للإنجليزية في ١٩٢٦ و ١٩٤٠ .

وقد يكون من المهم القول بأن تصور بدرسون لأهمية الطقوس قد قاده في كثير من الأحيان إلى اتخاذ بعض المواقف التي عجلت بانشقاقه عن جوليوس فيلهوزن -Well hausen ومدرسته خاصة فيما يتعلق بتأكيداته على الحواريات والقوانين والمبادئ الأساسية في البنتاتج Pentatench أو أسفار موسى الخمسة كمصادر لتاريخ إسرائيل.

١٤- باي، ماريو آندرو (١٩٠١-١٩٧٨) PEI, Mario (Andrew)

عـالم لغـة أمـريكي من أصل إيطالي، إذ ولد في رومـا عـام ١٩٠١، وكـان في السابعة من عمره عندما هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت لكتاباته تأثير كبير لتعريفه الجماهير بأصول وفقه اللغة Philology .

والواقع أن باي كان يتمتع بشخصية ذات مزايا فريدة. فما كاد ينتهي من المرحلة الثانوية حتى كان يتقن تمامًا عدة لغات إلى جانب الإنجليزية بلغ عددها حوالي ثلاثين لغة، علاوة على معرفته بحوالي مائة لغة أخرى سواء من حيث بنائها أو صرفها على مستوى العالم الذي يموج بحوالي ثلاثة آلاف لغة متفرقة ومبعثرة في مختلف أنحاء المعمورة.

ولقد تخرج باي في جامعة كولومبيا التي التحق بها عام ١٩٣٧، ولم تمض سنوات حتى أحاط بالعديد من اللغات القديمة من بينها السنسكريتية Sanskrit والسلاقية القديمة Slavonic التي تشتمل على الروسية والبولندية وتعتبر ضمن الفصيلة (العائلة) الهندوأوربية، واللغة الفرنسية القديمة Prehistoric Old French. وقد ظل أستاذًا لفقه اللغة من عام ١٩٥٢ إلى عام ١٩٧٠ صدرت له خلالها عدة مؤلفات من بينها «قصة اللغة» The Story of Language (١٩٤٥)، و«قصة اللغة الإنجليزية» (١٩٥٢) بخلاف كتاباته الأخرى التي غلبت عليها المسحة الاجتماعية مثل «أمريكا التي فقدناها» The America We Lost قبل وفاته عام ١٩٧٨ بفترة قصيرة.

● قراءات مقترحة ●

- Works: The Consumer's Manifesto 1960 .

- -------: The Concerns of a Conservative, 1968 .



١٦- بيري، رالف بارتون (١٨٧٦-١٩٥٧) PERRY, Ralph Barton

فيلسوف وعالم تربية أمريكي اشتهر بكونه مؤسس مدرسة الواقعية الجديدة في الفلسفة البراجماتية الأمريكية.

ولد بيري بارتون عام ١٨٧٦ وتلقى تعليمه في بعض المدارس الخاصة في فيلادلفيا وبرنستون حيث نال درجة الليسانس عام ١٨٩٦ . والتحق بجامعة هارفارد التي نال منها درجة الماجستير عام ١٨٩٧ ثم حصل على الدكتوراة عام ١٨٩٩ .

وقد بدأ بارتون مسيرته العلمية كمدرس للفلسفة لفترة بلغت حوالي نصف قرن عندما التحق بكلية ويليامز، وبعدها سميث كوليج في نورث هامبتون، ولكنه ذهب إلى هارفارد عام ١٩٠٢ حيث بقي إلى أن تقاعد في عام ١٩٤٦ بعدما أصبح أستاذًا في عام ١٩١٣، وبعد تقاعده عمل أستاذًا للفلسفة في جامعة جلاسجو لمدة عامين حتى ١٩٤٨ .

ولقد تأثر بارتون تأثرًا كبيرًا بالفيلسوف وليم جيمس James (١٨٤٢-١٩١٠) ونتيجة لذلك مضى يؤسس مدرسة الواقعية الجديدة New Realism التي جعلت همها تطوير فلسفة وليم جيمس الذرائعية (براجماتية) التي سعت إلى تجاوز مظاهر التقدير التقليدي للمجردات والمثل والتفكير العقلي والآلية المحضة، فارتبط ومعه جون ديوي Dewey (١٨٥٩-١٩٥٢) باتجاههما البراجماتي، ونورث هوايتهد Whithead (١٨٦١-١٩٤٧) بتطور الحياة والعملية التطورية. وفي هذا الاتجاه عمل محررًا لأعمال الفيلسوف الأمريكي الكبير، وجمعها في عمل ضخم «شخصية وتفكير وليم جيمس» صدر عام ١٩٣٦ . ونال عليه جائزة بوليتزر Pu-litzer في العام نفسه. ولبارتون العديد من الكتابات والمؤلفات من بين أهمها «المدخل إلى الفلسفة The Approach to Philosophy (١٩٠٥) و«الصراع الحالي بين المثاليات» The Present Conflict of Ideas (١٩١٨)، و«نظرية عامة في القيم»

Shall not Perish from «ولـن تـفـنـى مـن الأرض» General Theory of Values
. (١٩٤٠) Earth

• قراءات مقترحة •

Works: Puritanican and Democracy, 1944 .

------- : The Citizen Decides, 1951

--------: Realism of Value

وقد كان هذا الكتاب آخر أعماله وصدر قبل وفاته بثلاثة أعوام (١٩٥٤).

★ ★ ★

١٧- بيري، وليم جيمس (١٨٨٧-١٩٤٩) PERRY, W. James

وليام جيمس بيري أنثروبولوجي بريطاني يعتبر واحدًا من مناصري النظرية الانتشارية (المدرسة الانتشارية) للثقافة التي سادت في منتصف القرن التاسع عشر حتى أوائل القرن العشرين والتي يعتبر أدولف باستيان Bastian عالم الأنثروبولوجيا الألماني (١٨٣٦–١٩٠٥) من كبار أنصارها .

ولد بيري عام ١٨٨٧ وكرس جهوده لتطوير هذه النظرية انطلاقًا من تصور السير إليوت سميث Eliot Smith القائل بأن كل الحضارات القديمة بدأت عن طريق الهجرات الواسعة من مصر القديمة Ancient Egypt ولكي يؤكد هذه النظرية ذهب إليوت إلى أن الملاحين والنوتية المصريين القدامى انتشروا في مختلف أنحاء العالم بحثًا عن بعض الكنوز، وكانوا يحملون في تنقلاتهم هذه مختلف الأفكار والتصورات والقيم التي كانوا يؤمنون بها مثل عبادة الشمس Sun-worship وهندسة الأهرامات وطرائق الزراعة التي تعتمد على الري.

ولقد درس بيري في جامعة مانشستر فيما بين عامي ١٩١٩ و ١٩٢٣ ، وفي جامعة لندن من ١٩٢٣ إلى ١٩٣٩ . وعندما نشر كتابه المعنون «أطفال الشمس» Children of the Sun (١٩٢٣) اكتسب هذا الكتاب شهرة ذائعة، كما أسهم في جعل تصورات الاتجاه الانتشاري وأفكاره أمورًا شعبية وذائعة إلى أبعد الحدود خصوصًا فيما يتعلق بمشكلات البحث عن تفسير للظواهر الكلية التي تنتمي إلى الجنس البشري بأكمله، وهو يقول بهذا الصدد بوجود ما يعتبر أفكارًا أولية أو أساسية توجد في كل الشعوب، وأن السمات الثقافية والأساطير والمعتقدات والفولكلور وما إلى ذلك من الصور والأشكال الثقافية إنما تتأصل في أعماق الجماعات البشرية، وفي ضميرها. مما يعني أن هناك وحدة سيكولوجية عامة يشارك فيها الجنس البشري هي التي تعتبر مسئولة عن الكل الثقافي المعقد بما في ذلك الأفكار والأشكال الثقافية التي تنتشر بين الجماعات العرقية Ethnic Groups، وذلك وفقًا لقوانين التطور الثقافي، ومن ثم فهي متشابهة بالضرورة،

ومن جنس واحد بحكم طبيعتها، وإن اختلفت فهي اختلافات ظاهرية من حيث الشكل فحسب بسبب الظروف البيئية والجغرافية .

وبالرغم من أن الكثير من هذه الأفكار التطورية لم يعد مسلمًا به تمامًا وبخاصة بعد ظهور الاتجاهات الأكثر حداثة التي أرجعت المقولات الأساسية للفكر إلى أصل اجتماعي، على ما ذهب دوركايم رغم ما وجه إليه من انتقادات، فإن نظرية بيري مازالت تتمتع بالاعتبار والشهرة، وتلعب دورًا في فكر عدد من الأنثروبولوجيين وعلماء الاجتماع وعلماء النفس حتى أن هناك من يعتقد أن مفهوم اللاشعور الجمعي الذي قدمه كارل يونج قد اعتمد كثيرًا على بيري، واستمد أساسًا من نظرية باستبارن في الأفكار الأولية.



١٨- بترى، السير وليام ماثيو فليندر (١٨٥٣ - ١٩٤٢)
PETRE, Sir William Mathew Flinder

السير وليام ماثيو فليندر عالم التاريخ وآثار ما قبل التاريخ البريطاني ولد في عام ١٨٥٣، واعتبر في أيامه أشهر علماء الآثار الذين قاموا بالحفر والتنقيب في مصر ليس فقط لاكتشافاته التي توصل إليها، ولكن باعتباره علمًا من الأعلام الذين توصلوا إلى العديد من المناهج الجديدة في البحث والتنقيب.

وتعتبر حياة بتري التي امتدت ٨٦ عامًا نموذجًا جديرًا بالإعجاب والتقدير. فهو لم يدخل منذ نشأته الأولى أية مدرسة منتظمة أو جامعة، ولكنه علم نفسه بنفسه منذ طفولته. وبالرغم من أن أباه لم يكن رجل أدب أو فكر، إذ كان مهندسًا، فقد ساعده هذا لأنه أخذ يطلعه على وسائل البحث وكيفية القيام بالمسوح .

بعثته الأولى إلى مصر كانت من ١٨٨٠ إلى ١٨٨٢ حيث قام بمسح لمنطقة الأهرامات الثلاثة بالجيزة. ولكنه في الفترة من ١٨٨٤ و ١٩٢٦ تمكن من اكتشاف أكثر من ٣٠ موقع أثري منها موقعان يعتبران من أروع ما أمكن الكشف عنه، وهي الكشف المتعلق بالنقوش وبتماثيل مرنفتاح Mernerptah (١٢٢٣ ق.م - ١٢٣٦ ق.م) التي تحتوي على المرجع الوحيد المعروف عن إسرائيل في الأدب المصري القديم، وأيضًا الكشف عن مجموعة رائعة من الكنوز التي عثر عليها في اللاهون Illahun التي كانت لإحدى أميرات الأسرة الثامنة عشر حوالي (١٨٨٠ ق.م) .

ولم تكن بحوث بتري وقفًا على مصر؛ لأنه بعد عام ١٩٢٦ قام بتنقيباته في فلسطين Palestine ، كما أصبح أستاذ كرسي المصريات القديمة في بونيفرستي كوليج في الفترة من ١٨٩٢ إلى ١٩٣٣ . ولهذا لم يكن غريبًا أن اشتهر بمؤلفاته التي بلغت أكثر من ٩٠٠ مقالاً وحديث علمي بخلاف ١٠٠ كتاب في أمهات المسائل والقضايا الأثرية والتاريخية .

• قراءات مقترحة •

- Works: Petrie, W. M. F., Seventy Years in Archaeology. 1931.

وانظر أيضًا:

- Dawson, W. R., Who was who in Egyptalogy. nd rev by: E. P. Uphill. 1972.

١٩- بيك، كينيث لي (١٩١٧) PIKE, Kenneth (Lee)

أنثروبولوجي ولغوي أمريكي، اشتهر بسبب دراساته للغات Aborginal المسكيك، وتنقلاته الواسعة بين دول أمريكا الجنوبية، إذ قام بالتدريس بعمل عدة دراسات في بيرو والإكوادور وبوليفيا وغينيا الجديدة وجاوة ونيجيريا ونيبال، واستراليا، والفلبين. وأيضًا لكونه مبدع الزخارف والشعارات البيانية Tagmemics التي تعتبر نموًا أو ثمرة للمقوم الأساسي في التحليل البلومفيلدي Bloomfield والذي يتبلور في نظريته العامة في السلوك البشري والذي تحدث عنه ووصفه في كتابه «الضحك وعلاقته بنظرية تأليفية ودوره في بناء السلوك الإنساني» الذي صدر في ٣ أجزاء من عام ١٩٥٤ إلى ١٩٦٠ .

والميمك Tagmeme باختصار عبارة عن تجميع أكبر وحدة لها وظيفة في شرح موضوع تتفرع عنه وحدات تتضافر لتوكيد حقيقة أو نهاية ما، وهو أداة مناسبة جدًا لوصف لغة أمريكا الوسطى وأمريكا الجنوبية. كما يعتبر أيضًا وسيلة أو أداة في التحليل اللغوي، وإن كان يختلف جزئيًا عما نجده في لغويات ليوناردو بلومفيلد من حيث إن السيمانتيك Semantic مثل وظيفة السيناتيك Syntactic تقوم بتجميع أو توحيد هذه النهايات أو المعارف والمحسنات البيانية.

وفي الفترة من ١٩٥٥إلى ١٩٧٧ ترأس بايك كرسي اللغويات بجامعة ميتشجان التي نال منها درجة الدكتوراة سنة ١٩٤٢، هذا بالإضافة إلى دراساته في الفونولوجي Phonology إلى جانب العديد من الكتب والبحوث من بينها إنسان النغم Tone في لغات بورما في نيبال في أربعة أجزاء (١٩٧٠) والتحليل الجراماتيكي Grammatical Analysis (١٩٧٧).



٢٠- بود جوركي، آدم PODGOREKI, Adam

أستاذ علم الاجتماع القانوني بجامعة وارسو. اشتهر بسبب كتاباته وبحوثه التي أسهمت في إثراء هذا الميدان لفترة تزيد على ثلاثين عامًا، فكان من القلائل على مستوى العالم الذين تهافتت الجامعات الأمريكية والأوربية على دعوتهم والترحيب بهم. فعمل أستاذًا زائرًا في جامعة نورث وسترن (١٩٦٧)، وجامعة بنسلفانيا (١٩٧٢). وزميلاً في أولدسولز في اكسفورد، ومركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية في جامعة ستانفورد بكاليفورنيا (١٩٧٣). كما أنه عضو مؤسس للجنة البحوث لعلم الاجتماع القانوني الذي تأسس عام ١٩٦٢، ولجنة البحوث للهندسة الاجتماعية (١٩٧١) في الرابطة الدولية لعلم الاجتماع، مما أتاح له فرصة المشاركة في إعداد وتخريج آلاف الباحثين والقانونيين النابهين بعدما أثرى هذه الجامعات والمراكز بعلمه وجهوده.

كان يقول دائمًا: إن المجتمع الحديث هو مجتمع قانوني بكل المعايير. ولهذا سعت جهوده إلى استقصاء الحقيقة القانونية والحقيقة الاجتماعية وليس مجرد الاكتفاء بالدراسة الفقهية التحليلية التي كان يعتقد أنها تمثل محور اهتمام جانب كبير من الفقه القانوني. ففي اعتقاده أنه بالرغم من أن الدراسة القانونية قد نجحت في الوصول إلى نتائج لا بأس بها فيما يتعلق بصياغة المفاهيم والتصنيفات إلا أن الفقه التقليدي أو ما يعرف بالدولة والقانون مازال غير قادر على الإحاطة بالخلفية الواقعية اللازمة للتنظير والبحوث الميدانية على السواء خاصة وأن تعقد العملية الاجتماعية في صلتها بالقانون والضبط والإدارة قد أصبحت أكثر صعوبة عما كانت عليه من قبل رغم تداخل نطاقات كل من القانون وعلم الاجتماع القانوني والإمبريقي كما تعكسهما ظروف ووضعيات القرن الحادي والعشرين.

في رأيه أن الفقه القانوني مازال مهتمًا بشرح القانون في الوقت الذي لا يعطي القدر المناسب من الاهتمام إلى دراسة وفهم القانون باعتباره عنصرًا من

عناصر الحقيقة الاجتماعية، وإنما باعتباره ظاهرة يمكن تحليلها في ضوء المبادئ المذهبية، مما يستدعي ضرورة مراجعة كثير من التصورات التقليدية السائدة في ميدان الفقه القانوني.

ونتيجة لهذا الموقف المبدئي كانت كتاباته تنطوي على نوع من العداء للتشريع وللتقنين بوجه خاص في مقابل الأولوية التي يمنحها للعرف الذي اعتبره المصدر الأول للقانون، وعلى اعتبار أنه ما درج عليه الناس وأنه انعكاس للشعور الجماعي الناشئ عن تفاعل الظروف الخاصة بالمجتمع، ويسير في تطوره مع تطور هذا الشعور ليعبر دائمًا عن أثر التفاعل القائم بين عناصر الحقيقة الاجتماعية جميعها. بينما التشريع تتدخل فيه الإرادة الواعية المدبرة على حين ينبغي أن يقتصر دوره على تسجيل القواعد التي تكونت بالفعل بعد ضبطها وإيضاحها على ما يقول. إذ ليس من وظيفة المشرع خلق القانون. وفي هذا ما يفسر الخشية من أن يتجاوز المشرع هذه الوظيفة (تسجيل القانون) فيأتي بقواعد غير ملائمة؛ أو أن يقف المشرع عن ملاحقة التطور، فتصبح القوانين التشريعية فيما بعد تعبيرًا غير صادق عن حاجات المجتمع وظروفه وهي قاعدة أساسية في المذهب التاريخي الذي أثر تأثيرًا واضحًا في الفكر القانوني وبخاصة على أيدي أمثال سافيني Savigny الذي اشتهر بمحاربته الدعوة إلى تقنين القانون في ألمانيا، فمن الخطأ أن تصب القوانين في قوالب جامدة في نصوص تطبعها بالجمود، فالنظم القانونية دائمة التغير، وبذلك يهاجم المدرسة التحليلية التي اعتبرت القانون شيئًا ثابتًا لا يتغير.

وعمومًا فقد مضى نزولاً على كل هذا يعرف علم الاجتماع القانوني الذي رأى أن مهمته لا تتمثل فحسب في تسجيل وصياغة أو تصنيف الارتباطات والعلاقات الداخلية العامة الموجودة بين القانون وباقي الجوانب الاجتماعية، ولكنها تتمثل في أنه يحاول بناء نظرية عامة تفسر العمليات الاجتماعية التي يتضمنها القانون، وكأنه يربط بين هذا النظام والمعرفة الاجتماعية المتراكمة. وفي ضوء هذا الفهم نجد أنه قدم دراسة رائدة عن الاتجاهات نحو محاكم العمال أبرزت حقيقة أن وظيفة القانون

يمكن الوقوف عليها من خلال تلك العلاقة بين القانون وبين الجماهير على وجه الخصوص حيث يبرز نوع من الاتفاق الجماهيري الذي أصبح بالغ التأثير في المجتمع الحديث .

• قراءات مقترحة •

- Works: Law and Society. 1974 .

---------: The Sociology of Law. 1962 .

----------: Worker Courts. 1969 .

---------: The View of Polish Society on Morality and Law. 1971 .

---------: Legal Phenomena in Public Opinion. 1964 .



٢١- بوبر، كارل رايموند (١٩٠٢ - POPPER, Karl Raimund

السير كارل رايموند بوبر ولد في فيينا عام ١٩٠٢ ويعتبر أحد كبار الفلاسفة الذين تخصصوا في فلسفة العلوم وكان له في هذا المجال تأثيره البالغ. تعلم في جامعة فيينا التي درس فيها الرياضيات والمنطق والفلسفة، كما درس في جامعة نيوزيلاند New Zealand ثم في مدرسة لندن للاقتصاد London School of Economic حيث أصبح أستاذًا للمنطق ومناهج العلوم في عام ١٩٤٩ .

وكارل بوبر يعتبر من وجهة نظر الكثيرين من كبار نقاد المذهب الوضعي وموقفه الذي لا يتغير الذي لا يعترف بأن هناك تحولاً تاريخيًا. وباعتباره مناصرًا للعقلانية النقدية فقد انتقد هذا المذهب وهاجم هجومًا عنيفًا بعض الفرضيات الأساسية في الوضعية المنطقية Logical Positivism وكل أشكال الإمبريقية التي سادت قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، وبخاصة في الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا. وهذه الناحية قد شهدت العديد من المناقشات والمساجلات الفكرية بين بوبر وأدورنو Adorno خاصة في المؤتمر الذي عقدته الجمعية الاجتماعية الألمانية عام ١٩٦١ عن الوضعية حيث كانت لكارل بوبر نظرة خاصة تتلخص في أن عمل الفلسفة لا يتمثل في مجرد تحليل اللغة أو اختزالها وإنما في استخدامها في التعلم وفي كشف الحقائق عن العالم المحيط. كان بوبر يرى أن «المعرفة» قد تقدمت نتيجة لرفض النظريات المسلم بها والتي لا يمكن مقارنتها بالحقائق، وأنها (أي المعرفة) نجحت بذلك في تقديم نظريات جديدة أعتقد أنها أقدر على فهم هذه الحقائق.

إلا أن أدورنو رفض هذه العقلانية الانتقادية التي قال بها بوبر ووصفها بأنها لا تعدو أن تكون شكلاً آخر من الوضعية التي يدعي مهاجمتها. لأن تضارب النظريات وتناقضها مع (الحقائق) إنما هو التعبير الضروري للإصرار على موضوعية الحقائق الاجتماعية، وبهذا تكون الحقائق وليس النظريات هي ما ينبغي أن توجه الانتقادات إليه.

وبالرغم من أن مناقشات أدورنو قد امتدت إلى الفرضيات الأساسية التي يقول بها بوبر بصدد العلوم الاجتماعية والوضعية الراهنة لعلم الاجتماع الألماني كما امتدت إلى طبيعة العلاقة بين النظرية والموضوع، وطبيعة التجربة في العلوم الإمبريقية التحليلية ووجه لكل هذا العديد من الانتقادات فقد نجح بوبر في اكتساب شهرته كفيلسوف في مقدمة فلاسفة العلوم. وذلك من خلال كتابه «منطق الكشف العلمي» Logic of Scientific Discovery الذي صدر عام ١٩٥٩ وتضمن مشكلة الاستقراء عند الفيلسوف الإنجليزي دافيد هيوم Hume (١٧١١-١٧٧٦) تأسيسًا على مبدئه في التكذيب أو القابلية للتكذيب. ومع أن هذا الكتاب قد ترجم إلى الإنجليزية عام ١٩٦٩ وتمتع بكثير من الترحيب. فإن أشهر أعماله وأكثرها انتشارًا ربما هو كتابه «المجتمع المفتوح» The Open Society and Its Enemies (١٩٤٥)، وكذلك كتابه «عقم المذهب التاريخي» The Poverty of Historicism (١٩٥٧) الذي تضمن نقدًا عنيفًا للنظريات التقليدية على أساس من المنطق والمنهج .

كانت النظرة القائلة بأن هناك قوانين للتطور والنمو التاريخي موضع انتقاد عنيف منه لما تؤكده من إمكانية التنبؤ التاريخي. وفي تأكيده كذب المنهج التاريخي ذهب إلى أن التاريخ الإنساني يتأكد في مسيرته بنمو المعرفة الإنسانية، وأنه لا يمكن معرفته بالطرق العلمية أو العقلية مما يعني ضرورة رفض إمكان قيام تاريخ نظري أي إمكان قيام علم تاريخي يقابل علم الطبيعة النظري، ولا يمكن قيام نظرية علمية في التطور التاريخي تكون أساسًا للتنبؤ التاريخي.

ولكن كتابه «تحرزات وتفنيدات» Conjecture and Refutations الذي قدمه عام ١٩٦٣ قد تضمن بعض الموضوعات التي سبق أن أثارها بوبر في كتابه الأول بعدما أعاد صياغتها مما أثار من حولها الكثير من المناقشات التي ترتبط بنظرية المعرفة وغيرها من المجالات. أما كتابه «المعرفة الموضوعية» Objective Knowledg الذي صدر في ١٩٧٢ فهو يتضمن أيضًا نظرة أكثر جدة وبعض المواقف التي أعيدت صياغتها لبعض القضايا التي أثارها من قبل. بينما كان

كتابه «الذات والمخ» Self and Its Brain (١٩٧٧) الذي ألفه بالاشتراك مع جون إيكلز Eccles فقد أفسحه لرؤاه في بعض مشكلات العقل والبدن حيث قدم نظرية في التفاعلية الثنائية Dualistic Interactionism.

• قراءات مقترحة •

- Ackerman, Robert J., The Philosophy of Karl Popper. 1976 .

- Magec, Brain, Karl Popper. 1973 .

- Schilpp, Pual A, ed. The Philosoply of Karl Popper. 2 Vols. 1974.

- Frich, David; The Popper - Adorno Controversy: The Methodological Despute in German Sociology. Philosophy of the Social Sciences. Vol. 2 . No. 2. 1972 .



٢٢- بولانتزاس، نيكوس (١٩٣٦-١٩٧٩) POULANTZAS, Nicos

لعل الكثيرين من قراء العربية حتى من بين المتخصصين في علم الاجتماع لا يعرفونه تمامًا، أو ربما حتى لم يسمعوا عنه من قبل، ذلك بالرغم من أنه يتمتع بشهرة واسعة في أوساط الغرب وخاصة في الجامعات الأوربية والأمريكية. فهو واحد من هذه العقول النابهة التي ينتمي أصحابها إلى حركة اليسار الجديد التي تفجرت وبخاصة في فرنسا منذ أواخر الخمسينات من القرن الماضي، وحاول مع لفيف من أذكى العقول - ربما بتأثير كتابات جرامشي Gramaci (١٨٩١ - ١٩٣٧)- من أمثال ماركيوز Marcuse (١٨٩٨-١٩٧٩)، ولوسيان جولدمان Goldman (١٩١٢-١٩٧٠)، ولوي التوسير Althusser (/١٩١٨ ١٩٨٠) وغيرهم تقديم نظرية راديكالية جديدة تسعى إلى تعميق الفكر الماركسي في ضوء ما اعتبر أنه رد فعل لظروف المجتمع الصناعي الرأسمالي لكي تساعد في تعميق فهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع الحديث، وتحرير الإنسان وتحرير وعيه من مختلف القوى والقيود التي تكبل حركتهما، بدلاً من الاستمرار في الدوران في فلك تلك الأسماء الضخمة لرواد علم الاجتماع ومؤسسيه الأوائل مع أنها فقدت جدتها وصارت كلاسيكية بمختلف المقاييس.

اسمه نيكوس بولانتزاس Poulantzas فيلسوف وعالم اجتماع ماركسي يوناني ولد في ٣٠ سبتمبر عام ١٩٣٦ . درس القانون في اليونان وكان عنصرًا نشطًا في حركة الطلبة Student Movement التي انبثقت عام ١٩٦٨ وعمت مختلف أنحاء أوربا وشارك هو في أحداثها مشاركة اتسمت بالحركة والإيجابية على العكس من موقف زميله لوي التوسير الذي اتسم بالانطواء والسلبية، مما أغضب الطلاب وأثار الجماهير. وعلى أية حال فقد ترك بولانتزاس بلده اليونان ورحل إلى فرنسا حيث اشتهر في السبعينات كماركسي بنائي Structural Marxist بالرغم من أنه كان قد بدأ طريقه مؤيدًا لمواقف لينين وآرائه .

وفي فرنسا انبنت شهرة بولانتراس أساسًا على إسهامه النظري في الدولة. وإن كان قد قدم أيضًا إسهامات ماركسية دقيقة في دراسة الأفكار

والإيديولوجيات وتطوير مفاهيم القوة والسيطرة Domination، وكـذلك تحليل بعض النظم من بينها النازية والفاشية بخلاف تحليلاته للطبقة الاجتماعية في العالم المعاصر. أضف إليه رأيه في أسباب انهيار الدكتاتوريات في جنوب أوربا خلال السبعينات مثل ديكتاتورية فرانكو Franco في أسبانيا، وسالازار Salazar في البرتغال، وبابادوبولوس Papadopoulos في اليونان. وفي كل هذه المجالات كان يهتم اهتمامًا خاصًا بإبراز الدور الذي يلعبه الوعي في حياة الفرد والجماعة والدولة والمجتمع حتى في مجرى الحياة اليومية الجارية.

قضايا الوعي والطبقة والدولة والهيمنة والسيطرة وتقسيم العمل الاجتماعي هي إذن القضايا الجوهرية عند بولانتزاس. ومع أن هذه النواحي جميعها تعتبر بوجه عام موضع اهتمام الكُتَّاب الماركسيين، إلا أن تناول بولانتزاس لها كان يتسم بالمزيد من الحيوية ربما لأنه كان أكثر وعيًا بالنواقص التي شابت التفاسير الماركسية ومن بينها تحليلات ماركس نفسه للطريقة التي تكلم بها عن الدولة وطبيعتها وممارساتها .

الموقف المبدئي الذي يظهر جليًا عند بولانتزاس يتعلق أساسًا بتصور ماركس للدولة على أنها أداة الحكم الطبقي وأن الطبقة الرأسمالية بالذات هي التي تتحكم فيها وتسيطر عليها، فأصبحت الدولة بذلك وكأنها أداة تنفيذية.

هنا ناقش بولانتزاس العديد من التصورات التي قال بها أمثال رالف دارندورف Dahrendorf وألتوسير وغيرهما. ومع أنه يسلم بالكثير الذي يذهب إليه هؤلاء ويتفق معهما في أن المجتمع هو مجتمع طبقي، إلا أن نظرته تختلف عما ذهبوا إليه من أن الدولة تخضع تمامًا لهيمنة الطبقة الحاكمة، ففي رأيه أن الدولة تتمتع بشيء مما أسماه «الاستقلال النسبي» أو الاستقلال عن الطبقة الرأسمالية. الأمر الذي يعني أنها تتمتع بقدر من القوة حتى وإن كانت (القوة) وسيلة للحفاظ على الإطار العام لمشروع الدولة الرأسمالية.

إن الكثيرين يرون أن هذا التحليل الذي يسوقه بولانتزاس للدولة يعتبر من أدق التحليلات التي قيلت في الموقف الماركسي. ومع ذلك فإنه موضع تساؤل أساسي خاصة عما يقصده بولانتزاس بالاستقلال النسبي للدولة. فهذه الناحية

تسم المعالجة بغير قليل من الغموض ربما لتشابك القضايا وتعقدها وبسبب محاولاته للإشارة دائمًا إلى الكثير الذي قيل في القضية وهو لا يخلو من خلط وغموض، مثلما وهو يتعرض لكتابات «التوسير» البنائية عمومًا في تعرضها للماركسية، الأمر الذي حدا بالبعض أن يذهب إلى أن بولانتزاس قد سقط مثل «التوسير» في نوع من «الحتمية البنائية المفرطة» التي لم يفلح «التوسير» نفسه في الخروج من أسارها، وكانت على أية حال من الأسباب القوية الداعية لكثير من الاستفسارات والهجمات خاصة مثل تلك التي وجهها ميليباند Miliband في مناقشاته الطويلة معه التي دارت حول الدولة في المجتمع الرأسمالي الذي يبدو أن هناك الكثير من الروابط والتداخلات التي تجمع بين مفهوم الدولة الرأسمالية ومفهوم المجتمع الطبقي أيًا كانت الفوارق والتمايزات بينهما .

لقد مات نيكوس بولانتزاس في عام ١٩٧٩، وكان لا يزال في عنفوان شباب الأربعينات من عمره، انتحر، نعم مات بولانتزاس منتحرًا.. قتل نفسه بأن قفز من نافذة شقته التي كان يقطنها في باريس .

• قراءات مقترحة •

- Works; Political Power and Social Classes. NLB. 1973 .
---------: Classes in Contemporary Capitalism. 1975 .
---------: The Crisis of Dictatorships: Portuqal, Greece, Spain 1979.
---------: The Poulontzas Reader: Marism, Law and the State. ed. J. Martin Verso. 2008 .

أقرأ أيضًا:

- Jessop, Bob. Nicos Poulantzas: Marxist Theory and Political Strategy. Macmillan. 1985 .
- Levine, Rhonda. Class Struggle and the New Deal:
- Jmdustrial Labor, Industrial Capital and the State. Univ. Press of Kansas. 1988 .
- Miliband, Ralf; The Capitalist State: A Reply to Nicos Poulantzas . New Left Review. No. 59 - 1970 .

٢٣- باوند، روسكو (١٨٧٠-١٩٦٤) POUND, Roscoe

درس علم النبـات Botany في جامعة نيراسكا عام ١٨٨٤، ولكنه تحول إلى دراسـة القـانون في جـامـعـة هـارفـارد في العـام ١٨٨٩ . واسـتـغـرقت كـتـاباته في الموضوعات غير القانونية مجلدين ضخمين لهما قيمتهما العلمية الباقية. ومع ذلك فـإن الشيء الغريب هو أن أحـدًا لم يعـد يقف أمـام هذا الجـانب في حـيـاة روسكوباوند وارتبط ارتبـاطًا وثيقًا بالمجال القانوني الذي حقق فيه شهرة طاغية وبخاصة في مجال علم الاجتماع القانوني.

هو روسكو باوند من مـواليـد عـام ١٨٧٠ وأصـبـح من كـبـار القـانونيين الأمـريكيين الذين ارتبطوا برؤية خاصة للقانون، فقد ذهب باوند منذ وقت مبكر إلى أن القـانون هو علم الهندسـة الاجـتـمـاعـيـة الذي يتـحـقق من خـلال تنظيم العلاقات الإنسانية في المجتمع المنظم سياسيًا، أو أنه كما عبر هو نفسه «الضبط الاجتماعي عن طريق الاستخدام المنهجي المطرد لقوة المجتمع المنظم سياسيًا» وهذا تعـريف يتـفق مع مـا يراه الكثـيـرون من الفـقـهـاء والمشـرعين بل ومن الاجتماعيين أنفسهم والأنثروبولوجيين فنجد أن رادكليف براون يوافق صـراحة على ما ذهب إليه باوند، وأنه يستشهد به نظرًا لأنه وجد القـانون يستلزم – كما رآه باوند – وجود الجزاءات القانونية المنظمة على حد تعبير رادكليف براون .

ولكن هذه الوضـعية المميزة التي حققـها باوند في علم الاجتمـاع القـانوني تنطوي على عـدة انعطافـات مـثلت مـراحل مـفـصلية فـي مـسـيـرة روسكوباوند العلمية، وبعضها لم يخل من مفارقات على غاية من الغرابة.

الشيء المدهش هو أن باوند لم يؤلف كتبًا بذاتها في علم الاجتماع القانوني، ومع هذا فـقـد اعـتـبـر من وجـهـة نظر الكثـيـرين أبو علم الاجـتـمـاع القـانوني في الولايات المتحـدة الأمـريكية، كمـا اعتبـره البـعض عميد الفقـه الاجتمـاعي دون منافس خـاصة أنه أبرز في مؤلفاته سواء وهو أستاذ لفقه القانون وعميد لكلية الحقوق بجامعة هارفارد أو أثناء عمله قاضيًا، ملامح التغيير الذي كان يعتقد

بضرورة إدخاله على الفكر القانوني التقليدي حتى يتخلص من الأفكار والمبادئ الجامدة التي تباعد بينه وبين الواقع الاجتماعي.

لقد نشأ باوند في أحضان المدرسة التحليلية ثم انتقل إلى المدرسة التاريخية وبعدها انضم إلى المدرسة الفلسفية ومنها إلى المدرسة الاجتماعية حيث انتهى به المطاف ويصبح من أنصار الفقه الاجتماعي الذي يهتم بدراسة القانون في ظل المضمون الاجتماعي، لأن دراسة الواقع الاجتماعي عن طريق إجراء البحوث لاشك تساعد المشرع في الوصول إلى المصالح والمعلومات والاهتمامات التي تكون موضوع اهتمام كل من المشرعين والجماهير على السواء.

بتعبير آخر اهتم روسكو باوند بصفة خاصة بطبيعة القانون وبنمو الأفكار المتصلة بهدفه، وبالعلاقات بين القانون والأخلاق والعمليات الإدراية والقضائية. ويرى باوند أن علم الاجتماع القانوني إذا كان قد وجد أرضيته الخصبة في أوربا التي يقترن مفهوم القانون في نظرها بما يشير إليه القانون الطبيعي من حيث العدالة والحق، فإن أمريكا قد اتجهت اتجاهًا عمليًا إذ وجهت معظم اهتمامها إلى فقه القانون الاجتماعي الذي يحلل مشاكل التطبيق القضائي ويهتم بموضوعاته التي تثيرها مختلف الدعاوي في الحاكم.

إن الكثير من هذه الاهتمامات المتشعبة تظهر بشكل أو بآخر في بعض أمهات كتاباته وبخاصة في مقدمته التي قدم بها كتاب جورج جيرفيتش Gurvitch الشهير في علم الاجتماع القانوني، وكتابه «روح القانون العام» الذي صدر في ١٩٤١، وكتابه الشهير عن الضبط الاجتماعي (استفاد كثيرًا في هذا الكتاب من إدوارد روص) بعنوان الضبط الاجتماعي عن طريق القانون، والذي صدر في عام ١٩٤٢، وكتابه «العدالة وفقًا للقانون» (١٩٥٢) وكذلك كتابه الهام «في فلسفة القانون» (١٩٥٩)، ومؤلفه العملاق «محاضرات في الفقه» الذي صدرت طبعته الرابعة في عام ١٩٢٨ .

• قراءات مقترحة •

- Glueck, Sheldon. ed.; Roscoe Pound and Criminal Justice. 1978 .

- Wigdor, David; Roscoe Pound. Rev. ed. 1974 .

-Q-

٢٤- كـويـن، ويلارد فـان أرمـان (١٩٠٨) QUINE, WILLARD VANARMAN

فيلسوف ومنطقي أمريكي مشهود له بتحليلاته الفلسفية البحتة. ولد عام ١٩٠٨ في أوهايو Ohio بالولايات المتحدة الأمريكية، ودرس الرياضيات في مكتبة أوبرلين Oberlin، ثم في جامعة هارفارد قبل أن يتعلمه على أيدي رودلف كارناب Carnap في براغ للحصول على درجة الماجستير ثم دكتوراة الفلسفة عام ١٩٣٢، وكانت صلته بكارناب فرصة جعلته ينفتح على طبيعة المدخل العلمي والفلسفي الذي كانت تدور من خلاله مناقشات حلقة فيينا التي تبلورت بعد ذلك فيما يعرف بالوضعية المنطقية.

وإذا كانت مراحل حياته الأولى قد تمركزت حول نشاطاته المتعلقة بالنواحي المنطقية والإجرائية، فإن أعماله المتأخرة تكشف عن اهتمام متزايد بالقضايا والموضوعات الفلسفية ذات الصلة باللغويات عمومًا. وقد أصبح رئيسًا للرابطة الفلسفية الأمريكية (١٩٥١)، ورابطة المنطق الرمزي في الفترة من عام ٥٣ حتى ١٩٥٥ . وفي هذه الأثناء صدرت له عدة مؤلفات تعكس اهتماماته العلمية والبحثية التي ظلت لليوم موضع تقدير .

• قراءات مقترحة •

- Works: Systems of Logic, 1934 .

- -------: Mathematical Logic, 1940 .

- -------: Elementary Logic, 1941 .

- -------: Philosophy of Logic, 1970 .

- -------: The Roots of Refernce. 1974 .



٢٥- كويني، ريتشارد QUINNEY, Richard

عرفته العديد من الجامعات الأمريكية وبخاصة جامعة نيويورك التي عمل فيها أستاذًا لعلم الاجتماع بعد أن نال درجة الدكتوراة من جامعة ويسكنسن Wis-consin وصدرت له مجموعة من الكتب التي تشهد له كعقلية قانونية له مدخله الاجتماعي الذي يتناول من خلاله مختلف الموضوعات ذات الصلة بالجريمة والنظام القانوني في المجتمع الأمريكي بصفة خاصة. وقد نشر في ذلك كتابين مشهورين هما «مشكلة الجريمة» The Problem of Crime و«الحقيقة الاجتماعية للجريمة» The Social Reality of Crime، وقد صدرا في عام ١٩٧٠ . وربما اعتبر كتابه الذي ألفه بالاشتراك مع مارشال كلينارد Clinard في ١٩٧٣ من أعمق ما كتب في تحليل الجريمة والسلوك الإجرامي، ولذا أعيدت طباعته عدة مرات وبعدة لغات، ثم كتابه المعنون «العدالة الجنائية في أمريكا» ونشر أيضًا في عام ١٩٧٣ .

ويعتبر كويني في مقدمة علماء الإجرام الذين يرون أنه لا توجد أية أسباب جوهرية تدعو إلى حصر مفهوم الجريمة في حدود التصورات السلوكية، وبالتالي تضمين المقولة أو المرجع السلوكي في تعريف الجريمة. وبدلاً من ذلك فإنه يرى أن الجريمة هي نتيجة للتفاعل الاجتماعي، ونتيجة لعملية تشتمل على كل من الشخص الذي يخرق القانون والآخرين الذين يعتبرون سلوكه سلوكًا إجراميًا، وهكذا تصبح الجريمة بالضرورة وصمة أو عنوانًا أو يافطة تسم سلوك الإنسان عن طريق الغير، مما يعني أن السلوك يتم تجريمه أو تحويله إلى سلوك إجرامي أو منحرف نتيجة للعديد من العمليات والمواقف والظروف التي يشارك فيها الناس والقائمون على أمر القانون. وفي ضوء هذا فلا ينبغي النظر إلى الجريمة إذن على أنها شكل من أشكال السلوك، ولكن الإجرام هو مركز أو وضعية اجتماعية حددتها الطريقة التي تصور بها الآخرون الفرد وتم تقويمه ومعاملته بواسطة السلطات القانونية، وهو ما عبر عنه في النهاية بأن الجريمة مقولة قانونية Legal Category.

في ضوء هذه النظرة للجريمة يظهر المنطق في اهتمام ريتشارد كويني بالنظام القانوني Legal Order طالما أنه مجموعة الضوابط والقواعد والأحكام التي تعمل على حفظ الأمن والاستقرار في المجتمع، وطالما أن موقفه الاجتماعي يؤكد أن النظام القانوني هو أساسًا تعبير عن التطور الاجتماعي بكل ما يعمل فيه من قوى ومؤثرات تترك فعلها فيه على مستوى البناء والوظيفة معًا .

إن كويني يعيش في منزله في شابل هل Chapel Hill في كارولينا الشمالية، حيث استغرقه العمل في مؤلفه عن «النظام القانوني» والتحول من المجتمع الرأسمالي إلى المجتمع الاشتراكي الذي يعتبره إضافة حقيقية لكل أعماله السابقة.

في هذا العمل يناقش كويني مختلف الاتجاهات التي نظرت للنظام القانوني على أنه ظاهرة يمكن تحليلها في ضوء المبادئ المذهبية والمعيارية كالوضعية والفينومينولوجية والبنائية الوظيفية، ولكنه يرى أن قصور هذه الاتجاهات أدت إلى أن ظل النظام القانوني نظامًا مثاليًا وبالتالي إهمال المشكلات الحيوية المتعلقة بنشأة القانون، وبالتمييز بين النظم المختلفة، وما إلى ذلك من القضايا التي يهتم بها علماء القانون والاجتماع القانوني المعاصرين. وينتهي من كل هذا إلى سؤال محوري مؤداه: هل من الممكن قيام نظرية نقدية للنظام القانوني؟ إن مسلمات الفلسفات النقدية تؤكد بحكم طبيعتها أنها تسعى إلى صياغة الواقع والحياة لتحقيق نوعيات أخرى جديدة في مجتمع آخر جديد.

وهنا يثير قضية مكانة القانون في نسق الضبط الاجتماعي الكلي، والكيفية التي يؤدي بها وظيفته الضابطة وتحت أية ظروف علاوة على مسألة مدى تحقق وجود النسق القانوني ذاته، وما إذا كان يوجد في كل المجتمعات أو في مجتمعات من شكل معين وطبيعة معينة. ومثل هذه النواحي وغيرها مما تهم حياة الناس هي الموضوع الأساسي الذي يستأثر بعناية ريتشارد كويني حتى وهو بعيد عن الانشغال الأكاديمي الذي يأخذ الكثير من وقته. فإلى جانب ذلك نجده يصدر جريدة اجتماعية ذات اتجاه اشتراكي تحت عنوان «خبز وورود» Bread and Roses، كما يشارك في تحرير إحدى الدوريات العلمية التي تصدر باسم الجريمة والعدالة الاجتماعية Crime and Social Justice.

• قراءات مقترحة •

- Works: Crime Control in Capitalist Society: A Critiacl Philosophy of Legal Order. N.Y. Little Brown. 1975 .

---------, Theory and Society. 1975 .

- Grilliot, Harold G., Introduction to Law and Legal System. 1975 .

- Quinney, R. and Clanerd, : Criminal Behaviour Systems: A Typology. N. Y. 1967 .



-R-

٢٦- رادكليف براون، ألفريد رجينالد (١٨٨١ - ١٩٥٥)
RADCLIFFE BROWN, A. REGINALD

ما يكاد يذكر مصطلح البناء الاجتماعي ومصطلح الوظيفة الاجتماعية إلا ويقفز إلى الذهن على الفور اسم رادكليف براون الذي يرجع إليه فضل السبق في الإفاضة في تناول هذين المصطلحين، والخوض في الحديث عنهما من مختلف الجوانب والزوايا خاصة في مقاله المشهور عن مفهوم الوظيفة والبناء الاجتماعي عام ١٩٤٠، حتى صارا ربما أهم المصطلحات وأكثرها ذيوعًا وانتشارًا في الكتابات الاجتماعية والأنثروبولوجية، واعتبر هو نفسه رائد الأنثروبولوجيا الاجتماعية الحديثة في إنجلترا، وأحد العلامات البارزة في الأنثروبولوجيا في القرن العشرين الذين طوروا إطارًا منظمًا ومتسقًا من التصورات والمفهومات والمصطلحات والتعميمات عن البناءات الاجتماعية للمجتمعات البسيطة نسبيًا لدرجة أن إسهامه لا يضاهيه إسهام آخر في تطوير النظرية الأنثروبولوجية ونشرها السريع في مختلف أنحاء العالم ومراكز البحث الأنثروبولوجي والاجتماعي في أنحاء عديدة مختلفة. وهذه استجابة في الحقيقة لمبدئه الذي طالما أكده مع مالينوفسكي Malinowski (١٨٨٤- ١٩٤٢) الخاص بأهمية مراجعة وإعادة النظر في تلك المصطلحات، حيث مازال الكثير منها في علم الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية يشوبها الغموض والاضطراب، وتسودها الروح المذهبية والاتجاهات اللاموضوعية، وهذا ما يصدق تمامًا على مصطلح «البناء الاجتماعي» الذي يراه هو على أنه نسق طبيعي أو فيزيقي على حين يراه البعض الآخر مثل إيفانز بريتشارد على أنه نسق خلقي أو معنوي، ويراه آخرون نسقًا اقتصاديًا كما الحال بالنسبة إلى رايموند فيرث Firth (١٩٠١) ويشارك في هذا الغموض والاضطراب العديد من المفهومات والمصطلحات الأخرى، لعل من بين أهمها «فكرة القانون العلمي» التي يكثر الحديث عنها في الكتابات

الاجتماعية، حيث يرى هو إمكان التوصل إلى القوانين العلمية في الاجتماع والأنثروبولوجيا الاجتماعية. وفكرة «الزمن» التي ترجع في أصولها إلى تناول إميل دوركايم إمام الاجتماعيين وأحاديثه المطولة عن الزمن الاجتماعي والزمن البنائي والأيكولوجي، وكانت كلها محل اهتمام كبير من رادكليف براون.

ولد الفريد رجينالد رادكليف براون في برمنجهام وارفيك بانجلترا في ١٧ يناير عام ١٨٨١، وفي الفترة ما بين عامي ١٩٠٦ و ١٩٠٨ قام رادكليف - براون بدراسة حقلية للمجتمع الأندماني Andaman في جنوب بورما، حيث أتاحت له هذه الفرصة كلية ترينيتي Trinity بجامعة كامبريدج وكانت بمثابة محاولة تطبيقية خاصة للأسس النظرية لبعض وجهات نظر دوركايم ولوصف الحياة الاجتماعية في الاندمان بشكل يتطابق مع وجهة النظر الفرنسية في علم الاجتماع لتحقيق ما يرمي إليه هذا العلم من تكامل منهجي.

وفي زيارته لقبيلة أكاربال Akar Bale الاندمانية ظهر بوضوح مدى تأثر رادكليف براون بالاتجاه الدوركايمي إذ جاءت معظم الفروض التي اختبرها في تجربة الأندمان مستمدة من الفكر الاجتماعي الفرنسي وبالذات من الفكر الدوركايمي مما يؤكد أثر الاتجاه النظري والفلسفي في تشكيل اتجاهات البحث ومناهج الأنثروبولوجيا الاجتماعية خاصة وهو يميز في نظريته العامة للبناء الاجتماعي بين «الصور البنائية Structural Form» أي الصور الإستاتيكية الثابتة التي لا تلحقها التغيرات إلا في القليل النادر، وبين صورة البناء الواقعي Real Structure، وهذا البناء كحقيقة عينية قائمة، أي البناء الذي يخضع للمشاهدة والتغير في ديمومة الزمان؛ لأنه بناء ديناميكي تتجدد فيه الحياة بتجدد التيار الزمني وفعله الأكيد في تغير وتجديد مظاهر الحياة الاجتماعية. وعمومًا فقد تضمنت دراسته عن الاندمان الصياغة الجوهرية والرئيسية لأفكاره ومفاهيمه .

ومن ناحية أخرى فقد ركز في بعثته لاستراليا الغربية من ١٩١٠-١٩١٤ على دراسة التنظيم القرابي والعائلي، وقد كان لهذه الدراسات الحقلية نتائجها العملية التي تأثر بها في مسيرته وحياته العملية، حتى أنه عين مديرًا للتعليم في

مملكة تونجا Tonga في عام ١٩١٦، وأستاذاً للأنثروبولوجيا الاجتماعية في جامعة كيب تاون من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٥ حيث أسس مدرسة الحياة واللغات الأفريقية The School of African Life and Languages، ثم عين في جامعة سيدني Sidney من عام ١٩٢٥ إلى ١٩٣١ حيث أشرف على برنامج تعليمي وتدريبي يتضمن الأنثروبولوجيا النظرية والتطبيقية Applied مما كان سببًا رئيسيًا في تأكيد شهرته، فأنشأ في مصر المعهد العالي للدراسات الاجتماعية (١٩٤٧) حيث ظل من ١٩٤٧ إلى ١٩٤٩ . ومازال المعهد يمارس مهمته العلمية إلى اليوم .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Social Organization of Australian Tribes, Glencoe. 1931 .

---------: The Andaman Islanders. Glencoe III , The Free Press. 1922 .

---------: Three Tribes of Western Australia, Journal of The Royal Anthropological Institute. No. 43. 1913 .

ومن مؤلفاته المتأخرة:

----------: Structure and Function in Primitive Societies. 1952 .

---------: Method in Social An thropology: Selected Essays. 1958 .



٢٧- رادين، بول (١٨٨٣-١٩٥٩) RADIN, Paul

أنثروبولوجي أمريكي من أصل بولندي، له تأثير كبير في تقديم نموذج تاريخي للمجتمع البدائي على مركب فكري اقتصادي عقدي سياسي لمختلف الجوانب والأبعاد النفسية والفلسفية. ولقد ولد بول رادين في ١٨٨٣، ونال درجة الدكتوراة من كولومبيا عام ١٩١١، وقام بأول دراسة حقلية في قبائل هنود الويننباجو Winnebago التي شارك وعاش فيها كل أوجه نشاط أفرادها الاجتماعية والثقافية (١٩١٥ و١٩١٦)، وصدرت له في كتاب عام ١٩٢٠ بعنوان The Autopiography of a Winnebago Indian إلا أن جهوده التي مازالت تذكر له تتعلق بانتقاداته العنيفة التي وجهها لمواقف ليفي برول (١٨٥٧-١٩٢٩) عن العقلية البدائية سواء تلك التي عبر عنها في كتابه الذي صدر عام ١٩١٠ بعنوان «الوظائف العقلية في المجتمعات الدنيا» Les Fonctions Menteles dans les Sociétes Inferieures أو في كتابه الآخر المعنون العقلية البدائية La Mentalité Primitive الذي صدر عام ١٩٢٢ حيث تناول ليفي برول فيهما طبيعة العقل البدائي ومنطقه وفحواه ومتضمناته. منتهيًا إلى تجاهل ذكاء الإنسان البدائي وإلى الزعم بأن العقلية البدائية سابقة على المنطق ولا تعرف القواعد المنطقية أو التفكير المنطقي .

لقد سعى بول رادين في كتابه «الإنسان البدائي كفيلسوف» Primitive Man as Philosopher الذي صدر عام ١٩٢٧ إلى تفنيد هذه المزاعم التي يسوقها ليفي برول. ففي رأيه أن البدائي إنسان منطقي، بل - على ما يقول رادين- يستطيع أن يميز بين الصواب والخطأ، فهو إنسان مفكر، وأن لفكره أشكاله العليا التي تتمثل في أخلاقه ومثله. ولعل الجديد أن رادين أورد الكثير من المقتطفات وأقوال البدائيين المأثورة التي تكشف عن فهم منطقي واضح لمجريات الأمور وسائر مظاهر الحياة.

أما عن الزعم بما قاله ليفي برول بصدد قوانين الفكر في العقلية البدائية، وأن منطق البدائي مختلط ويشوبه التشويش والخلط والاضطراب؛ لأنه لا يعرف قانون الهوية، وقانون عدم التناقض، فقد انتقده رادين أيضًا اعتمادًا على قدرة البدائي على التعامل مع الموجودات الطبيعية وبخاصة في تسيير شئون حياته.

لقد ارتاد بول رادين العديد من المجالات كالعقيدة (الدين) والفلسفة والبناء الاجتماعي والاقتصاد وعلم النفس؛ مما أتاح له ولوج كثير من مجالات البحث والدراسة الأنثروبولوجية التي اعتمد فيها على السير والمذكرات والوثائق والملاحظة المباشرة خاصة وقد كان له ولع خاص بالوقوف على مختلف الجوانب والمظاهر في فولكلور وعقيدة ولغات الشعوب البدائية .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Genetic Relationship of The North American Indian Languages. 1919 .

---------: Primitive Man as Philosopher. 1927 .

---------: Primitive Religion. 1938 .

---------: Method and Theory of Ethnlolgy, 1933 .

وهذا الكتاب الأخير يعتبر عمله النظري الرئيسي من وجهة نظر الكثيرين حيث لقيت أفكاره عناية واهتمام مفكرون كبار من بينهم لويس ممفورد Mum-ford وكارل يونج Jung، وجون ديوي Dewey على سبيل المثال.



٢٨- رادزينوفيتش، السيرليون RADZINOWEZ, Sir Leon

يعتبر السير ليون رادزينوفيتش البولندي الجنسية والمقيم في إنجلترا من عام ١٩٤٦ كأستاذ لعلم الإجرام في جامعة كمبريدج المسئول الأول عن تأسيس وازدهار علم الإجرام في المملكة المتحدة. ففي الفترة من عام ١٩٢٦ وحتى عام ١٩٤٩ عمل مديرًا مساعدًا لمركز أبحاث الجريمة في هذه الجامعة، كما عمل في الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٩ مديرًا لقسم علم الجريمة بالجامعة نفسها، ثم أصبح أستاذًا في عام ١٩٥٩، وعين في ١٩٦٠ أول مدير لمركز بحوث الجريمة، ثم عين بعد ذلك في عام ١٩٦٢ أول رئيس ومستشار في علم الجريمة بالمجلس الأوربي Couseil Del'Europe، ونصب فارسا في عام ١٩٧٠، ذلك إلى جانب عمله كمستشار للكثير من الهيئات العلمية وممارسته الكتابة والتأليف.

لرادزينوفيتش نظرة محددة لعلم الجريمة إذ يقسمه ثلاثة أقسام أو فروع رئيسية هي أولاً علم الإجرام Criminology، وثانيًا السياسة الجنائية Criminal Policy التي يوليها أهمية وتقديرًا فائقين نظرًا لأنها تنتفع بمعطيات علم الإجرام، وتستخدم القانون الجنائي ضمن وسائلها وأدواتها. وثالثًا القانون الجنائي Criminal Law، حيث يرى أنه أحد فروع القانون العام، ويطلق على مجموعة القواعد التي تحدد الجرائم، وتبين العقوبات المقررة لكل منها إضافة إلى توضيحه الخطوات والإجراءات المختلفة التي تتبع في الكشف عن الجريمة وتعقبهم ومحاكمتهم وتنفيذ العقوبة فيهم.

وقد لقي هذا التقسيم غير قليل من الانتقادات إذ يصفه البعض بأنه غير كاف لأنه لا يوضح طبيعة العلاقات بين هذه الفروع الثلاثة وبين العلوم الجنائية الأخرى، وبصرف النظر عن وجاهة هذا الانتقاد فمن المهم القول إن رادزينوفيتش قد عمل محررًا، ومحررًا مساعدًا لأكثر من ٥٠ مجلة ضمن سلسلة علم الإجرام التي تصدرها جامعة كمبريدج .

• قراءات مقترحة •

- Hood, H., Crime, Criminology and Puplic Policy. 1978 .

٢٩- راندال، جون هيرمان (١٨٩٩-١٩٨٠)
RANDALL, John Herman

فيلسوف ومؤرخ أمريكي له عدة مؤلفات تعتبر ضمن المراجع الأساسية التي دائمًا ما يرجع إليها الباحثون في تاريخ الفلسفة. وقد تلقى تعليمه وتتلمذ على أيدي المؤرخ الأشهر تشارلس بيردBeard وجيمس هنري روبنسون في جامعة كولومبيا التي نال منها درجة الدكتوراة عام ١٩٢٢م .

كان في حركته تسيطر عليه فكرة أساسية كانت بمثابة الدافع لكل أعماله والاتجاه الذي سارت فيه؛ إذ كان يهدف منذ وقت مبكر إلى إعادة بناء وتركيب الأزمنة والظروف بما يتفق مع الخبرات التاريخية والتقاليد والأحداث التي هيأت لظهور الأنساق الفلسفية المختلفة. وفي هذا الاتجاه جاء كتابه الأول المعنون «العقلية الغربية» The Western Mind في جزءين صدار عام ١٩٢٤، وإن كان هذا العنوان قد تغير في طبعة ١٩٢٦ إلى «صناعة العقل الحديث The Making of The Modern Mind، وهو كتاب يرى الكثيرون أنه من أروع ما عرفه القرن العشرون في التاريخ الفلسفي. كما جاء كتابه «مسيرة الفلسفة في العصور الحديثة» من جزءين أيضًا نشرا في عامي ١٩٦٢ و ١٩٦٥ وتضمنا تحليلاً دقيقًا للسياق الفلسفي الذي أحاط بأحداث القرن السابع عشر والقرن الثامن عشر باعتبارهما يمثلان مراحل مفصلية في تاريخ الإنسان عمومًا .

الجدير بالذكر أن راندال في كتاباته الفلسفية وضع أفلاطون وأرسطو في السياق التاريخي لظروف أثينا، وتم له ذلك من خلال بعض الإسقاطات على أحداث القرون اللاحقة.

• قراءات مقترحة •

- Works: The School of Poudua and Emergence of Modern Science. 1961.

---------: The Rolc of Knowledge in Westren Religion. 1958 .

----------: Plato. 1970 .

----------: Philosophy After Darwin. 1977 .

٣٠- راندال، ماكيفر ديفيد (١٨٧٣-١٩٤٥)
RANDALL, Mac Iver David

عالم آثار وأنثروبولوجي إنجليزي المولد وأمريكي الجنسية. نال تعليمه في اكسفورد، وبدأ طريقه العلمي بتنقيباته التي أجراها في أبيدوس Abydos بمصر (١٨٩٩- ١٩٠١)، وهي بعثة كانت تحت إشراف السير وليام فليندر بتري Petre. ولكنه أشرف بنفسه على حملة أخرى للتنقيب في مصر والسودان في الفترة من ١٩٠٧ إلى ١٩١١ الذي عمل فيه أمينًا للجمعية الجغرافية الأمريكية حيث ظل حتى قيام الحرب العالمية الأولى. التي عمل فيها خلالها ضمن المخابرات. وما إن انتهت الحرب حتى استقر في روما عام ١٩٢١ حيث بدأ يركز اهتماماته على الآثار في إيطاليا، وإن كان يذكر له جهوده الكبيرة التي بذلها للحفاظ على الآثار البريطانية من خطر الحرب.

وبوجه عام تضم كتاباته «عصر الحديد في إيطاليا» الذي صدر عام ١٩٢٧ ثم كتابه عن «إيطاليا قبل الرومان» Italy before the Romans (١٩٢٨) .



٣١- راتسنهوفر رجوستاف (١٨٤٢-١٩٠٤) RATZENHOFER, Gustav

ولد في فيينا وبالرغم من أن تعليمه لم يستمر طويلاً، إذ انتهى بعد دراسته الثانوية فقد تأثرت آراؤه التي مثلت مظهرًا أكثر اعتدالاً من الداروينية الاجتماعية Social Darwinism بفكر أوجيست كونت Comte وهربرت سبنسر Spencer وجون سيتورات مل Mill، وجمبلوفيتش Gumplowicz حيث اعتبر أن الموضوع الرئيسي لعلم الاجتماع هو الكشف عن الاتجاهات الأساسية للتطور الاجتماعي ومحاولة معرفة الشروط الإنسانية التي يجب توافرها لتحقيق رفاهة الإنسان مستخدمًا في ذلك ثقافته الواسعة، إذ كتب في الاجتماع والفلسفة والسياسة.

ويعتبر في ضوء هذه التوجهات أكثر تفاؤلاً من لودفيج جمبلوفيتش Gum-plowicz (١٨٣٨-١٩٠٩) على الرغم من أنه ذهب إلى أن المصلحة تمثل المبدأ الرئيسي الذي يسيطر على الحياة الاجتماعية ويحركها ، أما النظام الاجتماعي فهو محاولة لتنظيم الصراع من أجل البقاء The Struggle for Existence متبعًا في ذلك هربرت سبنسر وآخرين الذين طوروا نظرية داروين البيولوجية ومبادئ الصراع من أجل الحياة والبقاء للأصلح للأغراض الإنسانية والاجتماعية Survival of the Fittest. وعلى أية حال فقد توفي أثناء سفره بالبحر في طريق عودته إلى أوربا عام ١٩٠٤م.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Essence and Objective of Politics 1893 .

---------: Sociological Perception: An Exact Philosophy of Social Life. 1898 .

---------: Positive Monism and the Uniform Principle of All Phenomenons. 1899 .

---------: Sociology: Exact Models of Correlation. 1907 .



٣٢- ردفيلد، روبرت (١٨٩٧-١٩٥٨) REDFIELD, Robert

علم بارز من أعلام الأنثروبولوجيا في الولايات المتحدة الأمريكية. ولد في شيكاغو لأبوين دانيماركيين، وما أن شبَّ عن الطوق حتى أصبح من أبرز الأنثروبولوجيين الذين تبوءوا العديد من المناصب في الهيئات العلمية ومراكز البحوث، حيث ركز في بحوثه ودراساته على المجتمعات القروية مستعينًا في ذلك بالمنهج الأنثروبولوجي الذي طبقه في دراساته لبعض المجتمعات المحلية في أمريكا الوسطى بعدما كان الاهتمام يكاد يكون منحصرًا في الثقافات البدائية أو بعض المجتمعات المحلية في داخل الثقافات الراقية التي يغلب عليها مفهوم المجتمع الشعبي Folk Society.

وقد انتهى ردفيلد من دراسته على المجتمعات القروية في أمريكا الوسطى إلى فكرة النموذج Typology التي مضى يفسر في ضوئها عملية التطور الحضاري، وهذه الفكرة يرى الكثيرون أنها هي التي شكلت جوهر نظريته القائلة بالاستمرار من البدائي وصولاً للمدينة، وقد أطلق عليها وصف المتصل مما هو شعبي إلى ما هو حضري Folkurban Continum كتعبير عن المراحل التطورية المتعددة التي تمثل مجتمعات في مراحل تطورها المختلفة التي تتميز كل منها بخصائص وسمات معينة.

فكأن مفهوم المجتمع الشعبي هو إذن بناء نظري عقلي Mental Construct أي نموذج تصوري مثالي حيث يقابل مفهوم المجتمع البدائي أو المتخلف. وانتهى به إلى أن الفلاح بالنسبة إليه (ردفيلد) هو عبارة عن مركز حضاري وليس مركزًا مهنيًا متفقًا في ذلك مع الأنثروبولوجي الأمريكي جوليان ستيوارد Steward (١٩٠٢ / ١٩٧٢) مؤسس نظرية الأيكولوجيا الثقافية في أمريكا وصاحب المؤلف الضخم «مرجع لهنود أمريكا الجنوبية» الذي صدر في ٧ مجلدات ما بين ١٩٤٦ و ١٩٥٩ الذي يعتبر مسحًا شاملاً لثقافات هذه المناطق؛ مما يعني في النهاية أن الفلاح هو حامل الثقافة القروية، وعليه يقع عبء نقلها وتسليمها إلى الأجيال اللاحقة.

والواقع أنه في ضوء دراسات ردفيلد للمجتمع القروي تعددت هذه النوعية من الدراسات في مختلف أنحاء العالم، ومن بينها على سبيل المثال: دراسة إريك وولف Wolf عن أنماط الفلاحين في أمريكا اللاتينية، ودراسة مارتن لانج Lang عن القرية الصينية، ودراسة أوسكارلويس Lewis عن قرية تيبوزتلان Tepoztlan في المكسيك. وهذه الدراسات ينتهج أصحابها نفس المنهج الذي اتبعه ردفيلد في دراساته حيث يتم التركيز على العلاقات بين المجتمع الصغير أو القروي والمجتمعات المحيطة، وهذه نقطة فارقة بين ما يتم اليوم وما كان يقوم به الأنثروبولوجيون من قبل عندما كانوا يدرسون المجتمعات كبيئات عضوية متكاملة في حد ذاتها، بينما تتم دراستها الآن كأجزاء من مجتمعات أكبر مما يجعل المجتمع القروي يبدو وكأنه مجتمع نصفي على حد تعبير ردفيلد نفسه، ذلك أن ثقافة المجتمع القروي هي ثقافة نصفية، أي ليست ثقافة كاملة باعتبارها أحد أبعاد الحضارة التي هي جزء منها مما يوضح صعوبة التعرف على مختلف جوانب الثقافة والتراث في المجتمع القروي أو المحلي الصغير؛ لأن مثل هذه المجتمعات ليست مجتمعات مستقلة، وإنما على علاقات قد تكون عميقة أو هشة وواهية في المكان والزمان، بسائر العلاقات الاجتماعية والثقافية التي تنتمي لحضارة ما أيًا كانت درجة تقدمها أو عمقها التاريخي.

لقد تمثل أحد الأسئلة الهامة التي واجهت ردفيلد في طبيعة وشكل العلاقات الاجتماعية المنتظر قيامها بين هذا المجتمع القروي الذي هو عبارة عن نسق من العلاقات وبين المجتمع الكبير والعالم الخارجي الذي يعتبر المجتمع القروي جزءًا منه. الحقيقة أنه يظهر هاهنا مدى تأثر ردفيلد بالاتجاهات النظرية التي صدرت مع أصول علم الاجتماع الدوركايمي. فإلى جانب الخصائص والصفات التي عادة ما تعزى إلى الفلاحين في أي مكان، فقد انساق ردفيلد نحو هذه الخصائص وبخاصة أهمية تقسيم العمل الاجتماعي ووظيفته في المقارنة واستخدامه في تصنيف المجتمعات. ففي رأيه أن المجتمع الحضري يختلف عن المجتمع التقليدي بأنه أكبر حجمًا وأكثر تداخلاً كما أنه أقل تجانسًا خاصة إذا أخذنا بالتكنولوجيا التي تعتبر أكثر تقدمًا وتعقدًا في الظواهر الحضرية، ومن هنا تتمايز المجتمعات

وتستقل اقتصاديًا طبقًا لتمايز صور تقسيم العمل على ما ذهب إليه دوركايم رغم أنه لم يقم بأية دراسات ميدانية بين قبائل استراليا أو عينينا الجديدة أو أفريقيا الشرقية. وهذه كلها جوانب يلزم اعتبارها والتعرف على طريقة الفلاحين في الحياة وفي تعاملهم مع الأغيار إذا ما أريد التعرف على كيفية تكون العلاقات الاجتماعية بين الكائن العضوي الأكبر الذي يعتبر المجتمع القروي والصغير عمومًا جزءًا منه.

• قراءات مقترحة •

- Works: Chan Kom: A Maya Village. 1934 .

--------: The Folk Culture of the Yucatan. 1941 .

--------: A Village that chose Progress. 1950 .

--------: The Little Community . 1955 .

--------: The Primitive World and Its Transformation, Cornell. 1953 .

---------: Peasant Society and Culture. 1956 .

هذا إلى جانب عدد ضخم من المقالات في أمهات الدوريات والمجلات العالمية المتخصصة مثل:

---------: The Folk Society : American Journal of Sociology. No. 4 . 1947 .

---------: The Natural History of the Folk Society. Soical Forces. No. 8 . 1953 .

-------- : Societies and Cultures as Natural Systems. Journal of the Royal Anthropological Institute 85 . 1955 .



٢٣- ركس، جـــون REX, John

من ألمع علماء الاجتماع الذين أنجبتهم انجلترا، فقد درس في جامعة ليدز Lceds، وبرمنجـهـام Birmingham في الفترة من ١٩٦٤ حتى ١٩٧٠ . كما كان أستاذًا للنظرية الاجتماعية والنظم في جامعة ديرهام Durham، ثم أصبح أستاذًا للاجتماع في جامعة واروبك Warwick من عام ١٩٦٩ إلى ١٩٧١، ذلك إلى جانب رئاسته للرابطة الاجتماعية البريطانية وهو منصب لا يعتبر فخريًا، ولكن يلقي على صاحبه الكثير من المهام والمسئوليات العلمية الجسام.

له نظرة خاصة للوضعية التي عليها علم الاجتماع في إنجلترا، فهو يرى أن إنجلترا لم تكن أبدًا تربة خصبة لنمو علم الاجتماع وازدهاره، فظل العلم في مكانة متخلفة لا تتفق مع التقدم الذي حققته في مجال الاقتصاد باعتبارها الدولة الرأسمالية الأولى بلا منازع. وقد كان من المحتمل جدًا أن تستمر هذه الوضعية طويلاً لولا اليقظة التي تمت بتأثير كتابات دوركايم وتحرر العلم من أُسار الفكر البارسونزي، ولو لم يكن التفتح على التقاليد الأوربية الكلاسيكية كما عبرت عنها أفكار جورج سميل وماكس فيبر التي استفاد المفكرون منها أكثر مما أصابهم من الاندفاع الأمريكي على أيدي أمثال بارسونز وغيره من المفكرين باستثناء الاهتمام ببعض المصطلحات والمفاهيم مثل البناء الاجتماعي والتناقضات التي كشف عنها الحديث عن الطبقات الاجتماعية وتأثيراتها في العلاقات الاجتماعية وفي العملية الإنتاجية عمومًا .

• قراءات مقترحة •

- Works: Key Problems of Sociological Theory, Routledge & Kagan Paul, London, 1966 .

---------: Race Relations in Socilogical Theory . 1976 .

--------: Race, Colnialism and the City. 1973 .

--------: Discovering Sociology. 1973 .

--------: Approaches to Sociology (An Introduction to major trends in British Sociology). 1974 .

وقد قام هو نفسه بتحرير هذا الكتاب وكتابة مقدمته، كما أفرد حيزًا لدراسة خاصة تناول فيها «البناء الاجتماعي وعلم الاجتماع الإنساني: مشروعية التراث الأوربي الكلاسيكي».

- Social Structure and Humanistic Sociology: The Legacy of The Classical European Tradition .



٢٤- ريتشاردز، أودري إيزابيل (١٨٩٩ - ١٩٨٤)
RICHARDS, Audrey Isabel

عـالمة أنثـروبولوجيـة ولدت في لندن عـام ١٨٩٩، ولهـا اهتـمـام خـاص بعلم الاجتـمـاع وعلم النفس الاجتـمـاعي وباقتـصـاديات المؤسـسـات وتنظيم الشـعـوب البدائيـة وبخاصـة الشعوب الأفريقية، حيث قامت بالعديد من الدراسات الحقلية في روديسيا الشمالية (زامبيا) وفي أوغندا والترنسفال Transval .

وقـد نالت إيزابيل درجتها العلمية الأولى من جامعة نيوهام Newham أمـا درجة الماجستير فقد حصلت عليها عام ١٩٢١ من جامعة كامبريدج حيث نالت تدريبهـا الميـداني في الفترة من ١٩٢٦ إلى ١٩٣٠، وقـامت بالـتـدريس في مـدرسـة لندن للاقتصاد (٣١ / ١٩٣٣) ثم في الفترة من ١٩٣٥ إلى ١٩٣٧ . وبعدها انتقلت إلى جـامـعـة Witwatersand (١٩٣٩-١٩٤١)، ثم في جامـعـة لندن (١٩٤٦-١٩٥٠) وفي كليـة مـاكـرير Makerere بأوغنـدا خـلال الفـتـرة من ١٩٥٠ إلى ١٩٥٦ . ثم جـامـعـة كـامـبـريدج من ٥٦ إلى ١٩٦٧، حـيث قـامت بتـأسـيس مـركـز الدراسـات الأفريقيـة .

وتنعكس اهتـمـامـاتهـا الواسـعـة في الأنثروبولوجـيا في كـتبـهـا ومـؤلفـاتهـا عن الدراسـات الميدانيـة التي قـامت بهـا عن البـمـبا Bemba في روديسـيـا الشـمـاليـة، وكـذلك عن الكاجـاتـلا Kgatla في الترنسـفـال حيث أبرزت في دراستها عن البـمبا التي تحتوي على كم هائل من المعلومات، أهميـة الزراعة والدور الذي تقوم به في حيـاة النـاس، وتشتمل هـذه المؤلفات على: "Land, Labour and Diet in Northern Rhodesia" الذي أصـدرته عـام ١٩٣٩ ومـؤلفـهـا المعنون "Bemba Marriage and Present Economic Condition" وأيضًا مؤلفها Chisungu: A Girl's Initiation Cermony Amony the Bemba of Northern Rhodesia.

هـذا وقـد أشـرفت على تحـرير Economic Development and Tribal Change إلى جانب عدة أوراق هامة في نسق القرابة في الجماعات الأمومية في

جنوب وشرقي أفريقيا. وقد توفيت إيزابيل عام ١٩٨٤ بالقرب من ميدهيرست Midhurst غرب سسكس Sussex بانجلترا .

• قراءات مقترحة •

- Works: Hunger and Work in a Savage Tribe. 1932 .

---------: The Multicultural State of East Africa. 1969 .

---------: Methods of Selection of African Chiefs in Eleven East African Tribes. 1959 .



٢٥- ريكور، بول (١٩١٣) RICOEUR, Paul

أحد كبار المفكرين الهرمنيوطيقيين المحدثين وفلاسفة الاجتماع والدين الفرنسيين الذين سعوا إلى تشييد مشروعهم الخاص الذي اعتمد فيه كثيرًا على قراءته الفاحصة وتحليلاته العميقة والدقيقة لكل من الفينومينولوجيا والوجودية والماركسية والبنائية، وإن كان اسمه قد ارتبط ارتباطًا وثيقًا بالاتجاه التأويلي أو الهرمنيوطيقي؛ إذ كان يهتم بوصف الأحداث والرموز والرطانات وتفكيكها وتفسيرها والكشف عن معانيها حيث أن الهرمنيوطيقا تعني في الاستعمال الفلسفي والأكاديمي تفسير النصوص من خلال عملية تهتم بالمعنى دون المبنى كما يقولون.

ولد ريكور في ٢٧ فبراير عام ١٩١٣ بمدينة فالانس Valence بغرب فرنسا. ونال تعليمه في ليسيه رينيه Lycée de Rennes، وفي جامعة باريس التي تخرج منها عام ١٩٣٧ . مما هيأ له العمل في كثير من المعاهد ذات التخصص العلمي المختلف في الفترة من ١٩٣٣ إلى ١٩٤٨ . ومع أنه قد وقع أسيرًا في يد الألمان، وظل في المعتقل من عام ١٩٤٠ حتى نهاية الحرب. فقد عمل بعدها أستاذًا في جامعة ستراسبورج Strasbourg من ١٩٤٨ إلى ١٩٥٧ وجامعة باريس العاشرة (تانتير) منذ ١٩٥٧ كما أشرف على متحف اللوفر ومكتبته Lauvain Archives، وتم تنصيبه أخيرًا أستاذًا غير متفرغ بجامعة شيكاغو.

وخلال هذه الفترة من عام ٥٠ إلى ١٩٦٠ ظهر له كتابان يكشفان عن ميوله الأصيلة ويعتبران من بين أشهر كتبه هما: «فلسفة الإرادة» Philosophie de la Volonté (وكان ينوي إصداره في ثلاثة أجزاء ظهر أولها في عام ١٩٥٠ باسم «الإرادي واللاإرادي»)، وكتاب «التاريخ والحقيقة Histoire et Vérité في ١٩٥٥، ثم ظهر له «في التفسير : مقال عن فرويد De L'Interprétation: Essai Sur Freud (١٩٦٥)، وقد تمت ترجمة هذا الكتاب إلى الإنجليزية تحت عنوان «فرويد والفلسفة» عام ١٩٧٠، وكان بمثابة الخطوة الأولى في اتجاهه الهرمنيوطيقي

الذي سار فيه. ثم توالت كتاباته بعد ذلك فصدر له عام ١٩٧٥ كتاب «الاستعارة الحية» La Metaphor Vive و«دلالة العقل» La Sémantique de l'action في عام ١٩٧٧ ثم مؤلفه «الزمان والسرد» في عام ١٩٨٢ الذي استلهم فيه الكثير مما ذهبت إليه الفينومينولوجيا والاتجاهات النفسية في النظر والتطبيق.

لقد سعى دائمًا في هذه الكتب إلى توضيح مختلف جوانب مشروعه الثقافي الخاص، وبخاصة النواحي الفلسفية التي اعتمدت كثيرًا على قراءاته التي شغف بها منذ أيام دراسته الأولى، وبخاصة فلسفة جابربيل مارسيل، صاحب الوجودية المؤمنة (المسيحية) في مقابل وجودية سارتر، مما يعني أن فكره ذو أصول وجودية إلى حد كبير، وأنه عالج فيه العديد من المشكلات المتعلقة بالذات وبالوجود، إلى جانب اهتمامه بالمشكلات الدينية واللاهوتية والمتعلقة بالنواحي الأخلاقية والسياسية وغير ذلك من المشكلات المتعلقة بالوجود الإنساني نفسه مثل مشكلة العدالة ومشكلة الحرية والمسئولية، وإيجابية الإنسان في مقابل سلبية العالم؛ مما يكشف عن عدم تطابق الإنسان لا مع نفسه ولا مع العالم في أحيان كثيرة على ما أوضحه في كتابه «التناهي والإثم» الذي صدر عام ١٩٦٠ .

● قراءات مقترحة ●

- Works: Model the Text: Meaningful Action Considered as a Text. Social Research. Vol. 38. 1979 .

- Lévi- Strauss, Claude, Reponses? Quelques Questions. Esprit, Vol. 31. 1963 .



٣٦- ريسمان، ديفيد (١٩٠٩-) RIESMAN, David

عالم اجتماع أمريكي، ولد في فيلادلفيا، واشتهر بكتابه «الحشد الوحيد» The Lonely Crowcd: A study of The Changing American Character الذي ألفه عام ١٩٥٠ بالاشتراك مع ناثان جلازر Glazer وراؤل ديني Denney، واختصر في عام ١٩٦٠، وهو كتاب عن الشخصية الاجتماعية للطبقة الوسطى، ويقوم دليلاً على توجهه العلمي والأكاديمي الذي سار فيه باعتباره إشارة لكل الاغتراب الذي يعيشه الفرد في المجتمع الحضري الحديث.

وقد نال ريسمان تعليمه في هارفارد التي نال منها درجته العلمية الأولى (الليسانس) في ١٩٣١، ولكنه عمل موظفًا في المحكمة العليا من عام ٣٥ حتى عام ١٩٣٦، وبعدها درس القانون في جامعة بافلو من عام ٣٢ إلى عام ١٩٤١، وأصبح مديرًا لنيابة مقاطعة نيويورك من ٤٢ إلى ١٩٤٣ حيث أصبح بعد ثلاثة أعوام أستاذًا للعلوم الاجتماعية في جامعة شيكاغو من ٤٦ حتى ١٩٥٨ ثم قام بالتدريس في جامعة هارفارد حتى تقاعده عام ١٩٨٠م .

المشكلة التي تعتبر بمثابة نقطة انطلاق لكل تفكير ريسمان تتعلق بتأثيرات الحياة الحضرية على كل من الثقافة والشخصية المعاصرة. فبالرغم من أن هناك العديد من الباحثين الذين ذهبوا إلى تمجيد ظاهرة الحضرية، ومن ثم ارتبطوا بها كسبيل لمواجهة مختلف الظروف التي تنذر بتهديد رفاهية الإنسان الحضري، فقد كان هو ضمن الفريق الآخر الذين اعتقدوا أن هذه الظاهرة يكمن فيها كل ما يعانيه الإنسان من مشكلات. ففي رأيه أن المجتمع الحديث أصبح مجتمع المشاكل والاغتراب وانهيار الأخلاقيات وغير ذلك، مما ساعد على تخلف الإنسان وازدياد مشاعر التصدع والقلق وعدم الثقة في المستقبل الآمن المستقر.

والواقع أنه نتيجة لهذا الشعور نجده يلحق كتابه الأول «الحشد الوحيد» بآخر عن «وجوه في الحشد» ألفه أيضًا بالاشتراك مع جلازر ونشره في عام ١٩٥٢ حيث عاد يثير بعض القضايا التي سبق له التعرض لها في كتابه الأول. ثم كانت كتاباته اللاحقة في الاتجاه نفسه، فصدر له عام ٥٤ «اعتبار الفردية» -In

dividual is Reconsiderd ثـم Abundance for what? and Other Essays عـام ١٩٦٤ . بالإضافة إلى مقالاته التي تناول فيها الآثار الاجتماعية للتحضر ولفعل الحرب الباردة التي نشبت بين القوتين (الأعظم) في مسيرة الإنسان.

وقد لا يكون من السهل فهم ريسمان دون وضع أفكاره في السياق والإحاطة بنظريته في التطور الاجتماعي التي نبعت من خلال كتابه «الحشد الوحيد» حيث ربط بين المتغيرات السكانية وأنماط الشخصية، ففي رأيه أنه في المرحلة قبل الصناعية تميل المجتمعات إلى زيادة النسل وتزايد السكان، ويضرب لذلك أمثلة أفريقيا الجنوبية ووسط أوربا على وجه الخصوص.

ويذهب في حديثه عن الشخصية الاجتماعية النموذجية أن لها توجه تقليدي، وهذا النمط توجهه التقاليد المباشرة Traditional Directed التي يتمسك بها المجتمع ككل أو أقسام وشرائح رئيسية منه كالطوائف والعشائر. ومع زيادة التعداد دون الوصول إلى حد الازدحام والتضخم تسود الشخصية الفردية غير المباشرة ونمط التوجه الداخلي Inner Directed الذي يعمل بفعل تأثير جماعات الأقران Peer Groups التي تتماثل في السن أو الطبقة وهو ما يتغير بتغير الأهداف نتيجة لتغير الجماعات المسيطرة حيث يسود ما يطلق عليه التوجه الخارجي Other Directed . وعمومًا ففي رأيه أن تغير معدلات المواليد بالنسبة لمعدلات الوفيات من شأنه أن يؤدي إلى تغيرات عميقة في مثل هذه المجتمعات التقليدية، فبزيادة السكان عادة ما تنخفض معدلات الوفيات وتتحسن طرق الزراعة بما يحقق قدرًا من الوفرة في الإنتاج.

وبالرغم من الجهد الذي بذله ريسمان فإنه ينتهي إلى أمرين أساسيين هما أولاً: صعوبة صياغة أي نموذج لصورة المستقبل في المجتمع الأمريكي دون وجود نظرية ملائمة في التغير الاجتماعي وهو ما يشك في حدوثه حتى الآن، ومن الناحية الثانية إنه يؤكد تأكيدًا زائدًا على أهمية الدور الذي ينبغي أن يقوم به علماء الاجتماع بالذات لتقديم الحلول المناسبة لما يقع من مشكلات.

● قراءات مقترحة ●

- Scher, J. The Growth of Culture and the Evolution of Mind, In "Theories of the Mind" . New York, the Free Press. 1962 .

٣٧- ريبلاي، وليام زيلينا (١٨٦٧ - ١٩٤١)
RIPLEY, William Zelina

أنثروبولوجي أمريكي متخصص في الأنثروبولوجيا الاقتصادية، واشتهر بكتابه «أجناس أوربا» The Races of Europe: A Sociological Study الذي قدمه عام ١٨٩٩ وأثر كثيرًا في توجيه العلماء الأمريكيين إلى وجود التقسيمات الفرعية والهامشية في الأجناس الجغرافية.

في هذا الكتاب أوضح ريبلاي بصفة خاصة أن القوقازيين الأوربيين يمكن تصنيفهم بشكل واسع إلى ثلاثة أجناس رئيسية وهي الشماليين أو التيوتونيك Teutonic، والجنوبيين من سكان حوض البحر الأبيض المتوسط والذين يحتمل أن يكونوا أعرق الأجناس من حيث النشأة والأصل. والألبين Alpine الذين يرجعون بأصولهم إلى بعض الهجرات الوافدة من آسيا في أزمنة أكثر حداثة.

وقد تلقى ريبلاي تعليمه في المراحل الأولى من حياته في معهد ماساشوستس للتكنولوجيا Massachusetts Institute of Technology ثم في بوسطن. كما درس الاقتصاد السياسي في جامعة كولومبيا التي نال منها درجة الدكتوراه في عام ١٨٩٣ .

والواقع أنه قضى معظم حياته العلمية كأستاذ للاقتصاد السياسي في جامعة هارفارد من عام ١٩٠٢ إلى ١٩٣٣ . وبالرغم من أنه شارك في الحرب العالمية الأولى كمدير للقوى العاملة التي تحتاجها الأقسام الحربية والتحق في الفترة من ١٩٢٠ إلى ١٩٢٣ بالإدارة التجارية الداخلية، فقد شارك في تخطيط ووضع أسس شبكات السكك الحديدية؛ إذ كان من الداعين للأخذ بالمشروعات الضخمة كأفضل سبيل للربط والتفاعل والانتشار بين مختلف المناطق والأقاليم؛ مما يعكس موقفه من أهمية وضع حد لتعصب الحتمية البيئية، ووضع في مقابله مبدأ تنوع الإمكانيات أمام الإنسان في الزمان والمكان، فهو إذن يسلم بتأثير البيئة

في حياة الجماعات، إلا أنه أعلن أهمية المكانة التي يمليها التخصص وتقسيم العمل والتنظيم والتكنولوجيا وتأثيرها.

كذلك أبرز دور التركيب الوراثي للسكان في عملية التكيف المؤدي إلى الاستقرار. وفي رأيه أن الجنس (العنصر) القوقازي هو الأعظم والأقدر إنما الذي دفع إلى الاهتمام بالتفسيرات المرتبطة بالسلالة والعنصر والجنس فهو التقدم الذي حققه علم البيولوجيا على أثر ظهور كتاب داروين (أصل الأنواع ١٨٥٩). وفي تصوره أن سكان غربي وشمال غربي أوربا خصوصًا النورديين هم الممثلين للعقلية الغربية على حين يجرد من تلك العظمة سكان جنوب وشرقي آسيا.

ويصرف النظر عما قد تكون بعض كتاباته وآرائه لقيته من اعتراضات وانتقادات من الآخرين، فالمهم هو أنه كان أحد الأوائل الذين نبهوا منذ وقت مبكر إلى أهمية دراسة الأيكولوجيا الثقافية، وإلى صلتها الوثيقة بالاتجاهات العلمية المتصلة بدراسة التاريخ الحضاري والتطور الحضاري للمجتمعات، وأثر التكنولوجيا والاقتصاد في إحداث هذا التطور.

• قراءات مقترحة •

- Boyed, W. C., Genetics and the Race of Man, Boston. Brown and Co., 1950.
- Mac Gown, K., Eary Man in the New World. Macmillan, London. 1950.
- Dobzhansky, Th., Mankind Evolving (New Haven. London) Yale University Press. 1962.
- Leo Kuper (ed.) Race, Science and Society, The Unesco Press George Allen & Unwin. 1975.



٢٨- روجرز، بارباره ROGERS, Barbara

من بين أشهر العلماء الأمريكيين المهتمين بالكتابات والحركات النسوية الحديثة، والمتخصصين في الاجتماع العائلي الذين يركزون على تحليل أشكال الأسرة وأشكال السلطة داخل المنزل والمؤسسات الاجتماعية وطبيعة علاقاتهما بالبناء العائلي، وبخاصة من حيث وضعية المرأة والتغيرات التي طرأت عليها خصوصًا منذ منتصف القرن العشرين مع اتساع نطاق قطاع العمل والإنتاج في مختلف المجالات بالنسبة لكل الطبقات والمهن والأعمال. ومع ظهور النظرية النسائية التي أصبحت بمثابة تحدي للطريقة التي ينظر بها علماء الاجتماع للمجتمع الذي يدرسونه وتبني منظور الرجال وتهميش أدوار النساء.

وتقف بربارة طويلاً أمام وضعية واقعية معينة لها دلالتها الاجتماعية مثلما هي نتيجة تطورات بعيدة وعنيفة في علاقة الرجل والمرأة. فبالرغم من التغيرات في بناء الأسرة وحجمها التي نتجت عن التحولات الديموجرافية فإن السلطة في المجتمع المعاصر مازالت سلطة أبوية بالدرجة الأولى، أو هي سلطة ذكورية بتعبير أدق، حتى وبصرف النظر عن السن بين الرجل والمرأة، وما إذا كانا معًا أو كان زوجًا أو ابنًا، الأمر الذي يعكس العديد من صور التمييز والتحيز في مجالات العمل والحرية والمساواة، حيث أن المرأة مازالت تقتنع بمكان يقع في أسفل السلم الوظيفي والاجتماعي عمومًا، ويؤكد ذلك أن معظم الموظفين الكتابيين هم من النساء اللاتي مازلن دون مستوى التمثيل في مراكز القوى في المجال السياسي وسائر المجالات. ويصاحبه وجود هوة بين الأجور والمرتبات بين الرجال والنساء حتى بالنسبة إلى العمل الواحد، الأمر الشائع ويكاد يكون مسلمًا به في كل مكان. وتؤكده دراسات وبحوث جيمس برنارد Bernard واليس روس Ross وهمـا من علماء الاجتماع، ومن أنصار النظرية النسائية النشيطات Feminist Theory.

وإزاء العديد من الظروف فقد كان لها فضل استخدام بعض المصطلحات على نطاق واسع كالأسرة البديلة والأم البديلة والأب البديل، وقد لاحظت شيوع هذه المصطلحات مع تزايد معدلات الطلاق والحرمان من الأسرة بعدم وجود الأب أو الأم، إما للوفاة أو الانفصال.

وهذه الوضعية تقلق بارباره إلى حد بعيد، فالخوف الذي يسيطر عليها يكمن فيما تراه من أن الولايات المتحدة الأمريكية، لم تعد بعيدة أبدًا عن الحالة التي سوف تكون فيها الحياة الأمريكية في نطاق أسرة بديلة هي الشكل السائد في الحياة الأسرية. فبالرغم من الحريات الممنوحة للجنسين في الزواج وفي العلاقات الجنسية حتى قبل الزواج، فإن معدلات الطلاق في تزايد وارتفاع مستمر؛ مما يعتبر دليلاً على تفكك الأسرة النووية وتحول الأسر كبيرة الحجم إلى الأسرة الصغيرة، إنما التناقض يكمن في أن هذه الأسرة مازالت تمثل الوسط الطبيعي للإشباع العاطفي الذي لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة للرجل والمرأة، رغم تعقد الأمر في المجتمع المعاصر وهو ما يفسر وقوع تعدد الزواج أكثر من مرة بالنسبة للرجل وللمرأة على السواء.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Domestication of Women, London, Kegan Paul, 1981 .
- Parsons, T., The American Family, in T. Parsons and Fbales: Family, Socialization and Interaction. London. Routledge and Kegan Paul, 1956.
- Foucault, Michel, The History of Sexuality. Vol. 1 London, Allen Lane. 1978.
- Wallace, R. A. (ed.) Feminism and Sociological Theory. 1989 .



٣٩- روص، إدوارد (١٨٦٦ - ١٩٥١) ROSS, Edward

يعتبر من الرواد الأوائل الذين أسسوا علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية والذين قدموا إحدى النظريات الاجتماعية التي مازالت تتمتع بالتقدير والاحترام. كما كان مشهورًا بكتاباته المتعددة التي كانت تدور حول المشكلات الاجتماعية ومظاهر القصور والتراجع الاجتماعيين، فقد كان مناصرًا للاتجاهات الواقعية الحديثة، وأحد المنادين بالتشدد والقوة في مواجهة الانحرافات وباعتبارهما وسيلة مثلى لتحقيق الغايات الإصلاحية التي يستهدفها المجتمع والمحافظة على النظام ومسايرة القواعد والأحكام المتعارف عليها.

ولد إدوارد روص في ديسمبر عام ١٨٦٦ في فيردين Virden في الينوى Illinois بأمريكا وعمل في جامعة ستانفورد بكولومبيا كأستاذ للإدارة والمالية حتى عام ١٨٩٣ عندما بدأت تظهر ميوله لعلم الاجتماع الذي اعتقد أنه يجب أن يكون أداة للإصلاح والتقدم. وقد كان لآرائه ومواقفه صدى قويًا باعتباره أحد المناصرين للأخذ بالقوة والتشدد في سياسة الولايات المتحدة الأمريكية، الأمر الذي جذب انتباه مسز ليلاند ستانفور .Leland S زوجة مؤسس الجامعة، فطالبت بفصله عام ١٩٠٠، ولكنه لم يلبث أن التحق بجامعة ويسكونس التي ظل فيها من ١٩٠٦ إلى ١٩٣٧ .

اشتهر روص بسبب كتابه الضخم «الضبط الاجتماعي» Social Control الذي قدمه عام ١٩٠١، وذهب فيه إلى أن النظام في المجتمع لا يعد سلوكًا غريزيًا أو تلقائيًا وإنما ينشأ هذا النظام نتيجة للضغط الاجتماعي الذي يعتبر عنصرًا أساسيًا في الحياة الاجتماعية، ولهذا ركز فيه على إبراز أسباب ودواعي التدخل في حريات الأفراد، وفي ديناميات الفعل والسلوك، وديناميات القوة والسيطرة، بالإضافة إلى كتابه الممتاز «علم النفس الاجتماعي» Social Psychology في ١٩٠٨ وهو من الأعمال الرائدة التي كتبت في قضية النظام الاجتماعي، وأيضًا كتابه «الخطيئة والمجتمع Sin and Society الذي كتبه قبل ذلك بعام (١٩٠٧)

باعتباره مشتملاً على تصوراته وأفكاره التي دعى إليها، وكذلك ملامح وأبعاد دعوته إلى فقه القانون الاجتماعي الذي بات معروفًا بالدراسة الاجتماعية للقانون. هذا وقد توفي إدوارد روص في الثاني والعشرين من يوليو عام ١٩٥١ في ماديسون بوسكنس بالولايات المتحدة الأمريكية .

• قراءات مقترحة •

- Works: Principles of Sociology. 1920 .

وقد اعتبر هذا الكتاب لسنوات طويلة عملاً رائعًا يحتذى كمعيار بالنسبة للمداخل في هذا التخصص.

وانظر أيضًا:

- Broom, Leonard & Others (eds.) Sociology: A Text with Adapted Readings. N. Y. Harper & Row Publishers. 1981 .
- Gibbons, Don C., Society, Crime and Criminal Behaviour, Englewood Cliffs, N. Y. Prentice - Hall, Inc. 1982 .



٤٠- رونتري، بنيامين سيبوم (١٨٧١-١٩٥٤)
ROWNTREE, Benjamin Seebohm

عالم اجتماع ومصلح اجتماعي بريطاني اشتهر بسبب دراساته في التغير والرفاهية الاجتماعية. ولد في عام ١٨٧١ في يورك بمقاطعة يوركشاير بإنجلترا، وتوفي عام ١٩٥٤ في هاي ويكومب High Wycombe في بكنجهام شاير .

التحق بمدرسة الأصدقاء في يورك حيث درس الكيمياء والتحق بأوين كوليج في مانشستر عام ١٨٨٩ وبعد تخرجه لم تمض سنوات حتى أشرف على عدد من مشروعات الإسكان وعلى كثير من المشروعات الخيرية. واعتبر بسببها من أهم رواد المسح الاجتماعي الذين اهتموا بدراسة أصول الطبقات الاجتماعية الفقيرة والتركيز على ما يطلق عليه أسلوب الحياة.

من رأيه أن المسح الاجتماعي في ميدان العلوم الاجتماعية له وظيفة تماثل تمامًا وظيفة المشاهدة في العلوم الطبيعية. هذا بالإضافة إلى استخدامه المنهج المقارن للقيام بتجاربه ودراساته المسحية التي اعتمدت على جمع المادة التي تبين مستوى الطبقات الفقيرة ووضعياتها كي يتمكن في ضوئها من وضع معيار دقيق لمعنى الفقر Poverty ومعرفة الشروط الضرورية التي تتحكم في أسلوب حياة الطبقات الفقيرة والطبقات العاملة والظروف الاجتماعية التي يعيشونها وكذلك نظم الأجور والترقي في البناء الطبقي.

وقد خلص رونتري إلى أن هناك الفقر الأولي أو الابتدائي Primary، والفقر الثانوي حيث يكاد الفرد في الحالة الأولى لا يحصل على الضروريات التي تشبع مجرد حاجاته الفيزيقية، بينما قد يسمح النوع الثاني للفرد أن يحصل على تلك الضروريات ولكن بشق الأنفس. وعلى أية حال فقد تعددت كتاباته في هذا الموضوع الحيوي على الأقل في مراحل مبكرة من حياته.

• قراءات مقترحة •

- Works: Poverty: A Study of Town Life. 1902 .

----------: Belting and Gambling a National Evil. 1910 .

----------: Unemployment: A Social Study. 1911 .

----------: The Human Factor in Business. 1921

على حين اشتملت كتاباته الأكثر حداثة على:

Works: Old People. 1947 .

--------: English Life and Leisure : A Social Study. 1951 .

--------: Poverty and the Welfare. State: 1957 .

وهو كتاب ألفه بالاشتراك مع G.R. Lavers، ومازال يتمتع بتقدير كبير من مختلف القراء والباحثين .

★ ★ ★

٤١ - راسل، برتراند (١٨٧٢ - ١٩٧٠) RUSSELL, Bertrand

فيلسوف مثالي ومنطقي بريطاني اشتهر بسبب أعماله في المنطق الرياضي ونشاطاته السياسية ومناوءته للحرب، ومناداته بالسلام، ومواقفه الشهيرة من الهيمنة والسيطرة العالمية والتهديد المستمر بالقوة ومختلف الضغوط. كتابه الأول ألفه عام ١٨٩٦ وكان بعنوان : «الديمقراطية الاجتماعية الألمانية» German Social Democracy، وقد ألحقه في عام ١٩٠٥ بكتابه الممتاز عن «مبادئ الرياضيات» The Principles of Mathematics الذي أثر في أجيال عديدة من الباحثين ووجه بحوثهم إلى حد بعيد.

• قراءات مقترحة •

- Works: An Inquiry into Meaning and Truth, 1940 .

---------: A History of Western Philosophy. 1945 .

---------: The Principles of Social Reconstruction. George Allen and Unwin. Fourteenth impression. 1960 .

---------: The Philosophy of Bergson. 1964 .

(ويمكن الإحاطة بموضوع هذا الكتاب في كتابي «المشكلة الاجتماعية في فكر هنري برجسون: دراسة في فلسفة التغير» الذي سبق أن قدمته عام ١٩٨٩) .



٤٢- رايل جيلبرت (١٩٠٠-١٩٧٦) RYLE, Gilbert

فيلسوف إنجليزي، وأستاذ الفلسفة بجامعة اكسفورد، وواحد من الرواد الكبار لفلسفة التحليل اللغوي.

وقد ولد جيلبرت رايل في نورث يوركشاير بإنجلترا عام ١٩٠٠، وانبنت فلسفته على مقولة أساسية مؤداها أن الفلسفة هي نشاط هادف يسعى إلى إزالة الخلط وعدم الفهم أو سوء الفهم في مجال التصورات المستخدمة في التعبير اللغوي. كما ذهب في الاتجاه نفسه الذي سار فيه فتجنشتين إلى أن المسائل الفلسفية ليست مشاكل بقدر ما هي إشكاليات ترجع من حيث الأصل إلى هذا الخلط الذي تنطوي عليه التصورات .

في رأيه أن الوسيلة الوحيدة أو الطريقة السليمة لإزالة هذا الخلط تتمثل في توضيح التصورات المستخدمة والتخلص من أخطاء التصور بتبيان الصواب ومقتربًا بذلك كثيرًا من فكر فتجنشتين ومواقفه. وفي كتابه الأساسي «العقل» الذي قدمه عام ١٩١٩ عرض رايل مذهبًا سلوكيًا لغويًا حيث عارض النظرية الديكارتية في العقل، وذهب إلى أنه من الخطأ الفاضح اعتبار العقل مادة متمايزة عن العالم المادي تكون بمثابة مرآة له. وعلى العموم فإنه يعتبر أحد الكبار الذي يحملون لواء فلسفة ما بعد فتجنشتين Post Wittgenstein من أمثال أوستن وجلنر وبيتر وينش Winch .

• قراءات مقترحة •

- Elster, John, Logic and Society: Contradictions and Possible World. 1978.



٤٢ - سانتيانا، جورج (١٨٦٣-١٩٥٢) SANTAYANA, GEORGE

الكلمات الفذة الملهمة التي كتبها سانتيانا ربما في أروع مؤلفاته التي صدرت في أوائل القرن الماضي تحت عنوان «العقل في الدين» Reason in Religion (١٩٠٥ / ١٩٠٦) تضعنا مباشرة في قلب فكرة الدين وفلسفته الجمالية اللذين تناول من خلالهما المشكلة الإنسانية عندما يتأرجح فكر الإنسان ومشاعره وضميره بين شكوك العقل ويقينه وظلمات المجهول وحيرته، فيحاول أن يقف من أبعاد هذه المسائل الفلسفية كلها موقفًا إيجابيًا يناهض به الكثير من الآراء والمواقف الفلسفية السابقة، خاصة وهو يمنحها تفسيرًا اجتماعيًا إن لم يكن انثروبولوجيًا يسعى إلى اختراق فكرة الزمان الاجتماعي التي ركز عليها دوركايم باعتبار أن هناك الزمان الفكري والزمان السيكولوجي والزمان الوجودي، وليس الزمان الاجتماعي في رأيه إلا واحدًا أو شكلاً من أشكال الزمان العديدة المتكثرة .

في هذا الكتاب (العقل في الدين) كتب سانتيانا يقول: «إن أية محاولة للحديث دون الكلام بلغة بذاتها ليست أكثر سوءًا ولا طائل من ورائها من محاولة أن يكون لديك عقيدة (دين) لا يكون دينًا من حيث الجوهر والماهية... إن كل دين حي صحيح يتمتع بمقومات وعلامات معينة. إن قوته تكمن في ذيوعه وانتشاره وفي معانيه المدهشة، وفي تلك الآفاق التي يمنحها الكشف الديني للحياة. إن الآفاق الفسيحة التي يفتحها للإنسان، والمظاهر والأحاجي الغامضة التي تحيط بعالم آخر من المحتمل أن يعيشه المرء، أو غيره مما يمكن أن يعيشه كذلك. وأيًا ما كان العالم الذي نتوقع أن نعيشه أو حتى لا نعيشه... هو بالذات ما نقصده بقولنا إن لدينا دين أو عقيدة».

هو جورج سانتيانا أو بالأصح جورج أوجستين نيكولاس رييز دو سانتيانا Jorge Augustin Nicolas Ruiz de Santayana فيلسوف ديني وشاعر أسباني

ولد في مدريد عام ١٨٦٣، واشتهر بأنه إنساني النزعة، وبإسهاماته في علم الجمال والأديان المقارنة وفلسفة التأمل والنقد الأدبي.

لحق بأمه في بوسطن عام ١٨٧٢، وعمره بالكاد عشر سنوات، ولكنه استقر منذ ١٩١٢ في أوربا وأقام بصفة شبه منتظمة في فرنسا وإيطاليا حيث استقر من عام ١٩٢٤ في روما .

ولقد درس سانتيانا الفلسفة في جامعة برلين وعاد بعدها إلى جامعة هارفارد حيث درس للدكتوراة على أيدي البراجماتي الشهير الأستاذ وليم جيمس (١٨٤٢- ١٩١٠) كما التحق بكلية الفلسفة في ١٨٨٩ حيث كون مع وليم جيمس وجوزيه رويس Royce جماعة فلسفية مستنيرة.

والواقع أن فكر سانتبانا يتمتع بسحر خاص، فهو يرى أن المنظور العقدي أو الديني يختلف تمامًا عن كل ما هو سائد ومعروف. وفي لغة هي أقرب إلى لغة بعض علماء الأنثروبولوجيا الاجتماعية يرى أنه يتحرك إلى ما وراء وقائع وحقائق الحياة اليومية إلى آفاق أكثر رحابة تصحح كل ما هو معروف ومسلم به ذلك أن عمله واهتمامه الذاتي الأصيل ليس مجرد العمل على تلك الوقائع والحقائق، وإنما التسليم بها والإذعان لها.

كما أن المنظور الديني يختلف أيضًا عن المنظور العلمي في أن الدين يسائل حقائق كل يوم ليس من خلال الشك المنهجي المنظم الذي قد يناقش أو حتى يحل معضلات العالم بما يشبه المسلمات أو الفرضيات وإنما السير نحو معطيات أكثر اتساعًا ليست كحقائق موضوع افتراض أو تسليم. وكذلك يختلف عن الفن في أنه بدلاً من أن يقدم نسقًا من الحقائق المعطاة كافة، يقدم مجموعات من أنصاف الحقائق التي يغلفها الغموض، إذ إنه يبحث عما هو أبعد بكثير مما يحفز عملية الخلق والابتكار بشكل كامل ومتجدد أبدًا. إنها تلك الحقيقة الحقة Areally Real التي يرتكز إليها المنظور الديني ويكرس لها نشاطات الدين الرمزية كملمح أو كنظام ثقافي يركز كل الخبرات في وحدة متسقة لا توفرها الخبرة الدنيوية. منتهيًا إلى ضرورة مراجعة موقف البعض الذين يذهبون إلى أن الدين مجرد نتاج

للبناء الاجتماعي؛ لأن الملامح السيكولوجية وربما غير المنطقية تبدو أكثر إثارة للجدل والنقاش.

ولعلنا من هنا نجد شبهًا بين تلك الكلمات التي يقولها سانتيانا وتلك الأفكار والتصورات التي يجيش بها الاتجاه الروحي Spiritualism الذي يمكن القول بأن مين دوبيـــران Maine de Biran قد ألهمه بأكثر من معنى لمفكري القرن الثامن عشر والتاسع عشر وحتى أوائل القرن العشرين الذين اتخذوا موقفًا مناهضًا لمادية العالم الخارجي. وغني عن الذكر في تاريخ الفلسفة والفكر الاجتماعي بعض الذين أقاموا تمييزًا قاطعًا بين عالم المكان الذي يخضع لقوانين الضرورة الإستاتيكية أو الحتمية، وعالم الحياة الحقة المتفتحة حيث يعيش الأفراد انطلاقة حرة نشطة متجددة أبدًا. وحيث تمتلئ حياة الإنسان بالتفاؤل والأمل في قدرة الإنسان وفي مكانته التي تتطلع دائمًا إلى الأحسن والأكمل بغية الاقتراب منه وربما الذوبان والفناء فيه.

لقد توفي جورج سانتيانا في سبتمبر عام ١٩٥٢ قبل شهور قليلة من عامه التاسع والثمانين قضاها في محاولة للكشف عن الحقيقة الحقة التي طالما حفزت العقول.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Issue of Beauty , 1896 .

---------: Reason in Religion, Vol. 2. The Life of Reason or the Phases of Human Progress. London. Constable. N. Y. Scribiner. 1905/ 1906 .

---------: The Realm of Spirit: Domination and Power. 1951 .

بالإضافة إلى عدد هائل من المقالات التي دبجها حتى قبيل وفاته بقليل.



٤٤- سابير، إدوارد SAPIR, Edward

من أشهر اللغويين والأنثروبولوجيين الأمريكيين واشتهر بسبب إسهاماته الواسعة في دراسة لغات هنود أمريكا الشمالية، وبأنه مؤسس «الأثنولنجويستكس» Ethnolinguistics التي تركز على علاقة اللغة بالثقافة، إضافة إلى أنه يعتبر أحد العلماء البارزين الذين طوروا المدرسة الأمريكية الوصفية للتيارات اللغوية البنائية إذ اهتم في ذلك بدراسة الفونيمات Phoneme حيث اعتبر الفونيم أصغر وحدة صوتية دالة يمكن عن طريقها التمييز أو التفرقة بين المعاني، وحاول في ذلك توضيح الرابطة بين الفونيم وبين حقيقته الذاتية أو الدالة كاشفًا بذلك عن النظام أو النسق الصوتي (الداخلي) Inner أو النموذجي Ideal في اللغة على أنه جانب من الأدوات الذهنية التي يستخدمها المتحدثون وهو مبدأ رأى أنه على غاية من الأهمية في حياة اللغة خصوصًا في كيفية الاكتساب اللغوي Language Acquisition .

جاء إلى الولايات المتحدة الأمريكية من بلده ألمانيا وعمره خمس سنوات. ولما التحق بجامعة كولومبيا وقع بشكل مباشر تحت تأثير فرانز بواس (١٨٥٨-١٩٤٢) الذي وجه اهتماماته إلى ثراء الثقافات والأنثروبولوجيا اللغوية حيث مضى عدة سنوات في دراسة بعض القبائل بالغرب الأمريكي. وهيأ له ذلك أن يتبوأ عدة مناصب؛ إذ عمل في الفترة من ١٩١٠ إلى ١٩٢٠ رئيسًا للأنثروبولوجيا بالمتحف القومي الكندي، حيث أتم واحدًا من أهم أعماله في التغير اللغوي بين الهنود الأمريكيين عام ١٩١٦ .

وقد التحق إدوارد سابير بجامعة شيكاغو في عام ١٩٢٥ حيث استطاع في عام ١٩٢٩ من إتمام تصنيف العدد الهائل من لغات الهنود في الولايات المتحدة الأمريكية، وكندا، وبعض مناطق المكسيك وأمريكا الوسطى، وذلك بتصنيفها في ٦ أقسام رئيسية. ثم في عام ١٩٣١ أصبح أستاذًا للأنثروبولوجيا بجامعة ييل Yale حيث أسس قسم الأنثروبولوجيا وظل يمارس نشاطه حتى قبيل وفاته عام ١٩٣٩ بعامين.

من بين أهم إنجازاته تلك الحقيقة التي نبهت إليها مختلف البحوث والدراسات الوصفية، وهي أنه لا وجود لما أطلق عليه البعض وصف اللغات البدائية التي اعتبرت الأصل الذي تطورت عنه لغة الإنسان الحديثة، وذلك لأن هناك بالفعل العديد من اللغات المعقدة تتكلمها كل الشعوب والجماعات المتحضرة وغير المتحضرة أو تلك التي لم تتفتح عيناها بعد إلا على أبسط أشكال التكنولوجيا وأشدها سذاجة وبداءة. فمن رأيه أنه ما من مجتمع معروف مهما بلغت درجة بداءته إلا ويوجد به نظام لغوي متشعب العناصر ومحكم التركيب، فقبائل استراليا الأصليين وهم الذين يمثلون أكثر الشعوب تأخرًا يستخدمون فيما بينهم لغة تحتوي على قدر من الألفاظ وعلى درجة من الرمزية لا يقلان عما يوجد في استخدامات الرجل الفرنسي المثقف.

بل إن اللغة والأنماط اللغوية في رأي سابير تتدخل في تحديد الكيفية التي ينظر بها الأفراد إلى العالم وإلى المحيطات من حولهم، وإلى أي مدى تستطيع هذه الأنماط أن تؤثر في المجتمع من خلال تحكمها في وجهات نظر الناطقين بها، وربما من هنا كما يرى سابير إحساس الأفراد والجماعات أنهم لا يعيشون بعيدًا عنها ولكن تحت ضغط أسارها كوسيلة اتخذت للتفاهم وللاتصال فيما بينهم. وقد أثرت هذه النظرة التي يسوقها سابير في بعض العلماء والتلامذة وبخاصة تلميذه بنيامين فورف Whorf الذي تأدت به إلى ما يعرف عنده بالنظرية أو الفرض الفورفي Whorf Hypothesis الذي ناقش فيه طبيعة المسائل التي تضمنتها العلاقات بين الكلمات والأفكار عمومًا، أو ما اصطلح على وصفه بالعلاقات المنطقية بين المفردات والأفكار. فاللغة ليست مجرد وسيلة للتعبير عن الأفكار، بل إنها هي ذاتها التي تقوم بتشكيل هذه الأفكار وتحديدها، بل وبتقسيم العالم والطبيعة مما يعني أننا نعيش في عالم من صنع هذه اللغة، ومن صنع تصوراتها ومفاهيمها. وعلى العموم فقد ظهر تأثير هذا الاتجاه الذي حمل لواءه إدوارد سابير وانتقل إلى تلميذه بنيامين فورف في كتابات عدد كبير من العلماء المحدثين والمعاصرين، فعملوا على تطويره من خلال النتائج التي أسفرت عنها بحوثه التي أجراها على لغات الهنود الحمر، وبعدما اتضحت للأذهان حقيقة

أنها ليست مجرد وسيلة للتعبير بالمعنى الضيق، ولكن هي نفسها التي تشكل ما يُراد التعبير عنه، وبالتالي كيفية التعبير ذاتها.

• قراءات مقترحة •

- Works: Language, Harcourt Brace, 1921 .

----------: The Status of Linguistic as Science (Linguistic Society of America) 1929 .

---------: Linguistics as Science in & Mandelbaum, ed. Culture, Language and Personality. Univ. California Press. 1956 .

انظر أيضًا:

- Whorf, Benjamin Lee, Language, Thought and Reality, Cambridge Techonology Press, W Y. Wiley. 1956 .



٤٥- سارتون، جورج (١٨٨٤ - ١٩٥٦) SARTON, George A. Leon

من أصل بلجيكي وهاجر إلى إنجلترا مع نشوب الحرب العالمية الأولى ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩١٥ ومعه نسخة من مجلته ربع السنوية التي أصدرها في عام ١٩١٢، وتركزت مهمتها في التنسيق بين نتائج البحوث التاريخية في كل العلوم. وللحق فقد كانت له إسهامات واسعة في تاريخ العلوم، ربما توجت بأنه نجح في أن يجعل الآخرين يعترفون صراحة بأنه أصبح نسقًا علميًا له ذاتيته وشخصيته المتكاملة المستقلة. خاصة وقد اشتهر بموضوعيته وحياديته التي جعلته ينصف العرب في مواطن كثيرة، ويعلن أنه يعتبرهم (العرب) عباقرة الشرق في القرون الوسطى، وأن فكرهم كانت له مأثرة عظمى على الإنسانية تتمثل في أنهم كتبوا أعظم المؤلفات والدراسات قيمة، وأكثرها عمقًا وأصالة، مستخدمين في ذلك لغتهم العربية التي كانت بلا مراء لغة العلم للجنس البشري في الفترة من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر لدرجة أنه كان يتحتم على كل من يريد الإلمام بثقافة عصره وبأحدث ما يجرى فيه من علوم أن يتعلم اللغة العربية ويتقنها. وهي نظرة أغضبت الكثيرين على أي الأحوال.

والواقع أنه يتمتع بثقافة موسوعية واسعة. فقد درس الكيمياء والميكانيكا والرياضيات في جامعة جنت التي نال منها الدكتوراة عام ١٩١١ . والمهم أنه في أثناء إقامته بالولايات المتحدة الأمريكية ظل على دأبه في الاهتمام بتاريخ العلوم. فأصدر في عام ١٩٣٦ مجلة ثانية باسم «أوزوريس Osiris» بعدما كانت مجلته الأولى تحمل اسم إيزيس Isis. وقد أفرد هذه المجلة الثانية لتاريخ وفلسفة العلوم. كما عين في معهد كارنيجي عام ١٩٤٨، ثم أصبح بعد ذلك محاضرًا في جامعة هارفارد. والجدير بالذكر أنه قام بالعديد من الرحلات من آن لآخر للمشاهدة والبحث وجمع المادة والمعلومات. ونتيجة لرحلته الطويلة التي زار فيها سوريا ومصر وتونس والجزائر والمغرب أن ظهر كتابه العملاق المعنون «مقدمة لتاريخ العلم» Introduction to the History of Science في ثلاثة أجزاء في

الفترة من ١٩٢٧- ١٩٤٧ . وبالرغم من تقادم العهد بهذا التاريخ، فمازال يعتبر مرجعًا كلاسيكيًا لا غنى عنه للقراء والباحثين. وعندما توفى عام ١٩٥٦ عثر عنده على صورة مخطط انتهى من الإعداد والتخطيط له قبيل وفاته، ويدور حول تاريخ العلوم حتى عام ١٩٠٠ .

• قراءات مقترحة •

- Works: Ancient Science Through the Golden Age of Greece. 1952.



٤٦- سوفي، ألفريد SAUVY, Alfred

يعتبر ألفريد سوفي مفكر فرنسي ضمن الأسماء اللامعة التي تكونت منها المدرسة الاجتماعية الحديثة التي تزعمها جورج جيرفيتش Gurvitch في الخمسينات من القرن الماضي لتكون امتدادًا لمدرسة المجلة السنوية لعلم الاجتماع L'année Sociologique التي كان قد أنشأها دوركايم، ومن بين هذه الأسماء إلى جانب المفكر الفرنسي ألفريد سوفي رايموند آرون Aron، وآلان تورين Touraine، وجورج بالانديه Balandier، وايف جوسولت Goussault، وكلود ليفي ستروس Strauss وشارل بتلهايم Betteleim وغيرهم كثير ممن فتحوا الطريق أمام عملية التنظير التي استهدفت أساسًا قضية التنمية وتناولها من منظور سوسيولوجي يحيط بمختلف أبعادها ومن بينها بالطبع قضية الفقر وقضية التخلف على وجه الخصوص.

من قبل كان العلماء والباحثون قد درجوا على التعامل مع ظاهرة التنمية من خلال أطر اقتصادية حينًا وسياسة حينًا آخر أو قانونية أو إدراية وكان نادرًا ما تم التعامل بطريقة تكاملية على أرض الواقع الاجتماعي، فبدا الأمر، وكأنه بضعة جهود ممزقة ومبعثرة دون توافر النظرية أو المنهج .

ألفريد سوفي من خلال المدرسة الاجتماعية الحديثة كان له فضل التنبيه إلى ضرورة التعديل والتغيير ووضع الأساس المنهجي لنوع حديث من فروع علم الاجتماع هو علم اجتماع التنمية Sociologie du Developpement متأثرًا في ذلك بجهود جورج جيرفيتش من خلال مؤلفه «الرسالة الراهنة لعلم الاجتماع» الذي نشره في عام ١٩٥٠ حيث غذي سوسيولوجيًا التنمية بمعلومات فلسفية دقيقة في التحليل والتنظير. وفي ضوء هذا كان سوفي هو أول من أطلق مصطلح مجتمعات العالم الثالث Societes de Tiers Monde عام ١٩٥٦ مشيرًا إلى تلك المجتمعات التي لم تلحق بالثورة الصناعية أو غيرها مما وقع في أوائل القرن العشرين.

وقد انتشر هذا المصطلح بما لا يُقاس. وكما وضح في أذهان الباحثين أن موضوع سوسيولوجيا التنمية هو قضية التنمية باعتبارها عملية اجتماعية فعالة

وإنما اتضح لهم أيضًا أنها لا يمكن أن تنفصل عن البناءات الاجتماعية والثقافية للمجتمعات فعمدوا إلى تقسيم مجتمعات العالم الثالث إلى ثلاث مجموعات أساسية كي يسهل بحثها والتحرك فيها هي العالم الثالث من البلدان ذات المستويات الاقتصادية المتواضعة والتكنولوجيا الضعيفة وتندرج في هذه المجموعة البلدان التي تنتج المواد الخام، ثم بلدان العالم الرابع وهي التي تملك المواد الخام إلى جانب القوى البشرية والهياكل الاقتصادية، ولكنها تفتقر إلى النقد والأموال اللازمة، والعالم الخامس وهو أكثر البلاد تخلفًا؛ إذ لا تملك لا المواد الخام ولا القوى البشرية، كما أن إنتاجها الزراعي لا يحقق لها احتياجاتها الضرورية وبالتالي تتفاقم مشكلات الفقر والتخلف.

ومهما كانت الأسباب وراء تعثر اجتماع التنمية وتأخره في القيام بمهمته إزاء قضية التنمية اكتفاءً ببعض العمليات محدودة النطاق التي تنعكس عليها مختلف الأوضاع السياسية والاقتصادية العالمية بما يعيقها عن الوصول إلى ما يرجى من نتائج، فقد شهدت العقود القليلة الأخيرة ثمار جهود ألفريد سوفي وأمثاله التي جمعت بين الدراسة النظرية التحليلية والبحوث التطبيقية التي عكست آثارها على ظاهرة التنمية وساهمت في إثراء ذلك الفرع السوسيولوجي الجديد. وحتى بات في الإمكان استحداث طرائق بحثية جديدة لتعمل في اتساق مع النظريات المستقاة من الواقع، مما أدى إلى حل كثير من إشكاليات التنمية وإثراء بحوثها ودراساتها من الناحيتين النظرية والمنهجية على السواء.

• قراءات مقترحة •

- Works: Conjoncture et Previson Economiques, Paris. 1977 .

وقد يكون من المفيد جدًا الإحاطة ببعض ما قدمه جيرفيتش وغيره في الموضوع.

Gurvitch, G., La Vocation actuel de La Sociologie. Paris 1950 .

Parsons, T. Sociological Theory and Modern Society . N.Y.London 1967 .



٤٧ - شابيرا، إيزاك (١٩٠٥-) SCHAPERA, Issac

اشتهر بأعماله الأثنوجرافية والطرازية النموذجية على شعوب جنوب أفريقيا في بتشوانا Betswana وسمحت له أعماله الحقلية التي قام بها على مدى أكثر من عشرين عامًا بتسجيل التاريخ الشفهي باللغات والألسنة الوطنية والمحلية واستخلاص كثير من الملاحظات عن الاتصال ومظاهر الاحتكاك بالثقافات المختلفة. كما أن تحليله للتأثيرات المتقاطعة والثقافية بين الهتنتوت Hottentots والبوير Boers في جنوب أفريقيا، وبين تسوانا Tswana والبوشمن وبين البيض في بتشوانا لاند جعله يذهب إلى أنه يمكن استخدام الأنثروبولوجيا التطبيقية في حل كثير من المشكلات العرقية والجنسية في العديد من الجهات والمناطق بجنوب أفريقيا، ولذا عمل شابيرا مع البناءات السياسية البريطانية والمحلية خاصة في دراساته لموارد المياه ومشكلات الهجرة حيث أظهر حذقًا ومهارة بالغتين في تحليل سياسة حكومة المستعمرات .

وقد كان لمولده ونشأته الأفريقية أثر بالغ في فهمه لطبيعة العقلية وطابع الحياة الأفريقية. فقد ولد في جاريس Garies عام ١٩٠٥ . ونال الماجستير من جامعة كيب تاون، ثم حصل على درجة الدكتوراة من مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية. حيث ظهر بصورة واضحة مدى تأثره بعدد من الأساتذة الكبار في مقدمتهم مالينوفسكي ورادكليف براون اللذين تعلم منهما التحليل البنائي والوظيفي، وخصوصًا في أعماله التي تميل إلى تسجيل ديناميكية نظريات التثقيف عند رادكليف براون أكثر منه عند مالينوفسكي بنظرته الخاصة للمنهج التاريخي في دراسة السمات الثقافية والتغير الثقافي عمومًا مما يعني حفاظ شابيرا على منظوره الإمبريقي والتاريخي واهتمامه بمعرفة تاريخ الثقافات الوطنية والتقليدية كخطوة أساسية في فهم التغير الثقافي وما طرأ على الثقافة الإفريقية من تحولات نتيجة الاحتكاك والاتصال الثقافي بمظاهره المتعددة ومن بينها الاستعمار الأوربي الذي عاشته شعوب القارة طوال فترات من الزمن.

وقد عمل شابيرا في مدرسة لندن التي تخرج فيها، كما قام بالتدريس في جامعة ويتووترساند Witwatersand وجامعة الكيب تاون حتى عام ١٩٥٠، وجامعة لندن فيما بين ١٩٥٠ و ١٩٦٩، وجامعة شيكاغو حيث هيأت له مجموعة من الظروف القيام بمجموعة من الدراسات الحقلية، فقام فيما بين ١٩٢٨و ١٩٣٥ بدراسة في تسوانا Tswana التي كان يعود إليها من آن لآخر. ثم قام في ١٩٤٧ بدراسة أخرى في كينيا.

وقد أسفرت هذه الدراسات عن عدد من المؤلفات عن تسوانا وغيرها من الجماعات والشعوب الأفريقية. في الوقت الذي قام بتحرير بعضها الآخر، ومن بين ذلك كله «الحياة الزواجية في قبيلة أفريقية» A Handbook of Tswana, Married Life in an African Tribe و«العرف والقانون» Law and Custom (١٩٣٨) وأيضًا «التشريع القبلي بين التسوانا» Tribal Legislation among the Tswana، «ببليوجرافيا مختارة للحياة الوطنية في جنوب أفريقيا وبعض مشكلاتها» Select Bibliography of South African Native Life and Problems (١٩٤١)، «قبائل الباتو في جنوب أفريقيا» The Bantu - Speaking Tribes of South Africa (١٩٣٧) وكان قد سبقه بثلاثة أعوام (١٩٣٤) كتاب آخر عن متشوانا لاند بعنوان Native Land Tenure in Bechuanaland Protectorate .

● قراءات مقترحة ●

- Works: Kinship and Marriage Amgng the Tswanc (in) A Radcliffe-Brown & Daryll Forde (eds) African Systems of Kinship and Marriage. London. Oxford University Press. 1950 .

-------: Government and Politics in Tribal Societies. 1958 .

-------: Western Givilization and the Natives of South Africa.

--------: The Political Annals of Tswana Tribe. 1947 .

--------: Praise Poems of Tswana Chiefs. 1965 .

--------: Migrant Labour and Tribal Life. 1947 .

-------: Kinship Terminology in Jane Qusten's Novels. 1977 .



٤٨- شارف، بتي. ر. SCHARF, Betty R.

أستاذة علم الاجتماع بجامعة لندن للاقتصاد (اكسفورد) تخصصت في الدراسات الدينية وفي موضوعات العقيدة والإيمان، ولكنها اتخذت لنفسها مدخلاً خاصًا يباعد بينها وبين المداخل التقليدية التي ظل الباحثون يتبعونها لفترات طويلة.

وضعت تمييزًا واضحًا بين المدخل الاجتماعي والمدخل الفلسفي أو اللاهوتي في دراسة الدين، وأخذت من خلال هذا المدخل تناقش مناقشة نقدية فاحصة ومدققة مختلف النظريات التي قيلت خصوصًا عند أوجيست كونت Comte وإميل دوركايم Durkheim . كما عرضت لكثير من الظواهر الدينية والممارسات الدينية وعلاقاتها بالبناء الاجتماعي، ومن ثم أخذت تحلل الوظائف الاجتماعية للدين، حيث عرضت لنظريات فرويد Freud، وماركس Marx، وترولتيش Troeltsch، وماكس فيبير Weber من هذه الزاوية. كما ركزت على ظاهرة الدين من خلال الإسهامات العديدة التي قام بها الأنثروبولوجيون وبخاصة تلك الدراسات التي تناولت الدين في المجتمع الحديث وفي المجتمعات الصناعية المعاصرة وليس المجتمع البدائي فحسب كما ألف الكثيرون .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Sociologlial Study of Religun 1970.

انظر أيضًا:

Yinger, J. W., Religion, Society and Individnal. 1957.

Martin, D. A., The Religious and Seculer. 1969 .



٤٩- شيليك، موريتز SCHLICK, Moritz

فيلسوف نمساوي يعتبر من كبار ممثلي الوضعية المنطقية التي ظهرت في النمسا منذ عام ١٩٢٢ وكونت ما يعرف بجماعة فيينا Vinna Citcle التي أصبح لصوتها دوي مسموع عندما أخذت تعلن عن أفكارها واتجاهها على مسرح الفكر الفلسفي على أيدي أمثال كارناب Carnap، وهانزهان Hans Hun، وموريتز شيليك نفسه.

القضية عنده ترتبط بالحقيقة وباللغة التي تعتبر وسيلة معرفتها. وهذه الحقيقة عنده هي كما عند فلاسفة المدرسة التجريبية المنطقية التي يعتبر كارناب أبرز زعمائها هي عالم من البناءات المنطقية متفقًا في ذلك مع اتجاه فتجنشتين أيضًا، حيث كثيرًا ما دارت بينه وبين شيليك المناقشات الطويلة حول مختلف القضايا التي تعرض لها فتجنشتين في كتابه «رسالة منطقية فلسفية» Tractatus والتي أدت إلى تخلي (فتجنشتين) عن بعض أفكاره الأولى، وخصوصًا ما تعلق منها بالاتجاه الذري المنطقي.



٥٠- شميت، فيلهم (١٨٦٨ - ١٩٥٤) SCHMIDT, Wilhelm

أنثروبولوجي ألماني وأحد رجال الكنيسة الكاثوليكية الرومانية ولد في هورد Hôrds عام ١٨٦٨، وتوفي في فريبورج في سويسرا عام ١٩٥٤، تخرج في المدرسة الأوربية للثقافة التاريخية للأثنولوجيا، كما كان عضوًا في إرسالية الكلمة المقدسة في المراحل الأولى من حياته حيث تأثر ببعض الأنثروبولوجيين مثل فرانزبواس، وإدوارد وستر مارك Westermarck، ولكنه تأثر بعد ذلك بالأستاد فريتز جريبنر Graebner ونظرياته في الانتشار الثقافي، ونزولاً على هذا التأثير أنشأ جريدة أنثروبولوجية أسماها Anthropus قامت بنشر العديد من التقارير الأثنوجرافية في معظم أنحاء العالم عن طريق الإرساليات التبشيرية وبخاصة في غينيا الجديدة New Guinea وتوجو Togo .

ولقد تركزت دراسات الأب شميث حول تطور العائلة وأصل الدين ونشأته، وقد لاحظ أنه حتى في المجتمعات البدائية ثمة دائمًا تأثير واضح لنفوذ الرجل في كل النظم الاجتماعية. وما كادت تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى سعى إلى تطبيق مسألة الانتشار الثقافي عند جريبنر في مختلف الثقافات بمختلف أنحاء العالم خاصة من حيث القيم والأخلاقيات الاجتماعية.

من الناحية الأخرى كان للأب شميت العديد من المواقف والرؤى التي ناهض بها كثير من الأفكار التي قال بها بعض المفكرين، وسادت لفترات طويلة من الزمن، وإن كانت هذه الرؤى والمواقف قد أثارت بدورها الكثير من النقاش الذي امتد ليشمل بعض القضايا الأساسية التي قال بها دوركايم وليفي برول في الدين ونشأة بعض الظواهر، وبخاصة فيما يتعلق بطبيعة الفكر البدائي وموقف ليفي برول القائل بأنه فكر لا منطقي.

لقد أشار الأب شميت في كتابه «أصل نشأة الدين وتطوره» إلى أن ليفي برول قد أخفق في دعواه لأنه لم يحدد مسبقًا نسقًا تاريخيًا بفضله تترتب المجتمعات في ترتيب وفي تتابع زمني تتضح لنا من خلاله ملامح المراحل

المختلفة لمظاهر التفكير اللامنطقي أو السابق على المنطق. وبالتالي يصير مستحيلاً القول بمنطقية أو سبق منطقية العقلية البدائية. أضف إلى ذلك أنه (ليفي برول) لم يحدد تمامًا ما يقصده بكلمة البدائي، وقد غاب عنه أن الكثير من مظاهر التفكير السابق على المنطق تتجلى في مجتمعات متقدمة في أوربا وأمريكا حيث نشاهد شدة الإيمان في الغيبيات والخرافات.

كذلك هناك الاعتراضات التي ساقها على نظرية دوركايم في نشأة الدين وفي التوتمية إذ اعتبرها (شميت) ظاهرة غامضة والشيء نفسه بالنسبة إلى جيمس فريزر الذي اعتبر نفسه من أصحاب نظرية السحر، حيث قال إن التوتمية ليست من الدين في شيء، وهو موقف يتفق فيه مع فريزر، إذ يرى أن التوتمية لم تكن موضوع عبادة أو صلاة، ولكنه يختلف فيما ذهب إليه من سبق السحر على الدين.

إن هناك الكثير من الشكوك التي يثيرها شميت حول الأصل الديني لظاهرة التوتمية ويذكر أن العيب يكمن في أن دوركايم لم يقم بدراسة مفصلة لسائر الأشكال التوتمية في العالم، ولكنه حصر نفسه في التوتمية الاسترالية رغم أن المنهج المقارن هو حجر الزواية في علم الاجتماع، وفي الأنثروبولوجيا الاجتماعية. وانسياقًا مع هذا مضى شميت يصب اعتراضاته على بعض الأفكار الأساسية المرتبطة بالسحر مثل فكرة المانا التي نسب البعض لها تفسيرًا لمبدأ العلية وهو ما ينكره شميت تمامًا. بل إن الإنسان البدائي كما يراه هو كان يدين بكائن اسمي، وأن دينه ينطوي على كثير من ملامح التوحيد والإيمان بإله واحد Monotheistic، ويؤكد بذلك على ضرورة مراجعة كل ما يبدو أنه مسلم به في الفكر رغم أنه يشوبه في أحيان كثيرة غير قليل من الغموض الذي يخدع ويضلل غير قليل من الدارسين والباحثين .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Origin of the Idea of God.

وهو كتاب في ١٢ جزء ظهر في الفترة من ١٩١٢ - ١٩٣٥ .

--------: The Origin and Growths of Religion. 1931 .

٥١- شـــرام، ويلبـــور(١٩٠٧-١٩٨٧) SCHRAMM, Wilbur

يطلقون عليه أحيانًا أبو دراسات الاتصال Communication نظرًا لتأثيره الهائل على تطور بحوث الاتصال في الولايات المتحدة الأمريكية وجهوده الكبيرة في إنشاء أقسام بحوث ودراسات الاتصال في مختلف الجامعات الأمريكية.

ولد في ماريتيا Marietta بولاية أوهايو Ohio وعمل لفترة في وكالة الأسوشيدث Ossociated برس وحصل على درجة الماجستير عن رسالته عن الحضارة الأمريكية من جامعة هارفارد. كما حصل على درجة الدكتوراة في الإنجليزية من جامعة إيوا Iowa حيث قام بتأسيس حلقة بحث الكتابة الخلاقة في الوقت الذي نالت قصصه جائزة O. Henry لعام ١٩٤٢ .

أما ميوله واهتماماته فقد امتدت إلى ما وراء تقاليد النزعة الإنسانية بينما اهتمت بعضها ببحث الظروف الاقتصادية المحيطة بنشر حكايات تشوسر Chauecer's Tales واستجابة الجماهير للشعر المكتوب بأنماط وأساليب وقوالب مختلفة. وفي أثناء الحرب العالمية الثانية انضم شرام إلى إدارة المعلومات والإعلام، حيث قام بدراسة طبيعة أساليب الدعاية Propaganda حيث استخدم الأساليب والمناهج السلوكية، وقد قام بتأسيس معهد بحوث الاتصال في جامعة الينوى، وصمم برنامج الاتصال، الخاص بجامعة ستانفورد وغيرهما في جامعات أخرى في هونولولو وهاواي. وبلغ تأثيره الذروة بنشره فيعام ١٩٦٤ كتاب «الاتصال الجماهيري والتطور القومي» Mass Media and National Development الذي مهد لبحث الرابطة بين انتشار تكنولوجيا الاتصال والتطورات السوسيواقتصادية الذي يعتبر مرجعًا أساسيًا لا غنى عنه لدارس الاتصال عن الاطلاع عليه والاستعانة به.

• قراءات مقترحة •

- Works: Mass Communications, znd ed. Urbona .II. Universtiy of Illinois. 1964.

-------: The Science of Humon Communication . N. Y. Basic Books. 1963.

-------: The Beginnings of Communication Study in America: A Personel memoir. 1997 .

-------- and Roberts, D. F. (eds) The Process and effects of Mass Communication (rev. ed.) Urbana, II University of Illinois Press. 1971.

كما يمكن الرجوع إلى المراجع الهامة التالية:

- Rogers, E. M., A History of Communication Study: A Biographical Approach. N. Y. Free Press. 1994 .

- Chaffee, S.H., In Memorian: Wilbur Schramm. The Public Opinion Quarterly, 25/3/1988 .



٥٢- شومبيتر، جوزيف (١٨٨٣-١٩٥٠)
SCHUMPETER, Joseph A (Lois)

عالم اجتماع واقتصاد أمريكي، وأحد كبار المنظرين الذين اشتهروا بنظرياتهم في تطور الرأسمالية والمشروعات والأعمال، اسمه جوزيف آلو، ولد عام ١٨٨٣ في تريتش Triesch بمورافيا، تعلم في فيينا، ودرس في جامعات كرينوفيتز Czernovitz وجراتس Graz، وبون Bonn، قبلما ينضم إلى هارفارد من ١٩٣٢ إلى ١٩٥٠م.

وفي عام ١٩١٩ كان وزيرًا للمالية في الحكومة النمساوية حيث كان تأثيره في مجال النظريات الاقتصادية بالغًا وواسع الانتشار، وبخاصة بعد نشر كتابه «الرأسمالية والاشتراكية والديمقراطية» Capitalism, Socialism and Democracy عام ١٩٤٢، وأكد فيه على أن الرأسمالية سوف تنتهي بشكل ذاتي وتلقائي من خلال تطورها ونموها وإفساحها المجال أمام شكل جديد من أشكال التدخل والرقابة الاشتراكية.

ويعتبر مؤلفه «تاريخ التحليل الاقتصادي» History of Economic Analysis الذي قدمه عام ١٩٥٤ (أعيدت طباعته في ١٩٦٦) دراسة رائدة وعميقة لتطور المناهج التحليلية في الاقتصاد، كذلك تضمنت مؤلفاته الأخرى نظرات مقارنة مع الاقتصاد الكينزي Keynesian من ناحية، والاقتصاد الماركسي من ناحية أخرى، ومن بينها «النظرية في التطور الاقتصادي» The Theory of Economic Development الذي صدر عام ١٩٣٤ (أعيدت طباعته في ١٩٦٨) و«دورة الأعمال» Bussiness Cycles الذي صدر عام ١٩٣٩ (ظهرت له طبعة جديدة في ١٩٦٤)، وأيضًا كتابه «تحليل نظري وتاريخي وإحصائي للعملية الرأسمالية» A Theoritical Historical and Statistical Analysis of the capitalist Process وهو في جزءين ظهر في عام ١٩٦٤ .

• قراءات مقترحة •

- Harris, M., The Rise of Anthropological Theory . N.Y. 1968 .
- Rex, J., Approaches to Sociology (An Introduction to Major Trends in British Sociology. 1974 .

٥٣- شوتز، الفريد (١٨٩٩-١٩٥٩) SCHUTZ, Aifred

عالم اجتماع ولد في النمسا عام ١٨٩٩، ولكنه هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، واستقر في نيويورك عام ١٩٣٩، تلقى تعليمه في جامعة فيينا حيث درس القانون والعلوم الاجتماعية، وبعدما ارتحل إلى أمريكا التحق بالمدرسة الجديدة للبحوث الاجتماعية.

كان يدرك إدراكًا تامًا أن التأثيرات الفينومينولوجية على الفكر الاجتماعي لها تاريخ طويل في غاية التشابك والتعقيد منذ أن ظهرت الظاهراتية على أيدي إدموند هوسرل Husserl (١٨٥٩-١٩٣٨) الذي سعى إلى تطبيق منهجه على مختلف الظواهر بما فيها الظواهر النفسية التي تتمثل في بناءات وتراكيب يسهل ملاحظتها وبذلك لا تكون الفينومينولوجيا مجرد منهج فحسب، ولكن نظرية في العلم بمعناه الواسع أي نظرية في المعنى؛ إذ تحاول وصف الشيء من الداخل، مما يجعل كل الموضوعات موضوعًا للبحث.

كان يدرك أيضًا أنه بالرغم من أن مراحل هذه التأثيرات تبدو واضحة ومميزة، إلا أن الحركة الفينومينولوجية ذاتها بدت له وكأنها تدور من حول بضعة قضايا مترابطة جذبت عناية كثير من الكُتَّاب مثل جارفينكل وجيرفيتش وبارسونز، ومعهم شوتز نفسه الذي أخذ يعارض بفينومينولوجيته كل هذه القضايا، واتخذ موقفًا نقديًا من الوضعية، كما عارض الاتجاه الكمي ونزعة التجريد، واتجه أساسًا إلى دراسة الحياة اليومية Every day life كشكل من أشكال التنظيم الاجتماعي تعمقه أشكال التفاعل بين الأفراد ووجهات نظرهم هم أنفسهم حتى وإن أدت في ذات الوقت إلى شيء من التداخل والتشويش .

في ضوء هذه النظرة المبدئية التي جعلت شوتز أكبر ممثلي اتجاه الفينومينولوجيا الوجودية (هناك الفينومينولوجيا الماركسية والبنائية إلى جانب علم الاجتماع الفينومينولوجي، وأيضًا الفينومينولوجيا الترانسندنتالية التي رفضها بشكل تعسفي ودون تبرير يوضحه لهذا الرفض)، اعتمد في كتاباته

بصورة مكثفة على أعمال هوسرل نفسه، واستخدم مفاهيم هوسرل ليستكمل ما كان يرى أنه ناقص في تحليل ماكس فيبر للفعل الاجتماعي.

وفي رأي شوتز أن محاولات التحليل وبخاصة تحليل فيبر لم يذهب إلى عمق المعرفة الاجتماعية، وأن موطن الخطر أن الأمر يتعلق بعلم الاجتماع؛ مما دفعه لأن يبحث عن مدخل (اختراق) فينومينولوجي يصل إلى عمق ما وراء الظواهر، ويغوص إلى أعمق أعماقها. وتأدى به الأمر إلى مناقشة مسلمات المدرسة الميثودولوجية التي أرساها جارفينكل حيث كان همه أن يعرف كيف يصوغ الأفراد من خلال تجاربهم وخبراتهم في حياة كل يوم خبراتهم ومواقفهم وحقوقهم هم أنفسهم.

في رأيه أن الأمر يعتمد على مستوى أول من العناصر النمطية التي تشكل نوعًا من الوعي يؤدي إلى فعل أولي، ولكن يتحول الأمر مع تباين التجارب وتغاير العناصر إلى نمط ثاني يؤدي بالتالي إلى بناء عالم اجتماعي مشترك، وهذا معناه أن مهمة علم الاجتماع التركيز على كيفية صياغة هذه التنميطات من النوع الثاني أو المستوى الثاني على حد تعبيره، أي إلى النموذج الرشيد للعالم ينهض على النظريات التي يطورها الناس العاديون أنفسهم عند المستوى الأول لتبرير تصرفاتهم. وبذلك يمكن للفينومينولوجيا تعميق الفهم الماركسي التقليدي بطريقة من شأنها تعميق فهم العلاقة بين الإنسان والمجتمع. طالما أن الفينومينولوجيا كما يراها شوتز هي علم النفس الاجتماعي للمعرفة التي يمكن أن يتم من خلالها تفسير حياة العالم وتفسير الأحداث والأفعال التي تصادفها في حياة كل يوم .

• قراءات مقترحة •

- Works; The Multiple Realities. Colleted Papers. Vol. 2. The Hagu. 1967.

--------: The Problem of Social Reality. 1962 .

--------: The Phonomology of the Social World. 1972 .

--------: Reflections on the Problem of Relevance. New Haven 1978.



٥٤- سيلزنيك. ب SELZNICK, P.

يعتبر سلزنيك من أبرز علماء الاجتماع الذين ناقشوا طبيعة العلاقة بين علم الاجتماع وما أصبح معروفًا باسم علم الاجتماع القانوني Sociology of Law كفرع متخصص من فروع علم الاجتماع من ناحية، وبين علم الاجتماع القانوني والقانون من ناحية ثانية. وفي محاولته تجاوز الخلافات التي كثيرًا ما تنشب بين العلماء سواء من القانونيين والاجتماعيين، أو حتى بين علماء الاجتماع القانوني أنفسهم بسبب تداخل العلاقات وتشابكها نظرًا لأن دراسة علم الاجتماع القانوني تتصل بالقانون من جهة، وبعلم الاجتماع من جهة أخرى، بالإضافة إلى ما يقوم بينهم جميعًا من عدم اتفاق في طرائق التفكير كان حريصًا في اختيار اللفظ والمفهوم، ومدققًا في كيفية استخدامه واستعماله .

كان سلزنيك (وهو عالم اجتماع) يسلم مبدئيًا بأن القانون أصبح من ألزم اللزوميات بالنسبة إلى المجتمع الحديث. وحتى يتجنب مظاهر هذه الصراعات الفكرية، ويبتعد عن الشعارات التي يتم رفعها والتقاذف بها ميز بين ثلاث مراحل رأى أن علم الاجتماع القانوني مر بها حتى اكتملت شخصيته وهذ المراحل هي:

أولاً: المرحلة الابتدائية أو التمهيدية .

ثانيًا: المرحلة التي تنتمي إلى الحرف الاجتماعية .

ثالثًا: مرحلة النضج الحقيقي للعلم حيث يرى أن السوسيولوجي عليه أن يذهب إلى ما هو أبعد من مجرد دور المهني أو المهندس، ولكنه يرتبط بشكل أكبر بالمبادئ الموضوعية والإرشادية التي تتصل بالمشروع الإنساني الذي يختاره لبحثه ودراسته. وكأن المطلوب هو إذن الاعتماد على المعرفة المنظمة، أي البناء النظري للعلم ومتطلباته واقعًا وفكرًا، بدلاً من الاعتماد فقط على الإدراك أو التفكير المهني المحدود. ومن هنا أمكنه الوصول إلى تعريف واضح ومحدد لعلم الاجتماع القانوني الذي يرى أنه محاولة لترتيب ما نعرفه من العناصر الطبيعية للحياة

الاجتماعية، واستخدام هذه المعرفة في مساندة العمل الواعي الذي تحدده موضوعيات وأفكار بذاتها .

إن الكثيرين يرون أن سلزنيك قد نجح بهذه الرؤية في تجاوز جانبًا أساسيًا من جوانب الخلافات الكثيرة بين العلماء، كما يظهر انتباهه الذي لا يمكن تخطئته إلى التفسير الاجتماعي خاصة وهو يؤكد أن القانون لا يعدو في آخر الأمر أن يكون عنصرًا أو مكونًا أساسيًا من مكونات أو عناصر الحقيقة الاجتماعية ذاتها. وهذه على أية حال نظرة واسعة لاشتمالها على كثير من الجوانب المتداخلة التي ترتبط بالقانون وبنظريات القانون والضبط والنظام الاجتماعي، وبالعرف والتقاليد والعادات وغير ذلك من مظاهر الثقافة بوجه عام .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Sociology of Law. (in) Law and Behavioral Sciences. 1969.

- Nader, L., Law in Culture and Society. Aldine Publising Co, Chicago, 1969 .



٥٥- شو، كليفورد SHAW, Cliford

أحد الأتباع المخلصين لتقاليد علم الاجتماع الأمريكي التي أرستها جهود العلماء الكبار الذين عرفوا بمدرسة شيكاغو من أمثال توماس وفلوريان زنانيكي وبارك وبيرجس حيث أرسوا قواعد المدخل الأيكولوجي الذي سعى كليفورد شو إلى تطبيقه والإفادة منه في دراسة الجريمة والمظاهر الانحرافية عمومًا .

نزولاً على هذا المدخل الأيكولوجي ركز شو أساسًا على العوامل الخارجية التي ترتبط بالفرد، وتمارس عليه تأثيراتها المختلفة، وذلك بعد أن سار علماء الإجرام (والاجتماع عمومًا) في تفسيرهم للسلوك الإجرامي والانحرافي بعامة وهم يركزون على العوامل التي توجد في داخل شخصية الفرد التي أرجعوها إلى الوضعيات الطبقية في معظم الأحيان .

هذا التحول الكبير استدعى أن يحيط شو بكل مكونات الأيكولوجيا التي تشتمل على مختلف القوى الفيزيقية والثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية...إلخ، أي جماع جوانب البيئة الفيزيقية والاجتماعية معًا، وبالتالي ما يقوم بين الجماعات والأفراد، وهذا الكل المركب من علاقات لها تأثيرها الواضح الذي يسهم إلى أبعد الحدود في تشكيل السلوك والتصرفات وتكوين الشخصية ودوافعها. ونتيجة لهذا فقد أصبح شو في مقدمة العلماء الذين اهتموا بنظريات النفاذ والانتقال الثقافي Cultural Transmission Theories، وحاول تفسير ظاهرة الجناح في ضوئها حيث مثلت فكرة الثقافة الجانحة الإطار المرجعي لهذا التفسير، مما تأدى به (وزميله ماكاي McKay) إلى أن يوليا كل اهتمامهما إلى هذه الظاهرة.

والواقع أن شو قام بالعديد من الدراسات حولها، مثل تلك الدراسة الرائدة التي أجراها على مدينة شيكاغو ذاتها، فقد قسم المدينة إلى مربعات، حيث سعى إلى تسجيل معدلات انحراف الأحداث في كل منها، وكان من نتائجها (وغيرها مما اشترك معه فيها ماكاي) تأكيده فرضية المناطق Zone Hypothesis التي تقول أن

معدلات الانحراف تكون أعلى في داخل المدينة في المناطق المتاخمة لمنطقة العمل المركزية على حين تقل معدلات الانحراف كلما ابتعدنا عن هذه المنطقة المركزية.

وبالرغم من أن دراسات شو مثلت جانبًا هامًا من التراث النظري الذي تبلور في الاتجاهات القائلة بالمخالطة الفارقة والأنومي والصراع الثقافي، فإن شو بتركيزه أساسًا على مناطق الانحراف أي تلك التي يعيش فيها الأحداث المنحرفون لم يبذل عناية كاملة لمسألة توطن الجريمة بمعنى مناطق تركزها أي تلك الأماكن التي تحدث فيها هذه الجرائم والانحرافات بشكل لافت، اعتقادًا منه أن الأمرين متشابهان، ولا اختلاف بينهما. وكان هذا التصور دافعًا للدراسات المسحية الأكثر حداثة إلى أن تثبت عدم صحة هذا، حيث أقامت تمييزًا قاطعًا بين المناطق ذات النسب العالية من المنحرفين والمناطق ذات المستوى الانحرافي العالي. وهذا ما دفع إلى بذل مزيد من الاهتمام إلى قضية تركز الجناح في بعض قطاعات البناء الاجتماعي دون بعضها الآخر، وقد حدد في ذلك عنصرين أساسيين هما أولاً أن النفاذ لثقافة جانحة مع الطرق المقررة اجتماعيًا، متجاوبًا في ذلك مع نظرية ميرتون في الأنومي. وثانيًا العامل الإيكولوجي الذي كشف عن أن ثقافة الجناح تعتبر نتاجًا للبناء الطبقي في المجتمع. ودلل على ذلك بمظاهر الاحباطات والبلبلة التي كثيرًا ما تكون بسبب التفاوت في المكانة الاجتماعية تفاوتًا كبيرًا، والإحباطات اللامتناهية التي تقاسيها الطبقات الدنيا في عالم تسيطر عليه القلة الموسرة والطبقات الوسطى المتطلعة.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Natural History of a Delinquent Carrer. 1931 .
- -------- : Brothers in Crime. Chicago. 1938 .
- --------: The Jack - Roller - Chicago . 1939 .
- --------: Juvenile Delinquency and Urban Area . Chicago. 1942.
- Shaw & Mckay: Social Factas in Juvenile Delinquency. Vol. II of National Committee on Law .



٥٦- سـيـرفـيس، ألمان روجـرز (١٩١٥) SERVICE, Elman Rogers

أنثروبولوجي أمريكي اشتهر بسبب إسهاماته النظرية وصياغته أحد التطبيقات الثقافية التي تنبني على محاولة إيجاد معايير أو مقولات لترتيب وتحديد المجتمعات البدائية، وبالتالي تصنيفها في أنماط معينة مثل الزمرة والقبيلة والإقليم والدولة والعشيرة....إلخ، وأيضًا بسبب تحليله لطبيعة العوامل الاجتماعية التي ترتبط ببعض النظم في مثل هذه المجتمعات ومن بينها نظام التبادل وما يعرف بتقديم الهدايا ونتائجها التي تنعكس في آخر الأمر على تماسك المجتمعات.

وقد ولد سيرفيس في ميتشجان عام ١٩١٥ ونال درجة الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩٥٠، والتحق منذ ذلك الحين بكلية الأنثروبولوجيا التي ظل بها طوال الفترة من ١٩٤٩ إلى ١٩٥٣ عندما التحق بجامعة ميتشجان (١٩٥٣-١٩٦٩) وكذلك جامعة كاليفورنيا وسانت باربرا (١٩٦٩). ومهدت له هذه المناصب فرصة القيام بالعديد من الدراسات التي دارت من حول التطور الثقافي وبخاصة في براجواي Paraguay وغيرها من الأماكن في أمريكا اللاتينية والكاريبي التي سعى فيها إلى دراسة الأنساق الاجتماعية وكيفية نشأة الدولة وتطورها. وقد سعى في بعض هذه الدراسات إلى إلقاء الضوء على ما يسودها من نظم التهادي وطبيعة الالتزامات والواجبات وما يترتب عليها من حقوق قبل الأفراد وفق درجة قرابتهم ووضعياتهم في خط النظام الأمومي حيث يرتبط نظام التهادي بالنظام الأمومي الذي تسير علي هذه الجهات، وما إذا كانت هدايا ملزمة أم مجرد مدفوعات (عمل أو محاصيل زراعية) يتحدد في ضوئها نسب الرجل ومركزه الاجتماعي، بل وممتلكاته عن طريق خط النساء الذي يجعل الخال مصدر الثروة.

وبالرغم من أن تصنيفاته للمجتمعات والتجمعات البدائية قد لقيت ترحيبًا واسعًا في أول الأمر، إلا أنها سرعان ما تعرضت للانتقاد الذي نجم عنه إهمال

التصنيف بشكل ملحوظ حتى من قبل سيرفيس نفسه، وبخاصة أن بحوثه اللاحقة جعلته يتشكك في صحة الكثير من مصطلحاته وخصائصها خاصة فيما يتعلق بمفهوم القبيلة الذي أثار الكثير من المناقشات التي تم في ضوئها تعديل الكثير مما ذهب إليه سيرفيس.

وعموماً فقد نجح في تقديم عدد من المؤلفات التي دارت حول التطور الثقافي، والمنظمات الاجتماعية البدائية، وأصل الدولة، وما طرأ عليها من تغيير في ضوء ما تعيشه وتتعرض له من تطورات حضارية .

• قراءات مقترحة •

- Works: A Profile of Primitive Cultur. Harper. N.Y. 1958.

-------: Primitive Social Organization on Evolutionary Perspective. 1962.

-------: The Hunter . 1966 .

-------: Cultural Evolutionism . 1971 .

-------: Origin of the State and Civilization. 1975 .



٥٧- زيميل، جورج (١٨٥٧-١٩١٨) SIMMEL, Georg

من أشـهـر علمـاء الاجـتـمـاع الألمان، يعـرف بأنه صـاحب علم الاجـتـمـاع الصـــــوري Formal Sociology وأن كتاباته وتحليلاته التي ساقها للمجتمع وللتدرج الاجتماعي ولظواهر الضبط الاجتماعي والصراع الاجتماعي قد أثرت تأثيرًا بالغًا في أجيال عديدة من العلماء والباحثين .

أقام نظريته الاجتماعية من خلال محاولته الإجابة على سؤال محوري هو: ما المجتمع؟ وفي محاولة الإجابة على هذا السؤال اضطر إلى تحليل العلاقات الاجتماعية في صورها وأشكالها المتعددة والمتكثرة وهي العلاقات التي كان يرى أنها تنشأ بين الناس بسبب الرغبات النوعية المختلفة التي قد تكون دينية أو اجتماعية فطرية وغريزية أو مكتسبة.

كذلك استحوذت على تفكيره مشكلة العلم حيث رأى أنه لم يتم بعد التحليل الكامل لكل صور العلاقات الاجتماعية؛ إذ إن التركيز قد ظل دائمًا على العلاقات الاقتصادية والسياسية، ذلك في الوقت الذي يعتقد أنه يمكن فهم المجتمع إذا ما نظرنا إليه على أنه وحدة سوسيولوجية لها وجود مستقل عن عقول الأفراد، أو حتى أن نجعل للأفراد وجودًا حقيقيًا وواقعيًا. باعتبارهم ذرات اجتماعية Social Atoms لا يشكلون بذاتهم ذلك المفهوم الذي نطلق عليه المجتمع، ولكن الشيء المهم بالنسبة إليه هو الوصول إلى صورة المجتمع على أساس العلاقات التجريدية، ومن ثم فقد اعتبر جوهر الدراسة الاجتماعية يتمثل في تحليل الصور أو الأشكال تحليلاً مجردًا يكشف عن مضمونها بصرف النظر عن الشكل الذي تتجسد فيه أو تتخذه .

وبالرغم من ذلك الطابع النظري الذي يغرق في التجريد بحثًا عن الصور، فإن هذا لم يمنع زيميل من القيام بالعديد من الملاحظات الموضوعية التي استخدمها في دراساته للصراع والضبط الاجتماعي وسائر العلاقات الأساسية كالتنافس والتعاون والروابط الاجتماعية والصداقة والانتماء والإخلاص والثقة

وغيرها من المفاهيم التي تنطوي على معاني الغيرية، مما كان له أكبر الأثر في نظريته. لقد أطلق البعض (إيفرت هيوز Everett Hughes) على زيميل أنه فرويد المجتمع وهي مشابهة لها دلالتها حيث أنه كرس نفسه لبحث اللاشعور Un-conscious والعلاقات اللاشعورية في النظام الاجتماعي.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Problems of Philosophy of History . 1892 .

----------: Philosophy of Money, 1900 .

---------: Sociology . 1908 .

اقرأ أيضًا:

- Kurt Wolff and Reinhard Bendix: Conflict and The Web of Group Affiliation, 1955 .

- Nicholas J . Spykman; The Social Theory of George Simmel, Chicago. Univ. of Chicago Press. 1925 .

- Kurt H. Wolff. trans and ed. (The Socology of George Simmel. 1964) .



٥٨- سكولونيك، جيروم SKOLNICK, Jerome

اشتهر بدراساته التي تبحث في الوظيفة الاجتماعية للقانون، والدور الذي ينبغي أن يؤديه في الحياة الاجتماعية، فقد كان يعتقد أن الدراسة الاجتماعية للقانون تمثل في الولايات المتحدة الأمريكية مكانة متقدمة لا يمكن الفصل بينها وبين طبيعة المجتمع الأمريكي والملامح المميزة له. ولذلك ركز على إبراز ثلاث خصائص هي:

أولاً: إن المجتمع الأمريكي يتميز بنسق قيمي تعتبر المثل العليا والأيدلوجية والقومية والأخلاقية من مكوناته الأساسية التي يعتبرها مؤثرات في الباحثين الأمريكيين عند تصديهم لبحث مشكلات الحياة الأمريكية .

ثانيـًا: إنه بالرغم من أن الأمريكيين يرتبطون تقليديًا بالقانون المحلي، فإن القانون الفيدرالي يمثل بؤرة الوحدة السياسية والاقتصادية والاجتماعية للأمة الأمريكية رغم كل مظاهر التنوع والاختلاف .

ثالثـًا: إنه رغم سيطرة الأيدلوجية الرأسمالية الفردية التي تطلق العنان لحرية الأفراد داخل المشروع التنافسي الحر، فإن هناك مؤسسات ضخمة كالحكومة الفيدرالية والنقابات والاتحادات العمالية بدأت في تحويل المجتمع الأمريكي من مجتمع المشروع الحر الذي يسيرون عليه إلى مجتمع يتزايد فيه نفوذ الجماعات التي تساندها الدولة .

والحقيقة أنه بالرغم من أن الاتجاه الأمريكي هو في جوهره اتجاه ذرائعي يتصدى لدراسة كل مشكلة في إطارها الواقعي، فإنه يرى أن صدور مجلة القانون والمجتمع في عام ١٩٤٦ قد مثل بداية الاهتمام الحقيقي بدراسة القانون كظاهرة اجتماعية، وباعتباره وسيلة من وسائل التوجيه والتغيير الاجتماعيين. ويكشف هذا النسق المعرفي في مجمله عن وجود مدخل جديد كنمط يختلف كلية لبحث الظاهرة القانونية ودراستها، ولتحليل مختلف الخبرات التي تنطوي عليها نشأة

القانون وتطوره وانهياره ارتباطًا بنوع السلطة وطبيعتها ودورها في تعديل القانون أو حتى تغييره .

وقد سعى في ضوء هذا إلى محاولة بناء نظرية عامة تفسر العمليات الاجتماعية التي يتضمنها القانون، وبذا يربط بين هذا النظام والمعرفة المتراكمة، وذلك على اعتبار أنه يرى أن أهم الإسهامات وأشملها التي يقدمها علم الاجتماع القانوني للنظرية الاجتماعية إنما تتمثل في فهم العلاقة المتبادلة بين القانون والتنظيم الاجتماعي.

وكان من الطبيعي أن تنعكس هذه الرؤى والمواقف النظرية التي يقول بها سكولونيك في البحوث التي يجريها والتي من أهمها وأبعدها تأثيرًا دراسته حول الشغب ومظاهر المعارضة والاحتجاجات التي تحدث في كثير من المدن الأمريكية. فقد اعتقد أن الطريقة التي يتناول بها الباحثون هذه الظواهر تقاسي من عدة عيوب ونقائص منهجية ونظرية؛ إذ إنها تنطلق من بعض الأفكار المسبقة الجامدة التي باتت مسيطرة على عقول الباحثين، وكأنها مسلمات يناقشون من خلالها ما يقع من أحداث، ذلك أن هناك ميل للتركيز على مظاهر السلوك المخرب الذي تندفع فيه الجماعات الغاضبة، ذلك بالرغم من أن الطرق التي تواجه بها السلطات مثل هذا السلوك تبدو أكثر عنفاً وقمعًا مما تقوم به في كثير من الأحيان .

من الناحية الثانية يميل الباحثون إلى أن يصفوا السلوك الجمعي دائمًا بأنه سلوك غير عقلاني، أضف إليه أنه غير كاف أبدًا الإقدام على تحليل الشغب ومظاهر الاحتجاج في ضوء مصطلحات بذاتها لها معاني واسعة وفضفاضة يصعب الاتفاق عليها مثل مفهوم «التوتر»، ومفهوم «الإحباط».

إن سكولونيك يرى أن مثل هذه المعالجات إنما تقوم كدليل قاطع على أن هناك انفصال يشبه القطيعة بين مشاعر الجماهير وبين مشاعر وعواطف وحتى عقلية الرسميين وأدوات السلطة ومنفذي إرادتها، وعندما لا تستطيع الجماهير

إيصال مطالبها إلى الجهات الرسمية، وبالتالي تفشل في أن يسمع صوتها، فلا يكون أمام هذه الجماهير إلا أن تعبر عما يقلقها بطرائقها ووسائلها الخاصة التي قد تكون بعيدة عن القانون والضبط بوسائلهما المعروفة .

• قراءات مقترحة •

- Works: Skolnick, J., The Sociology of Law in America, Overview and Trends in Law and Society A Supplement to the Summer Issue of Social Problems. 1965 .

---------: The Politics of Protest . N. Y . 1969 .



٥٩- سمول، البيون (١٨٥٤-١٩٢٦) SMALL, Albion

عالم اجتماع أمريكي يعتبر من الرواد الأوائل الذين أسهموا كثيرًا في تقدم علم الاجتماع بعامة، وكافحوا مثلما لم يفعل أحد في أن يكون العلم نسقًا علميًا أكاديميًا، على الرغم من أنه لم يكن أكاديميًا أصلاً. وأيضًا من الذين أثروا في تطوير نظريات الضبط الاجتماعي خصوصًا تلك التي نجدها عند إدوارد روص Ross. ونتيجة لهذا كله فقد نجح في تخريج أجيال عديدة من علماء الاجتماع باعتباره أول رئيس لقسم الاجتماع الذي يعتبر الأول من نوعه في جامعة شيكاغو عام ١٨٩٢، وأيضًا لكونه مؤسس «المجلة الأمريكية لعلم الاجتماع» The American Journal of Sociology في عام ١٨٩٥ وهي المجلة التي ظل يرأس تحريرها حتى وفاته في عام ١٩٢٦ . كما ساعد في تأسيس الجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع عام ١٩٠٥ .

ويعتبر سمول من أنصار الداروينية الاجتماعية Social Darwinism في صورتها المخففة حيث حاول التعبير من خلالها عن نظرية في المصالح Interests وصراعها ترتكز أساسًا إلى فكرته عن الرغبات الإنسانية التي نظر إليها على أنها مصدر الفعل الاجتماعي ومنبعه. ويمكن في ضوء هذا القول بأن مفهوم «المصلحة» و«الرعاية» هما المفهومان المحوريان في نظريته ويظهران في كل مراحل التطور والتوافق الاجتماعيين حيث يسعى الإنسان دائمًا إلى إشباع الرغبة وتحقيق ما يعتبره مصلحة له.

ولكن حتى يخفف من وقع وحدة ما قد يقع من اصطدامات فقد رأى متبعًا في ذلك كونت إلى حد بعيد أن يتم ذلك في داخل إطار من التنظيم الاجتماعي القادر على كف الرغبات التي تتعارض ومصلحة الآخرين أو مصلحة الجماعة بتعبير أدق، ومتفقًا بذلك مع فكرة الإستاتيكا الاجتماعية. ففي داخل هذا الإطار المنظم يمكن للصراع أن يحل نفسه بنفسه ويتحول إلى نوع من التعاون اللازم لبقاء الجماعة الذي يصعب وجوده أو الحفاظ عليه في حالة وجود الصراع بين الكل، خاصة وقد كان يرى أن الجماعة هي الوحدة الأساسية التي تؤسس عليها المصلحة الاجتماعية .

٦٠- سملسر، نيل جوزيف (١٩٣٠) SMELSER, Neil Joseph

عالم اجتماع أمريكي اشتهر بسبب تطبيقاته للنظرية الاجتماعية في الدراسات الاقتصادية والمؤسسات الاقتصادية، وكذلك دراساته في السلوك الجمعي والتغير الاجتماعي والشخصية والبناء الاجتماعي.

ولد في كاهوكا Kahoka في ميسوى عام ١٩٣٠، ودرس في اكسفورد لمدة عامين اثنين من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٤، ولكنه نال درجة الدكتوراه من جامعة هارفارد عام ١٩٥٨، كما درس أيضًا في معهد التحليل النفسي في سان فرانسيسكو والتحق بجامعة كاليفورنيا، وأصبح أستاذًا لعلم الاجتماع عام ١٩٦٢، ومديرًا مساعدًا للمعهد الدولي للعلاقات الدولية من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٣ ثم من ١٩٨٠ إلى ١٩٨١ . أما عن الفترة من ١٩٧٧ إلى ١٩٨٧ فقد كانت مميزة وحافلة وهو يعمل مديرًا لبرنامج التربية فيما وراء البحار للمملكة المتحدة وإيرلندا .

ويعتبر نيل سملسر من أنشط علماء الاجتماع، وربما من أغزرهم إنتاجًا وأكثرهم عطاءً، فعلى الرغم من انشغاله في عمله في البحوث الاجتماعية الدولية وعضويته لكثير من المؤسسات والجمعيات فقد أخذ يفسر نظرياته الاجتماعية في المجتمع والاقتصاد والأنساق الاجتماعية والعلوم السلوكية في عدد كبير من الكتب والمؤلفات التي شاركه في بعضها كبار العلماء الأمريكيين في مقدمتهم تولكوت بارسونز على سبيل المثال، الأمر الذي أسبغ على إنتاجه مصداقية علمية قل أن يتمتع بها الكثيرون .

• قراءات مقترحة •

- Works: Social Change in the Industrial Revolution, 1959 .

---------: Theory of Collective Dehavior. 1962 .

---------: The Sociology of Economic Life. 1963 .

---------: Essays in Sociological Explanation. 1968 .

---------: Sociological Theory: A Contemporary View. 1971 .

---------: Comparative Methods in the Social Sciences. 1976.

بالإضافة إلى ما ألفه بالاشتراك ومن بينها،

---------: & Parsons, T., : Economy and Society. 1956 .

---------: & Content, Robin; The Changing Academic Market. 1980 .

٦١- سولبين، د. SOLBIN, D.

عالم لغوي أمريكي ركز اهتماماته في دراسة الكيفية التي يكتسب بها الطفل الأصوات والمفردات الأساسية والضرورية في اللغة سواء من ناحيتها الفونولوجية (الصوتية) أو ناحيتها التركيبية أو الدلالية. فهو يعتبر من القلائل الذين نجحوا في فهم الطريقة الفذة التي يتم بها الاكتساب اللغوي Language Acquisition، وأضاء بذلك الطريق أمام كثير من العلماء والمفكرين خصوصًا المهتمين بالدراسة العلمية للطفل ولغة الطفل على وجه الخصوص.

لم يقف أمام الموقف التقليدي الذي يصرح بأن الإنسان يولد ولديه الاستعداد الفطري للاكتساب اللغوي ولاستخدام اللغة وتكوين المهارات اللغوية. ولكنه اهتم بالتركيز على مسألة الاكتساب اللغوي واستجلاء كل القدرات والاستعدادات الفطرية وما تنطوي عليه عملية الاكتساب اللغوي ذاتها من عوامل وأبعاد وميكانيزمات. وبعيدًا عن التناول التقليدي لبيولوجيا الاتصال سلك الطريق ذاته الذي كان موضع اهتمام السلوكيين ومن بينهم ليونارد بلومفيلد Bloom Field (١٨٨٧- ١٩٤٩) وهم يولون عنايتهم للتفسيرات والشروح السلوكية عمومًا. وكذلك تفادي أوجه النقص في هذه الاتجاهات، وركز على الجوانب الاجتماعية للغة ووظائفها التي تقوم بها في حياة الفرد والمجتمع .

وبتعبير آخر أكد أن دراسة الاكتساب اللغوي ينبغي أن تسير في سياق بحوث النمو العام للطفل، واستند في ذلك إلى البحوث الإمبريقية وما توصلت إليه من نتائج. وإن كان قد استعان بالتمييز المنهجي الذي وضعه تشومسكي Chomsky (١٩٢٨) بين ما أطلق عليه ملكة اللغة Competence والأداء Performance واعتبر بذلك نقطة تحول في الدراسات اللغوية، خاصة وقد ظهر في الوقت ذاته كتاب تشومسكي الرائع «التراكيب النحوية» Syntactic Structures (١٩٥٧)، وفيه الكثير مما ظهر عند سولبين نفسه، وكشف به عن ضحالة كثير من الأفكار والآراء التي اتبعتها الاتجاهات السلوكية المسيطرة، ومن بينها ما ذهبوا إليه من أن اللغة هي

في آخر الأمر عادة سلوكية، يتم نقلها بالطريقة ذاتها التي نتعلم بها عاداتنا السلوكية الخاصة. وهو موقف ينطوي على خطأ واضح، مما يعني أن العادات هي لفظ أو مفهوم سيكولوجي بالدرجة الأولى، يتم تفسيره وفهمه من خلال سيكولوجية الجماهير، وهذا يباعد بينهم وبين علم الاجتماع في معناه الأصيل.

اللغة إذن في رأي سولبين ظاهرة بالغة التعقيد، إنه يعترف بذلك ولكنه يقر من البداية أنها فطرية بمعنى أن الفرد ليس كما فهم السلوكيون يولد وذهنه صفحة بيضاء؛ لأنه مزود بحكم فطرته وطبيعته الإنسانية بملكة اللغة، أو هذا الاستعداد الفطري، وهذه نظرة أفسحت المجال أمام كثير من البحوث التي اهتمت بما يطلق عليه العموميات اللغوية Linguistic Universales التي يقصد بها القواعد والتراتيب والأشكال العامة التي لا تشذ عنها لغة من اللغات. الأمر الذي يترتب عليه فهم السبب في أن الطفل يستطيع بسرعة استيعاب الأصوات النحوية والقواعد المختلفة التي يسير عليها الكلام الذي يسمعه ممن حوله وبالتالي يستخدم هذه القواعد عند بنائه عملية الأصوات، وهي نظرة لا تختلف كثيرًا عن نظرية التوليد النحوي Gen- erative Grammer التي تعتبر نغمة جديدة في الدراسات اللغوية تدين بالكثير إلى تشومسكي وبقدر لا يقل أهمية إلى سولبين ذاته .

● قراءات مقترحة ●

- Works: Solbin, D., The Ontogensis of Grammar : Some facts and Several Theories. N. Y. 1979 .

ويمكن الرجوع في ذل كله إلى كتابي «اللغة في الثقافة والمجتمع- مع تصور مبدئي لمشروع أطلس اللهجات الاجتماعية في مصر» وخصوصًا الفصل الثالث من الباب الأول.

وأيضًا: إلى تشومسكي في الجزء الأول من هذا الكتاب .



٦٢- سوروكين، أ. بيتيريم (١٨٨٩-١٩٦٨) SOROKIN, A. Pitirim

عالم اجتماع روسي الأصل، اسمه بالكامل ألكساندر وفيتش بيتيريم سوروكين، ويقف في مقدمة العلماء المهتمين بعلم الاجتماع النظري (النسقي) والذين أسهموا إسهامًا كبيرًا في النظرية الاجتماعية، حيث ترجع أهميته إلى تمييزه بين نوعين أو نسقين اجتماعيين ثقافيين هما الحسي أو التجريبي الذي يعتمد على تشجيع وتقدم العلوم الطبيعية والفكري أو المثالي، وهو غامض وصوفي، ولاعقلاني، ويعتمد على السلطة والإيمان أو العقيدة. وقد دارت من حول هذين النسقين كتاباته المختلفة سواء في النظرية الاجتماعية أو في الموضوعات العديدة التي تناولها وكتب فيها.

ولد عام ١٨٨٩ في توريا Turya في روسيا، وكان أول أستاذ لعلم الاجتماع في جامعة بتروجراد Petrograd من ١٩١٩ إلى ١٩٢٢، ولكن نفاه الاتحاد السوفيتي (١٩١٨) لمناهضته البلشفية Anti - Bolshavism فرحل إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقبلما يذهب إلى هارفارد التحق بجامعة مينسوتا Minnesota في مينابوليس Minneapolis حيث تخصص في علم الاجتماع الريفي في الفترة من ١٩٢١-١٩٣٠ حيث ظهر له «ثبت نظري في علم الاجتماع الريفي Systematic Source Book in Rural Sociology » كما ظهر له كتابان يعتبران من أهم كتبه هما «الحراك الاجتماعي» Social Mobility (١٩٢٧)، والنظريات الاجتماعية المعاصرة Contemporary Sociological Theories (١٩٢٨)، وفي هذا الكتاب الأخير اعترض بشدة على فكرة الأصل السوسيولوجي لمقولات الفكر التي قال بها دوركايم، ومضى يفند مزاعمه بصدد هذا الأصل الذي يثير الريب والشكوك وتساءل سوروكين عن الكيفية التي تتكون بها هذه المقولات، وتثبت في عقول الفلاسفة والمفكرين رغم اختلاف الزمان واختلاف الشعوب والثقافات .

لقد أسس سوروكين أول قسم للاجتماع بجامعة هارفارد عام ١٩٣٠ . ومع أنه أصبح أستاذًا للاجتماع ومديرًا لمركز هارفارد للبحوث في الإبداع الثقافي بعد

تأسيسه عام ١٩٤٩، وترددت له العديد من التعاريف لعلم الاجتماع، فقد كان التفاعل Interaction يلعب دورًا محوريًا في كتاباته ونظرياته خاصة من حيث أنه يضمن هذه العملية Proces ثلاثة أبعاد رئيسية هي الشخصية، والمجتمع والثقافة، وكل منها قابل للتحليل لأجل الوقوف على معنى التفاعل الاجتماعي الثقافي وطبيعته، وبالتالي العوامل المؤثرة فيه ونتائج ذلك .

وبالرغم من أنه سعى إلى تقليص الاستقطاب بين المنهج فوق العضوي Superorganic والفوق النفسي Superpsychic ويعول كثيرًا على صحة التفاعل الاجتماعي والثقافي وسلامته، فقد كانت تقلقه الكثير من الأحداث والوقائع الحياتية، ونتيجة لذلك فقد كان يؤمن بأن ثقافة ما بعد العصور الوسطى في الغرب تتعرض حاليًا إلى هزة عنيفة تؤدي بها إلى الضياع والانقراض؛ لأنها في مرحلتها الأخيرة، وعلى ذلك فإن دراسة الحب الغيري الذي لا يلعب فيه الجنس الدور الأساسي هو أمر لازم وضروري لتجنب التشوش الذي يحيط بالعالم. وهذه مسألة لاحقة بمبدئه في القطبية Polarization الذي يذهب إلى أن التباين الأخلاقي الذي يتجلى من خلال الظروف الجارية هو أمر سوف يؤدي إلى الأزمة عندما تطغى مظاهر الأنانية في مقابل الغيرية.

وبالرغم من هذا ففي مقدور الإنسان من خلال مبدأ الحب والتعاون والمساعدات المتبادلة أن يتدخل في تغيير إيقاع الأحداث وشكلها بما يحقق الابتعاد عن شبح الأزمة المقبلة ولو إلى حين .

• قراءات مقترحة •

- Works: Fads and Faibles in Modern Society and Related Sciences. 1956.
---------: The Crisis of our Age. N.Y. Ep. Dutton and Co. 1957.
---------: Man and Society in Calamity . 1942 .
---------: Altruistic Love. 1950 .

وأيضًا:

Abraham, J. H., Origins and Growth of Sociology Penguin Book. 1973 .



٦٣- سبنسر، هربرت (١٨٢٠-١٩٠٣) SPENCER, Herbert

من أعظم الفلاسفة الإنجليز، ومن أشهر أقطاب الاتجاه التطوري وأحد رواد الحركة العلمية في عصره. ولد في عام ١٨٢٠، وكان صديقًا حميمًا لتشارلس دارون Drawin (١٨٠٩-١٨٨٢) لدرجة أنه أعلن عن مدى أخذه بالداروينية واعتماده عليها كاشفًا بذلك عن إمكاناتها المذهلة التي تؤكد نظرياته وآرائه. ويعتبر كتابه «الاستاتيكا الاجتماعية Social Statics الذي صدر عام ١٨٥١ ربما أهم مؤلفاته، وإن كانت مؤلفاته الأخرى وهي «مبادئ علم النفس» Principles of Psychology (١٨٥٥)، و«الفلسفة التركيبية» (١٨٩٦)، وأيضًا كتابه الذي صدر في ٣ أجزاء «مبادئ علم الاجتماع» The Principles of Sociology (١٨٧٩-١٨٩٦) لا تقل أهمية أو شهرة عن ذلك المؤلف.

وباختصار شديد ذهب سبنسر إلى أن التقدم العضوي والاجتماعي يسير من التجانس Homogeneity إلى اللاتجانس Heterogeneity، ومن البسيط إلى المركب وإلى أكثر الأشكال تعقيدًا .

ويعتبر هذا المبدأ التطوري بمثابة المحور الرئيسي لكل تفكيره ولذلك أفاض في الحديث عنه وعبر عن ذلك في سبعة قوانين أساسية محصلتها أن قانون التطور هو القانون السامي لأي موجود. وإن كان مع ذلك قد ذهب إلى أن التطور لا يعني دائمًا السير إلى الأمام وإلى الأرقى بمعنى الأكثر تقدمًا؛ لأنه يتضمن الكثير من مظاهر الانحلال والتحلل التي تفسح الطريق لمرحلة تطورية أخرى لاحقة.

وعلى أية حال فقد سادت فكرة التطور ذي الاتجاه الواحد نحو التقدم لا فكر سبنسر فحسب، ولكنها انتشرت لدرجة أنها صاغت الفكر الاجتماعي بشكل قل أن يكون له نظير، وذلك على الرغم من كل الانتقادات التي وجهت إليها، وبخاصة فيما يتعلق بالمماثلة بين الكائن العضوي والكائن الاجتماعي، وما ينطوي عليه ذلك من استعانة مباشرة بالبيولوجيا وعلم النفس، ولكن دون براهين أكيدة، بالإضافة إلى نزعته الفردية الطاغية.

- Works: Social Statics . 1850 .

----------: First Principles of a New System of Philosophy. 1862 .

----------: The Principles of Sociology . (1876 - 1896) .

----------: The Study of Sociology. N. Y. D. Appleton & Co., 1873 .

----------: Man Versus the State. 1884 .



٦٤- شبنجلر، أوزفالد (١٨٨٠-١٩٢٦) SPENGLER, Oswald

فيلسوف ألماني ومؤرخ تقوم شهرته الواسعة بسبب دراسته الاجتماعية للتاريخ التي قدمها في كتابه ذائع الصيت «تدهور الغرب» The Decline of the West وهو الكتاب الذي ارتبط به اسمه وصدر في جزءين الأول كان في عام ١٩١٨، والثاني عام ١٩٢٢ .

في ذلك الكتاب قدم شبنجلر نظريته في التطور الحضاري والاطرادات والانتظامات التي تتعرض لها حياة الثقافات والحضارات وهو ما يعتبر من وجهة نظر الكثيرين إضافة إلى النظرية الاجتماعية.

وهذا الكتاب يعتبر كتابًا في فلسفة التاريخ حيث ذهب فيه إلى أن معظم الحضارات التي يعرفها العالم لابد أن تمر خلال دورة حياة Life Cycle الأمر الذي يجعل المؤرخ قادرًا ليس فقط على إعادة صياغة التاريخ، ولكن على التنبؤ بسير ووقوع الأحداث المقبلة. وهذه ناحية تقف على العكس تمامًا مما ذهب إليه مؤرخ آخر هو آرنولد توينبي الذي ذهب إلى أنها أمور ترجع (أو يمكن إرجاعها) إلى الحضارات والثقافات الأقدم منها؛ إذ كان يرى أن روح الثقافة أو الحضارة لا يمكن أن تنتقل إلى حضارة أخرى.

ومن الناحية الأخرى كان لشبنجلر رؤية خاصة تتلخص في أن الغرب قد مر بالفعل بالمرحلة الخلاقة، ودخل مرحلة الحضارة المادية وهي مرحلة تتسم بغير قليل من الاسترخاء الذي يحدث أن تتشبع به، ومن ثم فإنه لا يمكن إلا أن يكون بادرة أو بداية حتمية للتراجع والانهيار .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Decline of the West. 2 Vol. (1918-1922).

----------: Man and Technics. 1932 .



٦٥- سبيرو، ميلفورد أ. (١٩٢٠) SPIRO, Melford E.

أنثروبولوجي أمريكي اشتهر بعدم ميله إلى المناقشات التي كثيرًا ما ينخرط فيها الأنثروبولوجيون البريطانيون، وبدلاً من ذلك يجاهر بميله وتعاطفه الشديد إلى المشاعر والعواطف وإلى اعتبار العوامل والقضايا السيكولوجية .

ولد ميلفورد سبيرو في كليفلاند Cleveland بأوهايو Ohio بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٠، وتلقى تعليمه بجامعة مينسوتا Minnesota التي نال منها درجة الليسانس، ثم حصل على الدكتوراه من جامعة نورث وسترن . وعمل أستاذًا مساعدًا للأنثروبولوجيا (١٩٤٨-١٩٥٢) في جامعة واشنجتن (سانت لويس) ، ثم أستاذًا مساعدًا للأنثروبولوجيا أيضًا في بجامعة Connecticut في الفترة من ١٩٥٢ إلى ١٩٥٧ . ثم أستاذًا للأنثروبولوجيا في جامعة واشنجتن (٥٧-٦٤)، وجامعة شيكاغو. وأصبح في عام ١٩٦٤ زميلاً في مركز الدراسات المتقدمة للعلوم السلوكية خلال العام (١٩٥٢-١٩٥٩).

كتب العديد من الكتب والمؤلفات التي استمد مادتها أساسًا من الدراسات الحقلية التي قام بها في مختلف الأنحاء، بالإضافة إلى عدد هائل من المقالات في مختلف المجلات والدوريات العلمية المتخصصة، كما شارك في العديد من المؤتمرات داخل وخارج الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة تلك التي تتناول مشاكل العقيدة والدين، وفي كل ذلك كان حريصًا دائمًا على إبراز مدخله الوظيفي الذي اعتبره وكأنه مسلمة من المسلمات التي ينبغي الأخذ بها. فالدراسة الوظيفية لأي مجتمع من المجتمعات توضح ما يفعله الناس وكيفية فعله وهذه مسألة تكشف عن الأشكال المتسقة أو غير المتسقة للسلوك الاجتماعي التي يمكن مقارنتها في المجتمعات المختلفة، وهذه ناحية على غاية الأهمية فيما يتعلق بتقييم ما يحدث من تقدم في أي مجتمع؛ لأن المهم معرفة ما إذا كان التغير ينحو ناحية التقدم أم هو عشوائي، وربما قد يكون ضارًا أحيانا .

وقد شغلت هذه المسألة ذهن ملفورد سبيرو رغم صعوبة القول بمقياس أو معيار لمقياس التقدم حتى من خلال النظر إلى ما يقوم به الأفراد من أدوار، ولكنه انتهى إلى فائدة بعض المبادئ في إلقاء الضوء على هذه الناحية فهو لكي يخرج من هذه الأزمة دعا إلى الأخذ بمبدأ العلاقة بين الوسيلة والهدف Meansends relation كمعيار للتقدم الذي يعني بمدى إرضاء الوسائل للحاجات التي يستهدفها المجتمع وإن كان حريصًا على التنبيه إلى ما قد يشوه هذه الوسيلة من عيب؛ إذ كثيرًا ما يحدث عند مقارنة الأمور بين المجتمعات أن تتم المقارنة بين أشياء مختلفة ولا صلة أو شبه بينها وهذا الخلط بين الأشياء (أو المؤسسات) غير المتشابهة هو خطأ يقع فيه كثير من الباحثين، الأمر الذي قد يكون راجعًا فيما يرى سبيرو إلى التعصب الثقافي الذي قد يدفع بمجتمع أو فرد من الأفراد إلى الحديث عن أحسن ما يراه أو حتى لإضفاء الرقي والتقدم، ونفي صفة التأخر عن المجتمع أو الموقف.

• قراءات مقترحة •

- Works: Religious Systems as Culturally Constituted Defence Mechanisms M. Spiro (ed.) Contex and Meaning in Cultural Anthropology . N.Y. 1965.

----------: Ghosts, Ifaluk, and Teleological Functionalism, American Anthropologist. 54 . 1952 .

----------: An Atoll Culture . 1953 .

----------: Kibbutz: Venture in Utopia. Cambridge, Mass, Harvard Univ. Press. 1956 .

----------: Childern of the Kibbutz, 1988 .

----------: Religion and the Irrational. 1964 .

----------: Social Systems, Personality and Functional Analysis, (in) B. Kaplan (el) Studing personality cross - culturally: Evanston Ill. Row Peterson, 1961 .

----------: Burmese Supernaturalism: A Study in the Explantion and Reduction of Suffering. Prentice. Hull. 1967 .

٦٦- ستاملر، رودلف (١٨٥٦-١٩٣٨) STAMMLER, Rudolf

فقيه ألماني يعتبره الكثيرون ربما أشهر فلاسفة القانون في بدايات القرن العشرين، وأهم الذين دعوا إلى إحياء فكرة القانون الطبيعي Natural Law بعدما كانت قد هوجمت هجومًا عنيفًا في القرن التاسع عشر على الرغم من ازدهارها آنذاك.

فبالرغم من أن بدايات القرن الماضي قد شهدت ثقلاً متزايدًا للاتجاهات والفرضيات السيكولوجية في الدراسات القانونية، فقد شهدت أيضًا جهدًا مضاعفًا للبحث في مصادر القانون والمادة التي تتكون منها القاعدة القانونية، ناهيك عن إمكانية تعديل القانون وحتى تغييره بصرف النظر عن نوعية المواقف المختلفة ورؤيتها الذاتية.

ومنذ وقت مبكر جدًا ارتبط رودلف ستاملر ارتباطًا وثيقًا بفكرة القانون الطبيعي أو قانون الطبيعة كما يطلقون عليه، فقد اعتقد جازمًا أن القانون الطبيعي هو القانون الأخلاقي، كما أنه في الوقت نفسه قانون العقل، ومرجعيته التي استند إليها في ذلك الأهمية الخاصة التي عزاها الرواقيون إلى هذا القانون واعتقادهم أنه قانون أبدي لا يتغير أبدًا، وأنه يتلاءم مع عقل الإنسان، وانتهى من ذلك، إلى نتيجة هامة مثلت الانطلاق بالنسبة له، وهي أن الفعل الإنساني لا يمكن أن يوصف بأنه إنساني ما لم يكن متوافقًا مع أنه قانون، ومع الطبيعة بخصائصها باعتباره عادل بصفة مطلقة، وكاف بذاته لتنظيم شئون العالم وتدبير أحواله وتوجيهه؛ لأنه كما يقول البعض من بينهم شيشرونCicero (١٠٦-٤٣ق.م) العقل الصائب متوافقًا مع الطبيعة.

المشكلة التي التقى بها ستاملر منذ البداية هي في كيفية التوفيق بين فكرة القانون الطبيعي وتقاليد المذهب التاريخي الذي يعتبر من أكبر أنصاره من حيث أن الأول يقول بالثبات وعدم التغير على العكس من الثاني الذي يرى أن القانون كيان متغير دائمًا وباستمرار.

هذا التناقض سعى ستاملر إلى حله. وقد توصل إلى ذلك عن طريق محاولته التوفيقية بين الجانبين. فقد قدم في عام ١٩٠٢ كتابًا بعنوان «المبادئ الاجتماعية المسبقة» Lehr-Von Demrichtigen حيث تصور أن القانون العادل الجدير بالتقدير والاحترام هو ما أطلق عليه «القانون الطبيعي ذي المضمون المتغير» Natural Law with a changing Content والشيء المدهش أن هذه التسمية سرعان ما أصبحت بمثابة أحد شعارات القرن العشرين ذائعة الصيت والانتشار، خاصة بعدما ترجم هذا الكتاب في عام ١٩٢٥ إلى الإنجليزية بعنوان «نظرية العدالة» The Theory of Justice على أيدي إيزاك هسلك Issac Huslk. وإن كان من المهم القول إنه بالرغم من وصول هذا الاتجاه إلى مداه فقد تمت في الوقت نفسه الاتجاهات المعارضة التي نظرت للقانون على أنه علم اجتماعي واقعي كيما يوضع القانون في إطاره الحقيقي الصحيح.

• قراءات مقترحة •

- Kelsen, H. , Pure Theory of Law. 1967 .

- Hart, H. L. A. Law, Liberty and Morality. Oxford Press. London 1963.



٦٧- ستيوارد، جوليان (١٩٠٢-١٩٧٢) STEWARD, Julian H.

عرف كواحد من أشهر رواد الاتجاهات التطورية الحديثة (الجديدة) التي عرفتها الولايات المتحدة الأمريكية منذ منتصف القرن العشرين، وباعتباره أيضًا مؤسس نظرية الأيكولوجيا الثقافية Cultural Ecology .

ولد جوليان هاينز ستيوارد عام ١٩٠٢ ونال درجته العلمية الأولى عام ١٩٢٥ من جامعة كورنيل Cornell ودرجة الدكتوراة من جامعة كاليفورنيا عام ١٩٢٩ . ثم انضم إلى المكتبة الأمريكية للأثنولوجيا التابع لمعهد سميث سونيان Smith Sonian في عام ١٩٣٥، ولكنه أصبح مديرًا لمعهد الأنثروبولوجيا الاجتماعية في الفترة من ١٩٤٣ إلى ١٩٤٦، وعمومًا فقد قام بالتدريس في جامعة كولومبيا في الفترة من ١٩٤٦ إلى ١٩٥٢ انضم بعدها إلى جامعة الينوى حيث أصبح أستاذًا متفرغًا عام ١٩٦٧ .

وقد تمكن جوليان ستيوارد خلال هذه المرحلة من القيام بالعديد من الدراسات والبحوث في المناطق والقرى الريفية، كما أشرف على عدد من البحوث الأثنوجرافية بين قبائل الشوزهوني Shoshoni الهندية في الشمال الأمريكي وبعض قبائل الهنود بالجنوب، واعتبر لذلك واحدًا من أكبر أنصار الدراسات الإقليمية خاصة وأن أعماله كانت تقوم على عدة مبادئ تبرز من خلالها عدة اتجاهات من بينها الأنثروبولوجي والأيكولوجي والتاريخ والأركيولوجيا والأثنوجرافيا، وهي اتجاهات كان يستخدمها في تداخل واتساق ملحوظين على ما يظهر بصفة خاصة في مؤلفه الأثنوجرافي الضخم عن الهنود الأمريكيين في الجنوب Handbook of South American Indians الذي قدمه في ٧ مجلدات ما بين (١٩٤٩-١٩٥٨). وهو عبارة عن مسح لثقافات هذه المناطق نشره مكتب الأثنولوجيا الأمريكي بالاشتراك مع القسم المختص بمثل هذه الاهتمامات في الولاية.

ويعتبر مؤلفه «نظرية في التغير الثقافي» Theory of Cultural Change الذي ظهر عام ١٩٥٥ العمل النظري الرئيسي بين كتبه ومؤلفاته العديدة. حيث

دار بأكمله تقريبًا حول قضية التطور والتغير والتقدم التي كانت تمثل شغله الشاغل نظرًا لما هو حادث من تفاوت النظر والمواقف بين العلماء حول هذه المفهومات. وحيث وقف موقفًا ناقدًا من الدراسات التطورية التي تذهب إلى مقابلة التطور الثقافي (الحضاري) بالتطور العضوي أو البيولوجي على أساس تشابه الاثنين في بعض الخصائص.

ولقد استخدم ستيوارد المعلومات التاريخية والأثرية لتعزيز موقفه الفكري. وفي ضوء هذه المعلومات رفض فرضية التطوريين القائلة بالتطور الأحادي Uni-linear Evolution من الأبسط إلى ما هو أكثر تعقيدًا وتركيبًا. كما رفض الفرضية الدائرية Cycle عن دورة الحياة التي تذهب إلى أن السجل التاريخي المهتم بنشأة المدنيات والحضارات التاريخية المعروفة بين أن الحضارات القديمة مثل حضارة الصين القديمة (قد كانت حول هوانج هو أي النهر الأصفر، والهند حيث نهر الهند ونهر الجانج)، وما بين الرافدين في مصر القديمة حيث النيل، قد بدأت بصورة بطيئة، ثم أخذت بالازدهار وارتقاء سلم العظمة والقوة والتقدم والرقي، ثم بدأت في التدهور والاندثار. وبدلاً من هذه الفرضيات التي سادت التفكير التطوري نجده يتوسط في موقفه بين التطوريين والانتشاريين، فالتطوريون تعصبوا لقوانين المراحل التطورية الثابتة بينما رفض الانتشاريون التسليم بوجود أي نقاط تشابه بين الحضارات وذهبوا إلى التنوع مؤكدين بذلك وجود العديد من الاختلافات.

في رأيه أن الأنساق الاجتماعية تنبثق من أشكال العمل الاجتماعي التي تتحدد بدورها بفعل التوافقات والتكيفات التكنولوجية التي تحدث لشعب من الشعوب مع بيئته الطبيعية. ومع أنه يدرك أن هناك كثير من التقاطعات الثقافية Cross Cultural المتشابهة في التغير الاجتماعي، إلا أن خصائص وديناميات الظروف الفيزيقية والطبيعية والتاريخية ينتج الكثير من التجسيدات والظواهر الاجتماعية في كل حالة من الحالات، الأمر الذي ينتج عنه ما أطلق عليه ستيوارد التطور المتعدد الجوانب Maltilinear Evolution الذي يتخذ صور العمل الجمعي، ومع التطور يتخذ مختلف أشكال السلطة والمركزية التي تنتج من التدرج

الاجتماعي المتزايد الذي يتبأور بدوره مع نمو الدولة وسيطرتها على ما يقع تحت سيادتها من مناطق وأقاليم على ما شهدته المرحلة النيوليثية على وجه التحديد .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Economic and Social Basis of Primitive Bands: Essay in Anthropology. Berkelcy, University of California Press. 1936 .

---------: Plateau Aboriginal Sociopolitial Groups. Bureau of American Ethnology. 1938 .

----------: Irrigation Civilizations. 1955 .

----------: Theory of Cultural Change (The Methodology of Multilinear Evolution., 1955).



٦٨- ستيفانسون، فيلهجلمور (١٨٧٩-١٩٦٢)
STEFANSSON, Vilhjalmur

عالم أنثروبولوجي وآركيولوجي من أصل أيسلندي، اشتهر برحلاته وتنقلاته الواسعة وهو يرتاد مناطق فسيحة من كندا الشمالية وخاصة بعدما تمكن من أن يكيف نفسه مع حياة الإسكيمو وتحمل مشاقها.

ولد في كندا عام ١٨٧٩، وعاش لمدة عام كامل (١٩٠٦ / ١٩٠٧) بين الإسكيمو حيث اكتسب معرفة عميقة بلغاتهم ولهجاتهم المحلية، وسهل له ذلك التعرف على مكاناتهم ومنزلتهم الاجتماعية لدرجة أنه بات يعتقد أن بمقدور الأوربيين أن يعيشوا في هذه البقاع إذا ما استطاعوا تبني أسلوب حياة الإسكيمو وطرائق تفكيرهم ومعيشتهم .

وعلى مدى أربع سنوات ما بين ١٩٠٨و ١٩١٢ اشترك مع عالم الحيوان الكندي رودلف آندرسون Anderson في القيام بدراسة أثنوجرافية تطورية بين عدد من القبائل من بينها الماكنزي Mackenzie والإسكيمو الكوبر Cooper في الأقاليم الشمالية لكندا، كما وسع تحركاته وكشوفاته ما بين عامي ١٩١٣-١٩١٨ فامتدت إلى الأقاليم والمناطق الشمالية والشمالية الغربية، وفق منهجه الذي كان يتبعه في البحث والارتياد.

كانت جماعته الحقلية تنقسم مجموعتين الجنوبية تحت إشراف أندرسون وقد تمكنت من القيام بمسح شامل للشاطئ الشمالي من الاسكا Alska وشرقًا إلى خليج الكورونيشن Coronation ، بينما اتجهت المجموعة الشمالية إلى الشمال الغربي، حيث توغلت في هذا الاتجاه لتكتشف آخر الجهات المجهولة التي ترجع إلى العصور الآركيولوجية القديمة وهي مناطق بوردن Borden وبروك Brock وميهن Meghen ولونجهيد Longhead.

ومع أنه تنبأ بأن هذه المناطق سوف تكون لها أهمية اقتصادية كبرى في الحرب العالمية الثانية، فقد أتيحت له فرصة اختبار مدى صدقية هذه النبوءة،

فقام بعدة مسوح للإجراءات والترتيبات الدفاعية في ألاسكا كما عمل مستشارًا لشئون القطب الشمالي والمناطق القطبية في مكتبة دارتموث Dartmouth فـي هانوفر حيث اعتمدت حكومة الولايات المتحدة الأمريكية كثيرًا على معلوماته وتقاريره العلمية والبحثية. وظل يتمتع بالاحترام والتقدير حتى وافاه الأجل بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٢ .

• قراءات مقترحة •

- Works: My life with the Eskimo. 1913 .

--------: The Friendly Arctic . 1921 .

--------: Unsolved Mysterious of the Arctic. 1938 .

--------: Discovery . 1946 .



٦٩- ستورزو، لويجي (١٨٧١-١٩٥٩) STURZO, Luigi

رجل دين إيطالي ومنظر سياسي، ولد في صقلية عام ١٨٧١، وسط أسرة متدينة، وتلقى تعليمه في المعاهد الكاثوليكية في روما، وما كاد يبلغ الثالثة والعشرين من عمره حتى رسم قسيسًا في الكنيسة الكاثوليكية الرومانية عام ١٨٩٤ . ونال درجة الدكتوراة من جامعة جريجوري Gregorian في روما، كما نال دبلومًا في التوحيد من أكاديمية الفلسفة التوحيدية بالجامعة نفسها. ولم يلبث أن أصبح عمدة بلدة كالتاجيرون مسقط رأسه عام ١٩٠٥ حيث قام بالتدريس في الإبراشية المحلية، وبنى عددًا من المشروعات السكنية طوال الفترة حتى عام ١٩٢٠ .

كانت تزعجه وتقلقه كثيرًا مظاهر الأزمة الدينية التي يعيشها الإنسان المعاصر حيث مثلت مظاهر الاغتراب التي بات يعيشها الفرد والمجتمع دليلاً على حيرة الإنسان وضياعه وعلى إفلاسهم وإفلاس حضارتهم في فهم العلاقة بينهم وبين الكون ككل، وبينهما وبين القوى التي تقوم وراء الإنسان والمجتمع والكون معًا.

هكذا تصور ستورزو أصل وأبعاد المشكلة الاجتماعية في حقيقتها، وكان يعتقد أنه يساعد على بأورتها وتعميقها اختلاف المواقف وتضارب الآراء، وربما تناقضها في محاولات الفهم وفي كيفية المواجهة. وكان لهذا الشعور الواعي أثره في الاتجاه إلى توظيف الدين والإيمان والعقيدة المسيحية كوسائل لا غنى عنها في الخروج من أسار المشكلة الطاحنة التي اعتبر أن العمل السياسي والاجتماعي الواعي يمثل الإطار الواقعي الذي يعمل كل هذا من خلاله ويرشده .

في عام ١٩١٩ أسس ستورزو الحزب الإيطالي الشعبي، وأصبح سكرتيرًا عامًا للحزب الجديد الذي نال أغلبية ملحوظة في انتخابات عام ١٩١٩ . وبالرغم من أن منصبه كان فخريًا فقد تمكن بروحه المتوثب وفكره الواضح من أن يصبح قوة لا يستهان بها فتحت أمامه الطريق في الوزارات اللاحقة، وإن كانت مواقفه من الفاشية ومعارضته التي يجاهر بها لموسوليني أجبرتاه على التقاعد في أكتوبر ١٩٢٢ ومن ثم التحق بكنيسة صغيرة عام ١٩٢٣، ولم يلبث أن تم نفيه في أكتوبر من

العام نفسه. وإن كان قد عاد إلى إيطاليا عام ١٩٤٦، ورجع إلى إحياء حركته تحت اسم «الحزب الديمقراطي المسيحي. ثم عين عام ١٩٥٢ سيناتورًا لمدى الحياة.

قد يكون من الصعب في داخل هذا الزخم الديني السياسي تلمس أبعاد نظريته السوسيولوجية، ولكنها على أية حال مزيج من الفكر والعمل يسعى لإيجاد نوع من التناغم والتناسق بين ما هو واقعي (المجتمع) وما هو فوق طبيعي أو فائق للطبيعة. وبالرغم من أن هذا الهدف هو انعكاس لتربيته الدينية، فالواضح أنه يجعله في أماكن كثيرة يبدو أقرب ما يكون لجورج جيرفيتش الذي يؤكد أن مهمة علم الاجتماع هي دراسة الظاهرة الكلية، وذلك قبل الإقدام على تحليله إلى عناصره ومكوناته من العلاقات أو النظم أو الأنساق التي يخضعها للدراسة التفصيلية بعد دراسته للمجتمع كما يبدو في عمومه أو في كليته .

كأن العلاقة الأساسية عنده هي إذن علاقة الفرد بالمجتمع وهو يرى أن كلا منهما يتضمن الآخر، حيث يظهر لدى كل طرف نوعية ومدى الشعور بالطرف الآخر نتيجة لوجود رباط يربط بينهما معًا. وبتعبير آخر القضية المحورية تتمثل في فهم هذا المركب على مستوى الفكر والتطبيق معًا، وبذلك فقط يتحقق ما أسماه ستورزو الاتساق الاجتماعي والتناغم Social Harmonica بين الجزء والكل .

• **قراءات مقترحة** •

كتب ستورزو مجموعة من الكتب الرئيسية عن الفلسفة المسيحية من بينها:

Works: Church and State . 1939 .

--------: The True Life. 1943 .

--------: The Inner Laws of Society . 1944 .

--------: Spiritual Problems of our time . 1945 .

--------: Italy and the Comming world. 1945 .

ويمكن الرجوع أيضًا إلى كتاب نيقولا تيماشيف المعنون:

Timaisheff, N., Sociology of luigi Sturzo. 1962 .



٧٠- سمنر، وليام جراهام (١٨٤٠-١٩١٠) SUMNER, W. Graham

عالم الاجتماع والاقتصاد الأمريكي وليام جراهام سمنر أحد الأقطاب الذين روجوا وعملوا على نشر الداروينية الاجتماعية Social Darwinism . ولد في باترسون Paterson بنيوجرسي بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٨٤٠ . وهو من أصل إنجليزي، نال تعليمه في اكسفورد، ولكنه قام بالعمل في جامعة ييل Yale من ١٨٧٢ إلى عام ١٩٠٩ أي قبل وفاته بعام واحد (١٩١٠) .

يعتبر من أهم العلماء الذين ارتبطوا بالأساس التطوري الذي ساد الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي في القرن التاسع عشر وبخاصة فكر هربرت سبنسر Spencer الذي اعتمد عليه كثيرًا لدرجة أن ذهب البعض إلى أن فكره وكتاباته ليست سوى المذهب السبنسري في رداء أمريكي.

والقانون الأساسي عند سمنر هو قانون التطور الذي يأخذ في رأيه اتجاهًا واحدًا لا يمكن رده أو إعاقته؛ إذ إنه يندفع متقدمًا بفعل عملية الصراع من أجل البقاء، ذلك المبدأ الذي بشر به وأقره تشارلس دارون .

وفي هذا الاتجاه الذي استغرق كل حياته التي استمرت سبعين عامًا ظل يعتبر من أصحاب العمل الواحد الذي ارتبط اسمه وشهرته به وهو كتاب «الأساليب الشعبية Folkways الذي قدمه عام ١٩٠٦ وأورد فيه كمًا هائلاً جدًا من المعلومات والأفكار والطقوس والعادات والشعائر والتقاليد التي استخدمها في ضوء الداروينية الاجتماعية لتفسير الأصل التطوري للعادات والروابط والعلاقات الاجتماعية ولطبيعتها ووظائفها واستمرارها وبقائها. وفي اعتقاده أن الصراع Conflict عملية لا يمكن تجنبها، كما أن الحروب بدورها مما لا يمكن تجنبه، وكذلك الصراع بين الطبقات الاجتماعية كنتيجة حتمية للصراع بين مختلف القوى الاجتماعية .

وبالرغم من أنه ذهب إلى أن الأساليب الشعبية هي أساليب التعرف التي تعتبر مقبولة بوجه عام من المجتمع، فإن الكثيرين يرون أنه لم يستطع أن يقدم تفسيرًا

مقنعًا لكيفية ظهورها أو القوى التي تقوم وراءها نظرًا لتداخلها وتشابكها وهي المصلحة والنفوذ والألم والدوافع البيولوجية والفسيولوجية. وإن كان من المهم على أي الأحوال الانتباه إلى الدور الضابط الذي يقول به لهذه الطرق والأساليب من حيث قدرتها على ضبط سلوك الأفراد لما تمارسه من سطوة ونفوذ واسعين.

ونزولاً على هذا المنظور فقد اضطر إلى أن يقوم بتحليل للنظم الاجتماعية حيث قدم تفرقة أساسية بين الجماعة التي ينتمي إليها الأفراد (جماعة النحن Weness)، وبين جماعات الآخرين Out- Groups حيث تقوم علاقات التباعد والنفور والكراهية فيما بين هذه الجماعات. وكانت هذه الرؤية بمثابة مدخل ساعده في تقديم مصطلح «الاعتداد بالجنس» Ethno Centrism الذي توضحه مفهومات وتصورات الاستعلاء والشعور بالذاتية المتميزة؛ مما يؤدي بدوره إلى وجود مظاهر الصراع. ومع ذلك فإن الكثيرين يرون أن معالجات سمنر لهذه القضايا والموضوعات أقرب إلى علم الاجتماع التحليلي على الرغم حتى من ارتباطها الوثيق بالمذهب التطوري، خاصة وهو يتحدث عن المعايير ووظيفتها والعادات والأخلاق والقيم وما قد يكون هناك من مظاهر الاتفاق والقبول من وظائف ضابطة .

• قراءات مقترحة •

- Works: What Social Classes Owe to Each Other. 1883 .

--------: Folkways. 1906 .

--------: The Science of Society (4 volumes) (ed) by A.G. Kcller. 1927 .

★ ★ ★

بالرغم من إسهاماته العديدة في إلقاء الضوء على الأصول الأولى لنشأة القانون وكيفية نموه في المجتمعات التقليدية والأكثر بساطة، وتطوره في المجتمع المعقد الحديث، فإن شهرته لا ترجع أساسًا إلى كونه أحد الباحثين في الفقه القانوني أو حتى لتحديده القانون الجنائي، ولكن إلى اعتباره أحد أئمة علم الإجرام الذين سعوا إلى تحديد موضوعه، إضافة إلى دراساته للعوامل والدوافع المؤدية إلى وقوع الجريمة، وذلك من خلال تحليله لنشأة القانون وتطوره .

ويطلق سذرلاند على علم الاجتماع الجنائي Criminal Sociology اصطلاح علم اجتماع الجريمة الذي يعتبره أحد فروع الدراسة في علم الإجرام -Crim inology إذ ذهب إلى أن علم الإجرام عبارة عن نسق من المعارف التي تتعلق بالجريمة وجناح الأحداث على حين يهتم بثلاثة موضوعات هي عملية صياغة أو صنع القانون، وانتهاك القانون والخروج عليه، ورد فعل المجتمع نحو عملية خرق القانون .

كما يرى أن سبب الجريمة الفردية يرجع إلى ما أطلق عليه «المخالطة الفارقة» Differential Asociation أي مخالطة الأفراد ذوي السلوك الإجرامي أو الانحراف فقد توصل في ضوء معايشته ومعارفه الأكاديمية ولظروف الطبقات الاجتماعية وبخاصة الدنيا والمتوسطة إلى نظريته عن المخالطة الفارقة التي يذهب فيها إلى أن السلوك الإجرامي هو سلوك مكتسب يتم تعلمه وليس موروثًا كما يعتقد الكثيرون، وإنما يتم تعلمه والتدريب عليه في وسط خاص وفي بيئة خاصة.

والواقع أنه يرجع إليه الفضل في توجيه الأنظار إلى أن ظاهرة الجريمة والانحراف يشيع وجودها أيضًا بين الطبقات الأعلى المسيطرة في المجتمع على العكس من العقلية الانغلاقية التقليدية المرتبطة بالتصورات والتوجهات التي طالما دارت من حولها جهود الباحثين وهم يؤكدون ارتباط الإجرام والانحراف

بالطبقات الدنيا والطبقات الفقيرة وحدها، وأن أبناء هذه الطبقات هم وحدهم أدوات الجريمة وأسبابها، وكأنما الجريمة هي ظاهرة الطبقات الفقيرة بتعبير آخر على ما يظهر في دراسته الرائعة عن إجرام الخاصة أو ذوي الياقات البيضاء التي يقوم فيها علية القوم ورجال الطبقة الإدراية العليا، ومن يتمتعون بالسطوة والنفوذ بارتكاب كثير من النماذج السلوكية التي تعتبر جريمة بكل المقاييس، ولكن لا تمتد إليهم يد القانون بسبب هذا النفوذ وهذه السطوة .

وأيًا ما كان الموقف بالنسبة إلى الآراء المختلفة التي قيلت في تفسير الجريمة، فقد نجح سذرلاند في توجيه أنظار الباحثين إلى ضرورة الانتباه عند التفسير والحكم إلى عدة عوامل أساسية هي عوامل التكرار والمدة والأولوية والكثافة، فكل هذا يشكل الإطار الواقعي لما يحدث من إجرام .

• قراءات مقترحة •

- Works: White-Coller Crime. N.Y. Dryen Press. 1949 .

--------: The Professional Thief. Chicage University. Chicago Press 1937.

--------: & Cressey, Donald: Criminology. N. Y. J. B. Lippincott Company. 1978 .

واقرأ أيضًا:

- Gibbons, Don C., Society, Crime and Criminial Behaviour, Englewood Cliffs. N. J. Prentice Hall. 1982 .



-T-

٧٢- تارسكي، ألفريد (١٩٠٢-١٩٨٣) TARSKI, ALFRED

يعتبر أحد أشهر المناطقة وعلماء الرياضة المعاصرين. ولد في وارسو عام ١٩٠٢ وعاش فيها حتى عام ١٩٣٩ عندما هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، حيث التحق بجامعة كاليفورنيا عام ١٩٤٢ . وكان قد أتم تعليمه في جامعة وارسو التي نال فيها درجة الدكتوراه عام ١٩٢٣ . وقد أصبح أستاذًا للرياضيات في عام ١٩٤٩ ثم أصبح أستاذًا متفرغًا في عام ١٩٦٨ .

ولقد اشتهر تارسكي بسبب إسهامه الفلسفي في دراسة الصيغ الدلالية التي تأدت به إلى صياغته لنظرية في سيمنطيقا الحقيقة. وأيضًا بسبب إسهامه في المعالجة التصورية للنماذج المنطقية والرياضية حيث أبرز مكانة ودور بعض المفاهيم المستحدثة التي تبحث في المعنى وكيفية فهم المجتمع، ومن بينها الميتارياضيات Metamathematics مثل «الميتا لغة» أي ما وراء اللغة وما وراء الرياضيات. وهي مفاهيم وتصورات باتت تجذب أعدادًا متزايدة من شباب العلماء والباحثين خاصة من زملائه وخلانه وهو يعمل باحثًا في معهد ميللر Miller للبحوث الأساسية في العلوم.

وعمومًا فإن له عدة مؤلفات من بين أهمها: «مقدمة في المنطق ومنهجية العلوم الاستنباطية Introduction to Logic and to the Methodology of Deductive Sciences الذي أصدره عام ١٩٣٦ .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Concept of Truth in the Languages of Deductive Sciences. 1933 .

----------: Geometry. 1935 .

----------: A Decision Method for Elementary Elgebre and Geometry. 1948.

---------: Logic, Semantics, Metamathematics. 1956 .

★ ★ ★

٧٣- تنانت، فردريك (١٨٦٦-١٩٥٧) TENNANT, Frederick Robert

فيلسوف وعالم لاهوت إنجليزي سعى إلى اكتشاف عناصر التناسق والهارموني بين العلم والدين Science and Religion، وذلك من خلال مدخل إمبريقي في دراسة اللاهوت المسيحي .

ولد في أول شهر سبتمبر عام ١٨٦٦ في بيرسلم Burslem في ستافورد شاير Staffordshire وتوفي في التاسع من شهر سبتمبر أيضًا عام ١٩٥٧ في كامبريدج شاير Cambridgeshire. وفي رحلة عمره الطويلة بدأ حياته بدراسة العلوم في كلية كايوس Caius College بكامبريدج وعمل لفترة من ١٨٩١ إلى ١٨٩٤ بتدريس العلوم في نيوكاسل Newcastel بالمدرسة العليا، ثم أصبح محاضرًا في اللاهوت والعلوم الدينية وزميلاً بكلية ترينيتي Trinity بكامبريدج عام ١٩١٣ .

كان من الطبيعي أن تتمركز اهتماماته حول دراسة التجربة الدينية التي اعتبرها حجر الأساس في التجربة الحياتية للإنسان فسعى منذ وقت مبكر يرجع إلى العقود القليلة الأولى من القرن العشرين إلى الكشف عن طبيعة الموضوعات التي تدور من حولها هذه الاهتمامات، وذلك مثل قضية السقوط وتصور الإنسان للخطيئة وانعكاساتها ونتائجها حيث أعلن في عمله الرئيسي الذي ظهر عام ١٩٢٨ تحت عنوان «علم الأديان الفلسفي» عن موقفه الرافض لكثير من صور التصوف والروحانية الغامضة، وذهب إلى أنه لكي ندرس التجربة الدينية على حقيقتها لأجل الكشف عن ماهيتها ومغزاها، لأجل الوقوف على الوحدة الكلية الشاملة التي تكشف عن ذاتها في الذات الإلهية وفي قدرة الإنسان وعلمه، لابد أن يكون لدينا معرفة وثيقة بالذات الإنسانية وبالعالم الخارجي كما تقدمه لنا نظرية المعرفة بأوسع معانيها أي بالمعنى الإبستمولوجي والسيكولوجي والعلوم الطبيعية .

وقد لا يكون هذا المنطلق جديدًا تمامًا على الفكر الفلسفي أو حتى الديني، ولكن الجديد الذي سعى تنانت إلى إبرازه هو أن الإبستمولوجيا عنده تتجاوز

حدود الأبستمولوجيا التقليدية القديمة التي حصرت نفسها بين قطبي الذات والموضوع كما نجد عند أرسطو مثلاً ورينيه وديكارت وعمانويل كانط، وإنما تهتم اهتمامًا أصيلاً بتغير المعايير الأبستمولوجية التقليدية الخاصة بالميتافيزيقا فيدرس الإنسان الاجتماعي وليس مجرد الفرد الذي يختلف باختلاف العصور والمجتمعات والبناءات، وبذلك اقترب كثيرًا من حدود المعنى الاجتماعي للمعرفة الذي يتضمن الدراسات والبحوث الخاصة بالبناء الكلي للثقافة والمعتقدات والعلوم والتكنولوجيا بما في ذلك العلاقات القائمة بين المعرفة والعوامل الوجودية الأخرى التي يحتويها المجتمع. أما الجزء الثاني من ذلك المؤلف الذي ظهر عام ١٩٣٠ فيصف مراحل المعرفة كما يعطي فيه تصوره لموقفه من القدر، وهنا يظهر بجلاء مدى تمسكه بمحاولته التي تهدف إلى الربط بين الفكر العلمي والثيولوجي، الأمر الذي اصطدم على أي الأحوال بالتطورات العميقة التي طرأت على كل من الفلسفة الإمبريقية والتجريبية من ناحية، والفكر اللاهوتي من ناحية ثانية، وذلك بالرغم من إدراكه الواعي لاختلاف الأرضيات والخلفيات والمنطلقات الفكرية، مما جعل الكثير مما ذهب إليه يبدو ذات طابع مسيحي مما عفا عليه الزمن .

• قراءات مقترحة •

- Works: Sin, 1902 .

---------: The Fall. 1903 .

---------: Miracles. 1925 .

---------: The Philosophical Theology. 1928 .

هذا ويمكن الرجوع أيضًا إلى بعض الدراسات الأساسية من بينها:

- Bayer, Raymond, Epistemologie et Logigue, Depuis Kant Jesqu'a nos Jours, Paris, Presses Universitaires de France 1954 .

- Boutroux, Emile; Science et Religion dans la philosophie Contemporainc. Flammarion, Paris. 1947 .



٧٤- توماس، ويليام إيزاك (١٨٦٣-١٩٤٧)
THOMAS, William (Isaac)

عالم اجتماع أمريكي من أكبر رواد علم الاجتماع النفسي ومن أبعدهم تأثيرًا في كتاب النظرية الاجتماعية الحديثة على الرغم من حقيقة أنه لم يعرض الكثير من أفكاره بشكل منتظم أو حتى في صيغة نهائية.

كان اهتمامه الأساسي يدور حول مباحث التغير الثقافي ومباحث الشخصية وتطورها. كما كانت له نظرة خاصة إلى النظرية الاجتماعية التي اعتبر أنها تضم علم الاجتماع وعلم النفس معًا. ذلك إلى جانب بحوثه التي مثلت إضافة منهجية عندما أكد على ضرورة الدراسة العلمية في هذين المجالين، الأمر الذي لا يتأتى إلا بالاقتراب من مناهج العلوم الطبيعية التي تتسم بالدقة وبالضبط، وإن لم يقل صراحة بتبني العلوم الاجتماعية لقوانين العلوم الطبيعية، كما لم يكن متطابقًا تمامًا مع الفكرة السائدة عن تطبيق مناهج العلوم الطبيعية على العلم الاجتماعي والواقع الاجتماعي.

ولد عام ١٨٦٣ بولاية فيرجينيا Virginia وتلقى تعليمه في جامعة تنيس وجامعتي برلين وجوتنبرج، ولكنه التحق عام ١٨٩٣ بجامعة شيكاغو، وظل يعمل بقسم الاجتماع طوال الفترة من (١٨٩٥-١٩١٨) ثم في المدرسة الجديدة للبحث الاجتماعي في نيويورك ما بين عامي ١٩٢٣ و١٩٢٨ ثم في جامعة هارفارد (١٩٣٦/١٩٣٧)، حيث كرس وقته للبحث والدراسة والتأليف وأخذ يركز على دراسة الفرد في داخل الموقف الاجتماعي، وذلك بهدف الكشف عن الكيفية التي تتباين بها سلوكيات الأفراد وأسباب هذه التباينات في الموقف الواحد، وإذا ما تغيرت أيضًا طبيعة المواقف الاجتماعية وأشكالها.

لكن على الرغم من تركيزه على مظاهر السلوك في المواقف المحددة، فقد عاد فركز على السلوك المتوافق بصفة خاصة وهو السلوك الذي اعتبر أنه يمثل جوهر النظرية الاجتماعية وإن كان قد ظل مرتبطًا بالفعل في داخل إطار الموقف؛ مما يعني أنه لم يتجرد تمامًا من النزعة الفردية السيكولوجية. وربما من هنا اهتمامه بدراسة القيم ودراسة الاتجاهات التي تعمل في الموقف سواء على المستوى الفردي

أو المستوى الجماعي. وبالتالي مدى موافقة السلوك لهذه القيم أو مظاهر الخروج عليها؛ مما اعتبره مؤشرًا دالاً على ما أطلق عليه التفكك الاجتماعي الذي يصيب كل من الشخصية والجماعة والمجتمع بالنظر إلى خطورته وشدته وتأثيراته. ونزولاً على كل هذا نجده يقرر بأنه ينبغي على النظرية الاجتماعية أن تتضمن ما يقرر العلاقات الضرورية بين وحدات الواقع الاجتماعي الأمر الذي اعتبره أساسيًا في التحليل. وهي نفس الفكرة التي قامت عليها الدراسة الشهيرة عن الفلاح البولندي والتي أكد فيها أن الوحدات الأساسية للواقع الاجتماعي هي بالذات القيم والاتجاهات والعلاقات المتبادلة بينها وإن كان قد بدأ في أيامه الأخيرة يتخلى عن فكرة القوانين واستبدلها بفكرة الاحتمالات .

ويعتبر مؤلفه «الجنس وعلم الاجتماع» Sex and Sociology الذي قدمه عام ١٩٠٧ أول كتاب علمي يناقش هذا الموضوع بين علماء الاجتماع الأمريكيين بمثل الصراحة التي تمت بها مناقشته. وكذلك كتابه «المرجع في التغير الاجتماعي» Source Book for Social Change (١٩٠٨)، وكتابه «السلوك البدائي» Primitive Behaviour (١٩٣٧) الذي يعتبر تعديلاً وبلورة لبعض كتاباته السابقة. وإن ظلت كلها تعكس اهتمامه الزائد بالمادة الأثنوجرافية .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Unadjusted Girl. 1923 .

---------: The Child in America. 1928 .

وقد كتب توماس هذا الكتاب بالاشتراك مع زوجته دوروثي سواين Swaine

أما عمله الرئيسي الكبير وهو: الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا فقد ألفه بالاشتراك مع فلوريان زنانيكي وهو يستخدم التحليل المقارن لدراسة القوميات وتحليل المشكلات في ضوء تقارير الشخصية .

انظر في ذلك:

- The Polish Peasent in Europe and America .

وهو كتاب في ٥ أجزاء صدرت في الفترة من ١٩١٨ - ١٩٢١ .

٧٥- ثورنيسون، رودلف (١٨٥٧-١٩٤٠) THURNEYSEN, Rudolf

عالم لغوي ألماني يعتبر علامة بارزة في الدراسات السلتية Celtic وواحد من أوائل الذين استخدموا مبادئ اللغويات التاريخية الحديثة Synchronic في مجال الدراسة اللغوية لدرجة أن اعتبر موسوعة أو حجة في اللغويات والدراسات اللاتينية عامة.

ولد في بازل بسويسرا عام ١٨٥٧ وتوفي في بون Bonn بألمانيا عام ١٩٤٠ ولكنه قام بالتدريس في جامعة جينا Gena (١٨٨٥-١٨٨٧)، وفرايبورج Freiburg (١٨٨٧-١٩١٣) وجامعة بون من عام ١٩١٣ حتى تقاعده. وقد اعتبر على مدى هذا العمر أعظم العلماء والباحثين الذين أسهموا إسهامًا ضخمًا في دراسة اللغويات الإيرلندية القديمة Old Irish Linguistic، وكذلك التاريخ الأدبي والقانوني لهذه المناطق.

ومن أهم إسهاماته مؤلفه الضخم عن «نحو اللغة الأيرلندية القديمة» وقد صدر في جزءين عام ١٩٠٩، وقد انتهج فيه المنهج التاريخي والتطوري في محاولته تفسير اللغة. ففي تصوره أن التاريخ هو المفتاح الوحيد لدراسة اللغة دراسة علمية منظمة، ذلك أن دراسة اللغة تتصل فورًا بموقف كلي هو موقف التاريخ وحركته على أرضية المجتمع أو التاريخ وهو يمشي على الأرض كما يقولون. وهذه نظرة من الواضح أنها تقترب من نظرة هيجل عندما ذهب إلى أن عالم الاجتماع يجب أن يضع التاريخ في اعتباره ذلك أنه لا يمكن أن تدرس الظواهر المجتمعية دون أن ينظر إلى التاريخ من خلال الأرضية الاجتماعية، وذلك في الوقت الذي يرى البعض أن المنهج التاريخي وحده لا يمكن أن يحل كل مشكلات اللغة، وأن المعرفة التاريخية تحتاج إلى تكامل الدراسات الأخرى باعتبارها (اللغة) نسقًا متكاملاً. أضف إلى ذلك أن الاعتماد كلية على مثل هذا المنهج التاريخي مما يسيئ إلى الدراسة البنائية والتحليلية للغة خاصة تلك التي تنتج عند عقد المقارنات .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Irish Sagas of Heroes and Kings in the 17th Century 1925.

---------: Celtic Law . 1935 .

٧٦- ثورنفالد، ريتشارد س. (١٨٦٩-١٩٥٤)
THURIWALD, Richard C.

أنثروبولوجي وعالم اجتماع ألماني اشتهر بدراساته المقارنة للنظم الاجتماعية لاعتقاده بأن المقارنة بين النظم في المجتمعات المختلفة من شأنها أن تكشف عن الاختلافات بينها، ومن ثم التوصل بالتالي إلى فهم أعمق للوظيفة الجوهرية لكل نظام، ذلك بالإضافة إلى مواقفه النافذة من بعض قضايا العلم التي أثارها العلماء.

ويبدو أن العقلية الألمانية تتمتع بخصائص ذاتية تجعلها لا تتفق تمامًا مع العقلية الأمريكية والاتجاهات التي يرتادها علماؤها. فعلى الرغم من أنه قام بالتدريس لفترة قصيرة في بعض الجامعات الأمريكية إلا أن عمله الرئيس والأساسي كان في جامعة برلين منذ عام ١٩٢٤ حيث درس الأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع. وربما هنا يقوم بينه وبين أدورنو Adorno وجه شبه حيث أن أدورنو لم يتكيف تمامًا بما يفهمه الأمريكيون عادة من بحوث الاتصال، مما جعله يلتحق بمعهد هوركيمر Horkheimer الذي أنشئ في نيويورك. ثم ليرحل بعد ذلك إلى ألمانيا ليشارك هوركيمر في إعادة إنشاء وتنظيم معهد البحوث الاجتماعية The Institute of Social Research .

والواقع أن ألمانيا على غير ما يوجد عادة في بلدان أخرى كانت بعد الحرب العالمية الثانية تواجه الحاجة الملحة لإعادة بناء مختلف المواقع، وأسس الحركة الاجتماعية بما في ذلك الكتابات السيارة وليس مجرد المؤسسات والجمعيات العلمية وحدها. وفي الفترة ما بين ١٩٤٨ و ١٩٥٥ شارك مع آخرين من بينهم ماكس هوركيمر وليوبولد فون فيزه Leopold Von Wiese، وفيركاندت Vierkandt وألفريد فيبر Weber جهودهم، فأعيد تنظيم وتأسيس الجمعية الألمانية لعلم الاجتماع German Sociological Society (١٩٤٦)، كما تم تأسيس معهد البحوث الاجتماعية تأسيسًا جديدًا، كما أعيد تصحيح وتوضيح دور علم الاجتماع وعلم النفس من جديد.

غير أن الشيء الهام هو أنه بدأت تظهر خلال هذه السنوات اتجاهات ثورنفالد تجاه قضايا العلم وتجاه القائلين بها. وبالرغم من أنه هاجم تأثير مواقف العالم النفساني فونت Wundt على الأنثروبولوجيا، فقد اتخذ أيضًا موقفًا انتقاديًا من لوسيان ليفي برول Levy - Bruhl بسبب مواقفه في معالجة فكرة السببية. وذلك بالرغم من حقيقة أن ثورنفالد يعتبر من المصادر الهامة التي اعتمد عليها ليفي برول في معالجته لفكرة السببية والغيبيات عند البدائيين.

حجر الزاوية في انتقاد ثورنفالد هو أن البدائي تنقصه - في رأي ثورنفالد- رابطة السببية العميقة Causale Profonde . في رأيه أن العقلية البدائية لا تؤمن بوجود الأسباب الطبيعية أو العلل الثانية إذ تؤمن فقط بوجود قوى أو نفوس أو أرواح وهي المصادر الوحيدة التي تفسر الأحداث والوقائع في المجتمع البدائي، ومن هنا اعتقاد ليفي برول أن عقلية البدائي هي عقلية غيبية .

المشكلة كما رآها ثورنفالد هي أن العقلية البدائية لا تؤمن بالسببية كما يتصورها العقل المتحضر حيث إن فكرة السببية كما يتصورها العقل البدائي لها طابع يختلف تمامًا عن الطابع الذي نألفه، فالسببية إذا ما أخذنا بلغة الفلاسفة هي القنطرة الوحيدة التي تنقلنا من العقل إلى الوجود، والتي تربطنا بالعالم؛ لأنها الرابطة التي ترتبط بها الظواهر ربطًا زمنيًا حيث إن المجموع الكلي لظواهر العالم إنما هي في تفاعل متبادل عام. والعقلية البدائية لا تهتم أو تُبالي بالبحث عن العلل الطبيعية أو العلل الثابتة؛ لأن طابع السببية عندها يحجب عنها مشكلة هذه الأسباب أو العلل، والعقلية البدائية لا يمكنها أن تستوعب الثلاثي العقلي الذي يتكون من الزمان والمكان والعلية، لعدم قدرتها على الإحاطة بالسببية العميقة على حد تعبيره وإن كان مفهوم السببية (العميقة) التي قال بها ثورنفالد مازالت في حاجة لمزيد من التوضيح لمعرفة المقصود منه تمامًا .

وكنا قد أشرنا إلى اهتمامه بالدراسة المقارنة للنظم الاجتماعية، وليس من شك في أن هذا الاتجاه قد تأصل عنده بسبب المدخل الأثنوجرافي الذي كان يعتمد عليه اعتمادًا أوليًا بسبب معرفته الوثيقة بالعديد من المجتمعات التي

اكتسبها من خلال البعثات العلمية والرحلات والزيارات التي كان يقوم بها وبخاصة في جزر سولمان Soleman Islandes وميكرونيزيا Micronesia في الأعوام (١٩٠٦-١٩٠٩) ثم في عام ١٩٣٢، وكذلك غينيا الجديدة (١٩١٢-١٩١٥) وأفريقيا الشرقية في ١٩٣٠ .

ولعل من بين أهم أعماله الأثنوجرافية المبكرة دراسته لمجتمع البانارو Banaro Society (١٩١٦) حيث عالج التنظيم القرابي والاجتماعي في إحدى قبائل غينيا. هذا بالطبع إلى جانب نشاطاته الأخرى، فقد أسس في عام ١٩٢٥ كما أشرف على تحرير Journal of Poular Psychology and Sociology بخلاف إشرافه على تحرير عدد من المجلات الأنثروبولوجية وفي القانون المقارن.

ولكي يقيم نتائج التطور التاريخي أجرى العديد من المقارنات للوظائف والبناءات الاجتماعية، كما تعمق في النظر إلى العلاقات المتداخلة للتكنولوجيا والبناء الاجتماعي والاقتصاد. في الوقت الذي اعتبر التدرج الاجتماعي من أهم التصورات التي جاء بها وهو ينتقل ويتعامل مع التغيرات التي تنتج جراء ظهور جماعة (أو جماعات) جديدة في المجتمع تتخذ شكل شريحة من شرائحه الدنيا؛ إذ قاده هذا المفهوم إلى دراسة نظام الإقطاع والتطورات المبكرة للممالك والدول الجديدة.

• قراءات مقترحة •

- Works: Human Society and its Ethno Sociological Foundation.

وقد صدر هذا المؤلف في ٥ أجزاء في الفترة من ١٩٣١ - ١٩٣٥ .

-------: Economics in Primitive Communities . 1932 .

-------: Black and White in East Africa . 1935 .

-------: Structure and Meaning of Popular Knowledge. 1948 .

وهو آخر كتبه الأساسية إذ توفى ثورنفالد في أوائل يناير عام ١٩٥٤ في موطنه الأصلي برلين .



٧٧- تيليش (تيلك)، بول (١٨٨٦-١٩٦٥) TILLICH, Paul

يعتبر من أكبر الفلاسفة وعلماء اللاهوت وأكثرهم إبداعًا في القرن العشرين. ولد في ستارزيدل Starzeddel بألمانيا، ويتمثل إنجازه الكبير في مناقشاته العميقة التي دارت حول الله والعقيدة والإيمان، فناقش وجود الله ومظاهر تجلياته، وهي مناقشات ربطت ربطًا موضوعيًا مجالات المسيحية التقليدية والثقافة الحديثة. خاصة وهو يجمع في مناقشاته وكتاباته بين الفلسفة والدين والعقيدة والعلم والأخلاق والتكنولوجيا والتاريخ الاجتماعي والسياسي للمجتمعات المعاصرة.

وقد وصلت كتاباته التي ألفها على مدى عمره الطويل الذي امتد لحوالي ٨٠عامًا (توفي عام ١٩٦٥) إلى قطاعات عريضة من القراء في مختلف المستويات خاصة تلك التي دارت حول «المقدس» والغاية النهائية أو القصوى للحياة والوجود، وينتهي إلى أنها تتمثل في الاهتمام الذاتي والأصيل للإيمان والعقيدة، فمن رأيه أن الله هو جوهر الفلسفة وصميم مضمونها الأساسي الذي يعني بالتعرف على الله في ذاته .

من رأيه أن الله الحي الدائم هو القوة الخالقة لكل الوجود، وأنه يكشف عن ذاته في الوجود المستمر المتجدد أبدًا الذي يتجلى في المسيح عليه السلام .

• قراءات مقترحة •

- Works : The Courage To Be. 1952 .

----------: Dynamics of Faith, 1957 .

ويمكن الرجوع أيضًا إلى:

- Yingtr. J. M., Religion, Society and Individual. 1957 .

- Martin, D. A.; The Religion and Secular. 1969 .



٧٨- تيللي، تشارلس (١٩٢٩-٢٠٠٨) TILLY, Charles

عـالم اجتمـاع ومؤرخ وسـيـاسـي أمـريكي اشـتـهـر بكتـاباته عن الـعـلاقـة بين السياسة والمجتمع، ولد في ٢٠ مايو في لومبارد Lombard بولاية إلينوى Illinois الأمريكية. وتلقى تعليمه في جامعتي هارفارد واكسفورد حيث حصل على درجة الدكتوراه في الاجتماع من هارفارد عـام ١٩٥٨ . وقام بالتـدريس في جامـعـات ديلـوار Delaware وهارفـارد وتورنتـو Toronto وميتشـجان، وأيضًا في المدرسة الجديدة وجامعة كولومبيا. حيث أصبح أستاذًا للعلم الاجتماعي. والمعروف أنه على مدى حياته العلمية والأكاديمية كتب تيللي أكثر من ٦٠٠ مقال بخلاف ٥١ كتاب وعدد كبير من السير الذاتية.

ولقـد حصل تيللي على عدد كبير من الجوائز وشـهـادات التـقـدير، من بينها جائزة الكومنولث Commonwealth في علم الاجتماع عام ١٩٨٢، وجائزة أمالفي Amalfi لعلم الاجتماع والعلوم الاجتماعية (١٩٩٤) ومن الجمعية الشـرقيـة لعلم الاجتمـاع لزمـالته المتميزة (١٩٩٦)، وجـائزة الرابطة الأمـريكية لعلم الاجتمـاع لحياته الأكاديمية المتميـزة (٢٠٠٥)، وجائزة الرابطة الدولية للعلوم السـيـاسـيـة والدراسـات المقارنة (٢٠٠٦)، بالإضـافـة إلى جـوائز من الجـمـعـيـة الفلسـفـيـة الأمريكية، ومن مختلف الجمعيات والمحافل العلمية الأخرى. كما كرمته مـختلف الجـامـعـات حـتى ممن لم يعمل بها ومن بينهـا جـامـعـة سـتـراسـبـرج Strasbaurg (١٩٩٦) وجامعة كريت (٢٠٠٢) وجامعة كيوبيك (٢٠٠٤)، وجـامـعـة مـيـتـشـجـان (٢٠٠٧)، ولم يكن يمضي عـام من الثمـانينيـات إلى أن توفي عـام ٢٠٠٨ عن ٧٨ عامًا إلا ويتم الاحتفال به عرفانًا وتقديرًا لعطائه العلمي في مختلف الجامعات والهيئات العالمية. وقد أطنب البعض في تقديره والثناء عليه حتى أن آدم أشفورث Ashforth بجامعة نورث وسترن قد وصفه بأنه الأب المؤسس لعلم اجتماع القرن الحادي والعشرين.

وقد لا تكون في هذه العبارة أي تزيد أو مبالغة فقد كانت أعماله الأكاديمية تغطي العديد من المجالات وتتناول العديد من القضايا والموضوعات في العلوم الاجتماعية، وتأثر بذلك عدد متزايد من الدراسين حتى من بين البعيدين عن علم الاجتماع؛ إذ امتد عطاؤه إلى التاريخ ومختلف فروع العلوم السياسية حتى أن الكثيرين قد اعتبروه علمًا بارزًا لتطويره علم الاجتماع التاريخي، وذلك باعتباره من أوائل الذين اعتمدوا على المناهج الكمية في التحليل الاجتماعي إلى جانب منهجه الذي يمازج فيه بين مختلف التخصصات ذات الصلة، وبخاصة فيما يتعلق بموضوعات من قبيل الحرب والسلام، وتكوين الدولة ونشأتها، ومباحث الثورة والديمقراطية، وعدم المساواة إلى جانب علم الاجتماع الحضري الذي مثل موضوعًا أثيرًا لديه .

في دراسته للتغير الاجتماعي السياسي في أوربا منذ العصور الوسطى إلى الوقت الحاضر حاول تيللي مناقشة وشرح مظاهر تطور الدولة القومية ومظاهر سيطرتها المتزايدة على مختلف المظاهر السياسية والاجتماعية في مختلف الأنحاء. وفي نظريته يذهب إلى أن المكتشفات والاختراعات العسكرية بصفة خاصة جعلت الحرب أمرًا مكلفًا للغاية الأمر الذي لم يعد قادر على تحمله إلا الدولة المتقدمة بالذات حيث تمتلك رأس المال والقوى البشرية القادرة على الوفاء بتكاليف الحروب الباهظة. وهو في ذاته مما قد يعتبر أمرًا يحول دون اندلاع كثير من الحروب كأسلوبه لحل المنازعات فيما بين الدول والكيانات الصغيرة.

ولكن في معارضته للنزعة الفردية والفلسفة الفردية التي تسود المناخ الدولي اهتم بتحليل قوى المعارضة والتمرد والاحتجاج التي تنبثق لمناهضة ما يترتب على تزايد هذه النزعة واستمرارها. والمدهش أنه ناقش ذلك من ناحيتين متلازمتين أن هذه القوى المعارضة لها ما يبرر قيامها وتدعو إليها في الوقت الذي يوجد لدى الحكومات أيضًا ما يبرر استخدامها - أحيانًا- لهذه القوى لكي تحقق عن طريقها أهدافها أو على الأقل لامتصاص ثورة غضبها واحتجاجها مما جعله يقوم بتحليل للحركات الاجتماعية التي ضمنها حتى الحملات الانتخابية التي يجرى تنظيمها لهذا المرشح أو ذاك والتي عادة ما تلجأ إلى استعمال بعض الشعارات

السياسية والاجتماعية البراقة التي كثيرًا ما تنطلي على الجماهير إما خوفًا أو تطلعًا لأمل لا يتحقق في أغلب الأحايين. وهذه ناحية في قلب العلاقة بين الحركات الاجتماعية وعملية الدمقرطة التي يتشدق بها السياسيون، والتي هي في حاجة لمزيد من الدراسة والبحث كي ما يتضح وعي الناس والجماهير. فتكون لهم القدرة على الاختيار السليم.

• قراءات مقترحة •

- Works: Do Communities: Sociological Inqury . 43 . 1971 .

--------: The Formation of National States in Western Europe (ed.), 1975 .

--------: As Sociology Meets History. 1981 .

--------: Coercion, Capital and European States. AD 990-1992. 1990 .

--------: European Revolution. 1492 - 1992 - 1993 .

--------: From Contentions to Demoeracy. 2005 .

--------: Identities, Boundaries, and Social Ties. 2005 .

--------: Democracy. 2007 .

--------: Social Movements (1768-2008) 2nd edition, with Lesley Wood. 2009 .

--------: From Mobilization to Revolution. Reading Mass Wesley. 1978 .

★ ★ ★

٧٩- تيماشيف، نيقولا TIMASHIFF, N.

أحد كبار المفكرين والعلماء الذين أثارت كتاباتهم الكثير من النقاش والجدل سواء من حيث نظرته إلى المجتمع أو وظيفة القانون والعلاقات المتبادلة بينه وبين البناء الاجتماعي بمكوناته وعناصره المختلفة مما كان له أثره ليس فقط من حيث أنها ألقت الضوء على العلم الاجتماعي وأساس الظاهرة القانونية وغيرها من الظواهر، ولكن من حيث أنه ركز تركيزًا فائقًا على مشكلات النظرية والمنهج مما قلب رأسًا على عقب الكثير من المواقف التي سادت التفكير الاجتماعي لوقت طويل؛ مما أدى إلى تعميق الاتجاهات النظرية والمنهجية خصوصًا فيما يتعلق بالظاهرة القانونية والنظام الاجتماعي وعلم الاجتماع القانوني الذي اعتبره علمًا إمبريقيًا بالدرجة الأولى.

كان ينظر إلى النظرية الاجتماعية على أنها دراسة في تاريخ الأفكار، وبذلك فهو لم يكن يحصر نفسه في فرع واحد من فروع علم الاجتماع؛ إذ تميزت نظرته للظاهرة الاجتماعية بأصالة الإدراك المجتمعي والوعي بمشكلات الفرد وظروفه، وكان من المحتمل أن يظل مجال النظرية الاجتماعية مفتقرًا لكثير من الأبعاد ما لم تكن جهوده التي شارك بها في إثراء هذا المجال، لدرجة أن كتابه الذي قدمه في النظرية الاجتماعية يعتبر من وجهة نظر الكثيرين من أحسن الكتب التي تصدر في المجال رغم تشعباته المتعددة وبخاصة وهو يسعى للتعرف على أصولها الفلسفية والحيوية والتاريخية والسيكولوجية .

وقد ولد تيماشيف وتفتح وعيه وإدراكه في فترة حاسمة لحقت بطائفة العلماء الكبار الذين ولدوا في الخمسينات والستينات من القرن التاسع عشر. وبذا أصبح في موقف وسط كان له تأثيره البالغ فيمن جاءوا بعده ممن ولدوا في السبعينات والثمانينات من القرن من أمثال ليفي برول وأوبيرت وجورج جيرفيتش وغيرهم ممن صارت لهم شهرتهم ورؤاهم النافذة .

ونزولاً على هذا فإنه يصعب الحديث عن تيماشيف وهو يسعى للتعرف على مكونات النظام الاجتماعي وعلى علاقات القوة ومكانة الإنسان والحرية الإنسانية ما لم تؤخذ في الاعتبار مجموعة المتناقضات التي عصفت بإرادة البشر وكشفت عن ذاتها في واقعة الحرب العالمية الأولى. وفي إطار هذه الوضعية الشاملة لا يمكن أن نفصل بين الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي عاشته أوربا وبين انعكاسات هذا الواقع على كل مناحي وجوده وتفكيره. ولذا مثلت مقولات «العقل» و«القانون» و«النظام» المقولات الأساسية في فكره خاصة إذا ما أخذت هذه المقولات بمعناها ومضمونها الواسع على أرضية الواقع السياسي الاجتماعي.

وقد كان لهذه المقولات أثرها في بلورة موقفه من علم الاجتماع وفروعه المختلفة، ومن النظرية الاجتماعية وقضاياها وأبعادها العديدة. وهو ما يظهر في تأريخه لظهور علم الاجتماع. ذلك أن له وجهة نظر خاصة في فلسفة أوجيست كونت Comte عبَّر هو عنها بقوله: «إن كونت قد حاول أن يصطنع منهجًا وضعيًا يؤسس به الجوانب الإمبريقية لهذا العلم الوليد. كما حاول أن يؤكد على الجوانب النظرية التي يبدو أنها لا تتفق مع الأسس الميثودولوجية لعلم الاجتماع كما رآهما».

ولعله من هذه الكلمات تظهر معارضته للميتافيزيقا التقليدية والصلات التي تربط المنطق بالميتافيزيقا . أن المشكلة في رأيه لا تقوم في التفرقة بين العلم ومنهجه، فمثلما أن المنهج الوضعي واحد في جوهره، كذلك العلم هو واحد في ذاته، وكلاهما ينتهي إلى فكرة القوانين التي تخضع لها الوقائع والظاهرات، إنما المشكلة هي في مدى ملاءمة المنهج لوقائع وظاهرات بذاتها. مما يتعين معه أن يكون لها - نزولاً على نوعية هذه الظاهرات وطبيعتها - منهجيتها ومفاهيمها الخاصة بها التي تتفق وهذه النوعية.

ولا ينفصل تصوره للظاهرة القانونية ولعلم الاجتماع القانوني عن هذا التصور العام لعلم الاجتماع فهو يرى أن علم الاجتماع القانوني هو علم صياغة

القوانين، وأنه يسعى إلى الكشف عن القوانين التي تعتبر ضمن أدوات التنسيق والتوافق الاجتماعيين، وهو بذلك يعكس نظرية في التغير الاجتماعي وفي التنظيم الاجتماعي، بل الكيفية التي تتسق بها التغيرات الاجتماعية المختلفة والمظاهر السلوكية المختلفة بما يحقق الاستقرار والنظام الاجتماعيين. وقد عبر عن ذلك بشكل واضح في محاضرات له ألقاها في معهد بتروجراد في روسيا عن فقه القانون الاجتماعي فيما بين عامي ١٩١٦ و ١٩٢٠، ولكن عاد فجمعها ونشرها في كتابه «مقدمة في علم الاجتماعي القانوني» الذي صدر عام ١٩٣٩ .

• قراءات مقترحة •

- Works: Sociological Theory: Its Nature and Growth, 1955 .

---------: What is Sociology of Law? In the American Journal of Sociology. 1973 .

---------: An Introduction to the Sociology of Law. 1939 .

---------: Comte in Retrospect . Soc. Rev., Vol. 13. 1952 .

---------: Thought. 1946 .



٨٠- تونيز، فرديناند (١٨٥٥-١٩٣٦) TONNIES, Ferdinand

من أقطاب الاتجاهات التحليلية في علم الاجتماع على الرغم من نزعته ومبدئه السيكولوجي. واشتهر بأنه صاحب المفهوم الشهير عن الجماعة المحلية Gemeinschaft والمجتمع Geselschaft، والتقابل الرئيسي الذي أقامه بينهما والذي نشره في كتابه الذي صدر بالألمانية عام ١٨٨٧ باسم الجمينشافت والجيزيلشافت Gmeinschaft und Geselschaft والذي ترجمه إلى الإنجليزية عالم الاجتماع تشارلس لوميز Loomis بعنوان Community and Association .

ولد فرديناند تونيز عام ١٨٥٥ في بلدة هوسوم Husum في شلزويج -Schles wig هولشتاين Holstein التي تعيد إلى الأذهان النزاع الخاص بمسألة شلزويج هولشتاين وسط أسرة اشتهرت بتدينها من اللوثريين وشب عن الطوق في تلك المناطق التي شهدت مولده وطفولته المبكرة مما كان له تأثيره في تعميق إحساسه بموطنه وتعلقه به . ومع أنه التحق بجامعة ستراسبورج فقد التحق أيضًا بجامعات يينا Jena وبون Bonn ولايبتزج Leipzig وتوبنجن Tubingen، وحصل على الدكتوراة عام ١٨٧٧ في الفيلولوجيا الكلاسيكية، ثم أخذته اهتماماته المنوعة إلي جامعة برلين ثم جامعة لندن حيث برز شغفه واهتمامه بفلسفة توماس هوبز الأمر الذي ظل يلح عليه حتى بعدما اضطلع بأعباء التدريس في جامعة كييل Kiel .

وبالرغم من الاعتقاد بأنه كان محافظًا إلا أنه كان مشاركًا نشطًا في الحياة الأكاديمية والعامة في ألمانيا، ففي خطوات لم تكن تعوزها التبصر والثبات كان رئيسًا للجمعية الألمانية لعلم الاجتماع (١٩٠٩-١٩٣٠) وهي جمعية قام هو بتأسيسها بالتعاون مع جورج زيميل Simmel (١٨٥٧-١٩١٨)، وفرنر زومبارت Sombart وماكس فيبر Weber (١٨٦٤-١٩٢٠). كما اشترك في تنظيم جمعية هوبز Hobbes (١٥٨٨-١٦٣٩)، وجمعية سبينوزا Spinoza (١٦٣٢-١٦٧٧)، وذلك بالإضافة إلى مشاركته في الحركات الاشتراكية والنقابات العمالية، بل وإنشائه عدد من التعاونيات جنبًا إلى جنب مشايعته لحركات التحرر والاستقلال على ما

يظهر في موقفه حيال هاتين الحركتين في أيرلندا وفنلندا ثم في انضمامه بعد الحرب العالمية الأولى إلى الحزب الديمقراطي الاجتماعي، وفي مناهضته للنازية والتنديد بالحركات المعادية للسامية مما كان سببًا لإبعاده وإقصائه على أيدي هتلر Hitler من منصبه كأستاذ متفرغ بالجامعة عام ١٩٣٣ وحتى توفي وهو في الحادية والثمانين عام ١٩٣٦ .

ولقد أقام تونيز نظريته الشهيرة عن الجماعة المحلية والمجتمع في ضوء تفرقته بين هذين المفهومين التي قادته إلى دراسة العلاقات الاجتماعية أو ما أطلق عليه «الكيانات الاجتماعية» Sociale Wesenheitpn على أسس سيكولوجية. وبصرف النظر عن موقفه الخاص فيما يتعلق باعتقاده أن المدخل السيكولوجي هو ما يمثل أفضل المداخل لدراسة الحياة الاجتماعية، فإن الشيء الهام هو أنه في ضوء هذا الموقف قد مثلت نظرية الإرادة الركيزة الأساسية التي انبنى عليها كل تفكيره الاجتماعي، وذلك على اعتبار أن الفعل الاجتماعي والعلاقات الاجتماعية تصدر بالضرورة عن الإرادة التي تنبعث عنها كل الأفعال والعلاقات. ومن هنا كان ربطه كل نمط من نمطي الحياة الاجتماعية بنوع من الإرادة حيث يرتبط النوع الأول بالإرادة العضوية أو الإرادة الطبيعية Wessen Wille التي تقوم على أساس المحبة أو الميل أو العادة أو الذاكرة، بينما يرتبط نمط الحياة الاجتماعية الثاني بالإرادة الواعية والمدركة Kurwille، وهما مصطلحان كثيرًا ما يستعاض عنهما بمصطلحي الإرادة الإنسانية أو إرادة الحياة، والإرادة العقلانية أو الرشيدة للتمييز في ضوئهما بين الإنسان باعتباره عضوًا في جماعة والإنسان باعتباره عضوًا في المجتمع .

وعلى هذا النحو يمكن القول بأن نظرية تونيز فتحت المجال واسعًا أمام الدراسات الأكثر حداثة التي تدور بوجه عام حول ما يحدث من انفصال عالم الفرد عن عالم المجتمع المحلي، حين يصل المجتمع إلى درجة من التنظيم والتعقيد وتقسيم العمل، فهو يبين أن كلا من النمطين اللذين يمثلان في آخر الأمر المجتمع

التقليدي والمجتمع الحديث يرتكز على مبادئ خاصة به وتظهر فيه نظم اجتماعية معينة لها ملامح وخصائص معينة وذلك على الرغم من التسليم المبدئي بتشابه الحاجات البشرية.

إن ما لاشك فيه هو أن تونيز قد تأثر كثيرًا بكتابات بعض العلماء الأنثروبولوجيين في القرن التاسع عشر وبخاصة كتابات السير هنري مين Maine (١٨٢٤- ١٨٨٨) الذي فرق بين المجتمعات التي تقوم على أساس المكانة Status وتلك التي تقوم على أساس التعاقد أو العقد Contract . ولكن المهم هو أن نظرية تونيز قد مهدت الطريق لظهور كثير من النظريات عند غيره من المفكرين كما نجد بالنسبة إلى نظرية التضامن الاجتماعي Solidarite Social التي فرق فيها إميل دوركايم Durkhiem (١٨٥٨-١٩١٧) بين التضامن الآلي Solidarité Méch- anique والتضامن العضوي Solidarité Organique وهي النظرية التي تضمنها كتابه تقسيم العمل الاجتماعي، وعلى الرغم أيضًا من أن دوركايم كان قد هاجم بعنف كتاب تونيز في المجلة الفلسفية Revue Philosophiques عام ١٨٨٩ أي قبل أن يصدر هو نفسه كتابه بأربعة أعوام .

• قراءات مقترحة •

- Works: Commnnity and Society. (Gemeinschaft and Gesellschaft) 1877.

--------: Thomas Hobbes's Life and Teaching. 1896 .

--------: Marx: Life and Teaching. 1920.

--------: Leif; La Sociologie de Tönnies. P.U.P. Paris. 1946.

--------: Abraham, J. H., Origins and Growth of Sociology. 1963.

- Victor, Leemans, Tonnies et La Sociologie Contemporaine en Allemagne: Paris. 1933 .

- Stuart Hughes; Consciousness and Society. 1979 .



٨١- تولمان، ستيفن (١٩٢٢-) TOULMIN, Stephen

فيلسوف بريطاني وعالم تربية ولد في لندن عام ١٩٢٢، واشتهر بدراساته في تاريخ الأفكار واهتمامه بوصف اللغات الوصفية Descriptive التي يقصد بها أحكام القيمة والحيل التقريرية التي عادة ما تستخدم في القضايا الأخلاقية. وذلك في الوقت الذي كان يؤكد أن الأخلاق أو الدراسة المنطقية للغة الأخلاق لا يمكن أن تختزل إلى مستوى الحقائق الذاتية أو الموضوعية لأنها تعبير فريد عن الواجب أو الحق.

ولقد تعلم تولمان في جامعة كامبريدج التي نال منها درجة الدكتوراة في الفلسفة عام ١٩٤٨، وقام بالتدريس في العديد من الجامعات وبخاصة جامعة اكسفورد قبلما يصبح أستاذًا ورئيسًا لقسم الفلسفة في جامعة ليدز (١٩٥٥-١٩٥٩) ثم مديرًا لمؤسسة نافيلد Naffield (١٩٦٠-١٩٦٥)، ثم غادر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وقام بالتدريس في جامعة برانديز (١٩٦٥-١٩٦٩) وجامعة ولاية ميتشجان (١٩٦٩-١٩٧٢)، وجامعة كاليفورنيا وسانتا كروز (١٩٧٢-١٩٧٣) ثم أصبح أستاذًا للفكر الاجتماعي والفلسفة في جامعة شيكاغو من عام ١٩٧٣ .

والحقيقة أن كتاباته المنوعة تعكس اهتماماته الواسعة في مجالات الفكر والتربية، وهو ما يمكن ملاحظته من مجرد الوقوف على العناوين الرئيسية والفرعية لمؤلفاته، ففي عام ١٩٥٠ قدم كتابه المعنون «فحص مكان العقل في الأخلاق» Examination to the Place of Reason in Ethics وذلك بالاشتراك مع جين جودفيلد Goodfield. وبالرغم من أنه نشر العديد من المؤلفات خلال العشرين سنة اللاحقة فقد كان نشره لكتابه «الفهم الإنساني» Human Understanding عام ١٩٧٢، علامة فارقة على تطوره الفكري، وهذا ما تأكد بعد نشره كتاب «التعرف والفعل» Knowing and Action في عام ١٩٧٦ ومن بعده بعامين اثنين صدر كتابه «مقدمة للفهم An Introduction To Reasoning في عام ١٩٧٨

وهو كتاب بالاشتراك مع ريتشارد ريك Ricke، وآلان جانيك Janick، ثم كتابه «عودة الكوزمولوجي» The Raturn of Cosmology في عام ١٩٨٢ الذي نجح في إثارة العديد من المناقشات الطويلة فيما بين العلماء ومحافل المناطقة والأخلاقيين.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Architecture of Matter . 1962 .

--------: The Discovery of Time. 1965 .

-------: The Philosophy of Science. 1953 .



٨٢- تورين، آلان TOURAINE, Alain

أحد رواد المدرسة السوسيولوجية الفرنسية الجديدة التي تأسست في خمسينات القرن الماضي بزعامة جورج جيرفيتش Gurvitich وعضوية نفر من كبار الأساتذة والمفكرين الذين سعوا إلى إعادة بناء العلم الاجتماعي نظريًا ومنهجيًا ليكون بفروعه المختلفة أكثر قدرة على تحقيق رسالته العلمية كامتداد لجهود مدرسة المجلة السنوية لعلم الاجتماع L'Année Sociologique التي أنشأها دوركايم لتحقيق الغاية ذاتها ودراسة الظواهر الإنسانية المختلفة دراسة موضوعية لفهم الإنسان والمجتمع فهمًا يجمع بين الدقة والعمق والشمول.

ولأجل تحقيق هذه الغاية استمرت المدرسة السوسيولوجية الفرنسية الجديدة في عطائها خلال الستينات ثم السبعينات من الغرب، حيث مثل تورين أحد رواد الجهود التي جمعت بين الدراسة النظرية التحليلية والبحوث التطبيقية التي عكست آثارها في مختلف فروع علم الاجتماع، وبخاصة على ظاهرة التنمية، وساهمت في إثراء هذا الفرع السوسيولوجي من خلال تنمية وتطوير ما أصبح معروفًا بعلم اجتماع التنمية، وفتحت بذلك الطريق أمام مختلف الجهود والإسهامات العملية التي انطلقت في العديد من بلدان العالم.

ولقد ارتبط آلان تورين منذ البداية بموقف خاص ونظرة خاصة ظل ينادي ويبشر بهما على مدى أكثر من ثلاثة عقود كاملة فكان يقول بحتمية أن تكون قضية التنمية قضية سوسيولوجية بالدرجة الأولى. ونزولاً على هذه النظرة فإنها تصبح -في رأيه-أداة من أدوات النسق الاجتماعي الكلي، أي تحقيق رسالته في التقدم مهما كانت نوعية عناصره اقتصادية أم اجتماعية أم سياسية...إلخ.

والواضح أن هذه النظرة تعكس رؤية بنائية وظيفية ظلت تقود أعمال الباحثين الذين استهدفوا تجاوز حالات التخلف من خلال نظرة عملية ومنهجية تعتمد على التحليل السوسيولوجي للواقع الاجتماعي كما هو في سياقه التاريخي والاقتصادي والسياسي والاجتماعي والثقافي على ما أصبحت تعكسه جهود

باحثين من بينهم كلودليفي ستروس وبتلها يم وريمون آرون وغيرهم كثير في الوقت الذي ظل اسم آلان تورين ومعه ميشيل كروزييه Crozier ألمع الأسماء في علم السكان والاجتماع الصناعي وما يرتبط بمجالهما من مشكلات وأزمات .

• قراءات مقترحة •

- Works: La Conscience Ouvriere . 1966 .

----------: The Post Industrial Society . N. Y . 1971 .



٨٣- توينبي، آرنولد (١٨٨٩-١٩٧٥) TOYNBEE Arnold

يقف في مقدمة أعاظم المؤرخين الذين حظيت بهم أوربا في القرنين الماضيين، ويضعه البعض في سلة واحدة مع المؤرخ الفرنسي جول ميشليه Michelet (١٧٩٨- ١٨٧٩) الذي كتب بروحه الشاعرية تاريخه المطول لفرنسا في ١٧ مجلداً. ذلك هو المؤرخ البريطاني آرنولد جوزيف توينبي صاحب كتاب «دراسة التاريخ» Study of History الذي ارتبط به اسمه، وصدر في ١٢ جزء ما بين ١٩٣٤ أو ١٩٦١ بعدما كان قد بدأه في عام ١٩٢٢ وقدم فيه دراسة تاريخية اجتماعية متعمقة لإحدى وعشرين حضارة على أساس من تحليل دورات التطور التاريخي وازدهار الحضارات وانهيارها. وقد نجح الكتاب في إثارة جدل طويل خاصة وهو يعرض لمناقشة آراء بعض كبار العلماء والمؤرخين من أمثال كارل ماركس وماكس فيبر وشبنجلر على وجه الخصوص .

ولد توينبي في لندن عام ١٨٨٩، وتلقى تعليمه في باليول كوليج Balliol College في اكسفورد (١٩١١) حيث درس الكلاسيكيات، كما درس لبعض الوقت في المدرسة البريطانية في أثينا وهي تجربة أيقظت حاسته الفلسفية عن تدهور الحضارات. وفي عام ١٩١٢ أصبح محاضرًا ممتازًا وزميلاً لتدريس التاريخ القديم في باليول كوليج ثم عين بعد الحرب العالمية الأولى أستاذاً للدراسات البيزنطية واليونانية الحديثة في جامعة لندن (٢٢/٢١)، وأصبح في عام ١٩٤٥ أستاذًا للتاريخ الدولي في مدرسة لندن للاقتصاد، ومديرًا للدراسات التاريخية في المعهد الملكي للسياسة الخارجية والشئون الدولية. وكلها مناصب أبرزت معرفته الواسعة بتاريخ العالم ودرايته الفائقة بالمسائل التاريخية التي قد تبدو من وجهة نظر كثير من المتخصصين غير قابلة للطعن والانتقاد رغم أنها كثيرًا ما تفتقد إلى الضبط على النحو الذي قد نجده عند فيبر على سبيل المثال.

وتكشف النظرة الموضوعية عن حقيقة أن توينبي كان بدوره عرضة لمثل هذا الانتقاد، فبالرغم من أنه لم يحدد بدقة المقصود بمفهوم الحضارة إلا أنه سعى إلى

التعرف على أسباب ازدهارها وأفولها وإلى التعرف على التغيرات والتحولات التي تمر بها وما إذا كان هناك قانون عام يصدق بالنسبة إلى الحضارات الإنسانية ككل، وأضاف بذلك إلى الحوار الدائم بين عصره والعصور السابقة مما يؤكد فهمه الخاص للتاريخ على أنه لا يدرس لذاته، وإنما لأجل الحاضر والمستقبل.

وفيما يتعلق بهذه النواحي تظهر بعض الأمور الفارقة بينه وبين غيره من كبار المؤرخين وفلاسفة التاريخ. صحيح أن توينبي يمتلك دراية لا حد لها بالمسائل التاريخية، ولكن الصحيح أيضًا هو أن فيبر ربما كان آخر الكبار الذين يمتلكون مثل هذه الدراية بتاريخ العلم، وهو في هذا لا يختلف عن توينبي نفسه، ولكن لوذعيته (أي فيبر) تكمن في أن توينبي – للحق – يفتقر كثيرًا إلى الدقة والضبط اللذين يميزان عمل فيبر، وهذه ناحية كثيرًا ما لجأ إليها البعض في انتقادهم لأعمال توينبي.

ومن الناحية الثانية لابد من القول بأن توينبي كان يذهب على العكس من ماركس إلى فهم خاص للحضارة وللتاريخ؛ إذ كان يرى أن التاريخ يتم تشكيله ليس بالقوى المادية وحدها كما ذهب ماركس، ولكن بفعل العوامل الروحية والتعليمية، ومن ثم فهو لا يرى أن هناك حتمية تؤكد بطريقة مقدمة أن مسار الحضارة هو أمر محتوم، ولكنها تمثل المرحلة الأخيرة لتطور الثقافة وبذلك يقيم نوعًا من التمييز بين مفهوم الحضارة ومفهوم الثقافة ولا يستخدمهم بالتبادل كما يفعل الكثيرون .

لقد اعتمد توينبي في تفسيره لعملية أصل الحضارة وتطورها ونموها على مبدأ أساس هو مبدأ التحدي والاستجابة، سواء أكان التحدي طبيعيًا، أو من آخرين. وبالرغم من وجاهة هذا المبدأ وأصالته فربما كان الأهم منه هو أن صمود ونمو حضارة من الحضارات إنما يتوقفان على طبيعة التحدي الذي تلقاه ونوعيه الاستجابة لهذا التحدي وفاعليتها .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Western Question in Greece and Turkey. 1922 .

واقرأ أيضًا:

Collingwood, Robin, The Idea of History. 1946 .

٨٤- تيرنر، رالف إدموند (١٨٩٣ - ١٩٦٤) TURNER, Ralph Edmund

من أبرز المؤرخين الأمريكيين الذين أرخوا لتاريخ الثقافة. ولد عام ١٨٩٣، وفي الفترة من ١٩٤٤ إلى ١٩٦١ عمل أستاذًا بجامعة ييل Yale، كما لعب دورًا كبيرًا بوصفه أحد المخططين والتنفيذيين بمنظمة الثقافة (اليونسكو) حيث اعتمد سواء في عمله بالأمم المتحدة أو بحوثه ودراساته على مناهج الأنثروبولوجيا الثقافية.

وتعتبر فترة الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي من أخصب الفترات التي عاشها فقد كان مؤرخًا اقتصاديًا وأمينًا عامًا لمكتب البحث الاجتماعي (١٩٣٦ / ١٩٤١) كما عمل خلال الحرب العالمية الثانية كمحلل اقتصادي بوزارة الخارجية الأمريكية. ومنذ أواسط الخمسينات ترأس فريق كبير لأحد المشروعات الكبيرة عن تاريخ الجنس البشري وقد تضمن ٦ مجلدات ضخمة أشرف بنفسه على إصدار العدد الأول منها عام ١٩٦٣ أي قبل وفاته بعام واحد إذ توفي في ١٩٦٤ وعمره ٧١ عامًا .

● قراءات مقترحة ●

- Works: America in Civiization. 1925 .

---------: The Great Cultural Tradition (2Vols.) 1941 .



٨٥- تيرنر، فيكتور ويتر (١٩٢٠-) TURNER, Victor Witter

أنثروبولوجي ولد عام ١٩٢٠ في إسكتلاندا، وحصل على درجة الليسانس من كلية الجامعة في لندن وعلى درجة الدكتوراه من جامعة مانشستر .

عمل باحثًا في معهد رودس لفنجستون Rhodes - Livingstone في روديسيا الشمالية عام ١٩٥٠ ثم في عام ١٩٥٥ أصبح أستاذ الأنثروبولوجيا المساعد في جامعة مانشستر ثم محاضرًا في عام ١٩٥٦، ومحاضرًا أول (ممتاز) في ١٩٥٨، وبعد ذلك التحق بمركز الدراسات المتقدمة (الراقية) في العلوم السلوكية عام ١٩٦٠، وأصبح أستاذًا للأنثروبولوجيا الاجتماعية عام ١٩٦٣ بجامعة كورنيل Cor-nell في نيويورك .

اهتم في هذه الرحلة اهتمامًا خاصًا بدراسة الأنساق الدينية والديموجرافية التي ركز على ما يعمل فيها من طقوس وشعائر، وفعاليات السحر والعرافة والتنجيم وبخاصة في المجتمعات القبلية والممالك البسيطة في أفريقيا. وقام بالعديد من الدراسات والبحوث التي ظهرت نتائجها في العديد من الكتب والدوريات العلمية المتخصصة .

• قراءات مقترحة •

- Works: Schism and Continuity in an African Society 1957 .

---------: Ndembu Divination: Its Symbolism and Techniques 1961 .

---------: Chihamba the white Spirit. 1962 .

---------: Lunda Medicine and the Treatment of Disease. 1963 .

---------: Essays on the Ritual of Social Relations. 1962 .

---------: Dramas, Fields and Metaphors: Symbolic Action in Human Society. 1974 .

--------: Revelation and Divination in Ndembu Ritual. 1975 .

كما أن له إحدى المقالات الممتعة بعنوان:

Colour Classification in Ndembu Rited : A Problem in Primitive Classification.

وهي ضمن كتاب حرره كليفور جيرتز عام ١٩٦٦ إحياء لذكرى الأستاذ رادكليف براون. تحت عنوان : Anthropological Approaches to the Study of Religion وقد أعيدت طباعة هذا الكتاب ثلاث مرات كان آخرها عام ١٩٦٩ .



٨٦- تايلور، إدوارد بيرنت (١٨٣٢-١٩١٧)
TYLOR, Sir Edward Burnett

اشتهر بأنه أبو الأنثروبولوجيا البريطانية ومؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية في هذه المنطقة من العالم.

ولد في عام ١٨٣٢، وكان كتابه «الثقافة البدائية» Primitive Culture (١٨٧١) الذي يعتبر أهم كتبه متأثرًا بشكل كبير بنظرية تشارلس دارون في التطور البيولوجي الأمر الذي ساعده على تطوير نظريته الخاصة في الروابط التطورية التي تربط بين الثقافات البدائية والمعاصرة .

اضطر بسبب ظروفه الصحية إلى السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث التقى بعالم آثار ما قبل التاريخ الأستاذ هنري كريستي الذي صحبه إلى المكسيك، وكانت تلك الزيارة سببًا في تحول تايلور إلى الأنثروبولوجيا بصفة نهائية. وقد قام بنشر نتائج هذه الزيارة في كتاب الأنهواك أو «المكسيك والمكسيكيون» الذي نشر عام ١٨٦١ . ثم نشر بعد ذلك في عام ١٨٦٥ كتابه الهام الثاني وهو «أبحاث في التاريخ القديم للجنس البشري» الذي اعتمد فيه بصفة أساسية على دراسة اللغة والأساطير والعادات والتقاليد والمعتقدات .

وفي عام ١٨٧١ ظهر أهم كتبه التي أشرنا إليها وهو «الثقافة البدائية»، ومن بعده كتاب «الأنثروبولوجيا: مقدمة لدراسة الإنسان والحضارة» في عام ١٨٨١ أي بعد الثقافة البدائية بعشرة أعوام كاملة.

ولكن المعروف أن تايلور لم يقم بدراسات ميدانية، ولذا فقد كان يعتمد في كتاباته على المعلومات النظرية التي كانت توفرها له تقارير وكتابات الرحالة والمبشرين مما جعلها عرضة لغير قليل من الانتقاد من ناحية، واضطراره للاعتماد على المقارنات للتحقق من صدق الوقائع من ناحية ثانية.

وعمومًا قد اتصفت كتاباته بالاتساع وبالشمول حيث كان يؤكد على ضرورة أن تدرس الثقافة ليس فقط من حيث مظاهرها الروحية أو إنجازاتها المادية

والفنية التي عكستها الصناعات، ولكن دراسة كلية شاملة تحيط بمختلف مناحي الحياة والتفاعلات الإنسانية ذاتها .

• قراءات مقترحة •

- Works: Rcsearches into thc Early History of Mankind and the Development of Civitization (1865) .

---------: Anthropology, an Introduction to the Study of Man and Civilization. 1881 .

---------: Primitive Culture, 1871 .

---------: On A Method of Investigating the Development of Institution. In Alan Dundes (ed.) Everyman Hisway. Printice-Hall, Englewood Cliffs. New Jersey 1968.

واقرأ أيضًا:

- Marrett, R. R., Tylor. 1936 .



-V-

٨٧- فيوجلين، إيريك (١٩٠١-١٩٨٥) VOEGELIN, ERIC

عالم سياسة أمريكي من أصل ألماني، اشتهر بدراساته في فلسفة التاريخ وعن الفكر السياسي الحديث حيث ناقش الأسباب الداعية لتطوير ما اعتبره فلسفة سياسية تتحدث عن الإنسان والتاريخ والمجتمع. وأبرز من خلال هذه المقولات ليس مجرد أهميتها لحفظ النظم السياسية واستقرارها، ولكن الأهم منه أن مثل هذه الدراسة تساعد على معالجة رموز اللغة وفهم طبيعة الحضارات في العصور القديمة والحديثة، ومن ثم كان تركيزه تركيزًا هائلاً على تفسير رموز الحكم وأفكار وأساطير المجتمع السياسي التي نظر إليها على أنها أساس نجاح النظرية السياسية.

وقد ولد فيوجلين عام ١٩٠١ في ألمانيا (تولوز) ونال درجة الدكتوراة في جامعة فيينا عام ١٩٢٢ حيث درس القانون لمدة ١٠ سنوات تقريبًا (١٩٢٩-١٩٣٨). ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية هرب إلى سويسرا بعد غزو النازية الألمانية للنمسا، ومن ثم إلى الولايات المتحدة الأمريكية حيث درس في هارفارد وكلية بنتجتون وفي جامعة الاباما وجامعة لويزيانا. كما قام بتدريس العلوم السياسية في جامعة ميونيخ في الفترة من ١٩٥٨-١٩٦٩ عاد بعدها إلى أمريكا كزميل في معهد هوبز وكباحث أول في شئون الحرب والسلام والثورة حيث استقر بجامعة ستانفور حتى وفاته في عام ١٩٨٥ .

● قراءات مقترحة ●

- Works: The New Science of Politics. 1952 .

---------: Order and History. (4 Vols. 1964 - 1974).

---------: From Enlightenment to Revolution. 1975 .



-W-

٨٨- فاخ، يواكيم (١٨٩٨ - ١٩٥٥) WACH, JOACHIM

عـالم لاهوتي بروتستـانتي من أشـهـر علمـاء تاريخ الأديان المقـارن وأبعـدهم صيتًا بسبب إضافاته الكثيرة إلى ما أصبح معروفًا باسم علم الاجتماع الديني Sociolgy of Religion وإدخاله منهج التحليل الفينومينولوجي في تحليل العقيدة والممارسات والمعتقدات الدينية في الولايات المتحدة الأمريكية .

ولد في شـيـمنتـز Chemnitz بألمانيـا عـام ١٨٩٨، وبعد حصوله على درجة الدكتوراة شـغل عـددًا من المراكز والمناصب العلمية الهامة فكان أستـاذًا لتاريخ الأديان في جامعتي ليبتزج وشيكاغو في الفترة من ١٩٢٩ إلى ١٩٣٥ . ثم استقر في جامعة شيكاغو من عام ١٩٤٥ حتى وافته المنية، بينما هو في سويسرا عام ١٩٥٥ وفي أثناء هذه الفترة (١٩٤٥-١٩٥٥) أسس علم الأديان في هذه الجامعة، كما يعتبر المؤسس الفعلي لمدرسة شيكاغو التي أخذت على عاتقها تقويم هذا العلم والتعريف به، وقد صار لها شهرة مدوية؛ إذ تخرج فيها نفر من كبار علماء الأديان ممن ساروا في نفس اتجاهه وربما في مقدمة هؤلاء ميرسو إلياد Eliade الذي اكتسب بدوره شهرة عالمية.

كان يرى أن علم الأديان يعتبر مدخلاً فينومينولوجيًا سيكولوجيًا مقارنًا لدراسة الدين، حيث يشتمل على الأفكار والجوانب النظرية والعملية السلوكية المنظمة للدين والعقيدة .

وبالنظر إلى اهتمامه بهذه النواحي فقد شغف بدراسة التجربة الدينية بما تنطوي عليه من أشكال غامضة وتجليات صوفية تتكشف في الاحتفالات والشعائر والتقاليد والطقوس، كما شغف أيضًا بمعالجة المسائل التي ينطوي عليها علم الاجتماع الديني، وخاصة وهو يحاول الكشف عن الكيفية التي تتدخل بها القيم والتصورات والمفاهيم وحتى الرموز الدينية في تشكيل النظم التي تتضمنها وتعبر عنها. ولذلك فقد اهتم اهتمامًا خاصًا بمناقشة طبيعة العلاقة بين الكنيسة

والدولة، وكيفية تطور كل منهما حتى أمكنهما الوصول إلى ما تحقق لهما من قوة وسطوة ونفوذ وامتلاك حتى مشاعر الجماهير وعقولهم. وكلها نواح أفاض في الحديث عنها خاصة في كتابه الذي صدر بالإنجليزية تحت عنوان «علم الاجتماع الديني» عام ١٩٤٧ ومازال يعتبر من بين أهم المراجع التي لا غنى عنها.

• قراءات مقترحة •

- Works: Sociology of Religion. 1947 .

------: Types of Religious Experience: Christion and Non- Christican. 1951.

--------The Comparative Study of Religion. 1958 .

واقرأ أيضًا:

Yinger. J. M., Religion, Society and Individual. 1957 .

Robertson, R., The Sociological Interpretation of Religion. 1982.



٨٩-ولاس، جريهام WALLAS, Graham

عالم اجتماع وسياسة واقتصاد بريطاني، اشتهر بكونه أحد الأربعة الفابيين الكبار الذين حددوا عن طريق الجمعية الفابية Fabian Society مسار الفكر الاشتراكي الذي اتخذه الفكر الاجتماعي والسياسي الإنجليزي وظهر واضحًا فيما اتبعه حزب العمال البريطاني من برامج وسياسات. أضف إليه أنه ظهر لديه اتجاه لشرح الظاهرة الاجتماعية والسياسية في ضوء من علم النفس، الأمر الذي يعتبر حديثًا إلى حد كبير، علاوة على أنه يعتبر من الفلاسفة المتعددي الجوانب، فقد كتب في الاجتماع مثلما كتب في السياسة وعلم النفس والاقتصاد، مستخدمًا المنهج التاريخي ومنهج المقارنة والتحليل الأمر الذي مكنه من الغوص في أعماق التحولات الاجتماعية والسياسية وخاصة ذلك التحول من مذهب التحرير الذي كان قد تزعمه جون ستيورات مل Mill إلى نوع من الاشتراكية التي ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالعلم والتقدم الصناعي والتطور التدريجي نحو اشتراكية الدولة عن طريق المدرسة الفابية.

ولقد ولد في بيئة ريفية في إقليم كورنوول جنوبي غرب إنجلترا وسط أسرة تحمل طابع البرجوازية الإنجليزية في عام ١٨٥٨ . وقد تشرب منذ صغره الشعور الديني الإنجيليكاني إذ كان أبوه أحد رجال هذه الكنيسة .

وفي سن صباه المتأخر نزح إلى لندن وكان لدراسته الجامعية في كلية كوربس كريستي Corpus Christi في اكسفورد عام ١٨٧٧ أكبر الأثر في حياته إذ التقى بالمؤثرات التي تدخلت في تشكيل حياته حيث التقى لأول مرة بجون راسكين (١٨١٩- ١٩٠٠) الذي كان يستلهم في أعماله تشارلز كينجزلي Kingsley (١٨١٩- ١٨٧٥) وغيره من المصلحين الاجتماعيين. ولكن المفكر الذي كان له أبلغ الأثر هو والتر باجت Bagehot سواء فيما يتعلق بالمنهج أو الأفكار الأساسية خاصة وأن باجت كان يساوره شك كبير في وظيفة الديمقراطية وطريقة عملها، وهو شك انتقل وتأثر به جراهام ولاس في مختلف مراحل حياته لدرجة أنه عبر

عن ذلك بقوله: «إن الديمقراطية التي ولدت الدساتير التي تعيش في ظلها معظم الأمم المتحضرة قد ألهمت بتصور عقلي نفسي للطبيعة البشرية يصير عامًا بعد عام أقل حقيقة وموضوعية بالنسبة إلينا»، أضف إلى ذلك التشابه في المنهج بين الاثنين، ذلك أنه نحا منذ البداية نحو معالجة المشاكل العامة متبعًا المنهج السيكوسوسيولوجي الذي ظهر بصورة مميزة في كتابات والتر باجت .

في عام ١٨٨٥ انضم إلى الجمعية الفابية وبانضمامه صار العضو الرابع الكبير إلى جانب سيدني ويب Webb، وسيدني أوليفيير Olivier، وجورج برناردشو Shaw، وكلهم عرفوا باسم الأربعة الكبار The Big Four الذين سعوا إلى خلق واقع اجتماعي وسياسي واقتصادي جديد لإنجلترا .

لقد كان ولاس تابعًا متحمسًا لجيرمي بنتام Bentham (١٧٤٨-١٨٣٢) مثلما كان سيدني وب Webb لجون سيتوارت مل Mill (١٨٠٦-١٨٧٢)، وسيدني أوليفيير لأوجيست كونت Comte وفي مارس ١٨٩٠ تم افتتاح مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية التي ارتبط اسمها بالفابيين مثلما ارتبط اسم جامعة لندن باسم بنثام والنفعيين في أوائل القرن التاسع عشر. ولا يعادل دورها إلا دور مجلة New Statesman التي كان وب قد أنشأها عام ١٩١٢، وكان هارولد لاسكي Laski (١٨٩٣-١٩٥٠)، وولاس نفسه على قمة كتابها، ولذا لا يبدو غريبًا أن خلف لاسكي في عام ١٩٢٠ جراهام ولاس في مكانه كأستاذ للعلوم السياسية في جامعة لندن.

إن النشاطات المتعددة لولاس بوصفه أحد العقول التي ساهمت في تحديد ملامح التطور الاجتماعي والسياسي للمجتمع الإنجليزي فتحت أمامه العديد من المجالات، فقد عمل معلمًا في عام ١٨٨٥، وألقى بنفسه في غمار الأحداث السياسية، فخاض خمسة انتخابات بلدية في مدينة لندن، كما انتخب رئيسًا لمجلس التعليم في عامي ١٨٩٤ و ١٨٩٨، واشترك في الهيئات العامة إلى جانب كونه محاضرًا في مدرسة لندن للاقتصاد والعلوم السياسية من ١٨٩٥، وأستاذًا بالجامعة حتى عام ١٩٢٠ .

لقد تميز بممازجيته بين مهنته كأستاذ جامعي وحياته العملية مزجًا قلما نجد مثله بين المفكرين. ولذا استطاع أن يخلف لنا العديد من الكتابات في السياسة والنظرية الاجتماعية. ويعتبر كتابه «الطبيعة البشرية في السياسة Human Nature in Politics (١٩٠٨) أول هذه الكتب وهو محاولة لإظهار خطأ أنصار المذهب العقلي أي افتراض أن الكائنات البشرية تتصرف في السياسة بناء على دوافع عقلية وأسس من التفكير المنطقي.

أما كتابه الثاني فقد نشره بعد ستة أعوام بعنوان «المجتمع العظيم» The Great Society، وفيه بدأ يوجه عناية خاصة إلى مشاكل التقدم الصناعي الحديث وهو يعتبر بمثابة تحليل سيكولوجي للتنظيم الاجتماعي العام الذي يظهر في الدولة الحديثة، ولذا سعى لاستشكاف إمكانيات تنظيم الفكر والإرادة وحاول أن يقدم اتساقًا بين الطبيعة البشرية والبيئة الاجتماعية. وفي هذا الاتجاه قدم كتابه الثالث الهام وهو «تراثنا الاجتماعي» Our Social Heritage الذي ظهر عام ١٩٢١ وهو عبارة عن تحليل واع لمختلف العوامل التي يجب أن يتضمنها أي برنامج للإصلاح الاجتماعي إلى جانب معالجته الأفكار والنظم والعادات في تفاعلها بالتركيب السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وعلى العموم فإن هذه الكتب الثلاثة تعتبر انعكاسًا طبيعيًا للظروف ذاتها التي أحاطت بالنظرية السياسية والاجتماعية إبان هذه الفترة.

بعد ذلك ظهرت باقي كتب ولاس ومقالاته ففي عام ١٩٢٢ نشر مقالاً صغيرًا بعنوان Foundation Oration: Jermy Bentham أتبعه بمقال آخر عن William Johnson Fox في عام ١٩٢٤، ثم ظهر له في عام ١٩٢٦ كتابه الرابع «فن الفكر» Art of Thought عالج فيه مشكلة المدى الذي يمكن للمعرفة المتراكمة التي يتيحها علم النفس الحديث أن تكون ذات فائدة في تحسين وتطوير العمليات الفكرية. ثم ظهر له بعد ذلك كتابه الخامس «رجال وأفكار Men and Ideas» كدراسة لبعض من كان لهم أثر في الفكر الاجتماعي والسياسي، ثم مقال بعنوان: «العلم الطبيعي والعلم الاجتماعي» الذي ظهر عام ١٩٣٠، وكان آخر أعماله التي نشرها وهو على قيد الحياة إذ ظهر كتابه السادس والأخير «الحكم الاجتماعي»

عن التطورات التي يمكن إدخالها في عملية الحكم في عام Social Judgment ١٩٣٤ بعد وفاته بعامين كاملين؛ إذ توفى عام ١٩٣٢ عن أربعة وسبعين عامًا. ولا تكاد توجد الآن شخصية مرموقة بين الجيل المعاصر من السياسيين أو علماء الاجتماع إلا ويدين بشيء قليل أو كثير لجراهام ولاس لأفكاره ومنهجه وللوجود الذي أعطاه مزيدًا من المعنى والحقيقة .

• قراءات مقترحة •

- Works: Human Nature in Politics - Third Edition. Constable & Co., Ltd. London. 1927 .

--------- : The Great Society: A Psychological Analysis. Macmillian & Co. Ltd. London 1914 .

--------: Our Social Heritage. George Allen & Unwin Ltt. London. 1921 .

--------: Social Judgment, George Allen & Unwin. 1934 .

---------: Men and Ideas. George Allen & Unwin. 1940 .

كذلك يمكن الرجوع إلى القراءات التالية:

- Alam, Adam; Philosophical Foundation of English Socialism, Oxford Univ. Press. 1951 .

- Mac Iver, R. E., Community: A Sociological Study, Macmillian and Co., 1924.

- Hobouse, L. T., Liberalism. London. Oxford Univ. Press. 1945 .

- Frementle, Anne: This Little Band of Prophets (The British Fabians) A Mentor Book. 1960 .



٩٠- والر، ويلارد (١٨٩٩-١٩٤٥) WALLER, Willard

من أشهر علماء الاجتماع والتربية في أمريكا، وأحد كبار المتخصصين في علم اجتماع المعرفة خاصة وهو يحاول المزاوجة بين المناهج الاجتماعية والأساليب التربوية والسيكولوجية في فهم وتفسير طبيعة المشكلات التي تتعرض لها الأسرة في المجتمع الصناعي الحديث.

ولد في مورفيسبورو Murphysboro بالولايات المتحدة الأمريكية في الثلاثين من شهر يوليو عام ١٨٩٩ . وقضى طفولته وسنوات شبابه الأولى في مدينة ريفية حيث كان أبوه يعمل بمهنة التدريس وتخرج في جامعة الينوى عام ١٩٢٠ ثم التحق بجامعة شيكاغو حيث درس علم الاجتماع الذي نال فيه درجة الماجستير عام ١٩٢٥، ولكنه أكمل تعليمه العالي في جامعة بنسلفانيا التي نال فيها درجة الدكتوراة عام ١٩٢٩ عن رسالته «الحب القديم الجديد» وهي دراسة إحصائية تحليلية لحالات الطلاق ومازالت تعتبر لليوم نموذجًا للدراسات المهتمة بالموضوع ولذا أعيدت طباعتها أكثر من مرة بعدما نشرت في عام ١٩٣٠ .

وقد يكون موضوع رسالته التي نال بها الدكتوراة مؤشرًا دالاً على نوعية الاهتمامات التي تجذبه ودليلاً أيضًا على طابع التفاؤل الذي يصبغ موقفه الفكري الذي تعكسه كتاباته المنوعة إذ ينطوى على قدر من الاعتراف بالقدرة على التجديد والتجدد حتى في أدق المشاعر التي تربط أفراد الأسرة الواحدة وهي مشاعر قادرة على الامتداد إلى خارج نطاقها ليس إلى الجوار القريب فقط، وإنما لتعم المجتمع كله والعالم بأسره .

وبالرغم من أنه لم يعمر طويلاً؛ إذ توفي عام ١٩٤٥ في نيويورك وهو في السادسة والأربعين من عمره فقد ظلت كتاباته تعكس المشاعر الدافئة ذاتها حتى وهو ينتقل من مكان لآخر في عمله الأكاديمي، فقد عمل في الفترة (١٩٢٩-١٩٣١) أستاذًا مساعدًا في جامعة تيراسكا حيث انشغل بجمع معظم المادة والمعلومات التي استخدمها في كتابة مؤلفه الكلاسيكي المعنون «علم اجتماع

التدريس» The Sociology of Teaching (١٩٣٢) ثم أصبح أستاذًا لعلم الاجتماع (١٩٣١- ١٩٣٧) في بنسلفانيا ومن (١٩٣٧-١٩٤٥) أستاذًا لعلم الاجتماع في جامعة كولومبيا التي ظل يعمل بها حتى اللحظات الأخيرة من عمره القصير الطويل.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Family: A Dynamic Interpration. 1938.

وهذا الكتاب عبارة عن دراسة مستفيضة في علم النفس الاجتماعي والتفاعل وأفاد فيه كثيرًا من قراءته لعلم النفس وعلم النفس الاجتماعي عند وليام ماكدوجال على وجه التحديد .

--------: War in the Twentieth Century . 1940 .

ويعتبر أولى محاولاته لتطبيق علم الاجتماع على مجتمع بأسره أكثر منه دراسة لأحد النظم الاجتماعية كالطلاق أو التعليم أو الأسرة فقط...إلخ.

--------: War and Family . 1940 .

--------: The Veteran Comes Back. 1944 .

أي أنه نشر قبل وفاته بعام واحد.



٩١- والرشتاين، إيمانويل WALLERSTEIN, Immanuel

عالم اجتماع واقتصاد أمريكي يعتبر من أبرز مفكري نظرية النسق العالمي World - System Theory التي سعت إلى تفسير نشأة النظام الرأسمالي والعالمي والعلاقات الداخلة في هذا النظام.

استند والرشتاين إلى افتراض أساس يقول: إنه لابد أن تتم دراسة النظام الرأسمالي العالمي بشكل كلي وعلى وجه الإجمال، وقصد بذلك أن دراسة التغير الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي في أي جزء من أجزاء هذا النظام لابد أن تبدأ من فهم الدور الذي يلعبه الجزء داخل النظام الكلي.

وبالرغم من أنه تأثر بكل من نظريتي التحديث Modernization Theory والتبعية Dependency Theory ودورهما في إصلاح المسار الاقتصادي وتحقيق معدلات عالية للتنمية في البلدان النامية على الخصوص إلا أنه يفترض في نظريته افتراضًا محوريًا يتمثل في كون النظام الرأسمالي العالمي يشكل نسقًا متكاملاً، الأمر الذي لا يبتعد كثيرًا عما يوجد في نظريات التحديث والتبعية.

والشيء الجديد الذي يطرحه والرشتاين أنه يطرح تقسيمًا جديدًا للعمل الاجتماعي يقوم على تقسيم النظام الرأسمالي العالمي إلى ثلاث مناطق تلعب كل منها أدوارًا مختلفة داخل النظام. فهناك مناطق القلب الذي يشكل مركز النظام ويهيمن على سائر المناطق الفقيرة الأخرى سواء في المحيط القريب أو الأطراف، وإن كانت كلها لا تعمل إلا لتأكيد الهيمنة الرأسمالية لصالح منطقة القلب التي تقوم باستغلال باقي المناطق لأجل تعزيز هيمنتها وسيطرتها. أما معنى هذا الكلام فهو الدعوة والتحريض الصريح على وجود دولة قوية مسيطرة، الأمر الذي اعتبره أمرًا حيويًا لاستمرار هذا النظام الذي يعمل جاهدًا لإجهاض أي محاولة للمساس به أو معارضته .

لقد سعى والرشتاين جاهدًا لإلباس نظريته ثوبًا جذابًا يتخفى في باطن الكلمات والمفاهيم التي تبدو اصطلاحية وعلمية. وبالرغم من تعدد المعاني التي

تبدو بها هذه النظرية فإنها في التحليل النهائي لا تعني سوى أمر واحد هو أن عمليات الإصلاح والتنمية التي تدعيها لهذه المناطق المحيطة لا يمكن تفسيرها بعيدًا عن فهم حركة هذا النظام الرأسمالي العالمي كاملة، فهو الذي فرض على هذه البلدان نمطًا معينًا للتنمية ولكنه لا ينبع من احتياجاتها الأساسية وإنما ينبع من احتياجات النظام وما يمليه من أدوار على مختلف البلدان، الأمر الذي لا يختلف في جوهره عن العولمة الحالية التي تسعى إلى فرض تغيرات تسعى إلى تحقيق التكيف الهيكلي Adjustment Policy في كل معايير الأداء الوظيفي وتوجهات هذا الأداء وأهدافه هنا أو هناك. ولا تختلف نظرية النسق العالمي عن معظم النظريات التي تقال على لسان الغرب للإصلاح وللتنمية ونتيجة لذلك فقد ظلت مشكلات النمو والتدهور والفقر والزيادات السكانية تتفاقم وتتزايد في هذه البلدان بشكل كبير يمس مختلف الأقاليم والمناطق والقطاعات في داخلها، الأمر الذي يمثل عاملاً قويًا في تكريس مظاهر التخلف الذي أدى بدوره إلى تشويه عمليات النمو الطبيعي والجهود الذاتية الوطنية نتيجة الاندماج في الاقتصاد الرأسمالي والخضوع لضرورات تبعيته .

● قراءات مقترحة ●

- Works: The Rise and Future Demisc of the World Capitlist System. Concepts for Comparative Analysis. Comparative Studies in Society and History. 16 . 1974 .

---------: The Modern World System. Academic. N. Y. 1975 .



٩٨- واليس، ديلان (١٨٧٦ - ١٩٧٠) WALLIS, Dallan

أنثروبولوجي أمريكي يعتبر من الأسماء اللامعة بسبب كتاباته عن العلم البدائي Primitive Science والديانات البدائية والمناهج الأنثروبولوجية التي أسهمت إسهامًا كبيرًا في تطوير وإثراء هذه الميادين خاصة وهو يعطي مزيدًا من الاهتمام للتصورات والأفكار التي لدى الإنسان البدائي عن البيئة الطبيعية وكيفية رؤيته لها والتفاعل المتبادل بينهما وتأثيرات هذا التفاعل ونتائجه .

ولقد ولد واليس عام ١٨٨٦ في الولايات المتحدة الأمريكية (فورست هل Forest Hill) وتلقى تعليمه في رودس Rhodes في اكسفورد (١٩٠٧) حيث ظهرت اهتماماته بالأنثروبولوجيا الثقافية والمناهج الأنثروبولوجية بتأثير من وجهات نظر إدوارد تايلور Tylor (١٨٣٢-١٩١٧) الذي يعتبر أبو الأنثروبولوجية البريطانية ومؤسس الأنثروبولوجيا الثقافية في هذه المنطقة من العالم.

ومع أنه تابع دراسته بعد عودته إلى الولايات المتحدة الأمريكية إلا أن هذه المتابعة كانت في القانون والفلسفة الأمر الذي لم يمنعه من القيام بدراسة أثنوجرافية حقلية بين هنود الميكاميك Micamac في شرق كندا (١٩١١-١٩١٢) وبدراسة أخرى عن قبائل داكوتا الكندية (١٩١٤) .

أما عن اهتمامه بالدين والديانات البدائية فقد ظهر في وقت مبكر حيث كتب في عام ١٩١٨ كتاب Messiahs: Christian and Pagan الذي يعتبر كتابًا رائدًا في الدراسات الأنثروبولوجية، كما ارتاد مختلف المسائل المتعلقة بالعادات والأعراف والتقاليد والمعتقدات والانتشار الثقافي والمناهج الأنثروبولوجية المقارنة مما كان له دور واضح ترك بصماته على كثير من الباحثين والدارسين .

وعمومًا فقد قام بالتدريس في جامعة مينيسوتا (١٩٢٣ / ١٩٢٤) التي كان يعود إليها دائمًا رغم تنقلاته العديدة في عدد من الجامعات الأمريكية والأوربية. مما ساعده على تقديم بعض المونوجرافيات التي كتب بعضها بالاشتراك مع زوجته روث Ruth وبخاصة تلك التي كانت عن داكوتا الكندية Canadian Dakota

(١٩٤٧)، وعـن هنـود المـلاسـيـت The Malecite Indians of New Brunswick (١٩٥٧) وذلك بخـلاف عدد آخـر من الكتابات والمؤلـفات التي كتبـها حـتى مماته في مارس من عام ١٩٧٠ .

• قراءات مقترحة •

- Works: Messiahs: Their Role In Civilization. 1934 .

---------: Culture Patterns in Christianity. 1964 .



من أبرز العلماء – ربما باستثناء فرديناند دوسوسير- الذين تكلموا عن الدراسات التاريخية للغة Diachronic أي دراسة اللغة دراسة تطورية وتاريخية بمعنى خلال الزمن في مقابل دراستها دراسة وصفية Descriptive وهو ما يتبلور بعد ذلك فيما يعرف باسم اللغة التركيبي أو التزامني حيث ينصب الاهتمام على دراسة الكيفية التي يتحدث بها الناس في مجتمع كلامي معين، وذلك في ضوء المنهج الوصفي الذي يمكن القول إنه أصبح مسيطرًا على الدراسات اللغوية الحديثة.

هذا الاهتمام بالدراسة اللغوية التاريخية جعله يكرس جانبًا كبيرًا من جهوده على دراسة التغيرات التي تطرأ على نظم الأصوات اللغوية Sound Systems . ومن أوضح الأمثلة التي يقدمها وارد هوج على ذلك تلك المتعلقة بقضايا المماثلة Assimilation والمخالفة Dissimilation التي يمكن فهمها ولو جزئيًا من خلال الموقف أو من السياق التركيبي ذاته .

في رأي وارد هوج أن هاتين الظاهرتين هما من أهم الظواهر في التغير الصوتي، وهو يقصد بالمماثلة مجاورة صوتين لغويين فيتبع الصوت الأول الثاني حتى تتحقق سهولة النطق بسبب التوافق أو الانسجام الذي حدث بين الصوتين. أو يحدث العكس فيتبع الصوت الثاني الأول. أما المخالفة فقد عبر عنها بأنها قلب أحد الأصوات إلى صوت آخر يختلف عن الصوت المجاور له في الكلمة أي العملية التي يكون نطق أحد الأصوات مخالفًا لنطق الصوت المجاور .

وبالرغم من أن بحوثه – وآخرون – قد سعت إلى تطوير نظرية عامة في التغير الصوتي إلا أنه يصعب القول بأنه توصل إلى نظرية تتمتع بقبول عام بهذا الصدد خاصة وقد بات واضحًا له أن المشكلة تتعلق بما يمكن فهمه من خلال التمييز الأساسي الذي وضعه العلماء بين ما يعرف بالأداء Performance وملكة اللغة أو القدرة والاستعداد الفطري اللغوي Competence والبناء الصرفي أو

النحـــوي Grammatical، بمعنى أن كل تغير صوتي هو تغير في كل من الأداء والقدرة، والناحية الأولى تتصل بكثير من التعديلات التي تطرأ على النطق والتي كثيرًا ما ترجع إلى عوامل خارجية تؤثر في الأداء، وهذه يصعب السيطرة عليها والتحكم فيها.

وربما كان الأهم من وجهة نظره أن هذه الناحية تثير كل الإشكاليات المتعلقة بالنطق الصوتي الذي يرى أنه قد لا يكون بالضرورة تغيرًا فونولوجيًا أي متعلقًا بعلم الأصوات التشكيلي أو التركيبي، ويختلف عن علم الأصوات اللغوية من حيث أن الدراسة الفونولوجية تهتم بالنظام الصوتي نفسه بمعنى التركيز على توضيح الوظيفة التي تقوم بها الأصوات في البناء اللغوي وتوضيح طبيعة العلاقات التي تربط الأصوات بعضها ببعض لتبدو في آخر الأمر كنظام أو نسق محدد له دلالته. وهذه ناحية أفاض في الحديث عنها أفراد جماعة براغ Prague التي يمثلها تروبتسكوي Trubetskoy، وياكوبسون Jacobson على وجه الخصوص.

● قراءات مقترحة ●

- Works: Introduction to Linguistics. N.Y. 1972 .

- Postal, P. M.; Aspects of Phonological Theory. Harbe and Row. 1968.



٩٤- وارنر، وليام لويد (١٨٩٨-١٩٧٠) WARNER, William Lloyd

من أكبر علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الأمريكيين. ولد عام ١٨٩٨ في ردلاندز Redlands في كاليفورنيا، وتلقى دراساته حتى الليسانس الذي حصل عليه بامتياز في الأنثروبولوجيا في جامعة كاليفورنيا في باركلي Barkeley. وفي أثناء دراسته العليا (١٩٢٥-١٩٣٥) في جامعة هارفارد بدأ أعماله الميدانية وبحوثه المتعلقة بمجتمعات إنجلترا الجديدة New England وهي دراسات ركزت على الأجناس والبناء الطبقي والسلوك الرمزي مما أدى به إلى التوصل لتعريفه المشهور عن الطبقات الثلاث الدنيا والوسطى والعليا حيث تنقسم كل منها إلى دنيا ووسطى وعليا. كذلك قام بالتدريس في هارفارد (١٩٢٥-١٩٣٨) حيث أرسله قسم الأنثروبولوجيا للقيام بدراسة عن أيرلندة، كما عمل أستاذًا للاجتماع والأنثروبولوجيا في جامعة شيكاغو (١٩٣٩-١٩٥٩)، ثم أستاذًا للبحث الاجتماعي في جامعة ميتشجان من عام ١٩٥٩ .

من أهم إنجازاته أنه قام بالتوفيق بين مناهج الأنثروبولوجيا الثقافية والأنثروبولوجيا الاجتماعية المعاصرة، وكيف تطورت وتكيفت حتى أمكنها بحث المشكلات المعاصرة في المجتمعات الواسعة الكبيرة. وتعكس إسهاماته لفهم الثقافة الأمريكية شغفه بدراسة البناء الاجتماعي وأنساق الرموز والحركات الإنسانية إضافة إلى اهتمامه بدراسة المشكلات الحضرية ومشاكل التنظيمات والمؤسسات الصناعية سواء في المجتمع البدائي أو الحديث حيث كان يسعى دائمًا إلى فهم تعقيدات الأنظمة الاجتماعية وتأثيرات التدرج الاجتماعي وما تفرزه من مشكلات في العلاقات الإنسانية .

وفي رأيه أن الوعي بالطبقة (الوعي الطبقي) Class Consciousness هو العامل الحاسم في تحديد مفهوم الطبقة التي يعرفها بأنها فئة معينة من السكان يعتبرهم الرأي العام في مراكز عليا أو دنيا من حيث علاقاتهم بعضهم ببعض، حيث اعتمد كثيرًا في دراسته للطبقة على البيانات والتقارير الإحصائية، إضافة

إلى الاستعانة بدليل عن خصائص وسمات القطاعات والمبحوثين واتباع الطريقة الذاتية وبعض المؤشرات الموضوعية كالدخل ومصدره، والتعليم، والمهنة، والنوع، والسن، ومحل الإقامة، والرفاق...إلخ مما يعتبر مزاجًا بين الأساليب الاجتماعية والأنثروبولوجية في آن واحد.

وهو من وجهة نظر الكثيرين يعتبر واحدًا من قادة علم الاجتماع في الولايات المتحدة الأمريكية، وربما تقف كتاباته ومؤلفاته العديدة وراء هذا الوصف. فإذا استعدنا دراستيه اللتين ارتبط اسمه بهما ويقفان دليلاً على تميزه وهما يانكي سيتي Yankee City، وجونزفيل Jonesville (وهي أسماء ليست حقيقية وإنما مستعارة) نجد أنه قام بدراسة حقلية عن المورنجن Murngin في شمال استراليا إسترت حوالي ٣ سنوات ما بين ١٩٢٦ و ١٩٢٩ ونشرت لأول مرة في عام ١٩٣٧ . ذلك بالإضافة إلى دراساته الحقلية العديدة التي تناولت مختلف مناحي الحياة الثقافية والسوسيواقتصادية في الولايات المتحدة الأمريكية واستراليا على وجه الخصوص، ومن بينها «الحياة الأمريكية: الحلم والحقيقة» :American Life Dream and Realily (١٩٥٣) و«الأحياء والأموات» The Living and Dead، وهي دراسة للحياة الرمزية للأمريكيين وتعتبر من أهم أعماله (١٩٥٩). كما أشرف على تحرير كتاب The Emergent American Society الذي نشر عام ١٩٦٧ .

• قراءات مقترحة •

- Works: A Black Civilization: A Social Study of an American Tribe. 1958.

---------: Who Shall be Educated: The Challange of Unequal Opportunities. 1944 .

---------: A Methodology for the Study of Social Class. 1949 .

---------: Democracy in Jonesville. 1949 .

حيث اهتم في هذه الدراسة ببحث التركيب والخصائص الأسرية والعلاقات الاجتماعية في الأسرة كالزواج والعلاقات بين الأجيال .

------: Social Class in America. 1957 .

------: and Paul S. Lunt; The Social Life of a Modern Community. 1945.

-------: and Leo Srole, The Social Systems of American Ethnic Group. 1945.

وهذه دراسة رائدة للحياة الاجتماعية لعدد من الجماعات الإثنية بالمدينة حيث اهتم بوصف مظاهر التغير الاجتماعي وكيفية المحافظة على الثقافة التقليدية، وكذلك ما يتعلق بالتوزيع الجغرافي للقبائل ومناطق سكناها .

------: and James C. Abegglen: Occupational Mobility in American Buss- ness and Industry (1928-1952). The Univ. of Minnssota Press. 1955 .



٩٥- فيبر، ألفريد WEBER, Alfred

من أبرز المؤرخين الألمان الذين حاولوا الكشف عن مضمون ومسار العملية التاريخية التي اعتبرها عملية اجتماعية وحضارية وثقافية، وكل منها يخضع لقوانين حركة قد تختلف ولكنها مترابطة .

ويعني هذا أنه أقام تمييزًا واضحًا بين الثقافة Culture والحضارة Civiliza-tion على غير ما يذهب إليه البعض عندما يستخدمون المفهومين بمعنى واحد. فالثقافة في رأيه تتميز بالإبداع والخلق، ومن هنا صعوبة انتقالها من فترة تاريخية إلى أخرى؛ إذ تتكون من العالم والشخصية الفردية، وتتضح في مجالات الإبداع كالفن والدين والفلسفة وكلها تنطوي على إبداع حقيقي لا يسهل محاكاته أو تقليده لأنها تعبير عما أطلق عليه الإرادة الثقافية Cultural Will التي يقول إن عالم الاجتماع عليه أن يسلم بها خاصة وأن له نظرة خاصة إلى علم الاجتماع؛ إذ يرى أنه علمًا ثقافيًا وليس علمًا طبيعيًا، وعلى ذلك فإن فهم المجتمع يلزم أن يتم من خلال مدخل ثقافي وهي مسئولية عالم الاجتماع الثقافي على وجه الخصوص.

• قراءات مقترحة •

- Works: Cultural History as Cultural Sociology. 1935 .

---------: Principles of Historical and Cultural Sociology. 1951 .



٩٦- فيبر، ماكس (١٨٦٤ - ١٩٢٠) WEBER, Max

لا يعتبر فحسب أحد كبار الذين أسهموا في تطوير الاتجاهات السيكولوجية في صلتها بالنظرية الاجتماعية، ولكنه في مقدمة الذين أكدوا على العوامل العقلية والنفسية في النشاط الإنساني عمومًا. وهذه ناحية يرى الكثيرون أنها هي بالذات التي تميزه كعالم اجتماع واقتصاد، على الرغم من أن الكثيرين يعتبرون أن هذه المواقف السيكولوجية هي ما يمثل نقطة الضعف الرئيسية في نسقه الفكري.

بيد أنه ينبغي ألا نتجاهل تلك الحقيقة الأساسية وهي أنه إذا كان علم الاجتماع قد ارتبطت نشأته تقليديًا باسم أوجيست كونت Comte فقد كان ماكس فيبر أحد الكبار الثلاثة الذين ارتبطت أسماؤهم بتطور هذا العلم وتطور نظريته الاجتماعية وهم إميل دوركايم Durkheim، وكارل ماركس Marx ثم فيبر نفسه الذي ارتكزت دراساته المقارنة على نظرة ذاتية تدخلت في صياغتها المنهجية رواسب الفكر الفرويدي وأفكار باريتو ودوركايم والكثير أيضًا من أفكار كروتشه Croce وديلتاي Dilthey الأمر الذي كان ضروريًا ولازمًا ليقدم إسهامه المتميز في النظرية الاجتماعية.

إن الصفة الغالبة عليه أنه عالم اجتماع متميز، ولكن الكثيرون قد لا يعرفون أنها آخر الصفات التي لحقته في تتابع اهتماماته والتخصصات العلمية التي درسها، فهو ما كاد ينتهي من دراسته الثانوية في عام ١٨٧٢ حتى التحق بجامعة هيدلبرج Hei-delberg ليبدأ رحلة جديدة انشغل فيها بدراسة القانون الذي يعتبر مجال تخصصه الأساسي. ولكنه اضطر إلى أن يقطع هذه الدراسة بعد عامين ليقوم بواجب الخدمة العسكرية في ستراسبورج Strassburg حيث توثقت الصلات بينه وبين المؤرخ هيرمان بومجارتين Baumgarten الذي كان تأثيره واضحًا على تطور فيبر الفكري.

وبعد انتهائه من أداء الخدمة العسكرية لم يعد إلى هيدلبرج ولكنه التحق بجامعة برلين حيث تقيم الأسرة فتزوج في عام ١٨٨٢من ماري شونتجر Schnitger

كما حضر بعض الاختبارات الفصلية في جامعة جوتنجن Gottingen في عام ١٨٨٥ وبعدها أدى امتحانًا في القانون في عام ١٨٨٦، ثم عمل بمحكمة برلين الجنائية. وهكذا فقد استمر يخطو في حياته العملية والعلمية إلى أن حصل على درجة الدكتوراة في عام ١٨٨٩، ثم قام بتدريس القانون في جامعة برلين عام ١٨٩٢، ثم عين أستاذًا للاقتصاد في جامعة فريبورج Freiburg عام ١٨٩٤ . ولم يكن إلا متأخرًا جدًا في أخريات حياته عندما عمل أستاذًا زائرًا بجامعة فيينا حيث بدأ يحاضر أيضًا في علم الاجتماع بجامعة ميونيخ Munich .

والمهم أنه في هذه الرحلة وضح شغفه الأصيل بدراسة الاقتصاد والفلسفة والتاريخ والدين حيث وصل في النهاية إلى الاهتمام بعلم الأديان وعلم الاجتماع الديني وعلم الاجتماع حيث تعرف على فيلهلم روشتر Roscher، وكارل كنيز Knies وتعلم منهما كيف أن الاقتصاد يمارس تأثيراته البالغة في كل مجالات العلوم الاجتماعية. فهذان العالمان هما من أعلام التاريخ الاقتصادي إذ كان الأول من تلامذه رانكة Ranke في برلين، بينما كان كنيز أستاذًا لكرسي الاقتصاد في جامعة هيدلبرج وقد رقي فيبر أستاذًا للاقتصاد خلفًا له.

في الجزء الثاني من كتابه الشهير «الاتجاهات الرئيسية في الفكر الاجتماعي» Main Currents in Soiologied Thought نقف على بضعة سطور لها دلالتها البالغة حيث يذهب رايمون آرون Aron إلى أن فيبر هو أعظم السوسيولوجيين أو ربما - على حد تعبيره - هو عالم الاجتماع الحقيقي وعلى وجه اليقين .

إن مما لاشك فيه هو أن فيبر يمتلك معرفة واسعة بتاريخ العالم وهو ما يتضح من نوعية الأسئلة ذاتها التي تساءلها والتي بدت ذات طابع مغاير لكثير مما نلتقي به عند بعض المفكرين خاصة أولئك الذين تعرضوا لعلاقة فكر فيبر بآراء وأفكار كارل ماركس، فقد كرس فيبر جانبًا كبيرًا من جهده لمناقشة واختبار القضايا التي ساقها ماركس وهي مناقشات كان من الطبيعي أن تمتد إلى مختلف

الظواهر بما فيها الدين والقانون طالما أنها ظواهر أرجعها ماركس إلى تطور القوى والعلاقات الاقتصادية في الوقت الذي يرفض فيبر التصور الماركسي للظاهرة القانونية على أنها انعكاس لمصالح الطبقة الرأسمالية والطبقات المسيطرة ماديًا في المجتمع .

إن فيبر بحكم ظروف النشأة وظروف العصر لم يكن بعيدًا أبدًا عن قلب الأحداث الفكرية والسياسية لبلده ألمانيا إذ عاصر فترة ظهور القومية الألمانية وعاش كل آثار تراجع الديمقراطية وسيطرة البيروقراطية على حريات الأفراد ومبادراتهم. إن التصور الأساسي عند فيبر هو أن المجتمع مجموعة أو بالأصح مركب من العلاقات الإنسانية المتبادلة تنطوي على مظاهر الفعل والسلوك ذات المعنى، وبذا يبدو أن الأساس عنده في البحث الاجتماعي هو الفعل الاجتماعي النموذجي الذي يقوم الفرد به على اعتبار أن الفرد هو الوحدة الأساسية للمجتمع. وفي هذا فقد قدم مؤلفه الضخم «الاقتصاد والمجتمع» كمحاولة لإقامة نسق من النماذج المثالية التي هي عبارة عن بناءات عقلية تتشكل من خلالها رؤى أو وجهات نظر أو سمات يسهل ملاحظتها في المواقف الواقعية ويكون الشيء الهام عندئذ هو تحليل هذه التشكيلات وفهمها من خلال ارتباطاتها السببية والمنطقية.

وفي عام ١٩٢٢ أي بعد وفاته بعامين نشر له هذا المؤلف الذي لم تتم ترجمته إلى الإنجليزية إلا في الخمسينات من القرن الماضي وأعيدت طباعته طبعة جديدة كاملة في عام ١٩٦٨ باسم Economy and Society: An Outline of Interpratative Sociology ولا ترجع أهمية هذا الكتاب الذي لا تفوق شهرته إلا شهرة «الأخلاق البروتستانتية» إلى مجرد أنه يعتبر بجزئيه الأول والثاني أشبه بموسوعة في علم الاجتماع العام من المنظور الفيبري إذ ضمنه فيبر قضاياه الرئيسية ومعلوماته وتصوراته المحورية في كل فروع العلم الاجتماعي وبخاصة علم الاجتماع الاقتصادي وعلم الاجتماع القانوني وعلم الاجتماع السياسي وعلم الاجتماع الديني، ولكن من وجهة النظر التحليلية أنه اتخذ من التاريخ العام العالمي Universal History موضوعًا له.

بيد أنه يصعب تصور اكتمال البناء الذي سعى فيبر إلى تشييده بعيدًا عن بعض المفهومات المحورية التي لعبت دورًا خاصًا ليس في تحديد أشكال النظم الاجتماعية والجماعات المنظمة فحسب ولكن أيضًا في دراسته للسلطة التي تعتبر بمثابة العصب من نظريته في التنظيم الاجتماعي والسياسي بأكمله وبصفة خاصة مفهوم القوة Power، ومفهوم السيطرة أو السلطة Domination .

وقد لا يكون هناك أي خلاف على ضرورة وجود السلطة من شكل أو آخر في أية جماعة من الجماعات أو مجتمع من المجتمعات، ولكن المشكلة التي رآها فيبر لم تكن مجرد الوجود بقدر ما كانت في (شكل) هذا الوجود، وقد نظر إلى هذا من زوايتين، الأولى تتعلق بردود الأفعال الاجتماعية التي قد تقوم حيال السلطة، أي تلك التي تتعلق بقضية الشرعية التي تدعيها لنفسها. أما الزاوية الثانية فتتمثل في ذلك الربط الذي أقامه بين مراحل التطور الاجتماعي وبين نمط أو آخر من أنماط هذه السلطة .

ويطرح فيبر ثلاثة أنماط للسيطرة (السلطة) هي السيطرة العقلانية (الرشيدة) القانونية Rational Legal Domination، والسيطرة التقليدية Traditional Domina-tion، والسيطرة الكاريزمية Charismatc Domination. وإذا كانت السلطة من النوع الأول تقوم على الاعتقاد في شرعية القوانين والقواعد، وبالتالي شرعية أولئك القائمين على إصدارها وتنفيذها، إلا أنه مع تطور المجتمعات يحدث تحول بيروقراطي يصل إلى ذروة التعقيد والتشابك مع تزايد رغبة السلطة في تركيز التخصصات في أيدي القلة القليلة من الخبراء والمتخصصين.

أما السلطة من النوع الثاني (التقليدية) فتقوم على الاعتقاد في الصفات أو الخصائص العريقة والأصيلة التي يلزم احترامها في كل ما هو متوارث وتعبر عنه في الأغلب الأجيال الأكبر سنًا، وبالتالي فهي أنضج خبرة الأمر الذي يسبغ على هذه السلطة شرعيتها التي لا تعتمد على القانون كنصوص ومواد، ولكن على الأعراف والعادات .

أما النمط الثالث فهو نوع يرى الكثيرون أنه يتصف بغير قليل من اللاعقلانية أو عدم الرشادة، ولذا قصد فيبر بالكاريزمية قوة أو طاقة أو خاصية

فائقة للطبيعة ويتصف بها بعض الناس دون الآخرين، مما يعني أن اسم فيبر قد ارتبط بمصطلح الكاريزما تمامًا كما ارتبط بمصطلح البيروقراطية .

وبالرغم من أن تصور الكاريزمية بمقدوره أن يمثل مخرجًا من كثير من الأخطار التي تنطوي البيروقراطية عليها، فإن أخشى ما يخشاه فيبر هو ذلك الطابع اللاعقلاني لهذه الشخصية عندما تتحول طاعة الجماهير وولاؤها إلى خضوع أو إلى نوع من التقديس والعبادة والتأليه للزعيم الكاريزمي وهي قضية تجعل المستقبل كله في مفترق الطرق خاصة عندما تمسك بعقول أمثال هؤلاء أحلام العظمة، وتصبح شخصياتهم ذاتها محورًا لإعجابهم بأنفسهم فيتحول الزعيم الكاريزمي من ثم إلى أشد أنواع الطغيان. وما من طغيان يمكن القول بأنه خاضع لأي عقل أو قانون أو نظام.

• قراءات مقترحة •

- Works: The Protestant Ethics and The Spirit of Capitalism. 1904-1905) .

----------: the City. 1921 .

----------: The Sociology of Religion. 1922 .

----------: The Theory of Social and Economic Organization 1927 .

كذلك يمكن قراءة:

- H. H. Girth and C. Wright Mills, The Social Psychology of the World Rcligions from Max Weber. Essays in Sociology. N. Y. 1964 .
- Julien Freund, The Sociology of Max Weber. Trans by Mary Iuford. 1968.
- Reinhard Bendix, Max Weber: An Intelectual Portrait. 1978 .



٩٧- وسترمان، ديدريش (١٨٧٥-١٩٥٦)
WESTERMANN, Diedrich Herman

أستاذ ألماني للثقافة واللغات الأفريقية اشتهر بسبب جهوده المتواصلة ونشر فكر أستاذه كارل ماينهوف Meinhof على نطاق واسع بإباحتها لجماهير القراء حتى من بين غير المتخصصين على الامتداد من السنغال إلى منابع النيل. وذلك في الوقت نفسه الذي كان ماينهوف مشغولاً بعمله على لغات البانتو Banto .

وقد ولد وسترمان عام ١٨٧٥ في بادن، وعمر طويلاً إذ وافته المنية في المدينة نفسها عام ١٩٥٦ بعدما ترك العديد من الكتابات والمؤلفات عن الثقافات الأفريقية ولغات القارة التقليدية (القديمة والمعاصرة) .

• قراءات مقترحة •

- Works: Languages of the Sudan. 1911 .

---------: The African Cultures Today and Tomorrow. 1937 .

---------: History of Africa. 1952 .



٩٨- هوايت، ليسلي (١٩٠٠-١٩٧٥) WHITE, Leslie

أنثروبولوجي أمريكي لامع اشتهر بنظرياته في تطور الثقافة وبدراستها دراسة علمية، مهدت لما عرف بعلم اجتماع الثقافة، واعتبر بذلك من أشد أنصار التطور الذي وضع خطوطه العامة رائد الدراسة التطورية هربرت سبنسر Spencer في القرن التاسع عشر (١٨٢٠-١٩٠٣)، ولويس مورجان Morgan (١٨١٨-١٨٨١)، وإدوار تايلور Tylor (١٨٣٢-١٩١٧)، حتى بعدما أصابت نظراتهم غير قليل من الهزات التي جعلت الكثيرين يبتعدون عنها، ولم يعد كثير من الأفكار التطورية مسلمًا به تمامًا وبخاصة بعد ظهور الاتجاهات الأكثر حداثة .

وبالرغم من هذا فإن هوايت ينظر إلى التطور على أنه عملية كلية شاملة تشمل مختلف الثقافات التي تعتبر في نظره وحدة كلية، كما اعتبر أن الوظيفة الأولى للثقافة هي التحكم في الطاقة وتسخيرها لخير الإنسان وصالحه، ذلك أن كل ما يصدر عن الإنسان ويؤلف جزءًا من ثقافته يحتاج إلى الطاقة التي هي بعد كلي للثقافة.

وقد ولد ليسلي هوايت في ساليد Salide في كلورادو عام ١٩٠٠، ووضحت اهتماماته منذ وقت مبكر، فاعتبر أن علم الثقافة Culturology هو أهم إسهاماته في الأنثروبولوجيا حتى أنه مثل إطارًا عامًا لسلسلة من المقالات التي أصدرها في شكل كتاب باسم «علم الثقافة» The Science of Culture (١٩٤٩) قصد به المماثلة البنائية الوظيفية التي قال بها سبنسر في ميدان الثقافة، وهو مدخل للثقافة يتصف بغير قليل من الماركسية، ولذا فهو يعتبر من أكبر المشايعين للتطورية القديمة (الكلاسيكية) لدرجة أنه ينفي عن نفسه أية صلة له بما يطلق عليه التطورية الجديدة التي يعتبر جوليان ستوارد Steward من أشد أنصارها. والمهم أنه اهتم في داخل هذا الإطار بدراسة العوامل التي تدفع بالجماعات إلى الاستقرار، ومن ثم البحث عن تفسير للظواهر الكلية التي تنتمي إلى الجنس البشري بأكمله .

وفي هذا الاتجاه ركز هوايت على إبراز الدور الذي يلعبه الاختراع والاقتباس واتبع في ذلك نفس الاتجاه الذي سار فيه التطوريون، حيث كان يرى أن الحاجات المتشابهة في المجتمعات البدائية تدفعها إلى اكتشاف نفس الوسائل التي يتطلبها إشباعها. ومن ثم فإن قانون التطور إنما يعمل بنفس الطريقة في جميع المجتمعات مما ينتج عنه مرورها بنفس المراحل التطورية نتيجة لتماثل عملية الاختراع ذاتها.

كذلك يعتبر هوايت أن التطور الثقافي إنما قد سهلت لحدوثة التطورات التكنولوجية التي هيأتها التطورات المختلفة خاصة تلك التي حدثت في رأس المال، وأدت إلى نموه وتراكمه.

ومع أن هذه الأفكار التطورية سببت له الكثير من الحرج والصراعات مع الآخرين من اللاتطوريين ونظرياتهم التي لا تؤمن بالتطور على هذا المنوال التقليدي من أمثال فرانز بواس Boas وأتباعه الذين لهم تأثيرهم في الأنثروبولوجيا الثقافية فقد ركز تركيزًا قويًا على إبراز الرابطة الوثيقة بين التكنولوجيا وصور الثقافة في المجتمع، أو بمعنى آخر طبيعة تطور المجتمع والتكنولوجيا المصاحبة لهذا التطور، وإن كان قد فرق بين النسق التكنولوجي والنسق الاقتصادي، وذهب إلى أن التكنولوجيا تهتم اهتمامًا شديدًا بالأدوات وخصائصها المميزة والعلاقات بينها بعضها ببعض، بينما العملية الاقتصادية تدور حول نوع العلاقات التي تجرى بين الناس من حيث قد يكونوا بائعين أو مشترين، دائنين أو مدينين، منتجين أو مستهلكين....إلخ.

إن التطور الثقافي عنده يمر بثلاث مراحل أو عمليات هي التكنولوجية والسوسيولوجية والأيديولوجية. والأولى من الوسائل المادية، ولذا تمثل أدنى المستويات، والثانية وهي المستوى الاجتماعي أي العلاقات بين الأشخاص، والثالثة المستوى الفلسفي وهو من الأفكار والمعتقدات والمعرفة، وهي ما تمثل أعلى المستويات رغم أنها جميعًا يتم التعبير عنها في صورة رمزية. على حين تمثل الثقافة عنده فئة من الأحداث فوق العضوية Super Biological ، وفوق سوسيولوجية Super Sociological، وكلها تتفاعل في عملية من نوع خاص يميز الإنسان عن غيره من الكائنات .

وليس من شك في أن هناك العديد من العوامل والمؤثرات هي التي وجهت ليسلي هوايت هذه الوجهة التطورية. وبصرف النظر عن حقيقة أن الاتجاهات التطورية هي التي كانت مسيطرة والتي كتب لها الذيوع والانتشار على الأقل منذ منتصف القرن التاسع عشر، وأنها أثرت تأثيرًا مباشرًا وعميقًا في كثير من الأنثروبولوجيين حتى ممن لا ينتمون إليها، فإن الفضل يرجع بصفة خاصة إلى قراءاته المنوعة خاصة لأفكار لويس مورجان التي يرى أنها تمثل نظرية صادقة في عمومها، وإن احتاجت إلى بعض التعديلات التي لا تخل بمضمونها ويلغ من تأثره وتقديره لهذه الكتابات أنه قام بنشر مراسلات وكتابات مورجان غير المعروفة. وأنه يرى أن الاتجاه التطوري السائد الآن وهو ما يعرف باسم التطورية المدنية والتي يعتبر جوليان ستيوارد من أبرز أنصارها، أو الدارونية الحديثة ليست إلا امتدادًا للاتجاه القديم أي التطورية الكلاسيكية التي ظهرت في كتابات أساسية وبخاصة كتابات لويس مورجان في كتابه «المجتمع القديم» Ancient Society، والسير إدوارد تايلور في كتابه «الأنثروبولوجيا» عام ١٨٨٠ .

لقد قلنا من قبل أن وايت ولد في أول القرن العشرين، وبعدما خدم في البحرية الأمريكية التحق بجامعة لويزيانا Louisiana، ولكنه تحول بعد عامين اثنين إلى جامعة كولومبيا حيث نال درجة الليسانس في علم النفس، وكذلك درجة الماجستير. أما درجة الدكتوراة في الاجتماع قد حصل عليها من جامعة شيكاغو.

وفي بداية حياته قام بدراسات حقلية في قبائل كيريسان بيبلو Keresan Pueblo في الجنوب الغربي الأمريكي على حين قام بالتدريس في جامعة ميتشجان من عام ١٩٣٠ إلى عام ١٩٧٥ حيث اكتسب شهرة واسعة نتيجة عمله كمدرس ومحاضر، وإنما ظل اسمه في السنوات الأخيرة مرتبطًا بقسم الأنثروبولوجيا بجامعة كاليفورنيا في سانتا باربرا Santa Barbara، والواقع أنه على مدى رحلته الأكاديمية التي استمرت حتى وفاته عام ١٩٧٥ ترك لنا العديد من الأعمال الأنثروبولوجية العميقة من بين أهمها وأوسعها شهرة «تطور الثقافة» The Evolution of Culture (١٩٥٩)، ومفهوم الثقافة The Concpt of Culture الذي كان بالاشتراك مع بث ديلينجهام Beth Dillingham (١٩٧٣) .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Science of Culture. N. Y. Farrar, Straus . 1949 .

---------: Lewis Morgan: Pioneer in the Theory of Social Evolution, in Barncs (ed.) An Introduction to the History of Socialogy.

اقرأ أيضًا:

- Sahlins M. and Service, E., Evolution and Culture. Ann Arbor, Univ. of Michigan Press . 1960 .

- Steward, J., Theory of Caltural Change. (The Methodology of Multi-linear Evolution. 1955 .



٩٩- فورف، بنيامين (١٨٩٧-١٩٤١) WHORF, Benjamin Lee

عالم لغوي أمريكي اشتهر بفرضيته عن العلاقة بين اللغة والتفكير والإدراك، وبدراساته في الفكر اليهودي واللغات المكسيكية وبخاصة لغات المايا Maya ولغة الهوبي Hopi ولهجاتها في الغرب الأمريكي .

تأثر تأثيرًا كبيرًا بكتابات ومواقف إدوارد سابير Sapir في جامعة ييل Yale حيث بذل جهدًا مضاعفًا لتطوير مفهوم الثقافة، وبهذا الصدد اشتهر بفرضيته المعروفة بفرضية فورف أو فرضية سابير وفورف Sapir - Whorf Hypothesis التي تذهب إلى أن بناء اللغة يميل إلى تحديد الطرق التي يفكر بها المتحدث بهذه اللغة، ومن ثم توصل إلى أن بناءات اللغات المختلفة تؤدي بالمتكلمين إلى رؤية العالم بطرق مختلفة.

وقد لا يكون المعنى المتضمن في هذه الفرضية جديدًا تمامًا؛ إذ ساعدت في التمهيد لها بعض الجهود التي قام بها في القرن الثامن عشر بعض العلماء الألمان منهم جوهان جوتفريد Gottfried فون هردر وفيلهلم هيمولدت Humboldt ولكن الشيء المؤكد أن الفرضية بهذه الصورة التي عبر عنها فورف قد لقيت أنصارًا عديدين في الولايات المتحدة الأمريكية وبخاصة خلال الأربعينات من القرن الماضي، وذلك بسبب صياغته لها التي لقيت ترحيبًا كبيرًا .

كذلك لا تقل أهمية عن تلك الفرضية أن بحوثه الميدانية التي أجراها على لغات الهنود الأصليين قد أمدته بتصور خاص للزمان كما يعرفه الأهالي، وانتهى إلى أن الطريقة التي يرى بها الشعب الزمان تتأثر تمامًا بأنماط أزمنة الفعل أي زمن وقوع الفعل، وهو يضرب لذلك مثالاً الأفعال الظرفية في لغاتهم .

والواقع أن هذه الملاحظة كانت سبيله لكي يؤكد أن صياغة الأفكار إنما تتأثر أو هي جزء من النحو، ومن ثم فإنها تتغير بتغير هذا النحو. أما الشيء الهام فهو أن هذا الوضع ونقيضه القائل بأن الثقافة تشكل اللغة، هو وضع مازال يثير

الكثير من الجدل والنقاش، وربما من هاهنا إحساس الأفراد والجماعات أنهم لا يعيشون بعيداً عن اللغة؛ لأنه هي في الواقع التي ترسم وتحدد نظرتهم إلى العالم وللحياة، وأنهم يعيشون تحت ضغط أسارها كوسيلة للتعبير والتفاهم والاتصال، ومن ثم فهي ليست مجرد وسيلة للتعبير بالمعنى الضيق، ولكن هي نفسها التي تشكل ما يُراد التعبير عنه، وبالتالي كيفية التعبير ذاتها .

• قراءات مقترحة •

- Works: A Linguistic Consideration of Thinking in Privitive Communities in J. B. Carroll (ed.), Language, Thought and Reality . 1956 .

---------: Language, Thought and Reality. Cambridge: Techonology Press. N. Y. Wiley. 1956 .

- Malinowski, B., The Problem of Meaning in Primitive Languages. In C. K. Ogden and I. A. Richards (The Meaning of Meaning). 1930 .



١٠٠- ويليامز، روبين WILLIAMS, Robin

عالم اجتماع أمريكي تدور أعماله حول تأثير المقولة الرئيسية في الاتجاهات الوظيفية القائلة بالتساند الوظيفي وتكامل أجزاء المجتمع ومكوناته وعناصره المختلفة في الكل الاجتماعي، حيث تتكامل البناءات الاجتماعية في وحدة اجتماعية متسقة.

هذه الفكرة الرئيسية عند روبين ويليامز عالج من خلالها الأنماط المختلفة للمجتمعات، ولكن في محاولة لتقديم تفسير سوسيولوجي للعلاقات الاجتماعية وما يصاحبها من قيم ومعتقدات تميز مجتمع عن آخر.

وقد بدأ أول ما بدأ بتحديده المقصود بالتنظيم الاجتماعي فذهب إلى أنه شبكة من التفاعلات الاجتماعية التي تتفاعل وتتمازج مع الثقافة السائدة، وبخاصة جوانبها المعيارية التي رأى أنها تعمل على تنظيم مظاهر السلوك. وارتباطًا بذلك فقد عرف النظم بأنها ذلك المركب من المعايير الذي ينطوي على الجزاءات الاجتماعية ونسق العقاب والمكافأة والثواب الذي يرتبط بالحاجات الأساسية والتوجهات القيمية التي تحرص الثقافة على وجودها.

قضية التكامل الاجتماعي والثقافي هي إذن القضية المحورية عند ويليامز وهي القضية الأساسية التي دار من حولها كتابه المعنون «المجتمع الأمريكي» American Society باعتبار أنه من خلالها تتكامل النظم في الشكل الاجتماعي محافظة على وجوده واستمراره . وبالرغم من أن هذا يمكن القول أنه يمثل الهدف النهائي لكل الدراسات التي سادت في الاتجاه الوظيفي إلا أن المشكلة التي واجهت ويليامز ارتبطت بمحاولته تطبيق هذا النمط على المجتمع الصناعي نظرًا لتعقد الميكانيزمات المؤدية للتماسك، ولعدم وجود القدر المعقول الكافي للاتفاق على القيم والرموز.

ونتيجة لهذه الصعوبات فقد اهتم بالممازجة بين المناهج الاجتماعية والأنثروبولوجية التي تتيح رؤية أعمق بالبناءات الاجتماعية التي تتميز بها هذه المجتمعات الصغيرة والقبلية عمومًا التي قد تؤدي به إلى معرفة ما يدور فعلاً في المجتمعات الكبيرة الأشد تعقيدًا .

• قراءات مقترحة •

- Works: American Society . 1960 .



١٠١- وينش، بيتر WINCH, Peter

من أشهر المناطقة وكبار علماء الرياضة وفلسفة العلوم الإنجليز الذين شغلتهم كثيرًا العلاقة بين علم الاجتماع والفلسفة، واشتهر بسبب إسهاماته المميزة في إثراء الجدل المستمر والمناقشات العلمية والفلسفية الدائرة حول غايات وأهداف كل منهما، والاختلافات الجذرية التي تقوم بين النسقين أولاً بحكم الطبيعة الذاتية لكل منهما، وثانيًا لتغاير المداخل والمناهج والتناول، وثالثًا لتداخل التصورات والمفاهيم واختلاطها الأمر الذي سبق وأن أدى بالفيلسوف الفرنسي هنري بوانكاريه Poincaré إلى أن يقول: «إن علم الاجتماع علم متعدد المناهج وقليل النتائج» ودليل ذلك المنازعات المستمرة بصدد مناهج علم الاجتماع، والتعثر في الوصول إلى مفهومات واضحة أو تعميمات علمية أو حتى تصنيف الأنماط الاجتماعية وإقامة بعض الارتباطات Correlations بين الظواهر، وغير ذلك مما يستدعي تقديم مداخل جديدة ورؤى ومناهج جديدة أكثر ملاءمة، الأمر الذي يلزمه توافر النظرة النقدية الفاحصة بدلاً من التأرجح المستمر بين مناهج العلوم الطبيعية ومناهج العلوم الاجتماعية.

ونزولاً على هذه الضرورات فقد شرع وينش في مراجعاته النقدية لأعمال كبار الفلاسفة والمفكرين لتصحيح كثير من المفهومات الأساسية في علم الاجتماع، وكرس جانبًا كبيرًا من اهتماماته لعلم الاجتماع الفيبري، وتحديد منطقه في علم الاجتماع وبخاصة من حيث مواقفه النظرية ومنهجيته المميزة التي كان لهما أثرهما في نمو النظرية السوسيولوجية، وذلك من خلال الارتباط المتبادل بين التحليل الفلسفي وفلسفة العلوم ومنطق العلوم الاجتماعية ونظرياتها في المعرفة.

في كتابه الممتاز The Idea of Social Science (١٩٥٨) الذي أعيدت طباعته للمرة الرابعة في عام ١٩٦٥ يعترف وينش بأهمية إسهام ماكس فيبر في علم

الاجتماع وفي النظرية السوسيولوجية، ويسلم منذ البداية بأن ثمة علاقة وثيقة باتت من المسلمات المتفق عليها بين الغالبية العظمى من علماء الاجتماع بين الفلسفة وعلم الاجتماع. وأن النظرية في علم الاجتماع قد استمدت من الفلسفة أساسها المنطقي وأسس البرهان العقلي الذي يتمثل في كونه أداة منطقية تستخدم للوصول إلى نتائج محددة من مقدمات معينة مسترشدة بالقوانين الأربعة الأساسية للفكر.

وإذا كان وضع أساس النطق هو من أهم إنجازات الفكر الفلسفي فإن أثره على النظرية في علم الاجتماع كان أثرًا فائقًا حيث أسلمت قواعد المنطق إلى فكرة أن المعايير والأسس التي يمكن الاستناد إليها في الوصول إلى الصدق Va-lidity إنما تكمن في عملية التفكير ذاتها مما يعني أن المنطق (العقل) حل محل الأفكار والتفاسير التي لا تستند إليه أو تتفق معه.

وتبرز هنا ناحيتان على الأقل يراهما وينش بصدد كتابات فيبر المنهجية، الأولى، اتصاف هذه الكتابات بأنها نوع من المصالحة أو التوفيق بين القضايا اليقينية التي لا تعني إلا بالظواهر والوقائع اليقينية فحسب، ولا تعترف بأي تفكير تجريدي في الأسباب المطلقة وبين تلك التي تنتمي إلى الكانطية الجديدة Neo- Kantism التي تنطوي على العديد من الحركات والتيارات، ومن بينها ما يسلم بشكل جوهري بالفلسفة الوضعية ذاتها. أما الناحية الثانية فترتبط بطبيعة علم الاجتماع وهي عنده ذات طابع ذاتي .

وبالرغم من تأكيده للعناصر العقلية التي ينطوي عليها النشاط الإنساني فإن وينش يعتقد أن هاتين الناحيتين وما تشتملان عليه من تداخلات وفروق واختلافات إضافة إلى الأجواء الفكرية والعلمية والفلسفية التي سادت ألمانيا في بدايات القرن العشرين أدت جميعها إلى غير قليل من التداخل والغموض والتضارب في الفكر وفي المواقف التي تدخلت في صياغتها المنهجية رواسب الفكر الفرويدي وأفكار باريتو ودوركايم والكثير أيضًا من أفكار كروتشه ودلتاي،

مما نتج عنه غموض المفاهيم والتصورات، إضافة إلى ما تتضمنه النظرية السوسيولوجية من تناقضات سواء من حيث البناء أو من حيث التحليل الاجتماعي لأسسها ومقدماتها .

وإزاء هذه الجوانب الجوهرية تصدى وينش لمراجعة المنظور الكلي لعلم الاجتماع ومواقفه النظرية والمنهجية التي قال بها العلماء خاصة وأنه يعتقد أن بعض تصورات علماء الاجتماع محكوم عليها بالفشل؛ لأنهم يسيئون فهم الطبيعة الحقة للمهمة التي يضطلعون بها، ولأنهم يجهلون إلى حد كبير أن أهداف علم الاجتماع هي بالضرورة أهداف فلسفية، وذلك لغموض مفهوم الفلسفة في أذهان الكثيرين.

في تصوره أنه يتعين إذن وجود إطار عام مقبول للتحليل الاجتماعي، وليس مجرد الافتقار إلى الأدوات المنهجية التي يقال كثيرًا في مدى دقتها وصدقها وملاءمتها . أو بتعبير آخر ضرورة أن يتوافر منظور نقدي لتطور النظرية الاجتماعية يهتم بمراجعة المشكلات ذاتها، وربما يستدعي إعادة صياغتها، وهي عملية يلزم لها المزاوجة الصحيحة بين العقلانية الذرائعية والهوية الثقافية.

وليس لكل هذا سوى معنى واحد واضح ومحدد هو أن وينش رفض بشكل قاطع الأبستمولوجية التفسيرية أو التأويلية في علم الاجتماع، وهذا أمر يفرض صعوبة خاصة تماثل ما سبق أن أطلق شوتز عليه - سيرًا على خطى ماكس فيبر- مسلمة المطابقة أو الملاءمة Adequacy أي أن تكون الفكرة معادلة تمامًا لموضوعها.

وقد تكون لهذه النواحي التأويلية بعض الفائدة مثلما إذا كنا في حالة صياغة الفروض وبنائها، ولكن الخطورة هنا تتمثل في ما يحدث من ازدواجية تأويلية تضر بمحاولة دراسة الفعل الاجتماعي النموذجي والأهم منه معرفة الدور الذي يلعبه الفهم Verstehen، أو استدماج Internalization الملاحظ في الأفعال الاجتماعية الصادرة عن الآخرين. ومع أن عملية الفهم ذات طابع ذاتي ومن ثم تكون عملية الفهم عملية ذاتية، فإن ما يراه وينش أنه لا مطعن في ذلك. صحيح

أنها عملية ذاتية ولكن هدفها المباشر هو اكتشاف ما يقصده الفاعل بفعله، وذلك على النقيض من المعنى الذي يتضمنه الفعل بالنسبة لفاعلين آخرين أو ملاحظين محايدين وهو المعنى الذي يقصد إليه فيبر ولا يختلف عليه وينش أيضًا .

وعلى أية حال فمازالت محاولة وينش بناء أساسي منطقي لاستبعاد إمكانية القيام بتحليل سببي في نطاق العلوم الاجتماعية مازال يشوبها غير قليل من النقض وعدم الاكتمال، وفي حاجة لمزيد من البحث والمناقشة لاستكمال معالجة قضية الفهم واستجلاء المعنى خاصة وأن العلاقات بين الأفكار والأحداث والوقائع هي علاقات مفاهيمية وليست علاقات سببية كما يراها الكثيرون .

• قراءات مقترحة •

- Works: The Idea of Social Science. 1958 .

وانظر أيضًا:

- Goiddens, Anthony: New Rules of Sociological Method: A Postive Critique of Interpretative Sociologies, Cambridge: Polity Press. 2ed edition. 1993 .



١٠٢- وينتر، إدوارد هنري (١٩٢٣) WINTER, Edward Henry

اشتهر بسبب دراساته في أفريقيا حيث اهتم بدراسة الدين والعقيدة وصلاتهما بالبناء الاجتماعي والكيفية التي تتدخل بها في تحديد شكل ونوعية هذه العلاقات كما تنعكس في النظم الاجتماعية المختلفة. فهو في كل دراساته استهدف تحليل هذه العلاقات البنائية المتبادلة وتأكيد حقيقة أن النظم الاجتماعية في المجتمعات التقليدية والقبلية وبصفة خاصة النظم الدينية والشعائر والعقائد الدينية تؤثر تأثيرًا قويًا في تحديد مواقف الناس وطرائق سلوكهم ارتباطًا بأي من النظم الأخرى الموجودة في المجتمع.

ومن خلال هذا الهدف كان يهتم بإبراز الدور الذي يلعبه المكان البنائي في تحديد شكل هذه العلاقات والأنظمة، ومن ثم يكشف عن التوزعات الإقليمية للوحدات القرابية والاقتصادية وارتباطها بنظم تقسيم العمل والتخصص المهني اللذين عادة ما يجريان في ضوء المراتب الفردية والتمييزات الجنسية، وحيث ترتبط مرتبة الشيوخ وكبار السن بوجه خاص بالوظيفة الدينية والإشراف على ممارسة الطقوس والشعائر المختلفة.

ويرى وينتر أن هذه النواحي المتعلقة بالعلاقة المتبادلة بين الدين والمعتقدات الدينية والبناء الاجتماعي مازالت حتى الآن بعيدة عن اهتمامات عدد متزايد من الأنثروبولوجيين خاصة تلك الأقاليم والمناطق التي تتصف بتعدد الأصول والأعراق وبالتالي اختلاف الثقافات والانتماءات وهو ما حاول إبرازه في واحدة من أعمق دراساته التي أجراها في مناطق تنجانيقا الشمالية Northern Tan-ganyika حيث الإقليم في منتهى التشعب والتعقيد حيث يعيش البانتو Banto والنيلوحاميين Nilo-Hamitic والكوشيين Cushitic وجماعات أخرى تتفاوت توزعاتها الإقليمية وبناءاتها إلى حد بعيد.

ولقد ولد وينتر في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٢٣ ونال درجة الليسانس من جامعة هارفارد ثم التحق بمدرسة لندن للاقتصاد باكسفورد ثم درجة الدكتوراة من هارفارد. كما تبوأ عدة مناصب في مراكز البحوث المختلفة، ففي الفترة من ٤٩ إلى ١٩٥٢ كان بمعهد شرق أفريقيا للبحث الاجتماعي، وفي الفترة من ٥٢-٥٥ أصبح أستاذًا مساعدًا للأنثروبولوجيا بجامعة الينوى (٥٥-١٩٥٧)، وكذلك في الفترة (٥٧-٥٩)، وأصبح أستاذًا للأنثروبولوجيا ورئيسًا لقسم الاجتماع والأنثروبولوجيا بجامعة فيرجينيا عام ١٩٥٩ . وعلى مدى هذه المسيرة اشتهر بمؤلفاته التي استعان فيها بالمادة الإثنوجرافية الهائلة التي حصل عليها خاصة من قبائل بوامبا التي زارها أكثر من ٣ مرات حافلة .

• قراءات مقترحة •

- Works: Bwamba Economy. 1955 .

---------: Bwamba . 1956 .

---------: Beyond the Mountains of the Moon. 1959 .

--------: Witchcraft and Sorcery in East Africa. 1953 .

وهو كتاب ألفه بالاشتراك مع ج. ميدلتون Middleton .



حجة في الدراسات الحضرية، ورائدًا من رواد الباحثين في ظاهرة النمو الحضري وبحث مشكلات البيئات والأقاليم الحضرية. وهو ربيب مدرسة شيكاغو، التي كرست جانبًا كبيرًا من جهودها لدراسة وبحث مشكلات البيئات الحضرية استنادًا إلى الاتجاه الأيكولوجي الذي كان له فضل الريادة في الأخذ به واستخدامه في دراسة توزيع الأحياء السكنية في المدينة، غير أنه اتخذ اتجاهًا آخر ينظر إلى الحضرية كأسلوب للحياة واعتبر رائدًا في هذا الاتجاه الذي أثار الكثيرين حتى من بين أعضاء مدرسة شيكاغو صاحبة الاتجاهين السابقين معًا ، وإن لم يحل هذا دون مساهمته الضخمة في الدراسات والبحوث التي ساعدت في حقل النظرية الاجتماعية ودورها في مواجهة وحل مشكلات المجتمع خاصة وهو يمازج في بحوثه بين النظرية والبحث الإمبريقي، وهو اتجاه تأثر فيه كثيرًا باتجاها الييون سمول Samll واهتمامه بالبحث عن حلول سلمية لمشكلات وظواهر عدم المساواة والصراع من خلال الإصلاح الاجتماعي، الأمر الذي انعكس على أفكار ومواقف ويرث وهو يدرس المشكلات الحضرية ومشكلات الطبقة والجنس والعنصر، فذهب مثلاً إلى أن الأقلية Minority هي جماعة من الناس تنفصل عن بقية أعضاء المجتمع بصورة ما نتيجة خصائص عنصرية أو ثقافية وتعيش في مجتمعها في ظل معاملة مختلفة غير متساوية مع بقية أفراد المجتمع، ومن ثم ترى نفسها عرضة للتفرقة في المعاملة التي تتصف بعدم المساواة أو التمييز Discrmination.

وبالرغم من انتشار وذيوع اتجاهه الذي ينظر للحضرية كأسلوب حياة في الوقت الذي قوبل الاتجاه الأيكولوجي التقليدي بكثير من الانتقادات لاهتمامه الزائد بدراسة التحضر في المجتمعات الحديثة فقد ميز ويرث بين بضعة ملامح تختص بها المدينة بصفة عامة وحدد في ذلك الحجم والكثافة وعدم تجانس السكان .

ولقد ولد لويس ويرث في جيمندن Gemunden بألمانيا عام ١٨٩٧ والتحق منذ وقت مبكر بجامعة شيكاغو (١٩٢٦) حيث برز إسهامه في البحوث النظرية والتطبيقية التي تجريها الجامعة. وأصبح في وقت قصير نسبيًا رئيسًا للجمعية الأمريكية لعلم الاجتماع American Society (١٩٤٧) كما أصبح في الفترة من ٤٩ إلى ١٩٥٢ أول رئيس للرابطة الدولية لعلم الاجتماع وهو منصب ظل يشغله حتى وفاته في بافاللو Baffalo بالولايات المتحدة الأمريكية في ذلك العام. بعدما أصبح المبدأ الذي قال به «الحضرية كأسلوب للحياة» منهج كثير من الباحثين.

• قراءات مقترحة •

- Works: Our Cities: Their Role in the National Economy. 1937 .

ويعتبر هذا الكتاب أول محاولة لتشييد سياسة حضرية قومية تستعين بنتائج العلوم الاجتماعية.

----------: The Ghetto . 1928 .

---------: Urbanism as a Way of Life. American Journal of Sociology 1938 .

---------: The Problem of Minority Groups, in Linton (ed.). N. Y. 1945 .

---------: Life and Social Policy 1956 .

--------: Cities and Social Life. 1964 .

--------: In Linton, The Science of Man in the World Crisis . Columbia University Press. 1945 .



١٠٤- ويسلر، كلارك (١٨٧٠-١٩٤٧) WISSLER, Clark

أنثروبولوجي أمريكي أسهم في تطوير مفهوم المناطق الثقافية Cultural Areas الذي أصبح مفهومًا أساسيًا في الأنثروبولوجيا الثقافية وبخاصة في النظرية الثقافية Cultural Theoty التي يأخذ بها كبار المهتمين بدراسة الثقافة والشخصية عمومًا .

ولد عام ١٨٧٠ في نيويورك سيتي، وبالرغم من أنه تخصص أصلاً في علم النفس الذي نال فيه الدكتوراة من جامعة كولومبيا عام ١٩٠١ إلا أنه تحول للأنثروبولوجيا تحت تأثير فرانز بواس أثناء عمله أمينًا لمتحف التاريخ الطبيعي في نيويورك وهو العمل الذي ظل مرتبطًا به لمدة تزيد على أربعين عام. وإن كان قد درس أيضًا في جامعة Yale في الفترة من ١٩٢٤ إلى ١٩٤٠ . والمهم أنه أثناء منصبه بالمتحف الأمريكي نجح في ترتيب مجموعات وتصنيفات من الفنون والحرف والمهارات وفقًا لتصنيف المناطق والقبائل التي تقطن فيها، وقد استطاع في هذا العمل إبراز طبيعة الصلات والعلاقات الاجتماعية والثقافية وما يقوم بينهما والبيئات الفيزيقية من روابط وصلات. ويعتبر مؤلفه الذي صدر في عام ١٩١٧ بعنوان: «الهندي الأمريكي» The American Indian مؤلفًا كلاسيكيًا مازال يعتبر من أهم المراجع في أثنولوجيا أمريكا الشمالية.

وللحق فإن كتابه «الهندي الأمريكي» يعكس الاهتمام المحوري لكل أعماله الميدانية، حيث صار حجة في كل ما يتعلق بقبائل داكوتا Dakota، وبلاك فوت Blackfoot حيث كتب عنها أكثر من ٢٠٠ مقالة علمية تناول فيها ملامح الثقافة المادية Material Culture والأساطير وأنساق الفكر والأيديولوجيا وما اشتملت عليه من قيم وعقائد وأخلاقيات .

● **قراءات مقترحة** ●

- Works: Man and Culture. 1923 .

---------: The Relation of Nature to Man in Aboriginal America . 1926 .

---------: Indian Cavalcade. 1938 .

---------: The Indians of the United States. 1940 .

١٠٥- فيتجنشتين، لودفيج (١٨٨٩-١٩٥١)
WITTGENSTEIN, Ludwig

فيلسوف إنجليزي من أصل نمساوي، يعتبر من أهم فلاسفة اللغة إذ اشتهر بفلسفة التحليل التي ينظر إليها الكثيرون على أنها ثورة على الفلسفة التقليدية ونقطة تحول أساسية في تاريخ الفكر الفلسفي المعاصر. وذلك بسبب منهجه المميز الذي استخدمه في بحث مشكلات الفلسفة معتمدًا على التحليل الفلسفي الذي يتناول عبارات اللغة، وأكد فيه أن هذه المشكلات ليست أصلاً بمشكلات، وإنما هي نتاج لسوء استخدام اللغة، مما يعني أن مهمة الفلسفة أصبحت تتمثل في تحليل مشكلات اللغة بدلاً من الانشغال بإقامته أنساق فكرية أو ميتافيزيقية متكاملة.

ولد لودفيج فتجنشتين في فيينا في السادس والعشرين من شهر أبريل عام ١٨٨٩ . وعاش في النمسا حيث تلقى مراحل تعليمه الأولى إلى أن التحق بالأكاديمية الصناعية في برلين التي استقر فيها إلى عام ١٩٠٨ فذهب إلى إنجلترا حيث تنوعت اهتماماته وانشغالاته إلى أن تحول تمامًا إلى الرياضة البحتة، ثم أسس الرياضيات ثم أخيرًا فلسفة الرياضة متأثرًا إلى حد كبير بفكر الفيلسوف البريطاني برتراند راسل وبخاصة كتابه «أصول الرياضة» الذي ظهر عام ١٩٠٣ . وهو الاهتمام الأساسي الذي درسه في كامبريدج، وإن كان قد اهتم أيضًا بعلم النفس. ولكنه وفي أعقاب الحرب العالمية الأولى مارس التدريس في فيينا وغيرها.

وينطوي موقف فتجنشتين من اللغة على كل إشكاليات العلاقة بين اللغة والفكر والواقع، وهي إشكاليات على غاية من التداخل والتعقيد التي يلزم الإحاطة بها للتعرف على موقفه الصحيح من اللغة والاستخدام الصحيح لها.

وبالنظر إلى السياق الكلي لنسقه الفلسفي نجد أن ما يقصد إليه ليس هو مجرد ذلك المعنى البسيط أو حتى السطحي الذي يمكن أن نفهمه للوهلة الأولى

من التعبير، وأعني به أن الألفاظ والجمل والتراكيب التي تتكون منها اللغة مما يستخدم بطريقة مشوشة أو مبهمة وغامضة، وأن كل هذا مما ينتج عن عدم المعرفة الدقيقة بمعاني الألفاظ ودلالاتها مما يترتب عليه ظهور المشكلات الفلسفية، ولكن الأهم منه هو ما يقرره من أن الاستعمال الفعلي للألفاظ حتى تلك التي نعرف معناها إنما يتم بطرق غير سليمة تبدو معها المشكلات كنتيجة حتمية لها.

من الناحية الأخرى أن الاستخدام الفعلي للألفاظ والتعبيرات في السياقات التي يكون لها فيها معنى، كثيرًا ما يؤدي بنا إلى استخدام هذه الألفاظ والتعابير ذاتها، ولكن في سياقات أخرى، فإذا ما وضعت في هذه السياقات فلا يكون لها أي معنى. وهذه الناحية لها شقها الذي يبدو أكثر تجريدًا، ومؤداها أن السياقات من هذا النوع الأخير قد توجد بينها وبين السياقات الأولى شكل من أشكال التشابه وتكون نتيجة هذا التشابه الظاهري أننا عادة ما نفشل في إدراك أنها خالية من المعنى، ويترتب عليه أن نظل نتحدث عن إجابات لأسئلة ليس لها أصلاً أية إجابة، أو أسئلة ما كان ينبغي أن تُثار أصلاً إذا كنا نعرف حقيقة ما نفعله .

إن اللغة عند فتجنشتين هي مجموع القضايا، والقضايا عنده ليست إلا أفكارًا في ذهن الإنسان، وهذا معناه أن الفكر هو إذن قضيته الرئيسية ذات المعنى، وبالتالي فإن القضية هي فكرة إذا ما تم تحليلها وبحثنا مضمونها. وقد عاد فتجنشتين في فلسفته المتأخرة إلى تأكيد هذه الصلة العضوية بين القضية والفكر والمعنى، ولكن لا من حيث ما تؤدي للبناء اللغوي أو البناء الفلسفي أو الفكري عمومًا، وإنما من حيث ما تؤديه في حياة المجتمع والثقافة .

إن ما يؤكده فتجنشتين هو أن اللغة هي أهم وسائل الاتصال الإنساني وأبعدها تأثيرًا ليس فقط من حيث المعنى الظاهري، ولكن من حيث أنه بدون اللغة ما كان باستطاعتنا أن نؤثر في غيرنا من الناس وما كان بمقدورنا أن ننجز ما أنجزناه من ثقافة وحضارة .

ومن الناحية الأخرى فإن ربطه بين هذا المفهوم للغة والخبرة الواقعية أو الخبرة بالواقع استلزمه كي يكون متسقًا مع منطق فلسفته التحليلية أن يقوم بتحليل الواقع والعالم الخارجي نفسه حيث انتهى إلى إحدى النتائج الهامة وهي أن حدود اللغة مرتبطة بالضرورة بحدود عوالم الأشخاص بمعنى أن حدود لغتي هي حدود عالمي.

هذا التصور الذي يبتعد تمامًا عن النظرية التصورية للغة يمثل نقطة تحول تمثل مرحلة مفصلية بين ما كان سائدًا وما أصبح معروفًا منذ فتجنشتين، فقد تدفقت كتابات الفلاسفة الإنجليز - وغيرهم - التي تدور حول الاهتمام بمشكلات العقل والمعنى وتفسيرهما في إطار ما أثاره من مقاصد ومبررات ونسبية الفعل التي كانت جميعها محور اهتمام فلسفته التحليلية .

وبالرغم من أن هذه الكتابات ظهر منها العديد من الاجتهادات الرائعة مثلما نجد عند وينش ورايل وأوستن وغيرهم من المعاصرين فإن جميعها لابد أننا سوف نجد أصولها في مؤلفات فتجنشتين وفي تحليل الآثار المترتبة عليها.

• قراءات مقترحة •

- Works: Noebooks . 1914-1916 .

---------: Glossary . 1926 .

---------: Remarks on the Foundations of Mathematics 1935 .

---------: Philosophical Investigations. 1953 .

---------: Tractatus. 1922 .

ويمكن الرجوع إلى:

- Charles Worth, Maxwell, Philosophy and Linguistic Aralysis. Duquesne. University Press. Pittsburg, Pa. U.S.A. Second Impression. 1967 .



١٠٦- رجت، فيليب كوينسي (١٨٩٠-١٩٧٠) WRIGHT, Phillip Quincy

عالم سياسة أمريكي يعتبر حجة في القانون الدولي والعلاقات الدولية، واشتهر بسبب دراساته الكلاسيكية عن الحرب والبحث في أسبابها وما يصاحبها ويترتب عليها من آثار ونتائج .

ولد في عام ١٨٩٠ ونال درجة الليسانس من لومبارد كوليج Lombard College ونال درجة الدكتوراة في العلوم السياسية من جامعة الينوى عام ١٩١٥ . ولأنه عمَّر طويلاً إذ توفي عن ثمانين عام في عام ١٩٧٠ فقد حفلت حياته بالعديد من الاهتمامات والأنشطة سواء في وقت السلم أو في أوقات الحرب من خلال نشاطه الأكاديمي وما كان يقدمه لحكومة الولايات المتحدة من استشارات في مختلف الشئون والعلاقات الدولية. فقد كان زميلاً باحثًا في جامعة بنسلفانيا والتحق في الفترة من ١٩١٦ إلى ١٩١٩ بجامعة هارفارد ثم في جامعة الينوى (١٩١٩-١٩٢٣) حيث أصبح (١٩٢٣) أستاذًا للعلوم السياسية ولكنه أصبح أستاذًا للقانون الدولي عام ١٩٣١ في الجامعة ذاتها. ومازالت أعماله تتمتع بتقدير المتخصصين .

● **قراءات مقترحة** ●

- Works: The Enforcement of International Law Through Municipal Law in the United States. 1916 .

-------- : The Control of American Foregin Relations. 1922 .

--------: The Causes of War and the Conditions of Peace. 1935 .

--------: Problems of Stability and Progress in International Relations. 1954 .

-------: The Role of International Law in the Prevention of War. 1961 .



-Y-

١٠٧- يينجر، جون ميلتون YINGER, JUSEPH MILTON

من أبرز علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا الأمريكيين الذين تشغلهم القضايا والمشكلات التي يزخر بها عالم اليوم وتهدد أمن واستقرار الكثير من دوله ومجتمعاته وبخاصة مجتمعه الأمريكي الذي ينتمي إليه نسبة إلى التغيرات السريعة التي تطرأ على الثقافة الأمريكية من ناحية ومظاهر التغير الاجتماعي ومظاهر الصراعات والعمليات الاجتماعية المصاحبة والناجمة عنها من ناحية ثانية.

وتذهب أعماله بصفة خاصة على تناول مشكلات المجتمع الأمريكي وقضاياه وفي مقدمتها مشكلات الحرب والحريات المدنية ومشكلات الدين والعقيدة وكذلك المشكلات المرتبطة بجماعات الأقلية Minority Groups - خاصة الزنوج - ووضعياتها في المجتمع؛ إذ كان يعتقد أنه لم يتم حتى الآن التوصل إلى بناء متكامل يمكن أن تُقام عليه نظرية أو على الأقل مواقف محددة أو تعميمات قابلة للتحقق والاختبار. ولهذا فقد كان دائم الإعلان أنه يفضل استخدام التحليل الوظيفي وخاصة بالنسبة إلى المفاهيم التي اعتبر أنها تُقاسي بدرجة أو بأخرى من كونها تقييمية، ومن ثم كان فشلها في التعرف على حقيقة أية ظاهرة وسبر غورها مثلما الحال مع المفاهيم الوظيفية. خاصة وأن معظم هذه المشكلات محملة بالمشاعر وبانعكاسات التباينات الثقافية التي في المجتمع .

وتكشف المقارنة الموضوعية بين المعالجة الوظيفية ووجهات نظر بعض كبار العلماء والمفكرين مثل كارل ماركس Marx (١٨١٨-١٨٨٣) الذي تعتبر نظريته في الدين جانبًا من نظريته في الاغتراب ، وسيجموند فرويد Freud (١٨٥٦- ١٩٣٩) الذي بنى فكرته عن الدين على النمط البيولوجي الاجتماعي Bio- Social للعائلة الإنسانية عن عمق النظرة التي يتمتع بها يينجر حتى بالرغم من حقيقة أنهما قد أكدا على أهمية التحليل الوظيفي للدين، ولكن فيما يتعلق فقط ببعض المجتمعات دون البعض الآخر. وذلك لاختلاف المنطلقات والتصورات التي بدأ منها كل منهم.

ففي رأي بينجر أن الاعتقاد الديني والطقوس تتمتع بصفة العالمية والكونية، ولهذا لا يمكن فهمها إلا من خلال الخصائص الكونية والعالمية للحياة الإنسانية وهذه معارضة صريحة لوجهة النظر الوضعية القائلة بأن الدين يوجد في ظروف معينة بذاتها قد توصف بغير قليل من الجهل والتخلف.

إنه يعتقد أن كل إنسان في حاجة لبعض القيم المطلقة لكي يحيا وتستمر حياته، وأن هذه القيم قادرة على تقديم إجابات للمشكلة القصوى المتعلقة بالحياة والموت. على حين يفتقر العلم أو المعرفة الإمبريقية لتلك المقدرة . الدين ينظر للواقع نظرة تعاطف، على حين العالم ينظر إليه نظرة جافة وفي الوقت الذي يعتبر العلم ملكًا للمتخصصين والعلماء، فإن الدين معرفته متاحة لكل البشر، وهو يقدم معرفة بالحقيقةالمطلقة، على حين العلم يقدم معرفة ناقصة وجزئية، وعمومًا فإن كليهما يصبان اهتمامهما أساسًا على الإنسان والمشكلة الإنسانية. وحتى بالنسبة إلى الملاحدة والذين لا يؤمنون بالدين أو بشيء من طقوسه وشعائره، فإن هؤلاء لديهم بعض القيم المطلقة التي تدفعهم إلى الاستمرار، كتعلقهم بمحاولة معرفة خفايا العلم أو ما قد تقدمه بعض الجماعات من إشباع في ناحية أو أخرى. ولكنها في الحقيقة إشباعات ناقصة وجزئية لا تعادل أبدًا ما يقدمه الدين؛ لأنها عاجزة عن تقديم إجابة للسؤال عن معنى الحياة Meaning of Life وهدفها. الأمر الذي ينتج عنه الأزمة الحقيقية التي يعيشها الإنسان المعاصر.

هذا المنظور الوظيفي طبقه أيضًا في كتاباته عن جماعة الأقلية. ففي كتابه الذي صدر في عام ١٩٦٥ عن جماعة الأقلية في المجتمع الأمريكي يلقي باللائمة على الاجتماعيين والأنثروبولوجيين لقلة اهتمامهم بتناول المشكلة تناولاً صحيحًا رغم حساسيتها وخطورتها البالغة حيث توجد أقليات دينية وعرقية ولغوية وكلها تتشدق بالفروق الحضارية التي لا يمكن التقليل من آثارها ونتائجها في العلاقات .

وربما كان أهم ما حاول إبرازه في مشكلة الأقليات علاقات التعصب والتحامل Prejudice الذي ينظر إليه على أنه اتجاه فردي مشبع بالنفور والكراهية أو حتى النشاط العدواني الزائد حيال جماعة أخرى أو أحد أفرادها

دون أن يكون هناك أي سبب معقول أو ظاهر. وبمعنى آخر هو اتجاه عاطفي جامد أو ميل مسبق للاستجابة لمنبهات أو مثيرات معينة بطريقة معينة تجاه جماعة من الناس يجري تقسيمهم وتصنيفهم داخل مقولات ومصفوفات رغم ضعف التشابه أو التفاعل.

وعلى أية حال فإنه بمثل هذا المدخل والتحليل الوظيفيين مضى وهو يشغل منصبه كأستاذ للاجتماع والأنثروبولوجيا في كلية أوبرلين Oberlin يعالج مختلف المشكلات التي يتناولها. ومن هنا فلا يبدو غريبًا أن اعتبر من ألمع العلماء الوظيفيين الذين تؤرقهم قضايا العصر وحاول أن تكون له كلمة فيها من خلال كتاباته ومؤلفاته .

• قراءات مقترحة •

- Works: Religion, Society and the Individual . 1957 .

---------: Can Segregation Survive in an Industrial Society. Antioch Review. 1958 .

---------: Contraculture and Subculture. American Sociological Review . October. 1960 .

---------: Minority Group in American Society. 1965 .

---------: and George B. Simpson, Racial and Cultural Minorities: An Analysis of Prejudice and Discrimination. 1972 .



١٠٨- يونج، بولين YOUNG, Pauline

تمتعت بشهرة واعتراف عالمي بسبب تأليفها لأحد المراجع الأساسية في البحث الاجتماعي والمسوح العلمية الاجتماعية حتى أن أحد كبار العلماء الاجتماعيين وهو هربرت بلومر Blumer الأستاذ بجامعة كاليفورنيا دبج بقلمه مقدمة الطبعة الرابعة التي صدرت في عام ١٩٦٦ .

في هذا المؤلف تناولت بولين يونج بالشـــرح والمثـــال العـــديد من المناهج والأساليب، حيث ركزت على الأساليب الكيفية والكمية والإحصائية، إلى جانب تناولها لدراسة الحالة والمناهج التاريخية على نحو مكنها من معالجة العلاقات الاجتماعية ومختلف مظاهر الحياة الحديثة بشكل يتسم بالموضوعية والصدق.

ولكن دراساتها كانت تتم من خلال إطار معين يتسع ليشمل إبراز الدور الذي تلعبه القوى الاقتصادية والثقافية والطريقة التي يتدخلان بها في تشكيل وقائع الحياة وأحداثها في المجتمع المعاصر. وقد هيأ لها منصبها كأستاذ للبحوث الاجتماعية في جامعة هاواي Hawaii (هونولولو) فرصة فريدة للتعمق في فهم حياة المجتمعات المختلفة، وذلك من خلال مظاهر حياتهم وسلوكياتهم وما يجري بينهم من علاقات وتفاعلات .

• قراءات مقترحة •

- Works: Scientific Social Surveys and Research, 1939 .

-------: Piligrims of Russian Town, Univ. of Chicago. 1961 .



-Z-

١٠٩- زنانيكي، فلوريان (١٨٨٢-١٩٥٢) ZNANIECKI, FLORIAN

عالم اجتماع أمريكي من أصل بولندي فقد ولد في سوتنيكي Swietniki في بروسيا في الخامس عشر من يناير ١٨٨٢ واشتهر بسبب جهوده النظرية والمنهجية التي ساعدت على بلورة شخصية علم الاجتماع؛ إذ كان رائدًا في مجال الدراسات الإمبريقية ويشار إليه على أنه واحد من أهم المراجع في الثقافة البولندية.

بعد أن أبعد من جامة وارسو Warsaw لمناصرته القومية البولندية درس في عدة جامعات في فرنسا وسويسرا ونال درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة كاراكاو Krakow في عام ١٩٠٩ . ولكنه بتأثير من عالم الاجتماع الأمريكي توماس Thomas في جامعة شيكاغو تحول إلى علم الاجتماع (١٩١٤) حيث بدآ معًا عملهما العملاق المشترك «الفلاح البولندي في أوربا وأمريكا» الذي صدر في ٥ أجزاء في الفترة من ١٩١٨ إلى ١٩٢٠ وهو كتاب ترك بصمات بارزة في علم المناهج خاصة من حيث اعتماده على الخطابات والرسائل وتواريخ الحياة والسير الذاتية، وكذلك من حيث الموضوع ووجهة نظره في الشخصية ودراسة الآثار السلبية للهجرة والظروف المصاحبة لها.

ولقد عاد زنانيكي إلى بولندا عام ١٩٢٠ وأصبح أستاذًا لعلم الاجتماع في بوزنان Poznan حيث أسس المعهد الاجتماعي عام ١٩٢٢، وربما كان من أهم ملامح تفكيره التي تركت آثارها هو تناوله لعلم الاجتماع كعلم اجتماعي متخصص لا يهتم بدراسة كل أشكال وأنماط الأنساق الثقافية، ولكن فقط تلك التي يقوم بينها تقابل واضح، وذلك بالإضافة إلى جهوده التي بذلها في بلورة طابع المناهج الموضوعية وشخصيتها .

وشأنه كشأن تولكوت بارسونز يعتبر الفعل وحدة للتحليل السوسيولوجي. ولذا فقد عرف العقوبات بأنها سلوك إرادي واع يتقابل ويتعارض مع الاتجاه

السلوكي المسبب للفعل. بينما الفعل الاجتماعي الذي يوجه علم الاجتماع إليه اهتمامه هو أي سلوك يؤثر في الكائنات البشرية الواعية.

كذلك فهو يصنف الأفعال الاجتماعية إلى أنماط تتصف بالتكرارية والهدف. وعمومًا فقد ذهب إلى أن الأفعال تخضع لنظام معياري في أساسه مما جعله يخلص إلى أن النظام الثقافي مما يتصف بالازدواجية؛ إذ إنه من ناحية نظام للامتثال للمعايير الاجتماعية ومن ناحية أخرى نظام للاعتماد والتساند الوظيفي المتبادل باعتبار أن الأفعال الاجتماعية تتبادل الاعتماد بعضها وبعض لإشباع حاجات إنسانية أساسية. وبذا فكأن علم الاجتماع إنما يهتم أساسًا بالعلاقات الاجتماعية والإنسانية وبالجماعات التي تقوم داخلها أو فيما بينها هذه العلاقات، الأمر الذي يعيد إلى الذهن ما ذهب إليه جورج زيميل بهذا الصدد غير أن منهجه، وبخاصة في كتاباته في العلوم السياسية تتسم بغير قليل من الغموض وعدم الوضوح علاوة على أنه قد استخدام في غيرهما من الكتابات علم النفس السلوكي في التحليل الاجتماعي رغم قناعته بأن النزعة السلوكية المتطرفة عرضة لغير قليل من التحريف. ولعل الشيء الذي له أهميته هو أن حديثه عن المنهج يتضمن مفهوم العامل الإنساني الذي يميز العلاقات الاجتماعية، ويشير إلى أهمية الشعور في حياة الأفراد والجماعات. ولذا كان استخدامه الواسع للتراجم الذاتية والوثائق الشخصية التي تكشف عن الاتجاهات والأحكام القيمية لدى الناس، ومن ثم فهي جديرة ببذل مزيد من الحرص عند اللجوء إليها، وهو ما يتضح في جوانب عديدة من كتاباته التي ألفها بالبولندية والتي مازال بعض أهمها لم تتم ترجمته إلى غيرها من اللغات رغم أنه توفي عام ١٩٥٨ عن ٧٦ عامًا.

● قراءات مقترحة ●

- Works: The Polish Peasant in Europe and America . 1918-1924 .

---------: The Laws of Social Psychology. 1925 .

---------: The Methal of Sociology. 1934 .

---------: Social Actions. 1936 .

---------: The Social Role of the Man of Knowledge. 1940 .

وهو سلسلة محاضرات كان قد ألقاها في جامعة كولومبيا .

---------: Cultural Sciences, Their Origin and Development .

---------: Modern Nationalities: A Sociological Study. Ulrbana. 1952 .

والجدير بالذكر أن هذين الكتابين الأخيرين قد كتبهما وهو في أمريكا بعد أن حالت ظروف الحرب العالمية الثانية دون عودته إلى بولندا، فالتحق بجامعة الينوى Illinois وجامعة أوربانا Urbana.

وعمومًا فقد يكون مفيدًا الاطلاع على مؤلف جينزبرج وبخاصة كتابه :

- Ginsberg, M., Nationalism: Its Reappraisal (Cambridge) 1961 .



أسماء الأعلام

م	الأعـــــــلام		الصفحة
-٨١	تولمان ، ستيفن	TOULMIN, Stephen	١٥٩
-٨٢	تورين ، آلان	TOURAINE, Alain	١٦١
-٨٣	توينبي ، آرنولد	TOYNBEE Arnold	١٦٣
-٨٤	تيرنر ، رالف	TURNER, Ralph	١٦٥
-٨٥	تيرنر ، فيكتورو تير	TURNER, Victor Witter	١٦٦
-٨٦	تايلور ، إدوارد بيتيت	TYLOR, Sir Edward Burnet	١٦٨
		-V-	
-٨٧	فيوجلين ، إيريك	VOEGELIN, ERIC	١٧٠
		-W-	
-٨٨	فاخ ، يواكيم	WACIL JOACHIM	١٧١
-٨٩	ولاس ، جريهام	WALLAS, Graham	١٧٣
-٩٠	والر ، ويلارد	WALLER, Willard	١٧٧
-٩١	والرشتاين ، إ	WALLERSTEIN, I.	١٧٩
-٩٢	واليس ، ديلان	WALLIS, Dallan	١٨١
-٩٣	واردهوج ، ر.	WARDHAUGH, R.	١٨٣
-٩٤	وارنر ، لويد	WARNER, Lloyd	١٨٥
-٩٥	فيبر ، الفريد	WEBER, ALFRED	١٨٨
-٩٦	ڤيبر ، ماكس	WEBER, Max	١٨٩
-٩٧	وسترمان ، ديدريش	WESTERMANN, Diedrich	١٩٤
-٩٨	هوايت ، ليسلي	WHITE, Leslie Alvin	١٩٥
-٩٩	فورف ، بنيامين	WHORF, Benjamin	١٩٩
-١٠٠	ويليامز ، روبين	WILLIAMS, Robin	٢٠١

للمؤلف

١- «جراهام ولاس: دراسة في المجتمع والسياسة»، الناشر: مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٧٢ .

٢- «الدين والتماسك الاجتماعي»، الناشر: مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٧٨ .

٣- «الشائعات والضبط الاجتماعي: دراسة سوسيومترية في قرية مصرية»، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب (الإسكندرية)، ١٩٨٠ .

٤- «علم الاجتماع القانوني (الأسس والاتجاهات)»، الناشر: مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٣ . الطبعة الثانية، مكتبة غريب، ١٩٩٢ .

٥- «المعجم في علم الإجرام والاجتماع القانوني والعقاب»، الناشر: دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٦ . الطبعة الثانية: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣ .

٦- «القانون والنظام الاجتماعي»، الناشر: دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٧ . الطبعة الثانية، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة .

٧- «الرشوة في المجتمع: تحليل سوسيولوجي»، الناشر: دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٨٨ .

٨- «المشكلة الاجتماعية في فكر هنري برجسون - دراسة في فلسفة التغير» الناشر، مكتبة غريب، القاهرة ١٩٨٩ .

٩- «الشرعية القانونية وإشكالية التناقض بين السلطة والحرية» «دراسة تأصيلية لنظرية العقد الاجتماعي»، الناشر: مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٨٩ .

١٠- «علم الاجتماع والاجتماعيون - تجارب وخبرات»، الناشر: مكتبة غريب، القاهرة، ١٩٩٥ .

١١- «كلمات أسطورية» لإيزاك أزيموف، الناشر: مصر للخدمات العلمية، القاهرة، ١٩٩٥ .

١٢- «اللغة في الثقافة والمجتمع»، الناشر: دار الكتاب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٧ ، الطبعة الثانية، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ .

١٣- «أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر»، (الجزء الأول)، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ .

١٤- «المختصر في تاريخ الفكر الاجتماعي»، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ١٩٩٨ .

١٥- «ثلاثون عامًا هل غيرت وجه مصر - كلام في الهموم والطموحات»، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٠ (مجموعة مقالات وتحقيقات صحفية نشرت في الأهرام الاقتصادي من ٦١-١٩٦٧) .

١٦- «أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر»، (الجزء الثاني) الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٣ .

١٧- «فصول في الحضارة والإبداع الإنساني»، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٧ .

١٨- «الوعي بالمجتمع - التاريخ الفكري لمصر القرن العشرين»، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٨ .

١٩- «قراءات في تاريخ الفكر الاجتماعي»، الحصري للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٩ .

٢٠- «الدين ونسق الأساطير الإفريقية والمصرية القديمة (أسطوريات ١)»، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠٠٩ .

٢١- نوبل للآداب في مائة عام (الموسوعة الذهبية)، الجزء الأول، الحصري للطباعة، القاهرة، ٢٠٠٩ .

٢٢- «الإنسان والكون وميثولوجيا الشرق الأدنى القديم (أسطوريات ٢)، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠ .

٢٣- أعلام الفكر الاجتماعي والأنثروبولوجي الغربي المعاصر، (الجزء الثالث) ، الناشر: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ٢٠١٠ .

تحت الطبع:

- العناصر الذاتية والكونية في نسق الأساطير الإغريقية والرومانية (أسطوريات ٣) .
- الدين والنسق الأسطوري في الهند (أسطوريات ٤) .
- أساطير وديانات الصين والتبت وإيران (فارس القديمة) (أسطوريات ٥) .

